اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

المباحث الدلالية في شروح نهج البلاغة المطبوعة
(دراسة موازنة)

جنان ندهم حميد مجيد

رسالة ماجستير

اللغة العربية وادابها

جامعة بغداد

كلية التربية

2009

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي لا يبلغُ مِدْحَتَهُ القائلونَ ، ولا يُحصي نَعماءَه العادّون ، ولا يؤدّي حقَّهُ المجتهدون، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأخيار المنتجبين ، ومن صحِبَه بإحسانٍ إلى يومِ الدّين وبعدُ :

فقد شغَل نهجُ البلاغةِ منذُ ظُهوره النّاس ، وملأ الدنيا ، فأقبل العلماء من شتّى بقاع الأرض عليه بين حافظٍ ، وراوٍ، و ناسخٍ ، ومحققٍ ، ومفهرسٍ ، ومترجمٍ، وناقضٍ، ومدافعٍ .

أما الشّرّاح فقد شحذ الشريف الرضيّ بجمعه نهج البلاغة قرائحَهم ، وحرّك أقلامهم بعد أن سبق إلى التعليق على بعض الخطب ، فأقبلوا على النهج يشرحون متَنه ،ويستخرجون كنوزَه المعرفّية. ثّم تتابعت تلك الشُّروح والمؤلفات مع مرّ الزَّمن ، وفاقتْ شُروحُه مُتْنَ شْرحٍ ، قسِّم منها عربيّ ، والقسم الآخر في لغات أخرى . فأّما شروحه العربية ، فلم يصل الينا منها مطبوعا إلا أقلّها بعد ان أتى الزمن على أكثرها .

ولما لم تنل هذه الشروح الحّية دراسة لغوية شاملة توازن بينها ، وتجمع فنون العربّية فيها ، رأيت ان يكون **(المباحث الدلالية في شروح نهج البلاغة المطبوعة ، دراسة موازنة)** موضوعا أبحث فيه لنيل درجة الدكتوراه . وانّما اخترت (البحث الدلالي) دون غيره من فنون اللغة ؛ لان شروح النهج جميعا حفلت بابراز الجانب الدلالي لالفاظ النهج ، وتراكيبه ، واساليبه ، ولم تعن كثيرا بفلسفة النحو، والصرف، والاصوات . بل اخذت من هذه العلوم ما له علاقة ببيان معاني نهج البلاغة ومداليله ، فجاءت علوم العربية الواردة في هذه الشروح علوما تطبيقية يؤتى بها لابراز المعنى أو اظهار الدلالة .

لقد استدعت طبيعة البحث ان ينتظم في خمسة فصول مسبوقة بتمهيد ومتلوة بخاتمة . ففي التمهيد عرضت باجمال لموضوع : (نهج البلاغة بين انصاره ومؤيديه) ؛ لان تفصيل هذا العنوان قد كتبت فيه المطولات ، فاكتفيت بسرد أهم الشبهات التي أثارها منكرو النهج ، ثم ذكرت حجج المؤيدين في دفع تلك الشبهات . اما الفصول : فالأوَّل منها خصصته بعنوان (شروح نهج البلاغة عبر القرون) ، وهو منتظم من ثلاثة مباحث : في الأّول منها رتَّبتُ أسماء شراح النهج من ذوي الشروح المطبوعة ترتيبا زمنيا ، فاحصيت منهم أكثر من عشرين شارحا ظفرت بسبعة عشر شرحا من شروحهم واعتمدت عليها في هذه الدراسة. وفي المبحث الثاني بّينت طرائق الشّرّاح في شرح متن النهج . وكان أهمُّها بيانَ موقفهم من المصنّف ، وتوثيقَهم متَن النهج ، ودرءَهم الشبهات عنه ، و تتبُّعهم أثَر النهج في التُّراث العربّي . وفي المبحث الثالث مهّدت للموضوع الرئيس بتلّمس الفكر الدلالي لدى الشّرّاح من حيث تقسيماتهم للألفاظ ، وبيانهم العلاقة بين الدال والمدلول ، وتوثيقهم المسائل الدلالية . واما الفصل الثاني فدرست فيه الدلالة الصوتية في شروح النهج وجاء في اربعة مباحث: الأول :درست فيه دلالة تعاقُب الصوائت في شروح النهج . والثاني خصصته بدرس دلالة تعاقب الصوامت في شروح النهج . والثالث بحثت فيه دلالة التكرار الصوتي لدى الشّرّاح ، وأما الأخير فخصصته بدرس

الأداء الصوتي من نبر وتنغيم وفصل ووصل . وأما الفصل الثالث فدرست فيه الدلالة الصرفية في شروح النهج ، وهو في أربعة مباحث : الأول تلمست فيه دلالة أبنية الأسماء المجردة ، والثاني درست فيه دلالة أبنيو الأسماء المزيدة بحرف واحد ، والثالث خصصته بدرس دلالة أبنية الأسماء المزيدة بحرفين فأكثر ، والأخير درست فيه دلالة أبينة الأفعال . أما الفصل الرابع فخصصته بدرس الدلالة النحوّية وجاء منتظما من أربعة مباحث : الأول درست فيه الدلالة الإعرابية في شروح النهج . والثاني درست فيه الدلالة التركيبية في شروح النهج والثالث درست فيد دلالة الأدوات الأحادية في شروح النهج والأخير درست فيه دلالة الأدوات الثنائية فأكثر. أما الفصل الخامس - وهو الأخير - فدرست فيه الدلالة المعجمية في شروح نهج البلاغة وهو في أربعة مباحث : الأول درست فيه المشترك اللفظي . والثاني درست فيه التضاد . والثالث درست فيه الترادف والفروق اللغوية . والأخير درست فيه التطور الدلالي . ولخصت في الخاتمة أهم نتائج البحث وتوصياته .

ولطول عنوانات شروح النهج وتشابهها كثيرا ، آثرت الاحالة اليها في الهامش بذكر ما اشتهر به الشارح من كنية أو لقب طلبا للاختصار . ثم ثبَّتُّ الشروح في قائمة المصادر بأسمائها الصريحة ، فضلا عن اختصار أسماء الكتب الطويلة ، وإذا تشابهت عنوانات الكتب ذكرت اسم المؤلف بين معقوفتين . ووثقت متن النهج من طبعته التي عني بها صبحي الصالح لدقتّها في ضبط المتن واحتوائها على فهارس توضيحية كثيرة . وقد آثرت إيراد مصادر الأطروحة كلها في ثبت جامع شامل دون النظر إلى نوعها أمصادر هي أم مراجع أم أطاريح ورسائل أم بحوث؟ واعتمدت على طبعات حديثة لمعجمات اللغة انمازت بدقة الضبط وتوثيق الشواهد وسهولة التداول فضلا عن رصانة دور نشرها . وأهم ما واجه البحث من عقبات هو ندرة شروح النهج المطبوعة ، فالمشهور المعروف بين ذوي الصنعة شرح المعتزلّي ، وشرح محمد عبده . أما الشروح الاخرى فنادرة مجهولة لعدة أمور أهّمها منع تداولها قبل عام ٢٠٠٣م ، وقلّة عدد المطبوع منها، وإقبال أرباب العلم والأدب على اقتناء ما عرض منها أخيرا على نحو نفذت معه من المكتبات واصبحت مقتنيات شخصّية . ولذا أمضيت وقتا طويلا في جمعها فظفرت بأكثرها وبعد قراءتها جميعا راعني كثرة المادة الدلالية المبثوثة فيها لا سيما في الشروح المتقدمة منها ، فزاد ما جمعته من الجذاذات على خمسة الاف جذاذة ، ثم كانت عملية الانتقاء والموازنة عسيرة للغاية ، إذ مضت السنتان في الجمع والموازنة والتصنيف . فطفقت أسابق أيام هذا الزمن في الكتابة فجاء عملي هذا وقد أفرغت فيه ما وسع الجهد واستطاعت القدرة ، ولولا رعاية تفوق المألوف أولتنيها أستاذتي المفضال الدكتورة خديجة زبار المشرفة على البحث لما قدر لي أن ألَِّم بحثي هذا ، فجزاها الله عّني خير ما يجزى به العلماء .

والحمد لله رب العالمين

الباحثة

بغداد ٢٠٠٩ مـ

التَّمهيدُ

نَهْجُ البلاغةِ بينَ أنصارهِ ومُعارضيهِ

١ - نَهْجُ البلاغةِ ، ما هو؟

نهج البلاغة اسم وضعه الشريف الرضيّ لكتاب جَمعَ بأسلوب فريد رواياتٍ منتقاةً من خطب الإمام عليّ بن أبي طالب (ع) ورسائله وحكمه ، بلغ المختار المجموع منها مئتين واثنتين وأربعين خطبة أوكلاما وثمانية وسبعين كتابا أو رسالة، وأربع مئة وثماني وتسعين حكمة . ثم اضحى النهج لدى الناس عَلَما مبلّغا عن الإمام وفكره ، فكلامه بين ايديهم يحكي عبقريَّة رجل لم يعرفْه الا الله (عزوجل) ورسوله (صلى الله عليه وآله)[١]. اذ تعجز العقول وإنْ قويت فطنتها عن سبر غور علي بن أبي طالب (ع) الذي جمع من الفضائل والمناقب ما تمنّى الصحابة (رضي الله عنهم) ان يظفروا بإحداها ليكون ذلك خيرا لهم ممّا طلعت عليه الشمس او خيرا لهم من حمر النعم[٢] ، ورحم الله المتنبي اذ قال[٣] :

وَتَرَكْتُ مَدْحِيَ لِلْوَصِيِّ تَعَمُّدًا ... إذْ كانَ نُوْرًا مُسْتَطِلْ لا شَامِلا

وإذا اسْتَطالَ الشَّيْءُ قامَ بِنَفْسِهِ ... وَصِفَاتُ ضَوْءِ الشَّمْس تَذْهَبُ بَاطِلا

فماذا يقول الباحث « في رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله وعبده وكلُّ مَنْ على الأرض يعبدُ الحجرَ ويجحد الخالق؟ لم يسبقْه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كلِّ خيرٍ : محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) »[٤] وماذا يقول « في رجلٍ أقرّ له أعداؤه وخصومُه بالفضل ، ولم يُمْكِنْهم جحدُ مناقبه ولا كتمان فضله؟ فقد اجتهد بنو أمّيه في إطفاء نوره ولعنوه على جميع المنابر وحبسوا مادحيه وقتلوهم ومنعوا من رواية كلّ حديث يتضمّن له فضيلة أو يرفع له ذكرا حتّى حظروا أن يسمّى أحد باسمه فما زاده ذلك إلا رفعة وسمّوا. وكان كالمِسك كلّما سُتِر انتشَر عرفُه، وتضوّعَ نشرُه . وكالشّمس لا تستر بالرّاح . وكضوء النهار إنْ حُجب عن عينٍ واحده أدركته عيونٌ كثيرة . وماذا يقول في رجلٍ تُعزى إليه كلُّ فضيلةٍ وتنتهي إليه كلُّ فرقةٍ وتتجاذُبه كُلُّ طائفةٍ ؟ »[٥].

ولا يملك الباحث في سيرة عليّ (ع) إلا أن يقول : « سبحان الله من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة ! أن يكون غلاًم من أبناء عرب مكة ، ينشأ بين أهله ، لم يخالط الحكماء ، وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من إفلاطون وأرسطو. ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقية والآداب النفسانية ، لأنَّ قُريشا لم يكن أحد منهم مشهورا بمثل ذلك ، وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط . ولم يربّ بين الشجعان لأن أهل مكة

---

(١) ينظر: كنز العمال ١٥٦/٦

(٢) ينظر: صحيح البخاري ٧٤٢-٧٤٤ وصحيح مسلم ١٠١٩-١٠٢٢.

(٣) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي ٥٤٦/٢

(٤) شرح المعتزلّي ٣٠/١

(٥) نفسه ١٧/١

كانوا ذَوي تجارة ، ولم يكونوا ذوي حرب ، وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض ... وخرج أفصح من سحبان وقُسّ ، ولم تكن قريش بأفصح العرب ، قالوا : أفصح العرب جرهم وإن لم تكن لهم نباهة. وخرج أزهد الناس في الدنيا ، وأعفّهم ، مع أن قريشا ذوو حرص ومحبة للدنيا ، ولا غرو فيمن كان محمد صلى الله عليه وآله مربّيه ومخرجه ، والعناية الإلهية تمده وترفده أن يكون منه ما كان »[1] .

وإزاء تراكم غبار الظلم صرف مبغضو علّي (ع)ما نزل بحقّه من قرآن ، وحرّفوا ما قيل في فضله من حديث ، وراموا هَدْم ما شيّده هو لنفسه من مجد تليد بجهاده وعلمه وعبادته . ثّم شاء الله وحمدا على مشيئته أن يصل إلينا نهج البلاغة وفيه حاجة العالم والمتعلم، وبغية البليغ والزاهد. وفيه أقام ابن أبي طالب براهين التوحيد ودلائل الصنعة وأسرار الخليقة وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبهة الخلق. وفيه تهذيب النفس وسياسة المدن وحكمة التشريع والعظات البليغة والحجج الدامغة وإنارة العقول وطهارة النفوس وينابيع الحكمة. وفيه وصف الخلق عموما وتمثيل الجنة والنار عيانا. وفيه قوانين الحرب وسوق الجيوش وتعبئة العساكر. وفيه وصف الطاووس والخفاش والذّرة والنملة وصفا يستوعب ما في هذه الكائنات من عجائب التكوين وبدائع القدرة. وفيه حقوق الأخوان والرعية والوالدين والأبناء والناس أجمعين. ثم فيه خبرما سيأتي نقلا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله). وفي كل ذلك ارتفع أمير المؤمنين (ع) بالفصاحة العربية عن أن تتصبّ في التوافه ، فتكون مسوقةً لبيان صفة فرس أو بعير أو حمار وحشّي أو امرأة أو بركة ماء أو قصر أو معركة . وسما بها لتتلخص في نوازع البشر المخلوق من الطين . إذ لم يعهد العرب فصيحا يسوق الكلام في توحيد الله تعالى ولم يألفوا فصيحا يصف خلق الكون من أرض وسماوات وماء وجبال وصخور وسحاب وهواء وإنس وجنّ وملائكة . فحقّ لأهل البلاغة أن يدهشوا ويعجبوا برجُلى هو أعرف بطُرق السماوات منه بطرق الأرض[2] . لكن العجب سيزول حين يعي المرء أن هذا المتكلّم هو من رسول الله بمنزلة هارون من موسى ، وأنه الأذن الواعية التي صبّ فيها رسول الله بأمر ربّه العلم صبّا[3] فحقّ لها أن تعَيوتحفظَ ثم تبلّغ على رغم أنف الناكثين والمارقين والقاسطين والنواصب .

لقد وصل إلينا كتاب نهج البلاغة وفيه من خطب الإمام علي بن أبي طالب (ع) ما هو قبس من نور الكلام الإلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي ، والنظر فيه يورث الشجاعة والشهامة والمروءة وعظمة النفس لأنه

---

(١) المعتزلّي : ١٦/ ١٤٥

(٢) قال الإمام (ع) : (أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني ، فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض) . ينظر: نهج البلاغة : الخطبة ٢٣١ ، ص :٢٣٨

(٣) ينظر: صحيح مسلم ١٠١٩ ومجمع البيان ٢٩/١٠ /١٠٧

من روح قهارّ واجه المصاعب بعزائم الأسود[١]. وهو كتاب ضمّ بين دفتّيه عيون البلاغة وفنونها وتهيأت به - للناظر فيه - أسباب الفصاحة ودنا منه قطافها. إذ كان من كلام أفصح الخلق بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) منطقا وأشدهم اقتدارا وأبرعهم حجة وأملكهم للّغة يديرها كيف شاء الحكيم الذي تصدر الحكمة عن بيانه ، والخطيب الذي يملأ القلب سحر بيانه ، والعالم الذي تهيأ له من خلال الرسول (صلى الله عليه وآله) وكتابة الوحي والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ حداثته ما لم يتهيأ لأحد سواه[٢] . ثّم شهد لعلّي (ع) بالفصاحة اعداؤه قبل انصاره إذ قصد بعضهم الشام عبر الكوفة فقال لمعاوية : جئتك من عند أعيى الناس - يريد علّيا (ع) – فقال معاوية : يا ابن اللخناء أ لعلّي تقول هذا ؟ وهل سنّ الفصاحة لقريش غيره[٣].

ومن حق المرء أن « يطيلَ التعجُّب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدلّ على أنّ طبَعه مناسب لطباع الاسود والنمور وامثالها من السباع الضارية ، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه- اذا اراد الموعظة- بكلام يدل على ان طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسي المسوح الذين لم يأكلوا لحما ولم يريقوا دما ...»[٤] . ومهما أطال ذوو الصنعة النظر في نهج البلاغة والتأمل في ألفاظة وتراكيبة لن يجدوا في أنفسهم نفورا ولاصدودا بل أن هواجسهم تجرهم إليه بعد حين جرّا فيقبلوا عليه مجددا كأن لم يقرؤوه بالأمس، وفي كل يوم لهم فيه جديد فيظفرون منه بالمزيد، وهذا حال أحد ذوي الصنعة مع النهج إذ قرأ خطبة للإمام يصف فيها الأموات والبرزخ أكثر من ألف مرة وفي كل مرة تترك أثرا جديدا في نفسه عجزت كل طرق البلاغة عن محاكاة بعضه فقال :« اقسم بمن تقسم الامم كلها به لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة والى الان أكثر من ألف مرة ، ما قرأتها قط الا وأحدثت عندي روعة وخوفا وعظة وأثّرت في قلبي وجيبا ،وفي أعضائي رعدة ولا تأملتها إلا وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي وأرباب ودي وخيلت في نفسي أني أنا ذلك الشخص الذي وصف عليه السلام حاله . وكم قد قال الواعظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى وكم وقفت على ما قالوه وتكرر وقوفي عليه فلم أجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي »[٥].

لقد اقترن نهج البلاغة باسم الإمام علي (ع) اقترانا يذكر الملأ باسم جامعه الشريف الرضّي المولود في بغداد سنة ٣٥٩ هـ والمتوفى فيها سنة ٤٠٦ هـ (رحمه الله) ، وهو محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم

---

(١) ينظر: شرح المعتزلّي ١٥٣/١١ وتمام نهج البلاغة ٨٩/١.

(٢) ينظر: مقدمة شرح محمد عبده ٢-٣

(٣) ينظر: شرح المعتزلّي ٩٩/٢.

(٤) المعتزلّي١٥٣/١١

(٥) نفسه ١٥٣/١١

ابن الإمام موسى الكاظم (ع) وينتهي نسبه الى الإمام علي (ع) ، ومن الحفيد الى جده اثنا عشر علما[١]. وقد عكف الرضيّ على جمع النهج منذ عام ٣٨٢ هـ حتى سنة ٤٠٠ هـ ، فكان زمن جمع النهج سبعة عشر عاما[٢]. ثم غلبت شهرة الشريف الرضيّ - الذي لم يجاوز عمره العقد الخامس - الافاق بعد جمعه النهج ، إذ فشا عمله هذا بين الناس معرفا به ومشيرا اليه ومغطيا على جهده الاخر في الادب واللغة والحديث ، ولذا فاقت شهرة الرضيّ شهرة اخيه الاكبر الشريف المرتضى المولود سنة ٣٥٥ هـ ، والمتوفى سنة ٤٣٦ هـ عن عمر ناف على الثمانين زاخر بمسائل العقيدة والفقه والاصول[٣] . ولكن الرضيّ جمع النهج فسما بسمّوه ، ولو أتى بالنهج وحده لكان الظفر له في ساحة المقايسة بالكتب.

لقد عاش الرضيّ عصاميا عظيما في نفسه حاملا رسالته الدينية والأدبية بأحسن وجه فأمضى العمر زاهدا عالما مؤلفا في القرآن الكريم والسنة النبوّية والبلاغة العلوية في سلسلة منتظمة مترابطة من البحوث النافعة التي أنارت الطريق للأجيال فكان الفارس الوثّاب الذي جرى خفيفا إلى العلا بخطى راسخة ، فحقّ له القول إذ يصف نفسه[٤]:

حَذَقْتُ فُضُوْلَ العيش حتّى رَدَدْتُها ... إلى دون ما يرضى بهِ المُتَعفّفُ
وأمّلْتُ أنْ أجْرِيَ خَفيفا إلى العُلا ... إذا شِئْتُمُ أنْ تَلْحَقُوا فَتَخَفّفُوا
حَلَقْتُ بربِّ البُدْن تدَمى نُحُورُها ... وبالنَّفر الأطوار لبّوا وعرَّفُوا
لأبتذلنّ النفس حتّى أصونها ... وغيريَ في قيدٍ من الذلِّ يرشفُ
فقد طالما ضيَّعْتُ في العيشِ فُرْصَةً ... وهلْ ينفعُ الملهوفَ ما يتلهَّف
وإنَّ قوافي الشّعر ما لم أكُنْ لهَا ... مُسَفسفةً فيها عتيقٌ ومقرفُ
أنا الفارسُ الوَثّابُ في صَهواتِها ... وكلُّ مجيدٍ جاء بعديَ مُرْدفُ

وقد تولى الرضيّ عدة مناصب معظمها دينّية وترك في المكتبة العربية كتبا قيمة اذ كان « نقيب النقباء وهو ذو الفضائل الشائعة والمكارم الذائعة كانت له هيبة وجلالة وفيه ورع وعفة وتقشف ومراعاة للأهل والعشيرة. ولي نقابة الطالبيين مرارا وكانت إليه إمارة الحاج والمظالم كان يتولى ذلك نيابة عن أبيه ذي المناقب، ثم تولى ذلك بعد وفاته مستقلا وحج بالناس مرات، وهو أول طالبيّ جعل عليه السواد، وكان أحد علماء عصره، قرأ على أجلاء الافاضل وله من التصانيف : كتاب المتشابه في القرآن وكتاب مجازات الأثار النبوية وكتاب نهج البلاغة وكتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن وكتاب الخصائص» [٥] وغيرها .

---

(١) ينظر: يتيمة الدهر: ١٣٦/٣ والرجال ٣٩٨ وتاريخ بغداد٦٤٦/٢ وعمدة الطالب ٢٠٧ .
وشذرات الذهب١٨٢/٣ وروضات الجنات ٥٤٦ .
(٢) ينظر: نهج البلاغة (خاتمة الرضيّ) ٦٩٧ ودراسة حول النهج ١٤ .
(٣) ينظر:الرجال ٢٧٠-٢٧١ والمنتظم ٢٧٦/٧ .
(٤) ديوان الشريف الرضيّ ٢١/٢ .
(٥) عمدة الطالب٢٠٧ .

وفي يوم الأحد السادس من محرم سنة ست وأربعمئة توفي الشريف الرضّي ، ورثاه جمع غفير من الشعراء أبرزهم تلميذه مهيار الديلمي (ت ٤٢٨هـ) من قصيدة طويلة يقول فيها[١] :

أبْكيكَ للدُّنيا التي طلَّقتـهَا وقد اصطفتك شبابَها وعرامَها
ورميتَ غادتَها بفضلةِ معرضٍ زهدا وقدْ ألقتْ إليكَ زمامَـها

لقد وثق الرضّي في تقديمه للنهج مسيرته المباركة في جمع هذا السفر الجليل، فقال : « إني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن. ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم ... فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب؛ دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدّم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه. وسألوني عند ذلك أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب ... فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر»[٢] .

ونهج البلاغة فيض من خطب أمير المؤمنين ورسائله ووصاياه وحكمه مما قدر للرضي أن يجمعه وقد صرح الرضّي بأن ما جمعه بعض من كلام الإمام (ع)، فقال : « ولا أدعي - مع ذلك – أني أحيط بأقطار جميع كلامه (ع) حتى لا يشذ عني شاذ ولا يند ناد بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إلي والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي، وما عليّ إلا بذل الجهد وبلاغ الوسع ..»[٣] ثم سمّى الرضّي ما جمعه بنهج البلاغة وبين وجه التسمية بأن نهج البلاغة « يفتح للناظر فيه أبوابها ويقرب عليه طِلابها»[٤]. وقد قسم الرضّي كتابه على ثلاثة أبواب بعد أن رأى « كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة: أولها الخطب والأوامر. وثانيها الكتب والرسائل. وثالثها الحكم والمواعظ »[٥] والفرق بين الخطب والأوامر هو أن **الخطبة** كلام منتظم يتضمن محاسن البلاغة ويراعي حفظ الأوزان والفواصل. وأما **الأوامر** فهي الأحكام والتكاليف المتعلقة بأفعال المكلفين لما فيه صلاحهم في الدين والدنيا . والفرق بين الكتب والرسائل هو أن المراد **بالكتب** الكلام المكتوب الصادر منه (ع) إلى الناس من ولاة وخصوم وأصحاب وأبناء. و**الرسائل** كتب صغيرة في مقام بعث السفراء والرسل أو ما كان جوابا لهم. وأما الفرق بين الحكم والمواعظ فهو أن **الحكم** كلمات قصار ترفع الأنسان عن فعل القبيح. و**المواعظ** هي وصايا بالتقوى والحث على الطاعات[٦].وأبواب النهج الثلاثة التي أقرّها الرضّي هي:

---

(١) ديوانه٣/٣٦٦-٣٧٠

(٢) نهج البلاغة (مقدمة الرضّي) ١١

(٣) نفسه ١٤

(٤) نفسه ١٤

(٥) نفسه ١٢

(٦) ينظر: شرح الخوئي ٢٨١/١

الأول : وهو المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحضورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة[١] .

الثاني: وهو المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله ووصاياه لأهله وأصحابه[٢] .

الثالث : وهو المختار من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه[٣] .

ووضح الرضيّ منهجه في الجمع فقال : ابتدأت « باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والأدب مفردا لكل صنف بابا ومفصلا فيه أوراقا لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا ويقع إلي آجلا. وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار أو جواب سؤال أو غرض آخر من الأغراض - في غير الأنحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها - نسبته إلى أليق الأبواب به وأشدها ملامحة لغرضه. وربما جاء في ما أختاره من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة، لأني أوردت النكت واللمع، ولا أقصد التتالي والنسق »[٤] ونوه على ما في النهج من كلام مكّرر فقال :« ربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر. والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا. فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ، ثم وُجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعا غير موضعه الأول إما بزيادة مختارة أو لفظ أحسن عبارة فتقتضي الحال أن يعاد استظهارا للاختيار، وغيرةً على عقائل الكلام، وربما بُعد العهد - أيضا - بما اختير أولا فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا، لا قصدا واعتمادا »[٥] .

٢ - معارضو النهج وشبهاتهم.

بعد ان حظي نهج البلاغة بإقبال العلماء في القرنين الخامس والسادس الهجريين ظهرت بواكير التشكيك في القرن السابع ، ثم توالت الشكوك مع مر الزمن لعدة بواعث: بعضها مذهبي وأكثرها سياسي. ولذا شقّ نهج البلاغة طريقه بدءا من منتصف القرن السابع بين فريقين : الاول له ، والاخر عليه . وإنما انطلق أكثرالمشككين من باعث سياسي في التشكيك بمضمون النهج لأنّه يحدد مفهوم السلطة تحديدا دقيقا ، ويشيع الحقوق العامة ، ويحثّ على الحرّية والعدالة الاجتماعيّة ، وهذه المفاهيم لم يرتضها الحكام بعد عصر الراشدين (رض) إلى الآن ، فشجّعوا ثقافة الطعن بعلّي (ع) اولا حتّى سبّ علي المنابر ثمانين حولا. ولما جمع النهج بعد حقبة من الزمن بادر الحكام وقضاتهم الى ابطال نسبة الكتاب الى علي (ع) بغية ابعاد الناس عن مفاهيمه التي تزلزل حكم الجبابرة والطواغيت[٦].

---

(١) نهج البلاغة ١٥
(٢) نفسه ٤٥٧
(٣) نفسه ٥٩٧
(٤) نهج البلاغة (مقدمة الرضيّ)١٢
(٥) نفسه ١٤
(٦) ينظر: صوت الإمام في نهج البلاغة ٦٨/١

ويمكن تقسيم المشككين على قسمين: قدماء ومحدثين. وأول القدماء هو قاضي قضاة دمشق في زمانه ابن خلكان (ت ٦٨٦هـ) الذي عرض شكه في النهج لما وقف على ترجمة الشريف المرتضى، فقال: « اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب (رض) هل هو جمعه ام جمع اخيه الرضيّ؟ وقد قيل : انه ليس من كلام عليّ، وانما الذي جمعه ونسبه اليه هو الذي وضعه والله اعلم»[١]. ثم شايع ابنَ خلكان فريقٌ من القدماء منهم الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) الذي رأى ان النهج مكذوب على امير المؤمنين علي (ع) لما فيه من السبّ الصُّراح والحط على الصحابة والتناقض والركاكة[٢] . وكرّر ابن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ما قاله ابن خلكان والذهبي لا سيما شبهة الرضيّ والمرتضى[٣] . والامر نفسه يلحظ لدى اليافعي (ت٧٦٨ هـ) ، وابن كثير (ت٧٧٤هـ) ، والعسقلاني (ت٨٥٢ هـ) ، وابن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)[٤].

واما المحدثون فابرز المشككين في النهج منهم : احمد امين (ت ١٩٥٤م) ، وملخص شكوكه في النهج ان فيه سجعا منمقا ، وصناعة لفظية لا تعرف في ذلك العصر ، وفيه تعبيرات فلسفية لم يألفها العرب الا بعد ان نقلت الفلسفة اليونانية الى العربية ، وبعد تدوين العلوم ، وفيه أوصاف دقيقة منمقة باسلوب لم يعرف الا في العصر العباسي كوصف الخفاش الطاووس[٥] . ومنهم شوقي ضيف (ت٢٠٠٥م) ، وشكوكه تتلخص بأنّ الكتاب للرضي أم لاخيه ؟ ، وفي وجود السجع في متن النهج ، وعنده ليس من الطبيعي ان يسجع علي في خطابته بينما ينهى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) عنه[٦] . وشكك محمد كرد علي في الخطب الطوال من النهج لان التطويل في الخطب لم يكن معهودا آنئذ ، ورأى ان النهج زيدت فيه زيادات كثيرة قبل عهد الرضيّ وبعده ، واكثره من كلام فصحاء الشيعة وغيرهم بدليل الاختلاف الكبير في نسخه[٧]. وجمع احمد زكي صفوة[٨] شكوكا كثيرة طوّل في سردها كما طوّل في مناقشتها ، فرد بعضها وآمن باكثرها واهمها : خلو المصادر الادبية والتاريخية قبل الشريف الرضيّ من كثير مما ورد في نهج البلاغة. وورود الافكار السامية والاحكام الدقيقة والعلوم المختلفة في نهج البلاغة مع انها امور عرفت في عصور متاخرة. وإطالة الكلام وإشباع القول في طائفة من الخطب كما في عهد الإمام (ع) الى الاشتر النخعي الذي جاء مسهبا مطنبا مشتملا على كثير من الحيطة والحذر والتوكيدات والمواثق والنظرات

---

(١) وفيات الأعيان ٣١٣/٣ .

(٢) ينظر: ميزان الاعتدال١٢٤/٣ وسير أعلام النبلاء ٥٨٩/١٧ .

(٣) ينظر:الوافي بالوفيات٢١/٧ .

(٤) ينظر: مرآة الجنان٥٥/٣ والبداية والنهاية ١٢/ ٣٥ وميزان الاعتدال ١٠١/١ ولسان الميزان٢٢٣/٤ وشذرات الذهب٢٥٧/٣.

(٥) ينظر: فجر الإسلام ١٤٨-١٥١

(٦) ينظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي ٦٠-٩٣

(٧) ينظر: أمراء البيان٢٢

(٨) ينظر: ترجمة عليّ بن أبي طالب ١٢٠-٢٠٨

السياسيةوالقواعد العمرانية التي لم تكن معروفة في عصر الإمام (ع). والتعريض ببعض الصحابة وذمهم كما في خطبته المُسمّاة بالشقشقية . وطغيان النزعة الصوفّية الفلسفية في كثير من خطب النهج مما لم يعرف بين المسلمين الا في القرن الرابع الهجري. ودقة الوصف وغلبة السجع وتنميق الكلام مما لم يعهد في صدر الاسلام . ووقف محمد طاهر درويش موقف المشكك في قسم من خطب النهج لاسيما تلك التي وردت خالية من بعض الحروف وغلبت عليها الصبغة الفلسفية والصناعة اللفظية وتلك التي تصف الطاووس والخفاش والزرع والسحاب وصفا دقيقا لم يكن معروفا انئذ ، وتلك التي تصف الملاحم والفتن وتخبر بالغيب من نبوآته بالحجاج ، وفتنة الزنج ، وغارات التتر ، وتلك التي تتناول الخلفاء قبله بما لا يليق بهم[١]. ولخص محمّد محيي الدين عبد الحميد شكوكه في النهج بعدة نقاط منها: التعريض بالصحابة ، وادعاء صاحب النهج علم الغيب، ودقة الوصف ، واستفراغ صفات الموصوف ، واحكام الفكرة ، وبلوغ النهاية في التدقيق كما في وصف الخفاش والنحلة والجراد والطاووس ، وهذا الوصف لم يلتفت اليه علماء الصدر الاول ولا ادباؤه ، وانما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس[٢]. وشكك محمد سيد كيلاني في معظم ما جاء في النهج ان لم يكن كله ، وبعض شكوكه جديدة لم يسبق اليها ، وبعضها الآخر تكرار لسابقيه ، فأّما جديده فهو إنّ متن النهج طويلٌ وواسع يتعذر نقله مشافهة وحفظا عن علي (رض) إذْ ليس من شكّ في انّ حفظ هذا المقدار الضخم من الأمور المتعذرة ، وفي النهج خطب طويلة جدا ليس من السهل وعيها وتذكر الفاظها بعد اجيال . واما الشكوك المردّدة عن السابقين فأهمها: إنباء خطب النهج بالغيب ، واشتمالها على علوم فلسفية وروحانية لم تعرف في المجتمع الاسلامي كدقائق علم التوحيد وابحاث الرؤية ، ودقته في وصف اصناف الطيور والحشرات ، والدعوى الى الرهبنة ، والاختلاف الكبير في أساليب الخطب ، والطعن على الخلفاء والقضاة والوزراء ،والتطويل بالحمدله في صدر الخطب ،وذكر الوصي والوصاية ،وهي خرافة لم تظهر الا بعد قتل علّي[٣].

٣- أنصار النهج ورد الشبهات .

الثابت لدى المعنيين بالنهج ان معظم ما جاء فيه موجود في كتب المتقدمين وان لم يشر الشريف الرضّي الى ذلك « ولو لم يعر بغداد ما عراها من الدمار على يد التتر ، ولو بقيت خزانة الكتب الثمينة التي احرقها الجهلاء لعثرنا على مرجع كل مقولة مندرجة في نهج البلاغة »[٤]. ولذا تلقف البلغاء المتقدمون خطب النهج غير مرتابين

---

(١) ينظر: الخطابة في صدر الإسلام ١/٣٣٠-٣٣٣

(٢) ينظر: شرح عبده بتحقيق محمد محيي الدين / مقدمة المحقق ٧-٩

(٣) ينظر: أثر التشيع في الأدب العربي ٥١-٦٧

(٤) دراسة حول نهج البلاغة: ٧ وينظر: استناد نهج البلاغة٢٠

من ان علّيا (ع) قالها ؛ لقوة متونها من حيث جزالة اللفظ ، وقوة السبك ، وعجيب النظم ، وسحر البيان . وهذه اقوى القرائن لدى البلاغيين في الاطمئنان الى صحة نسبتها الى الإمام (ع) . ثّم لا ريب لديهم في صحة سندها، إذ هو منقول عنه (ع) بالاستفاضة والشياع المفيد للإطمئنان وتواتر جانب كبير منه. وقد عني فريق من العلماء بتحقيق متن النهج من جانبين[١] : **الاول** : اسناد النهج الى جامعه الشريف الرضّي . **الاخر** : تواتر النهج من الرضّي الى الإمام (ع) فلاحظوا ان السند الى الشريف الرضّي قوي ومعروف من عدة طرق منها تصريح الشريف الرضّي بعمله الكبير هذا في كتبه الاخرى وأقوال المشايخ المعاصرين للرضي او المتاخرين عنه ووجود نسخة النهج التي كتبها الرضّي بخط يده وكثرة النسخ الأخرى التي نسخت على منوالها[٢]. فضلا عن أمانة الرضّي وتحرره من التعصب المذهبي ، إذ خلص الدكتور زكي مبارك الى « ان الشريف الرضّي كان قليل الرعاية للعصبية المذهبية ، والظاهر انه كان حر العقل الى حد بعيد ، فقد كان يدرس جميع المذاهب الاسلامية ليمد عقله بالانوار التي يرسلها اختلاف الفقهاء »[٣] . وكان قد تتلمذ على مشايخ في عصره من مذاهب مختلفة[٤] ، « فلم يتعصب لرجال مذهب على رجال مذهب اخر ، لقد كان من شيوخه الشيعي والسني والمعتزلّي والشافعي والحنفي والمالكي ، فلم يتحرج ان ياخذ العلم من اي مصدر . وقد رأينا ان ابا اسحاق الطبري الذي منحه الشريفُ داره ليقيم فيها كان فقيها سنيا على مذهب الإمام مالك »[٥].

واما تواتر النهج من الرضّي الى الإمام (ع) فيعضده كثرة المصادر التي نقلت كثيرا من خطب الإمام علي (ع) قبل ان يخلق الرضّي بكثير . فنهج البلاغة « قد طبَّقت معروفيَّه الشرق والغرب ، ونُشر خبره في اسماع الخافقين ، وتنور من تعليمات النهج جميع افراد نوع البشر لصدوره عن معدن الوحي الالهي »[٦] والرضّي يرتبط بجده الإمام علي (ع) بسند قوي لا مجال للشك فيه والطعن به هو سند الحفدة عن الابناء عن الاباء عن الاجداد ، وهو السند نفسه الذي اشار اليه الإمام الصادق (ع) بقوله : « حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث امير المؤمنين ، وحديث امير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحديث رسول الله قول الله عزوجل »[٧].

---

(١) ينظر: دراسة حول نهج البلاغة ٨-٩ .

(٢) ينظر: شرح الكيدريّ ١/٥٤-٥٦ وما هو نهج البلاغة ١٣ودراسة حول نهج البلاغة ١٢٦ .

(٣) عبقرية الشريف الرضّي ١/١٢٥ .

(٤) ينظر: دراسة حول نهج البلاغة٣٦- ٣٨

(٥) الشريف الرضّي (محمد عبد الغني) ٣٠

(٦) الذريعة ١/١٤- ٥

(٧) أصول الكافي ١/٤١ ، وينظر: مصادر نهج البلاغة ١/١١٠

وأكثر من عني بمصادر نهج البلاغة وأسانيده هو عبد الزهراء الخطيب الذي وثق نسبة النهج الى الإمام علي (ع) معتمدا على اربعة انواع من المصادر :

الاول : مصادر ألفت قبل سنة ٤٠٠ هـ وهي سنة ظهور النهج الى الملأ ولا تزال تلك الكتب موجودة الى اليوم .
الثاني: مصادر الفت قبل صدور النهج ، ولكنها لم تصل الينا وكثير منها مبثوث في كتب اخرى وصلت الينا . **الثالث** : كتب الفت بعد الرضيّ دونت كلام امير المؤمنين (ع) باسناد متصل لم يمر على الرضيّ ولا على كتابه. **الاخير** : كتب صدرت بعد الرضيّ ونقلت كلام الإمام (ع) بصورة تختلف عما ورد في النهج ولم تشر اليه البتة .

وقد احصى عبد الزهراء الخطيب من المصادر في القسمين الاول والثاني مئة واربعة عشر مصدرا رتبها ترتيبا الفبائيا[١] اما المصادر والروايات التي صرح الرضيّ بذكرها فبلغ مجموعها خمسة عشر مصدرا ورواية[٢] . وقد تبين لعبد الزهراء الخطيب ان الشريف الرضيّ لم يكن هو السابق الى جمع كلام امير المؤمنين ولا السابق الى تدوينه ، اذ عني الناس به عناية بالغة قبل الرضيّ ، فدونوه في عصر الإمام (ع) ، وحفظوه في ايامه ، وكتبوه ساعة القائه . ودلل عبد الزهراء الخطيب على ذلك بذكره اثنين وعشرين مصدرا قبل الرضيّ كلها مختصة بخطب امير المؤمنين ورسائله وحكمه[٣] . ثم عضد ذلك باربعة وعشرين مصدرا جمعت كلام امير المؤمنين (ع) بعد الرضيّ[٤]. ومن هنا انبرى مناصرو النهج للشبهات التي أثيرت حوله بالرد والتخطئة فأما شبهة الرضيّ أو المرتضى فقد ردت بأنَّ كُلا من الشريف الرضيّ والمرتضى كانا ينتسبان الى السيد ابراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم (ع) ، فكان الأَخَوان كلاهما يلقبان بلقب جدهما (المرتضى) ثم وقع اللبس بين لقب الابن (الرضيّ) ولقب جده (المرتضى) ، ولم يزعم احد ان الشريف المرتضى جمع النهج او شارك في جمعه. ورأى هبة الدين الشهرستانيّ ان الشريف الرضيّ كان يلقب بالمرتضى احيانا ، كما ان اخاه كان يلقب بذلك ، ثم بقي اخوه على هذا اللقب ، ولقب الاول بالرضيّ يوم رضوه نقيبا ، وكل من الرضيّ والمرتضى لقبان يتصرف بهما في كثير من المواقف وليسا اسمين ثابتين لهما[٥].

وقد وثق الشريف الرضيّ جمعه للنهج في اكثر من موضع من كتبه ، اذ ذكر ذلك في حقائق التاويل والمجازات النبوية[٦] وغير ذلك .

---

(١) ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٢٩/١-٤١
(٢) ينظر: نفسه ٤١/١-٤٢
(٣) ينظر: نفسه ٥١/١-٦٦
(٤) ينظر: نفسه ٦٦/١-٨٦
(٥) ينظر: ماهو نهج البلاغة ١٨ والمدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٣٩
(٦) ينظر: حقائق التأويل ٢٨٧/١ ، ١٦٧/٥ والمجازات النبوية ٤٠ ، ٦٧ ، ١٩٩، ٢٥١.

وأما شبهة الخطب الطويلة وتعذر روايتها فقد ردّت بان رواية الخطب الطويلة وحفظها امر متيسّر لا متعذّر على أرباب الفصاحة والبيان والذوق الادبي الرفيع ، وليست بأعجب من رواية المعلقات السبع والقصائد الاخرى التي عرفت بالطوال ،فضلا عن ان العناية بالحفظ والكتابة كانت في زمن الراشدين اهم واعظم ممن قبلهم . وقد عرف بين

الصحابة من كان يحفظ المطولات لأوّل مرة من سماعها كابن عباس وغيره ، والنيل من نهج البلاغة بدعوى ان العرب لم يعرفوا الخطب الطوال ما هو الا قول باهت لا يقوم على دليل ، ويأباه العقل والنقل ، فاما العقل فيؤكد لنا ان الخطيب يتكلم بما يملي عليه الجمهور والموقف ، فربما قصر وربما طول ، وأمّا النقل فأقرّ خطبا كثيرة وصفت بالطويلة ذكرتها كتب اللغة بعضها اطول من خطب امير المؤمنين (ع)[1] . وربما شعر الرضيّ بفتور همة الناس – في زمانه – عن حفظ المطولات من الخطب والرسائل ، فعمد الى تقطيع بعض الخطب الطويلة في النهج الى عدة اجزاء ، كخطبة (الوسيلة) التي اوردها العلماء تامة لكن الرضيّ اوردها في اجزاء مستقلة في باب الحكم والمواعظ للتسهيل على الحفاظ والمتلقين[2]. اما اتهام الرضيّ بانتحال النهج والكذب على جده امير المؤمنين (ع) فمن الاعتساف أن يقال مثل هذا في الرضيّ وهو من هو في الأمانة والصدق والتقوى والورع . ومن درس سيرة الرضيّ وادرك حقيقته عرف انه على جانب كبير من الصلاح والتقوى ، وهو بعيد عن الكذب والانتحال والتقول. وخلص السيد القبانجي الى « انه اذا ثبت ان كل ما في نهج البلاغة للامام علي فهو معجزة ادبية ، واذا اراد النافون ان ينفوه عنه وينسبوه الى جامع الكتاب فتكون معجزة الإمام اعظم اذ يستطيع حبّه ان يملي على محبّيه ان يأتوا بمثل هذه الدرر الغوالي »[3] ويمكن عد شراح النهج من أبرز المناصرين له فقد انبرى الجميع لرد الشبهات التي أثارها المشككون لا سيما تلك التي تشكّك ببلاغة الكتاب وتقدح بفصاحته وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث الثاني من الفصل الأول.

---

(١) ينظر: ماهو نهج البلاغة ٥٢-٥٣ والمدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٤٠-٢٤١

(٢) ينظر: المدخل إلى علوم نهج البلاغة ١٣

(٣) صوت الإمام علّي ٤٦/١

الفصل الاول

شرّاح نـهج البلاغة عبر القرون .

المبحث الأول : الشّراح وشروحهم / تعريفٌ ووصفٌ .

المبحث الثاني : الشّراح وطرقُ العناية بمتنِ النـهج .

المبحث الثالث :شُـراّح النـهج وعلُم الدلالة .

المبحث الأول

الشّراح وشروحهم / تعريف ووصف

أقبل ذوو الصنعة عبر القرون الى نهج البلاغة بين حافظ وناسخ ومترجم الى غير العربّية ومجاز من المشايخ لتدريسه وروايته وقد توالت شروحهم له وتعليقاتهم عليه ، واخذت تلك الجهود بالاتساع حقبة بعد اخرى . إذ استحوذ نهج البلاغة على جانب واسع من الجهد العلمي الانساني قديما وحديثا فنجد المعنيين به من قوميات شتى كالعرب والفرس والهنود والاتراك والاوزبك سواء كانوا مسلمين على اختلاف مذاهبهم ام غير مسلمين . وقد عني جمع غفير من علماء العربية بسرد اسماء شراح النهج وشروحهم المعروفة أو المفقودة . كما فعل المحدث حسين بن محمد النوريّ (ت١٩٢٠م)[١] ، والسيد محسن بن عبد الكريم الامين العاملّي (ت١٩٥٢م)[٢] ، والمحدث اغابزرك الطهرانّي (ت١٩٧٠م)[٣] والشيخ العلامة عبد الحسين بن احمد الامينّي (ت١٩٧١م)[٤] ،. وجمع السيد عبد الزهراء الخطيب معظم ما الف في نهج البلاغة في مبحث نافع عنوانه (مكتبة نهج البلاغة)[٥] قسمه على قسمين رئيسين : الاول خصصه بشروح النهج ، فجمع منها مئة وشرحا واحدا ، رتبها ترتيبا زمنيا ، والقسم الثاني عرض فيه ما ألف في النهج من ترجمات ونظم ومصادر واستدراكات واشعار ودفاع عنه وتآليف على نسقه. وجمع من هذه المؤلفات ثلاثة وثلاثين مؤلفا. لكن الزمن أتى على كثير من مكتبة نهج البلاغة ففقد كثير من الشروح وبقيت أسماؤها مدونة في كتب الفهارس والرجال فضلا عن ورود نتف منها في ما وصل إلينا من الشروح المطبوعة . وفي ما يأتي أسماء الشّرّاح من أصحاب الشروح المطبوعة بالعربية ، مرتبين بحسب الزمن مع وصف واف لشروحهم المتداولة التي قام عليها هذا البحث :

---

(١) ينظر: مستدرك الوسائل ٥١٣/٣

(٢) ينظر: اعيان الشيعة ٢٦٧/٤١

(٣) ينظر: الذريعة ١١١/١٤-١٦٠

(٤) ينظر: الغدير ١٨٣/٤-١٩٣

(٥) ينظر: مصادر نهج البلاغة ٢٠٠/١-٢٧٣

١ - ظهير الدين أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد بن محمد البيهقّي المعروف بفريد خرسان المتوفى٥٦٦ سنة هـ (رحمه الله)[١] وشرحه بعنوان: **معارج نهج البلاغة** ، حققه محمد تقي دانش ، وعنيت بطبعه مكتبة اية الله المرعشي سنة ١٤٠٩هـ ، لكن المحقق كتب تقديما للكتاب باللغة الفارسية ناف على السبعين صفحة لم يفد البحث منه في تعرف حياة الشارح ومنهجه في الشرح ، وعلى الرغم من ذلك تفصح مقدمة الشارح نفسه عن ذكره اسمه وكنيته ولقبه ونسبه الذي

ينتهي إلى الصحابي الجليل خزيمة بن ثابت الانصاري(ذي الشهادتين)[٢] ثم ذكر سنده إلى الشريف الرضيّ فقال في أول شرحه « قرأت كتاب نهج البلاغة على الإمام الزاهد الحسن بن يعقوب بن حمد القاري، وهو وابوه في فلك الادب قمران ، وفي حدائق الورع ثمران ، في شهور سنة ست عشرة وخمسمئة ، وخطه شاهد لي بذلك والكتاب سماع له عن الشيخ جعفر الدوريستي المحدث الفقيه والكتاب بأسره سماع لي عن والدي الإمام أبي القاسم زيد بن محمد البيهقّي ، وله اجازة عن الشيخ جعفر الدوريستي ، وخط الشيخ جعفر شاهد عدل بذلك ، وبعض الكتاب سماع لي عن رجال لي رحمة الله عليهم ، والرواية الصحيحة في هذا الكتاب رواية الى الاغر محمد بن همام البغدادي تلميذ الرضّي ، وكان عالما باخبار امير المؤمنين(ع) »[٣].

والمعارج شرح صغير مطبوع في مجلد واحد من (٤٦٨) صفحة وليس فيه حضور واسع لعلوم العربية وتتبع أهميته من كونه أقدم الشروح المتداولة الآن ، وقد صرح البيهقّي بسبقه إلى شرح النهج فقال :« ولم يشرح قبلي من الفضلاء السابقين هذا الكتاب بسبب موانع منها: من كان متبحرا في علم الأصول كان قاصرا في علم اللغة والأمثال ومن كان كاملا فيهما ،كان غافلا عن أصول الطب والحكمة وعلوم الأخلاق ومن كان كاملا في جميع هذه العلوم والآداب ،كان قاصرا في التواريخ وأيام العرب ، ومن كان كاملا في جميع ذلك كان غير معتقد لنسبة هذا الكلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومن حصلت لديه هذه الأسباب لم يفز بذخائر كنزه الدقيق. وأنا المتقدم في شرح هذا الكتاب فمن أراد الزيادة على ذلك فليزد إن استطاع مثل مُخْرَنْبِقٍ يَنْلَبِعَ »[٤] وكذا نسب اليه فريق من المؤرخين انه اول من شرح النهج[٥]. ويبدو أنه مسبوق بشارح آخر نقل عنه الشّرّاح اللاحقون كالراونديّ والبحراني واسمه محمد بن أحمد الوبريّ وهو من علماء القرن الخامس[٦].

حرّر البيهقّي شرحه في أخريات عمره فقال : « فرغت من كتابة هذا الشرح وإتمامه واخراج أنواره من أكمامه

---

(١) تنظر ترجمته في الذريعة ١١٣/١ والغدير ١٨٧/٤ ومستدرك الوسائل٣٦٣/٣ .

(٢) ينظر: البيهقّي ٢ (٣) نفسه ٢-٣.

(٤) نفسه ٣ ، ومخرنبق لينباع مثل للعرب في من يسكت لداهية يريدها ، فالمخرنبق : الساكت ، ولينباع : ليثب .
ينظر:المستقصى ١٦٢/٢ وفصل المقال١٦٨/١

(٥) ينظر:الذريعة ١٣٧/١٤ ومصادر نهج البلاغة ٢٠٥-٢٠٧ .

(٦) ينظر: الذريعة ١١٥/١٤ ، ومصادر نهج البلاغة٢٠٤/١ ودراسة حول النهج ١٣٢ .

في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وخمسمئة »[١]. وكانت وفاة البيهقّي سنة ٥٥٦ هـ أي بعد إتمامه الشرح بأربعة أعوام. أهدى البيهقى شرحه هذا إلى « خزانة كتب الصدر الأجل السيد العالم عماد الدولة والدين جلال الاسلام والمسلمين ملك النقباء في العالمين أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني ... »[٢] .

ومنهج الشارح يقوم على الانتقاء والاختيار لطائفة من التراكيب والعبارات دونما استقصاء لمتن النهج كلّه ثم يرقم اختياراته بأرقام متسلسلة وصل بها إلى (٢٢٢١) اختيارا وفي كل مرّة يعلق بما اختاره شرحا موجزا متضمنا نتفا من علوم شتى . وقال في ختم شرحه يصف ما أودعه فيه من العلوم :« أوردت في هذا الشرح من العلوم : علم الفقه وعلم أصول الفقه وعلم غرائب الأخبار وعلوم التواريخ وعلوم الاشارة والأيام للعرب وعلوم نوادر اللغة وعلوم الكلام وعلوم الطب وعلوم الهيأة والحساب وعلوم الأخلاق وعلوم الموازين : موازين النحو وغيره وعلوم أمثال العرب وعلوم مقامات الأولياء ...»[٣]

٢ - قطب الدين سعيد بن هبة الله الراونديّ المتوفى سنة ٥٧٣هـ في قم (رحمه الله)[٤]. شرحه بعنوان : **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** ، حققه عبد اللطيف الكوهكمري ، وعنيت بطبعه مكتبة اية الله المرعشي النجفي في ثلاثة اجزاء عام ١٤٠٦ هـ . نُسب اليه تسمحا انه اول من شرح النهج[٥] . سمع الراونديّ « بعض العلماء بالحجاز يقول : اني وجدت بمصر مجموعا من كلام علي (ع) في نيف وعشرين مجلدا في جميع فنونه »[٦]. وذكر طريقه الى النهج رواية ، فصرح بأنه تلقى النهج عن الشيخ عبد الرحيم البغدادي الذي نقله عن طائفة من المشايخ ينتهي آخرهم إلى الفاضلة السيدة بنت السيد الشريف المرتضى عن عمها الشريف الرضيّ . وله طريق اخر الى النهج عن السيدين المرتضى والمجتبى ابني الحسين الحلبي عن أبي جعفر الدوريستّي عن الشريف الرضيّ[٧]. تقوم طريقته في الشرح على إيراد الكلمات والتراكيب ثم شرحها وكثيرا ما يقول في مبتدأ شرحه : « قال عليه السلام في خطبة اخرى». وأغفل شرح بعض الخطب والوصايا والحكم فجاء شرحه انتقائيا أيضا وربما يكون سبب الانتقاء هو اعتقاده بظهور المعنى لديه في بعض الخطب فيقول بعد شرحه جزءا من الكلام : « ما سواه ظاهر » .

---

(١) البيهقّي ٤

(٢) نفسه٤

(٣) نفسه ٤٦٨

(٤) تنظرترجمته في : الغدير٥/٣٨٠ ومعجم رجال الحديث للخوئي ٩٣/٨ وروضات الجنات٣٠٢ وأعيان لشيعة ٧/ ٢٣٩ والذريعة ٥٥/٣ ومستدر الوسائل٣٦٣/٣ والراونديّ١/٥٠-٦٦ .

(٥) ينظر:المعتزلّي ٥/١ ومستدرك الوسائل٣٦٣/٣ والكنى والالقاب٢٣/٣ .

(٦) الراونديّ٥٩/١ (٧) ينظر: الراونديّ ٢١٩/٣ .

أثار شرح الراونديّ حركة من الجدل والنقاش بين الشّرّاح اللاحقين وهم بشأنه بين مؤيد ومنكر فأما المعتزلّي فقد شنّع عليه كثيرا على الرغم من أنه كان ينقل منه باللفظ أو المعنى في مواضع كثيرة جدا يدركها القارئ بيسر . وأما الشّرّاح اللاحقون فقد انتصروا له من المعتزلّي لا سيما الشارحان البحراني والخوئي .

٣ - قطب الدين ابو الحسين محمد بن الحسين الكيدريّ ، نسبة الى كيدر وهي قرية من قرى بيهق في نيسابور ، من علماء القرن السادس الهجري (رحمه الله)[١] وشرحه على نهج البلاغة بعنوان : **حدائق الحقائق في فسر دقائق أفصح الخلائق** ، حققه عزيز الله العطاردي ، ونشره بجزأين في طهران سنة ١٣٧٥ هـ. فرغ من شرحه سنة ٥٧٦هـ صدر شرحه بتقديم ذكر فيه أقسام البلاغة وخلص إلى أن نهج البلاغة هو « الغاية في بلاغة البلغاء ، والنهاية في فصاحة الفصحاء »[٢]. وشرحه جمع لأقوال البيهقّي صاحب المعارج والراونديّ صاحب منهاج البراعة وقد صرح بهذا في مقدمته فقال : « عنّ لي ان اشرع في شرح هذا الكتاب مستمدا – بعد توفيق الله – من كتابي المعراج والمنهاج غائصا على دررهما كافلا بايراد فوائد على ما فيهما وزوائد لا كزيادة الاديم بل كما زيد في العقد من الدّر اليتيم ...»[٣] فضلا عن ذلك فاق الكيدريّ الشّرّاح جميعا في النقل عن الوبري ذي الشرح المفقود[٤] . ولم يستسلم للشروح الثلاثة قبله التي نقل منها كثيرا بل زاد فيها وعلق بها واستدرك عليها على وفق ما صرح في قوله المذكور آنفا. ولم يشرح الكيدريّ النهج شرحا تامّا بل جزّأه إلى جمل صغيرة وكلمات مفردة وضعها بين قوسين أثناء شرحه وكان في الغالب يصدر شرحه بإيراد بضع كلمات من مقدمة الخطبة ومن ختمها ثم يشرح النص تاما ولا يراعي تسلسل عباراته .

وكان الكيدريّ قد « جمع شعر أمير المؤمنين مرتين : مرة اقتصر فيه على الآداب والحكم سماه الحديقة الأنيقة . ومرة أخرى جمع كل شعره وسماه أنوار العقول من شعر وصي الرسول توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية »[٥]. وقد أحال الكيدريّ إلى هذين الكتابين في شرحه النهج وكذا أحال الى كتاب نحوي له اسمه الدرر في النحو[٦] . وصرح بأنه وقف على شرح خاص بالخطبة المقمصة المعروفة بالشقشقية أملاه السيد الشريف المرتضى أخو الشريف الرضّي فأورده تاما في حدائقه[٧] .

---

(١) ينظر: الغدير ١٣/٦ وأعيان الشيعة٣١٧/٧ ومصادر نهج البلاغة٢٠٩/١ والكيدريّ ٥٨/١-٦٢ .

(٢) الكيدريّ٨٦/١

(٣) نفسه٨٧/١

(٤) ينظر: نفسه ١١٣/١ و ٣٠٨/١ و ٤١٢/٢

(٥) مصادر نهج البلاغة١٥٧/٤.

(٦) ينظر: الكيدريّ ١٩٨/٢ و ٥٩٨/١ .

(٧) ينظر: الكيدريّ :١٥٩/١-١٦٤ .

٤ - عز الدين عبد الحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزلّي المدائنّي البغداديّ المتوفّى سنة ٦٥٦ هـ (رحمه الله)[١] شرحه بعنوان : **شرح نهج البلاغة** ، طبع مرارا آخرها في عشرين جزءا وهي اجزاء الكتاب حسب تجزئة مؤلفه. وقد وهم المعتزلّي لما قال : « لم يشرح نهج البلاغة قبلي فيما اعلم الا واحد وهو سعيد بن هبة الله الحسن الفقيه المعروف بالقطب الراونديّ ، وهو من فقهاء الإماميّة »[٢] فقد سبقت الإشارة إلى سبقِ الوبريِّ والبيهقيِّ والراونديِّ والكيدريِّ

المعتزليَّ إلى شرح النهج. وقد شرع المعتزلّي في تأليف شرحه في غرة رجب سنة اربع وأربعين وستمئة وأتمه في سلخ صفر من سنة تسع واربعين وستمئة فقضى أربع سنين وثمانية أشهر في تأليفه وكان يقول في هذه المدة : هي مقدار مدة خلافة أميرالمؤمنين[٣]. وأهدى شرحه إلى خزانة الوزير أبي طالب محمد بن احمد بن علي العلقمي عام ٦٥٦ هـ وزير المستعصم اخر خلفاء بني العباس[٤].

جهر المعتزلّي في عدة مواضع بإعجابه الشديد بالإمام علّي (ع) وفصاحته وليس أدل على ذلك من قوله في شرح كتاب للإمام (ع) إلى عبد الله بن عباس (رض) بعد مقتل محمد بن أبي بكر (رض) : « أنظر إلى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها ، وتملكه زمامها ، واعجب لهذه الألفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضا كيف تواتيه وتطاوعه ، سلسة سهلة تتدفق من غير تعسف ولا تكلف ... »[٥] .وشرح المعتزلّي من اشهر الشروح واكثرها انتشارا ، واغزرها مادة ، واكثرها فائدة ، نقل عبد الزهراء الخطيب عن بعض اساتذته قوله : « لقد قرأت شرح ابن أبي الحديد عدة مرات من فاتحته الى خاتمته ، وكلما اعدت مراجعته اجد فيه ما كأّني لم اقرأه ولم اعرج عليه »[٦].

وشرح المعتزلّي من أفضل المراجع لدراسة الملاحم الدامية في تاريخ الاسلام كالجمل وصفين والنهروان وقد حاول فيه الاعتذار لخصوم علي (ع) من الصحابة فبرع في هذا الاعتذار واجاد ، فقال بعضهم :« لو اوقف خصوم امير المؤمنين (ع) بين يدي الله ما استطاعوا ان يعتذروا عن انفسهم كما اعتذر عنهم ابن أبي الحديد »[٧] . والكتاب مصباح كاشف لعقيدة الاعتزال في الجدل والكلام والعقائد وخلق القران. ومن هنا طبع شرح المعتزلّي بطابع أدبي تاريخي وصرح هو بذلك قائلا « إن كتابنا هذا كتاب أدب لا كتاب نظر»[٨] .

التزم المعتزلّي في شرحه أن يقسم الكلام فصولا ، فيشرح كلمات كل فصل شرحا مشتملا على « الغريب والمعاني وعلم البيان وما عساه يشتبه ويشكل من الإعراب والتصريف »[٩] ثم يورد «ما يطابقه من النظائر والأشباه

---

(١) ينظر: البداية والنهاية ١٣/١٩٨- ١٩٩وروضات الجنات ٤٠٨-٤٠٩ وفوات الوفيات ١/٥١٩-٥٢٢ والمعتزلّي١/١٣-٢٠ .

(٢) المعتزلّي ١/ ٥ .

(٣) ينظر: نفسه ٢٠/٣٤٩ .

(٤) ينظر : نفسه ١/٣-٤ .

(٥) المعتزلّي ١٦/١٤٥

(٦) مصادر نهج البلاغة ١/٢١٣ .

(٧) نفسه ١/٢١٣ .

(٨) المعتزلّي ٧/١٩٨ .

(٩) نفسه ١/٤ .

نثرا ونظما »[١] وكثيرا ما يستطرد إلى ذكر «ما يتضمنه من السير والوقائع والأحداث »[٢] وينبه على ما ينطوي عليه كل فصل من دقائق علم التوحيد والعدل ويلوح إلى ما يستدعي الشرح ذكره من الأنساب والأمثال والنكت ويرصعه بما يشاء من المواعظ والزواجر والحكم والآداب .

وعلى الرغم من اعجاب الناس على اختلاف مشاربهم بهذا الشرح ظهر فيهم من يطعن به ويشّنع على صاحبه ، فرماه فريق من علماء الإمامية بالعناد والوهم والخطأ في عدة مواضع ، والف فريق منهم في الطعن عليه لا سيما في

المسائل العقدية وأبرز عنوان في هذا الجانب هو **سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد** للشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور البحراني (ت١١٨٦هـ)[٣] عرض فيه بالرد لكثير من عقائد المعتزلة وآرائهم في الخلافة والإمامة والوصية وغيرها من المسائل التي يفسرها المعتزلة غير ما ورد لدى الإمامية . واما الاشاعرة فطعن فريق منهم عليه تفضيله عليا (ع) على الصحابة جميعا ، وابرز الطاعنين هو محمود الملاح في كتاب له سماه **(تشريح شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد)**، والكتاب ليس طعنا في المعتزلّي وحده بل هو مليء بالطعن على الإمام علي (ع) وانصاره وانكار فضائله ومناقبه ، ولم يسلم من طعن الملاح علماء المسلمين كاحمد بن حنبل والنسائي وابن قتيبة والزمخشري ومحمد عبده ومحمد محيي الدين عبد الحميد واحمد زكي شيخ العروبة وغيرهم . وقد رد بعض الباحثين على (تشريح) الملاح ، ومنهم الاديب الشاعر عبد الحسين السماوي في كتاب سماه **مبضع الجراح في تشريح الملاح**[٤]. ويأتي شرح المعتزلّي في الترتيب الثاني من حيث الطول بعد شرح الخوئي .

٥- كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفى سنة٦٧٩هـ (رحمه الله)[٥] وشرحه الكبير مطبوع بعنوان : **شرح نهج البلاغة** ، وله ثلاثة شروح على نهج البلاغة أهمها شرحه الكبير الذي طبع مرارا اخرها بخمسة مجلدات في بيروت وهو كتاب مشحون بدقائق الحكمة والفلسفة والفقه ، دعاه الى تأليفه علاء الدين الجويني حاكم بغداد سنة ٦٦١هـ[٦] . وله شرح متوسط بعنوان مصباح السالكين حققه الدكتور محمد صادق الاميني في عام ١٣٦٦هـ ، وله شرح صغير هو تلخيص للشرح الكبير بإشارة من الحاكم علاء الدين لولديه ، وله أيضا كتاب منهاج العارفين شرح فيه المئة المختارة التي جمعها الجاحظ من كلام امير المؤمنين (ع) فيحسن القول : إن البحراني أوسع العلماء- قدماء ومحدثين- تأليفا في بالنهج . ويبدو البحراني في شرحه من الفلاسفة والفقهاء والمتكلمين كما في مقدمته الاصوليه وقد نعته بعض الشّراح المتأخرين بالمتكلم والفيلسوف[٧].

---

(١) المعتزلي ٤/١ . (٢) نفسه ٤/١ .

(٣) طبع في مملكة البحر ين عام ٢٠٠٧ بتحقيق محمد على آل مكباس .

(٤) طبع في النجف سنة١٣٧٦ .

(٥) ينظر ترجمته في : مستدرك الوسائل ٧٥/٥ والذريعة١٥٩/٤ ولؤلؤة البحر ين٢٢٦
وروضات الجنات٤١٣-٤١٤ والغدير ١٨٩/٤ ومصادر نهج البلاغة٢٢٣/١-٢٢٦ والبحراني ٨/١-١٨ .

(٦) ينظر: البحراني ٢١/١ . (٧) ينظر : الخوئي ٦/١ .

عرض في مقدمته الى ذكر بعض الشّرّاح قبله ، ثم وصف شرحه بالقول: « الناقد المسدد للصواب يميز القشر من اللباب والسراب من الشراب »[١]. ثم طّول في مقدمته بشرح مباحث الالفاظ[٢] من حيث تقسيم اللفظ ودلالته على معناه ، وذكر مباحث الاشتقاق والترادف والمشترك وحد البلاغة والفصاحة ، والمحاسن العائدة الى اللفظ ، والمحاسن العائدة الى الكلمات ، واقسام المحاسن الكلامية ، وأحكام المبتدأ والخبر ، والحقيقة والمجاز ، والتشبيه واقسامه ومراتبه ، والاستعارة وانواعها ، والنظم واقامته ، وحسن التعليل ، والتقديم والتاخير ، والفصل والوصل ،

والحذف والاضمار ، وحقيقة الخطابة وفائدتها ومبادئها واقسامها وتحسيناتها ، ومناقب علي بن أبي طالب وفضائله ، ثم شرع بالشرح واوله شرح خطبة الرضيّ مكتفيا بذكر نسبه . وانتصر البحراني في شرحه للراوندي من المعتزلّي في معظم المواضع التي خطأه فيها[٣] ويبدو أنه لم يذكر المعتزلّي إلا في موضع الرد والتخطئة فلم يحفل بشرحه على الرغم من أنه نقل منه في كثير من المواضع[٤].

٦- علي بن ناصر الحسيني السرخسي المتوفى في القرن السابع (رحمه الله)[٥] وشرحه بعنوان : **اعلام نهج البلاغة**، طبع عدة مرات أولها في طهران عام ١٣٦٦هـ وهو شرح صغير لم يجاوز ثلاثمئة صفحة.

أما طريقته في الشرح فكان ينتقي من الخطبة مقطعا معينا فيشرحه شرحا لغويا خالصا متضمنا مباحث في الاشتقاق ومعاني الكلمات فجاء شرحه في الغالب ذا طابع لغوي فكانه معجم للألفاظ وكثيرا ما يمزج علوم العربية بعضها مع بعضها بلا فصل وهو شرح قائم على الانتقاء والاختيار فلم يذكر شرحا لكثير من الخطب والرسائل والحكم.

٧- الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ (رحمه الله) ، من علماء الازهر ومفتي الديار المصرية في زمانه[٦]، وشرحه بعنوان : **شرح نهج البلاغة** ، إذ حاز نهج البلاغة على إعجابه فانبرى له بالإيضاح والتعليق فجاء شرحه في الغالب تعليقات لغوية وتاريخية على جميع الكتاب ادرجت في ذيل صفحات النهج وطبعت في حياته. وقد وصف عبده شرحه بأنه طراز لنهج البلاغة وليس شرحا في عداد الشروح[٧] ، ثم طبع شرح عبده عدة مرات اولها في سنة ١٨٨٥م في بيروت مع زيادات عليه من تلامذته ، ومنهم :

أ - محيي الدين الخياط زاد عليه منتخبات من شرح المعتزلّي ، وطبعه في ثلاثة اجزاء .

---

(١) البحراني ١/ ٢٣

(٢) ينظر: نفسه ١/ ٢٣-١٢٠

(٣) ينظر: نفسه ٦١/٢ ، ٢٧٤/٣

(٤) ينظر على سبيل المثال : المعتزلّي ٢٦٣/٧ والبحراني ١٠٥/٣.

(٥) تنظر ترجمته في : مصادر نهج البلاغة٢٠٣/١ والسرخسي١٦/١-١٨ .

(٦) ينظر: دراسة حول النهج ١٦٦ ومصادر نهج البلاغة ٢٤٧/١-٢٤٨ وعبده١٢/١-١٤ .

(٧) ينظر: عبده ٤/١ .

ب - محمد محيي الدين عبد الحميد المدرس بكلية اللغة العربية في جامعة الازهر قدم له ، وطبعه بالقاهرة

ج - عبد العزيز سيد الاهل ، زاد عليه تعليقات من شرح ابن ميثم ، وطبعه في اربعة اجزاء.

وفي تقديمه للشرح حثّ محمد عبده الشبيبة المصرية والعربية على مطالعة الكتاب والتمعن فيه واستجابة لحثّ عبده هذا قررت وزارة المعارف المصرية آنذاك تدريس نهج البلاغة في جميع مدارس مصر بشرح عبده بعد أن رأت « أن الكتاب حاو جميع ما يمكن أن يعرض للكاتب والخاطب من أغراض الكلام ؛ فقد تعرض للمدح وللعذل الأدبي وللترغيب في الفضائل والتنفير عن الرذائل وللمحاورات السياسّية والمخاصمات الجدلية ولبيان حقوق الراعي على الرعية

وحقوق الرعية على الراعي وأتى على الكلام في أصول المدنية وقواعد العدالة وفي النصائح الشخصية والمواعظ العمومية . وعلى الجملة فلا يطلب الطالب طلبة إلا ويرى فيه فضلها ولا تخالج فكره رغبة إلا وجد فيه أكملها »[1] .

٨- السيد حبيب الله بن السيد محمد المعروف بأمين الرعايا الموسوي الخوئي ولد في بلدة خوى في دولة أذربيجان حاليا وتوفي في طهران سنة ١٣٢٤ هـ (رحمه الله)[2]، له شرح واسع للنهج سماه : **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** ،وهو تكرار لعنوان شرح الراونديّ ، وصل فيه الى منتصف الخطبة (٢٢٨) فتوفي قبل إتمامه ثم طبع عام ١٣٦٥ هـ في سبعة اجزاء واخرى عام ١٣٧٧ هـ في أربعة عشر جزءا بعناية السيد ابراهيم الميانجي الذي أتم شرح الخطبة (٢٢٨) إلى آخرها وألحقها بالشرح في ختم الجزء الرابع عشر. ثم قصرت همّة الميانجي عن شرح ما لم يشرحه الخوئي من النهج فنهض بهذا العمل نجم الدين حسن زادة الآملي وشرح الباقي من خطب الإمام ووصاياه ، فزاد ستة اجزاء أخرى على الشرح ليبلغ العشرين ، ثم زاد محمد باقر الكمري جزءا واحدا هو الحادي والعشرون خصصه بشرح الحكم فتّم الكتاب وطبع في واحد وعشرين جزءا في طهران عام ١٤٠٠هـ . وشرح الخوئي من اوسع شروح النهج وقد نقل عبد الزهراء الخطيب عن المرجع الاعلى ابي القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ) – رحمه الله - عن أبيه انه أدرك صاحب الشرح في أواخر ايامه ونقل عنه سبب تاليف الكتاب ما هذا نصه « إن السيد محمد - والد الشارح -المعروف بأمين الرعايا كان من ذوي الجاه والثراء وكان يملك أراض واسعة فوقع نزاع بينه وبين رجل على أرض وطلب ذلك الرجل من أمين الرعايا أن يكون الحكم بينهما ولده السيد حبيب صاحب الشرح المذكور وكان السيد حبيب يومئذ من أكابر العلماء وأفاضلهم وله منزلتة ومكانتة بين الناس فترافعا إليه فتتصل من الحكم بينهما لأن والده طرف بالقضية فأصر عليه فحكم الرجل على أبيه فغضب لذلك وجعل يقوم في مجالس الناس وحشودهم فيصف ولده بالعقوق وقلة التدين حتى أسقط من أعين الناس وقل احترامهم له وأعرضوا عنه فقرر السيد أن يذهب إلى ضيعة له وأن يعتزل الناس

---

(١) ديباجة شرح عبده ١٠

(٢) تنظر ترجمته في: الذريعة ١٥٧/١٤ ومصادر نهج البلاغة٢٤٩/١-٢٥٠ والخوئي ١/د-ز .

كليا فاعتزل هناك واشتغل بتأليف الشرح المذكور حتى وافاه الأجل قبل إتمامه »[1] . لكن الخوئي – الشارح - لم يذكر شيئا عن تلك الحادثة وانما ألمح إلى أنّ باعثه إلى شرح النهج هو أنه لم يجد له شرحا يليق به فعزم « على تهذيب شرح يذلل صعابه للطالبين ويرفع حجابه للراغبين مسفرا عن وجوه فرائده النقاب مفصلا بين اللغة والترجمة والإعراب »[2] .

صدر الخوئي شرحه بديباجة جاءت من (٢٦١) صفحة ، أورد فيها شيئا من مناقب علي (ع) واعتد فيها بعمل الرضيّ ، ووصف النهج بـ« انه كتاب شرع المناسك للناسك ، وشرح المسالك للسالك ، وهو خلاص المتورطين في الهلكات ، ومناص المتحيرين في الفلوات ، ملاذ كل بائس فقير ، ومعاذ كل خائف مستجير ، مدينة المآرب ، وغنية الطالب ؛ لان ما اودع فيه كلام عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي ، ظاهره انيق وباطنه عميق

... ومع ذلك قد احتوى من حقايق البلاغة ودقائق الفصاحة ما لا يبلغ قعره الفكر...»[٣] ثم وصف الشروح قبله وذكر منها شرح القطب الراونديّ الذي لم يظفر به وإنما اعتمد على ما حكاه الشارح المعتزلّي عنه في تضاعيف شرحه[٤]. وذكر – أيضا- شرح المعتزلّي الذي وصفه بأنه « ابسط الشروح الا انه عند الناقد البصير والمتتبع الخبير جسد بلا روح ؛ لانه قد اتى فيه بما قويت فيه منته ، وترك ما لا معرفة له به مما قصرت عنه همته حيث اكتفى بتفسير غرائب الالفاظ وما زعمه مشكلا من النحو والتصريف والاشتقاق ونحوهما مما يدور على القشر دون اللباب ، واطنب بذكر القصص والحكايات وايراد الامثال والانساب والمناسبات ونحوها مما ليس له كثير فائدة في شرح الكتاب ولا له ثمرة عند اولي الالباب، وانما هي وظيفة اصحاب التواريخ والسير لا اهل الدرايات والاثر . ومع ذلك فليته يقنع بذلك ولم يجتر بعد على الله ولم يؤول بمقتضى رايه الفاسد ونظره الكاسد ظواهر كلام ولي الله ...»[٥] ثم ذكر شرح « الشيخ الفقيه الحكيم المتكلم ميثم بن علي بن ميثم البحراني ... وهو احسن الشروح خال من الحشو والزوائد ، منظم بدرر الفوائد الا انه (قدس سره) لما كان عمدة فنه المطالب الحكيمة والمسائل الكلامية سلك في الشرح مسلك اهل العقول وفاته فوائد المنقول ...»[٦]. ثم طول ديباجته ببحث تقسيم اللفظ بالنسبة الى المعنى وفي الحقيقة والمجاز والمشترك والتشبيه والاستعارة والكناية والمحسنات البديعية ، قال في ختمها : « اوردت نيفا وستين نوعا من انواع البديع واستخرجت امثلتها من كلام الإمام عليه السلام»[٧]. اعقب ذلك بذكره جملة من مكارم اخلاق امير المؤمنين من ميلاده واسمه ونسبه والقابه وكناه ووصف شكله.

---

(١) مصادر نهج البلاغة ٢٥٠

(٢) الخوئي ٦/١ .

(٣) نفسه ١/ ٤ .

(٤) ينظر: نفسه ٥/١ .

(٥) نفسه ٥/١-٦ .

(٦) نفسه ٦/١

(٧) نفسه ٢١٥/١

ثم ذكر نسب الشريف الرضّي ثم ما قيل في مدح نهج البلاغة شعرا. وقد أعاد الخوئي ما قاله البحراني وكرره مع كثير من الزيادت من الآثار والروايات. وطريقة الخوئي في الشرح تقوم على نقل متن النهج اولا ثم إعرابه فشرحه شرحا مفصلا ، ثم يختم بترجمته الى الفارسية .

أما الآملي الذي زاد على شرح الخوئي ستة أجزاء فقد صدر إتمامه بالثناء على الخوئي ثم قال :« لما بلغ رحمه الله إلى الخطبة المئتين والتاسعة والعشرين انقطع مهله وانقضى أجله وقضى نحبه وجف قلمه فبقي هذا الأثر القويم أبتر فعزمت متوكلا على الله المتعال ومستعينا به لإتمامه على النهج المذكور لكي يكون تكملة له وتماما فكتابنا هذا (تكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) »[١] .

ويقف (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) اليوم في صدارة شروح النهج من حيث الطول فهو من هذا الجانب ضعف شرح المعتزلّي وربما يكون توالي الجهود على هذا الشرح سببا لاتساعه وتطويله ، إذ تعاقب على إنجازه أربعة من العلماء هم :الخوئي الذي شرح الخطب إلى منتصف الخطبة (٢٢٨) فالميانجي الذي أتم شرح الخطبة (٢٢٨) فالآملّي الذي شرح الباقي من الخطب والباب الثاني من النهج وهو الرسائل والوصايا فالكمريّ الذي شرح الباب الثالث من النهج وهو الحكم والمواعظ .

١٠ - الشيخ محمد جواد مغنية المتوفى سنة ١٤٠٠ هـ(رحمه الله) ، وشرحه بعنوان : **في ظلال نهج البلاغة/ محاولة لفهم جديد** ، طبع في لبنان في اربعة اجزاء ، ثم في ستة أجزاء بعناية سامي الغريري في عام ٢٠٠٥ م .

نبه في مقدمته للشرح على حبه للتاليف على الرغم من تقدم عمره ، ورأى ان التاليف لا خير فيه ان لم يكن فيه منفعة الناس وهدايتهم ، فان لم يكن كذلك فقد ود مغنية « لو كان شهيدا او طريدا او سجينا او جريحا ولو بنقطة دم في سبيل الله بدل الاربعين كتابا بما فيها موسوعة : (فقه الإمام) و (التفسير الكاشف) و(شرح النهج) ان قدر له التمام »[٢].

وقال في المقدمة أيضا :« ترتيبي في هذا الشرح كترتيب التفسير الكاشف ابتدئ بفقرة للغة ، وثانية للإعراب ، ثم شرح المعنى وتفسيره جملة فجملة على طريقة القدامى في تفسير القران واقفا على ظاهر الكلام بلا استطراد وحشو فقرات »[٣] ونبه في شرحه على الخطب المنبرية التي تشرأب إليها أعناق خطباء الجمعة فارشدهم الى ما يعينهم في ذلك من خطب الإمام (ع) فقال : « واذا استقل المنبري ما ذكرت لهذه الغاية ، فان الكلمة الحية تنتقل بالفكر الموهوب الى العديد من الاجواء»[٤]. وقد قسم الخطب الطويلة الى فقرات مرقمة لتسهيل الرجوع الى ألفاظ الخطبة في الشرح .

---

(١) الخوئي ٤/١٥

(٢) مغنية ٥٧/١

(٣) نفسه٥٧/١

(٤) نفسه٥٧/١

وذكر اختلافه عن الشّراح القدماء بالجدة ومراعاة العصر قائلا :« رفضت من القديم ما يجب رفضه في هذا العصر ولا ينقص من الدين شيئا ، وقبلت منه ما يتفق مع كل عصر وأوضحته وأحكمته ومنه تطلعت وانطلقت إلى ما تقبله كل النفوس وتقره كل العقول في هذا العصر وكل عصر ونصوص الإسلام ما عدا العقيدة والعبادة بحاجة إلى هذه الرؤية المعاصرة »[١] .

١١ - الشيخ محمد تقي بن كاظم بن الشيخ محمد علي التستريّ المولود في النجف عام١٣٢٠هـ المتوفى في بلدة آبائه تستر في إيران سنة ١٤١٥هـ (رحمه الله)[٢] . له شرح بعنوان : **بَهْج الصّياغة في شرح نهج البلاغة** مطبوع في أربعة عشر جزءا. لكن المطبوع أظهر عنوان الشرح بلفظ (بهج الصَّبَاغة) بدلا من(الصياغة) مع أن المؤلف ألمح في مقدمته إلى أنه يريد الصياغة لا الصباغة إذ قال « لكون شرحي على صوغ بهج على ما منّ الله تعالى سميته بهج الصياغة

في شرح نهج البلاغة »[٣] فصرح بذكر المصدر الآخر (صوغ) وهو بمعنى المصدر (الصياغة) الدال على الحرفة ، ثم إنّ معنى التركيب (بَهْج الصياغة) مألوف بين أسماء الكتب وهو بمعنى: (حسن الصنعة) ولا أجد معنى للتركيب (بهج الصباغة) .

لقد جاء البهج شرحا على وفق المنهج الموضوعي إذ ضم ستين فصلا لكل فصل اسم خاص به ، وكل فصل يشتمل على عنوانات جانبية مستنبطة من نصوص النهج المتفرقة ، ثم تنتظم هذه العنوانات لتؤلف الفصل الجامع ، واول الفصول هو (في التوحيد) الذي يضطم على (٥٣) عنوانا ، واخرها هو فصل (في موضوعات مختلفة) وفيه (١٠٤) عنوانا . وشرحه يبدأ باقتطاع كلمات أو فقرات متتالية يضعها بين قوسين فيأتي باللغة أول الأمر ثم يستطرد لسرد الوقائع التأريخية والقصص الأدبية. واقتصر « في شرح الفقرات من الإعراب واللغة والتفسير على المشكلات التي تحتاج إلى ذلك لا في كل فقرة كما فعله بعضهم لكونه لغوا »[٤] وكثيرا ما يذكر سند الخطبة ورواتها وسبب قولها وشأن إيرادها ثم يوردها مقطعا بعد آخر فيشرح مفرداتها ويعرب تراكيبها ويشير إلى اختلاف الروايات في كلماتها ويعرض لأقوال الشّرّاح السابقين في ذلك إن رام التخطئة والرد وقلما يورد قولا لهم ليحتفي به وكثيرا ما يعضد شرحه بشواهد قرآنّية وشعرّية ونقل من المعجم العربي وأئمة اللغة . وشرحه زاخر بسير السابقين وقصصهم وأحاديثهم وأخبارهم . وعلى العموم ينماز التستريّ من سابقيه براي مستقل ، وفكر خاص في معظم مسائله ومن هنا جاء شرحه مشحونا بالرد والتخطئة لمعظم الشّرّاح قبله بدءا من مقدمته وانتهاء بخاتمته ، ولم يسلم منه حتى الرضّي جامع النهج. وفي ردود التستريّ على الشّرّاح قبله ما يستحق ان يكون مؤلفا كبيرا . وتنبع أهميته من أنه شرح موضوعي يعنى بالمعاني والموضوعات لا بالألفاظ والعبارات فيجمع الأشتات المتفرقة في فصل واحد ثم يحللها ويقارب بينها بغية فهم رأي الامام (ع) فهما دقيقا فيها .

---

(١) مغنية ٦٨-٦٩ (٢) تنظر ترجمته في : دراسة حول النهج ١٧٢ .

(٣) التستريّ ٤٢/١ (٤) نفسه ٢٧/١ .

١٢- الأستاذ الدكتور ابراهيم أحمد راشد السامرائي المتوفى سنة ٢٠٠٤م[١] (رحمه الله) ، له كتاب : (مع نهج البلاغة /دراسة ومعجم) مطبوع في عمّان عام ١٩٨٧م في ٣٨٩ صفحة . استهل كتابه بتقديم وقف فيه عند شرحي المعتزلّي وعبده ، فنقل فقرات من مقدمتي الشرحين تفصح عن اعجاب الشارحين بالنهج ثم عرض لآراء المشككين بالنهج ذاكرا ابن خلكان انموذجا من القدماء ، والزيات انموذجا من المحدثين ، ومال الى رد كثير من الشبهات على وفق ما سيأتي . ولم ير السامرائي قيمة كبيرة لما ذهب اليه المعاصرون ومنهم جرجي زيدان ومحمد كرد علي والزيات في إنكارهم أن يكون الكتاب مما لا تصح نسبته إلى الإمام (ع) بعد الذي عرفه من اثبات المتقدمين للنهج[٢] واعتمد على وحدة الاسلوب في تصحيح نسبة الكتاب الى الإمام (ع) ، قال : « استطيع ان اقول ان الكتاب ينتظمه اسلوب واحد يشتمل

على عناية باللفظ مسوق في ابنية فصيحة تصل الى المراد بطريقة فنية من استعمال وغيره مما تعين عليه العربية وتسمح به مقدرة سمحة »[٣]

وأما دراسته للنهج فجاءت على هيأة معجم لالفاظ النهج رتبت مواده ترتيبا الفبائيا بحسب الحرفين الاول فالثاني وكان يورد عبارة النهج التي تضطم على اللفظة ثم يعلق بها دراسة موجزة . والمعجم مؤلف من (٢٧) فصلا ، كل منها يحتوي على مواد لالفاظ منتخبة من متن النهج . وعلى الرغم من صغر الكتاب إذا ما قيس بالمطولات من الشروح جاء زاخرا بمسائل اللغة التي أفاد منها البحث كثيرا لاسيما في معاني الأبنية والتطور الدلالي. وينماز كتاب السامرائي هذا بتلمس أثر نهج البلاغة في اللهجات العربية الحاضرة وأقوال المنشئين المعاصرين[٤].

١٣ - آية الله العظمى السيد محمد بن المهدي الشيرازي ، له : **توضيح نهج البلاغة** ، مطبوع في قم عام ١٤١٠هـ بأربعة أجزاء فرغ من تأليفه عام ١٣٨٥هـ عندما كان مقيما في مدينة كربلاء.

قدم لشرحه يحث الشباب المسلم على التقرب من « علوم الإسلام الخمسة ، وهي: أصول الدين ، التفسير، الأخلاق ، تاريخ الإسلام ، فقه الأحاديث . والتقرب إلى هذه العلوم لا يمكن إلا بالعلم باللغة العربية فإن هذه اللغة مفتاح فهمها .»[٥] ، ثم قال : « إذا دققنا في كتاب نهج البلاغة للإمام المرتضى أمير المؤمنين عليه الاف التحية والثناء الذي جمعه الشريف الأجل السيد الرضّي (قدس الله تربته) رأينا أن الأمور الستة مجتمعة فيه إجمالا وتفصيلا ،بسطا أو تحريضا ، فإنه يشرح أصول العقائد من توحيد ورسالة ومعاد وإمامة شرحا ويحث إلى القرآن حثا ويلمح إلى الأخلاق الفاضلة تلميحا ويشير إلى تاريخ الإسلام إلماعا وكله حديث بالإضافة إلى أنه سنام اللغة ومنتجعها ومنبثقها ومرعاها»[٦] .

---

(١) ينظر في ترجمته : ابراهيم السامرائي وجهوده اللغوية ٦ -٢٣ .

(٢) ينظر : السامرائي ٣١ . (٣) نفسه ٢٦ .

(٤) ينظر: ٧٠ و١١٣و١٧٥. (٥) الشيرازي ٧/١ .

(٦) نفسه ٨/١

طريقته في التوضيح تقوم على تقطيع الخطبة الواحدة على عدة مقاطع كل مقطع يوضح فكرة معينة ثم يعيد تقطيع المقاطع إلى كلمات وتراكيب يبثها بين أثناء شرحه ليحيطها بالتوضيح والبيان وعلى العموم جاء توضيحه موجزا يشتمل على تبيهات لغوية من نحو الفروق اللغوية ومعاني الأبنية ومباحث في الاشتقاق . وقد احتوى توضيحه على استطرادات كثيرة ذكر فيها أحوال الناس المعاصرين من ساسة متجبرين وشعوب محرومة مبتلاة بفقر وتخلف وفتور همّة ورأى أن النهضة الإسلامية تكمن في العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ونهج البلاغة. وانماز شرحه مما سبقه بإفادته من معطيات العلم الحديث .

١٤ - آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي صاحب تفسير الأمثل ، وشرحه للنهج بعنوان : **نفحات الولاية / شرح عصري جامع لنهج البلاغة .** بدأ به من سجنه في عهد الشاه بقم سنة ١٩٦٣م بمساعدة مجموعة من الفضلاء

ثم طبع الكتاب في خمسة أجزاء عام ١٤٢٤هـ ووصل في الشرح إلى الخطبة ١٥٠ ومازالت أجزاء الكتاب الأخرى مخطوطة أو قيد التأليف. وهو شرح موضوعي ذو طابع عصري زاخر بالعلوم التطبيقية والإنسانية وكثير من عنواناته الجانبية كانت أسئلة جوابها مستنبط من متن النهج فنجد فيه : هل يصطلح بالعارف على الله؟ كيف كان السجود لآدم؟ ما كانت جنة آدم ؟ هل اقترف آدم المعصية ؟ ما حقيقة الشجرة المحظورة ؟ ونحو هذا[١] .

قال في مقدمته يصف النهج : « إنه كتاب المعاني الروحية والعدالة الإجتماعية والتربية الرسالية والقيم الخلقية والأدلة والكمال والنقاء ونابض بكل مفيد وسديد ورشيد ورافض لكل ألوان الشرور والفجور والغرور ومهما استجدت من أفكار وآراء ونظريات واكتشافات خلال هذه القرون المتطاولة فلا تزيده إلا تسديدا وتأييدا وتخليدا ولا يزداد المفكرون والباحثون نحوه إلا انسجاما واحتراما »[٢] ورأى أن « العصر الحاضر يجعل نهج البلاغة يتطلب جهودا أكثر وأنشطة أوسع وأشمل من شأنها التوصل إلى الطرق والأساليب التي تذلل الصعاب المادية والمعنوية والفردية والاجتماعية إلى جانب التصدي إلى النزعات الفكرية الهدامة التي تستهدف الدين والأخلاق »[٣] فعقد العزم على أن يؤلف « شرحا جديدا جامعا لهذا الكتاب من شأنه تلبية حاجات العصر ووضع الحلول الوافية الشافية للمعضلات الفكرية والاجتماعية »[٤]. ألف شرحه بعد أن فرغ من تفسيره المعروف بالأمثل فجاء جهده هذا أقرب الى الدين والشرع منه الى اللغة والادب فقلت الافادة منه في هذه الاطروحة .

---

(١) ينظر: نفحات الولاية ٧٤/١و١٢٢ و١٣٢ و١٣٣ و١٣٥ .

(٢) نفسه ٥/١ .

(٣) نفسه٧/١ .

(٤) نفسه٨/١ .

١٥- السيد أبو علي عباس علي الموسوي الملقب بالخطيب ، من علماء لبنان له **: شرح نهج البلاغة** ، مطبوع في لبنان عام ١٤١٨هـ في خمسة أجزاء وكان قد فرغ منه عام ١٤١٣هـ إذ قال في ختم شرحه القسم الثاني من النهج يذكر اسمه ولقبه وكنيته : « تم شرح كتب الإمام ورسائله الكريمة بيد العبد الفقير إلى الله عباس على الموسوي أبو علي الملقب بالخطيب في ضواحي بيروت ...وذلك في ٢٣ من شهر جمادي الأولى من سنة ١٤١٣ هجرية الموافق ١٧ تشرين الثاني من سنة ١٩٩٢م »[١] .

وطريقته في الشرح تقوم على ذكر الخطبة كلها او بعضها تحت عنوان المتن ، ثم شرح المعنى اللغوي للكلمات الغامضة تحت عنوان (اللغة) ، ثم يشرع في شرح الكلام تحت عنوان (المعنى) . ويغلب على الشرح سير الصحابة وأخبار غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله) مع شيء من التفسير والفقه .

١٦- الأستاذان علي أنصاريان ومرتضى حاج علّي ، لهما شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار للعلامة المجلسي . قام الاستاذان باستخراج أقوال المجلسي في شرح عبارات النهج التي أوردها في كتابه بحار الأنوار ونظّما تلك الأقوال وزادا عليها كثيرا من شرحي المعتزلّي والبحراني فبلغ ما استخرجاه ثلاثة اجزاء طبعت في طهران عام ١٤٠٨هـ . كانا يبدآن بوضع فقرات من متن النهج بين معقوفتين ثم استخراج شرح المجلسي لها ورفدها بما قاله المعتزلّي والبحراني ، ثم يعلقان بالجميع رأيهما . وفي الغالب أظهرا في تعليقاتهما ودا ورضا للشارحين قبلهما، فلم يبادرا إلى التخطئة والرد وإذا ما أبديا اعتراضهما عليهما أبدياه متبّعين أسلوب الاحتمال أو تعدد الوجوه في المسألة الواحدة .

١٧- الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم له (شرح نهج البلاغة) طبع في بيروت عام ١٤١٦هـ في مجلدين وقد أفاد الشارح من تحقيقه شرح المعتزلّي ليعيد متن النهج محققا وعليه تعليقات وإيضاحات على غرار ما فعله الشيخ محمد عبده وفي الغالب كانت تلك التعليقات مقتطفة من شرح المعتزلّي وقد ذكر في مقدمته أن شروح النهج تنوف على الخمسين ، واستحسن منها شرح المعتزلّي[٢] . وشرح أبي الفضل انتقائي لطائفة من أقوال النهج فلم يذكر شرحا لكثير من خطب النهج وورسائله وحكمه .

١٨- الأستاذ صبحي الصالح له تعليقات وإيضاحات على متن النهج الذي حققه وطبعه طبعة دقيقة قريبة إلى تناول الناس أجمعين . وقد اعتمد البحث على هذه الطبعة في توثيق متن النهج .

وثمـ ة شرح قّيم لشارح مجهول بدا لناشريه انه من اعلام القرن الثامن الهجريّ ، عنوانه : مصباح السالكين الى نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين ، طبع في طهران ١٩٥٨م .

وفضلا عن ذلك ثمة شراح آخرون لهم شروح على النهج ما زالت مخطوطة أو في دور الطبع فلم يفد البحث منها في عرض مادته ، **واهمّها :**

---

(١) الموسويّ ٢٠٢/٥ (٢) ينظر: أبو الفضل ٨/١ .

- شرح نهج البلاغة للعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) منه نسخة مخطوطة في مكتبات بعض العلماء في طهران رآها محمد حسين الجلالي[١] .

- يحيى بن حمزة الزيدي العلوي صاحب الطراز المتضمن لاسرار البلاغة (ت٧٤٩هـ) توجد نسخة من شرحه في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء[٢]

- كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم الحلّي (ت٧٨٠هـ) من شرحه نسخة مخطوطة في خزانة مكتبة امير المؤمنين علي (ع) في النجف[٣]

- السيد افصح الدين محمد بن حبيب الله بن احمد الحسيني ، من شرحه نسخة في مكتبة السيد علّي الهمدانّي الخاصة في النجف[٤]

- قوام الدين يوسف بن حسن الشهير بقاضي بغداد (ت٩٩٦هـ) من شرحه نسخة في مكتبة احمد الثالث بتونس[٥].

- فخر الدين عبد الله بن المؤيد بالله (ت١٠٨٠هـ) ، من شرحه نسخة في مكتبة المجلسي بطهران[٦] .
- السلطان بن محمود بن غلام علي (ت١٠٨١هـ) ، من شرحه نسخة في مكتبة السيد المرعشي[٧] .
- محمد باقر اللاهيجي (ت١٢٢٦هـ) ، من شرحه نسخة في مكتبة نّواب بمشهد[٨] .

وثمة علماء علقوا بمتن نهج البلاغة -بعد أن أعادوا طبعه بعنايتهم - تعليقات نحوا فيها منحى تعليميّا فلم تفد هذه الدراسة منها ومن هؤلاء :

- نظام الدين الجيلاني (ت١٣٠٧ هـ) ، له : أنوار الفصاحة في شرح نهج البلاغة في القاهرة ١٣١٣هـ[٩] .
- محمد حسن نائل المرصفي (ت١٣٢٨هـ) ، طبع تعليقاته على النهج في مصر ١٣٢٥هـ[١٠] .
- محمد كاظم بن الحسين الخراسانّي (ت ١٣٢٩هـ) ، طبع شرحه في بيروت ١٣٣١هـ[١١].
- الشيخ محمد حسن القبيسّي ، له : بيان القناعة في شرح نهج البلاغة في بيروت عام ١٤٠٠هـ[١٢] .

---

(١) ينظر : دراسة حول النهج ١٤٢ .

(٢) ينظر: الذريعة ١٥٢/١٤ ودراسة حول النهج ١٤٣ ومصادر نهج البلاغة٢٢٧/١ والطراز ١١٨/١ ،١٦٦ و٢٥٢/٢ .

(٣) ينظر: دراسة حول النهج١٤٤. (٤) ينظر: نفسه ١٤٧. (٥) ينظر: نفسه ١٥١.

(٦) ينظر: الذريعة ١٣٤/١٤ ودراسة حول النهج١٥٦ .

(٧) ينظر : دراسة حول النهج ١٥٦-١٥٧

(٨) ينظر: نفسه ١٦٢ .

(٩) ينظر: نفسه ١٦٥

(١٠) ينظر : نفسه ١٦٧ .

(١١) ينظر: مصادر نهج البلاغة ٢٥٤/١ .

(١٢) ينظر: دراسة حول النهج ١٦٧.

المبحث الثاني

الشّراح وطرق العناية بمتن النهج .

صرح معظم الشّراح تبعا للمصنّف بأن باعثهم إلى الإقبال على النهج ومن ثّم شرحه هو إيمانهم المطلق بأن كلام الإمام علي (ع) فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق[١] إذ نقل المعتزلّي مذهب اصحابه في كلام الإمام علّي(ع) فقال : « واعلم اننا لا يتخالجنا الشك في أنه عليه السلام أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين إلا من كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله »[٢] . وقال محمد عبده : « وليس في أهل هذه اللغة الا قائل بان كلام الإمام علّي بن أبي طالب هو اشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه صلّى الله عليه وسلم وأغزره مادة ، وأرفعه اسلوبا ، وأجمعه لجلائل المعاني »[٣] . ومن هنا أقبل الشّراح على نهج البلاغة يوثّقون

متنه ويقاربون بين نسخه ويتلّمسون أسانيده ويشيرون إلى مصادره قبل الرضيّ وبعده ويستدركون على الرضيّ ما فاته منه ويقوِّمون عمل الرضيّ في جمع النهج من حيث تقطيع الخطب وانتقاء أجزاء منها ويحققون روايات النهج ويذكرون مناسبة إلقاء الخطب والوصايا فضلا عن ذكر اسماء الخطب على اختلافها ثم يدرؤون الشبهات والشكوك التي حامت حول النهج . ولكثرة طرق الشّراح في العناية بمتن النهج ارتأيت تقسيمها على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الشّراح وجامع النهج .

١ - منزلة الرضيّ لدى الشّراح .

حاز عمل الرضيّ على ثناء الشّراح وإعجابهم فأوفوا الرجل وكتابه حقّهما من الثناء ، إذ جهر الشّراح بعلّو منزلة الرضيّ بين علماء العربية وفضله على طلابها بجمعه هذا السفر الجليل الذي « يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب إذ كان أمير المؤمنين مشرع الفصاحة ومورِدها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها وعلى أمثلته حذا كل قائل وخطيب وبكلامه استعان كل واعظ وبليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وقد تقدم وتأخروا لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي »[٤].

والرضيّ لدى الشّراح منزّه عن الانتحال والكذب على جدّه لأنّه « علوي زاهد ارتقى من الصيانة مرقاة لا يرقاها إلا ذو حظ عظيم ونال من الزهد والعلم مزّية لا ينالها إلا ذو خِيْم كريم هل يجوز مثله من ديانته أن يزيد في كلام

---

(١) ينظر: نهج البلاغة ١١ والبيهقيّ٣ والرواندي ٤/١ والكيدري٦٨/١ والمعتزلّي ٤/١ والبحراني ٢٠/١ والخوئي٢٦٩/١ .

(٢) المعتزلّي ٢٧٨/٦-٢٧٩ .

(٣) عبده ٦/١

(٤) نهج البلاغة ١٠-١١

أبيه على حسب ما يشتهيه وينسب إليه ما لم يكن إليه منسوبا ويحتقب بذلك إثما كبيرا وحوبا هيهات هيهات قال الله تعالى **(إِنَّـ مَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)** وحاشا لمثله أن يكون بالافتراء موصوفا »[١].

ولم يكتف الشّراح بالتمسك بتقوى الرضيّ وورعه في درء شبهة انتحال الرضيّ النهج بل عضدوها بحجة أقوى منها وهي أن أسلوب الرضيّ معروف في رسائله وكتبه وهو أسلوب لا يرقى إلى أسلوب الإمام علي (ع) وقد نقل المعتزلّي عن بعض شيوخه أنه سئل عن شبهة انتحال الرضيّ النهج فقال : « أنّى للرضي ولغير الرضيّ هذا النفس وهذا الأسلوب ! قد وقفنا على رسائل الرضيّ وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور »[٢] .

وقد تمسك المشككون في النهج ببعض الخطب التي نسبت في المصادر القديمة الى اخرين ، كقطري بن الفجاءة الخارجي ، وابن المقفع ، ومعاوية ، وغيرهم . وزعموا أن الرضيّ انتحلها ونسبها إلى الإمام عليّ (ع) ورد الشّراح هذه الشبهة بان الشريف الرضيّ لم يكن جامعا فقط ، بل كان جامعا ومحققا ، فلم يعلن عن نسبة الخطب الى امير

المؤمنين الا بعد تمحيص وتدقيق ووزن كلام الإمام (ع) بعضه على بعض ، وتتّبع سند الخطبة ، ودراسة متنها واستقصاء مصادرها المعتبرة واما وجود بعض الخطب منسوبة إلى غير الإمام (ع) في بعض المصادر فوهم بيّن او انتحال مفضوح[٣].

أما تعدد الروايات في اللفظة الواحدة او العبارة الواحدة فسمة مميزة في نهج البلاغة تشهد بان النهج للامام عليّ (ع) ، اذ لو كان النهج من وضع الرضيّ لما وجدنا فيه الان هذا الكم الهائل من الرويات المتعددة المتباينة التي يحتاج جمعها والمقابلة بينها كتابا كبيرا كالذي عنوانه (تمام نهج البلاغة) وهذا دليل على ان ما جاء في نهج البلاغة هو جزء مما قاله الإمام (ع) لا كلّه.

٢ - الاستدراك على الرضيّ

على الرغم من احتفاء الشّرّاح بعمل الرضيّ هذا سجّل كلّ منهم ملاحظه في تقويم عمل الرضيّ إذ بلغت عناية الشّراح بمتن النهج انهم لم يكتفوا بما جمعه الشريف الرضيّ في (نهج البلاغة) من خطب ووصايا وحكم ، فزادوا على الخطبة نقلا عن الكتب التي ذكرتها قبل الرضيّ وفي هذا الاستدراك فاق الشارحان : المعتزلّي والبحراني أقرانهما في إتمام ما أغلفه الرضيّ وزيادة ما حذفه كما في قول المعتزلّي معلّقا بإحدى الخطب : « هذه الخطبة طويلة ، وقد حذف الرضيّ - رحمه الله تعالى - منها كثيرا ومن جملتها: اما والذي فلق الحبة ...»[٤] . وقوله ايضا : «... هذا كلام متصل بكلام لم يحكه الرضيّ رحمه الله وهو ذكر قوم من أهل الضلال...»[٥] . وقول البحراني يصف إحدى وصاياه (ع) : « رويت هذه الوصية بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان ، وقد حذف السيد منها

---

(١) البيهقّي ١٣ والآية هي النحل ١٠٥.

(٢) المعتزلّي ٢٠٥/١ (٣) ينظر: التستريّ١٤٦/٨ - ١٤٧ .

(٤) المعتزلّي ٣٨٢/٦ (٥) نفسه ١٦٥/٩

فصولا ونوردها برواية يغلب على الظن صدقها...»[١] . وذكر البحراني - أيضا - تمام خطبة الإمام (ع) في ذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة ، وهي طويلة استدرك فيها على الرضيّ أضعاف ما ذكره[٢].

وقد صرح الشّرّاح بان الرضيّ كثيرا ما يورد في الخطبة الواحدة جزءا ليس منها ، وقد تبين لهم ان هذا شائع لدى الرضيّ وهو كالعادة لديه، فكانوا يتمنون لو اتى الرضيّ بالخطب كاملة في النهج لا أن يلتقط بعضها دون بعضها الاخر[٣] . إذ قال المعتزلّي يصف بعض الخطب : « هذا الفصل ليس بمنتظم من اوله الى اخره ، بل هو فصول متفرقة التقطها الرضيّ من خطبة طويلة على عادته في التقاط ما يستفصحه من كلامه عليه السلام وان كان كل كلامه فصيحا»[٤] ، على حين تلمس البحراني لبعض من أمثلة الاقتطاع في خطب النهج وجوها اخرى تبرئ الرضيّ من الاهمال والتقصير في تبويب الخطب ، من ذلك ان الرضيّ اورد قوله (ع) في ذكر الملاحم : (... ذاكَ حيثُ تسكرونَ من غيرِ شرابٍ بلْ من النِّعمةِ والنَّعيمِ ، وتلْفِظُونَ من غيرِ اضطرارٍ ، وتكْذِبونَ من غيرِ إحْراجٍ ، ذاكَ إذا

عضّكُم البلاُء كَما يَعضُّ القَتَبُ غاربَ البعيرِ . ما أطولَ هذا العناَء ، وأُبعدَ هذا الرَّجاء!)[٥] ، ولما وقف البحراني على هذا قال : « وقوله : ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء ، كلام منقطع عمّا قبله هو عادة الرضيّ – رضي الله عنه- في التقاط الفصول وإلحاقها بعضها ببعض »[٦] . ثم اردف قائلا :« ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ، ويكون قوله : ما اطول هذا العناء ، كلاما مستأنفا في معنى التوبيخ لهم على اعراضهم عنه واقبالهم على الدنيا ، واتعابهم انفسهم في طلبها ...»[٧].

وكان الرضيّ قد نبه في تقديمه للنهج على ان ما فاته الكثير فترك له اوراقا من البياض في ختم كل باب ليستدراك ما ندّ عنه ولم يدركه فقال :« ومفصّلا فيه اوراقا لتكون لاستدراك ما عساه يشذّ عنّي عاجلا ويقع لي آجلا »[٨]. وقال في اخر النهج يصف تلك الأوراق البيض : « قرّ العزم – كما شرطنا اولا – على تفضيل اوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب ليكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد ...»[٩].

وقد سوّغ المعتزليّ عمل الرضيّ في تقطيع الخطبة الواحدة الى فصول مفرقة او اشتمال الفصل الواحد على قسمين مختلفين احدهما غير مختلط بالاخر ولا مسوق عليه ، بان الرضيّ كان « يلتقط كلام امير المؤمنين– عليه السلام- التقاطا ، ولا يقف مع الكلام المتوالي ؛ لان غرضه ذكر فصاحته – عليه السلام- لا غير ، ولو اتى بخطبه كلها

---

(١) البحراني ٣٥٧/٤

(٢) ينظر : نفسه ٣ / ١٤٥ - ١٤٧ .

(٣) ينظر : المعتزليّ ١٨٨/٧ ، ١٠٠/١٣ والبحراني ٤ /٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ والخوئي ٧٢/١٨ .

(٤) المعتزليّ ٢٨٨/٨ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٧ : ص٣٤٨ .

(٦) البحراني ١٦٩/٤ .

(٧) نفسه ١٦٩/٤ .

(٨) نهج البلاغة ١٢ .

(٩) نفسه ٦٩٧ .

على وجهها لكانت اضعاف كتابه الذي جمعه »[١] . ولذا استدرك الشارح المعتزليّ على القسم الثالث ، وهو (الحكم) حكما لم ترد في النهج ، وصفها بالالف المختارة ، وقال في مقدمة ما استدركه منها : « ونحن الان ذاكرون ما لم يذكره الرضيّ مما نسبه قوم اليه عليه السلام ، فبعضه مشهور عنه عليه السلام ، وبعضه ليس بذلك المشهور ولكنه قد روي عنه وعزي اليه ...»[٢].

وبسب هذا الالتقاط ا لانتقائيّ في عمل الرضيّ نجد تباينا واضحا في ترتيب الخطب والوصايا والحكم بين شرح وآخر ، فالخطبة ذات الرقم المعين في شرح ما نجدها برقم سابق او لاحق في شرح آخر ، وبرقم آخر في شرح ثالث ، وقد زاد التفاوت في ترتيب الحكم عنه في الخطب والوصايا انطلاقا من عمل الرضيّ نفسه ، فقد ذكر من الحكم ٢٦٠ حكمة ، ثم تلاها بباب الغريب من اقوال الامام (ع) ، فعد منها تسعا ، ثم استانف الحكم واكملها ليصل بها الى ٤٨٠ حكمة .

ونبه الشّراح المحدثون الذين تهّيأ لهم النظر في نسخ النهج كلها على شيء من الزيادات والاختلافات وقعت بين النسخ بسبب المحشين الذين علقوا بهامش المتن جملا وتراكيب زائدة بغية التفسير والايضاح ، ثم اختلطت هذه الزيادات بالمتن بسبب تسّمح النساخ اللاحقين . يتّضح هذا في قول التستريّ : « ولا هو أهلٌ ما فّوض الله ُ، هكذا في المصرّية ، وهذه الجملة ليست موجودة في ابن ميثم والخطّية ، واما وجودها في نسخة ابن أبي الحديد فالظاهر كونها من زيادات المحشين ...»[٣]

وفي العصر الحديث ظهرت كتب عنيت بمستدركات نهج البلاغة على مر العصور أهمها :

١- مستدرك نهج البلاغة الموسوم بمصباح البلاغة للسيد حسن ميرجهاني الطباطبائي ، طبع في طهران ١٣٨٨ هـ في مجلدين .

٢- مستدرك نهج البلاغة لكاشف الغطاء ، نشر في بيروت ١٤٠٤ هـ .

٣- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة للشيخ باقر المحموديّ ، طبع في النجف في سبعة اجزاء سنة ١٣٨٥ هـ

٤- نهج البلاغة الثاني (ما لم يذكر في نهج البلاغة) للشيخ جعفر الحائري ، طبع بقم ١٤١٠هـ .

٥- تمام نهج البلاغة مما أورده الشريف الرضيّ عن أثر مولانا الإمام أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب (ع) ، للسيد صادق الموسوي وفيه أعاد المؤلف متن النهج محققا تحقيقا غاية في الضبط والتتميم والتنسيق واعتمد على ما يقرب من ثمانمئة مصدر رجع إليها في إتمام متن النهج ، ورتبها ترتيبا ألفبائيا في فهرس جامع عنوانه فهرس مصادر نهج البلاغة ، وقد أفاد المؤلف من المخطوطات الكثيرة التي ظهرت للملأ في النجف الأشرف بعد سقوط النظام[٤]. ثّم طبع الكتاب ي بيروت عام ١٤٢٦هـ في ثمانية اجزاء .

---

(١) المعتزليّ:١٥٣/٣. (٢) نفسه: ٢١٥/٢٠ .

(٣) التستريّ ٣١٧/٧ . (٤) ينظر: تمام نهج البلاغة ٢٤١/١ .

وهو عمل كبير ظهر الى الملأ بعد عشرين عاما من البحث والتنقيب كشف المؤلف فيه ما حذفه الرضيّ من متن النهج ، فاعاده الى اصله موثّقا من مصادره[١].

وما زالت رحلة الاستدراك على نهج البلاغة قائمة لدى علماء العربية المعاصرين من غير اصحاب الشروح المعروفة ، إذ ألّف عليّ النجدي واخرون كتاب (سجع الحمام في حكم الإمام) ، قال في مقدمته : « بقي كثير من كلامه (ع) متفرقا في كثير من كتب الادب والتاريخ لا يقل روعة ونفاسة وصدقا وبلاغة عما ورد في هذه الكتب ، على ان كثيرا مما جاء فيها يعوزه الضبط والشرح ، ويشيع فيه التحريف والابهام ، فرأينا ان نجمع شتات هذه الحكم في عقد يضم ما تفّرق ونختار ما رجح عندنا انه من كلام الإمام ومن منبع إلهامه وشرعة بيانه »[٢].

وكان الرضيّ قد علق بمتن النهج تعليقات وإيضاحات شرح بها بعضا من مفردات النهج أوغريبه فكانت تلك التعليقات محطّ عناية الشّراح وقبولهم . وفي الغالب الأعم انطلق الشّراح من تلك التعليقات في شرحهم متن النهج

وانماز المعتزلـّي منهم بإظهاره طائفة من الردود والاستدراكات على تلك التعليقات من ذلك أن الرضـّي أورد خطبة للامام (ع) عند المسير الى الشام ، وفيها : (...وامرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى ياتيهم امري)[٣] ، وعلق بها قوله : « يعني عليه السلام بالملطاط هاهنا السمت الذي امرهم بلزومه وهو شاطئ الفرات ، ويقال ذلك –ايضا- لشاطئ البحر ، واصله ما استوى من الارض»[٤]. ورأى المعتزلـّي ان قول الرضـّي هذا « لا معنى له ؛ لانه لافرق بين شاطئ الفرات وشاطئ البحر وكلاهما امر واحد ، وكان الواجب ان يقول : الملطاط : السمت في الارض ، ويقال –ايضا- لشاطئ البحر »[٥] .

ومنها ان الرضـّي اورد خطبة للامام (ع) ينعى فيها الأشتر قائلا : (لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا)[٦] ، فعلـّق الرضـّي بها قائلا : « الفِنْد : المنفرد في الجبال »[٧] ، ولم يرتض المعتزلـّي هذا التفسير فقال : « الفند قطعة الجبل طولا ، وليس الفند القطعة من الجبل كيفما كانت »[٨].

وأورد الرضـّي قوله (ع) في الاستسقاء : (اللّهُمَّ انصاحَتْ جِبالُنا ، واغبـّرت أرضُنا ، وهامَتْ دوابُّنا ...)[٩] ففسر (هامت دوابنا) بـ « عطشت ، والهيام : العطش »[١٠] ، ثـّم علـّق المعتزلـّي بهذا التفسير قوله :« يجوز ان يريد بقوله : وهامت دوابنا معنى غير ما فسره الشريف الرضـّي رحمه الله ، وهو ندودها وذهابها على وجهها لشدة المحل ، يقول : هام على وجهه يهيم هيما وهيمانا »[١١] .

---

(١) ينظر: تمام نهج البلاغة ٤٩/١-٦٤ .
(٢) سجع الحمام ٦-٧ وينظر: دراسة حول نهج البلاغة ٢٠١
(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ٤٨ : ص ٥٣ .
(٤) نفسه :٥٣
(٥) المعتزلـّي ٢٠١/٣ .
(٦) نهج البلاغة: الحكمة ٤٤٣ ، ص:٦٩٠
(٧) نفسه :٦٩٠
(٨) المعتزلـّي ٩٣/٢٠
(٩) نهج البلاغة :الخطبة ١١٤ ، ص: ١٣٤.
(١٠) نفسه :١٣٤
(١١) المعتزلـّي ٢٦٤/٧ .

المطلب الثاني : توثيق متن النهج .

عني الشّراح بتوثيق متن النهج من عدة جوانب أهمّها :

١- تتّبع مصادر نهج البلاغة قبل الرضـّي وبعده .

لم يعن الرضـّي بذكر الاسانيد والمصادر الا ما ندر ؛ لانه لم يكن بحسبانه ان يظهر للناس مصدرا للفقه او مرجعا للاحكام الشرعية ، وانما رام ان يخرج للناس جانبا من كلام الإمام (ع) زاخر بعجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدينّية والدنيوّية وبذا صرّح في مقدمته[١] . وقد توسع الشّرّاح في توثيقهم متن النهج فذكروا مصادره قبل الرضـّي وبعده وقد ذكرت تلك المصادر طائفة من خطب الإمام (ع) وذكرت مناسبتها ومضمونها وجهرت بنسبتها الى الإمام (ع) . وفي هذه المسألة صرح الشّرّاح القدماء بذكر طائفة من المصادر التي نقلت كلام الامام (ع) قبل الرضـّي ، ومنها : كتاب صفين لنصر بن مزاحم (ت٢٠٢هـ) ، والجمل للواقدي (ت٢٠٧هـ) ، والبيان والتبيين

للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، والامامة والسياسة لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، والكامل في اللغة والأدب ، والمقتضب للمبرّد (ت٢٨٥هـ) ، وتاريخ الطبري (ت ٣١٠هـ) ، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) ، والكافي للكليني (ت٣٢٨هـ) ، ومروج الذهب للمسعودي (ت٣٤٦هـ) ، والأغاني لأبي فرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، وغير هذه كثير يطول المقام بذكره[٢] .

وقد عني الشّرّاح المتأخّرون بذكرهم سند النهج ومصادره فضلا عن المقابلة بين نسخه في عدة مواضع .إذ حفّزهم على ذلك توافر الكتب في زمانهم ، يوضح هذا قول الخوئي : « ان هذا الكلام له عليه السلام مما رواه ثقة الاسلام الكليني في الكافي ، وصاحب الاحتجاج عطر الله مضجعهما ، فاحببت ان اذكر ما في الكتابين اعتضادا لما اورده الرضيّ في الكتاب ومعرفة بمواقع الاختلاف بين الروايات فأقول : ...»[٣]. ولما اتم الامدي شرح الخوئي اجتهد كثيرا في توثيق باب الكتب - وهو الباب الثاني من النهج - اذ يصدر شرحه للكتاب بـ (مصدر الكتاب وسنده) ، فيذكر المصادر المطبوعة في زمانه ويوثق منها بذكره الجزء والصفحة[٤] .

ويبرز الشارح التستريّ موثقا متن النهج ومتتبعا مصادره القديمة على نحو جلّي من ذلك أنه وقف على قول الإمام (ع) من خطبة له يحث فيها على الجهاد : (... أَلْبَسَه ُالله ُثوبَ الذّلّ ... وسِيْمَ الخَسْفَ)[٥] ، فقال موثقا الروايات : « ان الجاحظ والدينوري نقلاه مثل المتن – يريد الرضيّ – وكذا الكافي ، ورواه المبرد والصدوق واسنادهما واحد عن ابن عائشة بلفظ - البسه الله الذل وسيماء الخسف-»[٦].

---

(١) ينظر: نهج البلاغة ١٢

(٢) ينظر: مصادر نهج البلاغة ٢٩/١-٣٣.

(٣) الخوئي ٢٦١/٣ وينظر: ٢٩٩/٣

(٤) ينظر: الخوئي ١١٥/١٨ ، ١٢٥ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ ، ص٦١ .

(٦) التستريّ ٥٠١/١٠

وتبين للشارح حسن زاده الآملي متمم شرح الخوئي «أن أول من جمع خطب أمير المؤمنين (ع) على ما ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست هو زيد بن وهب وكان ممن أدرك الجاهليه والاسلام وقد أسلم على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي انتقل إلى دار كرامته قبل وصوله إليه ولذلك لم يعد في الصحابة بل من التابعين من كبارهم ونزل الكوفة وتوفي سنة ٦٦ هـ وكان من أصحاب أمير المؤمنين (ع) وكان كتابه موجودا في زمان الشيخ الطوسي (رضي الله عنه) »[١].

ثم سجل الآمدي أسماء اثني عشر من علماء المسلمين الذين جمعوا جانبا من كلام الإمام في القرنين الثاني والثالث الهجريين فضلا عن « أن كثيرا من المؤرخين والمحدّثين نقلوا في سياق ما نقلوا من الحوادث والوقائع كلامه وخطبه (ع) كاليعقوبي والطبري وأصحاب أخبار الجمل وصفين والنهروان وكتاب الكافي وغيره »[٢].

٢- تصحيح نسبة متن النهج .

كان الرضيّ قد عني بتصحيح نسبة الخطب إلى الإمام (ع) ، وفي تعليقاته وحواشيه على متن النهج ما يؤكد ذلك ومنه انه لما اورد قوله (ع) : (العينُ وكاءُ السّه...)[٣] قال : « كأنه شبّه السته بالوعاء ، والعين بالوكاء فإذا أطلق

الوكاء ينضبط الوعاء وهذا القول في الاشهر الاظهر من كلام النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقد رواه قوم لامير المؤمنين (ع) ، وذكر ذلك المبـرّد في الكتاب المقتضب في باب اللفظ بالحروف ، وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الاثار النبوية »[٤] . وقد نّبه الرضـّي نفسه على اختلاط بعض كلام امير المؤمنين (ع) بكلام النبي (صلى الله عليه وآله) لدى الرواة ، او عن قصد واقتباس من الإمام علـّي (ع) نفسه ، من ذلك قوله معلقا على خطبة قالها الإمام (ع) عند عزمه على المسير الى الشام : « ابتداء هذا الكلام مرويّ عن رسول الله - صلى الله عليه واله – وقد قفاّه امير المؤمنين – عليه السلام- بأبلغ كلام وتّممه بأحسن تمام...»[٥].

وقد عني علماء العربية قبل الرضـّي بتمحيص كلام الإمام (ع) وتوثيقه ، ومنهم الجاحظ الذي وقف على قوله (ع) : (أيُّها النّاسُ ، إنّا قدْ أصْبَحْنا في دَهْرٍ عَنُودٍ ، وزَمنٍ كَنُودٍ يُعَدُّ فيه المُحْسِنُ مُسِيْئا ، ويزدادُ الظالُم فيهِ تُمّوا ، ولا نَنْتَفِعُ بِما لَمِعْنا ، ولا نَسْأَلُ عمّا جَهِلْنا)[٦] فوجد بعضهم ينسب هذا القول الى معاوية ، فانكر ذلك قائلا : « ان هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الأخبار عمّا هم عليه من القهر والإذلال ومن التقية والخوف أشبه بكلام علـّي رضي الله عنه ومعانيه . ولم نجد معاوية في حالٍ من الحالات يسلكُ في كلامه مسالك الزّهاد . »[٧]

---

(١) الخوئي ١٥/٢-٣ . (٢) نفسه ١٥/٤ .

(٣) نهج البلاغة :الحكمة ٤٥٨ ، ص : ٥٠٠ .

(٤) نهج البلاغة ٥٠٠ وينظر: المقتضب ٣٤/١ والمجازات النبوّية ١٨٤ والنهاية ٤٢٩/٢ ، ٢٢١/٥ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٤٦ ص ٨٨ .

(٦) نهج البلاغة ، الخطبة ٣٢ ، ص: ٦٩ .

(٧) البيان والتبيين ٢٤١/٢ وينظر: المعتزلّي ١٧٥/٢ .

ولما أوردها الرضـّي علـّق بها قوله : « وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه وأين الذهب من الرُّغام ، والعَذْب من الأُجاج وقد دلّ على ذلك الدِّلْيِّلُ الخِرِّيتُ ، ونقده الناقدُ البصيرُ عمرو بن بحر الجاحظ فإنه ذكر هذه الخطبة في كتابه البيان والتبيين »[١] وذكر التستريّ أن ممن نسبها إلى معاوية من دون تدبّر ابن قتيبة في عيون الأخبار وابن عبد ربّه في العقد الفريد[٢] . وجزم بأنها من كلام أمير المؤمنين الذي لا شك فيه بشهادة متنه[٣].

أما الشّرّاح فقد صححوا نسبة طائفة من أقوال الإمام (ع) اليه بعد ان وجدوها منسوبة الى غيره في كتب أخرى معتمدين على المصادر القديمة قبل الرضـّي أو مقارنة نصوص النهج بعضها ببعض، أو رواية الرضـّي اياها الى الإمام . وقد فاق المعتزلـّي أقرانه في هذا الجانب فنّبه على اختلاط بعض كلام الإمام بكلام غيره ثم يحسم هذا الخلط موضحا سببه ومفضيا إلى تصحيح نسبته إلى الإمام علي (ع) من ذلك بعض الحكم التي نسبت الى اخرين ، ومنها الحكمة : (نَفسُ المَرْءِ خُطَاه إلى أَجَلِه)[٤] ، ولما وقف المعتزلّي عليها فقال : « وجدت هذه الكلمة منسوبة الى عبد الله

بن المعتز ، فلا ادري هل هي لابن المعتز ام اخذها من امير المؤمنين (ع) ، والظاهر انها لأمير المؤمنين ؛ فانها بكلامه اشبه ، ولان الرضيّ قد رواها عنه وخبر العدل معمول به »[٥].

ومنها الحكمة : (مِنْ هَوانِ الدّنْيا عَلى اللهِ أنّه لا يُعْصَى إلا فِيها)[٦] ، فقد اوردها الشريف الرضيّ في باب الحكم ، وقال المعتزليّ فيها : « هذا الكلام نسبه الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين الى أبي الدرداء والصحيح أنّه من كلام عليّ (ع) ذكره شيخنا ابو عثمان الجاحظ في غير موضع من كتبه ، وهو اعرف بكلام الرجال »[٧] .

ومنها قوله (ع) : (أمّا بَعْدُ فإنّي إحَذّركُم الدّنْيا ، فإنّها حُلْوةٌ خَضِرة قَدْ تَحَبّبَتْ بالشّهَوَاتِ)[٨] . ورواها الجاحظ وغيره لقطري بن الفجاءة وهو من زعماء الخوارج[٩] . وردّ الشّرّاح هذه الرواية كالمعتزليّ الذي تلطّف في إنكار رواية – صاحبه- الجاحظ ، فقال : « الناس يروونها لأمير المؤمنين ، وقد رأيتها في كتاب الموفق لأبي عبيد المرزباني مرويّة لامير المؤمنين (ع) وهي بكلام امير المؤمنين اشبه ، وليس يبعد عندي ان يكون قطري قد خطب بها بعد ان اخذها عن بعض اصحاب امير المؤمنين (ع) ، فإنّ الخوارج كانوا اصحابه وانصاره وقد لقي قطري اكثرهم »[١٠] .

---

(١) نهج البلاغة : ٤٠ وينظرك البيان والتبيين ٢٤٢/٢

(٢) ينظر: عيون الأخبار ٣٥٥/٢ والعقد الفريد ١٠١/٣ .

(٣) ينظر: التستريّ ١٤٦/٨ .

(٤) نهج البلاغة ، الحكمة ٧٤ : ص: ٦١٢ .

(٥) المعتزليّ ١٨/ ٢٢١ .

(٦) نهج البلاغة ، الحكمة ٣٨٥ : ص: ٦٨٠ .

(٧) المعتزليّ ٣٢٦/١٩ وينظر: البيان والتبيين ٣١٢/٢ وإحياء علوم الدين ١٧٧/١ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ١١١ : ص : ٢٠٥.

(٩) ينظر:البيان والتبيين ٢٧٧/٢ وعيون الأخبار ٢٥٠/٢ والعقد الفريد ١٤١/١.

(١٠) المعتزليّ ٢٣٦/٧ .

ويبرز التستريّ من بين الشّرّاح المتأخرين موثقا خطب الإمام (ع) ، ومعنيا بتتبع صحة سندها وتصحيح نسبتها إليه (ع) ، فقال يصف بعض الخطب :« نسبها ابن قتيبة في عيونه الى المامون وتبعه ابن عبد ربه في عقده ... ويبدو أنّ المأمون حفظها من خطب الإمام كما كان غيره من الخطباء يحفظون خطبه (ع) »[١].

وثّمة خطب وأقوال في النهج اوردها الرضيّ على انها للامام (ع) فنسبها التستريّ الى غيره لاسيما النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، والحسن (ع) ، كقوله يصف بعض الكلام :« لَم أدرِ من أين نسب المصنّف هذا الكلام إليه (ع) وقد اتفّقت الخاصّة والعامّة على أنه كلام ابنه الحسن (ع) »[٢]

٣- توجيه الروايات المختلفة بين نسخة واخرى.

كان الرضيّ قد قدّم للنهج يقول : « رواياتُ كلامِهِ عليه السلام تختلفُ اختلافا شديدا ...»[٣] ، ولذا كان هو أول المعنيين في إيراد الروايات المتعددة وتوجيهها والاختيار بينها من ذلك أنه لما أورد قول الإمام (ع) في الخوارج :(أصابَكُم حاصِبٌ ، ولا بَقِيَ مِنْكُم آبر)[٤] قال : « قوله عليه السلام (ولا بقي منكم آبر) يروى على ثلاثة أوجه أحدها :

أن يكون كما ذكرنا (آبر) بالراء من قولهم رجل آبر للذي يأبر النخل ، أي : يصلحه ،ويروى آثر بالثاء- بثلاث نقط - يراد به الذي يأثر الحديث أي يرويه ويحكيه وهو أصح الوجوه عندي كأنه عليه السلام قال : لا يبقى منكم مخبر ! ويروى آبز بالزاي المعجمة وهو الواثب »[٥].

وأكد الشّرّاح هذا الاختلاف بين نسخ النهج الكثيرة التي كتبها القدماء بدءا من نسخة الرضيّ. وهذه النسخ محفوظة اليوم في مدن الهند وايران ودمشق والقاهرة وغيرها[٦] ، فاجتهد العلماء في تحقيق صحّة هذه النسخ ، وضبط عباراتها والفاظها ، والاشارة الى خطأ النساخ ، وتوجيه الروايات المختلفة في النسخ وغير هذا من الجهود التي عنيت بالتوفيق بين الروايات والمقابلة بين النسخ وقد عني الشّرّاح بنسخ النهج والمقابلة بين الروايات المختلفة وتلمس سبب هذا الاختلاف وعزوا بعضه إلى تحريف النساخ وقبلوا بعض الروايات الأخرى من التي ذكروا لها وجها مقبولا في العربية . وقد برع الشّرّاح المتأخّرون لاسيما التستريّ في هذا الجانب فأكثر من سرد الروايات المتعددة مشيرا إلى نسخها واجتهد في التوفيق بينها وانتقاء الاصوب منها ورجح نسختي المعتزلي والبحراني على غيرها من النسخ لأن نسخة البحراني هي نسخة المصنف ونسخة المعتزلّي قريبة منها في الزمن[٧] .

---

(١) التستريّ١٠/١٦٤ .

(٢) نفسه ١٢/٤٦٧ .

(٣) نهج البلاغة : المقدمة ١٣ .

(٤) المصدر نفسه : الخطبة ٥٨ ، ٩٧-٩٨ .

(٥) نفسه الخطبة ٥٨ ، ص ٩٨ .

(٦) ينظر: تمام نهج البلاغة ١/٣٩ .

(٧) ينظر: التستريّ ٢/١٤٢ ، ٥/١٠ ، ١٢/٢٠٣ ...

وقد استند فريق من الشّرّاح الى قياس العربية لترجيح رواية على اخرى ، كما فعل المعتزلّي لما اورد قوله (ع) : (اللّهُمّ إنّكَ آنَسُ الآنِسِيْنَ لِأَوْلِيَائِكَ)[١] ، فقال : « كان القياس ان يقول : إنك آنس المُؤنسين ؛ لان الماضي أفعل ، وانما الآنسون جمع آنس وهو الفاعل من أنست بكذا لا من آنست ، فالرواية الصحيحة اذن : بأوليائك ، اي أنت أكثرهم أنسا بأوليائك وعطفا وتحنُّنا عليهم »[٢] فوقف على رواية اخرى وهي: بأوليائك ، ورجّح هذه الرواية لأنّ القياس يؤيّدها ، إذ استدل بتعدّي الفعل المجرد (أنس) بالباء وتعدي المزيد (آنس) بنفسه أو باللام[٣] فصحح (بأوليائك) لأنه متعلق باسم الفاعل (الآنسين) المشتق من المجرد لا من المزيد بالهمزة .

ومنه - أيضا- أن التستريّ لما وقف على قوله يصف بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) : (وخلّفَ فيْكُم ما خلّفتِ الأنبياُء في أُممِها ... كتابَ ربّكم مبيَّنا حلالُه وحرامُه)[٤] ، نبّه على رواية أخرى زيد فيها (فيكم) بعد (كتاب ربكم) . وضعّف التستريّ هذه الرواية لأنّ نسخ المصنف والمعتزلّي والبحراني خلت من هذه الزيادة فقال : « كتاب ربّكم فيكم مبينا ، هكذا في المصرية ، والصواب : كتاب ربّكم مبينا كما في ابن أبي الحديد ، وابن ميثم والخطّية ، ولان (كتاب) بدل من

(ما) فلا معنى لكلمة فيكم »[٥] . وكان ينّبه على أن بعض الروايات لا وجه له في العربية من ذلك أنه لما وقف على قوله (ع) : (إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ ....فَلَمْ يَجُزْ في عدلِهِ وقسْطِهِ يومئذٍ خَرْقُ بَصَرٍ في الهواءِ ، ولا هَمْسُ قَدَمٍ في الأَرْضِ إلا بِحَقِّهِ ...)[٦].

اورد الروايات في (لم يَجُز) مع ذكر وجهها في العربية وهي:

- **(لم يَجْرِ)** مضارع جرى والمعنى : لم يكن في ديوان حسابه ذلك اليوم صغير ولا حقير الا بالحق والانصاف.
- **(لم يَجُزْ)** مضارع جاز ، والمعنى : لم يسُغ ولا يرخَّص ذلك اليوم لاحد من المكلفين في حركة الحركات المحقرات المستصغرات الا اذا كان قد فعلها بالحق.
- **(لم يَجُرْ)** مضارع جار . ولم ير التستريّ المعنى مستقيما في هذه الرواية فقال: « الاخير بلا وجه لانه لا معنى لان يقال : لم يكن يومئذ جور إلا بحقه»[٧].

واعتمد التستريّ على المعجم العربي في تصحيحه للروايات أو رفضها من ذلكّ أنه لما وقف على قوله (ع) يصف الدنيا في آخر الزمان : **(** قَدْ دَرَسَتْ مَنَاهِجُ التُّقَى وظَهَرَتْ أَعْلامُ الرَّدَى فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا...)[٨] قال : « متجهمة اي: متلقيتهم بالغلظة ، وقال الخوئي وفي نسخة (متهجّمة لأهلها) قلت: هي تحريف لانه لا يقال : تهجّم لفلان بل على فلان والنسخة انما تنقل فيما احتملت صحتها »[٩] .

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢٧، ص : ٤٤٢ .
(٢) المعتزلّي ٢٦٧/١١ .
(٣) ينظر : المقاييس ٩١ .
(٤) نهج البلاغة ١٢/١
(٥) التستريّ ١٤٢/٢
(٦) نهج البلاغة الخطبة ٢٢٣ ، ص: ٤٣٦
(٧) التستريّ ١٢/ ٢٠٣ وينظر: الخوئي ٢٧١/١٤
(٨) نهج البلاغة الخطبة ٨٩ ص ١٤٥
(٩) التستريّ ١٧٨/٢ وينظر: المقاييس١٠٦٥ .

وكان التستريّ يعتدّ بنسخة الرضيّ التي اعتمد عليها البحراني إذا ما اختلفت مع نسخة المعتزلّي من ذلك ان الروايات اختلفت في ما ورد في الخطبة الشقشقية : (أَما وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ)[١] ، فالمعتزلّي روى : (ابن أبي قحافة)[٢] ، وروى البحراني :(فلان)[٣] فرجّح التستريّ (فلان) على (ابن أبي قحافة) مع ان هذه الأخيرة هي الشائعة ، قائلا: « والصواب كون النهج بلفظ : فلان ، وان كان اكثر اسانيد الخطبة بلفظ : ابن أبي قحافة ، لتصديق ابن ميثم البحراني الذي نسخته بخط المصنّف »[٤].

وكان الشّراح القدماء قد سبقوا إلى المقابلة بين نسخ النهج وإيراد الروايات المتعددة فيها لكنهم أوردوا من الروايات ما له وجه في العربية ويستقيم معه كلام الإمام . ولذا لم يفاضل أكثرهم بين رواية وأخرى في الغالب . من ذلك أنهم لما وقفوا على قوله (ع) في خطبة يحث فيها على الجهاد : (...فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ ... وَسِيمَ الخَسْفَ ، وَمُنِعَ النَّصَفَ)[٥] اطبق الشّراح على ان (سيم الخسف) روي- ايضا- (سيماء الخسف)[٦] ، ووجهوا : (سيم الخسف) بأُلِي ذُلا ، وكُلّف مشقة ، وأُذيق عذابا كما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**

﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[٧] أي : يذيقونكم او يولونكم[٨] . و(سيم) معطوف على ألبسه . وأما (سيماء الخسف) فعلامته وهو معطوف على (الذل) ومنه قوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[١٠] أي : علامتهم[١١]. ورجح المعتزلّي رواية (سيم) على (سيماء) ؛ لانها « بين افعال متعددة بنيت للمفعول به ، وهي (دُيّث)،(ضُرب) و (أُديل) و(مُنع) ولا يمكن ان يكون ما بين هذه الافعال معطوفا عليها الا مثلها ولا يجوز ان يكون اسما »[١٢] .

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٣ ص : ٢٨

(٢) ينظر: المعتزلّي ١٥٠/١

(٣) ينظر:البحراني ٢٥٠/١

(٤) التستريّ ١٠/٥

(٥) نهج البلاغة الخطبة ٢٧ ص :٦١

(٦) ينظر: البيهقّي١١٦ والراوندّي٢١٣/١ والكيدريّ٢٣٧/١ والمعتزلّي٧٦/٢ والبحراني ٢/ ٣٢ والسرخسي٦٣/١ والخوئي ٣٩٠/٣ ومغنية١٨٦/١ والتستريّ٥٠١/١٠ وابو الفضل ٧٥/١ وأنصاريان ١٣٠/١ والشيرازي ١٥٠/١ والموسوي ٢٢٠/١

(٧) البقرة ٤٩

(٨) ينظر: مجمع البيان ٢٠٣/١-٢٠٤ ومعاني القران وإعرابه١١٩/١ .

(٩) الفتح ٢٩

(١٠) الرحمن ٤١

(١١) ينظر: معاني القران وإعرابه٢٤/٥ ، ٨٠-٨١ .

(١٢) المعتزلّي ٧٦/٢

وكان التستريّ يكثر من الردّ على المعتزلّي في انتقائه الروايات انتقاءً يختلف عن سائر الشّرّاح قبله أو بعده فيقوّي التستريّ اختيار الكثيرين ليعضد ما ضعّفه المعتزلّي ويضعّف ما صحّحه . من ذلك ما ورد في قوله (ع) يصف قوما : (وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْرًا بِغَيْرِ الْحَقِّ ، فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللهِ فَأَكْذَبَهُمْ)[١] . إذ رجّح المعتزلّي رواية أخرى وهي (تألّوا) بدلا من (تأوّلوا)، ومعنى تألّوا : حلفوا ، من الألّية وهي اليمين ، وفي الحديث : (من يتألّ على الله يُكْذِبه)[٢]، فيكون المعنى : من اقسم تجّبرا واقتدارا لأفعلن كذا أكذبه الله ولم يبلغ امله[٣] ، وأما سائر الشّرّاح فرجحوا : (تأوّلوا) ، ومعناه : حرفوا الكلم عن مواضعه ، وتعلقوا بشبهة في تأويل القرآن انتصارا لمذاهبهم وارائهم فاكذبهم الله بان اظهر للعقلاء فساد تأويلهم[٤] . ومن هنا ردّ التستريّ المعتزلّي بقوله : « تأولوا هو الصحيح فلم نجد غيره ولم ينقل غيره الراوندّي وابن ميثم ، ونسخة ابن ميثم بخط مصنفه »[٥] . وعلى العموم أكثر الشّرّاح المحدثون من التصريح بأن بعض الروايات خطأ أو تحريف أو تصحيف أو من زيادات المحشين[٦] .

٤ - ذكرمناسبة الخطب .

عني شراح النهج – لاسيما اصحاب الشروح الطويلة كالمعتزلي والبحراني والخوئي والتستريّ– بسبب القاء الخطبة والمناسبة التي قيلت فيها ، وزمنها ، وحال الإمام (ع) عند القائها اواقفا كان ام جالسا؟ ، في حرب هو ام في سلم؟، وغير ذلك من الامور المتعلقة بالخطب لحظة قولها . وقد سبق الشريف الرضيّ الى العناية بأحوال الخطب في عدة مواضع فتابعه الشّرّاح فيما قال ، ولم يختلفوا فيما بينهم في الخطب التي وصف الرضيّ شأنها وحالها لأن قوله حجة عليهم . وثمة خطب اخرى لم يذكر الشريف الرضيّ شيئا عن مناسبة قولها فظهر بين الشّرّاح خلاف في شان إيرادها. فمثال ما وثقه الرضيّ بشأن ايراد الخطب ، الخطبة التي ورد فيها : (مَا هِيَ إلا الكُوفَةُ أَقْبِضُها وَأَبْسُطُها)[٧] فذكر الشريف الرضيّ سبب قول هذه الخطبة ، وهو ان الأخبار تواترت على الإمام (ع) باستيلاء اصحاب معاوية على البلاد ، وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما : عبيد الله بن عباس ، وسعيد بن نمران ، لما غلب عليهما بسر بن أبي ارطأة ، فقام عليه السلام على المنبر ضجرا لتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي ، فقال الخطبة[٨] . وقد أطبق الشّرّاح على ترديد ما قاله الرضيّ بشأن هذه الخطبة بالمعنى تارة وباللفظ تارة اخرى فخلصوا الى انها خطب بها امير المؤمنين (ع) بعد فراغه من صفين وانقضاء أمر الحكمين والخوارج وهي من أواخر خطبه (ع)[٩].

---

(١) نهج البلاغة ، الرسالة ٤٨ ، ص:٣٦٣ .

(٢) النهاية ٦٢/١.

(٣) ينظر: المعتزلّي ١٢/١٧.

(٤) ينظر: البيهقّي ٣٨٦ والراونديّ ١٦١/٣ والبحراني ١٢٥/٥ والخوئي ١٣٥/٢٠ وأنصاريان ٢٢٠/٣ والشيرازي ١٣٠/٤ .

(٥) التستريّ ٥٨٩/٧ .

(٦) ينظر: الخوئي ١٨/ ٦٦ومغنية ٣٠٠/٤ والتستريّ ٣١٧/٧

(٧) نهج البلاغة الخطبة ٢٥ ، ص: ٥٧ .

(٨) ينظر: نهج البلاغة ص:٣٢

(٩) ينظر : والروانديي ١٩٨/١ والمعتزلّي ٣٣٣/١ والبحراني ١٨/٢ والخوئي ٣٥٠/٣ والتستريّ ٤٦٩/١٠ والشيرازي ١٣٩/١ .

ومثال الخطب التي اهمل الرضيّ ذكر مناسبة قولها الخطبة التي اّولها : (ألا وإنّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ)[١] فاختلف الشّرّاح في شأنها على وفق ما جاء في قول المعتزلّي :« هذه الخطبة ليست من خطب صفين كما ذكره القطب الراونديّ ، بل من خطب الجمل ، وقد ذكر كثيرا منها ابو مخنف – رحمه الله تعالى- ، قال : حدثنا مسافر بن عفيف بن أبي الاخنس ، قال : لما رجعت رسل علّي(ع) من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب ، قام فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله (صلى الله عليه وآله) ثم قال :....»[٢].

ويبرزالشارح المعتزلّي من بين الشّرّاح بحرصه الشديد في رصد الوقائع والاحداث المصاحبة لكل خطبة ، وله في ذلك عدة اسانيد وروايات تعضد ما ذهب اليه ؛ لانه مؤمن بان العلم بما يحيط بالخطبة يعين على فهمها واستيعاب مضمونها . وقد خصص الدكتور محسن الموسوي في كتابه : مدخل الى علوم نهج البلاغة فصلا بعنوان: (شأن ايراد الخطب والرسائل والحكم) جمع فيه (٢٤١) شأنا للخطب ، و(٧٩) شأنا للكتب والرسائل ، و(٤٨٠) شأنا للحكم والمواعظ ، ونقل معظم الشؤون والمناسبات عن شروح النهج لاسيما شرح المعتزلّي[٣].

٥- ذكراسماء الخطب.

بلغت عناية الناس بخطب الإمام (ع) انهم اخذوا يضعون لها اسماء يميزون بها الخطب بعضها من بعض ، وتلك الاسماء مستقاة من مضامين الخطب ، او المناسبات التي قيلت فيها ، او الالفاظ المهيمنة فيها ولا خلاف في ان اسماء خطب الإمام (ع) عرفت بين المصنفين والادباء قبل زمن الرضيّ بكثير ؛ لان الرضيّ ذكر كثيرا من تلك الاسماء ، فضلا عن وجود عدة مصادر قبل الرضيّ ذكرت هذه الاسماء ، منها : العقد الفريد لابن عبد ربه ، الذي ذكر : الغراء ، والزهراء[٤] ، وذكر ذلك فريق من العلماء في كتبهم ، منهم الكليني ، والصدوق ، وابن شعبة الحراني[٥] . وكذا عني الشّراح تبعا للرضي بذكر اسماء هذه الخطب وقد جمع التستريّ هذه الأسماء وهي : « الاشباح ، التوحيد ، الهداية ، الملاحم ، اللؤلؤ ، الغراء ، القاصعة ، الافتخار ، الدرة ، اليتيمة ، الزهراء ، الاقاليم ، الوسيلة ، الطالوتية ، القصبية ، النخيلة ، السليمانية ، الناطقة ، الدامغة ، الفاضحة ، المونقة ...»[٦]. وكان الشّراح يفسرون سبب التسمية كخطبة (الأشباح) ، وهي برقم (٩٠) من خطب النهج وقد ذكرها الرضيّ بهذا الاسم[٧] ففسر الشّراح سبب تسميتها بالأشباح بأن الخطبة تشتمل على لفظ (الاشباح اوالاشخاص) ، فالاشباح الكائنات غير المرئية، والاشخاص الكائنات المرئية[٨]. وكذا الخطبة الغراء ، وهي برقم (٨٢) في النهج ، وسميت بالغراء « لما اشتملت عليه الفاظها من انواع المحسنات البيانية والبديعية من الانسجام والترصيع ، والتجنيس ، والسجع ، والمقابلة

---

(١) نهج البلاغة ،الخطبة ٢٢ ، ص :٥٢ .
(٢) المعتزلّي ٣٠٥/١ وينظر: الراونديّ ١١٨٨
(٣) ينظر: المدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٧١- ٣٩٠.
(٤) ينظر: مصادر نهج البلاغة٤٧/١- ٤٨
(٥) ينظر: العقد الفريد٤١٦٣ و١٦٧-١٦٩ .
(٦) التستريّ ٨/٥-٩
(٧) ينظر: نهج البلاغة ، الخطبة ٩١ ، ص : ١٤٨.
(٨) ينظر: البيهقّي ١٦٩ والراونديّ ٣٧٧/١ والكيدريّ ٤٤٣/١ والمعتزلّي ٣٩٨/٦ والبحراني ٨٨/٢ والسرخسي ٩٠/١ والخوئي ٩٠/٦ والتستريّ ١٩٧/١والشيرازي ٣٨/٢ .

والموازنة ، والمجاز ، والاستعارة، والكناية وغيرها»[١] . وكذا الخطبة الشقشقية : وهي برقم (٣) في النهج ، وهي من الخطب المشهورة التي اطبق الشّراح على تسميتها بالشقشقية ، ووجه التسمية ان الإمام (ع) قال لابن عباس وقد سأله الاطراد فيها : (هَيْهاتَ يَابْنَ عَبّاس! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ)[٢] ، والشقشقة صوت يردده البعير في رئته اذا هاج[٣] . وذكر فريق منهم انها « تعرف بالمقمصة –ايضا- من حيث اشتمالها على لفظ التقمص الوارد في اولها ، وهو نظير التعبير عن السور بأشهر الفاظها كالبقرة وال عمران »[٤] .

وثمة أسماء لخطب تلمس الشّراح عدة أوجه لاسمها الذي عرفت به كالخطبة القاصعة : وهي برقم (١٩٠) وتتضمن ذم ابليس ولعنه لاستكباره وتركه السجود لادم (ع) ، إذ ذكر الراونديّ ثلاثة أوجه لتسمية الخطبة بالقاصعة قائلا : « وأنما سميت هذه الخطبة بالقاصعة لأحد الوجوه الثلاثة : أحدها لأن المواعظ والزواجر فيها مرددة من أولها إلى آخرها من قولهم : قصعت الناقة بجرتها أي : ردتها إلى جوفها وأخرجتها فملأت فاهها ، فكأن هذه الخطبة تكرار الوعد والوعيد وتردد الأوامر والنواهي والثاني : أن يكون من قصع القملة وهو أن يهشمها ويقتلها فكأن الخطبة هي القاتلة لأبليس والهاشمه له والثالث : أن يكون من قولهم قصعت الرجل قصعا أي صغرته وحقرته فكأن هذه الخطبة صغرت

كل جبار وكل عبد متكبر وإن كان مسلما»[٥] ونقل معظم الشّرّاح هذه الاوجه كلها او بعضها عن الراونديّ[٦]. وانماز المعتزلّي من الشّرّاح بذكره اسماء خطب اخرى لم يذكرها الرضّي في جمعه النهج ، كالمونقة ، وخطبة البصرة ، وخطبة القصية[٧].

٧- تتّبع أوجه التفسير المتعددة .

عني شرّاح النهج بسرد الأوجه التفسيريّة المحتملة لطائفة من الالفاظ او التراكيب وهي سمة منهجية لدى فريق من الشّرّاح تفصح عن سعة ادراكهم وعمق تفكيرهم وشدة اهتمامهم بالنهج ، وهذا التعدد في تلمس الأوجه المحتملة جاء لدى الشّرّاح على متن النهج كله : ألفاظه وتراكيبه وأسماء خطبه ومناسبة قولها وأماكن قولها وغير ذلك . فأما ألفاظ النهج فتعدّد الأوجه التفسيرية فيها يعدّ أمرا جلّيا لدى الشّرّاح جميعا كقول المعتزلّي : « يحتمل (تبارك الله) معنيين : احدهما ان يراد تبارك خيره وزادت نعمته واحسانه ، وهذا دعاء ، وثانيهما : ان يراد به تزايد وتعالى في ذاته وصفاته عن ان يقاس به غيره وهذا تمجيد »[٨] ، وهنا جوز المعتزلّي في باب البلاغة أن يكون (تبارك الله) خبرا وإنشاء معا . على حين جوز البحراني أن يكون للتركيب وجهان – أيضا - في باب الاشتقاق فقال : « تبارك : قيل مشتق من البروك المستلزم للمقام في موضع واحد ... وقيل من البركة وهي الزيادة وبالاعتبار الاول

---

(١) الخوئي ٧٠/٦ . (٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٣ ، ص :٣٣ .

(٣) ينظر: المعتزلّي ٢٠٥/١ والبحراني ٩٧/١ والخوئي ١١٣/٣.

(٤) الخوئي ٣٤٥/٢ . (٥) الراونديّ ٢٢٧/٢ .

(٦) ينظر: الكيدريّ ٣٣٩/٢ والمعتزلّي ١٢٨/١٣و الخوئي ١٣٤/٣ والتستريّ ٣/٧ وأبو الفضل ٨٩/٢ .

(٧) ينظر: المعتزلّي ٣٠/١ ، ١٣٤/٦ ، ١٢٨/١٣ . (٨) المعتزلّي ٦١/٧ وينظر : ٣٧/١٩ .

يكون اشارة الى عظمته باعتبار دوام بقائه ... وبالاعتبار الثاني اشارة الى فضله وإحسانه ولطفه وهدايته »[١] . وفسر التستريّ التخريب في قوله (ع) يذكر الأموات :(وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِي مَا خَرَّبُوا)[٢] ، فقال : « يجوز أن يريد عليه السلام تسكنون في مساكنَ خرّبوها بترك العبادة ، وان يريد في مساكن اخلوها ، واطلق الخراب عليه مجازا ، والثاني اقرب ، وانما يطلق التخريب بترك العبادة على بيت الاخرة لا بيوت الدنيا »[٣].

وأما تفسير تراكيب النهج وعباراته فقد كثرت لدى الشّرّاح أوجهها ، من ذلك ان الراونديّ لما وقف على قوله (ع) : (مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً)[٤] جمع ثلاثة أوجه في تأويل هذا القول نقلا عن السابقين « أحدها : ما قاله أبو عبيد: إنّ المراد به ، من أحّبنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجُرُه من الثواب والقرب الى الله ، ولم يرد به الفقر في الدنيا ؛ لأنّا نرى في من يُحبّهم كما في سائر الناس من الغنى والفقر ، وقال ابن قتيبة فيه وجها ثانيا وهو أنه أراد ، من أحّبنا فليصبر على القليل من الدنيا والتقّنع منها ، وقال المرتضى فيه وجها ثالثا ، اي من احّبنا فليلزم نفسه وليقدها الى الطاعات ، وليذللها على الصبر عما كره منها »[٥] .

ومن العبارات التي جوز الشّرّاح أكثر من وجه في شرحها قوله لأصحابه عند الحرب : (لا تَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ ، لاَوَجْوَلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ)[٦] فالجملتان : (بعدها كرة) و(بعدها حملة) في محلّ نعت للكرة والجولة . وقد فهم الشّرّاح من تقديم الفرة على الكرة والجولة على الحملة أن الإمام (ع) يأمرهم بخداع العدو فيتظاهروا بالفرار أولا ، ثم يكرّون عليه فيتمكّنوا منه وإنما نهاهم عن أن يشتدّ عليهم فرارهم الأول ؛ لأن الفرار بين العرب صعب وشديد وفيه العار والذلة ولم يعهده العرب خدعة في القتال قبل مجيء الإسلام[٧]. وجوّز الرواندي أن يكون المراد : فلا تشتدنّ عليكم فرّة من عدوكم بعدها كرّة منه عليكم لأن كرّته عليكم بعد فراره لم تكن من قلوب ثابتة ونيات صحيحة . وفي هذا الاحتمال يكون تقديم الفرّة دليلا على تحقير الكرة التي تتلوها ويكون تقديم الجولة تحقيرا للحملة بعدها[٨]. واحتمل البحراني وجها ثالثا وهو أن يكون المراد أنكم إذا اتفق لكم أن فررتم فرّة عقبتموها بكرة فلا تشتدنّ عليكم تلك الفرة فتخجلوا فإن الكرّة ماحية لعار الفرّة[٩].

ويدخل في باب تعدد أوجه التفسير ان الشّرّاح تحرّوا الروايات المحتملة للفظة الواحدة فيختلف المعنى تبعا لاختلاف الرواية . وهذا الاختلاف يكون في الغالب واقعا بحركة مخالفة بين رواية واخرى . من ذلك ما في قوله

---

(١) البحراني ٣٤٩/٢ وينظر: ١٥٥/١.
(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢١ ، ص : ٤٢٥.
(٣) التستريّ ٢٢٧/١١ .
(٤) نهج البلاغة ، الحكمة ١٢٢ ، ص:٦٢١ .
(٥) الراونديّ ٣١١/٣ .
(٦) نهج البلاغة الرسالة ١٦ ، ص:٤٧٣
(٧) ينظر :الراونديّ ٤٤/٣ والمعتزليّ١١٤/١٥ والبحراني ٣٨٧/٤ والخوئي ٢٠٨/١٨ والتستريّ ٤٩٨/١٣ وأنصاريان٣/ ٢٣٥ والشيرازي ٤٥٦/٣ .
(٨) ينظر: الراونديّ ٤٤/٣
(٩) ينظر: البحراني ٣٨٧/٤

(ع) : (أَصْبَحَتِ الأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رَعَايَاهَا ، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي)[١] إذ جوز الراونديّ أن يكون (تخاف) بضم التاء وفتحها وإن لم ترد رواية بالضم لأنهما وجهان صالحان في العربية فـ : « تُخاف على ما لم يسم فاعله ، اي صارت الامم يخافون ان يظلموا راعيهم ، واذا روي (تخاف) بفتح التاء ، اي : كانت الامم خائفة من ان يظلمهم راعيهم وصرت خائفا من ظلم رعيتي »[٢].

وقد يتخذ سرد الأوجه المتعددة في تفسير متن النهج لدى الشّرّاح طابعا خلافيا بينهم وعلى العموم جاء الخلاف بين الشّرّاح سمة بارزة في أقوالهم لا سيما في تفسيرهم ألفاظ النهج وعباراته . فمن ذلك أن الإمام لما سئل عن مقتل الخليفة الثالث قال : (إنّ الناسَ قَدْطَعَنُوا عليهِ ، فكُنْتُ رَجُلا من المُهاجرين أُكْثِرُ استعتَابه ، وأُقِلُّ عِتَابه)[٣] فذهب فريق من الشّرّاح إلى أنّ : (أُقِلُّ عِتَابه) بمعنى آتي به قليلا فيكون أُقِلّ نقيضا لأستكثر[٤].

وذهب بعضهم إلى أن معنى « أقل ليس قبال أكثر وإن جعل قباله في اللفظ بل المراد أن أقل هنا بمعنى النفي ، أي : ما عاتبت عليه قط وهذا اللفظ يستعمل كثيرا في نفي أصل الشيء وفي الحديث **(إنه كان يقلّ اللغو)**[٥] أي : لا يلغو أصلا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[٦] أي : لا يأمنون قطّ »[٧] .

ومنه أن فريقا من المسلمين نُكروا بحضرة الإمام علي (ع) وقد اعتزلوا القتال معه ، ولم يحاربوا ضدّه ، فقال فيهم : (خَذَلُوا الحَقّ ، ولْم ينصروا الباطلَ)[٨] ، ثّم اختلف الشّراح في مراد كلام الإمام هذا فقال المعتزلّي : « يدل هذا القول من الإمام أنه راض عنهم»[٩] ،وقال البحراني :« يجري هذا الكلام مجرى العذر عنهم»[١٠] ، وأما مغنية فلم ير « ذّما أوجع وأقذع من هذا كيف وقد تهيأت لهم الأسباب الكافية الوافية لمناصرة الحق وخذلان الباطل ؟ ومع هذا تجاهلوا واحجموا»[١١]. واستدل على رأيه هذا بقوله تعالى :﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ** ﴾[١٢] وبقول الرسول (صلّى الله عليه وآله) : (الساكت عن الحق شيطان أخرس)[١٣] ، وبكلام الإمام (ع) في موضع آخر: (أيَّ دارٍ بَعْدَ دَارِكُم تَمْنَعُونَ ، وَمَعَ أيِّ إمامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟)[١٤] . ولم تخل شروح النهج من عرض مسائل الخلاف النحوي بين علماء المدرستين كخلافهم في إعراب قراءة :﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ** ﴾[١٥]، برفع

---

(١) نهج البلاغة الخطبة٩٧ ، ص:١٧٧ . (٢) الراونديّ ٤٣١/١ .

(٣) نهج البلاغة ، الرسالة١ ص:٤٥٩ . (٤) ينظر :الراونديّ١٢/٣ والمعتزلّي ٧/١٤ والبحراني ٣٣٩/٤ .

والسرخسي ٢٢٥/١ وعبده٢/٢ ومغنية٣٧٦/٣ والتستريّ ٣٠٨/٩ وانصاريان١٢/٣ والشيرازي٤٢٥/٣ .

(٥) سنن النسائي رقم : ١٣٩٧ وسنن الدارمي : رقم ٧٤.

(٦) البقرة ٨٨ . (٧) الخوئي ١٩٦/١٦ -١٩٧ ويظر :الكشاف ٢٩٥/١ .

(٨) نهج البلاغة : حكمة ١٨ ص :٦٠١ . (٩) المعتزلّي ١١٥/١٨.

(١٠) البحراني ٣٨٤/٤ (١١) مغنية ٤٧/٦ .

(١٢) الحجرات ٩ (١٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٢٠

(١٤) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٩ ، ص : ٦٧ . (١٥) الأحزاب ٥٦ .

ملائكته[١] فقد أورد بعض الشراح[٢] خلاف النحويين في هذه المسألة إذ جوز الكوفيون العطف على اسم إن بالرفع قبل استيفاء الخبر فيكون (ملائكته) معطوفا على موضع اسم أن . وأعربه البصريون مبتدا ثانيا وخبر إن محذوف والتقدير: إن الله يصلي والملائكة يصلون على النبي ؛ لأنهم منعوا العطف على اسم إن بالرفع قبل تمام الخبر[٣].

٨- تلمس علل التعبير في نهج البلاغة .

عني شراح النهج بتلمس السبب الذي من أجله جاءت الفاظ النهج على ما هي عليه ، وأول من جاء بالتعليل الرضّي في تعليقاته على النهج ، ومنها أنه لما أورد قوله (ع) في الخطبة الشقشقية : (فَصَاحِبَ كَوَاكِبِ الصَّعْبَةِ ، إِنْ أَشْنَقَهَا خَرَمَ ، وإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ)[٤] ، قال : « إنّما قال (ع) أشنق لها ولم يقل أشنقها ؛ لأنّه جعل ذلك في مقابلة أسلس لها ، وهذا حسن لأنهم إذا قصدوا الازدواج في الخطابة فعلوا مثل هذا...»[٥]. وشايع جلّ الشّراح المصنف فعللوا :

(اشنق لها) مع ان الفعل يرد متعديا في الغالب لأنه جعل في مقابل قوله :**(اسلس لها)**[٦]. ومثل هذا أن المعتزلّي لّما وقف على قوله (ع) لأخيه عقيل : (أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيْدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِعَبِهِ ؟ وَتَجُرُّنِي إِلى نارٍ سَجَرَها جَبَّارُها لِغَضَبِهِ) [٧] قال : « انسانها، أي : صاحبها ، ولم يقل انسان ؛ لانه يريد ان يقابل هذه اللفظة بقوله : جبارها»[٨].

ولّما وقف المعتزلّي على قول الإمام (ع) يذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، في مَعَادِنِ الكَرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ السَّلامة .)[٩] ، قال : « المهاد الفراش ، ولّما قال :(في معادن)، وهي جمع معدن ، قال بحكم القرينة والازدواج : ومماهد ، وان لم يكن الواحد منها ممهد ، كما قالوا : الغدايا والعشايا، ومأجورات ومأزورات، ونحو ذلك »[١٠] وكرّر اخرون قول المعتزلّي هذا بتمامه[١١] ،على حين خرّج البحراني اللفظة على القياس فرأى أن المفرد (ممهد) والميم زائدة[١٢] ،ووافقه في قوله هذا فريق من الشراح[١٣] .وكثيرا ما صرّح الشّراح بعلّة المزاوجة ، كما في تعليلهم ما في قوله (ع) :(وإنّ لكُم عندَ كُلّ طاعةٍ عَوْنا مِنَ اللهِ ... فيه كِفاءٌ لُمكْتَفٍ، وشفاءٌ مُشْتَفٍ)[١٤] ، اذ الوجه ان يقال : (كفاية لمكتف) ، وانما قال : كفاء لاجل الازدواج مع شفاء[١٥] .

---

(١) ينظر: الكشاف ٢٧٢/٣ .
(٢) ينظر : الخوئي ٢٠٥/٥
(٣) ينظر: الإنصاف ١٨٥/١-١٩٥
(٤) نهج البلاغة الخطبة ٣ ، ص: ٢٩ .
(٥) نهج البلاغة ٣٣ .
(٦) ينظر: الراونديّ ١٣١/١ والمعتزلّي ٢٠٣/١ والبحراني ٢٦٧/١ والخوئي١١٠/٣ والتستريّ ٢٥٧/٥ والشيرازي ٧٥/١
(٧) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٤٤ ص :٤٣٨
(٨) المعتزلّي ٢٤٧/١١
(٩) نهج البلاغة الخطبة ٩٦ ص :١٧٦
(١٠) المعتزلّي ٦٨/٧
(١١) ينظر:عبده ٢٠٣/١ والخوئي ١١٧/٧ وأبو الفضل ٢١٥/١ وانصاريان ٣٢٤/١ .
(١٢) ينظر: البحراني ٤٠١/٢.
(١٣) ينظر: ومغنية ٦٨/٢ والشيرازي ١٠٨/٢ .
(١٤) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٥ ص :٢٤٩ .
(١٥) ينظر: الرواندي ٣٤٥/٢ والمعتزلي ٧٢/١١ والبحراني ٣٢/٤ والخوئي ٨٩/١٤ .

المذكور بعده كما قالوا : الغدايا والعشايا[١] . وثمة اسماء لعلل اخرى غير المزاوجة والمقابلة كما في تعليلهم مجيء الفعل مبنيا للمجهول دون المعلوم في قوله (ع) في الاستسقاء : (نَدْعُوكَ حِيْنَ قَنَطَ الأَنَامُ ، وُمنِعَ الغَمَامُ وَهَلَكَ السَّوَامُ)[٢] إذ قال الراونديّ : « وانما قال : مُنِع الغمامُ على ما لم يسم فاعله ، ولم يضف المنع الى الله الذي هو الفاعل لذلك تاديبا واعلاما بان الله لا يغّير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، فكأّنهم هم المغيرون»[٣] ، فقد سمى الراونديّ هذه العلة بالتأدب وهو اسم غريب بين علل العربية ، على حين سماها المعتزلّي بالكراهة فقال : إنه « بنى الفعل للمفعول به ؛ لانه كره ان يضيف المنع الى الله وهو منبع النعم»[٤].

وكثيرا ما ألمح الشّراح إلى علّة الحمل على وفق ما جاء لدى المعتزلّي الذي بين سبب ظهور الواو في الفعل (اعتور) بانه في معنى تعاوروا ، فحمل عليه ، ولو لم يكن في معناه لأُلِدَّت[٥]. وصرحوا بعلة المشابهة على وفق قول الراونديّ

معللا ما جاء في قوله (ع) : (واحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا ولا نَادِمِيْنَ)[٦] : « خزايا جمع خزيان نحو سكران وسكارى ، وحيران وحيارى ، وانما كسروا فعلان على فعالى تشبيها بصحراء صحارى وبابه»[٧] . ومن أمثلة علة المشابهة جمع الضمير على الضمائر تشبيها بالسريرة والسرائر ؛ لأن فعيل لا يجمع على فعائل[٨] ، وصرح فريق منهم بعلة التغليب كما في قول الإمام (ع) : (حَتّى لَقَدْ وَطِئَ الحَسَنانُ)[٩] ، إذ غلب اسم الأكبر وهو الحسن عليه السلام[١٠] .

ومال بعضهم الى تعدد العلل في الحكم الواحد ، كما في قول المعتزلّي شارحا قوله (ع) : (مِنَ الوالِدِ الفانِ ،الُمقِرِّ للزَّمانِ ...إلى المَوْلُودِ الُمؤَمَّلِ ما لا يُدْرَك)[١١] : « حذف الياء ها هنا للازدواج بين الفان والزمان ، ولانه وقف وفي الوقف على المنقوص يجوز مع اللام حذف الياء واثباتها »[١٢].

---

(١) ينظر: المعتزلّي ١١/٧١-٧٢ والخوئي ٨٩/١٤ وأبو الفضل ٢٠٧/٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١١٥ ص:٢١٦.

(٣) الراونديّ ١٨/٢.

(٤) المعتزلّي ٢٦٦/٧.

(٥) المعتزلّي ٣١/٧ ، من الخطبة ٩١ ص ١٦٨ (ولا اعتَوَرَتْ في تنفيذِ الأُمورِ وتدابيرِ المَخْلُوقِيْنَ مَلَالَةٌ) .

(٦) نهج البلاغة الخطبة ١٠٦ ص ١٩٣.

(٧) الراونديّ ٤٥٦/١ وينظر: الخوئي ٢٥٦/٧.

(٨) ينظر: الخوئي ٢٧٩/٧.

(٩) نهج البلاغة الخطبة ٣ ، ص٣١ .

(١٠) ينظر: الرواندي ١٢٩/١والكيدريّ٢/ ١٨٤ والمعتزلّي ٢٠٠/١ والبحراني ٢٦٥/١ والخوئي ١٠٣/٣

(١١) نهج البلاغة الرسالة٣١ ص:٤٩٦.

(١٢) المعتزلّي ٥٣/١٦

المطلب الثالث : بيان أثر النهج في التراث العربّي

أدرك الشّرّاح جميعا أثر النهج الواضح في التراث الإسلامي واللغة العربية ، فاجتهدوا في تلمس ذلك الاثر لتتخذ عنايتهم بتتبُّعه عدّة جوانب ، أهمها :

١ - بيان أثر النهج في تفسير القرآن الكريم .

حفظ الإمام علّي (ع) القرآن الكريم كلّه بعد ان كتبه بيده ووقف على اسراره وعلم محكمه ومتشابهه وتفسيره وتأويله ، والقارئ يدرك جليا اثر القرآن الكريم في نهج البلاغة من موضع الى اخر لكثرة ما اقتبسه الإمام من لفظ القرآن الكريم ومعانيه وقد كان من الطبيعي ان يقتبس الإمام (ع) من القرآن لفظه ومعناه لانه طرق في نهجه الابلغ بحوثا في التوحيد واسرار الكون وطبائع الناس وتشريح النفوس وبيان خصائصها واصنافها ، ووصف مداخل الشيطان ومخارجه ، وفتن الدنيا وافاتها والموت واحواله ، وبدء الخلق ووصف الارض والسماء والملائكة وخطب في السياسة وشؤون الناس من

بيعة وعهد ووفاء واختيار الافضل . ثم ان الإمام (ع) لما وصف مظاهر الخلق عموما كانت خطبه تفوح عرفا قرآنيا لم يانس بعبيره الا علّي (ع) الذي خلقه القرآن . وكان الإمام (ع) يفزع الى القرآن يقتبس منه في كل مقام عضدا لقوله وتاكيدا لحجته ، ومن هنا اخذ شراح النهج على كواهلهم بيان اثر القرآن الكريم في النهج وتلمس المواضع القرآنية فيه ، فاهتدوا الى ان النهج اول تفسير للقران ؛ لانه يستشهد بالقرآن في الموضع الذي انزله الله تعالى فيه ، فلا مجال للتاويل او الزيغ عن الحق لان النهج محاكاة للقران. إذ فصّل القرآن الكريم خلق ادم في آيات كثيرة في عدة سور وذكر انه مخلوق من اجرام عدة : (الماء، التراب، الطين اللازب ، الحما المسنون، الصلصال كالفخار، نفخ الروح..) وجمع الإمام (ع) ما تفرق في القرآن في قوله : (ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا ، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلُصَتْ ، لَاَطَهَا بِاللَّزُوجَةِ حَتَّى لَزَبَتْ ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ : أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا ، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا)[1] . ولما وقف الشّراح على هذا نبهوا على أنه يجري مجرى التفسير لقصة خلق آدم (ع) كما أوردها القرآن الكريم في عدة مواضع إذ في هذا القول ترتيب لمراحل خلق ادم بدءا من مرحلة الطين حتى مرحلة خلق الروح[2].

وأبين من تتّبع اثر القرآن الكريم في النهج من الشّرّاح هو البحراني الذي دأب على تلّمس اقتباسات النهج من لفظ القرآن ومعناه في معظم الخطب . وكان كثيرا ما يصرح بان قول الإمام (ع) يجري مجرى التفسير للقران ، لاسيما خطبة الإمام (ع) في خلق السموات والارض وما فيهن ، ففي خلق الملائكة جمع الإمام كل معاني القرآن والفاظه

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١ ص : ٢١

(٢) ينظر: البيهقّي ٦٢ والراوندّي ٧١/١-٧٢ والكيدريّ ١٣٦/١والمعتزلّي ٩٧/١-٩٨ والبحراني ١٧٠/١والسرخسي ٤١/١-٤٢ وعبده ٢٢/١ والخوئي ٣٩/٢ ومغنية٤١/١-٤٢ والتستريّ ٥٧٧/١-٥٧٩ وأبو الفضل ٢٠/١ وانصاريان ١٤٤ والموسوي ٣٦/١.

التي تفصل خلقهم فجاء قوله (ع) تفسيرا جليا للقران ، فـ(قوله (عليه السلام) : (ثم فتق ما بين السموات العلى) كقوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا** ﴾[1] وقوله : (فملأهن أطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون) كقوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا** ﴾[2] وقوله : (وصافون لايتزايلون) كقوله تعالى:﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** ﴾[3] و﴿**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا** ﴾[4] وقوله : (مسبحون لا يسأمون) كقوله تعالى :﴿ **يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ** ﴾[5] وقوله : (ولا فترة الأبدان) كقوله تعالى : ﴿ **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** ﴾[6] وقوله : (ومنهم أمناء على وحيه) كقوله تعالى : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ** ﴾[7] وقوله : (وألسنة إلى رسله) كقوله تعالى :﴿ **جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا** ﴾[8] وقوله: (مختلفون بقضائه وأمره) كقوله تعالى : ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ** ﴾[9] وقوله : (ومنهم الحفظة لعباده) كقوله تعالى: ﴿ **وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً** ﴾[10] و﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ** ﴾[11] و﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾

[١٢] وقوله : (والسدنة لأبواب جنانه) كقوله تعالى :﴿ **وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا** ﴾[١٣] وقوله : (والمناسبة لقوائم العرش أكنافهم) كقوله تعالى : ﴿ **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** ﴾[١٤] وقوله : (بأجنحتهم) كقوله تعالى : ﴿ **أُولِي أَجْنِحَةٍ** ﴾[١٥] »[١٦] .

وقد نبه الشّرّاح على أن في النهج نوعين من الاقتباس من القرآن ، الأول :الاقتباس اللفظّي ، كقوله (ع) : (الحمدُ لله كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ)[١٧] ، إذ نبّه الشراح[١٨] على أن هذا قبس من قوله تعالى : ﴿ **ومن شرّ غاسق اذا وقب**﴾ [١٩] ، والآخر: الاقتباس المعنويّ ، كقوله (ع) لابنه الحسن (ع) : (ولِزْلِ مَنْ غَالَظَكَ ، فإنّه يُوشِكُ أنْ يَلِينَ لَكَ)[٢٠]. ، فقد نبّه بعضهم[٢١] على ان أصل هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾[٢٢] . ومنه - أيضا - قوله (ع) عند مسيره من الكوفة إلى البصرة : (خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَذا إمّا مظالِماً، وإمّا مَظْلُوماً وإمّا باغيا وإمّا مبغِيّا عَلَيْهِ)[٢٣] فقد قرنه بعضهم[٢٤] بمعنى قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[٢٥] .

---

(١) الانبياء ٣٠ . (٢) الرعد ١٥ . (٣) الصافات ١٦٥ . (٤) الصافات ١ . (٥) فصلت ٣٨ .
(٦) الانبياء ٢٠ . (٧) الشعراء ١٩٣-١٩٤ . (٨) فاطر ١ . (٩) القدر ٤ . (١٠) الانعام ٦١ .
(١١) الانفطار ١٠ . (١٢) الرعد ١١ . (١٣) الزمر ٧١ . (١٤) الحاقة ١٧ . (١٥) فاطر ١ .
(١٦) البحراني ١٩٧/١. (١٧) نهج البلاغة الخطبة ٤٨ ص: ٨٩ .
(١٨) ينظر: الراونديّ ٢٦٦/١ والمعتزلّي ٢٠٠/٢ والبحراني ١٢٦/٢ والخوئي ٢٧٠/٤ والتستريّ ١٩٦/١٠ .
(١٩) الفلق٣. (٢٠) نهج البلاغة الرسالة ٣١ ص ٥١١ .
(٢١) ينظر: أبو الفضل ١٧٩/٢ . (٢٢) فصلت ٣٤ .
(٢٣) نهج البلاغة الرسالة٥٧ ص :٥٧٢ (٢٤) ينظر: الكيدريّ ٥٥٢/٢ .
(٢٥) سبأ ٢٤ .

ولشدّة تأثر أسلوب النهج بالقرآن الكريم تمسّك بعض الشّرّاح المعاصرين بموافقة النهج للقرآن في عضد نسبة النهج إلى الإمام (ع) فقال : « القول الفصل في نسبة النهج الى الإمام هو ان ننظر ونحاكم ما جاء فيه على اساس كتاب الله ، فما وافق منه الكتاب فهو قوله ؛ لانه مع القرآن والقرآن معه ، وما خالفه فلا علاقة له بالإمام لا من قريب او بعيد ... وما من كلمة في نهج البلاغة الا ودل عليها القرآن بالتفصيل او الاجمال ... واعترف باني ادركت هذه الحقيقة بعد ان فسرت القرآن ، وباشرت بشرح نهج البلاغة وكنت من قبل اشبه بالمقلد »[١] .

وقد اجتهد الشّراح في عدة مواضع في التوفيق بين التعبير القرآني ومتن النهج بعد أن وجدوا اختلافا بينهما في ظاهر طريقة نظم الكلام مع أن المعنى واحد بين القرآن والنهج من ذلك أن الإمام قال (الحَمْدُ لله الّذي لا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ لاَ يُحْصِي نَعَمَاءَهُ العَادُّونَ)[٢] إذ نبّه فريق من الشراح[٣] على أن هذا مقتبس من قوله تعالى :﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾[٤] . ثم وفّق الراونديّ بين مجيء النعمة مفردة في القرآن ومجموعة في النهج بأن الله تعالى

دلّ عباده على نعمه العظيمة بأن ذكر نعمة واحدة منها ونسب إليهم العجز في فهم حقيقتها على حين ذكر الإمام الجمع إشعارا إلى أن أصول نعمه تعالى لا تحصى لكثرتها فكيف تعدّ وجوه فروع نعمائه ؟ ثم وجد الرواندي لطيفة عجيبة في إيراد كلامه على لفظ الخبر وفي كون كلام الله تعالى على لفظ الشرط بأن الله تعالى قال لعباده إن أردتم أن تعدّوا نعمة الله لاتقدروا على حصرها ؛ لأن تفاصيلها لا يعلمها إلا الله على حين أخبر الإمام بأنه أنعم النظر فعلم أن أحدا لا يمكنه حصر نعمة الله غيره تعالى[٥] .

وقد أنس الشّراح بما جاء في متن النهج من تفصيل لجانب من القصص القرآني الذي ورد مجملا في القرآن ، كقوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ** ﴾[٦]، وفي هذا دليل على أن بيت الله كان موجودا قبل إبراهيم الخليل (ع) ، وقد نبّه الشراح[٧] على ان آدم (ع) أول من بنى الكعبة مستدلين بقوله (ع) : « إنّ الله سُبْحَانَه اختبَر الأوّلِينَ مِنْ لُدُنْ آدم (صلوات الله عليه) إلى الآخرينَ مِنْ هذا العالَم بأحجارٍ لا تضُرُّ ولا تنفعُ ولا تُبْصِرُ ولا تسْمَعُ ...ثُمّ أَمَر آدَم عليه السلام وَوُلْدَه أَنْ يَثْنُوا أَعْطافَهُمْ نَحْوه فصارَ مثابةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفارِهِم وغايةً لِمُلْقَى رِحالِهِم..)[٨] .وقال تعالى في شأن موسى (ع) لما ألقى السحرة عصيّهم :﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾[٩] وفسّر الإمام (ع) سبب وجس موسى (ع) بقوله : «لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عليه السلام خِيفَةً عَلى نَفْسِهِ بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الجُهَّالِ ودُوَلِ الضَّلالِ »[١] وألمح فريق من الشّراح إلى أن هذا تفصيل لوجس موسى الذي لا يقدح بعصمته[٢].

وجاء في النهج وصف دقيق لأحوال الأنبياء وسلوكهم الذي أجمله القرآن ، كدعاء موسى (ع) : ﴿**فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾[٣] ، فقال الإمام (ع) : (والله ، ما سَأَلَهُ إلاّ خُبْزاً يأكلُهُ ، لأنّهُ كانَ يأكُلُ بقلةَ الأرضِ ، ولَقَدْ كانَتْ خُضْرَةُ البَقْلِ تُرى مِن شَفيفِ صِفاقِ بَطْنِه ، لِهُزالِه وتَشَذُّبِ لَحْمِه)[٤] . وقال تعالى في داوود (ع) : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ** ﴾[٥] ، وزاد الإمام (ع) على صنعة داوود (ع) هذه أنه (كَانَ يَعْمَلُ سَفائِفَ الخُوصِ بِيَدِه ، وَيَقُولُ لِجُلَسائِه : أَيُّكُم يَكْفِيني بَيْعَها وَيأْكُلُ قُرْصَ الشَّعيرِ مِن ثَمَنِها)[٦] . وأخبر (ع) عن عيسى (ع) أنّه : (كَانَ يَتَوَسَّدُ الحَجَرَ وَيَلْبَسُ الخَشِنَ ، وَيأْكُلُ الجَشِبَ ، وكانَ إِدامُه الجُوعَ ، وسِراجُه بِاللَّيْلِ القَمَرَ ، وظِلالُه في الشِّتاءِ مشارِقَ الأَرْضِ ومَغارِبَها ، وفاكِهَتُه

---

(١) مغنية ٦٠/١ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة١ ص١٧ .

(٣) ينظر: الرواندي ٢٥/١ والكيدريّ ١١٤/١ والمعتزلّي٢٩/١ والبحراني ١٠٧/١ والتستريّ ١٤٩/١ .

(٤) ابراهيم ٣٤ . (٥) ينظر: الراونديّ٢٦/١ . (٦) ابراهيم ٣٧ .

(٧) ينظر: الراونديّ ٢٥٣/٢ والمعتزلّي ١٥٨/١٣ -١٥٩ والبحراني ٢٧٩/٤ والخوئي٣٤٠/١١ ومغنية١٣٠/٣ والتستريّ ١٢٥/١٣ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢ص:٣٦٩ .

(٩) طه ٦٧ .

وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم ، ولم تكن له زوجة تفتنه ، ولا ولد يحزنه ، ولا مال يلفه ، ولا طمع يذله ، دلبه رجلاه ، وخادمه يداه !)[٧]

٢ - بيان أثر نهج البلاغة في فهم الحديث النبويّ الشريف .

صحب عليّ (ع) مذ كان وليدا محمّدا (صلى الله عليه وآله) ، ووثق عليّ (ع) هذه الصحبة المبكّرة فقال : (وضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ . وكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ ... وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءٍ فَأَرَاهُ وَلا يَرَاهُ غَيْرِي)[٨] ثم أثمرت تلك الصحبة المباركة معرفة لم يحزها آدمي ، ومصاديق هذه الصحبة أقرّها عليّ (ع) ليس بقرابته من النبي ،وكفالة النبي إياه ،بل أقرّها بالافتداء بالنفس والمبيت على الفراش ، وقتل الصناديد في بدر، والمواساة في أحد ، وهزم الأحزاب في الخندق ، وحمل الراية في خيبر[٩] وغير ذلك مما يطول المقام بذكره . فلا غرو بعد هذا من أن يتمثل الإمام (ع) بحديث النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في خطبه ورسائله وحكمه . وقد نبّه شراح النهج على ما اقتبسه الإمام من كلام النبي (صلّى الله عليه وآله) من حكم وأقوال قصيرة من ذلك ما جاء في النهج : (الحَجَرُ الغَصِيْبُ فِي الدّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرابِها)[١٠] فقد نبّه الشّرّاح تبعا للرضي على أن هذا الكلام يروى للنبي (صلّى الله عليه وآله) ، ووجهوا هذا التشابه بأن الإمام يستقي من بئر النبوة ويفرغ من

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٤ ص ٣٥ .

(٢) ينظر :البيهقّي٨٦ والراونديّ ١٤١/١والكيدريّ ١٧٥/١ والمعتزلّي ٢١١/١والبحراني ٢٧٥/١والخوئي١٣٠/٣ومغنية ١٠٥/١.

(٣) القصص ٢٤ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ١٦٠ ص ٢٨٢ .

(٥) سبأ ١٠-١١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٩ ص ١٨٥ .

(٧) نفسه الخطبة ١٦٠ ص ٢٨٣ .

(٨) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ ، ص : ٣٧٨.

(٩) ينظر : صحيح البخاري ٧٤٢-٧٤٤.

(١٠) نهج البلاغة الحكمة ٢٤٠ ص:٦٤٥ .

دلوها[١]. وقال الكيدريّ : هذا « كقول النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : اتقوا الحرام في البنيان فانه اساس الخراب »[٢] . ومن أمثلة التشابه بين النهج والحديث النبوي ما ورد في النهج : (اخْبُرْ تَقْلِهِ)[٣] ، وهي حكمة نبّه الشراح[٤] على أن الناس يروونها للرسول (صلى الله عليه وآله) والمعنى إنّ من خبرت باطنه قليته لأن التجربة تكشف لك سوء الخلق الموجب للبغض والقطيعة وهو مثل يضرب لمن يظن به الخير وليس منه ونقل الرضيّ عن ثعلب عن ابن الإعرابيّ أن المأمون لّما سمعها قال : « لولا أن عليا قال : اخبُر تقْلِه لقلت : اقْلِه تخْبُر »[٥] يريد إن إظهار البغض للشخص مدعاة لاختباره وكشف باطنه .

ونبه الشّراح على اقتباس النهج معاني الحديث النبوي في عدة مواضع منها ما جاء في النهج: (ما الُمجاهِدُ الشَّهِيْدُ في سبيلِ الله بأعظَم أجْرًا ممّنْ قَدَرَ فَعفَّ)[٦] ، إذ هو[٧] قبس من قوله (صلّى الله عليه وآله) لقوم عادوا من الجهاد : « مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر فقيل : وما الجهاد الأكبر قال : جهاد النفس »[٨] .

٣- بيان أثر النهج في الفلسفة الإسلاميّة .

نّبه الشّراح على أن نهج البلاغة اساس الفلسفة الاسلامية الصحيحة البعيدة عن التكلف والغموض والاوهام التي وقع فيها كثير من الفلاسفة والمتكلمين بقصد او بدونه ، من ذلك ان الإمام (ع) يقول :(خَلَقَ الخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تمثيل ، ولا مَشُوْرَةِ مُشِيْرٍ ، ولا مَعُوْنَةِ مُعِيْنٍ)[٩] ،فعلّق البيهقّي بهذا قائلا : « انّما خلق الله الخلق بلا مثال لأنّه عالم بكلّ معلوم مفصّلا، ولا يستحيل أن يحدث العالِم الأزليُّ فعلا محكما بلا مثال . وليس يجوز أن يكون للحق أمثلة متقدمة لأنه لا يخلو إما أن يكون للمثال نهاية حتّى يصحّ من الله تعالى إحكام الفعل اقتداء بالمثال فيكون المثال قديما؛ أو يحدث مبادئ أفعاله غير محكمة ثم يصير مثالا في لواحق أفعاله فتكون الأوائل خارجة على الأحكام جارية على التبخيت وهذا يناقض الحكمة . وأما أن يتعذّر عليه إحكام الأفعال أصلا وذلك يقتضي إبطال كونه عالما . فلذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام خلق الخلق من غير تمثيل ولا مشورة مشيرٍ وهذا ردّ على من زعم من المتكلمين أن الله تعالى متصور للأشياء فإن الله تعالى منزّه عن التصور لإن التصور من أقسام العلم البشري .»[١٠].

---

(١) ينظر : الكيدريّ٦٦٦/٢ والمعتزلّي ٧٢/١٩ والبحراني ٣٦١/٥ وعبده ١٩٧/٢ والخوئي ٣٠٩/٢١ ومغنية٣٦١/٤

(٢) الكيدريّ ٦٦٦/٢

(٣) نهج البلاغة ٤٣٤ ص ٦٨٩ وينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ٥٩٦/٢ والفائق٣٥٤/١.

(٤) ينظر: البيهقّي٤٥٦ والكيدريّ٧٠١/٢ و المعتزلّي ٨٠/٢٠ والبحراني ٤٥٢/٥ وعبده ٢٤٧/٢ والخوئي٥١٠/٢١ والتستريّ ٤٤٣/١٣

(٥) نهج البلاغة ٦٨٩

(٦) نهج البلاغة ، الحكمة ٤٧٤ ، ص ٦٩٦

(٧) ينظر: الموسوي ٥٣٩/٥ .

(٨) الزهد الكبير ١٦٥ .

(٩) نهج البلاغة الخطبة ١٥٥ ص :٢٧١.

(١٠) البيهقّي ٢٥٧ وينظر:الرواندي ٩٩/٢-١٠٠ والكيدريّ ٦٨١/١ والبحراني ٢٥٥/٣-٢٥٦ والسرخسي١٤٨/١-١٤٩ والخوئي٣٥٤/١٢ ومغنية٣٩٣/٢ والتستريّ ٣٤٠/١ وأنصاريان ٨٦/٢ والشيرازي ٣٥٩/٢

ولما وقف الشّراح على قوله (ع) : (كلُّ مَعْرُوْفٍ بنفسِهِ مَصْنُوْعٌ ، وكلُّ قائمٍ في سِواهُ مُعْلولٌ)[١] خلصوا إلى أنّ الإمام (ع) أبين من نزه الباري- عزوجل- عن الافتقار الى آخر فالمراد بالمعروف بنفسه المعلوم بذاته وحقيقته لا بأفعاله وآثاره وهذه المعارف تتوقّف على معرفة العناصر التي تكون منها ، ومعنى هذا أن المعروف بالذات مركّب والمركّب مفتقِر إلى أجزائه وإلى من يؤلف بينها أيضا . ثم إن كل موجود هو إمّا علّة وإمّا معلول ، وكل موجود لا يكون وجوده عين ذاته معلول . والموجود الوحيد الذي يكون وجوده عين الوجود هو الله تعالى ، فالعلة هو الخالق والمعلول هو المخلوق[٢] .

وقال الإمام (ع) :(... فالويلُ لِمَنْ أُنكَرَ المُقدِّر وجَحَد المُدَبِّر ! زَعَمُوا أنَّهُم كالنَّباتِ مالهُم زارعٌ ، ولا لاخْتِلافِ صُوَرِهِم صانعٌ)[٣] وقد تمسك الشّراح المعاصرون بهذا القول فردّوا على الماديين الذين قالوا بقدم المادة واستقلالها في التصرف ، فالفلسفة الاسلامية المؤمنة تقرر ان القديم هو الله وحدة خلق المادة من عدم وهو الموجود الأزلّي الذي لا يحتاج الى موجد ، وان الكون يسير بارادة هذا الخالق القوي والويل لمن انكره وجحد تدبيره . والإمام (ع) يصف بعض أهل زمانه وهو ما عليه الفلاسفة المادّيون في زماننا الذين زعموا أنهم كالنبات البرّي ماله زارع[٤] .

والماء في النهج اصل الكون وما فيه من جماد ونبات وحيوان وانسان ، ونبه الشراح[٥] على أن هذا يجرى مجرى التفسير لقوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ﴾[٦] ، وهي نظرية قال بها بعض الفلاسفة امثال « تالسين الاسكندري ، فالماء هو الجوهر السائل اصل الاجسام كلها كثيفها من متكاثفه ، ولطيفها من شفائفه»[٧] . وفي النهج تفصيل لفلسفة المعاد وما تتضمن من اضطراب أحوال الناس في الدنيا والقبر وأهواله وحياة البرزخ والحشر والنشور وعلامات الساعة والصراط المستقيم والحساب وغير ذلك من الأمور التي نبه عليها الشّراح في كثير من المواضع[٨] .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٨٦ ص ٣٤٢ .

(٢) ينظر: البيهقّي ٣٤١ والراونديّ ٤٢٨/٢ والكيدريّ ٢٨٤/٢ والمعتزلّي ٧٠/١٣ والبحراني ١٥١/٤والسرخسي ١٩٧/١ وعبده ٣٧٦/١ والخوئي ٦٠/١١ ومغنية٦٧/٣ والتستريّ ٣٠٢/١ وانصاريان ٢٧٧/٢ والشيرازي ١٢٩/٣ .

(٣) نهج البلاغة ١٨٥ ص ٣٤٠ .

(٤) ينظر:الخوئي٢٣/١١ ومغنية٥٨/٣-٥٩ والتستريّ ٩٢/٧ وأنصاريان٢١٢/٢ والشيرازي ٩٢/٣ والموسوي ٢٢١/٣ .

(٥) ينظر:البيهقّي ٥٧/١-٥٨ والراونديّ٥٧/١-٥٨ والكيدريّ١٢٩/١والمعتزلّي ٨٥/١ والبحراني ١٣٣/١والسرخسي ٣٨/١ وعبده١٩/١ والخوئي ٣٦٩/١-٣٧٩ ومغنية٣١/١-٣٥ والتستريّ ٤٦٣/١ -٤٦٤ وابو الفضل ١٧/١ وانصاريان ٣٤/١ والشيرازي ٢٠/١-٢١.

(٦) الانبياء ٣٠ .

(٧) عبده ١٩/١ وينظر: جمهورية الحكمة ٤١

(٨) ينظر: المعتزلّي ٥٦/١٣ و جمهورية الحكمة ٤٢-٤٤ .

وفي هذه المسألة رأى آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي أن « العصر الحاضر يجعل نهج البلاغة يتطلب جهودا أكثر وأنشطة أوسع وأشمل من شأنها التوصل إلى الطرق والأساليب التي تذلل الصعاب المادية والمعنوية والفردية والاجتماعية إلى جانب التصدي إلى النزعات الفكرية الهدامة التي تستهدف الدين والأخلاق »[١] .

٤ - بيان أثر النهج في الأدب العربّي .

دلّ الشّراح في عدة مواضع على إغارة الشعراء على معاني النهج ونظمها شعرا ، كقوله (ع) : (ما أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إلا ظَهَرَ في فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وصَفَحَاتِ وَجْهِهِ)[٢]، إذ طّول التستريّ في إيراد الأشعار التي نقلت هذا المعنى فقال :« قد أكثروا من هذا المعنى في الشعر، قال ابن داود الأصفهاني:

لا خَيْرَ فِي عاشِقٍ يُبْدي صَبابَتَهُ بالقول ، والشَّوقُ في زفراتـه بادِي
يُخْفي هَواه وما يَخْفى على أحَدٍ حتّى على العِيْس والرُّكْبان والحَادي

وقال ابن المعتز : **تفَقَّدْ مساقطَلاَ حْظِ المُريب فإنّ العيونَ وُجوهُالقُ لوب**
وطالعْ بوادرَهُ في الكلامِ فإنّك تَجْني ثمـارَ الْقلـوب

وقال أبو العتاهية : **وللقلبِ على القلبِ دليلٌ حِيْنَ يلقاه**
وللناس من الناس مقاييسٌ وأشباه
يقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما هوَ ماشاه
وفي العين غنى عـــنَ انْ تنطقَ أفواه »[٣]

على حين نّبه المعتزلّي[٤] على سبق زهير ابن أبي سلمى إلى هذا المعنى وذلك في قوله[٥] :

وَمَهْما تكنْ عند امرِئٍ من خليقةٍ وإن خالَـها تَخفى على النّاس تُعلمِ

ولّما قال الإمام (ع) في وصيّةٍ ابنِـه الحسن (ع): (... إذا كانَ الرِّفْقُ خُرْقا كانَ الخُرْق رِفْقا ...)[٦] فهم البحراني من هذا « ان الرفق في بعض المواضع كالخرق في كونه مخلا بالمصلحة غالبا ومفوتا للغرض ، فكان استعمال الخرق في ذلك الموضع كاستعمال الرفق في استلزامه للمصلحة وحصول الغرض غالبا، فكان اولى من الرفق في ذلك الموضع ... والى هذا المعنى أشار ابو الطيب المتنبي :

وَوَضْعُ النَّدى في موضعِ السَّيْفِ بالعُلى مُضِرّ كوضعِ السَّيْفِ في موضعِ النَّدى »[٧] .

---

(١) نفحات الولاية ٧/١ . (٢) نهج البلاغة الحكمة ٢٦ ص: ٦٠٣

(٣) التستريّ ١٤ /٤٧٨- ٤٨١ وينظر: ديوان ابن المعتز ٦٧وديوان أبي العتاهية ٢١٤.

(٤) ينظر: المعتزلّي ١٣٧/١٨

(٥) ديوانه ٢٥٧ وينظر: شرح القصائد السبع الطوال ٢٨٩ وشرح القصائد التسع المشهورات٣٥٢ .

(٦) نهج البلاغة الرسالة ٣١ ص :٣٤٥

(٧) البحراني ٤٧/٥- ٤٨ وينظر: شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ١٧٨/١.

وقال الإمام (ع) يصف الموتى : (فَهْمُ جِيرةٌ لا يُجِيبونَ داعيًا ، ولا يَمْنَعُونَ ضَيْما ... جَمِيعٌ وهُمْ آحاد ،وجيرةٌ وهُمْ أُبعادٌ ، متدانُونَ لا يَتزَايلونَ ، وقَرِيبونَ لا يَتقَارَبُون)[١]، فنّبه المعتزلّي[٢] على جمع من الشعراء اقتبسوا هذا المعنى منهم البحتري في قوله [٣] :

بِـ نا أنت من مجفوّةٍ لم تؤنّبِ ومهجورةٍ في هجرها لم تعتّبِ
ونازحةٍ والدارُ منها قَريبةٌ وما قُ رْبُ ثاوٍ في التُّرابِ مغيّبِ

و الرضّي في قوله [٤] :

ركْبٌ أناخُوا لا يُرجَّى مِنْـهُمُ قصْدٌ لإتـهامٍ ولا إنْـجادِ
كَرِهُوا النُّزولَ فأنزلتْهُم وقعةٌ للدَّهرِ نازلةٌ بكُـلِّ مــقادِ

فتَهافتُوا عن رحل كلِّمذلَّلٍ وتطاوحُوا عن سرْجِ كل جَوادِ
بادُون في صُوَر الجميع وإنَّهم مُتفـرّدون تفــرّدَ الآحـادِ

وقال الإمام (ع) في إحدى حكمه : (رسولُكَ تَرْجُمانُ عَقْلِكَ وكتابُكَأبلغُ ما ينطِقُ عنْكَ)[٥] . فنبه فريق من الشّرّاح[٦] على أن بعض الشعراء نظم معنى البيت قائلا[٧]:

تخيّرْ إذا ماكُنتَ في الأمر مُرسَلا فَمَبْلغُ آراءِ الرِّجال رسولُها
وروِّ وفكّرْ في الكتابِ فإنَّمـــا بأطرافِ أَقلامِ الرجال عقولُها

وأما أثر النهج في النثر العربيّ فطول المعتزلّي في سرد خطب لبعض الحكام وقادة الجيوش على منوال كلام أمير المؤمنين (ع)[٨] ، وعلى الرغم من ذلك نّبه الشّراح على قصر هّمة الفصحاء عن محاكاة النهج وقلة حيلتهم ازاء اسلوبه الساحر وبلاغته العليا ، ومن هنا عقد المعتزلّي موازنة بين كلام الإمام علّي (ع) وخطب ابن نباتة « وهو الفائز بقصبات السبق من الخطباء ،وللناس غرام عظيم بخطبه وكلامه »[٩] فساق المعتزلّي عدة خطب لابن نباتة وانتهى الى انّها الى الفتور والبلادة اقرب كقوله : « أيها النّاسُ ؛ حصحصَ الحقُّ فما من الحقِّ مناصٌ ، وأشخصَ الخلقُ فما لإحدٍ من الحقِّ خلاصٌ ، وأنتم على ما يباعِدُكم من اللهِ حراصٌ ، لكم من مواردِ الهلَكة اغتصاصٌ ، وفيكم على مقاصد البركة انتكاصٌ . كأن ليس امامكم جزاء ولا قصاصٌ ، ولجوارحِ الموت في وحْش نفوسكم اقتناصٌ ، ليس بها عليها تأبٍّ ولا اعتياصٌ »[١٠].

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١١١ ص ٢٠٩
(٢) ينظر: المعتزلّي ٢٤٣/٧
(٣) ديوانه٤٩/١
(٤) ديوانه ١٠٢/١ .
(٥) نهج البلاغة الحكمة ٣٠١ ص ٦٦٣
(٦) ينظر: المعتزلّي ٣٠٧/١٩ ومغنية ٣٧٣/٦ والتستريّ ٢٠٩/١٤ .
(٧) لم أقف على القائل .
(٨) ينظر: المعتزلّي ٢٧٨/١- ٢٢٨٠
(٩) نفسه ٢١١/٧
(١٠) نفسه :٢١٤/٧ .

فعلق المعتزلّي بهذا قوله :« فليتامل أهل المعرفة بعلم الفصاحة والبيان هذا الكلام بعين الانصاف ليعلموا ان سطرا واحدا من كلام نهج البلاغة يساوي الف سطر منه ، بل يزيد ويربي على ذلك فان هذا الكلام ملزق عليه اثار كلفة وهجنة ظاهرة يعرفها العامي فضلا عن العالم »[١] . وقد توسع الدكتور محسن باقر الموسوي في كتابه علوم نهج البلاغة في استقصاء معاني نهج البلاغة في الأدب العربي شعره ونثره والموضوع قمين بأكثر من دراسة[٢].

٥- بيان أثر النهج في النحو العربي

نّبه فريق من الشّرّاح على إغفال النحويين نهج البلاغة في إقرارهم القواعد من ذلك ذهابهم إلى أن الضمير المتّصل المرفوع لا يجوز العطف عليه قبل تأكيده بالمنفصل فلا يقال : جئت وزيدٌ ، بل يقال : جئت أنا وزيدٌ [٣] . ولّما وقف الشّرّاح على قول الإمام (ع) من رسالة له إلى أهل الأمصار يخبرهم بما حدث في صفيّن جاء فيها : (

وكانَ بدءُ أمنِا أنّ ـا التقْيَنا والقوُم من أهْلِ الشّامِ)[٤] جوزوا[٥] عطف (القوم) على الضمير المرفوع (نا) في التقينا وهو غير مؤكد بالظاهر، وأنكر بعض الشّرّاح على النحويين اشتراطهم توكيد الضمير المتصل المرفوع بإعادة الضمير المنفصل بعده قبل العطف عليه مستدلا بما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[٦] وفيه عطف على الضمير المتصل المنصوب (الهاء) قبل توكيده ، ثم ما جاء في النهج وهو (التقينا والقوُم)[٧] وفيه عطف على الضمير المرفوع المتصل (نا) قبل توكيده . وفي هذا الموضع يبدو المعتزلّي منكرا تأويلات النحويين[٨] في إعرابهم المعطوف بالرفع على الضمير المتصل أو المستتر كما في قول الشاعرعمر بن ابي ربيعة[٩] :

قلتُ إذْ أقْبَلَتْ وزهرٌ تَهادى كنِعاجِ الفَلا تعسَّفْنَ رَمْلا

فمال إلى رواية أخرى وهي : (التقينا بالقوم) ، وجّوز رواية ثالثة وهي : (التقينا القوم) ، وقال بعد ذلك يصف الرواية الأشهر (التقينا والقوم) : « من لم يروها بالواو استراح من التكلف »[١٠].

وجوز الشّرّاح مجيء الجملة الفعليه ذات الفعل الماضي حالا لمجيئها كذلك في قوله (ع) : (ثمَّ جَمَعَ سبحانه ... تربةً سنّها بالماءِ حتّى خَلَصَتْ ولاطَها بالبلّة حتى لزَبتْ ، فجَبلَ منها صورةً ذات أحناءٍ ووُصولٍ وأعضاءٍ وفُصولٍ

---

(١) المعتزلّي ٢١٤/٧ .

(٢) ينظر: المدخل إلى نهج البلاغة ٣٦١-٤١٧ .

(٣) ينظر: الانصاف ٤٧٥ .

(٤) نهج البلاغة :رسالة ٥٨ ص ٥٧٣ .

(٥) ينظر : الراونديّ ٢١٧/٣ والبحراني ١٨٣/٥ والمعتزلّي ١٤٢/١٧ والخوئي ٣٤٠/٢٠

(٦) العنكبوت ١٥. (٧) مغنية ٥٠٠/٥

(٨) ينظر: الكتاب٣٧٨/٢-٣٧٩ والخصائص٣٨٦/٢ والانصاف٤٧٤-٤٧٦ وشرح المفصل٧٤/٣ وشرح الاشموني١١٤/٣ .

(٩) من شواهد سيبويه ٣٧٨/٢ . (١٠) المعتزلّي ١٤٢/١٧

أجْمَدَها حتّى اسْتَمْسَكَتْ..)[١] فجملة (أجمدها حتّى استمسكت) لدى فريق من الشّرّاح في موضع الحال[٢] وفاقا للكوفيين وخلافا للبصريين الذين منعوا مجيء الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي حالا وتأولوا قوله تعالى: ﴿ **أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ** ﴾[٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ** ﴾[٤] ، وغير ذين كثير بأنّه دعاء لا خبر[٥].

وجوز فريق من الشّرّاح مجيء الحال معرفا بالألف واللام في قوله (ع) يصف المنافقين: (يَمْشُونَ الخَفَاءَ وَيَدِبُّونَ الضَّرَّاءَ)[٦] ولم يؤولوه بالنكرة[٧] كما فعل النحاة[٨] في نحو قول الشاعر[٩]:

فأرْسَلَها العِراكَ ولمْ يَذُدْها ولم يشفقْ على نَغَصِ الدِّخال

وعلى العموم أشاح النحاة وجوههم عن النهج في تقعيدهم قواعد العربية فلا نكاد نظفر بشاهد نحويّ من كلام الإمام أقرّت به قاعدة نحويّة على حين ساقوا شواهد شعرية غريبة كما قيل في حمار الوحش الذي أرسل حُمره عراكا إلى الماء ولم يشفق على تزاحمها في البيت السابق وهو شاهدهم المبرّز على مجيء الحال معرفا بالألف واللام شذوذا.

ولما وقف بعض الشّراح على قوله (ع) : (حتّى إذا اخلولقَ الاجلُ ، واستراحَ قوٌم إلى الفتنِ ، وأثَلّوا عن لِ قاحِ حربهم ، لم يمنُّوا على اللهِ بالصَّبرِ)[١٠] أنكروا على ابن مالك وشراح الألفية الزامهم اقتران خبر اخلولق بـ(ان) ، اذ قال ابن مالك :

وألزموا اخلولق انْ مثل حرى وبعد أوشك انْتفى أنْ نزرا

ويعني « اخلولق تلزم ان خبرها نحو : اخلولقت السماء أن تمطر ، وهو من امثلة سيبويه »[١١] اذ فهم الشّرّاح من قوله (ع) هذا جواز استعمال اخلولق تامّة خلافا للنحويين الذين ألزموا مجيئها ناقصة وخبرها مقترن بان[١٢] .

٦- بيان أثر النهج في المعجم العربّي

نقل المعجميون[١٣] كثيرا من كلام الإمام عضدا لمسائلهم وأقوالهم ، وبرز على نحو جلّي ما نقله الجوهري وابن الأثير وابن منظور. وفي الغالب صدر اللغويون هذه الشواهد بقولهم : (حديث علّي) .

وفي شرحهم كلمات النهج اطمأنّ الشّراح لأقوال المعجميين الذين سبقوهم إلى شرحها كونها في الذروة من كلام العرب. ونّبه معظم الشّراح على ما نقله المعجمّيون من كلام الإمام (ع) في استدلالهم على تحّري الاستعمال العربّي

---

(١) الخوئي ٤١/٢ . (٢) ينظر : الخوئي١٣٩/٢ ومغنية٤١/١ والتستريّ٥٧٧/١ .

(٣) النساء٩٠ . (٤) يوسف ٢٨ وينظر : البحر المحيط١٤/٤-١٥.

(٥) ينظر: الإنصاف ٢٥٢/١-٢٥٥ . (٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٤ ص ٣٨٦ .

(٧) ينظر: الكيدريّ ١٣٩/٢ والبحراني ٤٢٩/٣ وعبده ٤٢٦/١ .

(٨) ينظر : الكتاب٣٧٢/١ والانصاف ١/ ٢٥٥ والهمع٢٣٩/١ .

(٩) ديوان علقمة ٨٦ . (١٠) نهج البلاغة الخطبة ١٥٠ ص ٢٦٢

(١١) شرح ابن عقيل ٣٢٢/١ وينظر : الكتاب ١٥٧٠١٥٨/٣. (١٢) ينظر : الخوئي ١٣٢/٩ والتستريّ ٥٢٠/٣.

(١٣) ينظر: الصحاح : خرق ، نصص ، نغر . والنهاية ١٩٤/٣، ١٧١/٥، ٢٣٦/٥ واللسان : بدأ ، بكأ ، بوأ ، برك .

الفصيح ، من ذلك ما جاء في النهاية : « وفي حديث علّي: ألقت السحابُ بركَ بوانيها ، البَرْكُ الصدورُ والبواني أركانُ البنية »[١] ونّبه الشراح[٢] على أنّ ما ذكره ابن الأثير هو قول الإمام (ع) في صفة خلق السماء :(فلّما ألقتِ السَّحابُ بَرْكَ بوانيها وبعاعَ ما استقلّت بهِ من العبْءِ المحمولِ عليها)[٣].

واستعان الشّراح بما ورد في المعجم العربي في المفاضلة بين روايات كلام أمير المؤمنين . فلما وقف الشّرّاح على قول الإمام(ع) في بني أمّية : (واللهِ لئِنْ بقيتُهلُ م لأُنفضُنَّهمْ نَفضَ اللحَامِ الوِذَام التَّرِبة)[٤] اختلفت روايات النهج بين (الوذام التربة) و (التراب الوذمة) فصحح الشّراح رواية (الوذام التربة) لأن المعجميين المتقدّمين نقلوها هكذا[٥] ، يتّضح ذلك في

قول الرواندي الذي نقل ما في الصحاح بشأن الرواية: (الوذام التربة) : « ذكر الجوهري في صحاح اللغة هذا الحديث على الرواية الأخيرة ثم ذكر أن الأصمعي سأل شعبة عن هذا الحديث فقال هو الوذام التربة لا التراب الوذمة »[٦] وتبعه بعضهم في النقل من الصحاح[٧] . ونقل عبده والخوئي تصحيح الرواية عن الفيروز آبادي[٨] الذي قال : «الصواب الوذام التربة »[٩]وهي اللحوم التي تعفّرت بسقوطها في التراب أما (التراب الوذمة) فيجوز ان يكون التراب بالكسر اصل ذراع الشاة ، وهو مفرد مؤنث فساغ نعته بالمؤنث (وذمة) ، او يكون التراب جمع (تريب) وهي صفة لمن لازم التراب من فرط فقره فيجمع على تراب كشديد وشداد[١٠] لكن الشائع بين اهل اللغة (الوذام التربة) . على حين استعان التستريّ بما جاء في النهاية[١١] فصحح رواية (الوذام التربة) أيضا[١٢]. والغريب أن أحدا من الشّرّاح لم يرجع إلى معجم العين وهو أول من نقل قول الإمام (ع) : (لئن وُلّيت بني أمّية لأنفضنّهم نفض القصّاب الوذام التربة)[١٣] ويبدو أن قلة نسخ معجم العين وتأخر نشره فوّت على شراح النهج جميعا فرصة الرجوع إليه في شرح متن النهج مع أنه زاخر بأقوال الإمام أيضا .

---

(١) النهاية ١٢١/١ وينظر: اللسان ٣٩٨/١٠ (برك) .

(٢) ينظر : البيهقّي١٨٦ والراونديّ٤٠٦/١ والكيدريّ٤٦٤/١ والمعتزلّي٦ / ٤٣٨ والبحراني ٢/ ٣٦٩ والسرخسي ١/ ٩٥ وعبده ١٨٨/١ والخوئي ٤/٧ ومغنية٣١/٢ والتستريّ٤٩٠/١ وابو الفضل ١٩٦/١ وانصاريان٢٨٩/١ والموسوي٩٦/٢ والشيرازي٧١/٢ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٦٤ .

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ٧٧ ص :١١٦ .

(٥) ينظر: البيهقّي ١٤٩ والراونديّ٣١٢/١ والكيدريّ٣٦٥/١ والمعتزلّي١٧٤/٦ والبحراني ٢١٢/٢ والسرخسي٧٦/١ وعبده١٣٧/١ والخوئي ٢٤٢/٥ ومغنية٣٦٧/١ والتستريّ ١٥٢/٩ وأبو الفضل١٤٥/١ وأنصاريان٢٠٩/١ والشيرازي٢٩٤/١ .

(٦) الرواندي ٣١٢/١ وينظر: الصحاح ١١٣٢.

(٧) ينظر: الكيدريّ ٣٦٦/١ .

(٨) ينظر: عبده ١٣٨/١ الخوئي ٢٤٢/٥.

(٩) القاموس المحيط ٧١ (ترب).

(١٠) ينظر : نفسه .

(١١) ينظر : النهاية ١٧١/٥.

(١٢) ينظر: التستريّ ١٥٣/٩.

(١٣) العين ٢١٧/١ وينظر: التهذيب ٢٧١/١٢.

ونّبه الشّرّاح على استدراكات بعض المعجميين المتأخّرين على السابقين الذين خلت معجماتهم من الكلام الفصيح الوارد في نهج البلاغة من ذلك إن الإمام لما قال يصف الدنيا وحال الانسان معها :(... ولْم تَطَأْ ـه فِيها دِيْمَةُ رخاءٍ إلا هَتَنَتْ عليهِ مُزْنةُ بلاءٍ ... وإنْ جانبٌ منها اعذوذبَ واحلولى أَمّر منها جانبٌ فأْوبى)[١] . نّبه التستريّ على أن ابن الأثير عاب على المعجميين قبله إغفالهم إيراد : (هتن) و(اغذوذب) فقال : « وفي النهاية : في كلام عليّ عليه السلام : اعذوذب جانب منها واحلولى هما افعوعل من العذوبة والحلاوة وهو من أبنية المبالغة ومن الغريب خلّو باقي كتب اللغة من اعذوذب كخلّو كثير منها من هتن »[٢] .

ولما وقف التستريّ على قول الإمام(ع) : (ألا وإنّالدنيا قد ولّـتْ حذّاء ، فلم يبقَ منها إلا صُبابةٌ كصُبابةِ الإناء اصطبَّها صابُّها)[٣] فهم منه أن الإناء مؤنّث بدليل عود الضمير عليه مؤنثا في (اصطبّها صابّها) ومنع عود الضميرين على الصبابة لأنه لا يقال : صببت الصبابة ، ولذا خلص إلى القول :« استعمال الجمهرة والصحاح للإناء مذكرا في غير محلّه »[٤] . وما خلص إليه التستريّ لا يخلو من التسمّح وهو مبنّي على فهم قاصر لمعنى الصبابة التي هي بقّية الماء في الإناء[٥] وقد أوقع القرآن الصبّ على الماء في قوله تعالى :﴿**أنّا صَبَبْنا الماءَ صبّا**﴾[٦] فيكون تذكير الإناء أولى بلْ هو القياس في كلِّ ما جاء على(فِعال) مكسور الفاء وهو دال على الآلة كـ(نِطاق ، حِزام، حِجاب) وغير ذلك .

ولما أورد الشّراح قول الإمام (ع) في ذم أهل الشام : (جُفاةٌ طِغامٌ وعَبيدٌ أقْزامٌ)[٧] أشاروا إلى ان أقزام يروى أيضا : قِزام وفاضلوا بين الروايتين فاختار أكثرهم (أقزام) لشيوعه وندرة (قِزام)[٨] ، لكن الخوئي خالف الجميع فاختار (قزام) بحجّة خلّو معجمات اللغة من أقزام ثم عاب على الشّراح اختيارهم (أقزام) مع إنه غير معروف فقال : « لم تذكر المعاجم المتداولة هذا الجمع (أقزام) ولذا اخترنا رواية (قزام) ورجحناها على أقزام لأن القزام ذكرت في المعاجم قال الشاعر[٩]:

أحْصنوا أمَّهُمُ مِن عَبْدِهِمْ تلكَ أفْعال القِزامِ الوَكِعَة

على أن في الجمع بين الطغام والقِزام موازنة بديعية أولى من الطغام والأقزام »[١٠]

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١١١ ص ٢٠٦ . (٢) التستريّ ١١/ ٤٥٥- ٤٥٦ وينظر: النهاية ١٩٥/٣ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٤٢ ص ٨٤ . (٤) التستريّ ٢٣٤/١٢ وينظر: الجمهرة ٧٥/٢ والصحاح ٥٨ (أني) .

(٥) ينظر: المقاييس ٥٦٧ . (٦) عبس ٢٥ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة٢٣٨ ص ٤٥٣ .

(٨) ينظر:الكيدريّ٣٢٧/٢ و المعتزلّي ٣١٠/١٣ والبحراني ٣٢٩/٤ والسرخسي ٢٢٤/١ وعبده ٤٩٤/١ ومغنية٣٦١/٢ والتستريّ ٣/١٣ وأبو الفضل ١٢٠/٢ والشيرازي٤١٥/٣ .

(٩) من شواهد الصحاح ص : ٨٥٨ من دون عزو .

(١٠) الخوئي ٢١٢/١٥ .

وما قاله الخوئي يفصح عن قلة نظر في معجمات اللغة التي ذكرت : (رجال أقْزام وقَامى وقَزَم) ولما ذكرت (قزام) نظرته بـ(كتاب) واستدلت عليه بالشعر لندرته[١].

ولما وقف الشّراح على قول الإمام (ع) : (أُنشَأَ الخَلْقَ إنشاءً وابتدأه ابتداءً ، بلا روّيةٍ أجَالها ... ولا هَمامةِ نفسٍ اضطربَ فِيها)[٢] . قال المعتزلّي بعد نسبته الهمامة إلى الثنوية والمجوس الذين نسبوا التردد في الخلق إلى الباري عزوجل :الهمامة «لفظة اصطلحوا عليها واللغة العربية ما عرفنا فيها استعمالها الهمامة بمعنى الهمة»[٣] .وعلّق التستريّ بقول المعتزلّي هذا قوله : « ابن أبي الحديد لا يراجع غير الصحاح وحيث لم يذكرها جعل اللفظة غير عربية وهو غلط ، فتفُهم عربيته من كلامه (ع) وكلام غيره من العرب وذكرها القاموس واللسان... ومن الغريب أن ابن أبي

الحديد يغلّط يعرب بن قحطان إذا رأى في كلامه شيئا على خلاف قول الصحاح ، ومنه أنكاره كون الهمامة ليست عربية لعدم ذكر الصحاح لها مع أن الصحاح وإن لم يذكر اللفظة إلا أنه قال : يقال: أهمني الأمر إذا أقلقك وأحزنك فلَم لْم يجعلها مشتقة منه كما يشهد له المقام»[٤] . وخلص إلى أن الهمامة هو مصدر من هممت بالشيء إذا قصدته كما في كلامه (ع).

ومنها أن الإمام لما أُنبأ عن التتر قال : (كأّني أراهم قوًما كأنَّ وجوهَهم المجانُّ الُمطْرقة)[٥] ذهب صاحب القاموس إلى أن « المجانّ الُمطْوَقة كُمكْرمة التي يُطرق بعضُها على بعض كالنعل الُمطرقة :المخصوفة»[٦]وعلّق عبده بهذا قوله:« عجز عن التعبير والأحسن أن يقال أي التي ألزق بها الطراق ككتاب وهو جلد يقور على مقدار الترس ثم يلزق به »[٧]

وما ذكره عبده ملائم لكلام الإمام الذي « شبه وجوههم بالتروس المطرقة ، ووجه الشبه في تشبيهها بالتروس الاستدارة والعظم والانبساط وفي كونها مطرقة :الخشونة والغلظة وهو تشبيه للمحسوس بالمحسوس»[٨] .

وانما تفهم الغلظة والخشونة في (المجان المطرقة) من لصق الجلد (الطراق) على باطن الترس ليلامس الجلد الوجه ويكون حديد الترس إلى الخارج فكأنّ المجان المطرقة هي المبطنة بالطراق وهو قطعة الجلد ، على أن تعبير صاحب القاموس مقبول أيضا من قبيل أن لزق الطراق على باطن الترس لا يكون إلا بالخصف كما يخصف النعل فتشبيهه بالنعل المخصوفة جلي . ولذا فسر معظم الشّراح المجان المطرقة بأنها المخصوفة بالجلد كالنعل[٩].

---

(١) ينظر: اللسان ٤٧٧/١٢ (قزم) والقاموس المحيط ١٠٥٩ (قزم) .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨

(٣)المعتزلّي ٨٣/١

(٤) التستريّ ١٦٤/١ ، وينظر: الصحاح ١١٠٧-١١٠٨.

(٥) نهج البلاغة الخطبة ١٢٨ ص:٢٣٤ .

(٦) القاموس المحيط ٨٣٣ .

(٧) عبده ١٦/٢.

(٨) البحراني ١٣١/٣

(٩) ينظر:البيهقّي٢١٩ والراونديّ٤٤/٢ والكيدريّ٥٨٥/١ و المعتزلّي ٢١٦/٨ والبحراني ١٣١/٣ والسرخسي ١٢٦/١ والخوئي ٢٠٩/٨ ومغنية٢٥٢/٢ وابو الفضل ٢٩٩/١ وأنصاريان ٤٢٩/١ والشيرازي ٢٧٧/٢ والموسوي ٣٦٤/٢

٧- بيان أثر النهج في التصحيح اللغويّ .

نبه ابراهيم السامرائي على عزوف المعجمات العربية في بعض الأصول عن الاستعمال الفصيح الذي جاء في كلام أمير المؤمنين (ع) إلى استعمال آخر لا دليل عليه . فلما أورد السامرائي قوله (ع) من كتاب له إلى الأشتر: (... ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد)[١] قال : «الفعل أخرب هو الفاشي في الاستعمال في فصيح العربية القديم وقد تنوسي هذا الفعل وحلّ محلّه المضاعف (خرّب) وكأن المعربين شعروا أنه أدل على التكثير والمبالغة والاستفضاع »[٢] . وقد أفاد السامرائي من اطلاعه على متن النهج في تصحيح أخطاء المنشئين في عدة مواضع[٣] وعاب على المعجميين العرب عدم اهتمامهم بمتن النهج في جمع متن العربية وتفسيره فقال : « وكان ينبغي على أهل

العربية أن يتخذوا من استعملات الإمام مادة يرفدون بها المعجم التاريخي ومن العجب أننا لا نجد شيئا من مواد المعجم القديم يتخذ من لغة النهج مصوبا ومقوما»[٤] . واستدل التستريّ بما جاء في النهج (اللهُمّ أيّما عَبْدٍ من عبادِكَ سَمِع مقالتنَا العادلةَ غَيْرَ الجائرة)[٥] بأن تنكير كلمة غير مع كونها صفة مقالتنا العادلة يدل على عدم قبولها التعريف ومثله :﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾[٦] فهو صفة (الذين) « واستعمال المتأخرين لها معرفة غلط »[٧] .

ولّما وقف الراونديّ على قوله (ع) يصف بعثة الانبياء الى الناس : (واتَرَ إليهِم أنبياءه)[٨] فسر (واتر) بـ (رادف) و(تابع) ، وصحح المعتزلّي هذا فقال : « قوله (عليه السلام) : واتر اليهم انبياءه ، أي : بعثهم وبين كل نبيين فترة ، وهذا مما تغلط فيه العامة كما ظن الراونديّ ان المراد به المرادفة والمتابعة »[٩] .

٨- بيان أثر النهج في العلم الحديث

نبه الدكتور محسن باقر الموسوي على الإشارات الواردة في النهج التي تؤسس لعلوم كثيرة منها :علم النفس وعلم الحقوق وعلم الجغرافيا وعلم الاجتماع وعلم الأديان وغير ذلك وله كتابه النافع : علوم نهج البلاغة[١٠] . أما الشّرّاح فقد وقفوا عند طائفة من أقوال الإمام التي لخصت ما آل إليه بعضٌ من نتائج العلم الحديث ومنها ما جاء في قول الإمام (ع) : (اعجُبوا لهذا الإنسانِ ينظُر بشَحْمٍ وَيتَكَلُّمَ بلَحْمٍ ويسْمَعُ بعظمٍ ويتنفَّسُ بِخَرْمٍ)[١١] وقد طّول معظم

---

(١) نهج البلاغة الحكمة ٥٣ ص:٣٧٥ .
(٢) السامرائي ١٤٨
(٣) ينظر: نفسه ٢٦، ٦٢، ٧٨ .
(٤) نفسه ٢٦
(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٢١٢ ص ٤١٤ .
(٦) الفاتحة ٧ .
(٧) التستريّ ٥/٧ .
(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ٢٢
(٩) المعتزلّي ١١٤/١ وينظر : السامرائي٣٥٧ .
(١٠) ينظر: علوم نهج البلاغة ١٣٣ - ١٦١
(١١) نهج البلاغة الحكمة ٨ ص ٦٠٠ .

الشّرّاح في ربط هذا القول بما آل إليه علما الطب والفيزياء من حيث تشريح آلية النطق والتنفس والسمع والنظر[١]

ووقف بعضهم عند قوله (ع) : (شاركُوا الّذي قد أقبلَ عليه الرِّزْقُ فإنَّه أخلقُ للغِنى وأجدرُ بإقبالِ الحظّ عليهِ)[٢] وفهم منه أنّ الإمام (ع) نبه على « أصلٍ اقتصاديّ كبير قد جعلته الأمم الراقية والشعوب المتقدمة في هذا العصر المشرق بالعلم والازدهار أساسا لحياتها وبناء مجتمعاتها »[٣] .

ومن امثلة تطابق معطيات العلم الحديث مع متن النهج ما جاء في قوله (ع) يصف ابتداء خلق السماء: (جَعَلَ سُفْلاهُنّ مَوجا مَكفوفا ،وعُلياهنَّ سَقفا مَحفوظا)[٤] اذ ربط الشيرازي هذا القول مع العلم الحديث بقوله : « في علم الفلك الحديث قالوا : إن أعالي الجو طبقة نتروجينية تحفظ الارض من قذائف السماء ، والمراد : محفوظا من وصول الشياطين ومن

الفساد والاختلال »[٥] . وقد ضمّن فريق من الصرفيين والمفسرين السقف المحفوظ في القرآن الكريم معنى حافظ ليستقيم الكلام لديهم[٦] .

ومنها ما في قوله (ع) : (ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء ، وشقّ الأرجاء ، وسكائك الهواء)[٧] اذ تبين للشارح مغنية ان « قوله (ع) : (وسكائك الهواء) اشارة الى ما اكتشفوه في هذه العصور من امواج الهواء التي تحمل الاصوات في الراديوات »[٨] . واستدل بعضهم بقوله (ع) في خلق السماء وعلق به قائلا : « هذه الخطبة تشير الى نظرة الإمام الى خلق السموات والارض ، وهي تشير الى نظرية الانفجار الكبير الذي حدث في (سوبرنوفا) وهي اخر نظرية في نشوء الكون اطلقها العلماء ومنهم فرانك كلوز العالم البريطاني »[٩] فليس بعد هذا من الانصاف ان يرفض بعضهم ما ورد في النهج من الخطب والرسائل المتضمنة لهذا العلم بحجة ان الإمام علّي (ع) قالها قبل فرانك كلوز ورهطه .

---

(١) ينظر: الراونديّ ٢٦٨/٣ والمعتزلّي ١٥٣/١٨ والبحراني ٢٤٢/٥ والخوئي ٢١/٢١- ٢٢ ومغنية٢٢١/٤-٢٢٢ والتستريّ ٤٥٦/١-٤٥٧ والموسوي ٢١٢/٥

(٢) نهج البلاغة الحكمة ٢٣٠ ص ٦٤٣ .

(٣) الخوئي٢٩٩/٢١ ومغنية ٢٨٨/٦ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٩

(٥) الشيرازي ٢٠ /٤٤١ .

(٦) ينظر : ص من الأطروحة

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٨

(٨) مغنية ٣٢/١ .

(٩) المدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٤٤.

المطلب الرابع : درء الشبهات عن النهج .

يمكن عدّ شراح النهج من أشد المناصرين له والذابين عنه شبهات المعارضين واعتراضات المرجفين . فالشارح محمد عبده كان يسمع بالنهج فينكر نسبته الى الإمام علّي (ع) حتى وقعت بيده نسخة من النهج مصادفة فتصفح بعض صفحاته وتأمّل جملا من عباراته فخّيل له « في كل مقام ان حروبا شبّت وغارات شنّت ، وان للبلاغة دولة ، وللفصاحة صولة ، وان للاوهام عرامة ، وللريب دعارة ... فما انا الا والحق منتصر والباطل منكر ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود ، وان مُدبّر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب امير المؤمنين علّي بن أبي طالب »[١]. وفهم الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد من قول عبده هذا انّه كان يسمع بالشبهات والشكوك التي تحوم حول النهج قبل اطلاعه عليه ولكنه بعد ان قرأ نسخة منه تبددت أوهامه وتلاشت شكوكه، وصار من اليقين عنده

ان صاحب النهج هو علّي بن أبي طالب لا غيره[٢] وقد سبقت الإشارة إلى ما أثاره المرجفون من شكوك حول النهج فانبرى الشّراح للردّ على دقائق الشبهات تفصيلا لا مجال معه للشك في نظر المنصف وكما يأتي :

١ - رد شبهة ذّم الصحابة في النهج

انكر المشككون[٣] مضمون الخطبة الشقشقية لما فيها من ذّم لكبار الصحابة، وكذا انكروا ان يصف الإمام (ع) أحدهم بابن النابغة، ويصف الآخر بالثور العاقص قرنه[٤] وردّ المناصرون هذه الشبهة بأنّ الشقشقية من أكثر خطب النهج تواترا ، وقد ذكرتها عدة مصادر قبل الرضّي ، وصحح سندها المشككون قبل المناصرين[٥] ، وصححها معظم الشّراح بعد أن وجدوها في كتب سبقت زمن الرضّي بكثير ، ووجدوا سندها ومناسبة قولها ومكان إلقائها وكثيرا مما خفي من تفاصيلها ، ولذا وثق شراح النهج الخطبة الشقشقية رواية ونقلا ، كقول الراونديّ : « وأما الرواية للخطبة فعن الشيخ أبي نصر الحسن بن محمد بن ابراهيم ... عن ابن عباس : كنا مع علّي (ع) بالرحبة فجرى ذكر الخلافة ومن تقدم عليه فيها فقال : أما والله ...»[٦] . وقال الكيدريّ : « وجدت في الكتب القديمة ان الكتاب الذي دفعه اليه رجل من أهل السواد كان فيه مسائل ، أحدها : ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان آخر وليس بينهما نسب ؟ فأجاب عليه السلام بأنه يونس بن متى عليه السلام خرج من بطن الحوت...»[٧].

وقال المعتزلّي يصف ختم الخطبة الشقشقية بتأسّف ابن عباس على ما فاته منها : « وأما قول ابن عباس (ما

---

(١) عبده ٢٧/١. (٢) ينظر : نفسه ٦

(٣) ينظر : ينظر الخطابة في صدر الإسلام ٣٣١/١ -٣٣٣ وأثر الشيعة في الأدب العربي ٥٢ -٥٤ .

(٤) ينظر: نهج البلاغة الخطبة ٣ ص١٥ والخطبة ٣١ ص٤٠ والخطبة ١٧٩ ص٢١٥

(٥) ينظر : مصادر نهج البلاغة١١٥-١٢١ .

(٦) الراونديّ ١٣٢/١-١٣٣

(٧) الكيدريّ ١٦٩/١ وينظر: البحراني ٢٦٩/١ .

أسِفْتُ على كلامٍ ...) فحدّثني شيخي أبو الخير مُصدَّق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمئة ، قال : قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب (ت٥٧٣هـ) هذه الخطبة فلما انتهيت إلى هذا الموضع قال لي : لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له : وهل بقي في نفس ابن عمك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسف ألا يكون بلغ من كلامه ما أراد! ... قال مصدق ...فقلت له : أتقول إنها منحولة ! فقال : لا والله وإنّي لأعلم أنّها كلامه كما أعلم أنّك مُصدَّق »[١] وأردف المعتزلّي قائلا :« وجدت انا كثيرا من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخّي إمام البغداديين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضّي بمدة طويلة ووجدت أيضا كثيرا منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الإمامية وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي- رحمه الله- ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضّي - رحمه الله تعالى- موجودا »[٢]. وذكر فريق من الشراح[٣] عدة كتب أوردت الشقشقية قبل ولادة الرضّي . ورجح الدكتور ابراهيم السامرائي

كون الشقشقية للامام علّي (ع) فقال : « ليس للدارس أن يقول أن الشقشقية ليست لعلّي بل هي له وهي تشير إشارات صريحة إلى ما كان يعتلج في نفسه مما يشعر أن حقه قد سلب ..»[٤] .

وليس بدعا ان يتعرض امير المؤمنين (ع) الى ذوي المواقف المضادّة له لا سيما الذين خرجوا عليه في الجمل وصفين والنهروان ، وهؤلاء الذين نعتهم الإمام (ع) بما لم يعجب المشككين. فهل ينكر المشككون ان حروبا طاحنة سعرها فريق من الذين عرفوا بالصحابة ضد امير المؤمنين (ع) ، ووقع بسببها آلاف القتلى من المسلمين ؟ وقتل فيها من الصحابة ايضا كطلحة والزبير وعمار بن ياسر ومالك الاشتر ومحمد بن أبي بكر ، وغيرهم كثيرون ، فكيف لا يعرض الإمام لهذه الفتن في كلامه ؟ وهل اذا عرض الإمام تلك الاحداث يغض الطرف عن مثيريها وموقديها ؟ ثم ان في النهج ما يدل على تقدير الإمام (ع) للصحابة الأوائل الذين خلصت صحبتهم ولم ينقادوا للفتن فقرن حبهم وفضلهم بحب ال البيت وفضلهم ، إذ قال (ع) : (انظُروا أَهْلَ بيتِ نبيِّكم فالزَمُوا سَمْتَهُم واتَّبِعوا أثَرَهُم فلَنْ يُخْرِجُوكُم من هُدى ولَنْ يُعِيْدُوكُم في رَدى فإنْ لَبَدوا فالْبُدُوا وإنْ نَهضَوا فانهضُوا ولا تَسْبِقُوهم فتَضِلُّوا ولا تتأخَّروا عنهم فتَهْلَكوا . لقد رأَيتُ أصحابَ محمَّد صلّى الله عليه وآله فما أرى أحدًا يُشْبِههُم مِنْكُم ! لقد كانوا يُصْبِحُون شُعْثا غُبْرا ، وقد باتُوا سُجَّدا وقِياما يراوِحُون بينَ جِباهِهِم وخُدُودِهِم ، ويَقِفُونَ على مِثْلِ الجَمْرِ من ذِكْرِ مَعادِهِمْ ! كأنَّ بينَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ المِعْزى من طُولِ سُجُودِهِم ! إذا ذُكِرَ الله هَمَلَتْ أَعْيُنُهم حتّى تبلَّ جُيُوبَهُمْ ، ومادُوا كَما يميدُ الشَّجَرُ يومَ الرِّيحِ العَاصِفِ خَوْفًا مِنَ العِقابِ ورجاءً للثَّوابِ)[٥].

---

(١) المعتزلّي ٢٠٥/١ وينظر: الخوئي ١١٤/٣.

(٢) المعتزلّي ٢٠٥/١-٢٠٦ .

(٣) ينظر:الخوئي ٣٢/٣-٣٦ والتستريّ ٥/ ٢٦٩- ٢٧٦ وأنصاريان ٦٠/١ .

(٤) السامرائي : ١٠

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٩٧ ص ١٧٨-١٧٩.

وصفوة القول في الرد على هذه الشبهة ان ما ورد من ذم للصحابة في النهج ما هو الا صدى لتلك الحروب الطاحنة ، وما اورده الإمام (ع) من الذم والطعن على اعدائه فيها قليل اذا قيس بالدماء التي أُريقت والنفوس التي انتهكت ، وإذا كان بالإمكان التشكيك بهذا الذم والطعن الوارد في النهج فمن المحال التشكيك بالتاريخ الحافل بتلك الاحداث المظلمة.

٢ - رد شبهة الإنباء بالغيب

رد الشّراح وغيرهم شبهة إنباء النهج بالغيب بأنّ علم الغيب مختصّ بالله تعالى ومن ارتضاهم من انبيائه وأوليائه ، وقد حوت السنة النبوية أنباء غيبية وأخبارا عن الملاحم والفتن ، وكل ذلك انما ورد بوحي من الله عز وجل الى نبيه الكريم ، ثم لم ينطق امير المؤمنين (ع) بشيء عن الملاحم والخفايا الا بخبر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقد دفع الشارح البحراني في مقدمته لشرح النهج هذه الشبهة مبينا ان اخبار الإمام (ع) بالغيب في بعض المواضع انما هو نقل عن الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وليس علما افاضه الله – عز وجل – على الإمام (ع) مباشرة ، قال : « لا نسلم

ان ذلك علم ألهمه الله إياه وأفاضه عليه ، بل الرسول (صلى الله عليه وآله) أخبره بوقائع جزئية من ذلك وحينئذ لا يبقى بينه وبين غيره فرق في هذا المعنى ، فان الواحد منا لو اخبره الرسول (صلى الله عليه وآله) بشيء من ذلك لكان له ان يحكي ما قال الرسول ... ويدل على ذلك قوله بعد وصف الاتراك وقد قال له بعض اصحابه في ذلك المقام : لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب ، فضحك وقال للرجل وكان كلبيا : يا اخا كلب ليس هذا بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم ، وانما علم الغيب هو علم الساعة »[١] .

ومعظم اخبار الغيب التي ذكرها امير المؤمنين يدخل في تحذير الاجيال من الفتن والوقائع ، وحثهم على عدم الركون الى الظالم ، وكثير مما ذكره الإمام (ع) من اخبار المستقبل وقع فعلا كواقعة كربلاء ، ودخول هولاكو بغداد ، واخباره عن بني امية وبني العباس[٢] . وهذا دليل على عظمة النهج وصاحبه ، فكيف يكون مثارا للشبهة والتشكيك ؟ قال الشارح المعتزلّي : « واعلم أنّ هذا الغيب الذي أخبر به (ع) قد رأيناه نحن عيانا ووقع في زماننا ، وكان الناس ينتظرونه من اول الاسلام حتى ساقه القضاء والقدر الى عصرنا ، وهم التتار الذين خرجوا من اقاصي المشرق ...»[٣].

وخلص الدكتور ابراهيم السامرائي إلى أن ما ورد في النهج من أخبار الغيب «يدخل في باب التصوُّر الذي يبدو لأولي الرأي والعقل الذين يدركون الأمر وما وراءه وما يمكن أن يفضي إليه ثم إن الإمام أراد أن يقول إن ما عنده قد أتاه لطول ملازمته للرسول الذي بصره بأساليب الفهم والحكم »[٤] .

---

(١) البحراني ١/ ١١٣-١١٤

(٢) ماهو نهج البلاغة ٥٤-٥٥ ، والمدخل إلى نهج البلاغة ٢٤٢

(٣) المعتزلّي ٣٦٢/١ .

(٤) السامرائي ٢١

وقد ورد في النهج ما هو اهم من الاخبار ببعض الامور الغيبية ، هو وصف خلق السماء والاجواء والملائكة حتى ان المعتزلّي لما وقف على خطبة الإمام (ع) في وصف الملائكة ، قال :« هذا موضع المثل : إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ، إذا جاء هذا الكلام الرباني واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى النُّضَار الخالص ولو فرضنا أن العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الألفاظ من أين لهم المادة التي عبرت هذه الألفاظ عنها ؟ ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وآله هذه المعاني الغامضة السيميائية ليتهيأ لها التعبير عنها ؟ »[١] .

وقال المعتزلي – أيضا- بعد ان وقف على خطبة للامام (ع) يصف فيها علم الله- عزّ وجلّ- بدقائق الامور :« ولو سمع هذا الكلام ارسطوطاليس القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات لخشع قلبه ، ووقف شعره ، واضطرب فكره... لا أرى كلاما يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه فإن هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة وجدول من ذلك البحر وجذوة

من تلك النار وكأنه شرح قوله تعالى : ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾[٢] »[٣].

واستدل المعتزلّي على سعة علم الإمام (ع) بقوله (ع) يصف خلق الخلق :(أنشأ الخلق إنشاء وابتدأه ابتداء بلا روية أجالها .. ولا همامة نفس اضطرب فيها)[٤] إذ قال : « فيه رد على المجوس والثنوية القائلين بالهمامة ولهم فيها خبط طويل يذكره أصحاب المقالات وهذا يدل على صحة ما يقال من أن أميرالمؤمنين (ع) كان يعرف آراء المتقدمين والمتأخرين ويعلم العلوم كلها وليس ذلك ببعيد من فضائله ومناقبه »[٥].

٣ - - رد شبهة احتواء النهج على الزهد والتصوف.

ردّ الشّراح هذه الشبهة بان الزهد في النهج لا يعني ترك الدنيا والانصراف عنها الى الرهبنة ، وانما هو امر اكد عليه الإمام (ع) بعد انتشار الترف والولوع في حبّ الدنيا وحب مقتنياتها بسبب الثروة الهائلة التي اعقبت الفتوحات الكبيرة في بلاد فارس وبلاد الروم ، فظهرت بسببها الطبقية في المجتمع لاول مرة ، فوجد الإمام (ع) نفسه مسؤولا لتوجيه الناس الى الجادة والعمل من اجل الاخرة . وعلى الرغم من ذلك لم يؤثر عن الإمام (ع) انه دعا الى ترك الدنيا واتخاذ صومعة معزولة للعبادة ، وليس أدلُّ على ذلك من قوله (ع) في عهده لمحمد بن أبي بكر (رض) : (انَّ المتَّقِينَ ذَهَبُوا بعاجِلِ الدُّنيا وآجِلِ الآخِرة ، فشَارَكوا أهلَ الدُّنيا في دُنْياهُم ولم يشارِكُوا أهْلَ الدنيا في آخِرَتهم . سَكَنُوا الدنيا بأفضلَ ما سُكِنت وأكَلوها بأفضلَ ما أُكِلَتْ ، فحَظُوا من الدنيا بما حظِي به المُترفون وأخذَوا منها ما

(١)المعتزلي ٣٢٥/٦ وينظر: مجمع الأمثال ٨٨/١.

(٢) الانعام ٥٩ وينظر: الكشاف ٢٤/٢ .

(٣) المعتزلي ٢٤/٧ ، والخطبة هي ٩١ ص ١٦٥ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨

(٥) ينظر: المعتزلّي ٨٠/١

أخَذه الجبابرةُ المتكّبرون ، ثم انْقلبوا عنْها بالزّاد المُبلّغ والمَتْجَرِ الرّابح . أصابُوا لذّة زُهْد الدنيا في دنياهم ، وتيَّقنوا أنَّهم جِيْران اللهِ غدا في آخِرتِهم ...»[١].

وقد شاع بين الناس قوله (ع) في احدى حكمه : (اعملْ لدنياك كأنّك تعيشُ أبدا ، واعملْ لآخِرتِك كأنّك تموتُ غدًا)[٢] فهل في هذه الاقوال ترك الدنيا والانصراف عنها. بل ان الإمام (ع) حارب الرهبنه والاعتكاف الى العبادة دون العمل ، مثلما حارب الترف والتبذير ، فعندما سمع الإمام (ع) انّ بعض اصحابه واسمه عاصم بن زياد ترك أهله وعياله واولاده ولزم المسجد واشتغل بالعبادة قال له : (يا عُديّ نفسِه !لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الخَبِيْثُ أَما رحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ !)[٣] وذكّر الإمام (ع) عاصما بالآيات القرآنية التي تحث على نبذ التقشف والعزلة ، فقال : (وَيْحَكَ ياعاصِم أتَرى اللهَ أباح لك اللذات وهو يكره ما أخذت منها ؟ لأنت أهون على الله من ذلك أو ما سمعته يقول : ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**

﴾[٤] ثم يقول :﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [٥] وقال :﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [٦] ، أما والله إنّ ابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال)[٧]. ولما سأل عاصم الإمام (ع) عن خشونته في ملبسه ومأكله قال له الإمام (ع) :(ويحكَ ، إنّي لَسْتُ كأَنتَ ، إنّ الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدِّروا أنفسُهم بضَعفَةَ النّاس كَيْ لا يتبيَّغَ بالفقيرِ فقُره)[٨]. وقد عقد التستريّ في شرحه الموضوعي فصلا خصصه بزهد الإمام (ع) وهو الفصل الرابع عشر الذي عنوانه (زهده واعراضه عن الدنيا) ، خلص فيه إلى أن الإمام عليّ وصف الدنيا تارة بورقة في فم جرادة تقضمها ، وتارة أخرى بعُراق خنزير في يد مجذوم ، وتارة ثالثة بعفطة عنز. ووصف الدنيا بهذه الشاكلة ملائم للتذكير بالآخرة التي هي دار القرار . وقد وصف القرآن الدنيا بدار اللعب واللهو والغرور وغير ذلك من النعوت التي ترغب في الآخرة[٩] .

---

(١) نهج البلاغة الرسالة ٢٧ ص:٤٨٥-٤٨٦ وينظر: الراونديّ ٧١/٣والمعتزلّي ١٦٥/١٥ والبحراني ٤٢٣/٤ وعبده ٢٨/٢ والخوئي ٦٢/١٩ومغنية٤٥٩/٣ والتستريّ ١٧/٩.

(٢) مصباح البلاغة ١١٧/٢.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٩ ص ٤٠٨ وينظر: البيهقّي ٣١٥ والرواندي ٣٢٩/٢ والكيدريّ ١٨٧/٢والمعتزلّي ٣٤/١١ والبحراني ١٧/٤ والخوئي١٧/١٣ والتستريّ ٣٦٨/٦.

(٤) الرحمن ١٩ .

(٥) الرحمن ٢٢ .

(٦) فاطر ١٢ .

(٧) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٠ ص:٢٤٣ . وينظر: البيهقّي ٣١٦ والراونديّ ٣٢٩/٢ والمعتزلّي ٣٦/١١ والبحراني ٤/ ١٨ والخوئي ١٣/ ١٢٤والشيرازي٣٠٥/٣ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٩ ص:٤٠٩

(٩) ينظر: التستريّ ٣٦٨/٦-٣٨١

٤ - رد شبهة السجع في نهج البلاغة .

احتواء النهج على السجع من الشبهات الكبيرة لدى المشككين ، لأنه ظاهرة أدبية متأخّرة ، واما السجع قبل الاسلام فقد نهى عنه الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فالتزم الخلفاء الراشدون بهذا النهي ، وما ورد في النهج يخالف ذلك النهي[١]. وردّ المناصرون وأولهم الشّرّاح ذلك بأن السجع على نوعين[٢] : الاول: السجع المتكلف الذي يغلب اللفظ على المعنى كسجع الكهّان الذين يعنون بالكلمات المنمّقة ذات الفواصل المشتركة على حساب المعاني وهذا النوع من السجع مرفوض ، وهو الذي نهى النبي (صلى الله عليه وآله) عن الاتيان به في الكلام ، والآخر : هو السجع المستحسن ، وفيه تنساب الكلمات فتغمر السامع بالتأثير والشدّ ، وهذا السجع محمود عند الادباء ، وقد اخذ به القرآن الكريم في سوره المكية ، كالذاريات والواقعة والرحمن والقمر ، وما ورد في القرآن من العبارات المسجوعة يفوق ما ورد في النهج جميعه ، وكذا اخذ الرسول (صلى الله عليه وآله) بالسجع في كثير من أقواله ، وقد اورد الشارح المعتزلّي منها عدة أحاديث

مسجوعة[٣]. ولما وقف الخوئي على قوله (ع) : (هَلْ مِنْ مَناصٍ أُو خَلاصٍ أو معاذٍ أو ملاذٍ أو فِرارٍ او مَحارٍ)[٤] وقوله (ع) : (فاتقُوا الله تَقِيَّة من سَمِعَ فَخَشَعَ واقْتَرَفَ فاعْتَرَفَ ووَجِلَ فَعمِلَ)[٥] ، قال : « انك اذا لاحظت كل لفظة منها وجدتها آخذة برقبة قرينتها ، جاذبة اليها ، دالة عليها بذاتها ، ومحسنات كلامه (عليه السلام) غنية عن الاظهار ، غير محتاجة الى التذكار»[٦] . بل ان بعض المشككين لم يعترف بهذه الشبهة ، كمحمد طاهر درويش الذي قال : « استناد بعض المشككين في نهج البلاغة الى شيوع السجع فيه لا يصلح دليلا على اطلاقه ؛ لان الرسول والخلفاء قبل علّي وغيرهم من الفصحاء كانوا يسجعون »[٧].

وقد اعجب البلغاء والادباء بأسجاع امير المؤمنين (ع) ، ومنهم قدامة بن جعفر الذي قسّم السجع على أنواع ، ومثل لكل نوع فقال : «... فمما اتى في نهاية النظم قول أمير المؤمنين – رض- في بعض خطبه :(أينَ من سعى واجتهَدَ ، وجَمَعَ وعدّدَ ، وزخْرفَ ونجّدَ ، وبَنى وشيَّدَ) فأتبع كل حرف بما هو في جنسه ، وما يحسن معه نظمه ، ولم يقل : اين من سعى ونجد ، وزخرف وشيد ، وبنى وعدد ، ولو قال ذلك لكان مفهوما ومن قائله مستقيما ، وكان مع ذلك فاسد النظم ، قبيح التاليف »[٨]. يريد ان اختلال الترتيب في كلمات الإمام (ع) يفسد النظم والتأليف . وأورد الدكتور ابراهيم السامرائي طائفة من الشبهات التي أثيرت حول النهج تتعلق بالصناعة اللفظية فأنكرها قائلا : « ليس للباحث الجاد قبول كثير من هذه المواد كصناعة السجع والعناية اللفظية ودقة الوصف واستعمال الألفاظ التي تقوم مقام المصطلح والتقسيمات التي أشير إليها ذلك أن شيئا من كل هذا نلمحه ونقف عليه في العربية الإسلامية في خطب الخلفاء ورسائلهم ووصاياهم وفي حديث الرسول الكثير من العناية وإحكام البناء اللغوي »[٩] .

---

(١) ينظر:ص ٩-١٠ من الأطروحة (٢) ينظر : اسرار البلاغة ١١-١٣وجواهر البلاغة ٢٤٨.
(٣) ينظر : المعتزليّ١٢٨/١-١٣٠ والبحراني ٤٨/١ والخوئي ٢٠٣/١ . (٤) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص ١٣٥
(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٢٦ (٦) الخوئي ٧٠/٦ .
(٧) الخطابة في صدر الاسلام ٣٣٣/١ . (٨) نقد النثر ٧٧ . (٩) السامرائيّ ٩ .

٦- رد شبهة النزعة الفلسفية في النهج .

هذه الشبهة ردها المشككون قبل المناصرين ، فقد اجاب احمد زكي صفوة عنها متسائلا : « هل في فكر الإمام وحكمه نظريات فلسفية يعتاص على الباحث فهمها ، ويفتقر في درسها الى حدّ ذهن وكدح خاطر ، فكيف تستكثر الحكمة على علّي وهو الذي كان معروفا بين الصحابة بأصالة الرأي وسداد الفكر»[١] وشارك بعض المشككين في رد التشكيك بعدم معرفة علّي (ع) بعلم الكلام ، قال محمد طاهر درويش : « ولكن ممّا لا شكّ فيه ان الإمام علّيا كان أبا لعلم الكلام في الاسلام لان المتكلمين جميعا اقاموا مذاهبهم على اساسه فلا بد ان شيئا مما ينسب اليه في هذا الموضوع صحيح»[٢].

وأما مناصرو النهج ومنهم الشّرّاح المتأخّرون فرموا أصحاب هذه الشبهة بأنهم لا يعرفون الإمام علّيا (ع) حقّ المعرفة ، فلم يتصوروا الإمام وهو يتكلم بعلوم لم تكن موجودة في زمانه ، لأنهم لا يعرفون ان عليا هو باب مدينة

العلم ، ولا يعرفون انه منبع العلوم وان النهج هو مصدر لعلوم لم يكتشفها الانسان حتى يومنا هذا . ووجه الدكتور ابراهيم السامرائي وجود المصطلحات العلمية والاراء الفلسفية المتاخرة عن زمن الإمام (ع) ، بان « كل ذلك يدل على فهم يتجاوز المتعارف في اللغة في عصر الإمام ولكننا لا نسرع فنحمل هذا كله على الوضع ولنا في سعة مدارك الإمام مندوحة ومتسع »[٣].

وقد أنكر بعض المشككين الوصف الفلسفي في النهج كوصف الخفاش والطاووس والجرادة والنملة وغيرها ، فانبرى فريق من الشّراح لردّ هذه الشبهة فنّوهوا إلى أن غاية الإمام (ع) لم تكن الوصف بل الوعظ والارشاد ، فوصف الطاووس والخفاش إنما ورد في النهج للتنبيه على عجائب صنع الله بغية الالتفات إليه والتفكر في ملكوته[٤] وأما وصف الجرادة فجاء لفائدة عظيمة نبه عليها بعضهم وهي إرشاد الفلاحين إلى خطرها لأنّ أُول خطوة على طريق مكافحة الجرادة هو معرفتها معرفة تفصيلية ، وأمّا وصف النملة فيمنح الانسان درسا في العمل الدؤوب كي لا يكل عن العمل الشاقّ ، ويعلمه مبدأ الادخار الذي لم يكن معروفا في اقتصاديات الصحراء[٥].

وأثار بعضهم شبهة وجود التقسيمات العددية والمنطقية في النهج فتصدى الشّرّاح لهذه الشبهة فردوها من زاويتين : الاولى : وجود هذه التقسيمات في القرآن الكريم ، لا سيما بالاداة (اما) التي سماها العلماء بالتفصيلية ، وكذا وردت في الحديث الشريف كثيرا ، ولو جيء بما ورد من التقسيم في الأدب النبويّ وفي أقوال الحكماء والعلماء في صدر

---

(١) ترجمة الامام علّي ١٢٢ .

(٢) الخطب في العصر العباسّي ٣٣٢/١ .

(٣) السامرائي ٢٦ .

(٤) ينظر : البيهقّي٢٧٥ والراونديّ ٢/ ١٣٧والمعتزلّي ٩/ ٢٦٧والبحراني ٣٠٨/٣والخوئي٤٨/١٠ والتستريّ ٦٦/٧-٦٧ وانصاريان ١٣٤/٢ والشيرازي ٣/٣ .

(٥) ينظر : المدخل الى علوم نهج البلاغة ٢٦٠ .

الاسلام لألّف كتابا كاملا[١] . فما أكثر الاحاديث التي تبدأ بعدد يتلوه تقسيمه ، نحو :« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ...»[٢] ، و « اربع خلال من كن فيه كان منافقا خالصا ... »[٣] فضلا عن ذلك يرتبط استخدام هذه التقسيمات بالخطيب وغرضه ، وربما كان التقسيم هو السبيل الافضل في ترسيخ العبارة في الاذهان .

وأثار منكرو النهج وجود مصطلحات فلسفّية متأخّرة فيه لم تكن مألوفة آنئذ كقوله بالأولّية والأزلّية والكيفّية من نحو قوله (ع) : (لَيْسَ لأَوَّلِيَّتِهِ ابتداءٌ ولا لأَزَلِيَّتِهِ انقضاءٌ)[٤] إذ ردّ السامرائي هذه الشبهة بأن « استعمال الإمام هذه الألفاظ في حيز فلسفي انما يدل على فهم يتجاوز المتعارف في اللغة في عصره ومنه استقيت هذه المصطلحات فيما بعد ؛ لأنه المؤسس الأول للفلسفة الإسلامية ولعلوم الكلام »[٥] .

بقي أن يعلم أن أكثر ما تمسك به الشّراح في عضد نسبته إلى الإمام علّي هو فصاحته العليا التي لا يليق بها إلا ابن أبي طالب ، إذ جهر معظم الشّرّاح بذهولهم الشديد إزاء فصاحته التي لا تدانيها فصاحة ، بل إنّ الفصاحة العربية أعطته قيادها وملّكته زمامها بلا منازع[٦] .

(١) ينظر: المدخل إلى نهج البلاغة ٢٥٧

(٢) صحيح البخاري ٢٣٦٩ وينظر : ٧٢١٢ و ٧٤٤٦ .

(٣) نفسه ٣١٧٨ .

(٤) الخطبة ١٦٢ ص:١٩٠

(٥) السامرائي ٢٦

(٦) ينظر: المعتزلّي ١٤٦/١٤

المبحث الثالث

شراح النهج وعلم الدلالة .

سار الفكر الدلالي لدى شراح نهج البلاغة في جانبين : الاول : تطبيقي يظهر خلال الشروح ، إذ عمد الشّرّاح إلى البحث الدلا لّي في شرحهم مفردات النهج وتراكيبه على نحو جلّي بغية الوصول الى مغزى كلامه (ع) ، فجاء البحث الدلالي لديهم متنوعا ومتّخذا عدّة جوانب ، منها ما ارتكز على ايحاء الاصوات وائتلافها للدلالة على المعنى العام للفظة، ومنها ما اهتم ببنية اللفظة ومجيئها على زنة معينة دون غيرها لأداء معنى محدّد لا تؤديه لفظة بصيغة اخرى ، ومنها تلّمس العلاقة بين المعنى والتركيب من حيث التقديم والتأخير والحذف والذكر والوصل والفصل والتعريف والتنكير

وعود الضمير والمطابقة أوالاختلاف في العدد والجنس فضلا عن ملاحقة التطور التاريخي للألفاظ ، ومتابعة تغّيرات المعنى بين ارتفاع وهبوط ، او تخصيص وتعميم ، الى جانب الاهتمام بنسبة الالفاظ بعضها الى بعض ، وملاحظة اثر الحركات الإعرابية ، وتتبع معاني الادوات ودلالتها على المعنى المقصود. وسيأتي تفصيل ذلك في الفصول الأربعة القادمة . والآخر : تنظيري وهو موضوع هذا المبحث ويظهر في مقدمتي الشارحين البحراني والخوئي إذ هما بعنوان (مباحث الالفاظ) . أّما سائر الشّرّاح فأوردوا كثيرا من الالتماعات الدلالية المستقلة التي جاءت مبثوثة في عدة مواضع من شروحهم .

لقد زخرت مقدمتا البحراني والخوئي بالكثير من المفاهيم الدلالية من حيث التقسيمات المتعددة للالفاظ حسب معانيها لتظهر لنا مصطلحات : المجمل ، والمفصل ، والمتواطئ ، والمشترك ، والمترادف . وقد افرد الشارحان مباحث مستقلة لدراسة المشترك والمترادف ، واكتفيا بتعريف عام لباقي الاقسام ، فضلا عن ذكرهما تقسيمات الدلالة وانواعها ، وتقسيمات الالفاظ تبعا لدلالاتها العامة . وتضمنت هذه المباحث اللفظية جانبا مُهِمّا من جوانب الدلالة عالج فيه الشارحان مسألة علاقة الدال بالمدلول من خلال دراسة وقت اطلاق الاسم على المسمى الخارجي . وتضمنت – ايضا – مسألة مهّمة هي أصل وضع اللفظة للدلالة على معناها ، إذ عرض الشارحان لبحث ما يعرف بالحقيقة والمجاز بصورة تفصيلية .

والشارحان في مقدمتيهما هاتين يسيران على خطى الاصوليين الذين يفتتحون مصنفاتهم بالبحوث اللغوّية التي ينتظم جزؤها الاكبر من العلاقة بين اللفظ والمعنى ، وقد سّموها (المبادئ اللغوية) او(مباحث الالفاظ)، وهي تمثل جملة من العلوم هي : النحو ، والصرف ، واللغة ، وعلوم البلاغة ، والمنطق وغيرها من العلوم التي تعين على الاستنباط في تأدية الوظائف الفقهية[١] ، وقد أدرك الاصوليون قبل الدخول في موضوعاتهم وقواعدهم لاستنباط الحكم الشرعي من النص اهمية هذه المباديء ، اذ تساعدهم على فهم معنى النص ، فاستعانوا

(١) ينظر:البحراني ١/١٧-١٤٢والخوئي ١/٢٦-٣٥١

بها على نطاق واسع في التفسير سواء في النص القرآني وشروح الحديث الشريف ودراسة متون المرويات ، ونصوص الصحابة (رض) ، ونصوص خطب الائمة (ع) . ومن ذلك شروح نهج البلاغة[١] .

لقد أشار الشارح البحراني الى غايته من وضع مقدمة لشرحه بقوله : « فاعلم ان كلامه عليه السلام يشتمل على مباحث عظيمة تتشعب عن علوم جليلة يحتاج المتصدي للخوض فيه وفهم ما يشرح منه بعد جودة ذهنه وصفاء قريحته الى تقديم ابحاث تعينه على الوصول الى تلك المقاصد ، ولما ابرز (ع) مقاصده في الفاظ خطابية اما منطوق بها او مكتوبة تعيَّن ان اذكر من مباحث الالفاظ قدرا تمسّ الحاجة اليه»[٢] ، والامر عينه يلحظ لدى الخوئي في قوله : « قبل الشروع في المقصود لابد من تقديم مقدمة وجملة من المطالب المهمة يستعان بها على ما يذكر في الشرح وتوجب زيادة البصيرة»[٣]

وقد تناول الاصوليون جملة من المسائل في مباحث (المباديء اللغوية) تشتمل على العلاقة بين اللفظ والمعنى، واقسامها واحكام كل قسم ، وانواع دلالة اللفظ ، وبحوث الوضع وأصل اللغة ، والبحوث المرتبطة بمعاني الحروف والهيئات والمشتقات ودراسة الحقيقة والمجاز. كما استخلصوها من الاستقراء لكلام العرب[٤] ، ولذا كان الاصوليون من اكثر العلماء عناية بدراسة المعنى، فقد فاق اهتمامهم بها اللغويين والبلاغيين[٥] وقد نحا الشارحان البحراني والخوئي هذا المنحى فأقرّا الركائز الدلالية في مباحث الالفاظ سيرا على نهج الاصوليين ، كما في المطالب الآتية:

المطلب الأول : تقسيمات الالفاظ .

ابتدأ الشارحان البحرانّي والخوئّي في مقدمتيهما بتقسيمات متعددة للالفاظ وباعتبارات متنوعة ، منها تقسيمات للالفاظ حسب المراد بجزئها ، وتقسيمات للألفاظ بحسب تصور معناها ، وتقسيمات للألفاظ على وفق علاقتها بالمعنى ، وتقسيمات للألفاظ حسب مدلولها ، وتقسيمات للالفاظ حسب دلالتها على مسمياتها[٦] . وما يهمنا هو التقسيمات الدلالية للالفاظ ، وهي الثلاثة الاخيرة ، فقد ذكر البحراني تقسيمات للالفاظ على وفق علاقتها بالمعنى ، بقوله :« اللفظ والمعنى اما ان يتّحدا او يتكثّرا او يتّحد اللفظ ويتكثّر المعنى ، او بالعكس»[٧] ، وتابعه على هذا التقسيم الشارح الخوئي[٨] . وهذه التقسيمات الأربعة هي المتبعة لدى أغلب الأصوليين[٩] ، وقد فصّل البحراني

---

(١) أصول الفقه (المظفر) ٣ .

(٢) البحراني ٢٣/١ . (٣) الخوئي ١٠/١.

(٤) ينظر: المعتمد في أصول الفقه٣٠/١ وعدة الأصول ٤/١ - ٢٤ واللمع في أصول الفقه٥ - ٢٩ والمستصفى ٩/١ – ٣٢.

(٥) ينظر: التصور اللغوي عند الأصوليين ٧٣ ودراسة المعنى عند الأصوليين ١١.

(٦) ينظر: البحراني ٢٨/١ والخوئي ١٠/١ . (٧) البحراني ٢٧/١ .

(٨) ينظر : الخوئي ١٠/١.

(٩) ينظر: المستصفى ٣١/١ والتصور اللغوي عند الأصوليين ٩٩ - ١٠٠.

متابعة منه لأغلب الأصوليين القسم الاول ، وهو اتّحاد اللفظ والمعنى الى نوعين : أولهما : ان يكون الاتحاد بين اللفظ والمعنى جزئيا ، وهو العَلَم نحو : لفظة (زيد) ، والآخر: ان يكون الاتحاد بين اللفظ والمعنى كليا ، وهو المتواطئ نحو لفظة : (رجل) ، وقد بين الأصولّيون المراد بالالفاظ المتواطئة بانها « الالفاظ التي تطلق على اشياء متغايرة بالعدد ولكنها متفقة بالمعنى الذي وضع الاسم عليها ، كاسم الرجل فانه يطلق على زيد وعمرو وبكر وخالد ... وكل اسم مطلق ليس بمتعين ... فانه ينطلق على احاد مسمياته الكثيرة بطريق التواطئ ، كاسم اللون للسواد والبياض والحمرة فإنّها متفقة في المعنى الذي به سمّي اللون لونا ، وليس بطريق الاشتراك»[١] . غير ان الشارح الخوئي خالف صاحبه في القسم الاول ، رافضا القول باتحاد اللفظ والمعنى ، معللا ذلك بقوله : « والظاهر عدم وجود مثال لهذا القسم ... وذلك لأنّ مرادهم بالمعنى في المقسّم ان كان خصوص المعنى الحقيقي فيبطل التقسيم في الاقسام الاتية ، وان كان

الاعم من الحقيقة والمجاز فيشكل القسمة الى هذا القسم ، اذ ما من حقيقة الا وله مجاز ، فليس لنا لفظ متحد المعنى ظاهرا فتامل »[٢] يريد ان لفظ (رجل) السابق لا يخلو من استعماله مجازيا ، وبذلك لا يتحد اللفظ مع معناه كليا كما ذكروا ، فيبطل تقسيمهم لدى الخوئي الذي نظر الى الالفاظ المتواطئة من زاوية امكانية وقوع الشركة في تصور مفهوم اللفظ المفرد من عدمها ، لا من حيث اتحاد هذا اللفظ مع معناه ، فالكُلّي عنده ما « تساوى صدقه على أفراده كالانسان يسمى متواطئا لتواطؤ أفراده وتوافقه فيه »[٣] ، فلفظ (الانسان) هو لفظ مفرد لا يمنع مفهومه من وقوع الشركة مع اسماء اخرى نحو : زيد وعمرو وخالد ، على حين ان الجزئي وهو العلم نحو : زيد يمتنع فيه حصول الشركة مع أسماء أخرى ، فهو لا يدل الا على زيد دون غيره . ويبدو ان العلماء ولا سيما الاصوليون قد اسرفوا في ادعاء المجاز حتى جعلوا اللغة كلّها مجازا كما يذكر ابنُ جني [٤] ، وهذه مسالة فيها نظر وغير مسلم بها . وقد اصطلح البحراني والخوئي متابعة منهما للاصوليين على التقسيم الثاني للفظ والمعنى حين يتكثرا بـ (الالفاظ المتباينة) ، والمراد بها « الاسامي المختلفة للمعاني المختلفة ، كالسواد ، والقدرة والاسد ، والسماء ، والارض ، وسائر الاسامي ، وهي الاكثر »[٥] ، فمصطلح المتباين ماخوذ من البين بمعنى الافتراق[٦] ، اي افتراق المسميات في حقائقها لان المتباين هو ما اختلف لفظه واختلف معناه[٧] . وكذلك اصطلحوا

---

(١) المستصفى ٣١/١- ٣٢ وينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين ٩٠

(٢) الخوئي ١٠/١

(٣) الخوئي ١٤/١

(٤) ينظر : الخصائص ٤٤٩/٢ .

(٥) المستصفى ٣١/١

(٦) ينظر: المفردات١٥٦ والقاموس ١٠٨٩ .

(٧) ينظر: التضاد في ضوء اللغات السامية :٥

على القسم الثالث الذي يتكثر فيه اللفظ ويتحد المعنى بأنه الالفاظ المترادفة ، اما القسم الرابع فهو المعروف بالمشترك ، الذي تنعكس فيه المسالة فيتحد اللفظ وتتكثر المعاني ، وقد افرد الشارحان البحراني والخوئي لكل من : الترادف والاشتراك مبحثا مستقلا . ومن الملاحظ أنّ هذه التقسيمات التي ذكرها الشارحان هي تقسيمات أشار اليها سيبويه في الباب الذي سماه : باب اللفظ للمعاني ، وفيه يجعل التقسيمات ثلاثة ، اذ يقول : « اعلم ان من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين »[١] ، وهو بذلك يذكر : المتباين ، والمترادف ، والمشترك . وقد ذكر البحراني تقسيما للالفاظ حسب دلالاتها فقال : « اللفظ قد يكون مدلوله لفظا مفردا او مركبا ، وعلى التقديرين فأّما ان يدل على معنى او لا يدل ، فهذه اقسام اربعة ، الاول : لفظ مفرد دال على معنى مفرد كلفظ الكلمة والاسم والفعل والحرف ، والثاني : لفظ مفرد دال على لفظ مركب دال على

معنى مركب كلفظ الخبر والكلام والقول الدال على قولنا : زيد كاتب الدال على معانيه ، والثالث : لفظ مفرد دال على لفظ مفرد غير دال على معنى كقولنا : ا ، ب ، وسائر حروف المعجم ، والرابع : لفظ مفرد دال على لفظ مركب غير دال كلفظ الهذيان والهذر »[٢] ، وهذا القول فيه نظر ، فقد ذكر البحراني في مقدمة هذا التقسيم العلاقة بين اللفظ (المفرد والمركب في مدلوله) وبين المعنى ، وذكر أنّ هذين التقديرين أمّا ان يدلاّ على معنى او لا يدلاّن ، لكنّه لما ذكر الصنف الاول وهو(المفرد الدال على معنى مفرد) لم يذكر التقدير الثاني، وهو(المفرد الدال على معنى مركب) ، ولما ذكر(المفرد الدال على لفظ مفرد غير دال على معنى) لم يذكر التقدير الثاني له وهو(المفرد الدال على لفظ مفرد دال على معنى) ليتناسب ذلك مع مقدمته للتقسيم. فضلا عن ذلك جاء تمثيل الشارح لهذه التقسيمات قاصرا ، فلفظة (الكلمة) التي مثل بها للفظ المفرد الدال على معنى مفرد قد تاتي دالة على معنى مركب عندما تكون دالة على خطبة طويلة او قصيرة ، وكذلك لفظ (الخبر) التي ذكرها مثالا للفظ المفرد الدال على لفظ مركب دال على معنى مركب لا تصدق في كل الاحيان على الجملة الخبرية فهذه اللفظة قد يراد بها الدلالة على المفرد وهو خبر المبتدأ في الاستعمال النحوي ، والشيء نفسه يلحظ في لفظة (الهذيان) ، فهي دالة على مركب ، ولكن هذا المركب لا يخلو من الدلالة كما ذكر الشارح ، لان المفهوم من دلالة (الهذيان) – اللفظة المفردة – هو دلالتها على جملة ، وهذه الجملة مكونة من الفاظ ذات معنى ، وان تركيب هذه الالفاظ مع بعضها له معنى غير مفهوم للسامع ، فهي جملة لها دلالة على معنى غير مفهوم[٣] .وقد أورد البحراني تقسيما آخر للالفاظ حسب دلالتها على مسمياتها ، وهو تقسيم يذكر فيه انواع الدلالة لدى الاصوليين ، بقوله :«دلالة

---

(١) الكتاب ٢٤/١ وينظر: الخصائص ١٤٥/٢و١٥٢والمزهر ٣٦٩/١ .

(٢) البحراني ٢٩/١ .

(٣) ينظر: الحل القصدي ١٥

اللفظ اما على تمام مسمّاه ، او على جزء مسماه من حيث هو جزؤه ، او على الامر الخارج عن مسمّاه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم له ، والدلالة الاولى : هي دلالة المطابقة ، كدلالة لفظ الانسان على الحيوان الناطق ، والثانية : دلالة التضمن ، كدلالته على الحيوان وحده او على الناطق وحده ، والثالثة : دلالة الالتزام ، كدلالته على الضاحك»[١]. والدلالة الاولى – المطابقة – يسميها البحراني وضعية ، اما الدلالتان الثانية والثالثة فيرى انهما مشتركتان بين الوضع والعقل ، وبذلك يخالف تقسيم الاصوليين في عدّهما عقليتين[٢] ، وقد علّل رفضه العقلية الصرفة في تسمية هاتين الدلالتين التضمنية والالتزامية بقوله : « لانهم ان ارادوا انهما حاصلتان عن صرف العقل من دون مشاركة الوضع فهو باطل ، لانه لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ لما حصلت هاتان الدلالتان ، وايضا فانهم – اي الاصوليين – صرحوا بانهما من دلالات الالفاظ فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولهما عن مجرد العقل ، وان ارادوا بذلك ان الذهن عند تصور المعنى من لفظة ينتقل منه الى جزئه او الى لازمه فهو حق وحينئذ تكون هاتان الدلالتان

بشركة من الوضع والعقل»[٣] . وفي قول البحراني هذا يظهر اتجاه القصدية في العلاقة بين الدال والمدلول بقوله : « لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ» الذي سيتضح لاحقا . ولولا هذه القصدية في وضع اللفظ دالا على مسماه لما حصلت الدلالة على ما يتضمنه اللفظ او يلازمه . واكد البحراني على اشتراك الوضع والعقل في الدلالة الالتزامية دون اقتصارها على العقل وحده بقوله : إنّ « اللزوم الذهني ليس موجبا لانتقال الذهن من الملزوم الى لازمه ، اذ ليس هو تمام ما يتوقف عليه الالتزام ، بل لابد من تصوّر الملزوم اولا ، وذلك متوقّف على وضع اللفظ بازائِه ، والعلم بالوضع ، وسماع اللفظ او حضوره بالبال ، فهو اذن احد الشروط المعدة لتصور اللازم»[٤].

وتابع الخوئيُّ البحرانيَّ في ذكر هذه الانواع الثلاثة ، غير انه اورد راي المناطقة[٥] في تسميتها بأنها وضعية « من جهة ان للوضع مدخلا فيها ، ويخصون العقلية بالعقلية الصرفة المقابلة للوضعية والطبيعية ، كدلالة الدخان على النار ، واللفظ المسموع من وراء الجدار على وجود اللافظ ولا مشاحّة في ذلك»[٦] وتعقيب الخوئي على تصنيف المناطقة يدل على أخذه به .

لقد ذكر الشارح البحراني الدلالة الطبيعية المتعلقة بما يعتري الانسان من تغيرات ظاهرية دالة على حالاته النفسية وصراعاته الداخلية ، وذلك في شرحه لقوله (ع) : (ما أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إلا ظَهَرَفي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وصَفَحَاتِ

(١) البحراني ٢٣/١ وينظر: السرخسي ١٩٨/١ .

(٢) ينظر: غاية الوصول شرح لب الأصول ٢٩ .

(٣) البحراني ٢٤/١ . (٤) نفسه ٢٤/١ .

(٥) ينظر: شرح تنقيح الفصول للقرافي٢٣، وشروح التلخيص٣/٢٦٦-٢٦٧ والطراز ٣٤/١- ٣٩ وتحرير القواعد المنطقية٢٠-٢١. (٦) الخوئي ١٢/١-١٣

وَجْهِهِ)[١] ، فقد بين البحراني أنّه « لما كانت التصورات والامور النفسانية مبادئ للآثار الظاهرة ، كصفرة الوجل ، وحمرة الخجل لم ينفك بعض الامور المضمرة عن ظهور ما يعرف به من الآثار في صفحات الوجه والعين»[٢] ، ثم زاد الشارح مغنية بيانا لهذه الحالات من الدلائل الطبيعية فقال : « للتعبير عما في النفس العديد من الوسائل ، منها : اللفظ ، والكتابة ، والاشارة ، ومنها : الرقص ، والرسم ، والالحان ، ومنها : نظرات العين ، وابتسام الفم ، وصفحات الوجه ، والعبوس ، والدموع ، حتى المني جوب ، وشعر الخنافس ، بل والصمت ايضا بعض الاحيان من وسائل التعبير ... وبالاولى فلتات اللسان»[٣] وقد ألمح سائر الشّراح إلى ذلك دونما تفصيل[٤] .

اما الدلالة العقلية الصرفة فقد ذكرها شراح النهج وهم يشرحون قوله (ع): (الحمدُ للهِ الدالّ على وجودِهِ بخلقِهِ ...)[٥] إذ بيّنوا أنّ ثمة نوعين من الدلالة على وجوده تعالى هما : الدلالة العقلية ، والدلالة الكلامية ، فالدلالة العقلية على وجوده تعالى هي « من النظر في نفس الوجود»[٦] ، اما الدلالة الكلامية فقد تكفل الشارح البيهقّي في بيانها ، فرأى ان كلامه (ع) يعني « أنّ الفعل لايصِحُّ الا من قادر ، فالفعل يدل بواسطة الصّحة على القادر ، والقادر لا

يصحّ كونه قادرا حتى يكون موجودا لاستحالة كون المعدوم قادرا ، ولقيام الدلالة على ذلك ، فصح أنّه تعالى دالّ على وجوده بخلقه ، فكُلّما وجد مقدور من مقدوراته دل على وجوده من هذا الوجه»[٧] وشايع البيهقّي فريق من الشراح[٨].

وهناك تقسيم اخر ينبثق من انواع الدلالات الوضعية ، وهو يختص بدلالة التراكيب والجمل ، فقد قسم المتكلمون[٩] الدلالات على قسمين رئيسين :

القسم الأول : دلالة المنطوق ، وهي دلالة اللفظ على حكم في محل النطق . والمنطوق على نوعين **أولهما** : المنطوق الصريح وهو دلالة اللفظ على الحكم بطريق المطابقة او التضمن . **والآخر** :المنطوق غير الصريح وهو دلالة اللفظ على الحكم بطريق الالتزام ، وهذا دلالاته ثلاث هي: دلالة الاقتضاء ، ودلالة الايماء ، ودلالة الاشارة .

---

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٢٦ ص ٦٠٢-٦٠٣ .

(٢) البحراني ٢٣٤/٥ .

(٣) مغنية ٥٩/٦

(٤) ينظر : البيهقّي ٤٠٣ والراونديّ٣٧٠/٣والكيدريّ٦٠٨/٢ والمعتزلّي١٣٧/١٨ والخوئي٤٣/٢١ والتستريّ٤٨٢/١٤ وأبو الفضل ٣١٢/٢ والشيرازي٢٦٩/٤ والموسوي٢٢٣/٥ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٢ ص ٢٦٦ .

(٦) المعتزلّي١٤٨/٩ وينظر: البحراني ٢٢٩/٣ومغنية٣٧٠/٢ والتستريّ ٢٦٠/١ وأنصاريان٧٢/٢ والشيرازي٣٧٤/٢.

(٧) البيهقّي٢٤٠-٢٤١ .

(٨) ينظر: الراونديّ ٩٠/٢ والكيدريّ ٦٥٩/١ .

(٩) ينظر: أصول السرخسي٢٣٦/١ وأسباب اختلاف الفقهاء ١٥٨-١٩٣ وأصول الفقه الإسلامي في نسيجه الجديد١٠/١-١١ ومفاهيم الألفاظ ودلالتها عند الأصوليين ٦

القسم الثاني : دلالة المفهوم . وهو على نوعين : مفهوم الموافقة ، ومفهوم المخالفة ، والمفهومات كلها تعد من باب دلالة الالتزام . وقد عرفوا مفهوم الموافقة بانه « فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصده ، كفهم تحريم الشتم ، والقتل ، والضرب من قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُما** ﴾[١] ....»[٢] . اما مفهوم المخالفة عند القائلين به[٣] فقد عرفوه بأنّه « الاستدلال بتخصيص الشيء بالذكر على نفي الحكم عما عداه »[٤]، ومن امثلته لديهم قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ** ﴾[٥] اذ استدلوُّا على وجوب الصّلاة على المسلم الميّت بطريق المفهوم من تحريم الصلاة على المنافقين.

ولا نجد تفصيلَ هذه الأقسام في مقدمتي البحرانّي والخوئّي سوى ذكر البحراني بصورةٍ مجملة لدلالة الاقتضاء التي عدّها من دلالات الالتزام ، وذكر انها أمّا اقتضاء عقلي او اقتضاء شرعي ، ومثّل للعقلية بشرطية « نصب السلم لصعود السطح عند الامر به ، او شرعية كشرطية الوضوء للصلاة عند الأمر بها »[٦] ، ثم تطرّق الى ذكر دلالة المفهوم بقوله : « اللفظ المركب اذا استلزم تركيبه معنى فأمّا ان يكون من متممات المعاني المذكورة بالمطابقة او من توابعها ، والأوّل كدلالة تحريم التأفيف على تحريم الضرب ، واما الثاني فكاستلزام قوله تعالى : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ**

الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُم ... حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾[٧] لعدم فساد صوم من أصبح جنبا ، والا لحرم الوطء في اخر جزء من الليل يتسع للغسل »[٨] .

وعرض مغنية الى ذكر دلالتي المنطوق والمفهوم ، والتعريف بكل منهما ، وذلك في شرحه لقوله (ع) في احدى حكمه ، انه لّما (قيل له : صف لنا العاقل، فقال (ع) : (هُوَ الذي يضعُ الشيءَ مواضِعَه ، فقيلَ : فصِفْ لنا الجاهلَ ، فقالَ : قَدْ فَعَلْتُ)[٩] ، اذ شرح مغنية هذه الحكمة بقوله : « ان تحديد احد الضدين اللذين لا ثالث لهما كالعلم والجهل ، والليل والنهار هو تحديد للاخر بالمفهوم لا بالمنطوق ، ويسميه علماء اصول الفقه بمفهوم المخالفة ، وعرفوه بدلالة اللفظ على مخالفة حكم المسكوت عنه لحكم المنطوق به مثل: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[١٠] ، فالمنطوق به هنا تحريم ما ذبح على غير اسم الله ، والمسكوت عنه تحليل ما ذبح على اسم الله ، ولكن دل عليه اللفظ مفهوما لا منطوقا ، اما مفهوم الموافقة فهو دلالة اللفظ على موافقة الحكم المسكوت عنه لحكم المنطوق به بطريق اولى ،مثل :﴿ وَقَضَى

---

(١) الإسراء٢٣ (٢) المستصفى ١٩٠/٢.

(٣) ينظر: البرهان في أصول الفقه ٤٥٥/١ والمستصفى ١٩١/٢ وميزان الأصول ٥٨٢/١ .

(٤) المستصفى ١٩١/٢ . (٥) التوبة ٨٤ .

(٦) البحراني ٢٩/١ . (٧) البقرة ١٨٧وينظر: الكشاف ٣٣٨/١ .

(٨) البحراني ٢٩/١-٣٠ (٩) نهج البلاغة : الحكمة ٢٣٥ ص ٦٤٥ .

(١٠) البقرة١٧٣

رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[١] فإنّه يدلّ على تحريم الضرب بالمفهوم وهو موافق لحكم المنطوق ، ومن هنا سمّي بمفهوم الموافقة ، وذلك بمفهوم المخالفة »[٢] ويظهر تعريف مغنية هذا قريبا من تعريف الآمدي (ت٦٣١ هـ) الذي عرف مفهوم المخالفة بانه « ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفا لمدلوله في محل النطق »[٣] وعرف مفهوم الموافقة بأنّه : « ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقا لمدلوله في محل النطق»[٤] .

ولم يلتفت سائر شراح النهج الى دلالة المفهوم من قوله (ع) السابق ، الا انهم اوردوا انواعا من دلالة المنطوق ، ودلالة المفهوم في شرحهم لأقوال أخرى للإمام (ع) فذكروا مصطلحات : الايماء، والاقتضاء، والاشارة، والمفهوم، وغير ذلك . ومن ذلك ذهاب معظم شراح النهج الى تفسير قوله (ع) : (مَنْ تَعْرِفوا الرُّشْدَ حتّى تَعْرِفُوا الذي تَرَكَه)[٥] بالمفهوم من هذا النص ، وهو الذي عبر عنه الشارح الراونديّ بقوله ان هذا الكلام هو : « اشارة الى أنّ التولي لاولياء الله لا يتم الا بالتبرُّؤ من أعداء الله »[٦] وتابعه المعتزلّي على هذا المفهوم مستعملا مصطلح (التنبيه) بدلا من (الاشارة) ، مبينا ان هذا الكلام « فيه تنبيه على انه يجب البراءة من اهل الضلال ، وهو قول اصحابنا جميعهم ...»[٧] ، ثم تابعه

في ذكر هذا المعنى المفهوم من نص الإمام (ع) معظم شراح النهج[٨] ، ويبدو أنّ الذي قادهم الى تجاوز ظاهر النص الذي مفاده ان معرفة الظالم هي معرفة للرشد ، والغور الى مفهوم اخر ، هو ما بينه الشارح مغنية من ان « دين الله لا يعرف بالرجال، فاعرف الحق تعرف اهله ... لا يريد الإمام (ع) بقوله هذا ان يحدد معنى الرشد ولا هو بصدد ذلك ، وانما يريد ان ينّبه الأذهان الى أنّ المؤمن عليه ان يتبرأ ويكافح اهل الفساد والضلال»[٩]. وبّين الراونديّ دلالة المفهوم وهو يوضح قوله (ع) : (لا يُدْرِكُه بُعْدُ الهِمَمِ)[١٠] قائلا : «ان الهمة القريبة لا تدركه ايضا... ونحوه: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾[١١] فانه لّما استوى على العرش مع انه أكبر المخلوقات فلأنْ يكون عاليا إلى ما دونه أولى ، ونحوه ، و(ان كان) بالعكس من وجه آخر قوله : ﴿**فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ** ﴾[١٢] فإنّه أدنى العقوق وقد نهى سبحانه عن كثير العقوق ايضا ، أي : لا تؤذهما بقليل ولا كثير »[١٣] .

---

(١) الإسراء٢٣ . (٢) مغنية ٢٩٥/٦ .

(٣) الإحكام ٩٩/٣ وينظر: شرح تنقيح الفصيح ٥٥ .

(٤) الإحكام٩٤/٣ وينظر : كشاف اصطلاحات الفنون٤٢٠/٦ والمعجم الفلسفي ٤٠٣/٢

(٥) نهج البلاغة الخطبة ١٤٧ ص ٢٥٨ .

(٦) الراونديّ ٧٥/٢ . (٧) المعتزلّي١٠٧/٩.

(٨) ينظر: البحراني ٢٠٤/٣ والخوئي ٧٥/٩ وابو الفضل٣٣٦/١ وأنصاريان٥٧/٢ والموسوي٤٤٩/٢.

(٩) مغنية٣٤٢/٢ (١٠) الخطبة ١ .

(١١) طه ٥ وينظر: الكشاف ٥٣٠/٢ . (١٢) الاسراء ٢٣ وينظر: الكشاف ٤٤٤/٢ .

(١٣) الراونديّ ٣١/١ وينظر: الكيدريّ١١٨/٢ .

وقد تتعدد المفهومات من النص تبعا لآراء الشّرّاح ، على وفق ما جاء في مخالفة الشارح التستريّ لهذا المفهوم الذي أجمع عليه شراح النهج[١]. ومن أمثلة ذلك – ايضا – استعمال الشارح الراونديّ لمصطلح (الاشارة) للدلالة على ان مراد الإمام (ع) هو ذكر الإمام المهدي (ع) ، وذلك في عدة عبارات منها قوله (ع) :(يا قومِ هذا إبّانُ وُرودِ كلِّ موعودٍ ، ودُنُوٌّ من طَلْعَةِ ما لا تَعْرِفُون)[٢] ، إذ ذكر الراونديّ أنّ « هذا اشارة الى عهد المهدي ، وقرب قيامه ، وايماء الى المؤمنين الذين يكونون في غيبة الإمام يحلون مشكلا وشبهة في الدين ، ويعتقون رقّا من ضعفاء الشيعة ...»[٣]، وتابعه جمع من شراح النهج[٤] على اشارة هذا النص الى الإمام المهدي (ع) ، عدا الشارح الخوئي الذي لم يفهم من النص دلالته على الإمام المهدي (ع) بحجة عدم اكتمال الخطبة التي وردت فيها هذه العبارة اذ اقتطعها الرضيّ من كلام اخر ،فعلّق الخوئي قائلا : « والانصاف ان كلامه (ع) متشابه المراد لان السيد (ره) حذف اول الخطبة وساقها على غير نسق ، فأوجب ذلك ابهام المراد ، واعْضال الكلام »[٥] .

ومن استعمال الشّراح مصطلح الإشارة أن الكيدريّ لما وقف على قوله (ع) في الموت : (وصَارَتِ الأجسادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهاَ والعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِها والأَرواحُ مُرْتَهَنَةً بِثَقَلِ أَعْبَائِها)[٦] قال: « هذا إشارة الى العذاب الروحاني»[٧] ، وبه قال بعض شراح النهج[٨].

وورد لدى الشارح المعتزلّي مصطلح (الايماء) وهو يشرح قوله (ع) :(كلُّ معدودٍ مُنْقَضٍ ، وكلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ)[٩] ، اذ قال في تفسير كلامه (ع) : « انه ليس يعني ان العدد علة في وجوب الانقضاء ، كما يشعر به ظاهر لفظه ، والذي يسميه اصحاب اصول الفقه ايماء ، وانما مراده كل معدود فاعلموا انه فان ومنقض ، فقد حكم على كل معدود بالانقضاء حكما مجردا عن العلة ، كما لو قيل : زيد قائم ، لانه يسمى زيدا »[١٠] ، وخالفه في هذا التفسير بعض الشراح[١١].

---

(١) ينظر:التستريّ ٦٠/٣ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٥٠ ص ٢٦١ و ينظر: الخطبة ١٨١ والخطبة ٢٩٩ .

(٣) الراونديّ ٨١/٢ .

(٤) الكيدريّ ٦٥١/١ والبحراني ٢١٤/٣ ومغنية٣٥٦/٢ والتستريّ ٢٠٧/٦ وأنصاريان٦٢/٢والموسوي٤٦٢/٢ .

(٥) الخوئي ١٣٥/٩.

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٢٩ .

(٧) الكيدريّ٣٩٢/١ .

(٨) ينظر:البحراني ٢٨٣/٢ وللشيرازي ٣٢٧/١ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٢ ص ١٨٧ .

(١٠) المعتزلّي ٢٢٢/١٨ .

(١١) ينظر: البحراني ١٨/٣ والخوئي١٨٤/٧ والموسوي ١٨٠/٢ .

واستعمل الشّراح مصطلحات اخرى مقاربة للدلالة على المفهوم من نصوص الإمام (ع) من نحو : « وفيه رمز الى كذا »[١] ، « وفيه تعريض »[٢] ، «وهذا يدل على كذا »[٣] ، «وفيه تلويح الى كذا »[٤] ، وغيرها من المصطلحات الموصلة الى المعنى المفهوم من ظاهر النصوص .

ويمكن عد الكنايات والامثال من التراكيب التي توصل الى المعنى المراد منها من خلال مفهومها ، وقد بين أكثر شراح النهج المراد من الكنايات الواردة في كلام الإمام (ع) من خلال مصطلح الاشارة الذي ينفذ من ظاهر الكناية الى المعنى المراد منها ، من ذلك قول الراونديّ وهو يشرح الكناية الواردة في قوله (ع) يصف مدة خلافة مروران ابن الحكم : (كَلَقْـَةِ الكَلْبِ أُنفه)[٥] ، اذ قال : ان هذه الكناية «اشارة الى قلة مدة خلافته »[٦] ، وهذا هو رأي سائر الشراح[٧] . وعبرالشيرازي عن هذا المعنى بلفظة (التصوير) ، اذ يقول : « هذا تصوير لقصر مدة امارة مروان ، والمراد بلعق انفه لحسه اياه»[٨]. ومن الكنايات الواردة في النهج قوله (ع) يصف مآل أنصاره بعد وفاته : (وَلَتُسلطُنَّ سَوْطَ القِدْرِ)[٩] ، اذ

بين الشّراح ان المراد منها هو الاشارة الى ما ستؤول اليه احوال الناس من الاختلاط واختلال النظام حتى يعود الوضيع رفيعا ، والتبع متبوعا[١٠] .

المطلب الثاني : العلاقة بين الدال والمدلول .

شهد التقعيد للعلاقة بين الدال والمدلول لدى البحراني اضطرابا واضحا بين القول بقصدّية هذه العلاقة واعتباطية اطلاق الاسم على مسماه . على حين لم يُظهر التقعيد لدى الخوئي سوى القول بقصدية هذه العلاقة ، وذلك من خلال حده للحقيقة بانها : « الكلمة المستعملة فيما وضعت له من حيث هو كذلك »[١١] ، فأشار (بوضع الكلمة) الى قصدية علاقتها مع المدلول . وقد عرف الاصوليون الوضع بانه: « التنصيص على اسماء

---

(١) ينظر: التستريّ ٦/٤٤٥-٤٤٦

(٢) ينظر: السامرائي ٢٥٩ وأنصاريان ١/١٧٧والشيرازي ٤/٢٢٦ .

(٣) ينظر: الكيدريّ ٢/١٥٢ وأبو الفضل ٢/٩١

(٤) ينظر: الشيرازي ٤/٢٢٦

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٧٣ ص ١١٣ .

(٦) الراونديّ ١/٣٠٦

(٧) ينظر: المعتزلّي٦/٤٧ والخوئي ٥/٢٢٠ وأنصاريان ١/٢٠٤ .

(٨) الشيرازي١/٢٨٦ وينظر: عبده١/١٣٤

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٦ ص ٤٤ .

(١٠) ينظر: البيهقّي١/٩٧ والسرخسي١/٥٨ والخوئي٣/٢١٨ ومغنية١/١٣٣ وأبو الفضل ١/٥٢ والسامرائي١٨٦

(١١) الخوئي ١/٢٣

المسميات »[١] ، وبعبارة اخرى : « تعيين اللفظة بازاء معنى بنفسها »[٢] ويظهر تاكيد الشارح الخوئي على هذه القصدية وهو يبين المعنى الحقيقي بأنّه المعنى « الظاهر من اللفظ عند الاطلاق »[٣] ، اي ان معنى اللفظة يظهر من ائتلاف اصوات الكلمة عند النطق بها وهذه هي القصدية في العلاقة بين الدال والمدلول التي تظهر في فكر الشارح البحراني –ايضا- من تعريفه للحقيقة بانها : « كلُّ كلمة أفيد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به»[٤] ، وتظهر – ايضا- في معالجاته الدلالية في مواضع متفرقة ، فقد اشار الى قصدية العلاقة عند توضيحه للدلالتين التضمنية والالتزامية ، اذ بين انه « لولا ارتسام المعنى في الذهن عند اللفظ لما حصلت هاتان الدلالتان »[٥] ، فعبارة « ارتسام المعنى في الذهن عند اللفظ » تبين ان اللفظ دال بائتلاف اصواته على معناه ، فهو دال ومدلول في الوقت ذاته عن الشيء الخارجي . وقد اشترط البحراني هذه القصدية في الدلالة الالتزامية بقوله :« لابد من تصور الملزوم اولا ، وذلك متوقف على وضع اللفظ بازائه ، والعلم بالوضع ، وسماع اللفظ ، او حضوره بالبال ، فهو اذن احد الشروط المعدة لتصور اللازم»[٦] ، ويصرح البحراني بهذه القصدية في موضع آخر قال فيه : « معلوم

ان اللفظ اطلق لارادة مسماه ، واستعمل فيه بالذات ، لا فيما انتقل الذهن اليه من الاجزاء واللوازم»[٧] وهذا تاكيد من البحراني على القصدية الرابطة بين معنى اللفظ و (المسمى) فلا يخرج اللفظ عن حدود الدلالة العامة له والمتاتية من ائتلاف اصواته بعضها مع بعض .

وفي مواضع اخرى تمسّك البحراني باعتباطية العلاقة بين الدال (اللفظ) والمدلول (المسمى) وذلك في قوله : « ليس الغرض الاول من وضع الالفاظ المفردة افادتها لمسمياتها المفردة »[٨] ، فهذا رفض للعلاقة القصدية بين الالفاظ (الدوال) ومسمياتها (مدلولاتها) ، وإلغاء لوجود القصدية الاولى للتعاقب الصوتي من خلال التعبير عن هذه القصدية بـ (المفردة) للالفاظ المفردة . ثّم وضح البحراني ذلك بقوله : « بيان ذلك يستلزم ان افادتها لها موقوفة على العلم بكونها موضوعة لها ، وهذا يستلزم العلم بها قبل الوضع »[٩] ، اي ان القصدية في افادة الالفاظ لمسمياتها تتوقف على العلم بالوضع ، اي وضع اللفظ دالا على مسماه ، وهذا يستلزم على حد قوله : « العلم بها قبل الوضع » اي العلم بالالفاظ قبل ان توضع لمسمياتها ، او ان الواضع لو كان يضع اللفظ خصيصا للمعنى لكان ذلك يعني انه يدرك معنى محددا لكل لفظ ، وهو المراد بالقصدية في العلاقة ، وهذا الادراك المحدد رفضه البحراني لأن الألفاظ : « لو توقفت افادتها على الوضع لزم الدور»[١٠]

---

(١) ميزان الأصول للسمرقندي ٥٤٦/١ وينظر: علم الوضع ١٧-١٩

(٢) مفتاح العلوم ٥٨٧ وينظر: تلخيص المفتاح للقزويني ٦٤-٦٥

(٣) الخوئي ٢٧/١ (٤) البحراني ٥٢/١ (٥) نفسه ٢٤/١ (٦) نفسه ٢٥/١

(٧) نفسه (٨) نفسه ٥٠/١ (٩) نفسه (١٠) نفسه

فالدور هو المانع من القصدية ، وهذه (الالفاظ) هي التي تقابل (الافكار) لدى دي سوسير الذي أكّد على اعتباطية العلاقة بين الافكار (الالفاظ) والصورة الصوتية (اي اصواتها) في قوله : « مهما رجعنا الى الوراء وتوغلنا في القدم ، ومهما كانت الفترة التي نختارها فان اللغة تظهر لنا على انها تراث من الفترة السابقة للفترة التي نحن بصددها ، وقد نتصور لحظة زمنية حددت فيها مسميات الاشياء وقامت صلة بين الافكار والصورة الصوتية ، ولكن مثل هذه العملية لم تسجل قط . إنّ فكرة ان الامور قد جرت بمثل هذا الاسلوب امر يوحي به شعورنا العميق بالطبيعة الاعتباطية للاشارة »[١] . وقد بين سوسير مراده بالاشارة في قوله : « الاشارة اللغوية تربط بين الفكرة والصورة الصوتية ، وليس بين الشيء والتسمية ، ولا اقصد بالصورة الصوتية الناحية الفيزيائية للصوت ، بل الصورة السيكولوجية للصوت ، اي الاثر او الانطباع الذي تتركه في الحواس»[٢] ، فالاشارة عند دي سوسير ذات طبيعة اعتباطية فهي التي تربط بين الفكرة (اللفظ) والصورة الصوتية . وعليه فان المسمى يوجد قبل الاسم ، ومن ثّم تظهر الدلالة متاخرة بعد اطلاق الاسم على مسماه ، ولا تظهر من العلاقة القصدية بين الاسم وائتلاف اصواته .

وهذا القول نجد جذوره في الفكر الدلالي لدى البحراني ، اذ بين الغرض من وضع الالفاظ بقوله :الالفاظ «الغرض

منها تمكن الانسان من تفهم ما يتركب من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الالفاظ المفردة »[٣] ، وهذا يعني ان البحراني يجعل الدلالة تظهر من التركيب لا من وضع اللفظ دالا على معناه –كما ذكر سابقا- ولذا نجده يعترض على نفسه قائلا : « ولا يقال : ماذكرتموه قائم بعينه في المركبات ، لان اللفظ المركب لا يفيد مدلوله الا عند العلم بكون تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعاني»[٤] ثم اجاب على الاعتراض بقوله : «لا نسلم ان الالفاظ المركبة لا تفيد مدلولها الا عند العلم بكون الالفاظ المركبة موضوعة له . بيان ذلك انا متى علمنا وضع كل واحد من تلك الالفاظ المفردة لكل واحد من تلك المعاني المفردة ، فاذا توالت الالفاظ المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزمة للعلم بنسبة بعضها الى بعض»[٥] فارتسام المعاني المفردة في الذهن ياتي بنظر البحراني من نسبة الالفاظ بعضها الى بعض اي من خلال الجملة ، وهذا ما ذكره الجرجاني صاحب نظرية النظم[٦] ، وبذا يبتعد البحراني في هذا النص عن قصدية العلاقة بين الدال والمدلول التي ذهب اليها سابقا.

وفي الجانب التطبيقي للشروح ثمة خلط واضح بين القول بقصدية العلاقة بين الالفاظ ومسمياتها واعتباطية هذه العلاقة ، اذ تتمثل القصدية – على قلتها – في كلام الشّرّاح وهم يجعلون لكل صوت دلالة خاصة على المعنى

---

(١) علم اللغة ، سوسير ٩ (٢) نفسه ٢٣

(٣) البحراني ٥٠/١ (٤) نفسه ٤٩/١-٥٠

(٥) نفسه٥٠/١

(٦) ينظر: دلائل الإعجاز ٨١ .

المراد من اللفظة ، فمثلا : القدّ غير القطّ لافتراق الدال عن الطاء ولا يتساوى مدلولا اللفظتين على وفق ما سيأتي في الفصل الثاني . وتظهر القصدية –ايضا- في تحري الشّرّاح للمعاني الدقيقة للألفاظ . فنجد لديهم أقوالا كثيرة يبتعدون فيها عن الإقرار بالمشترك اللفظّي وان أقرُّوا به في الجانب التنظيري ، وفي القسم الاكبر من الجانب التطبيقي ، وذلك من خلال اظهار الفروقات الدقيقة بين معاني اللفظ الذي يظهر عليه الاشتراك عن طريق وضع هذا اللفظ في سياقات متعددة تبرز منها استقلالية المعنى في كل سياق على وفق ما سيأتي في الفصل الخامس . وربما اتبع شراح النهج طريقة ابن فارس في معجمه المقاييس لايضاح العلاقات الدلالية التي تربط الالفاظ ذات المعاني المختلفة بارجاعها الى معنى عام تنطوي تحته المباني الاشتقاقية ذات الدلالات المختلفة وبذا يسهل على القارئ معرفة المعاني المختلفة بعد وضع اليد على معنى عام يجمع المختلفات ، فلفظة (الجنة) تدل على البستان المتشابك الاغصان ، ولفظة (المجّنة) تعني المقبرة التي يرقد تحت ترابها الاموات ، ولفظة (الجِنّ) بمعنى الكائنات غير المرئية ، ولفظة(الجُنّة) بمعنى خرقة تلبسها المرأة وتغطّي بها وجهها ، ولفظة (الجنين) تعني الولد في بطن امه ، ولفظة(المِجَنّ) أي الترس الذي يحتمي خلفه المحارب ، وكلّ هذه الألفاظ اجتمعت على أصل ثلاثّي واحد هو (جنن) ، ولكن الاشتقاقات جاءت بمعان مختلفة

وكثيرة من الجذر نفسه ، ولذا فسّر الشّرّاح هذه المختلفات بعموم دلالة (جنن) على الستر والخفاء[1] ، لتجتمع الاشتقاقات الصرفية من هذا الجذر على ملحظ معنوي هو (الخفاء)[2].

والقول بالأصل العام للفظة يعضد قصدّية العلاقة بين الدال والمدلول من ناحية أخرى هي التخلُّص من القول بالاستعمال المجازي ، فاللفظ ذو المعنى العام يمكن الدلالة به على المعاني الفرعية ذات الجوانب المتعددة بملحظ عمومه لا بملحظ الانتقال من حقيقة الدلالة الى مجازيتها . فلفظة (الغوص) في قوله (ع) :(الحَمْدُ للهِ الّذي لايبلغُ مِدْحَتَهُ القائلون ...الذي لايُدْرِكُه بُعْدُ الهِمَمِ ولايناله غَوْصُ الفِطَنِ)[3] ، لم تدل على الجانب الفكري وهو (غوص الفطن) استعارةً من المعنى الحسي وهو الغوص في الماء ، وانما دلّت على هذا الجانب بملحظ عموم دلالة لفظة(غاص) على الوقوع في الشيء ، فهذا المعنى العام للفظة يمكن الدلالة به على المعنى الحركي وهو الغوص في الماء للسباحة ، او المعنى الفكري في (غوص الفطن) ، وغير ذلك من المعاني الفرعية . وبذا يمكن الابتعاد عن مجازية الاستعمال الدلالي ، وفي ذلك يقول الشارح البيهقّي : « الغوص اصل يدل على هجوم على امر مستقبل ... ومعنى قوله : لا يدركه غوص الفطن ، اي لايدركه هجوم الافهام على امر مستقبل ، بل انما يعرف تبارك وتعالى

---

(١) ينظر: الرواندي ٢٨٧/٢ والكيدريّ١٤٦/٢ والمعتزلّي١٧٤/١٠ والبحراني ٤٣٥/٣ والسرخسي١٧٣-١٧٤ والخوئي ١٨٦/١٢ ومغنية١٨١/٣ والسامرائي ١١٥ والشيرازي ٢٥٣/٣ والموسوي٣٨٠/٣ .

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ٢٠٠-٢٠١ والتطورات المعجمية ٧٤

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٧ .

بالدلائل المحسوسة من أفعاله أو بنفس الوجود واعتباره وانقسامه »[1] . فلا مجاز هنا في استعمال الغوص دالا على المعنى الفكري للفظة . على حين اقر سائر شراح النهج المجاز في (غوص الفطن) بجعلهم المعنى الحقيقي لهذه اللفظة خاصا بالماديات وهو الارتماس في الماء والحركة في عمقه[2].

وفضلا عن ذلك يمكن ملاحظة القصدية بين الدال والمدلول في ظاهرة المشترك نفسها ، فلفظة (السراج) مثلا يمكنها ان تدل على الشمس ، وفي الوقت نفسه على المصباح ، ليس بملحظ الاشتراك اللفظي على معان عدة ، وانما لعموم دلالة مادة (سرج) على الضوء ، فالسراج « اصل يدل على الحسن والزينة والجمال ... وسمي السراج سراجا لضيائه ، وسميت الشمس السراج لحسنها وضيائها »[3] .

المطلب الثالث : الوضع بين الحقيقة والمجاز .

اهتم الاصوليون بدراسة الوضع اللغوي والبحث في اصوله واسبابه ، وذلك لعلاقته الوثيقة بكثير من الموضوعات الدلالية من الحقيقة والمجاز ، والاشتراك اللفظي ، والترادف . وذلك بهدف تأصيل الاستعمال المجازي للألفاظ في تراكيبها المختلفة لاستنباط الأحكام الشرعّية منها ، اذ يستدل عليها بعد معرفة حقيقة الوضع وعلاقة الدال (الاسم) بالمدلول (المسّمى)[4].

ولما كان الوضع لديهم هوالتنصيص على أسماء المسميات[٥] وهذا يعني قصدّية العلاقة بين الدال والمدلول – أدّى ذلك الى عدم القول بالمشترك ، والترادف ، والمجازات في دلالات الالفاظ ، فلكل لفظ معنى يدل عليه دون سواه . ولما كان شراح النهج من القائلين بهذه الظواهر الدلالية ، اذ أقرُّوا المجاز ، والاشتراك ، والترادف ، لاسيما البحراني والخوئي عمد فريق منهم الى التخلص من قيد القصدية في الوضع بجعل الحقيقة تظهر من اصطلاح التخاطب . فقد عرف البحراني الحقيقة على انها « كل كلمة أُفيد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به»[٦] ، واصطلاح التخاطب هو استعمال الجماعة اللغوية للفظة دالة على معناها . وتقييد البحراني للحقيقة بجعلها خاصة بالاستعمال يريد به ان دلالة اللفظة لا تظهر الا من خلال التخاطب بها ، وهذا ما اكد عليه الخوئي في قوله : « اللفظ حين الوضع قبل ان يكون مستعملا ليس بحقيقة ولا مجاز »[٧] ، ومعلوم ان الاستعمال متغير من جماعة الى اخرى ومن زمن الى اخر ، فتكون الحقيقة متغيرة باستمرار ، وهو ما ذهب اليه المحدثون .

---

(١) البيهقّي٣٣

(٢) ينظر : الرواندي١/٢٨ والمعتزلّي١/٧٠ والبحراني ١/١٠٧ والخوئي ١/٣٠٧ وأنصاريان١/٢٣ والشيرازي ١/١٢ .

(٣) البيهقّي ٢٣ .

(٤) ينظر:المزهر ١/٣٦٩ و٤٠٥-٤٠٦ ومنهج البحث اللغوي ١٣١.

(٥) ينظر: البحث الدلالي عند الأصوليين ٢٦ ومنهج البحث اللغوي ١٢٢والوضع والاصطلاح ١٥-٦٨.

(٦) البحراني ١/٥٢ وينظر: ١/٢٤ . (٧) الخوئي١/٥٠ .

وعلى راسهم دي سوسير عندما عد الدلالة متغيرة بصورة اعتباطية ، ولكن نظام اللغة يعيد توازنه كلما حدث التغيير[١] . فاللغة نظام اعتباطي ، وهنا نقطة التقاء بين فكر الشارحين والنظرة الدلالية الحديثة . الا ان علم اللغة الحديث اوقف البحث في اصل اللغة بدعوى ان النظريات التي قيلت في اصل اللغة افتراضية ، وغير مقطوع بصحتها[٢] على حين بحث علماؤنا القدامى في هذه المسالة ، واختلفوا فيها ، فمنهم من ذهب الى ان اللغات توقيف من الله تعالى ، وذهب فريق الى انها اصطلاح ومواضعة ، وعدها اخرون ذات بداية توقيفية ونهاية اصطلاحية ، وفريق قال بان دلالة الالفاظ على المعاني ذاتية ، وان الاصوات جاءت من محاكاة الطبيعة[٣] ، ولم يقطع علماء اللغة القول في أصل اللغة بين التوقيف والاصطلاح ، كما نجد عند ابن جني ، وابن فارس وغيرهم[٤].

اما الشارحان البحراني والخوئي فقد ذكرا ان اصل اللغة كان بوضع المتخاطبين – كما هو واضح من تعريفهما للحقيقة والمجاز ، لكن ثمة ارتباكا في تحديد الشارحين لواضع اللغة ، وذلك في معالجتهما لمسألة التمييز بين الحقيقة والمجاز التي تابعا فيها الاصوليين ، وفي ذلك يقول البحراني : « الفصلُ بين الحقيقة والمجاز إما أن يقعَ بالتنصيص أو الاستدلال . أمّا التنصيص فمن وجوه : أحدها : أن يقول الواضع هذا حقيقة وهذا مجاز ، وثانيها: أن يذكر واحدا منهما ، وثالثها : أن يذكر خواصّهما . أما الاستدلال فالحقيقة تُعرف من وجهين : أحدهما : أن يسبقَ المعنى من ذلك اللفظ

إلى فهم بعض السامعين من أهل تلك اللغة فيحكم بأنه حقيقة فيه ...وثانيهما : إن اهل اللغة إذا أرادوا إفهام غيرهم معنى اقتصروا على عبارات مخصوصة وإذا قصدوا بالتعبير الحسن بعد الفهم عبروا بعبارات أخرى وقرنوا بها قرائن فيعلم أن الأول حقيقة »[٥]. والشيء نفسه يذكره الخوئي بقوله : « اعلم ان معرفة المعاني الحقيقية والتفرقة بينها وبين المعاني المجازية انّما يحصل بالرجوع الى اهل اللغة ، وذلك يكون على وجوه : ان يقول اهل اللغة : هذا اللفظ حقيقة في هذا المعنى ، ومجاز في ذلك ، الثاني : ان يقول : ان اللفظ الفلاني موضوع للمعنى الفلاني وان استعماله في الفلاني خلاف وضعه ، الثالث : ان يقول : هذا المعنى متبادر من هذا اللفظ او سلبه عنه غير صحيح ، وذلك المعنى غير متبادر وسلبه صحيح ، او نحو ذلك من طرق التعبير والافهام »[٦] ويظهر من هذا ان الخوئي يرى أنّ واضع اللغة هم اهل اللغة ، دون ان ينص عليهم هل هم متكلمو اللغة الفصحاء

---

(١) ينظر:علم اللغة (سوسير) . (٢) ينظر:الترادف في اللغة (حاكم) ٢٠٦ .

(٣) ينظر: الدراسات اللغوية إلى نهاية القرن الثالث ٢٤٣-٢٥٣ وفقه اللغة (مبارك) ٤١٢-٢٠ والوضع والاصطلاح٤٧-٦٢ والمدخل إلى العربية٣٩-٦٤ وبنية العقل ٤٢-٤٣ وعلم الدلالة (عمر)١٨-١٩ وفقه اللغة العربية(أميل بديع)١٤-١٩ وفقه اللغة العربية٣٤-٤٦ وعلم الدلالة(الداية) ١٧-١٨.

(٤) ينظر: الخصائص ٤٧/١-٤٨ والصاحبي ٣١ .

(٥) البحراني ٥٦/١ .

(٦) الخوئي ٢٦/١ .

ام علماء اللغة واصحاب المعجمات ؟ ثم يشير في نص اخر الى تعدد الواضعين ، اذ يقول: « وتعدد الوضع قد يحصل بتعدد الواضعين ، وعدم اطلاع احدهم على الاخر ، وقد يحصل باتحاده وعدم تذكره حين الوضع الثاني للوضع الاول»[١] ، وقد نسب الشارحان البحراني والخوئي[٢] في كلام لهما الوضع الى قبائل العرب ، اذ اجازا حصول الاشتراك اللفظي وذكرا تعدد وضع القبائل سببا لحصوله ، اذ « يجوز ان تضع احدى قبيلتين ذلك اللفظ لمعنى ، ثم تضعه قبيلة اخرى لمعنى اخر ، ثم يشيع الوضعان ويخفى كونه موضوعا منهما»[٣] ، وبتعبير الخوئي بقوله : « لا امتناع في ان يضع قوم لفظا لمعنى ، ثم يضعه اخرون لاخر ، ويشيع الوضعان فيحصل الاشتراك»[٤] . وثمة دعوات حديثة الى الاهتمام بنظريات اللغة لأنها المعين على كشف دلالة اللفظة الاولى ، وملاحظة التطور الدلالي من خلال الاستعانة بتاريخ الكتابة ، والنصوص القديمة ، اذ لم يوقف علماء اللغة القدامى البحث في الوضع اللغوي ، و لم يقطعوا بصحة واحدة من نظرياته ، التي وجدت بسبب البحث عن الدلالة ، وسكوت علماء اللغة عن القطع باحدى هذه النظريات لا يعني سوى استمرار الجدال بشأْن الأصل ، فضلا عن ميلهم الواضح الى القصدية في اللغة[٥].

وقد ذكر الشارحان البحراني والخوئي متابعة منهما لمن سبقهما[٦] نوعين من المجاز هما : المجاز اللغوي ، والمجاز العقلي الذي يسميه الجرجاني بالمجاز الحكمي[٧] ، فاذا كان الموصوف به اللفظ المفرد يسمى المجاز اللغوي ،

واذا كان الموصوف به الجملة يسمى المجاز العقلي[٨] . وقد اعتمد الشارحان تعريف عبد القاهر الجرجاني للمجاز العقلي الذي يذهب فيه الى إنّه[٩] كلّ جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التاويل ، مثاله قوله تعالى : ﴿ **تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾[١٠]، وقوله تعالى : ﴿ **وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا** ﴾[١١] . وقال القزويني : « هو اسناده – اي الفعل او معناه – الى ملابس له غير ما هو له بتأّول ، اي بنصب قرينة صارفة للاسناد عن ان يكون الى ما هو له لفظية كانت او معنوية»[١٢] ، ومعنى ذلك ان كل لفظ قد وقع على الاصل في دلالته على المعنى . لكن الجملة المتكونة غير مطابقة للوجود ، وهنا يتعارض رأي الشارحين مع ما ذكراه سابقا من ان دلالة اللفظ تظهر من خلال التركيب والاستعمال . فكيف يكون التركيب مجازا مع انه وسيلة لمعرفة الاصل الدلالي للمفردة ؟ وقد اعاد الشارحان أمثلة الجرجاني نفسها ، وهما يبينان المجاز العقلي جاعلين المجاز في كل فعل منسوب الى غير فاعله الاصلي كقوله تعالى :﴿ **تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾ وقوله

---

(١) الخوئي ١٢/١ (٢) ينظر: البحراني ٥٦/١ والخوئي ٥٣/١ .
(٣) البحراني ٣٣/١ (٤) الخوئي ٥٣/١ .
(٥) ينظر: الحل القصدي٢٥٢-٢٥٤ . (٦) ينظر: دلائل الإعجاز٢٦٣ واسرار البلاغة٣٤٤ ونهاية الايجاز ٨٣ .
(٧) ينظر: دلائل الإعجاز ٢٦٤ . (٨) ينظر:البحراني ٥٢/١ والخوئي ٢٩/١ .
(٩) ينظر : اسرار البلاغة ٣٦٦ والايضاح للقزويني٢٧٢. (١٠) ابراهيم ٢٥ .
(١١) الزلزلة ٢ . (١٢) التلخيص ٤٥ .

تعالى : ﴿ **وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا** ﴾ ، فالشجرة لا تقوم بالإتيان ، والأرض لا تقوم بالإخراج مع أنه تعالى نسب للجمادات الأفعال العقلانية فقال سبحانه : ﴿ **وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾[١] . وقد عمموا المجاز حتى فاق الحقيقة عددا وأهمّية ، على حين كانت الفكرة تقضي بأنّ المجاز استعمال جزئي يقل عن الاستعمال الحقيقي ، وأقّروا وقوع المجاز في القرآن الكريم . وأورد الشارح الخوئي بعد تمثيله للمجازات القرانية شواهد من كلام الإمام (ع) للاستعمال المجازي[٢] . ولم ينبه الشارحان على التيار الرافض لفكرة المجاز في القران الكريم ، وكان المسالة لدى الشارحين قد قرّت وسلّم بها ، فالسيوطي اورد راي المنكرين للمجاز في الاستعمال القراني ، وحجتهم في ان المجاز أخو الكذب ، والمتكلم لا يعدل اليه الا اذا ضاقت به الحقيقة ، وهو على الله محال ، ثم رد هذا الراي بقوله : « وهذه شبهة باطلة ،لو سقط المجاز من القران سقط منه شطر الحسن ،وقد اتفق البلغاء على ان المجاز ابلغ من الحقيقة»[٣].

وقد ذكر الشارحان البحراني والخوئي [٤] في مقدمتهما اصناف المجاز نقلا عن الرازي[٥] الذي عدّها خمسة وعشرين صنفا الا ان الشارح الخوئي ترك المجال مفتوحا امام انواع اخرى من المجاز ، لان فكرة الانتقال من الاستعمال الحقيقي الى المجازي لديه تعتمد على وجود علاقة مسوغة للتجوز ، اذ جعل هذه العلاقة قائمة على الذوق السليم والاستساغة ، فلم ير حصر المجاز بالعلاقات الخمسة والعشرين التي ذكرها الرازيّ ، وفي ذلك يقول : « يظهر لك بالتأمل فيما حققناه ... ان العلائق المسوغة للتجوز لا تنحصر في عدّ ، ولا تنتهي الى حدّ ؛ لانه بعدما كان المدار

على المناسبة والاستحسان عرفا ، فوجوه التناسب غير مضبوطة ، وجهات الحسن غير محصورة كما هو ظاهر ، ولعل ذلك هو السر في عدم مبالغة الأكثرين في حصر أنواع العلاقات وضبطها ، الا ان جمعا منهم حام حول الضبط ، وذكر عدة منها ، وادعى حصرها فيها بالاستقراء ، وتراهم مع دعواهم هذه انهم في تعيين أصل النوع مختلفون ، وفي العدد والمعدود ايضا غير متفقين ، حيث قلله بعضهم ، وكثره اخرون ، وغاية ما قيل انها خمسة وعشرون »[٦] ، وهذه العلاقات ذكرها الشارحان وهما يعرضان للمباحث الدلالية كعلاقة السببية ، والمسببية ، والجزئية ، والكلية ، والمكانية ، والزمانية ...الخ . وقد أوردا أمثلة عليها من كلام الإمام (ع) بعد ذكرهما للشواهد القرآنية ، اما سائر شراح النهج فيظهر اهتمامهم بالمجازات عبر الجانب التطبيقي فقط ، وهم ينبهون على نوع الاستعمال المجازي في شرحهم لكلام الإمام (ع) ، وهو كثير يفوق الاحصاء ، كقول الراونديّ في شرح قوله تعالى : ﴿ **ائْتِيا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾[٧] :« ان لم يجئ من السماء مطر ولا من الارض نبات وثمر فانهما مطيعتان لله تعالى ، واسناد الطاعة اليهما مجاز »[٨] .

---

(١) الاسراء ٤٤ .
(٢) الخوئي ٣٠/١
(٣) المزهر ٣٥٨/١ .
(٤) ينظر: البحراني ٥٣/١ والخوئي ٣٨/١ .
(٥) ينظر: المحصول ٤٤٩/١/١ والمزهر ٣٥٩/١ .
(٦) الخوئي ٣٨/١ .
(٧) فصلت ١١ وينظر: الكشاف ٤٤٥/٣ .
(٨) الراونديّ ٦٨/٢ .

وكذا قول الكيدريّ في شرح قوله (ع) يصف فتق الاجواء : (فأَمَرَهَا بِرَدِّه وسَلَّطَها عَلى شَدِّه)[١] : « فأمرها لان الحكيم لايأمر الجماد به»[٢] . وقول الشيرازي يشرح قوله (ع) : (أَحْمَدُه عُلى عَواطفِ كَرَمِه)[٣] :« العطف هو الميل نحو الغير ونسبته الى الكرم مجاز من باب علاقة السبب والمسبب لان الكرم لايعطف وانما الشخص يعطف»[٤] . وقول السرخسي يشرح قوله (ع) : (وطَفِقْتُ أُرَتِّي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذّاء أَوْ أَصْبِرَ عَلى طِخْيَةٍ عَمْيَاء)[٥] : « اي ظلمة مظلمة ... وانما توصف الظلمة بالعمياء للمبالغة لانه لا يُبْصَر فيها ، وهذا من اطلاق المسبب على السبب بطريق المجاز»[٦]. وقول التستريّ : «ان اسناد الغرّ الى الدنيا بان الدنيا غرّت فلان اسناد مجازي، وحقيقته ان الناس يغترون بها فيقال مجازا ان الدنيا غرتهم ، ومثل هذا المجاز كثير في الكلام ، كقوله تعالى: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنّم كثيرا من الجنّ والانس**﴾[٧]، وفي الحقيقة ما ذرأهم لجهنم بل ليعبدوه ويدخلهم جنته ...»[٨] . وقول أبي الفضل في قوله (ع) يصف السموات السبع : (دَعَاهُنَّ فأَجْبَنَ طائعاتٍ مُذْعَنات)[٩]: « كلام من باب المجاز والتوسع ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ **ائْتِيا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾[١٠]»[١١] .

المطلب الرابع : شراح النهج وتوثيق الدلالة .

لقد استعان شراح النهج للوصول الى معنى اللفظة بعدة وسائل توثيقية ، أهمها ما يأتي :

١ - وظف شراح النهج **التقابلات الدلالية** لتحديد المعاني الدقيقة للالفاظ التي شرحوها ، وهذه طريقة انتهجها علماؤنا الاوائل من مفسرين ومعجميين[١٢] في توجيههم لمعاني الالفاظ . والتقابل الدلالي يعني وجود لفظتين معنى احداهما

عكس معنى الاخرى ، مثل : الخير والشر ، والنور والظلمة ، والحب والكراهية ، والصغير والكبير ، وفوق وتحت ، وياخذ ويعطي ، ويضحك ويبكي[١٣] . وقد ادرك الاوائل ظاهرة التقابل من خلال المصطلحات التي تشير اليها ، وهي : تقابل الضد ، والخلاف ، والنقيض ، فقد ذكر المبرد ان « من كلام العرب اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين»[١٤] . وذكرابن الانباري ان من كلامهم « ان يقع اللفظان المختلفان على المعنيين ، كقولك : الرجل والمراة ، والجمل والناقة ، واليوم والليلة ، وقام وقعد ، وتكلم وسكت ، وهذا هو الكثير الذي لا يحاط به»[١٥]

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٩ . (٢) الكيدريّ ١٢٩/١ وينظر: أنصاريان ٣٥/١

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٢٠ . (٤) الشيرازي ٣١١/١

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص ٢٨ . (٦) السرخسي ٤٦/١

(٧) الأعراف ١٧٩ (٨) التستريّ ١٩٤/٢.

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ،١٨٢ ص ٣٢٨ . (١٠) فصلت ١١ . (١١) أبو الفضل ٤٣٠/١

(١٢) ينظر: ظاهرة التقابل في القرآن الكريم ١-٢ وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية :٩٧

١٣) ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة ١٥ وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ٥٠ والتقابل والتماثل في القران الكريم ١٥ والتقابل الدلالي في القران الكريم ٤ .

(١٤) ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن :٢-٣. (١٥) الأضداد ، ابن الأنباري :٦

وقد اتخذت ظاهرة التقابل الدلالي في العصر الحديث مصطلحات جديدة منشعبة من اصطلاحات القدماء يندرج تحتها ما عرف عندهم بالتقابل بالتضاد والتناقض والتخالف ، فقسموا التقابل على عدة أنواع بحسب نوع العلاقة بين الالفاظ المتقابلة[١] ، فاذا كانت درجة التقابل كاملة فان التقابل حاد (غير متدرج) ، وهو التقابل الذي يجمع بين متضادين ، مثل : (ميت وحي) ، و(ذكر وانثى) ، و(اعزب ومتزوج) وفيه تتقابل الالفاظ تقابلا كاملا غير قابل للتعدد او الوصف بدرجات التدرج ، من نحو : اقل او اكثر او الى حد ما ، وتقابلات هذا النوع لا تعترف بما يسمى بـ (بين بين) ، اي ان نفي احد طرفيها يعني اثباتا للاخر ، اما اذا كان التقابل جزئيا فيسمى بالتقابل المتدرج ، وفيه تقع الالفاظ بين طرفي معيار متدرج ، وبين طرفيه تقع الالفاظ التي تمثل تقابلا داخليا او ضمنيا ، مثل التقابل بين (حار وبارد)، فلو وصف الجو بانه حار او بارد فهذا لا يعني ثبات المعيار على لفظة حار او بارد ، فقد يكون الجو معتدلا ، او مائلا الى البرودة وغيرها ، فنفي أحد طرفي التقابل لا يعني إثباتا للطرف الآخر، فإذا قلنا : فلان ليس قبيحا ، فهذا لايعني أنّه وسيم . واما اذا كانت العلاقة تبادلية فالتقابل هو تقابل العكس ، وهو يتمثل في العلاقة بين ازواج من الالفاظ مثل : (زوج ، زوجة) و (والد وولد) و (باع واشترى) فالعلاقة تبادلية بين الضدين ، اذ لابيع من غير شراء ، ولا ولد من غير والد[٢]. اما عندما تكون العلاقة اتجاهية متعاكسة فالتقابل هو تقابل اتجاهي ، يتمثل في العلاقة بين ازواج من الالفاظ تجمعها حركة في احد اتجاهين متقابلين متضادين بالنسبة لمكان معين ، مثل : أعلى وأسفل ، ويصل ويغادر ، وشمال وجنوب[٣].

وقد عرفت ظاهرة التقابل لدى البلاغيين القدماء –ايضا- باسمي : الطباق والمقابلة ، فالطباق لديهم أضيق مفهوما من المقابلة ، لأنّه ينحصر في الأضداد ، على حين يتسع مفهوم المقابلة ليكون بالاضداد وغيرها ، فهو يتضمن اشكال التناقض والتضاد ، والتعاكس ، والاختلاف[٤].

وقد تابع فريق من الشّرّاح البلاغيين في نظرتهم للطباق والمقابلة ، فذكر الشارح الكيدريّ أنّ المراد بالمقابلة هو « مراعاة الاضداد ، والاشكال ، كالاب والابن ، والأبيض والاسود ، والليل والنهار ، والاعداد والجهات »[٥]، وذكر المعتزلّي ان التقابل يكون بالضد والخلاف والمثل[٦] في استطراد له بعد شرحه قوله (ع) : (ألا وإنّ اليوَم المضمارَ ، وغدًا السِّباقَ ، والسَّبقَةُ الجَنَّةُ والغَايَةُ النَّارُ)[٧] .

---

(١) ينظر:علم الدلالة(عمر):١٠٢-١٠٤وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة:١١١-١١٧

(٢) ينظر: علم الدلالة علم المعنى:١١٨-١١٩

(٣) ينظر: علم الدلالة علم المعنى :١٢٠-١٢١

(٤) ينظر: المثل السائر ٢٨٠/٢ والبرهان ٤٥٨/٣

(٥) الكيدريّ ١٥٤/١ . (٦) ينظر : المعتزلّي ١٠٣/١-١١٠ .

(٧) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٨ ، ص: ٦٤

على حين فصل البحراني القول في الطباق والمقابلة في مقدمته التي ذكر فيها اقسام النظم ، فخصص المطابقة بـ « الجمع بين المتضادين في الكلام»[١] ، وجعل المقابلة اوسع من ذلك . اما الشارح الخوئي فقد نظر للطباق والمقابلة بصورة تخالف ما ذكره الشّرّاح والبلاغيون قبله ، ذاهبا الى ان « المتكلم إن اتى بلفظ ثم اتى بما يقابله ضدا كان او غيره فهو مختص بأن يسمى بالطباق ، وإن أتى بلفظين او الفاظ ثم بمقابلها على الترتيب فيجوز ان يطلق عليه اسم الطباق ، وان يطلق عليه اسم المقابلة الا ان الثاني اكثر»[٢] ، فالفرق بين الطباق والمقابلة لديه قائم على عدد المتقابلات لا على نوع التقابل ، فالطباق ما كان بين لفظة وأخرى ضدّا أو غير ضدّ ، اما المقابلة فهي بين لفظتين أو أزْيد سواء كان التقابل بالضد أو غيره . وقد مثّل الخوئّي لذلك بقول أمير المؤمنين (ع) في وصف الدنيا بقوله : (ما أصِفُ مِنْ دارٍ أَوّلُها عَنَاءٌ ! وآخِرُهَا فَنَاءٌ ! في حلالِ ها حسابٌ وفي حَرامِها عِقابٌ ، من استغَنى فيها فُتِن ومنْ افتَقَر فيها حَزِن ، ومنْ سَاعَاها فاتَهُ ومن قَعَد عنْها واتَهُ)[٣] ، فذكر « ان التقابل في كل من الفقر من مقابلة الاثنين بالاثنين لكنها في بعضها بالاضداد وفي بعضها بغيرها »[٤].

ولم يغفل سائر شراح النهج مصطلح التقابل وكان الدافع وراء اهتمامهم به هو وروده في كلام الإمام (ع) اذ تضمّنت طائفة من خطبه ذكر المتقابلات والمتضادات ، مما فتح الباب امامهم نحو معالجة هذه المسالة ، من ذلك قوله (ع) في خطبة الاشباح وهو يصف خلق الارض بقوله : « ولاَءَم بقدرتِه بينَ مُتضادِّها ، ووصل أسبابَ قرائنِها ، وفرَّقها أجناسًا مُختلفاتٍ في الحُدودِ والأقْدارِ والغَرائزِ والهيْئَات»[٥] ، اذ عكف شراح النهج على بيان العناصر المتضادة من مكونات الارض ومثلوا لما تقابل فيها من المختلفات التي وردت في نص كلامه (ع) ، فمثلوا لمختلفات الحدود

بلفظتي الارتفاع والانخفاض ، ومثلوا لمختلفات الاقدار بالكبر والصغر، ولمختلفات الغرائز والطبائع باليبوسة والرطوبة ، و لمختلفات الهيئات بالاحمر والاصفر[٦] .

ومن ذلك –ايضا- قوله (ع) في التوحيد : (بِتَشْعِيرِهِ المَشَاعِرِ عُرِفَ أَنْ لا مَشْعَرَ لَهُ، وبِمُضَادَّاتِهِ بينَ الأُمورِ عُرِفَ أَنْ لا ضِدَّ لَهُ)[٧]، اذ وقف شراح النهج على بيان المراد بقوله (ع) : بمضاداته بين الامور، فذكروا امثلة كثيرة للمتضادات كالحرارة والبرودة ، والسواد والبياض ، والنور والظلمة، والوضوح والبهمة، والجمود واللين، والحرور والصرد، وغير ذلك[٨] .

---

(١) البحراني ٧٢/١ (٢)الخوئي ١٢١/١.

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٨٢ ، ص ١١٩ .

(٤) الخوئي ١٢٢/١ (٥) نهج البلاغة : الخطبة ٩٠ ،ص ١٥٣ .

(٦) ينظر: والمعتزلّي٤١٧/٦ والبحراني ٣٤٤/٢ والخوئي٣٣٢/٦ وأنصاريان٢٧٦/١ والشيرازي ١٥٣/٢ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٦ ، ص ٣٤٣ . وينظر:الخطبة ٢٣٤

(٨) ينظر: البيهقّي ٣٤٤ والراونديّ ٣٣٤/٢ والكيدريّ ١٨٦/٢ والمعتزلّي ٧٣/١٣ والبحراني ١٥٧/٤ والسرخسي ٢٠٠/١ وعبده ٣٧٧/١ والخوئي٦٨/١١ ومغنية٦٨/٣ والتستريّ ٣٠٤/١ والشيرازي ١٣٠/٣ والموسوي ٢٣٤/٣ .

وقد استعان شراح النهج بذكر ما يقابل اللفظة من ضدّها او خلافها او نقيضها للوصول الى تحديد دقيق للمعنى المراد منها . وكانت هذه سمة بارزة لديهم جميعا لاسيما في شرحهم للالفاظ ذات الدلالات المتعددة ، اذ يلجأ الشّرّاح الى الاستدلال بمقابل اللفظ لازالة الاحتمال غير المراد منه، من ذلك لفظة (الوشيك) في قوله (ع) في صفة الملائكة : (لَم تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيُنوا في جِدِّهِم ، ولَم تأْسِرْهُمْ الأَطْمَعُ فَيُؤْثِروا وَشِيكَ السَّعْيِ على اجتهادِهم ، ولَم يستعظِموا ما مَضَى من أَعْمَالِهِم ...)[١] ، اذ تدل اللفظة على معنى القريب ، وهو معناها المعروف حتى عد (اوشك) من افعال المقاربة[٢] ، وهذا رأي معظم الشراح[٣] ، لكن آخرين[٤] قرنوا اللفظة بما يقابلها لتفسيرها بالضعف لا القرب ، وفي ذلك يقول الشيرازي : « وشيك السعي ، اي : السعي الوشيك ، وهو السعي الضعيف مقابل السعي الحثيث »[٥] ، وجّوز الشارح الراونديّ ارادة المعنيين معا بقوله : « أي : يطيعون الله تطلبا لرضاه لا طلبا للاجر ، فيبالغون في اكثار الطاعة ، ويسعوا سعيا وشيكا ليكثر اجرهم بكثرة طاعتهم . ويجوز ان يكون المراد انهم لم تأسرهم الاطماع الفاسدة الدنيوية فيشتغلوا بتحصيلها ويؤثروا وشيك السعي على الاجتهاد طلبا للفراغ لتحصيل تلك الاطماع»[٦] .

ومن ذلك – ايضا- لفظة (البادي) في قوله (ع) في الخطبة الغراء :(الحمدُ للهِ الذي عَلا بِحَوْلِهِ...وَأُؤْمِنُ بِهِ أَوَّلاً بادِيًا ، وأَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هادِيًا...)[٧] التي تحتمل معنى الظهور ومعنى البداية فهي اسم فاعل يصح اشتقاقه من البدو بمعنى الظهور ، او من البدء وهو البداية ، وأجاز الشارح الخوئي ارادة المعنيين مبينا كلا منهما بما يقابله في المعنى خلافا لسائر شراح النهج الذين ذكروا لهذه اللفظة معنى واحدا هو الظهور[٨] وفي ذلك يقول الخوئي : « والبادي : الظاهر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **بادي الرّأي**﴾[٩]، أي : ظاهره ، او من البداية مقابل النهاية»[١٠] .

وقد اكثر شراح النهج من الاستعانة بالتقابل بالتضاد في شرحهم للالفاظ بنسبة تفوق استدلالهم بالتقابل بالخلاف او النقيض ، لاسيما إنّ خطب الإمام (ع) تضمنت ذكر المتضادات الكثيرة وقد أورد التستريّ[١١] ما يقرب من مئة مثل على تقابلات التضاد وهو يشرح التقابل المتضاد بين الحياة والموت في قوله (ع) :(قد احيا عقله ، وأمات نفسه)[١٢]

وجاء في النهج التضاد سبيلا الى معرفة الاشياء ، وذلك عندما سئل الإمام (ع) عن الايمان فأجاب بقوله : (الإيمانُ على أُرَبعِ دعائَم ... والكفُر على أُربعِ دعائَم ...)[١٣] ، فذكر (ع) الكفر مع ان السؤال كان عن مضاده وهو

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٥٩ (٢) ينظر: شرح عمدة الحافظ ٨١٦ والبهجة المرضية ١١٣، ١١٥.

(٣) ينظر: البيهقّي١٨٦ والمعتزلّي٤٣١/٦ والبحراني ٣٥٤/٢ وعبده ١٨٧/١ والخوئي٣٩٣/٦ والتستريّ٥٦٧/١وانصاريان٢٨٨/١.

(٤) ينظر:الكيدريّ٤٦٤/١ ومغنية٢٩/٢ والشيرازي٦٩/٢. (٥)الشيرازي٦٩/٢.

(٦) الراونديّ ٤٠٢/١ . (٧) نهج البلاغة ، الخطبة ٨٣ ص:١٢٠.

(٨) ينظر: البيهقّي ١٥٦ والرواندي٣٢٢/١ والمعتزلّي ٢٤٣/٦ والبحراني ٢٣٢/٢ ومغنية٣٨٧/١ والتستريّ ٣٩١/١ .

(٩) هود ٢٧ وينظر: الكشاف ٢٦٥/٢ . (١٠) الخوئي ٣٤٢/٥-٣٤٣ (١١) ينظر: التستريّ ١٢/ ٤٨٣-٤٨٤ .

(١٢) نهج البلاغة الخطبة ٢١٠ ص:٢٥٥ . (١٣) نهج البلاغة الحكمة ٣١ ، ص ٦٠٣ .

الايمان ، ثم علل بعض الشّراح لهذا الجواب بقولهم : « وانما ذكر الكفر والشرك ، وقد سئل عن الايمان لانهما ضدان ، وبالضد تتبيّن الاشياء»[١] .

وقد بين الشّراح بذكر المتضادات كثيرا من معاني الفاظ النهج ، من ذلك لفظة (السفه) التي اوضح الشّراح معناها بقرنها الى ضدّها ، وهي لفظة (الحلم) ، وهو مراد الإمام (ع) في قوله من خطبة له في تخويف اهل النهروان : «... وانتم معاشر أخفّاء الهام ، سفهاء الاحلام»[٢]، وليس المراد منها معنى الحقارة والقلة الماخوذ من قولهم : تسفهت الشيء اذا استحقرته[٣] ، وفي ذلك يقول الكيدريّ : « السفه ضد الحلم ، والعرب تضيف الشيء الى ضده اثباتا للمضاف ونفيا للمضاف اليه »[٤] . ومن امثلة التقابل بالضد –ايضا- ما نجده في معالجة الشّراح للفظة (الجابر) الواردة بدلا من لفظة (جابل) في رواية لقوله (ع) من خطبة له علم فيها الناس الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) :(اللهم داحِيَ المَدْحُوّات ، وداعَم المَسْمُوكاتِ ، وجابلَ القُلوبِ على فِطْرتِها شَقِيِّها وسَعِيْدِها ...)[٥]، اذ أجمع الشّراح على دلالة لفظة الأصل (جابل) على الخلق ، أي : خالق القلوب ، على حين اختلفوا في تفسير رواية (جابرالقلوب) ، فذكر الشّراح احتمال دلالة اللفظة على معنيين : الاول : هو الاقامة ، اي : اقامة القلوب على ما فطرت عليه ، وهو معنى بينه الشّراح بذكر ضد اللفظة وهو (الكسر)[٦] ، والثاني : هو الاجبار بمعنى اجبار القلوب والزامها على الامر ، وفي ذلك يقول الكيدريّ : « وجابر القلوب على فطرتها من الجبر الذي هو ضد الكسر، أي : اثبتها واقامها ... ويجوز ان يكون من جبره على امره بمعنى اجبره عليه ، اي : الزمها »[٧] . وقد اهتم البيهقّي بتصحيح التقابل الدلالي للفظة (الشجاعة) بقوله :«الشجاعة وهي الاقدام ... وضد الشجاعة الجبن لا الزهد والعفة ، فان الزهد ضد الفجور لا ضد الشجاعة »[٨] ، وزاد الشارح الخوئي ان « الزهد خلاف الرغبة ، والزهيد : القليل»[٩] . وغير ذلك كثير لدى الشّراح[١٠].

وقد اورد شراح النهج امثلة للتقابل بالخلاف اوضحوا من خلالها معاني كثير من الفاظ النهج ، ويبدو من هذه النماذج ان التقابل بالخلاف هو مفهوم أعمّ من التقابل بالضد فقد يتضمن (الخلاف) المتضادّ من الالفاظ والمتغاير منها ، وقد لا يكون المتقابلان متضادين او متناقضين بل قد يكونا مختلفين ، فليس كل تقابل يتضمن تناقضا او تضادا ، بل فيه ما يكون المتقابلان متغايرين[١١] . ويظهر هذا من امثلة الشرّاح التي يتبين فيها دلالة الخلاف على

---

(١) البحراني ٢٥٤/٥ (٢) نهج البلاغة الخطبة ٣٦ ص :٧٩-٨٠.

(٣) ينظر: البيهقّي ١٢٧ والتستريّ ٤٤٧/٥ والشيرازي ١٩٠/١ والموسوي ٢٨٣/١ .

(٤) الكيدريّ ٢٧١/١ (٥) نهج البلاغة الخطبة ٧٢ ، ص ١١٠ .

(٦) ينظر:المعتزلّي ١٣٩/٦/٦والبحراني ١٩٧/٢ وعبده١٣٠/١ والخوئي١٩٠/٥ومغنية٣٥٢/١والتستريّ ٣٢١/٢ والشيرازي٢٧٨/١.

(٧) الراونديّ ٣٠٣/١ وينظر: الكيدريّ٣٥٥/١ . (٨) البيهقّي ٣٠ . (٩)الخوئي ١١٠/٣ .

(١٠) ينظر: الراونديّ ١/ ٢٨، ١٧٦/١والبحراني ٣٥٠/٤ وأنصاريان ٤٥٦/٣ وعبده ٦١/١ والخوئي١٠/١٥ والتستريّ٤٦٢/١ ومغنية ٢١/٦ والشيرازي ٢٢/٤ . (١١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن ٩ .

التغاير ، كما في ذهابهم الى ان « الغامض ... خلاف الواضح »[١] ، و « العبد ... خلاف الحر »[٢] ، و« الظهر ... خلاف البطن »[٣] ، و«الدقيق خلاف الجليل »[٤] ، و«العظم خلاف الصغر »[٥] ، وهذا التفريق بين مصطلحي الضد والخلاف اقرّه ابو الطيب اللغوي ، في قوله : « الاضداد : جمع ضد ، وضد كل شيء ما نافاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل ، والشجاعة والجبن ، وليس كل ما خالف الشيء ضدا له ، الا ترى ان القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ، وانما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم »[٦] ، وجاء في المخصص أنّ :« الضد ضرب من الخلاف »[٧] . وكذلك يظهر اشتمال مصطلح الخلاف على امثلة التضاد في بعض ما اورده الشّرّاح ، من ذلك ذهابهم الى ان « الصفو : خلاف الكدر »[٨] ، و«الرشاد خلاف الغي والضلال »[٩] ، و«الانس خلاف الوحشة»[١٠] .

اما التقابل بالنقيض فمن امثلته لدى الشّرّاح يظهر اقترابه من مصطلح التضاد الا ان النقيض يعبر عن التضاد المتدرج ، وليس التضاد الحادّ كما في امثلة التقابل بالنقيض بين الثنائيات:« البُطْء والسرعة »[١١]، و«الخصب والجدب »[١٢]، و« القبح والحسن » [١٣]، و«الهزال والسمن »[١٤]، وغير ذلك مما ذكره الشّرّاح ، وفيه وقوع المتقابلات على درجات من التضاد وليس على طرفي الضدية ، فالبطء ضد السرعة ولكن بدرجات تحتمل السرعة والبطء ، والتوسط ، وكذا القول في سائر الامثلة ، على حين نجد استعمالا للشراح يعبرون فيه عن التضاد الحاد بمصطلح النقيض ، كما في جعلهم «الحق نقيض الباطل»[١٥] ، و«الادبار نقيض الاقبال»[١٦]، و«الخطا نقيض الصواب»[١٧]، و«الجزع نقيض الصبر»[١٨]، فالحقّ ضد الباطل لا يجتمعان ، ونفي الحق لم يكن مقابله الا الباطل . ولذا ورد النهي عن الجمع بينهما في القرآن كثيرا ، كقوله تعالى:﴿ **وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ** ﴾[١٩]. وتفاوت الشّرّاح في هذين المصطلحين فاستعمل فريق مصطلح النقيض على التقابل بين (الصعب و الذلول)[٢٠] ، واستعمل آخرون

---

(١) الراونديّ ٣٣٨/١ وينظر: أنصاريان ٢٠٨/١ و ٨٧/٢ .
(٢) الخوئي ٢١١/١٥ وينظر: أنصاريان ٢٧١/١ .
(٣) الخوئي ٨٣/١٨
(٤) الخوئي ١٨٧/٣
(٥) أنصاريان ٢٨٩/١
(٦) الأضداد في كلام العرب ١/١
(٧) المخصص ٩٣/٢
(٨) الموسوي١٨٩/٢
(٩) أنصاريان ٢٠٨/١
(١٠) الراونديّ ٣٧٣/٢
(١١) الراونديّ ٤٣/١
(١٢) نفسه ١٠٤/٣
(١٣) نفسه ١٠٤/٣
(١٤) الخوئي ٣٦٠/٩
(١٥)البيهقّي ٣٨
(١٦) الخوئي ٤٥/٢١
(١٧)البيهقّي ٣٢
(١٨) السرخسي٦٠/١ وينظر: الخوئي ٦٨/١٥ .
(١٩) البقرة ٤٢ .
(٢٠) ينظر: الراونديّ ٤٤٦/٢ والخوئي٤٣/٤ .

مصطلح الخلاف على التقابل نفسه[١]،وفي التقابل بين (الصدور والورود)[٢] استعمل فريق منهم مصطلح الخلاف[٣] ، واستعمل مغنية مصطلح التضاد على التقابل نفسه[٤].

وقد يكون التقابل ظاهرا ضمن السياق نفسه ، إذ اعتمد الشّراح على تقابل السياق للوصول الى المعنى المراد من اللفظ ، من ذلك التقابل بين لفظتي (القديم) و (العادي) الواردتين في قوله (ع) : (لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادي طولنا على قومك ان خلطناكم بانفسنا)[٥] ، اذ احتملت لفظة (العادي) معنى المعتاد ، فان الطول بمعنى الفضل والعادي بمعنى الشيء المعتاد كما فهم فريق من الشّراح[٦] . واحتملت ايضا معنى القديم من قولهم : « شيء عادي ، أي: قديم كانه منسوب الى عاد»[٧]، وهو اختيار اغلب شراح النهج[٨] ، اذ استدل الآمدي – متمم شرح الخوئي - على هذا المعنى للفظة بتقابل السياق بقوله: « وهذا الوجه – اي العادي بمعنى المعتاد – خطر ببالنا ايضا الا ان مقابلته بالقديم منعنا من ذلك»[٩] . ومقابلة السياق غالبا ما تكون على أساس المخالفة بين المتعاطفين ، وقلّما يحصل العكس من نحو قوله تعالى : ﴿**لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب**﴾[١٠]. وقد استعان الشارح المعتزلّي بهذه الاية ليدلل على صحة عطف المتقاربين في السياق الواحد ، وذلك في تفسيره للفظتي المراح والسائم الواردتين في قوله (ع) : (كَيْفَ ولْو اجتمَعجميعُ حيوانِها من طيرِها وبهائمِها ، وما كان من مُراحِها وسَائمِها ، وأصْنافِ أسْناخِها وأجناسِها ، ومُتَبَلِّدَةِ أُممِها وأكْياسِها على إحْداثِ بَعوضَةٍ ...)[١١] ، اذ ذهب الى ان المراح والسائم بمعنى واحد فالمراح النعم التي ترد الى المراح وهو موضع ايوائها ، والسائم ما ارسل من النعم للرعي بقوله : « ليس المراح ضد السائم على ما يظنه بعضهم ويقول : إنّ عطف احدهما على الاخر عطف على المختلف والمتضاد ، بل احدهما هو الاخر و ضدهما المعلوفة وانما عطف احدهما على الاخر على طريقة العرب في الخطابة ، ومثله في القران كثير ، نحو قوله سبحانه : ﴿ **لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ** ﴾ »[١٢] . وتابعه في ذلك شراح النهج[١٣] ، الا ان التستريّ انكر هذا التفسير جاعلا التقابل بين المراح والسائم على التضاد على نحو التقابل بين الطير والبهائم من السياق نفسه[١٤] .

(١) ينظر: السامرائي ١٦٧ (٢) نهج البلاغة الرسالة ٤٥ ص:٣٥٧
(٣) ينظر: الرواندي ٢٩٩/٢ وانصاريان ١٥٩/٣ والموسوي ٥٣/١ . (٤) ينظر: مغنية ٢٧٥/١
(٥) نهج البلاغة الرسالة ٢٨ ، ص٤٩٠ .
(٦) ينظر: عبده ٣٣/٢ والشيرازي ٢٨/٤ والموسوي ٢٣٠/٤ . (٧) الصحاح (عود)
(٨) ينظر: البيهقّي٣٧٣ والرواندي ٧٥/٣ والكيدريّ ٤٤٠/٢ والمعتزلّي ١٩٤/١٥ والبحراني ٤٣٥/٤ والسرخسي ٢٤١/١ ومغنية ٤٦٩/٣ وأبو الفضل ١٧٣/٢ وانصاريان ٨٤/٣ . (٩) الخوئي ٩٧/١٩
(١٠) فاطر ٣٥ . (١١) نهج البلاغة الخطبة ١٨٦ ، ص ٣٤٦ . (١٢) المعتزلّي ٨٩/١٣ - ٩٠
(١٣) ينظر:البحراني ١٥٠/٤ وعبده٣٨١/١ والخوئي٥٩/١١ - ٦٩ ومغنية٧٤/٣ والشيرازي١٤١/٣ والموسوي٢٣١/٣.
(١٤) ينظر: التستريّ ٣٢٨/٣

ومن تقابلات السياق تفسيرهم للفظة (البارئ) بمعنى البراءة من المرض والعيب لا بمعنى البرء ، أي : الخلق[١] وذلك بعد مقابلته بلفظة السقم الواردة في السياق نفسه في قوله (ﷺ): (فَلَا تَنْفِروا مِنَ الحقّ فَـِارَ الصَّحِيْحِ مِنَ الأَجْرِبِ ، والبارِئِ مِن ذِي السَّقَمَ)[٢] ، قال الشارح مغنية : « والبارئ هنا من البراءة من العيب او المرض بدليل مقابلته للسقم»[٣] . وامثلة ذلك كثيرة لدى شراح النهج[٤].

ويبرز لدى شراح النهج استعمالهم لـ(المنزلة) ، و (كاف التشبيه) للدلالة على التقابل بين الالفاظ ، كما في أقوالهم : والكرش : « هو لكل مجترّ بمنزلة المعدة للانسان»[٥] ، و« والمخلب للسبع بمنزلة الظفر للانسان»[٦] ، و« الكباسة بالكسر، العذق وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب»[٧] و« الوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب»[٨] والوضين هو سيور تنسج مضاعفة بعضها على بعض ، يشد بها الهودج على البعير كالحزام للسرج ، ويقال للرجل غير الثابت القدم في الامر هو قلق الوضين ، أي : مضطرب شاك فيه[٩]. ومن استعمال كاف التشبيه ما جاء في أقوالهم : «الربوض للغنم كالبروك للابل»[١٠] ، و« الجفلة للخيل والبغال والحمير كالشفة للانسان»[١١]، و« الضرع للناقة كالثدي للمراة»[١٢] ، و« الشرق بالماء كالغصّ بالطعام»[١٣] ، و« الاخفاف جمع خف وهو للبعير كالقدم للانسان ، والاظلاف جمع ظلف بالكسر وهو للبقر والشاء وشبهها كالقدم للانسان»[١٤] .

٢ - اعتمد شراح النهج على وضع اللفظة المفردة في سياقات مختلفة لابراز الفروقات الدقيقة بين معانيها ، فليس اللفظ المفرد يشترك بمعان متعددة على الاطلاق ، بل ثمة فروق تبرز من خلال السياق ، وربما يكون هذا النهج لدى الشّرّاح ميلا منهم نحو قصدية العلاقة بين الدال والمدلول ، الى جانب اقرارهم بوقوع المشتركات اللفظية .

والاستدلال بالسياق للوصول الى المعنى الدقيق للالفاظ هو منهج واضح وجلي لدى الشّرّاح جميعا وله حضور واضح سياتي ذكره في عدة مواضع ، وما يهمنا في هذا المبحث هو تلمس موقف الشّرّاح من ظاهر السياق ، فقد اعتمد شراح النهج في نظرتهم لسياق الكلام على قاعدة مهمة مفادها ان حمل السياق على ظاهره أولى من تأويل الكلام عند تعذر وجود القرينة ، وقد جهر بهذا المبدأ الشارح المعتزلّي ، اذ بّين انه « لايجوز صرف اللفظ عن

(١) ينظر: عبده ١٨٦/١ والتستريّ ٨٩/٣ والشيرازي ٣٤٨/٢ والموسوي ١٤٤/٢.

(٢) نهج البلاغة ١٤٧ ، ص ٢٥٧-٢٥٨ . (٣) مغنية ٣٤٠/٢

(٤) ينظر: الروانـدي ٤١/٢ والخوئي ١٧٦/٢ و٣٢/١٥ والتستريّ ٥٢٣/١ و ٣٥٠/٩ والسامرائي ١٨٧

(٥) الراونديّ ٥١/٣ (٦) الراونديّ٣١٩/٢ والمعتزلّي ٦/١١ (٧) الكيدريّ ٣٩/٢

(٨) الروانـدي ٢٢٢/٢ وينظر: الكيدريّ٥١٠/١ والمعتزلّي١١٨/٧ والسرخسي١٠٧/١ وعبده٢١٧/١ والخوئي٢١٦/٧ ومغنية١١١/١ وابو الفضل٢٣٤/١ والموسوي٨٩/٢ .

(٩) ينظر: العين١٩٦/٣والصحاح١١٤٦ (١٠) الراونديّ ١٥٥/٣ وينظر: السامرائي ١٧٨

(١١) السامرائي ٣٢٠ (١٢) الموسوي ٧٤/١

(١٣) الراونديّ ٣٣٧/٣ (١٤) الموسوي ٥٨/١

ظاهره ... ولو جاز ان نصرف الالفاظ عن ظواهرها لغير دليل قاهر يصرف ويصد عنها ، لم يبق وثوق بكلام الله- عز وجل- وبكلام رسوله عليه السلام»[١] ، وكذا جهر به البحراني فقال : « واعلم ان حمل الكلام على ظاهره عند الامكان اولى من التعسف في التاويل»[٢].

ثم بسط الشارح الخوئي القول في هذه المسألة جاعلا اللجوء الى التأويل مقّيدا بوجود قرينة مانعة من الحمل على الظاهر ، وفي هذا يقول : « إذا تميز المعنى الحقيقي من المعنى المجازي ، واستعمل اللفظ في كلام خاليا من القرينة الدالة على إرادة أحد المعنيين فلا بد من حمله على المعنى الحقيقي»[٣] ، وقد شدد الخوئي على تطبيق هذا المبدأ في تفسير القران الكريم وشرح آياته ، إذ ان العمل بالظاهر « يتعين إرادته خصوصا في كلام الحكيم ؛ لان اطلاق ماله ظاهر وارادة خلافه من دون نصب قرينة مستلزمة للإغراء بالجهل والتكليف بما لا يطاق . وهو قبيح ، وايضا لو لم يرد ظاهره لزم انتفاء الفائدة في ارسال الرسل وانزال الكتب ؛ لان الفائدة العظمى حصول النظام بتبليغ الاحكام الموقوف على المخاطبة والافهام »[٤] . وهذه التفاتة سديدة من الشارح الخوئي ، اذ ان كل لفظة دالة على معناها المراد من ظاهر النص ، على حين إنّ اللجوء الى التأويل يعني الخضوع لإهواء الشّرّاح والمفسرين ممّا يخرج الكلام عن مراد قائله . ومن متابعة تطبيقات الشّرّاح لهذا المبدأ نجد عدم التزامهم به التزاما تامّا ، وقد أَنكَر على المعتزلّي والبحراني خروجهما عن هذه القاعدة ، ذاهبا الى تعدد « توهمات الشارحين المعتزلّي والبحراني في غير واحد من المقامات ، حيث صرفا كلام الإمام (ع) عن ظاهره في موارد كثيرة من غير دليل ، وأوّلاه عن رأيهما ، وانحرفا عن وضح السبيل »[٥] . من ذلك تفسير الشّرّاح للفظتي الشافع والمشفع اللتين ذكرهما الإمام (ع) في وصفه للقران الكريم بقوله : (واعْلَموا أنّ هذا القرآنَ هو النّاصِحُ الذّي لا يَغُشُّ ... واعلموا انَّه شافعٌ مُشَفَّعٌ ، وقائِلٌ مُصَدَّق)[٦] ، اذ ذهب معظم شراح النهج الى حمل الكلام على التشبيه والاستعارة[٧] ،ووجه الاستعارة «كون تدبره والعمل بما فيه ماحيا لما يعرض في النفس من الهيئات الرذيلة من المعاصي وذلك مستلزم لمحو غضب الله كما يمحو الشفيع المشفع اثر الذنب عن قلب المشفوع اليه ...»[٨] . على حين خالفهم الخوئي جاعلا الاولوية في فهم السياق هي الاعتماد على ظاهره ، مبينا ان

القرآن الكريم يشفع لقرائه على الحقيقة لا المجاز ، وعاضدا ذلك بالروايات المنقولة عن ائمة اهل البيت (ع) ، اذ يقول :« والانصاف أنّ حمل الكلام على المجاز مع التمكّن من

---

(١) المعتزلّي ٣٥/٧ (٢) البحراني ٤١٣/٣ وينظر:٢٣٠/٤ .

(٣) الخوئي ٢٧/١ (٤) نفسه ٢٧/١ .

(٥) نفسه ٢٨/١ (٦) نهج البلاغة الخطبة ١٧٦ ، ص ٣١٦ .

(٧) ينظر: المعتزلّي ١٩/١٠والبحراني ٦١/٣ وعبده ٣٤٨/١ومغنية ٥٢٩/٢والتستريّ٤٠/١٣-٤١ وأبو الفضل ٤١٧/١ والشيرازي٦١/٣ .

(٨) البحراني ٦١/٣ .

إرادة الحقيقة لا معنى له كما قلناه ... والحمل على الحقيقة هنا ممكن بل متعين لدلالة غير واحد من الروايات على انه يأتي يوم القيامة بصورة إنسان في أحسن صورة ويشفع في حق قرائه العاملين به ...»[١]

ومن ذلك معالجة الشّراح لقوله (ع) :(ثّم أسكنَ سبحانه آدَم دارًا أُغَدَ فيها عَيْشه ..فاغترَّه عُدوُّه نفاسةً عليه بدارِ المُقامِ ومُرافقةِ الأبرار ، فباعَ اليقينَ بشكّه ، والعزيمةَ بوَهْنه ، واستبدل بالجَذَلِ وَجَلا ، وبالاغترارِ نَدما ، ثم بسط الله سبحانه له في توبته...)[٢] ، اذ حمل معظم الشّرّاح ظاهر الكلام على الاستعارة ؛ لما استقر عندهم من مبدا عصمة الانبياء ، فذهبوا الى ان معيشة ادم (ع) كانت في الجنة على حال يعلمها يقينا ، وما كان يعلم كيف معاشه في الدنيا ، ثم شككه ابليس في صدق مقاله ، فنسي ادم ما كان عنده يقينا مما هو فيه من الخير الدائم. وشك في نصح ابليس فكأنه باع اليقين بالشكّ بمتابعته[٣] . وقد استحسن البحراني هذه الاستعارة بقوله : « وهي استعارة حسنة على سبيل الكناية عن استيعاض ادم الشك عن اليقين »[٤] ، واستدل البيهقّي لصحة هذا التأويل بقوله: « والدليل على ان هذا الكلام استعارة على طريق الامثال انه لا بيع هاهنا ولا شراء »[٥] . وقد تمسك الشارح المعتزلّي بظاهر السياق وحمل الالفاظ على حقيقتها متابعة منه لمذهب اصحابه المعتزلة الذين جوزوا الخطأ على الانبياء ، قائلا : « اما الالفاظ فظاهرة ، والمعاني اظهر... اما اصحابنا فانهم لا يمتنعون من اطلاق العصيان عليه ، ويقولون : انها كانت صغيرة ، وعندهم ان الصغائر جائزة على الانبياء (ع) »[٦] . اما الشارح الخوئي فقد ذكر انه يمكن حمل الكلام على ظاهره ، الا انه تأّول لهذا الظاهر بقوله :« ويمكن اجراء الكلام على ظاهره بان يراد باليقين اليقين بعداوة ابليس ، وبالشك الشك فيها ، والمراد ببيعه به تبديله به ، وذلك لان ابليس لما ابى واستكبر عن السجود وأظهر الفضيلة ... تيقن ادم بعداوته له ، وقد اعلمه الله سبحانه به حينئذ ايضا ...ولم يكن ادم وحواء شهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا ، ووثقا بقوله وشكا في عداوته لمكان ذلك»[٧] ، وتابعه على هذا التاويل الشارح مغنيه وهو يتوخى حمل السياق على ظاهره بقوله : « هذا ما يدل عليه سياق الكلام وظاهره او ما نفهمه نحن »[٨] ، على حين لم يلتزم الشارح مغنيه بظاهر السياق وهو يشرح قوله (ع) : (أصدقاؤك ثلاثة ، وأعداؤك ثلاثة : فأصدقاؤك : صديقُك ، وصديقُ صديقِك ، وعدوُّ عدوِّك ، واعداُؤك : عدوُّك ،

وعدوُّ صديقِك ، وصديقُ عدوِّك)[٩] ، وانما اوجب التاويل بقوله : « صديق الصديق ليس صديقا على سبيل الحتم والجزم ... واذن فلا بد من التوجيه والتاويل ، والذي تصورناه في التوجيه ونحن نشرح هذه الكلمة ان سبب التآخي والصداقة بين اثنين هو المشابهة والمشاركة في اي شيء ،وان سبب العداوة والتباعد هو المعاكسة وعدم الانسجام ...ومعنى هذا أنّ أيّة صفة كانت السبب الموجب للصداقة بين

---

(١) الخوئي ١٩٨/١٠ (٢) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص ٢٢ .

(٣) ينظر: الرواندي ٧٥/١ والكيدريّ ١/ ١٣٨ والتستريّ ٥٩٠/١ وأنصاريان ٥٤/١ والشيرازي ٣٤/١ والموسوي ٤٠/١ .

(٤) البحراني ١٧٦/١ (٥) البيهقّي ٦٨/١ (٦) المعتزلّي ١٠٢/١

(٧) الخوئي ٨٤/٢ (٨) مغنية ١٥٢ (٩) نهج البلاغة : الحكمة ٢٩٥ ، ص ٦٦٢ .

اثنين فهما ايضا صديقان لكل من كانت فيه الصفة من حيث يريدان أو لا يريدان »[١] ، فالذي حمل الشارح مغنية على تاويل النص هو ما بينه من قبله الشارح البحراني من ان علم الشخص بصديق صديقه امر غير مؤكد قائلا : « الحكم بأن صديقَ الصديق صديقٌ وعدوَّ العدوِّ صديقٌ من القضايا المظنونة لاحتمال كون الصديق غير عالم بأنّ لصديقه صديقا »[٢] ، وجعل العلم او الجهل بحال الصديق حائلا دون ارادة ظاهر الكلام ، خلافا لاكثر شراح النهج[٣] ، وقد رفض محمد باقر الكمريّ متمم الجزء الحادي والعشرين من شرح الخوئي تأويل البحراني مبّينا أنّ الإمام (ع) « بّين الاثر الذاتي للحب الاخوي والبغض الناشئ من العداوة، ولا ربط له بالعلم والجهل بحال الغير»[٤].

٣- اهتّم شراح النهج **بالرموز والاشارات** الواردة في كلام الإمام (ع) لما تحمله من دلالات على المعاني ، وهو ما يعرف في علم الدلالة الحديث بـ (السيمياء) ، أي : علم الاشارات والرموز[٥] . وقد عكف الشّرّاح على بيان المراد بـ (الرمز) وهم يشرحون قوله (ع) : (اللهُمّ اغْفِرْ لي رَمَزاتِ الألْحاظ ، وسَقَطَاتِ الألفاظِ ، وشَهوَاتِ الجَنَانِ ، وفَلَتَاتِ اللِّسَانِ)[٦] ، اذ اجمع الشّرّاح على تفسير الرمز بالاشارة ، والايماء بالعين ، والحاجب ، للدلالة على حالات مختلفة للانسان من غضب او فرح او أمر بفعل شيء او تركه[٧] . من ذلك تفسير الشّرّاح لقوله (ع) في استنفار الناس الى اهل الشام : (أُفٍّ لكُم ! لقد سَئِمتُ عِتابَكُم ! أَرَضِيتُم بالحياةِ الدُّنيا من الآخرةِ عِوضًا ؟ وبالذُّلِّ مِنَ العِزِّ خَلَفًا ؟ إذا دعوتُكم إلى جِهادِ عدوِّكم دارتْ أَعْيُنُكُم ، كأَنَّكُم مِنَ المَوْتِ في غَمْرَةٍ ، ومِنَ الذُّهُولِ في سَكْرَةٍ)[٨]، إذ بيَّن الشّرّاح[٩] أنّ دوران الأعين من الاشارات الى الخوف والرعب ، قال البيهقّي : « دوران الاعين على تلك الهيأة من امارات الرعب والخوف »[١٠] .

---

(١) مغنية ٣٦٨/٦ .

(٢) البحراني ٣٩٤/٥ .

(٣) ينظر: المعتزلّي ١٩ /٢٠٠ والتستريّ ٤٣٣/١٣ والشيرازي ٤٠٨/٤ والموسوي ٤٣١/٥ .

(٤) الخوئي ٣٨٧/٢١ .

(٥) ينظر: علم الدلالة (عمر) ١٢-١٤.

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٧٨ ، ص ١١٧ .

(٧) ينظر: الراونديّ ٣١٥/١ والمعتزليّ ١٧٦/٦ والبحراني ٢١٣/٢ وعبده ١٥٧/١ والخوئي ٢٥٠/٥ ومغنية ٣٦٧/١ والتستريّ ٥/٧ وأبو الفضل ١٤٦/١ والسامرائي ١٨٣ والشيرازي ٢٩٧/١ والموسوي ٤٤٤/١ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٣٤ ، ص ٧٥ .

(٩) ينظر: الراونديّ ٢٣٨/١ والمعتزليّ ١٩٠/٢ والبحراني ٧٨/٢ والسرخسي ١٦٦/١ وعبده ٩١/١ والخوئي ٧١/٤ ومغنية ٢٦٦/١ والتستريّ ٥١٧/١٠ وأبو الفضل ٩٢/١ وانصاريان ١٤٩/١ والموسوي ٢٦٧/١ .

(١٠) البيهقّي ١٢٣ .

وعلّل الشيرازي هذه الدلالة بقوله : إنّ « الانسان الخائف يلتفت يمينا وشمالا ليجد مهربا من الخوف الذي احاط به »[١] ، وهي اشارة استعملها القرآن الكريم للدلالة على الخوف الذي انتاب المنافقين ، قال تعالى : ﴿ **يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ** ﴾[٢].

والرموز الواردة في أقوال الإمام (ع) كثيرة ، عالجها الشّرّاح مبيِّنين دلالتها على المعاني المختلفة من ذلك الإشارة بالسكوت إلى الرضا[٣] ، وقد ذكر البيهقّي أن السكوت من الاشارات التي استدل بها الفقهاء على تجويز ما صدر عن النبي (صلى الله عليه وآله) من افعال سكت عنها ، قائلا :« كان سكوته دليلا على حسن الحادثة ، سواء كان ذلك قولا ، او نقلا ، وبهذا استدل العلماء في مواضع سكوت النبي (صلى الله عليه وآله) عن فعل ما كالنصّ على التجويز ...»[٤] وقد عد الخوئي السكوت من الاشارات على الشجاعة في الحروب في مقابل الدلالة بالضوضاء والاصوات المرتفعة على الجبن والضعف « اذ الوعيد ، والتهديد ، والضوضاء قبل ايقاع الحرب والظفر على الخصم امارة الضعف والجبن وعلامة رذالة النفس ، كما ان الصمت والسكوت امارة الشجاعة »[٥].

وتعد حركات الانسان اشارات دالة على المعاني المختلفة كالعض على اليد ، اذ بين الشّرّاح انها علامة الندم والاسف[٦] وذلك في شرحهم قوله (ع) في وصف الدنيا : (أَهْلُها على ساقٍ وسِياقٍ ... فَمِنْ ناجٍ معقورٍ ...وعاضٍّ على يديهِ ، وصافقٍ بكفيَّهِ ، ومُرْتَفِقٍ بخدَّيهِ)[٧] ، إذ قال المعتزلّي : «وعاضٍّ على يديه ، أي ندما . وصافقٍ بكفَّيه ، أي : تعسّفا او تعجّبا . ومرتفق بخدّيه : جاعل لهما على مرفقيه فكرا وهمّا »[٨] ، وجّوز آخرون دلالة هذه الحركة على الغضب ، اذ « يقال : فلان عاضّ على يده من الندامة ، وقد يكون من الغضب »[٩] . وهذه الحركة وردت في القرآن الكريم إشارة الى ندم الظالم ، قال تعالى:﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ** ﴾[١٠]وقد تكون الإشارة بجمع الأصابع

---

(١) الشيرازي ١٧٩/١ . (٢) الاحزاب ١٩ .

(٣) ينظر: الكيدريّ ٤٨٣/١ والمعتزليّ ٦٩/٧ والبحراني ٤٠٢/٢ والسرخسي ١٠١/١ ومغنية ٧٠/٢ والتستريّ ٢٠٢/٢ وأبو الفضل ٢١٥/١ وانصاريان ٣٢٥/١ والشيرازي ١٠٩/٢ والموسوي ١٣٩/٢ .

(٤) البيهقّي ١٩٤

(٥) الخوئي ١٥٩/٣ وينظر: ١٤٣/٤

(٦) ينظر: المعتزليّ ١٢٤/١٣ والسرخسي ٢٠٦/١ وعبده ٣٩٥/١ والتستريّ ٢٧/١٢ وابو الفضل ٨٨/٢

والشيرازي١٨٥/٢ والموسوي٢٨٣/٣ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٩١ ، ص ٣٥٨ .

(٨) المعتزلّي ١٢٤/١٣

(٩) الروانـدي ٢٢٥/٢ وينظر: الكيدريّ ٣٢١/٢

(١٠) الفرقان ٢٧ وينظر:الكشاف ٩٠/٣ .

الأربعة ووضعها بين الأذن والعين للدلالة على إنّ بين الحق والباطل أربعة أصابع ، إذ بيّن الشراح[١] أنّ الإمام (ع) لما قال : (البَاطِلُ أنْ تقولَ سَمِعْتُ ، والحقُّ أنْ تقول رأيت)[٢] جاء بهذه الإشارة . وقد كثرت في النهج مثل هذه الإشارات وكثرت أيضا تنبيهات الشّراح على المعنى المراد من كل إشارة أو حركةٍ أو رمز[٣] .

٤ - اعتماد شراح النهج جميعهم على **المعجمات اللغوية** في التوثيق الدلالي ، وتحديد الاصول الدلالية للالفاظ ، ثم تتّبع تغيرات المعنى وما يطرأ عليها من استعمالات. وقد تنوعت مصادر الشّراح وفاقت الحصر والعد بحكم ما تضمنته خطب الإمام (ع) ورسائله وحكمه من موضوعات اشتملت جوانب الحياة المختلفة ، اذ ضمت مصادر الشّراح كتب الفقه والتفسير وعلم الكلام والفلسفة والمنطق والتاريخ والفلك والطب والحيوان والشعر والادب والبلاغة واللغة الا ان بحث الشّراح في الجانب الدلالي كان معتمدا على المعجمات اللغوية ، وما ينقله اصحابها من اراء اللغويين في معاني الالفاظ وتطور دلالاتها ، بوصفهم اهل اللغة على حد تعبير الشارح الخوئي الذي يقول : «اعلم ان معرفة المعاني الحقيقية والتفرقة بينها وبين المعاني المجازية انما يحصل بالرجوع الى اهل اللغة »[٤] ، ومثل الخوئي لاهل اللغة بصاحب الصحاح وصاحب القاموس[٥] ، ولذا نجد معظم معجمات اللغة حاضرة في شروح النهج ، وتتفاوت في عددها تبعا للعصر الذي ينتمي اليه كل شارح ، اذ رجع الشّراح الى معجمات : العين والجمهرة والمجمل والصحاح والنهاية والمفردات والاساس واللسان والمصباح المنير والمنجد وغيرها .

وقد أحاط شراح النهج بآراء المعجميين في الألفاظ التي تباينت الاقوال في تحديد معناها كتوجيههم لفظة (المس) الواردة في قوله (ع) من كتاب له (ع) الى معاوية :(واحذْر أنْ يُصِيْبَكَ الله مِنْه بُعاجلِ قارعةٍ تمسُّ الأصلَ وتقطعُ الدَّابرَ) [٦] ، اذ اتفق شراح النهج على ان المراد بـ(تمس الاصل) هو انها تقطعه[٧] ،غير ان الشارح المعتزلّي جعل

---

(١) ينظر: البيهقّي٣٣ والراونديّ٦٣/٢ والكيدريّ ٦٢٣/١ والمعتزلّي ٧٢/٩والبحراني ٣/ والسرخسي١٣٣/١ وعبده٢٧٨/١-١٧٩ والخوئي٣٩٣/٨ ومغنية٣٠٨/٢ والتستريّ٣٤٦/١٣ وأبو الفضل٣٢٣/١ والشيرازي٣٢٢/٢ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٤١ ، ص ٢٤٩ .

(٣) ينظر: البيهقّي ٣٠٩ ، ٤٥١ والروانـدي٢٥٢/٢ والكيدريّ٥٨٨/٢ والتستريّ٢٤٣/١٠ والسامرائي٢١١ ، ٣١٥ والشيرازي١٧١/١ ، ٣٠٠ و٥٨/٢ ، ٣١٤ و٢٧٦/٤ .

(٤) الخوئي ٢٦/١

(٥) ينظر: نفسه

(٦) نهج البلاغة الرسالة ٥٥ ص ٥٧١ .

(٧) ينظر: الراونديّ٣/٢١٥ والبحراني ٥/١٩١والسرخسي ١/٢٧٤ وعبده ٢/١١٧ والخوئي٢٠/٣٣٠ ومغنية٤/١٣٠ و ٥/١١٢والتستريّ٩/٣٩١ وابو الفضل٢/٢٦٩ والشيرازي٤/٢٠٤ .

هذه الدلالة مأخوذة من قولهم :« ماء مسوس ، اي : يقطع الغلة»[١] ، ودلالة المسّ على القطع غير صحيحة كما ذكر التستريّ وانصاريان ، وانما هي مستحصلة من اضافة (تمسّ) بمعنى تصيب الشيء ، الى لفظة (الاصل) ، اي : داهية تصيب اهلك « فتكون اصابة الاصل كناية عن الاستئصال»[٢] ، واستدل أنصاريان بأقوال المعجميين لبيان خطأ المعتزلّي ، فذكر أنّ كلامه « فيه نظر ؛ اذ المس بمعنى القطع لم يذكره احد من اهل اللغة واما الماء المسوس فهو الماء بين العذب والمالح كما ذكر الجوهري، او الذي تناله الايدي كما ذكر الخليل في العين والفيروزابادي ... والظاهر انه من المس بالمعنى المعروف ، أي : داهية تصيب اهلك»[٣] ولذا احتمل الشارح التستريّ ان يكون (تمس) محرّفا من (تحسّ) بمعنى تستأصل بعد تأكيده على انتفاء دلالة المس على القطع[٤].

ومال الشارح المعتزلّي الى تبني آراء الجوهري في صحاحه ، وتقديمه على غيره من المعجميين على حين مال الشارح التستريّ إلى صاحب القاموس ، وكثيرا ما شنّع على المعتزلّي اعتماده على الصحاح ، مرددا عبارات من مثل : « ان ابن أبي الحديد يتبع غالبا صاحب الصحاح»[٥] ، و« اخذ ما قاله عن الصحاح »[٦] ويبدو اعتماد التستريّ على اللغوي المتأخر دون المتقدم غريبا في هذا المقام. فأكثر الشّرّاح يستدلون بما قاله المعجميون الأوائل ثم يأنسون بكلام اللاحقين على وفق ما جاء لدى الخوئي في قوله : « ان اللغوي الذي يرجع اليه لتشخيص الاوضاع ان كان واحدا فهو ، والا فان اتحد قولهما فلا اشكال فيه ايضا ، فلو اختلفا فان كان مع احدهما مرجح فهو المتبع ، ولو وقع الاختلاف بين الصحاح والقاموس فاخذ الاول متعين ؛ لانه من اهل اللسان »[٧].

٥ -اعتمد شراح النهج على **ايراد المتقاربات** لبيان المعنى الدقيق للالفاظ التي يشرحونها ، وهذه الطريقة اشبه بما يعرف لدى المحدثين بالحقول الدلالية ، اذ توضع اللفظة المراد تعرف معناها بدقة الى جانب الفاظ تقاربها في المعنى لتتَّضحَ - بالتمييز بين مجموع الألفاظ ذات الحقل الواحد - المعاني الدقيقة لكلّ منها ، وسيأتي بسط القول في هذه المسألة في مبحث الترادف في الفصل الخامس[٨] .

---

(١) المعتزلّي ١٧/١٣٧

(٢) التستريّ ٩/٣٩١

(٣) أنصاريان ٣/٢٧٦ وينظر: العين ٣/١٧٠٠ والصحاح ٩٨٧ والقاموس ٥٣١.

(٤) ينظر: التستريّ ٩/٣٩١

(٥) التستريّ ٣/٨٩

(٦) التستريّ ١٣١/١

(٧) الخوئي ٢٩/١ وينظر ١١٨/٣ و١٢٥/٦ و٦٤/٩

(٨) ينظر: ص ٤٤١ وما بعدها من الأطروحة .

الفصلُ الثّاني

الدِّلالةُ الصَّوتيّةُ في شُروحِ نَهجِ البَلاغَةِ .

- توطئة : الدلالةُ الصوتّيةُ مفهومٌ وخلافٌ .
- المبحث الأول : دلالةُ تعاقُبِ الصوائت في شروح نهج البلاغة .
- المبحث الثاني : دلالةُ تعاقُبِ الصوامت في شروح نهج البلاغة .
- المبحث الثالث : دلالةُ التَّكرارِ الصوتّي في شروح نهج البلاغة .
- المبحث الرابع : دلالةُ الأَداءِ الصوتّي في شروح نهج البلاغة .

توطئة : الدلالة الصوتية / مفهوم وخلاف .

١ - مفهوم الدلالة الصوتية .

يبرز من موضوعات الدراسة الصوتية مسألة الصوت والمعنى أو ما عرف لدى المحدثين بالدلالة الصوتية. وهو موضوع لم يؤثر له عن القدماء مصطلح واضح ولاحد بّين ، وعلى الرغم من ذلك كان القدماء قد وضعوا أسس هذا النوع من الدلالة أو هذا الفن من الدرس الصوتي، وذلك بذكرهم أمثلته التي أنسوا بتلمسها من كلام العرب، فضلا عن توثيقهم العلاقة بين الصوت والمعنى إلى درجة بلغت الزَّهو والغُلُّو – أحيانا - على وفق ما جاء لدى ابن جني وغيره[١] . وقد أصّل القدماء هذا الموضوع ضمن موضوع أوسع منه وهو الخلاف في نشأة اللغة الذي افضى في بعض نظرياته إلى أن اللغة نشأت من محاكاة الأصوات معانيها أو محاكاة الألفاظ أصوات الطبيعة[٢] . وربما يكون السبب في عزوف القدماء عن تحديد المصطلح الدقيق ووضع الحد الجامع لهذا الفن الجديد هو أنهم اكتفوا بما استنبطوه من أمثلة جلية تقرب هذا الفن الجديد نحو الإفهام في زمن كانت فيه المصطلحات والحدود في طور النشأة ، وكان التطبيق يقوم مقام التنظير في التعريف بفنون اللغة وموضوعاتها ، ثّم إن هذا الفن -الدلالة الصوتية- بقي معروفا بأمثلته وتطبيقاته لا باسمه وتعريفه حتى العصر الحديث الذي يطالعنا فيه ابراهيم أنيس (ت١٩٧٦م) بالمصطلح وحدّه ، لكنه يعتمد على التمثيل – أيضا - فيقول: «الدلالة الصوتية وهي التي تستمد من طبيعة بعض الأصوات ... فكلمة **تنضخ** كما يحدثنا كثير من اللغويين القدماء تعبر عن فوران السائل في قوة وعنف وهي إذا قورنت بنظيرتها **تنضح** التي تدل على تسرب السائل في تؤدة وبطء يتبين لنا أن صوت الخاء في الأولى له دخل في دلالتها فقد أكسبها في رأي أولئك اللغويين تلك القوة وذلك العنف ، وعلى هذا فالسامع يتصور بعد سماعه كلمة تنضخ عينا يفور منها النفط فورانا قويا عنيفا والفضل في مثل هذا الفهم يرجع إلى إيثار صوت على آخر أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق »[٣] وقد تمسك معظم الباحثين بهذا التعريف مع شيء من التغيير في أمثلته أو ألفاظه[٤]. وهو تعريف قاصر عن وصف مظاهر الدلالة الصوتية كلها إذ تلمس المحدثون[٥]

---

(١) ينظر: الخصائص ٢/١٥٤-١٧٠والمزهر ١/٤٧ .

(٢) ينظر: الخصائص ١/ ٤٧-٤٨ و٢/١٥٤-١٥٥ والصاحبي ٢ .

(٣) دلالة الألفاظ ٤٦ .

(٤) ينظر: معجم مصطلحات اللغة والأدب ١٦٩ومصطلحات الدلالة ٨٤ والبحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن ٣١ والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم ٢٥ .

(٥) خص فريق من الباحثين العرب الموضوع بدراسة مستقلة منهم : صالح سليم عبد القادر في الدلالة الصوتية في العربية وكريم حسام الدين في كتابه :الدلالة الصوتية -دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل والدكتور : خالد قاسم بني دومي في كتابه دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم وكريم مزعل اللامي في رسالته : الدلالة الصوتية في القرآن الكريم وتحسين عبد الرضا الوزان في أطروحته الصوت والمعنى وآخرون .

جملة من أنماط الكلام عدّوها أسسا للدلالة الصوتية تعتمد على **الصوائت** و**الصوامت** و**المقاطع** و**الالفاظ** و**الجمل** . وقد يكون من العسير جمع هذه الانماط الدلالية في حد جامع ولذا يكون تعريف الدلالة الصوتية بالتفصيل لا بالاجمال كأن يقال: إن الدلالة الصوتية هي الدلالة المستوحاة من تتابع الحركات والحروف في نسق معين أو التعاقب بينها تعاقبا فرديا أو مزدوجا أو تكثيفها بالتكرار والتضعيف والمد . وتستمد أيضا من سبك الالفاظ من اصوات يحاكي ائتلافها صوتا طبيعيا فتدل تلك الالفاظ بجرسها على معناها أو من نظم الجمل والتراكيب بطريقة تومئ الى المعنى الدقيق لا بنظمها الظاهرالمكتوب بل بإلقائها المسموع من حيث ضغط مجرى الهواء في موضع معين والصعود والنزول فيه وقطعه وامتداده .

وصفوة القول في هذا النوع من الدلالة أنه يقوم على التلاؤم بين الاصوات وتناغمها بطريقة تؤدي الى ايقاع يجعل المفردة توحي بجرسها واصواتها المكونة لها على معناها. ويكاد يجمع المحدثون على القول به واستنباط امثلته، وهو ميدان رحب واسع امامهم ، ودرسه حافل بالجدّة والأصالة .

٢ - الدلالة الصوتية بين المؤيدين والمعارضين .

شغلت مسألة الصوت والمعنى الفكر الانساني عموما ومن ثم فكر علماء العربية منذ اواخر القرن الثاني الهجري والى ايامنا هذه والجميع ازاء هذه المسالة على فريقين : الاول ، يرى ان العلاقة بين (الدال والمدلول) ويشمل الصوت والمعنى ، واللفظ والمعنى طبيعية قصدية رسخت بعلم المتكلم و تخطيطه وتدبيره . والآخر، يرى ان العلاقة بين (الدال والمدلول) علاقة اعتباطية لا قيمة لها ابتداء وان ما يربط الدال بالمدلول من علاقات جاء تلوا للاستعمال العرفي فضلا عن ان الصوت المفرد او اللفظ المفرد لا قيمة له بمعزل عن السياق والانضمام الى اصوات اخرى او الفاظ اخرى . وقد استند اصحاب مذهب (الاعتباطية) الى عدم فهم جميع اللغات من لدن الناس جميعهم[١] وهذا دليل على ان لا علاقة بين الصوت والمعنى ولو كانت العلاقة قائمة بينهما قصدية لتسنى لنا فهم جميع اللغات. وانكر القصديون هذا الدليل بان الصلة بين اللفظ والمعنى جلية ظاهرة طبيعية في بدء نشاة اللغة الام (الموحّدة) ولكن تفرع اللغات وتطور الالفاظ وتغير دلالاتها مع الزمن طمس العلاقة القصدية بين الصوت والمعنى وقرب الامر نحو الاعتباط فصار من العسير الظفر بالعلاقة الطبيعية على نحو دائم بين الصوت والمعنى[٢].

ويقف الخليل في صدارة علماء العربية القائلين بالعلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى إذ تلمس تلك العلاقة من نبع صغير كشفه بالملاحظة، ثم صار ذلك النبع الصغير معينا ضخما استمد منه المتأخرون أفكارا كثيرة قادتهم إلى تحليل العلاقة بين الصوت ومدلوله وتأمل الصلة بينهما ، وأول ما جذب انتباه الخليل الى تلك العلاقة هو الالفاظ

(١) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة ١٨

(٢) ينظر: دلالة الألفاظ ٦٣ ودلالات الظاهرة الصوتية ١٦

المعبرة عن الاصوات او المسموعات التي رأى فيها اصواتا محاكية للطبيعة[١] . وفي كتاب العين إشارات واضحة لدلالة الصوت المضعف والصوت المكرر وصفات الأصوات على وفق ما سيأتي بيانه في هذا الفصل . وقد أفاد تابعو الخليل من هذه الإشارات فعقدوا عليها كثيرا من آرائهم في هذه المسألة، كدلالة توالي الحركات في الفَعَلان والفَعَلى عند سيبويه على الهياج والاضطراب[٢] .

ثم تأخذ تلك الإشارات حيزا كبيرا من فكر ابن جني الذي فاق المتقدمين واللاحقين في تبيان مظاهر الدلالة الصوتية بعد أن خصص لها بابين من خصائصه الأول : **تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني**[٣] وفيه عدة مظاهر للدلالة الصوتية منها تشابه الحروف والمعنى واحد، وتداخل الاصول الثلاثية والرباعية والخماسية، وتقليب الحروف الاصول والمعنى واحد، وتقارب الحروف لتقارب المعاني وهو الإبدال . والباب الثاني هو **امساس الالفاظ اشباه المعاني**[٤] وأهم مظاهره : تقطيع المثال او تطويله دليل على تقطيع الفعل او تطويله ، وتوالي الحركات لتوالي الافعال والمثال المكرر للمعنى المكرر، وتوالي الحركات للسرعة نحو: الفعلان والفعلى ، وترتيب الحروف على ترتيب الافعال، وتكرير العين في المثال دليل على تكرير الفعل، وتكرير اللام والعين في باب المبالغة، ومقابلة الالفاظ بما يشاكل اصواتها من الاحداث، وسوق الحروف على سمت المعنى، وتسمية الاشياء باصواتها، ودلالة جرس الصوت على معناه ، فالصوت الشديد للمعنى الشديد والصوت الرخو للمعنى الرخو والصوت المهموس الرخو للضعف والوهن . ولم يكتف ابن جني بذكر مظاهرالصوت والمعنى بل جاوز ذلك ليحشد الادلة والبراهين التي تفصح عن قصدية العلاقة بين الصوت والمعنى وانكر ان تكون العلاقة اعتباطية لأن انكار العلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى ابطال لحكمة العرب في لغتها، تلك الحكمة التي تشهد بها عقول ذوي التحصيل[٥] . وقد عزا ابن جني ابتعاد المعنى عن الصوت في كثير من الامثلة وخفاء العلاقة بينهما لأمرين « إما أن تكون لم تنعم النظر فيه فيقعد بك فكرك عنه ، أو لأن لهذه اللغة أصولا وأوائل قد تخفى عنا وتقصر أسبابها دوننا»[٦]

وقد رغّب ابن جني الباحثين بالدلالة الصوتية والتمس منهم النظر فيها فقال:« فهذا ونحوه أمر إذا أنت أتيته من بابه ، وأصلحت فكرك لتناوله وتأمله، أعطاك مقادته، وأركبك ذروته ، وجلا عليك بهجاته ومحاسنه . وإن أنت تناكرته وقلت : هذا أمر منتشر ، ومذهب صعب موعر ، حرمت نفسك لذته ، وسددت عليها باب الحظوة به»[٧]

(١) ينظر: العين :١/ ٥٤ -٥٦

(٢) ينظر: الكتاب ٤/١٢-١٤

(٣) ينظر: الخصائص ٢/١٤٧-١٥٤

(٤) ينظر: نفسه ٢/ ١٥٤-١٧٠ والمزهر ١/٤٨.

(٥) ينظر: نفسه ١٦٦/٢

(٦) نفسه ١٦٦/٢

(٧) نفسه ١٦٤/٢

وأيد كثير من المحدثين قصدية العلاقة بين الصوت والمعنى فمن الغربيين :همبلت[١] وجسبرسن[٢] وفيرث[٣]. ومن العرب :أحمد فارس الشدياق[٤] وصبحي الصالح[٥] ومحمد المبارك[٦] وجرجي زيدان[٧] وعباس محمود العقاد[٨] ورمضان عبد التواب[٩]. ويكفي ان كل من يتلمس المباحث الدلالية[١٠] لا يجاوز ما استقر حديثا بالدلالة الصوتية التي اقيمت واستقرت على علاقة الصوت بالمعنى.

ويعد الباحث العراقي عالم سبيط النيلي[١١] من أشد المدافعين عن العلاقة العقلية بين الصوت والمعنى وله في إنكار الاعتباط وإثبات القصد أربعة كتب هي[١٢] :

- اللغة الموحدة وهو كتاب يركز على إثبات وجود القيمة المسبقة للعلامات الصوتية والألفاظ ويهدف إلى تأسيس علم للغة جديد قائم على القصدية وتفنيد النظرية الاعتباطية للجرجاني وسوسير.
- الحل القصدي للغة وهو كتاب يناقش المباحث الاعتباطية للألفاظ ومباحث الدلالة عند الأصوليين ويقوم بتفنيدها على وفق النظرية القصدية الجديدة ويعتمد على النظام القرآني في تقديم الحلول . وهذا الكتاب مفعم بالنقد اللاذع لأئمة اللغة قديما وحديثا لا سيما الجرجاني وسوسير.
- الحل الفلسفي وهو كتاب يناقش الاعتباط الفلسفي العام ولا سيما في الفلسفة الاسلامية عن طريق المنهج القصدي للغة .
- النظام القرآني وهو مشروع يتضمن الكشف عن النظام القرآني ويظهر إعجازه الحقيقي من خلال الحل القصدي للغة .

---

(١) ينظر : دلالة الألفاظ ٦٨ والدلالة اللغوية عند العرب ٢٢١ .

(٢) ينظر : دلالة الألفاظ ٦٨-٦٩ والدلالة اللغوية عند العرب ٢٢٢ .

(٣) ينظر : الدلالة اللغوية عند العرب ٢٣٠ .

(٤) ينظر: الساق على المساق ٦٥/١ -٦٧ .

(٥) ينظر : دراسات في فقه اللغة ١٤١ .

(٦) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية ٢٦١ .

(٧) ينظر الفلسفة اللغوية ٣٦-٣٧.

(٨) ينظر : اشتات مجتمعات ٤٣-٤٩ .

(٩) ينظر : بحوث ومقالات في اللغة ١٧ .

(١٠) ينظر البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن٣١- ٦٤ والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم ٢٥-٥٧ .

(١١) ولد في الحلة عام ١٩٥٦ ، أكمل دراسته الإعدادية بتفوق عام١٩٧٥فقبل ضمن بعثة دراسية إلى الإتحاد السوفيتي ليختص في الهندسة الالكترونية ، عاد إلى العراق فعين بدرجة ملازم أول مهندس في المؤسسات العسكرية ثم نبغ في حقل اللغة على نحو مفاجئ فترك بعد وفاته في ٨/١٨ /٢٠٠٠ جملة من الآثار القيمة هي محل تداول ذوي الصنعة حاليا . ينظر: في ترجمته كتابه : أصل الخلق

(١٢) ينظر : النظام القرآني٥

لقد حاول النيلي من خلال منجزه في اللغة « إعادة تفسير اللغة على نحو آخر هو وجود معنى ذاتي في الصوت وحركة عامة (معينة) ومحددة إجمالا في كل تعاقب صوتي وهو ما تم شرح القسم الأكبر منه في كتاب اللغة الموحدة الذي تم فيه أيضا تفنيد ونسف الاعتباطية في اللغة ووحداتها الأصلية خلافا لمزاعم البنيوية الغربية أو الشكلية النظمية العربية بقيادة سوسير في الأولى والجرجاني في الثانية»[١]. ويرى النيلي أن الحل القصدي يرفض رفضا قاطعا أن تكون دلالة اللفظ خارجية جاءت من الاتفاق الجزافي وإنما هي ذاتية في اللفظ ومنبثقة من عناصره الأولى وترتيبها التعاقبي ورأى أن منجزه في حقل اللغة يكشف لأول مرة عن القيمة الحركية الفيزياوية للأصوات . وحدد نظامها التعاقبي بما يفسر النظام الاشتقاقي لكل لغات العالم . وطلب من جميع المختصين إجراء التجارب والتطبيقات على الألفاظ قديمها وحديثها ، فالحل القصدي يمتلك من الأدلة ما يحدد الكلمات التي نطق بها الخلق بينما لا يمتلك الحل الاعتباطي دليلا واحدا على نظريته سواء في مؤسستة الثقافية او الدينية[٢] . والناظر في منجز النيلي يجد الجدة في الطرح مقرونة بالزهو في تفسير العلاقة القصدية بين الدال والمدلول على نحو دائم ومطرد فضلا عن التبجّح بمسائل اللغة من مثل إبطال الترادف والمشترك والتضاد والمجاز وغير ذلك من الظواهر اللغوية التي اصطرع القدماء بشأنها بين مؤيد ومنكر فجاء النيلي ليختزل أحد أطراف ذلك الصراع وهم المنكرون ليزعم أنه أول من أبطل الترادف والمشترك والتضاد والمجاز وغير ذلك .

أما القائلون باعتباطية العلاقة بين اللفظ والمعنى من علماء العربية فيتصدرهم الجرجاني الذي نفى ان يكون لنظم الاصوات وتواليها امر عقلي ذلك ان « نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى ان يتحرى في نظمه لها ما تحراه فلو ان واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي الى فساد »[٣] وقال أيضا: «وجب ان يعلم أنّ مدلول اللفظ ليس هو وجود المعنى او عدمه ولكن الحكم بوجود المعنى او عدمه ، وإنّ ذلك ، أي الحكم بوجود المعنى أو عدمه حقيقة الخبر »[٤] .

ودلالة الالفاظ لديه مرتبطة فيما تفيد من معنى عند التركيب والدليل لديه على ذلك انك لو فككت الالفاظ ونثرتها متباعدة غير منتظمة لا تحصل على الدلالة نفسها وهي مترابطة مركبة وأن الألفاظ قد تحسن دلالتها في موضع وقد تقبح دلالتها في موضع آخر ومرد ذلك كله إلى النظم وليست دلالة الألفاظ نابعة من أصواتها المسموعة وحروفها المتوالية[٥].

وفي العصر الحديث تزعم سوسير مذهب الاعتباط فرأى أن الاعتقاد بأن الالفاظ لا قيمة ذاتية لها هو امر لا يختلف حوله اثنان واما الاصوات فان الاعتقاد بوجود قيمة لها هو ضرب من الخيال وشيء لا يخطر على بال[٦]

(١) الحل القصدي ٥ (٢) ينظر : الطور المهدوي ١٢-١٣ (٣) دلائل الاعجاز ٥٦
(٤) نفسه ٥٢٩ (٥) ينظر: نفسه ٥٤-٥٥ (٦) ينظر: علم اللغة العام ١٣ ودلالة الألفاظ ٧٠.

وهو بهذا لا يختلف عن الجرجاني بشيء في نظرته للاصوات والألفاظ إذ عدها مبهمة في ذاتها ولا تدل على المعاني الا بعد التركيب . ويقف في صف سوسير فريق اخر منهم (اولمان) في قوله :« قد تؤدي شدة التاثر بالباحث الصوتي على توليد الكلمات او الاصوات الى ما يكاد يكون اعتقادا غامضا في وجود مطابقة خفية بين الصوت والمعنى»[١] . ورأى ابراهيم انيس ان القول بوجود مناسبة طبيعية بين الصوت والمعنى لا يخلو من العنت والمشقة والتعسف[٢] . وذكر الدكتور حسام النعيمي « ان ابن جني كان من العلماء القلائل الذين يذهبون الى وجود مناسبة بين اللفظ والمعنى فقد اشار السعد التفتازاني الى مذهب بعض العلماء في وجود المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى وقال : اتفق الجمهور على ان هذا القول فاسد »[٣] . وما قاله التفتازاني ثم النعيمي غير مقبول ، ذلك ان السيوطي (ت ٩١١ هـ) يصف ما عليه اصحابه بالقول: « واما اهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الالفاظ والمعاني»[٤] . فضلا عن الاشارات والالتماعات التي نجدها لدى المتقدمين ومنهم الخليل وسيبويه والفراء وابن الانباري والفارسي وصولا إلى ابن جني . ويبدو أن نظرية سوسير استحوذت على فكر بعض الباحثين العرب فأشاحوا وجوههم عن تراثهم الزاخر بمظاهر التأييد لطبيعة العلاقة بين الصوت والمعنى .

٣- موقف الشّراح من العلاقة بين الصوت والمعنى

ورد في شروح النهج ما يفصح عن اهتمام الشّراح بالجانب الصوتي من حيث تعريفهم الصوت وذكرهم مخارج الأصوات وحدهم بعضا منها : كالحلق والشجر والفم واللهاة وكذا ذكرهم صفات الأصوات ، وحدّهم تلك الصفات من : جهر وهمس وذلاقة وإطباق ، وفي مقدمة البحراني [٥] لشرحه النهج تعريف واف بالأصوات وتقسيمها وصفاتها ومخارجها ومظاهر فصاحة اللفظة على وفقها .إذ تأثر البحراني بمن سبقه من البلاغيين[٦] ،فجاء بترتيب لمخارج الأصوات سار فيه على ترتيبهم في أغلب المواضع وما أورده البحراني في تقديمه لشرح النهج هو اختصار لما فصله في كتابه المعروف بـ(أصول البلاغة)[٧]. أما موقف الشّراح من العلاقة بين الصوت والمعنى فقد ألمحو في عدة مواضع بأن العلاقة بينهما طبيعية لا سيما في الألفاظ التي تحاكي أصوات الطبيعة . ولم يصرح الشّراح بقصدية تلك العلاقة ولكنه أمر مفهوم من أقوالهم التي تكشف عن عنايتهم بالدلالة الصوتية التي تلمسوها من تعاقب الحركات على فاء الكلمة وعينها أو حذفها أو مدّها ، ومن تعاقب الحروف في فاء الكلمة وعينها ولامها ، أو تكرار الحروف أو تضعيفها . ومن الظواهر التطريزية كالنبر والتنغيم والفصل والوصل .وعلاقة الصوت بالمعنى

(١) دور الكلمة ٨١ .　　(٢) ينظر :الأصوات اللغوية ٦٧ ودلالة الألفاظ ٧٢ .
(٣) الدراسات اللهجية ٢٧٨ .　　(٤) المزهر ٤٧/١ .
(٥) ينظر : البحراني ٤١/١-٤٤ .
(٦) ينظر: سر الفصاحة ٢٩ ونهاية الإيجاز ١٨٨ والمثل السائر ١٨٠/١ ومفتاح العلوم ١٢ .
(٧) ينظر : أصول البلاغة ٣٧ والمدارس الصوتية ١٩٦.

التي ستظهر من خلال أقوال الشّراح مسألة صعبة ؛ لأن العلاقة بين الصوت والمعنى ليست مباشرة بل تتوقف على ذوق الشارح وحسّه ، وقد يتذوق شارح ما إيحاء بالمعنى من لفظ معين ولا يرى شارح آخر أي ظلال بالمعنى في اللفظ نفسه .

وفضلا عما سبق ذكره في الفكر الدلالي للشراح من تفرد البحراني بدرس العلاقة بيم الدوال والمداليل ، يبدو من قوله في هذه المسألة أنه يميل إلى اعتباطية العلاقة بينهما وعدم عقليتها إذ يقول: « ليس الغرض الأول من وضع الألفاظ المفردة إفادتها لمسمياتها المفردة»[١] أي أنه لا يؤمن بوجود علاقة عقلية بين اللفظ والمعنى ولا قيمة لنطق الالفاظ ابتداء لديه . واما وقت ظهور دلالة المفردة لدى البحراني فهو وقت يتأخر عن اطلاق اللفظ لأن الألفاظ يكون « الغرض الاول منها تمكن الانسان من تفهم ما يتركب من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الالفاظ المفردة »[٢] . ويشرح البحراني سبب تاخر زمن دلالة المفردة عن زمن اطلاقها الاول بقوله: « بيان ذلك يستلزم ان افادتها لها موقوفة على العلم بكونها موضوعة لها وهذا يستلزم العلم بها قبل الوضع »[٣] .ومعنى ذلك ان الواضع لو كان يضع اللفظ خصيصا للمعنى او الفكرة لكان ذلك يعني انه يدرك معنى محددا لكل لفظ فهذه هي قصدية اللفظ . وهنا قال البحراني : إن الأفكار« لو توقفت افادتها على الوضع لزم الدور»[٤]. ومعنى ذلك انه لا يوجد زمان تم فيه الوضع ، إذ يحدد البحراني زمن ظهور الدلالة بتركب المفردة مع غيرها بعد اطلاقها على معنى محدد فيقول : « متى علمنا وضع كل واحد من تلك الالفاظ المفردة لكل واحد من تلك المعاني المفردة فاذا توالت الالفاظ المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزمة للعلم بنسبة بعضها الى بعض»[٥] اي ان القيمة الاصلية للمفردة غير موجودة لحظة اطلاق المفردة وانما تظهر من خلال نسبة الالفاظ بعضها الى بعض في الجملة . وبهذا يكون البحراني قد شايع الجرجاني في التمسك بالعلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول .

ويبدو أن البحراني لم يلتزم بهذا الذي أقره نقلا عن الجرجاني إذ يلمس في محتوى شرحه للنهج أمثلة كثيره تفصح عن اهتمامه بالعلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى فذكر كثيرا من أمثلة ابن جني في التفريق بين الألفاظ التي تشابهت حروفها ولم تختلف إلا في واحد نحو : (الخضم والقضم) و(القد والقط) و(النضح والنضخ) وغيرها كثير من الأمثلة التي سيأتي ذكرها[٦].

---

(١) البحراني ٥٠/١ .

(٢) نفسه ٥٠/١ .
(٣) نفسه ٥٠/١ .
(٤) نفسه ٥٠/١ .
(٥) نفسه ٥٠/١ .
(٦) ينظر: نفسه ٣١٣/١ ، ٢٨٢/٣ ، ٣٢٣/٤ .

المبحث الأول

دلالة تعاقب الصوائت في شروح نهج البلاغة .

أدرك القدماء القيمة الرمزية للحركات في ايجاد دلالات متعددة ، ففي الجانب الصرفي تسهم الحركة بتناوبها على فاء الكلمة وعينها في التمييز بين الاسماء والافعال والصفات والمصادر[١]. وفي الجانب النحوي تتعاقب الحركات في اخر الكلم تبعا لاختلاف معاني النحو ، فالضم علامة الفاعلية والفتح دليل المفعولية والكسر يرمز للاضافة[٢] . فضلا عن ذلك ارتبطت الحركات بالمعاني النفسية من صغر الحجم وكبره وقوة المعنى وضعفه اذ اختار العرب الحركة الاقوى للمعنى الاقوى ، والحركة الاضعف للمعنى الاضعف فرتبوا الحركات حسب قوتها من الضم الى الكسر الى الفتح . وهذا ما ذهب اليه المحدثون اذ عدوا الحركات رموزا تشير الى صغر حجم الاشياء او كبرها فضلا عن دلالتها على نوع البيئة اللغوية من بداوة او حضارة[٣]. فالصوائت القصيرة صويتات (فونيمات) يفرق بها بين معاني الألفاظ ذات الصوامت المتشابهة كالفرق بين : اَلبّر والبِرّ والُبّر[٤]. وقد اتخذ اهتمام شراح النهج بالدلالة الصوتية المستمدة من الصوائت عدة اتجاهات يمكن تصنيفها على المطالب الآتية :

المطلب الاول : التعاقب بين الصوائت القصيرة .

عني شراح النهج بقرن الصوائت القصيرة بالمعاني الملائمة لها من دون التصريح بصفات هذه الصوائت الثلاثة ثم ربطوا تلك الصفات بالمعنى العام للفظة ، ويلحظ في هذه المسالة ان الشّرّاح المتاخرين فاقوا المتقدمين بتتبع المعاني الدقيقة للفظة التي تتعاقب الصوائت القصيرة في اولها . وهنا يجب التنويه على انّ كثيرا من الدارسين[٥] بحثوا هذه المسالة تحت عنوان الاستبدال الفونيمي وهو مصطلح هجين صدره عربي وعجزه اعجمي محرّف او معرب بياء النسب ، وصدر المصطلح (استبدال) لا يدلّ على المراد في هذه المسالة ذلك ان الاستبدال يعني طرح شيء وأخذ غيره ، والمطلوب في هذه المسألة رسوخ الأمثلة التي تعاقبت الصوائت في أوائلها لا ترك بعضها تركا نهائّيا كما يفهم من مدلول كلمة (استبدال) .

وقد تلمس الشّراح دلالة التعاقب الصوتي بين الصوائت القصيرة في فاء الكلمة وعينها :

أولا : التعاقب الصوتي في فاء الكلمة .

المح ابن جني الى ان ضم فاء الكلمة يدلّ على المعاني الثقيلة الشديدة الوطاة على النفس وان الكسر اقل وطاة

(١) ينظر : دلالة الالفاظ ٨٦ وفي اللهجات العربية ٨١ وعلم الدلالة (عمر) ٣٥ .

(٢) ينظر: أبحاث في أصوات العربية ٦٥

(٣) ينظر: علم اللغة العام / الأصوات ١٥٨ .

(٤) ينظر: أبحاث في أصوات العربية ٦٥

(٥) ينظر : البحث الدلالي في التبيان ٣٤ والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم ٢٦ .

على الأسماع – ربما لارتباطه بغير العقلاء – من الضم واما الفتح فاخف الجميع ، اذ يوحي بالسعة والخفة والشيوع. يقول ابن جني : « الذّلُّ في الدّابة ضدّ الصُّعوبة والذُّلُّ للإنسان وهو ضد العزّ وكأنَّهمُ اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدّابة لان ما يلحق الإنسان أكبُر قدرا مما يلحق الدابة ، واختاروا الضمة لقوّتها للانسان والكسرة لضعفها للدابة »[١]. وعلى هذه الشاكلة سار الشّراح في ربطهم ضم اول البناء (فُعل) بالدلالة على افعال العقلاء الراسخة لديهم اوالثقيلة عليهم ، وألمحوا إلى ان كسر اول البناء او فتحه اخف دلالة من الضم لانه ينصرف غالبا الى غير العقلاء او يدل على حالة طارئة عليهم . ومن ألفاظ هذا البناء لديهم **(الجهد)** الذي ورد في متن النهج في عدة مواضع مضموم الفاء ومفتوحها فأمّا المواضع التي ورد فيها مفتوح الفاء فكلها في سياق الذم واللعن ، منها ما في قوله (ع) في ذم المغيرة بن الاخنس الذي توعد الامام بالقتل فقال له الامام :(يَابْنَ اللَّعْيِنِ الأَبْتَرِ ، والشَّجَرةالَّتي لا أَصْلَ لَهَا ولا فَرْع ..... اخْرُجْ عنَّا أُبْعَدَ اللهُ واكَ ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ فَلا قُبِّى الله عَلَيْكَ إنْ أَبْقَيْتَ!)[٢] . ومنها -أيضا – ما في خطبة له (ع) تسمّى القاصعة في ذم إبليس ولعنه :(.. فاعْتبِرُوا بِما كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيْسَ إذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيْلَ ، وَجَهْدَهُ الجَهِيْدَ)[٣]. وقد ضبط الشّراح الجهد في هذين الموضعين بالفتح ، وألمحوا إلى أنه في الأصل يعني شقاء البهائم ثم يستعار للعقلاء من فرط حمقهم او بعدهم عن الحق[٤].

واما المواضع التي ورد فيها الجهد بضم الجيم فكلها مواضع مقرونة بالعقلاء المدركين المدّبرين ، إذ ورد فيها الجهد راسخا لاصحابه لا ينفك عنهم لانه طاقتهم وقدرتهم كقوله (ع): (مِنْ واجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلى عِبادِهِ النَّصِيْحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ ، والتَّعاوُنُ عَلى إقامَةِ الحَقِّ بَيْنَهُمْ)[٥] . وقد تفاوتت أقوال الشّراح في تفسير الجهد بالضم، فالراونديّ يقول: « الجُهد الطاقة ، والجَهد المشقة ، يقال: جهد دابته وأجهدها اذا حمل عليها في السير فوق طاقتها »[٦]. اي انه ربط ما ضم اوله بالعقلاء من ذوي القدرة والطاقة وهو معنى ملائم لقوله تعالى :﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ** ﴾[٧]. وقد ردد معظم الشراح[٨] هذه الآية مع قرنهم الضم بطاقة العاقلين والفتح بشقاء البهائم ، او ان تكون المشقة حالة طارئة على العقلاء وليست راسخة دائمة معهم كالطاقة او القدرة التي تدوم معهم ما دامت حياتهم .

(١) المحتسب ١٨/٢ (٢) نهج البلاغة الخطبة ١٣٥ ، ص ٢٤٣.

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦١ .

(٤) ينظر: الراونديّ ٤٥/٢ ،٢٣٦/٢والكيدريّ ٢٣٤/٢والمعتزلّي ٣٠٢/٨ ، ٢٣٨/١٣والبحراني ٢٣٤/٤ والخوئي ٣٢٤/٨ ، ومغنية ٢٨٥/٢ و ٢٨٧/٢ والتستريّ ٣٥٦/١٤ وابو الفضل ٩٥/٢ ،١/ ٣١٣ ، والشيرازي٣٠٧/٢ والموسوي ٢٨٦/٣ ، ٣٩٩/٢ ، ٤٠٠/٢ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٢١٦ ص: ٤٢٠ .

(٦) الراونديّ ٢٣٦/٢ وينظر: المقاييس ٢٢٧ والقاموس المحيط ٢٦٣.

(٧) التوبة٧٩

(٨) ينظر : عبده ٥٢/٢ و الخوئي ٣١٢/٤ ، ومغنية٤٨٧/٤ و التستريّ ٤١٥/١١ ، والموسوي ٣٥٤/١ .

فتردد ذكرها لديهم . وزاد الخوئي[١] في النقل عن الفيومي[٢]الذي عزا تعاقُب الضّم والفتح في (جهد) الى اللغات ، فالضم لغة الحجاز والفتح لغة غيرهم ومن هنا قرئ قوله تعالى :﴿**وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ**﴾ : (جَهدهم) بالفتح[٣] . ومن هنا – ايضا - ضبط البحراني اللفظة بفتح الجيم ، وضبطها المعتزلّي بضم الجيم في قوله (ع): (وتاَلله لو انْماثتْقُ لُوبكُم انْمياثاً ، وسَالَتْ عُيونُكُم مِنْ رَغْبةٍ إليه أُو رَهْبةٍ منه دَماً ، ثُمَّ عُمِّرْتُم في الدُّنيا ، ما الدُّنيا باقيةٌ ما جَزَتْ أعْمالُكُم عَنْكُم .ولَو لَم تَقْدِروا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُم)[٤] . إذ يبدو أنّ المعتزلّي فهم أنّ الامام (ع) أمرهم ببذل ما وسعت الطاقة وما استطاعت القدرة ، وهذا هو معنى (الجُهد) بالضم ، على حين فهم البحراني أنّ المراد هو الدوام على الفعل حتى التعب والمشقّة وهذا هو معنى الجَهد بالفتح[٥] .

ومثل هذا لفظة (الروع) في قوله (ع): (فَوَالله ما كانَ يُلْقَى في رُوْعِي ولا يَخْطُر بِبَالِي أنّ العَرَبَ تُزْعِجُ هذا الأمْرَ مِنْ بَعْدِه (صلى الله عليه وآله) عن أهْلِ بَيْتِه)[٦]. إنْتفاوتَتْ أقوال الشّرّاح في تفسير الروع بالضم ، فهو الخلد عند المعتزلّي[٧]. وهو القلب عند أكثرهم[٨] ، وعند بعضهم هو العقل او الذهن[٩]. واما الروع بالفتح فرواية ذكرها فريق من الشّرّاح وفسروا الروع بالفزع[١٠]. وعلق التستريّ بهذا قائلا :« ولا ربط له هنا»[١١] .

وقرن الروع بالفزع والخوف[١٢] يلائم ايحاء الفتحة في اول اللفظ التي تفيد الدلالة على الحركة وعدم الاستقرار فضلا عن السعة والوضوح والانتشار ، اذ تدل في الغالب على معنى طارئ كما ذكر انفا . واما رواية الضم (الرُّوع) فعلى الرغم من تعدد اقوال الشّرّاح فيها يفهم منها انهم يقرنون الرُّوع بالقلب او العقل وهم يريدون مركز الاحساس لدى الانسان . وكل الالفاظ التي ذكرها الشّرّاح في تفسير الرُّوع تعد من معطيات العقلاء المدركين ، ومما يرجح رواية الضم على رواية الفتح ان المعنى يستدعي الضم لأن الامام (ع) يتكلم عن حسه وادراكه وشعوره وهو امر ثابت لا طارئ ، فضلا عن ان اللفظة (روعي) اقترنت في السياق بلفظة (بالي) وهي لفظة يقرب معناها من القلب والعقل والذهن ، ويبتعد كثيرا عن الفزع والخوف. ومما يرجح دلالة الروع بالضم على مركز الحس لدى الانسان ان نظير(الروع) في باب تعاقب المتماثلات هو (الروح) الذي يدل على مركز الحياة في

---

(١) ينظر الخوئي ٣٢٤/٨

(٢) ينظر المصباح المنير ٨٤.

(٣) ينظر :الكشاف ٢٠٤/٢ والبحر المحيط ٤٦٨/٥ .

(٤) نهج البلاغة : خ ٥٢ ، ص ٩٣ .

(٥) ينظر : المعتزلّي ٣٠٢/٨ والبحراني ٢٣٤/٤ .
(٦) نهج البلاغة : الرسالة ٦٢ ، ص ٥٧٧ .
(٧) ينظر: المعتزلّي١٥٢/١٧
(٨) ينظر : الراونديّ١٢٣/٣ والكيدريّ ٥٦٢/٢ والبحراني ٢٠٢/٥ والخوئي ٣٥٧/٢ والتستريّ ٣٧٤/٤
وابو الفضل ٢٧٧/٢والشيرازي٤ /٢١٦ والموسوي ١٣٣/٥ .
(٩) ينظر : انصاريان ٢٨٨/٣ ، ومغنية ١٤٩/٤.
(١٠) ينظر: المعتزلّي ١٥٢/١٧ والتستريّ ٣٧٤/٤ وعبده ١٣٢/٣ وابوالفضل ٣٧٧/٢ والموسوي ١٣٣/٥.
(١١) التستريّ :٣٧٤/٤
(١٢) ينظر: المقاييس ٤٣٠ والقاموس المحيط ٦٦٧.

الجسد والفرق بين الروح والروع ليس كثيرا اما فتح فاء الّروع فقد صرف المعنى إلى صفة عارضة طارئة ، وكذا (الروح) بفتح الراء معناه الراحة[١] ، وهو صفة عارضة أيضا . وقد خص الشارح محمد عبده الرُّوع بالدلالة على موضع الفزع من القلب بقوله:« الرُّوع بضم الراء القلب ، او موضع الرَّوع منه »[٢]، وهو تفسير يتلاءم مع مراد الامام (ع) في الاخبار عن ذهول باله بعد انتقال الخلافة من بني هاشم الى غيرهم . فإذا كان الرَّوع يعني الفزع ، فالرُّوع يعني موضع الفزع وهو القلب ، ولهذا اختار الامام (ع) هذه اللفظة دون غيرها من مرادفاتها الاخر كالقلب والبال والخلد لانها استعملت للقلب « فيما ألقي فيه من الفزع »[٣] . ولعلّ الضّم مناسب أن يكون الرُّوع دالا على العضو لا الفعل الذي تشير إليه فتحة الرَّوع بما فيها من سعة .

ومن أقوالهم[٤] التي تبرز دلالة الصوائت القصيرة تفسيرهم (الجَنّة) بدار الثواب او الحديقة ، و(الجِنّة) بمجتمع الجن ، و(الجُنّة) بالدرع او الوقاية او ما يستتر به . وهنا تومئ كل حركة الى المعنى الملائم ، فالضمة التي يصحبها ضيق الشفتين تناسب الدرع القوي الذي يقي من يستتر به وهو من لوازم العقلاء المدركين ، والكسر الذي ينسدل معه الحنك الى الاسفل يناسب طائفة من الخلق انمازوا بالتستر والاختفاء فكأنهم من هذا الجانب ذهبت عقولهم لذهابهم من الحواس ، حتى ان الانسان الذي يذهب عقله يسمى بلفظهم فيقال له : مجنون ، وهذه اشارة الى ان الجن مرتبة دون العاقلين المتدبرين ، واما الفتح فيومئ الى السعة والانتشار وعدم الضيق المفهوم في الضم .

ولما فسر الشراح[٥] **الكفّة** في قوله (ع) من وصية لجيش بعثه الى العدو: (وإذا غَشِيَكُم اللَّيْلُ فاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كُفّة)[٦] ، نبهوا على أنها رويت بالضم والكسر ، وفسروا الكِفّة بالمستديرة ، أي اجعلوا رماحكم كالدائرة حولكم ، وكلّ ما استدار فهو (كِفّة)بالكسر ككِفّة الميزان وكفّة الصائد وكفّة اللثة ، وفسّروا الضّم بالاستطالة مع الاستدارة ككُفّة الثوب وكفّة الّرمل ، وكأنهم قرنوا الضّم بالمعنى الأقوى لان ما استطال في استدارة أقوى مما استدار وهو ضيق ، ورجح الشّراح رواية الكسر لأنّ المراد هو أنْ يتَّخِذوا الرِّماح حصنا ودرعا حولهم إذا غشيهم الليل ، والمراد أخذ الحيطة والحذر لأنهم لا يعلمون من أي جهة قد يأتيهم العدو ، أّما إذا وقفوا للقتال فإنّ اللائق بمقام

---

(١) ينظر: الصحاح ٤٣٥ .
(٢) عبده ٢٣١/٣ .

(٣) المفردات ٣٧٢ .

(٤) ينظر: المعتزلّي ٧٧/٢ والبحراني ٣١/٢ وعبده١٥٧/٢ والخوئي ٣٩٥/٣ ومغنية ٤٨٩/١ وابو الفضل٧٥/١ وانصاريان ١٢٩/١ والشيرازي١٤٩/١ والموسوي٣١٤/١.

(٥) ينظر: الراونديّ٣٢/٣ والكيدريّ٣٩٩/٢ والمعتزلّي ٩٥/١٥ والبحراني ٣٧٨/٤ والسرخسي٢٣٢/١ وعبده١٣/٢ والخوئي ٧٥/١٨ ومغنية ٣/ ٤٠٩ والتستريّ٥٠٥/١٣ وابو الفضل١٤٤/٢ والشيرازي٤٤٩/٣ والموسوي١٦٣/٤.

(٦) نهج البلاغة : الرسالة١١ ، ص ٤٧٠ .

الجيش المتاهب ان يجعل الرماح (كُفة) بالضم اي استطالة في دائرة ، لتكون درعا لهم ازاء العدو الظاهر امامهم.

ولما وقف الشراح[١] على قوله (ع) في وصف المؤمن :(الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ .... مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ ، ضَنِينٌ بِخُلَّتِهِ ، سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ ! نَفْسُهُ أُصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ ،وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ)[٢] ، ذكروا ان الخلة رويت بالضم والفتح ، ومعنى الضم الصداقة التي تخللت القلب فصارت خلاله اي في باطنه ، واما الفتح فيعني الحاجة والفاقة ، ولذا فسروا (ضنين بخُلته) بوجهين يفيدان الدلالة على القوة والاستحكام ، الاول : انه لا يتخذ خليلا لنفسه الا من وثق بديانته وامانته وعفته ، والاخر : انه حريص على صداقته فلا يضيع حقها اي ان المودة قد استحكمت لديه فلا يهمل صديقه ، وهذان المعنيان يناسبان ثقل الضمة ، اما الفتح فيعني المرة او الحاجة الواحدة وهو معنى يلائم خفة الفتحة . فلما كان الاختلال عارضا للنفس أما لشهوتها لشيء او لحاجتها اليه ، فسرت الخلّة بالحاجة ودلت الخلة بالضم على المودة ، لانها تتخلل النفس ، اي تتوسطها ، او لانها تخل النفس فتؤثر فيها او لفرط الحاجة اليها ومنه سمي ابراهيم (ع) خليل الله لافتقاره الى الله سبحانه[٣] . فما تخلل النفس من حاجة لشيء فهو خَلة بالفتح ، وما تخلل من محبة فهو خُلة بالضم ، وقد بين بعض الشّراح هاتين الدلالتين ، ووجهوا كلام الإمام (ع) على وفقهما فإذا كانت الخلة فيه بضم الخاء فيحتمل وجهين :« الاول : انه ضنين بخلته لترصده مواضع الخلة ... الثاني ان يكون المراد انه اذا خال احدا اي صادقه ضن ان يضيع خلته او يهمل خليله فالمراد استحكام مودته »[٤]. واما معنى الكلام بفتح الخاء فله وجه واحد في وصف المؤمن وهو انه « اذا عرضت له حاجة ضن بها ان يسال احدا فيها ويظهرها»[٥] اي لا يظهر فقره للناس[٦]. ولما كانت الحاجة مرتبطة بالأمور المادية وهي مما يمكن تحقيقه وان صعب جاءت الخلة بفتح الخاء ، واما الصداقة فتختص بأمر معنوي يكلف النفس مشقة ومكابدة لرغبتها في عدم الاستغناء عن الصديق او الحرص المفرط على المحافظة على صدق العلاقة بين الصديقين ، ولذا جاءت الخلة بالضم محاكية بثقلها هذه الصعوبة .

ولم يشر الشّرّاح الى دلالة الكسر في هذه اللفظة لعدم انسجامها مع مراد الامام (ع) وهي ما يخرج من بين الاسنان عند التخلل[٧] .

---

(١) ينظر: الراونديّ٤٠١/٣ والكيدريّ ٦٩٠/٢ والبحراني ٤٠٧/٥ والسرخسي٣٠٩/١ وعبده٢٢٤/٢ ومغنية ٤١٤/٤

والتستريّ ٣٩٨/١٢ والشيرازي٤٠١/٤ وابو الفضل ٣٨٣/٢ والموسوي ٥/ ٤٥٠ .

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣٣٣ ، ص :٦٦٨.

(٣) ينظر : المفردات ١٩٠ .

(٤) انصاريان٤٧٠/٣ وينظر: البحراني ٣٧٩/٥

(٥) أنصاريان ٤٧٠/٣

(٦) ينظر: مغنية ٤٠٤/٦

(٧) ينظر: المثلث ٥٠١/١ -٥٠٢ .

والتزم الخوئي بهذه الدلالات وهو يفسر(الضلة) في قوله (ع): (ولِكُلِّ ضَلَّةٍ لِمَّةٌ)[١] اذ فسّر (الضَّلَّة) بالحيرة والغيبة بخير وشر ، وفسر الضِّلَّة بأنها ضد الهوى وهنا تخصيص للدلالة عما كان في الضَّلة ، ثم تحدّد الدلالة أكثر بضّم الفاء لتصبح اللفظة دالة على معنى اكثر ضيقا هو الحذق في الدلالة[٢] . وما ذكره الخوئي في الفتح والكسر اكثر فائدة مما ورد في كتب الصرف ، وهو ان الفتح في بناء (فَعْلة)يعني المرّة الواحدة والكسر يعني الهيأة[٣] . وتفسير الضَّلّة بالمرّة الواحدة من الضلال ظاهر في قوله (ع) لكّنه تفسير مجمل لتشعُّب مسالك الضلال ويفصل بتفسير الضَّلة بالحيرة كما فعل الخوئي الذي رجح ضبط اللفظة بالفتح . وربما يكون تفسير الخوئي للضِّلة بالضلال أو ضد الهدى هو الأقرب الى الفهم لأنّ الضلال معنى لايدرك بالحسّ فلا تتصور له هيأة .

ومن ذلك لفظة الدولة مفرد (دُول) في قوله (ع) :(لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خِيفَةً عَلى نَفْسِهِ ، بلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الجُهَّالِ ودُوَلِ الضَّلالِ)[٤] فقد ذكر الشراح[٥] (الدُّولة) بضّم الدالّ وفتحها ونقل بعضهم عن الجوهري[٦] تخصيصه الدَّولة بالفتح في الحرب ليدلّ معناها على غلبة طائفة على أخرى ، وبالضّم في المال بأن تكون مرّة لهذا ومرّة لهذا . وفي قوله تعالى : ﴿**كي لا يكون دُولةً بين الاغنياء منكم**﴾[٧] نقل المفسرون أنّ « الدَّولة والدُّولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما»[٨] ونُسب إلى علماء العربية اختلافهم في مدلول القراءتين فأبو عمرو ابن العلاء يرى ان الفتح في (الدولة) ياتي في الحرب ، والضم فيها ياتي في المال، وأُسند إلى عيسى بن عمر اتفاق المعنى في حالتي الفتح والضم فاللفظة لديه تدل على المال والحرب على حد سواء ، وعُزي إلى يونس أنّه لم يعرفْ الفرق بين الفتح والضم[٩]. وقال الزمخشري :« الدُّولة ما يتداول كالغُرفة اسم لما يُتغَرف ، يعني كي لا يكون الفيء شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء . والدَّولة بالفتح بمعنى التداول أي كي لا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون إمساكه تداولا بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء»[١٠] .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٤٨ ، ص٢٥٩.

(٢) ينظر: الخوئي ١٠٥/٩ .

(٣) ينظر : الكتاب٤٤/٤-٤٥ والمقتضب ٣٧٢/٣ وشرح الكافية ١٨٠/١ -١٨١والتطبيق الصرفي ٧٣-٧٤.

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٤ ، ص ٣٥ .

(٥) ينظر : الشيرازي ٨٠/١ والخوئي ١٣٠/٣ والراونديّ ١٤١/١ والموسوي ١٢٣/١ .

(٦) ينظر : الصحاح٣٢٦.

(٧) الحشر٧

(٨) الكشاف ٨٢/٤ وينظر : البحر المحيط ٤٢٩/٥

(٩) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٩/١٨ ومجمع البيان ٤٢٩/٩

(١٠) الكشاف ٨٢/٤

ثانيا : التعاقب الصوتي في عين الكلمة .

لم يكتف الشّرّاح بتلمس الدلالة الصوتية من الحركات المتعاقبة على فاء الكلمة بل جاوزوا ذلك ليفرّقوا بين الألفاظ التي تعاقبت الصوائت القصيرة على عينها لا سيما الافعال ، من ذلك أنّهم لما وقفوا على قوله (ع) في التوحيد :(وَقَدْ عَلِمَ السَّرائِرَ وَخَبَرَ الضَّمائِرَ، لَهُ الإِحاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ)[١] ميّزوا بين ضم عين (خبر) وفتحها وكسرها ، اذ قال الراونديّ :« خَبِر الضمائر بفتح الباء اي امتحن ، وروي خبِر بالكسر اي علِم»[٢] ووافقه المعتزلّي فقال : « خَبر الضمائر بفتح الباء امتحنها وابتلاها ومن رواه بكسر الباء اراد علِم »[٣] وعلى هذا الخوئي[٤] الذي زاد رواية ثالثة هي(خُبر) كـ(كُرم) ، فكأنّ الخبرة صارت له سجية وطبعا . واكتفى فريق من الشراح[٥] بذكر رواية الفتح وحدها وهي التي فسرت بالامتحان والابتلاء على حين اكتفى الشيرازي[٦] برواية الكسر وحدها وفسرها باطّلع وعلم وهو تفسير مردود لان السياق سبق الى ذكر (علم السرائر) ولو أراد العلم لكرر الفعل نفسه مع الضمائر ، لان العلم أعلى مرتبة من المعرفة والخبرة ، ذلك ان العلم يشمل المعنوي والمادي واما المعرفة فتشمل المعنويات غالبا ، والخبرة تكثر في المحسوسات[٧] ، ولكن مقصد الامام ان الله كاشف السرائر مطّلع عليها، عالم بها، وانه يمتحن الناس ويخُبرهم ويمحصهم ليميّز الخبيث من الطيب لا من عدم معرفته بذلك ولكن لإثبات الحجة على الخلق . ومن هنا يكون الملائم للسياق (خَبر) بالفتح وهو الامتحان والابتلاء لان غاية الابتلاء هو الوضوح والبيان والجلاء ، اي جلاء الخبيث من الطيب ، ووضوح الحق من الباطل . وأمّا خبر بمعنى علِم فان العلم بالشيء يستدعي النفاذ الى جوهره واستكناه باطنه وظاهره ، فلاءمت الكسرة هذه المعاني لثقلها مقارنة بالفتحة ، واما (خُبر) بالضم فهو ان تكون الخِبرة سجّية لصاحبها ملازمة له لا تنفكّ عنه وحينئذ يسمى صاحب الخبرة بالخبير في ذلك الشيء وهنا لاءمت الضمة هذه الدلالة لأنّها الأثقل . والباري –عز وجل – خبير بكل شيء ولذا لا معنى لضم عين الفعل في هذا المقام لان (خبر) واقع على الضمائر هنا فقط لا على جميع الموجودات. تعالى اللطيف الخبير عمّا يقول الجاهلون علّوا كبيرا . اي ان الانسب هو رواية الفتح التي تعني الابتلاء والامتحان ، لان كسر عين الفعل وضمه يفضي إلى ان العلم الالهي محدد بمعنى ضيق هو السرائر والضمائر وهذا غير موجه .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٨٦ ، ص١٣٨ .

(٢) الراونديّ ٣٥٧/١ وينظر: الكيدريّ ٤١٣/١ والموسوي ١٠/٢.

(٣) المعتزلّي ٣٥٠/٦ .

(٤) ينظر: الخوئي ١٢٥/٦.

(٥) ينظر: التستريّ ٤١٧/١ وابو الفضل ١٦٩/١ .

(٦) ينظر: الشيرازي ٥/٢ .

(٧) ينظر : مختصر العين ٣٦٤/١ والمقاييس ٣٣٩ - ٣٤٠ والقاموس المحيط ٣٥٧.

ومن أمثلة تعاقب الحركات على عين الفعل أنّ الشّرّاح لما وقفوا على قوله في صفة من يتصدى للحكم بين الامة وليس لذلك بأهل : (لا يَحْسَبُ العِلْم فِي شَيْءٍ مِمّا أُنكِرُه)[١] وقد ألمح الشّرّاح الى ان عين الفعل (يحسب) مثلثة أما فتحها وكسرها فكلاهما بمعنى الظن ، والمعنى ان هذا يظن ان العلم شيء منكر . وأما الضم فمعناه العد والحساب ، والمعنى العام ان هذا يرى ان العلم شيء معدود ، فيعده مع المنكرات . وقد ذكر معظم الشّرّاح هذين المعنيين تبعا للغويين[٢] ، لكنهم اختلفوا في ترجيح احدهما على الاخر وصحح كل منهم ضبط اللفظة في المتن على وفق ما رجحه من معنى لها ، فاما (يحسَِب) بمعنى ظن فقد رجحه الراونديّ والكيدريّ[٣] واما (يحسُب) بمعنى عد واحصى فقد رجحه البحراني [٤] واورد الآخرون الوجهين دون ترجيح[٥] .

ويفهم من هذا ان الشّرّاح مجمعون على تفسير فتح السين وكسرها بالظن والحسبان وتفسير الضم بالعدد والحساب ، ولما كان الظن امرا خفيا ناسبت الفتحة والكسرة الدلالة عليه في حين ان الحساب ظاهر مدرك يقع على الجمادات كالنقود ويقع على الناس في المحاكم الدنيوية ، كمحاسبة المخطئين وقد يبلغ اعلى مراتب الثقل والهول في يوم الحساب ، وهذه معان ثقيلة تلائم الضمة الدلالة عليها ، لكن الشّرّاح لم يفصلوا القول في تعدد اوجه هذا الفعل في ابواب الفعل الثلاثي ، وتفصيل ذلك ان الفعل الماضي منه يروى بالفتح والكسر والضم ويروى المضارع بالثلاث ايضا ، فاما مكسور العين في الماضي فيأتي مضارعه مفتوح العين ومكسورها ، وقد فسر الشّرّاح تبعا لاهل اللغة (حسِب يحسَب) و(حسِب يحسِب) بالظن ، وهو كذلك في باب الافعال التي تنصب مفعولين في النحو العربي[٦] ، لكن ايحاء الفتحة في المضارع يومئ بالظن الخفيف ، وكسرها يومئ بالظن القوي القريب من اليقين ، ولذا جاء في القرآن بفتح العين غالبا. واما ما فتحت عينه في الماضي فان مضارعه يحتمل الضم لاغيره ، وهو العد ، وهو خاص بالمال وحده ، واذا اريد القائم بالمحاسبة والرقيب على الحساب فكأن هذا المعنى صار سجية وطبعا لصاحبه ، وهو المعنى الذي يفهم من ضم السين في الماضي والمضارع .

ومنه ايضا ان الشّرّاح لما وقفوا على قوله (ع) من كتاب له الى أهل الكوفة يخبرهم عن مقتل عثمان (رض) : (إنّ الناسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ فكُنْتُ رَجُلا من المُهاجِرِيْنَ ....)[٧] أشاروا الى أنّ الطعن قد يقع باللسان والسنان ، فأمّا طعن اللسان فمضارعه بالضّم يقال : طَعَن يطُعُن ، واما طعن الرمح فمضارعه بالفتح يقال: طَعَن يطعَن[٨] وكلام الامام

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٧ ، ص ٤٧.

(٢) ينظر: العين ١٥٠/٣ والزاهر ٨٢/٢ والتهذيب ٣٣٣/٤ والمقاييس ٢٦٣ والمحكم ١٥١/٣ .

(٣) ينظر: الراونديّ ١٧٨/١ والكيدريّ ٢٠٨/١ . (٤) ينظر: البحراني ١١٤/١

(٥) ينظر: المعتزلّي ٢٨٤/١ والخوئي ١٠٨/١ وعبده ٥٧/١ وأنصاريان ٩٨/١ والشيرازي ١٠٨/١ .

(٦) ينظر : شرح عمدة الحافظ ٢٤٤. (٧) نهج البلاغة : الكتاب ١ ، ص ٤٥٩.

(٨) ينظر : الراونديّ ١٢/٣ والبحراني ٣٣٩/٤ والخوئي ١٩٦/١٦ والشيرازي٤٢٥/٣ والموسوي١٢٠/٤.

يحتمل طعن اللسان ، لانه يفسر نقمتهم على الخليفة وهو حّي لم يُصبْ برمح بعد ، وانّما قرن الشّراح الفتحة بالدلالة على الطعن بالرمح ، والضمة بالدلالة على طعن اللسان لأن من حكمة العرب في حياتهم أن وقع اللسان أشد من ضرب السيف ، ذلك أنّ من عيب عليه فعله ونقم الناس عمله كان كالميت ،لانه لا قدر له بينهم ، اما طعن الرمح فانه من لوازم النصر والشهادة واليه تشرئبّ اعناق المؤمنين ، لانه طريقهم الى الجنة ، فكأنّ وقع الرمح على الجسد خفيفا من هذا الجانب لان المطعون دفاعا عن العرض والدين يهون عليه ذلك ويلقاه بقلب ثابت فضلا عن ان الضمة غلبت دلالتها على المعاني النفسية المعنوية كطعن اللسان ، واما الفتح فغلب في المعاني الظاهرة المحسوسة والاصل في الطعن ان يكون محسوسا ، أي بالرمح ، ثم استعير للمعنويات كالوقيعة[١] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَطْغًا فِي الدِّينِ** ﴾[٢] و﴿ **وَطَغُوا فِي دِينِكُم** ﴾[٣] .

وفي هذه المسألة يخلص البحث الى ان اعادة درس ألفاظ المثلث اللغوي المختلف المعاني صوتيا أمر لا يخلو من الجدة والريادة ، ذلك ان التفريق بين رموز الصوائت القصيرة ليس مبالغة ولا غلوا كما زعم بعضهم[٤] ، بل ان اضفاء شيء من الدلالة على كل حركة ما هو الا دليل على فضل العربية التي انمازت من غيرها بان تنبثق من الفاظها معان متعددة بتغييرات صوتية يسيرة في تلك الالفاظ ، واما ما اقره القدماء في باب (المثلث المتفق المعاني) فأمر ينبغي الوقوف عليه مجددا بالتأّمل والبحث العميق والاستقراء الشامل ، فربما اختلفت المعاني باختلاف الحركات في جملة من تلك الامثلة التي حشروها في هذا الباب . واما حملهم تلك الامثلة على اللغات واللهجات فأمر مقبول ولا نعدم امثلته في لغتنا المعاصرة التي تعد الصوائت القصيرة فيها علائم وامارات على اللهجات المتعددة في البلد الواحد احيانا كما في العراق اذ يميل اهل الجنوب نحو الكسر على حين يميل البغداديون الى الضم ويكفي أن تستمع إلى كلمة واحدة يقولها عراقّي لتعرف بيئته من طريقة نطقه الصوائت القصيرة فيها .

---

(١) ينظر: المفردات ٥٢٠

(٢) النساء ٤٦

(٣) التوبة ١٢ وينظر: المقاييس ٦١٩ والقاموس المحيط ١١١٨ .

(٤) ينظر: علم اللغة العام / الأصوات ١٤٩ -١٥٠ والدراسات اللهجية ٢٨٧ .

المطلب الثاني : ذكر الصائت وحذفه .

ثمة مظهر اخر من مظاهر اختلاف المعنى بين الالفاظ بسبب ذكر الصائت او حذفه في الموضع الواحد من الكلمة نفسها وهو مظهر مقصور على عين الكلمة ، فقد تأتي كلمة ما محرّكة العين بإحدى الحركات الثلاث ، وتأتي أخرى ساكنة العين فيختلف المعنى قليلا بين ذكر الصائت القصير وحذفه. وقد عد الدكتور فاضل السامرائي حذف الصائت وذكره في اللفظة نفسها وسيلة من وسائل توليد معاني المفردات إذ « تولد الحركات والسكون في بنية الكلمة معنى جديدا في الاغلب ، فقد يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى بحسب اختلاف الحركات في بنيتها وذلك نحو ... الحَوْر بسكون الواو وهو الرجوع والحَور بفتحها من صفات العين وغير ذلك»[١] ، وقد نبه الشّرّاح الى اختلاف الدلالة بين ما حركت عينه وما سكنت بعد ان وجدوا في متن النهج تعدد روايات الكلمة الواحدة بين تحريك عينها واسكانها من ذلك :

١ - الوهَم - الوهْم

وقف الشّرّاح على قوله (ع) في احاديث البدع :(إنّ فِي أُيدِيْ النَّاسِ حَقاً وَباطِلاً ، وصِدْقاً وكَذِبا ، وَناسِخًا وَمَنْسُوخًا ، وَعامًّا وخَاصًّا ، ومُحْكَمًا ومُتَشَابِهاً ، وحِفْظًا وَوَهْمًا...)[٢] . فذكروا أنّ (الوهم) روي بفتح العين وإسكانها ، وفسر أكثرهم نقلا عن اللغويين[٣] الوهْم بانه مصدر وَهَم بالفتح إذا ذهب وهمه إلى شيء وهو يريد غيره[٤] ، وضبط الشيرازي[٥] اللفظة في هذا الموضع بسكون العين ومعناه : ما لم يُتَعَمّدْ كَذِبه ولكنْ تُوُهِّم خِلافُ ما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله) . ورأى الخوئي أن الوهم من خطرات القلب ، وهو الامر المرجوح بين الامرين المتردد فيهما[٦] . والوهم عند الراونديّ والكيدريّ[٧] هو ان تظن ظنا مظنونه على خلاف ما ظننته ، وهو في المنطق مقابل الظن عند الموسوي[٨] . وأمّا الوهم بالفتح فمصدر وهم بالكسر اذا غلط واخطا[٩] وهو عند الخوئي يقع في الحساب لانه اساس الغلط[١٠] . والمح بعض الشّرّاح الى ان الوهْم والوَهم معناهما متقارب[١١] . وهذا التقارب الذي ألمح اليه الشّرّاح لم يقصدوا فيه ان المعنى متشابه تماما بين اللفظين ولكن بينهما ادنى فارق دلالي افاده ذكر الفتحة في موضع وحذفها في موضع اخر ، ذلك ان ساكن العين خطأ غير متعمد ، وهو أمر مرجوح ازاء امر آخر راجح

---

(١) توليد المعاني في العربية ص ٤١ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢١٠ ، ص ٤٠٩ .

(٣) ينظر : المقاييس ١١٠٧ والقاموس المحيط ١٠٧٦ .

(٤) ينظر : انصاريان ٤٠٥/٢ والبحراني ٢١/٤ والمعتزلّي٤٠/١١ وعبده٤٥٠/١ ومغنية ١٩٣/٢.

(٥) ينظر: الشيرازي٣/٣٠٧ .　　(٦) ينظر: الخوئي ٢٦/١٤ .
(٧) ينظر: الراونديّ٢/٣٣٥ والكيدريّ٢/١٩٣.　　(٨) ينظر : الموسوي٣/٤٦٤ .
(٩) ينظر: البحراني ٢١/٤ والمعتزلّي ٤٠/١١ وانصاريان ٤٠٥/٢ والموسوي٣/٤٦٤ .
(١٠) ينظر: الخوئي ٢٦/١٤ .　　(١١) ينظر: المعتزلّي ٤٠/١١ وانصاريان ٤٠٥/٢ .

وهو بمنزلة الظن والشك ولا يرقى الى الغلط الظاهر والخطا البين ، وهو المعنى المستحصل من ظهور الحركة في الوَهم لان الفتحة اثقل من السكون فناسب ذكر الصائت او حذفه معنى اللفظ الذي اضطم عليه .

٢ - الأفَن - الأفْن

من امثلة ذكر الصائت وحذفه الدالة على اختلاف المعنى بين اللفظتين أنه (ع) قال يوصي الحسن (ع) : (وإيّاكَ ومُشَاوَرةَ النِّساءِ فإنَّ رأْيهنَّ إلَى أَفَنٍ وعَزْمهنّ إلى وَهْنٍ)[١].وقد روى الشّراح (افن) بفتح الفاء وسكونها ، فاما الفتح فيكاد يجمع الشّراح على انه الضعف ، اي ان رأيهن الى ضعف .وكذا اجمعوا على تفسير (الافْن) بانه النقص اي نقص الرأي[٢].

وضعف الرأي اهون من نقصانه لان النقصان يعني خسران العقل، واما ضعف الرأي فأمر يقع للجميع رجالا ونساء الا الذين منّ الله عليهم بالعصمة ، وهنا ناسب ذكر الصائت القصير (الفتحة) في الأفَن الدلالة على أقوى المعنيين وأليق اللفظين بمقام النساء ، وأما سكون الفاء فمناسب لمعنى النقص ، ذلك أنّ نقصان الحركة وحذفها يومئ الى معنى النقصان والخسارة في (الأفْن) والمعنى يرجح التحريك لكن السياق يرجح التسكين ليستوي السجع بين (الأفْن والَوهْن) بسكون العين . ويمكن الاستدلال بمقابلة الأَفَن بالْوهن على ان اللفظين يدلان على الضعف وفتور الهمة لا المنقصة والخسارة ، فضعف العزيمة هو الَوهْن وضعف الرأي هو الأَفَن[٣] ، ومع هذا التقابل الدلالي لا ينظر الى تحسين السجع بين اللفظين اذ يجوز الاكتفاء بصوت النون لتحقيقه ولا يعتد بحركة الفاء .

٣ - السَّبَقة - السَّبْقة – السُّبْقة .

أورد الشراح[٤] قوله (ع) في وعظ الناس وتذكيرهم بالآخرة : (ألا وإنّ اليوَم المِضْمَار وغدًا السِّباقَ ، والسَّبقةُ الجَنَّةُ والغَايَةُ النَّارُ)[٥] ونقلوا عن الرضيّ تفسيره السَّبقَة والغاية بان كليهما يعني الانتهاء الى المكان ولكن الامام خص السبقة بالانتهاء الى الجنة لان السابق لا يكون الا الى مقام محمود ، واما النار فمكان مذموم استعمل معها الغاية لان الغاية قد ينتهي اليها من لا يسرّه الانتهاء اليها . ثم ذكر الشّراح ان السَّبَقة رويت بفتح الباء وسكونها، وفسروا اللفظة مع فتح الباء بأنها تعني الغاية التي يجب على السابق ان يبلغها او المكان الذي ينافح المتسابق الى بلوغه والانتهاء اليه ، ومن هنا استعمل مع الجنة ، واما اللفظ بسكون العين فيعني المرّة من التسابق وقد ناسب

---

(١) نهج البلاغة : الرسالة ٣١ ، ص ٥١٣ .
(٢) ينظر: البيهقّي٣٧٧ والراونديّ٣/١١٥ والكيدريّ٢/٤٦٩ والمعتزلّي ١٢٢/١٦والبحراني ٥٩/٥ والسرخسي ٢٥١/١

وعبده ٥٨/٢ والخوئي ٣٦/٢٠ ومغنية٥٢٩/٣ والتستريّ٤٥٨/٨ وابو الفضل٢٠١/٢ والموسوي ٤٠٧/٤ والشيرازي٨١/٤ .

(٣) ينظر: المقاييس ٨١ والقاموس المحيط ١٠٨٣.

(٤) ينظر: البيهقّي١١٨ والكيدريّ ٢٤٢/١والمعتزلّي٩٢/٢ والبحراني ٤٠/٢-٤١ وعبده٧٩/١ والخوئي ٣/٤ ومغنية١٩٥/١ والتستريّ١٥٨/١ والسامرائي١٩٩ والموسوي٢٣٤/١ والشيرازي١٥٨/١. (٥) نهج البلاغة : الخطبة ٢٨ ، ص ٦٤ .

توالي الفتحات في السَّبِقَة دلالتها على المكان المحمود الذي يسعى المؤمنون الى الانتهاء اليه بعملهم الصالح الدؤوب في دنياهم ، فكأنّ توالي الفتحات يدل على دوام المؤمن على العبادة والاستمرار بالعمل الصالح ومجاهدة النفس كي ينال الجنة ، واما حذف الفتحة من عين الفعل فيوحي الى ان الفعل العبادي لم يداوم عليه ولم يجاهد فيه وانما يأتي مرة تلو المرة متقطعا ، وهذا المعنى لا يرقى الى قرنه بالجنة واسناده اليها في قوله (ع) المذكور آنفا ، ومن هنا رجح الشّراح اللفظ بفتح الباء تبعا لما رجحه الرضيّ . ثم روى فريق منهم[١] تبعا للرضي ايضا (السُّبْقة) بضم فسكون لأن المعنى لديهم اسم لما يجعل للسابق اذا سبق من مال او عرض اي الجائزة التي يظفر بها السابق ، وهذا المعنى على الرغم من احتماله لا يخلو من التشخيص والتحديد وضيق الدلالة المفهوم من الضمة ذلك ان تشبيه الجنة الواسعة بالجعل الذي يناله المتسابقون بعيد وهو من نوع التشبيه المقلوب والاولى منه ان تكون الجنة سَبَقة بالتحريك الى المكان الرفيع والمقام المحدود الذي يسعى المؤمنون الى الظفر به .

٤ - العَتْب - العَتَب

جاء في خطبة للإمام (ع) اشتملت على الاسباب المهلكة للناس قوله : (... وفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ!)[٢] وقد ضبط الشّراح العتب بسكون التاء ، وفسره اكثرهم بالعتاب ، والمعنى في دون ما استقبلتم من عتابي لكم[٣] . وفسره الخوئي والموسوي بالموجدة اي غضب الزمان عليهم وقرناه بالعتب محرك التاء لا ساكنها[٤]. ورووا العتب بفتح التاء ايضا ومعناه لدى اكثرهم جمع عتبة وهو الامر الكريه الشديد[٥]. وجوز فريق منهم ان يكون المعنى هو المشقة التي لقوها في مستقبل ايامهم من ولاة السوء وتنكر الزمان عليهم واذلالهم بالقتل والنفي[٦] وهذا قريب من الأمر الكريه . وتسكين العين في العتب يلائم ما اثبته معظم الشّراح له من معنى وهو العتاب او اللوم وفيه شدة ومشقة على المعاتبين أهون من تلك التي ذكرها الشّراح للعتب بالتحريك إذ هو الأمرالكريه من مشقّة النفي والقتل وغضب الزمان وغير ذلك[٧]. فناسب كل لفظ بحركاته وسكناته المعنى الذي دلّ عليه .

٥ - نُومة - نُوْمة

وقف الشّراح على قوله (ع) في وصف أهل آخر الزمان والفتن التي تحيط بهم :(ذلكَ زمانٌ لا يَنْجُو فيهِ الا كُلُّ

---

(١) ينظر : المعتزلّي ٩٢/٢ والبحراني ٤٠/٢-٤١ والخوئي ٣/٤ . (٢) نهج البلاغة : الخطبة ٨٨ ، ص ١٤٤ .

(٣) ينظر: المعتزلي٣٨٥/٦ والبحراني ٣٠٦/٢ وعبده١٦٩/١ ومغنية٤٤٤/١ والتستريّ ٥٣٩/٢ والسامرائي٢٠٢ وانصاريان٢٤٤/١ والشيرازي٢٥/٢ الفضل ١/ ١٧٨

(٤) ينظر: الخوئي ٢٤١/٢ والموسوي ٣٨/٢

(٥) ينظر: المعتزلّي٦/٣٨٥ والبحراني ٣٦/٢ والخوئي ٢١٤/٦ وعبده١٦٩/١ ومغنية ١٤٤/١ والموسوي ٣٨/٢ والسامرائي٢٠٣

(٦) ينظر: انصاريان٢٤٤/١ والشيرازي ٢٥/٢ وابوالفضل ١٧٨/١

(٧) ينظر: المقاييس ٧٣٦ والقاموس المحيط ١١٦ .

مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ)[١] وقد ضبط الشّراح (نومة) بضم النون وفتح الواو ثم رووا تسكين الواو ايضا ، فاما النُّومة بفتح الواو فهو بمعنى الكثير النوم وهو البعيد عن مشاركة الاشرار كالانسان النائم الذي لا يشارك الناس اعمالهم او الخامل الذكر الذي لا يؤبه به . وأما النُّومة بسكون الواو فهو الضعيف[٢] . وتفسير الشّراح للنومة بانه الكثير النوم ملائم لفتح العين ومن ثم توالي الحركات في البناء (فُعلَة) الذي يدل على الكثرة والمبالغة بهذا الشكل كالهَمُزة للكثير الهَمْزِ واللَمُزة للكثيرِ اللّمز[٣] ، ويبدو أنّ كثرة النوم كناية عن الخمول والبعد عن الشر السائد في ذلك الزمان لأن الانسان إذا نام يَخْمل ويُخْمَل عنه[٤] . واما تسكين العين في (نومة) فإنّ نقص الصائت أفاد معنى أكثر دلالة على الخمول وعدم الذكر وهو الضعف أو الوهن وهذا المعنى انما ضعفه الشّراح لأن الضعف عيب لا يليق بالمؤمن ، والاولى منه رواية تحريك العين التي تدلّ ضمنا على النشاط الخفي عن انظار الناس . ويبدو ان المراد من النوم الكثير ليس الهجوع في الفراش وإنّما اعتزال الاشرار والبعد عن الفتن ، وهنا يكون هذا الانسان كالنائم في انظارهم وما هو كذلك.

٦- اليَبْس – اليَبَس

وقف الشّراح على قوله (ع) في وصف بدء الخلق :(وكانَ من اقتدارِ جَبروتِه وبديعِ لطائفِ صنعتِه أنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ البَحْرِ الزَّاخِرِ المُتَرَاكِمِ المُتقَاصِفِ يَبَسًا جَامِدًا ...)[٥] فذكر فريق منهم ان (اليَبس) يروى بفتح الباء وسكونها والمعنى مختلف بين الروايتين ، إذ نقل المعتزلّي عن ائمة اللغة ولم يسمهم ان اليبس بالتحريك المكان يكون رطبا ثم ييبس ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا** ﴾[٦] واليْبس بسكون الباء هو اليابس خلقة كالحَطَب[٧] ، وشايع بعض الشّراح المعتزليَّ في قوله هذا[٨] وتنصل اخرون عن ذكر الفرق الدلالي بين ما حركت عينه وما سكنت[٩] ولم يرض المعتزلّي من ائمة اللغة تفسيرهم (اليْبس) بالحطب لأنّه ليس يابسا خلقة بل كان رطبا ثم يبس ، ورأى المعتزلّي ان هذه اللفظة لا تكون الا في المكان خاصة فتحريك العين للمكان الذي كان رطبا ثم يبس وتسكين العين للمكان اليابس خلقة[١٠] .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٣ ، ص ١٨٧ .

(٢) ينظر: الراونديّ ٤٤٨/١ والكيدريّ٥٠٥/١ والمعتزلّي١١٠/٧والبحراني ٣ وعبده٢١٤/١ والخوئي ١٨٩/٧ ومغنية١٠١/٢ والتستريّ٢٠٠/١ والموسوي١٧٧/٢ والشيرازي ٢٠/٢ ،١٤١ .

(٣) ينظر: التفسير البياني ١٦٩/٢.

(٤) ينظر: المقاييس ١٠٠٥ والقاموس المحيط ١٠٧٣.

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٢١١ ص ٤١١ .

(٦) طه ٧٧ .

(٧) ينظر : المعتزلّي ٥٢/١١

(٨) ينظر : الخوئي ٦٦/١٤والموسوي ٤٧٢/٣.

(٩) ينظر : الشيرازي ٣١٤/٣ وعبده٤٥٢/١ والفضل١٤/٢ ومغنية ٢٤٩/٣.

(١٠) ينظر : المعتزلّي٥٢/١١

وانكر التستريّ على المعتزلّي قوله : إنّ اليبس محركا وساكنا مختص بالمكان ، ونقل عن العرب استعمالهم اللفظ في الدلالة على المرأة والشاة[١]. ثم انكر عليه قوله : إنّ ائمة اللغة جعلوا اليبس محركا للمكان اليابس بعد رطوبة وان اليبس ساكن العين لليابس خلقة فذكر أنّ هذا قول الجوهري[٢] وحده لا ائمة اللغة جميعهم ،وقد عكس الفيروزابادي[٣] الامر فجعل المحرك لليابس خلقة ، والساكن لليابس بعد رطوبة ، وأيد التستريّ الفيروزابادي فقلب الامر وفسر وصف طريق موسى باليبس (محركا) قائلا :« واما طريق موسى في اليم فانه لم يعهد قط طريقا لا رطبا ولا يابسا ، انما اظهره الله لهم حينئذ مخلوقا على ذلك»[٤] ويختم التستريّ ردوده على المعتزلّي بقوله: « ان مناقشته بعدم كون الحطب يابسا خلقة في غير محله ، قال علقمة[٥]

تُخَشْخِشُ أَبْدَانُ الحديدِ عَليهِ كَما خَشْخَشَتْ يَبْسَ الحصادِ جَنُوبُ »[٦]

فاستعمل الشاعر اليَبْس للزرع المحصود وقد كان رطبا ثم يبس فهذا كقولهم :اليبس للحطب . وما صححه التستريّ من أنّ اللفظ المحرّك للشيء اليابس خلقة واللفظ الساكن للشيء اليابس بعد رطوبة بعيد عن الصواب ذلك انه اعتمد على قول الفيروزابادي وحده وخالف ائمة اللغة جميعا[٧] فضلا عن ذلك إنّ توالي الحركات في (اَلَيَبس) يومئ إلى تحّول الشيء من حال الى اخر وعدم استقراره على حال معينة ، واما سكون العين فيومئ إلى الثبات وعدم التحول ويمكن التفريق بين اللفظين من جانب اخر ذلك ان الشيء لا ينعت باليبس الا بعد تحوله من الرطوبة او البلل سواء كان محرك العين ام ساكنا ، وربما يكون قول الراغب في التفريق بين اللفظين هو الاصوب ، قال : « اَلْيَبس يابس النبات ، وهو ما كان فيه رطوبة فذهبت ، واَلَيَبس المكان يكون فيه ماء فيذهب »[٨] . وهنا تدل الفتحة على سعة المكان ووفرة الماء في (اَلَيَبس) ومنه طريق موسى (ع) في البحر ، واما السكون فيوحي بالانحسار كما في رطوبة النبات التي لا ُيشعر بها حين يباسها وجفافها . ومن هنا جّوز المعتزلّي أن يكون الحطب يابسا خلقة لأن اصله غير اليابس لا ُيؤبه بوجود الماء فيه لانه غير ظاهر .

---

(١) ينظر : التستريّ ٥١٠/١

(٢) ينظر : الصحاح ١١٦٧.

(٣) ينظر : القاموس المحيط ٥٣٩

(٤) التستريّ ٥١٠/١ .

(٥) ديوانه علقمة٧٤

(٦) التستريّ ٥١٠/١-٥١١

(٧) ينظر: المقاييس ١١٠٩ والصحاح ١١٦٧ والمفردات ٨٨٩ والقاموس المحيط ٥٣٩ .

المطلب الثالث : مدّ الصائت وتقصيره .

ان دراسة كمية الصوت ومدة انجازه نطقيا عبر قياس مدة نطقه زمنيا بوساطة اجهزة مخبرّية يعد من الموضوعات المهمة في الدرس اللساني الحديث ، وهو أمر لم يغفله علماؤنا القدماء لاسيما علماء التجويد والقراءات القرانية ، اذ نبهوا على أمرين متعلقين بمدة نطق الصوائت هما :

١- تطويل زمن نطق الصائت وهو المد .

٢- تقصير زمن نطق الصائت وهو الاختلاس والتقصير[١] .

والمدّ حكم نطقي يقاس من خلاله زمن اداء الصوائت الطويلة التي سميت لدى القدماء باصوات المد . وأّما الصوائت القصيرة فهي لدى القدماء أبعاض حروف المدّ ، إذ تنّبهوا على أن الفرقّ بين الفتحة والالف لا يعدو ان يكون فرقا في الكمية وكذلك الفرق بين ياء المد والكسرة وواو المد والضمة[٢] . إذ عقد ابن جني في خصائصه بابا سماه **إنابة الحركة عن الحرف والحرف عن الحركة**[٣] ذكر فيه طائفة من الأمثلة القرآنية والشعرية التي نابت فيها الحركات عن الحروف أو الحروف عن الحركات لكنه لم يوجه ذلك دلاليا على وفق ما عُرف عنه .

وقد عني المحدثون في دراساتهم بمعرفة طول الصوت اللغوي وهو الزمن الذي يستغرقه النطق بهذا الصوت مقدرا بجزء من الثانية ، وأوضح ما يكون طول الصوت اللغوي في الاصوات الصوائت بنوعيها القصير وهي الفتحة والضمة والكسرة ، والطويل وهي الالف والواو والياء، فالصوائت الطويلة هي مدود للصوائت القصيرة والصوائت القصيرة هي تقصير او اختلاس للصوائت الطويلة[٤] ويمكن أخذ مسألة قصر الصوت وطوله في الحسبان لأهميتها في المعاني أحيانا لاسيما مد الصائت القصير ليؤول الى صائت طويل فيتغير البناء تبعا لذلك المد ثم تتغير الدلالة كما في (فَعِل) الذي يؤول الى (فعيل) في حال مد الكسرة ، والى (فاعل) في حال مد الفتحة.

وقد صرح معظم الشّراح باسم هذه الظاهرة وهو **المد** ، لكنهم غالبا ما قصروه على الهمزة التي تقلب ألفا اذا اجتمعت همزتان في الطرف في باب (فعل وافعل) والمعنى واحد نحو (أوى وآوى) كقول المعتزلّي:« آوتهم الحال بالمد ضمتهم وانزلتهم قال تعالى : ﴿ **آوى إِلَيْهِ أَخَاهُ** ﴾[٥] أي ضمّه إليه وأنزله ، ويجوز أوتهم بغير مد افعلت في هذا وفعلت بمعنى واحد »[٦]. وهنا لم يذكر الشارح فرقا دلاليا بين التقصير والمد على حين صرح فريق من

---

(١) ينظر : في اللهجات العربية ٩٧ والدراسات اللهجية ٢٠٧ وفي الاصوات اللغوية دراسة في اصوات المد العربية ٢١٥ ودروس في علم اصوات العربية ١٤٧ والمدارس الصوتية ١٣٧ -١٣٨ .

(٢) ينظر: الكتاب ٢٥٢/٢ وسر الصناعة ٢٠/١ والمنصف ٢١٣/١ .

(٣) ينظر: الخصائص ١٣٧/٣ -١٣٨ .

(٤) ينظر: الاصوات اللغوية ١٥٥وأصوات العربية بين التحول والثبات ١٩ والمنهج الصوتي للبنية العربية١٨ .

(٥) يوسف ٦٩

(٦) المعتزلّي١٧٩/١٣ وينظر: التستريّ ٢٩٨/١١ .

الشّراح ان المد هو تطويل الصوت لغاية دلالية . من ذلك انهم لما وقفوا على قوله (ع) يشكو فقد اصحابه :(أَوِّه على إخْواني الذين تَلَوا القرآن فأحْكَمُوه)[1] . ذكروا ان (أوه) كلمة شكوى وتوجع[2] وفيها لغات كثيرة منها آوه من كذا بالمدّ والتشديد لتطويل الصوت بالشكاية . اي انهم عدوا تطويل الصائت القصير بمنزلة تشديد الحرف ، وعند اجتماع المد والتشديد يطول الصوت بهذه الكلمة كثيرا[3].

وفي عدة مواضع تلمس الشّراح الدلالة الصوتية المستوحاة من المدود من ذلك قوله **(ع)** في خطبة له في الاستسقاء :(نَدْعُوكَ حينَ قَنَطَ الأَنَام وغَمَّ الغَمَام وهلكَ السّوام ألا تؤاخذنا بأعمالنا ولا تأخذنا بذنوبنا)[4] نبهوا على ان الاخذ مصدر (اخذ) وان المؤاخذة مصدر (آخذ)[5]. ثم فرق الشّراح بين المؤاخذة والأخذ بان الأخذ أقوى من المؤاخذة فالراونديّ[6] يرى أنّ الاخذ هو التناول بالبطش الشديد وان المؤاخذة العقوبة بسبب الذنوب . وقال المعتزلّي :« المؤاخذة دون الاخذ لان الاخذ الاستئصال والمؤاخذة عقوبة وان قلت »[7] وقال الشيرازي: « لعل الفرق بين المؤاخذة والاخذ ان الاول بمعنى المحاسبة والثاني بمعنى العقاب»[8] . ولم يرض الخوئي قول المعتزلّي: إن المؤاخذة دون الاخذ بحجة ان« قولهم زيادة المباني تدل على زيادة المعاني يفيد عكس ما قاله»[9] ورأى بعضهم[10] أن المؤاخذة هي مقدمة الاخذ بدليل قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ** ﴾[11] وانفرد انصاريان[12] بقوله إن تغيير اللفظ في قوله للتفنن وليس لفارق دلالي .

ومن استقراء التعبير القرآني للفظين يتبين أنّ القرآن استعمل الاخذ بمعنى العقوبة الواقعة فعلا[13] كقوله تعالى: ﴿ **وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ** ﴾[14] و﴿**فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى**﴾[15] و﴿ **فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ** ﴾[16] و﴿ **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾[17] وهذا واضح في أنّ الأخذ عقوبة وقعت فعلا في ما مضى .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٢ ص ٣٣٣ .

(٢) ينظر: المقاييس ٩٨ والقاموس المحيط ١١٤٤ .

(٣) ينظر: الراونديّ ١٩٣/٢والكيدريّ ١١٨/٢ والمعتزلّي ١١٠/١٠والخوئي ٣٤٩/١٠ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١١٥ ، ص ٢١٦ .

(٥) ينظر : المعتزلّي ٣٤٧/١٨ والموسوي ٣٢٤/٥ وأبو الفضل ٣٣٩/٢ .

(٦) ينظر: الراونديّ ١٨/٢ .

(٧) المعتزلّي ٣٤٧/١٨ .

(٨) الشيرازي ٢٢٥/٢ .

(٩) الخوئي ٧٩/٨ .

(١٠) ينظر: التستريّ ٩١/١٤ وأبو الفضل ٢٦٩/١ .

(١١) فاطر ٤٥ .

(١٢) ينظر: أنصاريان ٣٩٥/١ .

(١٣) ينظر: المقاييس ٦٢ .

(١٤) هود ٦٧

(١٥) النازعات ٢٥

(١٦) البقرة ٥٥

(١٧) القصص ٤٠

وأمّا المؤاخذة فهي في القران عقوبة مؤجلة لم تقع فعلا ولذا شاع استعمالها في الدعاء كقوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾[1] ، و﴿ **قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ** ﴾[2] ثم ان فاعل الاخذ متعدد في القران فقد يكون الله تعالى وقد يكون الصيحة أوالعذاب أوالصاعقة أوالارض أوالرجفة أو(ابن الام) أوالسِّنة والنوم ، واما المؤاخذة فالفاعل الوحيد لها هو الباري –عز وجل -، ولما كانت المؤاخذة مشاركة بين اثنين يفهم من مدلولها أن الماخوذ فيها قام بالاخذ اولا ثم اخذه الله بما اخذ ، فكأنّ الماخوذ مشارك الفاعل (الله) في الفعل لانه المبادر اليه ، يقول الراغب :« تخصيص لفظ المؤاخذة على معنى المجازاة والمقابلة لما اخذوه من النعم فلم يقابلوه بالشكر»[3] .

وهنا ناسب المد في (آخذ) الدلالة على الامهال وتأخير العقوبة في المؤاخذة ، وناسب التقصير(أخذ) معنى العقوبة الواقعة فعلا في (الأخذ) ولذا لا مسوغ لرأي التستريّ وابي الفضل اللذين قلبا الدلالة فذهبا الى ان المؤاخذة مقدمة الاخذ وان الاخذ دون المؤاخذة ، والصواب ما ذهب اليه معظم الشّرّاح من ان المؤاخذة دون الاخذ لما فيها من امهال وتاخير وكذا لا مسوغ لرد الخوئي على المعتزلّي لان زيادة المبنى في المؤاخذة افاد زيادات على معنى العقوبة الواقعة فعلا في الاخذ وهي المشاركة والامهال والإشارة إلى الفاعل الأقوى فيها وهو الله تعالى.

ولما وقف الشّرّاح على قوله (ع) في وصف حال العرب لما بعث الله تعالى عليهم محمدا (صلى الله عليه وآله) : (...فأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِين وفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِين)[4] ذكروا ان (فكهين) يروى ايضا (فاكهين) ونّبه فريق منهم على أن الفرق بين (فاكهين) في قوله تعالى : ﴿ **وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ** ﴾[5] وفكهين في قوله تعالى : ﴿**وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ** ﴾[6] هو أنّ « فاكهين : ناعمين ، وفكهين : أشرين »[7] ، وقد تعددت المعاني التي ذكرها الشّرّاح الاخرون لفكهين ، ومنها : مزحين ، فرحين ، راضين ، مسرورين . ونقلوا عن الاصمعي قوله : فاكهين مازحين والمفاكهة الممازحة[8].

وكل ما سبق ذكره لم يدلنا على المعنى الدقيق للاصل (فكه) كي يفرق على وفقه بين (الفكه) و(الفاكه) ونظائر (فكه) في باب الاشتقاق الاكبر (الابدال) تفسر معنى فكه تفسيرا اقرب الى الدقة مما قاله الشراح والمعجميون ، ذلك ان القرآن استعمل الفكّ مع الرقبة ، ويعني العتق من القيد ، ومعنى (فكه) لا يبتعد عن (فكّ) كثيرا ، وهو سرور بعد غم ، ودلت الهاء بجرسها الخفّي على سرور الروح الذي هو شعور داخلي وربما يبالغ به ليبلغ البطر ، وما نقل عن الأصمعي من أن الفكه بمعنى المزاح أقرب الأقوال إلى مدلول اللفظة الدقيق .

---

(١) البقرة ٢٨٦ . (٢) الكهف ٧٣

(٣) المفردات ٦٧ . (٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ص ٣٧٥ .

(٥) الدخان ٢٧ . (٦) المطففين ٣١ .

(٧) المعتزلّي ١٧٨/١٣ .

(٨) ينظر: البحراني ٢٩/٤ والخوئي ٣٩٠/١١ ومغنية ١٤١/٣ والتستريّ ٣٤٠/٢ والشيرازي٢١٦/٣ وأبو الفضل١٠٩/٢.

واقترب البحراني من هذا المدلول حين قال : « الفكه طيب النفس المسرورة »[١] وقد ردد بعض الشراح[٢] كلام البحراني فقرنوا الفكه بطيب النفس وسرورها الى درجة البطر والاشر والمزاح والنعومة والسرور والرضا وغير ذلك مما يفهم من السرور بعد الغم . وهنا دل مد الالف في (فاكهين) في القران الكريم ونهج البلاغة على سعة المسرة وطيب النفس في وقت محدد لا دائم بدلالة البناء (اسم الفاعل) فكأنّ الفكه الواسع والمسرة العظيمة لم تكتمل لهم وفي القران : ﴿ **وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ** ﴾[٣] قرينة تدل على عدم استدامة الفكَه في اللفظ (فاكهين) وهي لفظة (نَعمة) بفتح النون إذ هي على بناء (فَعلة) الذي يدل على المرة الواحدة ، ولذا ساغ نزع هذه النعمة منهم في قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ** ﴾[٤] ولو كانت بكسر النون لكانت هيأة لهم ووصفا لحالهم لا يسوغ سلبها منهم ، واما (الفكهين) فان قصر الصائت (فتحة الفاء) ينبئ بتماسك الفكه والتصاقه بهم على وجه المبالغة والاستمرار بدلالة البناء (فعِل) فهو مبالغة وكثرة في القيام بالفعل[٥] فان (الفكهين) لا يتصور قيامهم بعمل غير (الفكه) والا لما صحّت المبالغة ، اما (الفاكه) فيتوقع منه القيام بعمل اخر غير الفكه وهنا اختلفت دلالة (الفاكه) بانه فاعل الفكه وغيره ، ولذا لم يكن الفكَه ملازما له لانه لم يجبل نفسه عليه اما الفكِه فهو الذي شغله الفكَه عن اي عمل اخر. ولّما وصف القران ونهج البلاغة قوما فكهوا بنعمة ثم زالت عنهم كان وصفهم بالفاكهين أبين من الفكهين لان الفاكه يسلب منه هذا الفعل واما الفكِه فلا يبرح الفكَه والا لم يصدق عليه هذا اللفظ . ومثل فاكهين وفكهين قوله تعالى : ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾[٦] اذ قرئ (مَلِك) وفرق المفسرون بين اللفظين بأن الحجة لمن أثبت الألف في (مالك) هي أن الملك داخل تحت المالك بدليل قوله تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ** ﴾[٧]. وأما حجة من طرح الألف في (مَلِك) فهي أن الملك أخص من المالك فقد يكون المالك غير ملك ولا يكون الملك إلا مالكا ، أي أن الملك أبلغ وأقوى من المالك في الدلالة على معنى الملك[٨]. ويمكن عضد قراءة (مالك يوم الدين) على قراءة (ملك) بأن يقال : إن (يوم الدين) هو من أيام الله التي لا يزعم أحد أنه مالكها فاستعمل القرآن مالك مع يوم الدين إشارة إلى أن هذا اليوم مُلك لله وحده لا يشاركه فيه أحد ولو قال (ملك)لفهم منه وجود مالك وهو أقل حيازة ليوم الدين من الملِك ؛ لأن ما تحت الملك هو المالك وليس ما تحت المالك سوى المملوك (العبد) وهو حال جميع الخلائق يوم الدين .

---

(١) البحراني ٢٩١/٤ ، ٤٦٢/١ .
(٢) ينظر: الخوئي ٣٩٠/١١ والشيرازي ٢١٦/٣ .
(٣) الدخان ٢٧ .
(٤) الدخان ٢٨ .
(٥) ينظر: معاني الأبنية ١١٧ .
(٦) الفاتحة ٤ .
(٧) آل عمران ٢٦ .
(٨) ينظر: حجة ابن خالويه ٣٨ ومعاني الزجاج ٥٢/١ -٥٣ وتفسير الفخر ٢١٢/١ -٢١٦ .

المبحث الثاني

دلالة تعاقب الصوامت في شروح نهج البلاغة.

برع علماء العربية في الاستماع الى أجراس الأصوات فميّزوا بين عدّة أنماط منها ، وقد سبقهم الخليل الى تسمية صوت الحرف وصداه (جرسا) وذكر ان بعض الحروف أطلق من بعض وأضخم جرسا كالعين والقاف اللذين لا يدخلان في بناء الا حسّناه[١] . وهذا الملحظ الصوتي الذي قرّره الخليل تلقفه من بعده علماء العربية[٢] ومنهم شراح النهج الذين يبرز منهم في هذه المسألة البحراني في قوله :« إن بعض الحروف أفصح جرسا وألذّ سماعا كالعين ، وبعضها أسهل على اللسان كحروف الذلاقة وبعضها اثقل »[٣]. ويربط البحراني بين الجرس العذب والسهل وبين فصاحة اللفظة فيقول :« ان الكلام المركب من اسهل الحروف وألذّها سماعا أفصح وألذّ سماعا عند النفس مما لا يكون كذلك »[٤] . ثم يقرن اللفظ الفصيح بالدلالة الأسرع على المعنى ، قال: اللفظ « الأفصح أدلّ على المعنى وأسرع الى قبول النفس له مما لا يكون كذلك »[٥] .

وشايع البحراني الخليلَ في ذهابه الى ان الاصوات تتفاضل في أجراسها فقال :« أما العين فأفصح الحروف جرسا وألذّها سماعا وأمّا القاف فأمتن الحروف وأوضحها جرسا »[٦] . وقال ايضا : « الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء »[٧] . وقال ايضا : « الهاء تُحتمل في البناء للينها وهشاشتها »[٨] . وليس المراد من اختلاف اجراس اصوات العربية ان بعضها ذو جرس مقبول وبعضها الاخر ذو جرس قبيح مرفوض وانما اختلاف الاجراس امر طبيعي يفضي الى تنوع الدلالات وتعدد اللغات .

ويعد التعاقب بين الاصوات مظهرا واضحا من مظاهر تنوع الدلالات وقد أسّس ابن جني بناء مرصوصا في ميدان تلمس الدلالة من الصوامت المتعاقبة فطول في ايراد طائفة كبيرة من هذا التعاقب واشار الى دلالته الصوتية وذلك في كتابيه الخصائص وسر صناعة الإعراب . إذ ياخذ التعاقب الصوتي لديه عدة انماط فقد يكون أحاديا او ثنائيا او ثلاثيا . من ذلك قوله في أمثلة التعاقب المفرد : أما « تركيب **ع ص ر** ، **ع س ر** ، **ع ز ر** فالعصر شدة

---

(١) ينظر : العين ٥٣/١

(٢) ينظر: الجمهرة ٧/١ والتهذيب ٥٠/١ والخصائص ٦٦/١ والصحاح ١١٦ .

(٣) البحراني ٤٠/١ .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه .

(٦) نفسه ٤٢/١ .

(٧) نفسه .

(٨) نفسه .

تلحق المعصور ، والُعسر شدة الخلق ، والتعزير للضرب وذلك شدة لا محالة فالشدة جامعة للاحرف الثلاثة »[١] .ومن امثلة التعاقب الثنائي لديه قولهم :« جلف وجرم فهذا للقشر وهذا للقطع وهما متقاربان لفظا »[٢] .واما امثلة التعاقب الثلاثي انهم « قالوا :الغدر كما قالوا الختل والمعنيان متقاربان واللفظان متراسلان »[٣]. وقد احتفى معظم الخالفين بأمثلة ابن جني هذه فسارعوا الى استذكارها متى ما وجدوا الى ذلك سبيلا . وقد اقتفى شراح النهج سبيل ابن جني فرددوا امثلته وزادوا عليها تفصيلا واستدلالا من ذلك انهم لما وقفوا على قوله (ع): (أَحبّ العِبادِ إلى اللهِ المُتأَسّي بنبّيه والمقتصّ لأَثَرِه .قَ ضَم الدُّنَيا قَ ضْمًا ولَم يُعرِها طَرْفًا)[٤] ذكر الشّراح أنّ (قَضَم الدُّنيا قَ ضْمًا) روي : (خَضم الدنيا) والقضم والخضم نوعان من الأكل فّرق بعض الشّراح بينهما معتمدين على ماسبقهم اليه ابن جني وهو ان الخضم لاكل الرطب كالبطيخ والقثاء والقضم للصلب اليابس لان العرب اختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الاصوات على محسوس الاحداث[٥]. ولم يكتف الشّراح بنوع الاكل في التفريق بين الخضم والقضم بل زادوا على ذلك ان الخضم يكون بكل الفم والقضم يكون باطراف الاسنان قال المعتزلّي: « القضم اكل الشيء اليابس باطراف الاسنان والخضم اكل بكل الفم للاشياء الرطبة »[٦] . وفرق اكثر الشّراح بين القضم والخضم باعتبار موضع الفم عند الاكل فالقضم لديهم اكل بأطراف الأسنان والخضم أكل بملء الفم[٧] ، متنصلين عن ملحظ ابن جني في التفريق بين الخضم والقضم الذي هو حال المأكول من رطوبة وصلابة .

وانما اكتفى أكثر الشّراح بتفسير القضم بالأكل بأطراف الأسنان لأنهم يلمحون الى ان جرس القاف ينبثق من الاكل في هذا الموضع من الفم اذ هو اكل قليل ابتداء ومعنى قضم الدنيا« انه تناول منها قدر الكفاف»[٨] او « قنع منها بقدر الضرورة »[٩] . ثم إن جرس القاف الصلب المنفجر[١٠] يوحي بقوة الشيء الماكول وهذا ما دفع الشّراح الى جمع الاكل بأطراف الاسنان الى أكل الشيء اليابس في تفسيرهم القضم مراعاة لجرس القاف أما الخاء في خضم فإنّ نطقه لما تفشّى في أقصى الفّم الى نهايته[١١] صّور بجرسه المفخّم المتفشّي الأكل بكلِّ الفّم ، فضلا عن إنّ رخاوتها توحي إلى أكلِ الشيء الرَّطْبِ لا اليابِس .

---

(١) سر الصناعة ٦/٢ .
(٢) الخصائص ١٥١/٢
(٣) نفسه ١٥٢/٢ .
(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٠ ص ٢٨٣ .
(٥) ينظر: الخصائص ٥٠٩/١ .
(٦) المعتزلّي ٢٣٢/٩ وينظر : البيهقّي ٨٥/١ أنصاريان ١١٦/٢
(٧) ينظر : الراونديّ ١١٦/٢والكيدريّ ١٥/٢ والبحراني ٢٨٢/٣ والسرخسي ١٥٢/١ والخوئي ٦٠/٩ ومغنية ٤٣٦/٢ والتستريّ ٤٣٠/٢ والشيرازي ٤٣٣/٢ وأبو الفضل ٢٧٦/١ والموسوي ٣٥/٣.
(٨) المعتزلّي ٢٣٣/٩ .
(٩) التستريّ ٤٣٠/٢ .
(١٠) ينظر: الأصوات اللغوية ٨٨ ودراسة الصوت اللغوي ٣٩٨ .
(١١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ٣٩٧ وعلم الصوتّيات ، دراسة مقارنة ٦٧ .

ولم يعز الشّراح الى ان ابن جني سبقهم الى هذه المسالة وربما يكون السبب في ذلك يعود الى ان ابن جني نفسه كان قد تلقف هذا النمط من الدلالة من سابقيه فصرح باسم فريق منهم كالخليل وسيبويه[١] وتنصل عن ذكر اسماء آخرين منهم ابن الانباري الكوفي ت ٣٢٨ هـ الذي سبق ابن جني الى التفريق بين الخضم والقضم لما اورد قول عنترة[٢]:

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنُهُ ما بينَ قُلَّةِ رأْسِهِ والمِعْصَمِ

فقد ذكر ابن الانباري ان عجز البيت يروى ايضا : **يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنانِهِ والمِعْصَمِ** . وقال في شرح يقضمن : « معناه يأكلن يقال : قضمت الدابة شعيرها ولا يقال: خضمت والقضم: اكل كل شيء يابس والخضم أكل كلّ شيء رطب »[٣].والغريب ان هذا المثال مقرون بابن جني لانه أعاد ذكره في الخصائص ولم يعزه الى احد .وعلى الرغم من ذلك يعد ابن جني رائد هذا الفن وإمامه المبرز فقد كانت الدلالة الصوتّية قبله أمثلة مردّدة في كلام سابقيه.

وتظهر إفادة الشّراح جلية من اراء ابن جني في مسالة التعاقب الصوتي المفرد . ذلك انهم لما وقفوا على قوله (ع) يذكر حاله مع الخليفة عثمان (رض) : (...إلا أنْ يَجْعَلَنِي جَمَلا ناضِحًا)[٤] ، فرّقوا بين النضح والنضخ بأن النضح معناه الرشّ والشّرب دون الريّ الذي هو النضخ ، وهو لديهم أبلغ من النضح[٥] لقوله تعالى: ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾[٦] اي فوارتان غزيرتان[٧]. والشّراح في هذا الموضع لخصوا قول ابن جني: «النضخ اقوى من النضح قال الله سبحانه :﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾ فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف والخاء لغلظها لما هو اقوى منه »[٨] وقد أدرك شراح النهج اختلاف المعنى اختلافا جزئيا مع التعاقب الصوتي المفرد في فاء الكلمة أو عينها أو لامها ثم يزداد ذلك الاختلاف وضوحا بين الالفاظ مع التعاقب الثنائي أو المضعف . ولذا نجد الشّراح يشيرون إلى المعاني الدقيقة للألفاظ التي تشابهت أصواتها وتعاقب عليها صامت أو صامتان . والدلالة الدقيقة التي تلمسوها للالفاظ نبعت من جرس الأصوات المتعاقبة وإيحائها ونغمتها. من ذلك أنّ العهد لدى الراونديّ يعني الأمان واليمين الموثّق والذّمة وبالقاف كعقد النكاح والبيع والاجارة ونحو ذلك[٩] ، وهنا لاءم جرس الهاء المهتوت الخفي[١٠] في (العهد)

---

(١) ينظر الخصائص ١٥٤/٢.

(٢) البيت رقم ٥٢ من معلقته في شرح القصائد السبع الطوال ٣٤٧ ورقم ٥٥ في شرح القصائد التسع المشهورات ٥١٠ .

(٣) شرح القصائد السبع ٣٤٨ وينظر: شرح القصائد التسع ٥١١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٤٠، ص ٤٥٥.

(٥) ينظر: المعتزلّي ١٣ /٢٩٦ والبحراني ٣٢٣/٤ والشيرازي ٣٢١/٣ والكيدريّ ٣٦٥/٢ والخوئي ١٧٧/١٦ .

(٦) الرحمن ٦٦ .

(٧) ينظر الكشاف ٥٠/٤ والبحر المحيط ٧٠/١٠ .

(٨) الخصائص ١٦٠/٢ .

(٩) ينظر: الراونديّ ٢٤٥/٣ .

(١٠) ينظر: الأصوات اللغوية ٨٨-٨٩ .

الدلالة على المعاني العقلّية أو النفسّية ولاءم جرس القاف الصّلب المطبق[١] في العقد الدلالة على المعاني المحسوسة

ولّما وقف الشّراح على قوله (ع) في ذكر الأموات : (عبادٌ مَخْلوقُونَ اقْتِدَارًا وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَارا وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَارًا وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثًا)[٢] روى بعضُهم (احتضارا) بالحاء وروى آخرون (اختضارا) بالخاء[٣] . وفضّل الراونديّ رواية اللفظ بالحاء قائلا : « بالحاء غير المعجمة أحسن ليعمَّ الجميع يقال : احتضر القوم ، إذا ماتوا لأنه بالخاء المعجمة للشّبان خاصة يقال : اختضر فلان إذا مات شابا»[٤] . والخاء بجرسه الرّخو اللين[٥] المنبعث من مداعبة الهواء لمؤخّرة الطبق الغضّة الطرّية لاءم نضارة الشباب وطراوته وغضارته والحاء بجرسه الصحراوي الرحب[٦] لاءم احتراق سنّي العمر لدى الكهول .

ولم يكتف الشّراح بتقريب الدلالة ما بين الالفاظ ذات التعاقب الصوتي المفرد بل ثمة الفاظ وقع فيها تعاقب صوتي مزدوج فسرها الشّراح بدلالة مقاربة نحو قول الآمدي : « مكنون ومكتوم معنى احدهما قريب من الاخر اي المخفي والمستور يقال كن الشيء من باب نصر اذا ستره في كنّه واخفاه وغطاه والكن وقاء كل شيء وستره وكتم الشيء من باب نصر ايضا اخفاه »[٧] .

وقد أفاد الشّراح من تنوع رواية ألفاظ النهج في تلمس المعاني المختلفة تبعا لذلك التنوع ، وكثيرا ما تختلف الرواية في صوت واحد فيظهر بعد ذلك فرق دلالي بين الالفاظ حاول الشّراح توجيهه مراعين طبيعة ذلك الصوت وجرسه . من ذلك أنّ الامام (ع) قال في عهده لمالك الاشتر : (ثُمّ اختْر للحُكْمِ بينَ النَّاسِ أفْضَلَ رَعِيَّتِكَ واعْطِهِ من المنزلةِ لديكَ ما لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُه مِنْ خاصَّتِكَ . لِـ يَأْمَنَ بذلكَ اغتيالَ الرجالِ له عِنْدك)[٨] . فنقل الشّراح ان (اغتيال الرجال) يروى – أيضا- (اغتياب الرجال) وفرقوا بين اللفظين بأنّ الاغتيال هو الأخذ والقتل على غرّة وغفلة من المقتول والاغتياب هو الغيبة والنميمة بالقول واللسان[٩]. وهنا لاءم صوت اللام في الاغتيال بجرسه المجهور الجانبي الرخو[١٠] الدلالة على القتل غيلة وخفية على حين لاءم جرس الباء المنفجر بين الشفتين[١١] الدلالة على التكلم خلف الناس بما يغمُّهم لو سمعوه .

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية٨٤ . (٢) نهج البلاغة :الخطبة ٨٣ ، ص ١٢٤ .

(٣) ينظر: البيهقّي ١٥٧ والمعتزلي ٨٢/٦ والبحراني ٢٤٤/٢ والسرخسي ٨٢/١ وعبده ١٤٨/١ والخوئي ٨٢/٥ ومغنية ٣٩٠/١ والتستريّ ٢٦٦/١٢ والشيرازي ٣٨٨/١ والموسوي ٤٧٠/١ وأبو الفضل ١٥٤/١.

(٤) الراونديّ ٣٢٨/١ وينظر الكيدريّ ٣٨٩/١ . (٥) ينظر: الأصوات اللغوية ٨٨ .

(٦) ينظر: نفسه ٨٨ . (٧) الخوئي ١٧٤/١٨ .

(٨) نهج البلاغة : الكتاب ٥٣ ، ص ٥٥٤ -٥٥٥.

(٩) ينظر : الراونديّ ١٨٦/٣ والبحراني ١٥٧/٥ والسرخسي ٢٦٨/١ والخوئي ٥٢/٢٠ وأنصاريان ٢٥٧/٣ والشيرازي ١٦٨/٤ والموسوي ٥٣/٥ .

(١٠) ينظر: الأصوات اللغوية٦٤ ودراسة الصوت اللغوي ٣٣٠ . (١١) ينظر: الأصوات اللغوية٤٥ .

وقد اتخذت مسالة التعاقب الصوتي بين الصوامت لدى شراح النهج حيزا كبيرا من أقوالهم وتحليلاتهم وجاء هذا التعاقب على عدة أنماط فقد يقع التعاقب بصوت واحد وهو الأعّم الأغلب وهذا الصوت قد يكون فاء للكلمة أو عينا لها أو لاما . وقد يقع التعاقب بصوت مضعّف هو في الاصل صوتان متماثلان يؤلفان عين الكلمة ولامها . وقد يقع التعاقب بصوتين أو اكثر وأمثلة هذا النمط قليلة ولا يخلو توجيهها من التمحّل والتعسف على وفق ما سبق ذكره لدى ابن جني . ولذا سيقوم البحث في هذا المقام بدرس التعاقب الصوتي المفرد والمضّعف لوضوح الدلالة الصوتية فيهما وسيغفل الاشارة الى التعاقب الثنائي والثلاثي لقلّة امثلته وُبعد تأويله.

المطلب الاول : التعاقب الصوتي في فاء الكلمة

أيقن شراح النهج ان التعاقب الصوتي المفرد في الكلم العربي يبقي المعنى العام له قريبا في كثير من الأمثلة ولذا نجدهم يفسرون الألفاظ بأخرى تشبهها في حرفين من حروفها الأصول وتختلف عنها في واحد . ومن أقوالهم : « وهمود النار : خمودها »[١] و:« الاقتسارمن القسر وهو القهر »[٢] و« وخشع : خضع »[٣] و« سفح الجبل : سطوحه »[٤] و: « المتراكم : المتراكب »[٥] و:« الدعق : الدقّ »[٦] و:« الصياخيد جمع صيخود وهي الصخرة الشديدة »[٧] . ومن مظاهر اهتمامهم بالدلالة الصوتية المستحصلة من التعاقب الصوتي المفرد أّنهم كثيرا ما كانوا ينبهون على الروايات المتعددة للفظة الواحدة مع بقاء المعنى العام قريبا بينها بسبب تشابه حروفها نحو:(يعج ويضج) . قال الراونديّ : « العج رفع الصوت والصراخ مثله وروي يضج وهذا يقرب منه ايضا»[٨] . وفي معظم امثلة التعاقب الصوتي المفرد المح الشّرّاح الى الفارق الدلالي الدقيق بين الالفاظ التي اضطّمت على ذلك التعاقب فاستقل كل منها بمعنى دقيق يومئ الى جرس الصوت المبدل ويحاكي وقعه في النطق وفي ما يأتي امثلة من التعاقب في فاء الكلمة :

١- شنّ - سنّ

وقف الشّرّاح على قوله(ع) :(وَتَخَاذَلْتُمُ حتّى شُنَّتْ عَلَيْكُم الغَاراتُ)[٩] فذكروا ان معنى (شّنت الغارات) : فقُّوَتْ عليكُم من كلِّ وجه ، وأصل ذلك في الماء المتفّرق إذ الشنّ هو الدلو المتمزّق يُتّخذُ من الجلد البالي فينصبّ

---

(١) الخوئي ٥/٧ .

(٢) الموسوي ٤٧٥/١ .

(٣) نفسه ٤٧٥/١ .

(٤) البحراني ١٢٧/١ .

(٥) الراونديّ ١٥٠/٣ .

(٦) المعتزلّي ٧/٨

(٧) أنصاريان ٢٩٣/١ .

(٨) الراونديّ ١٧٨/١ .

(٩) نهج البلاغة :الخطبة ٢٧ ، ص٦١ .

منه الماء[١] ذكر فريق منهم ان الفعل يروى بالسين وهو في الاصل لصب الماء وغيره ثم استعير للغارة[٢] وفرق هذا الفريق بين الشّن والسّن تفريقا سبقهم اليه المعتزلّي في قوله :« ما كان من ذلك متفرقا نحو ارسال الماء على الوجه دفعة واحدة فهو بالشين المعجمة وما كان ارسالا غير متفرق فهو بالسين المهملة »[٣] وهنا يفرق الشارح المعتزلّي بين اللفظين مراعيا جرس الصوتين المتعاقبين الشين والسين فالشين بجرسه المتفشي المنفتح ناسب الدلالة على صب الماء متفرقا مرة بعد اخرى ثّم استعير للغارات لانهم ياتون بها من امكنة متعددة وازمنة متفرقة كالماء المتفرق المشنون وقد صنف علماء الاصوات الشين ضمن الاصوات الشجرية التي تنطق من غار الفم ولذا نعت الشين بالصوت الغاري[٤] وهذا الوصف مشتق من الغارة التي تاتي من المجهول كانها قدمت من غار كنطق الشين في موضعه اما السين فجرسه الصفيري المنبثق من التقاء طرف اللسان بالثنايا العليا والسفلى يومئ الى ارسال الماء وعدم انقطاعه على حين ان اللسان عند الشين ترتفع مقدمته نحو الغار وهذا ايحاء الى انقطاع الشراب لا دوامه ثم ان القران استعمل السن بمعنى الارسال والاستمرار في الصب حتى النهاية قال تعالى في خلق ادم: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾[٥] ومعنى المسنون هو المصبوب في قالب[٦] وما صب في قالب لياخذ شكلا معينا لابد ان يكون صبه مرسلا لا متقطعا لان الانقطاع لا يؤدي الى وحدة الشكل المصبوب .

٢ - همد - خمد

اورد الشّراح قوله (ع) يصف دحو الأرض على الماء:(فهَمَدَ بعدَنزقاتِ ِه ولَبَدَ بعدَ زَيفانِ وبلَتَ ِه)[٧] ففسروا همد بسكن وذكروا ان همد يستعمل بمعنى سكون الماء والنار والريح[٨] وفرق بعضهم بين هَمَدَتِ النارُ وخَمدت ، فقال الراونديّ : « الهمود أبلغ من الخمود»[٩] وقال المعتزلّي :« الخمود دون الهمود»[١٠] .

---

(١) ينظر : البيهقّي ١١٦ والراونديّ ٢١٤/١ والكيدريّ ٢٣٧/١ والمعتزلّي ٧٨/٢ والبحراني ٣٢/٢ وعبده ٨٧/١ والخوئي ٩١/٣ ومغنية ١٨٦/١وأنصاريان ١٣٠/١ والشيرازي١٥٠/١ .

(٢) ينظر : المعتزلّي ٧٨/٢ وعبده ٨٧/١ والخوئي ٣٩١/٣ وأنصاريان ١٣٠/١.

(٣) المعتزلّي ٧٨/٢ .

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية ٧٦ .

(٥) الحجر ٢٦ .

(٦) ينظر : الكشاف ٣٩٠/٢ والبحر المحيط ٣٧٧/٦ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٦١ .

(٨) ينظر : البيهقي١٨٦ والراونديّ ٤٠٩/١ والكيدريّ٤٦٧/١ والمعتزلّي٤٤١/٦ والبحراني ٣٦٩/٢ والسرخسي٩٥/١ والخوئي ٥/٧ والتستريّ ٤٩٣/١ وأبو الفضل١٩٧/١ والموسوي٩٨/٢ والشيرازي٧٣/٢ .

(٩) الراونديّ ٤٠٩/١ .

(١٠) المعتزلّي ٤٤١/٦ .

ومن الاستماع الى جرس الخاء وجرس الهاء يمكن تأويل قول الراونديّ - الذي عدّ همد أبلغ في الدلالة على السكون من خمد - بأن جرس الهاء المهتوت يوحي بالسكون التام أما جرس الخاء فُيشّم من رخاوته وتفخيمه شبهُ سكونٍ لا سكونٌ تاّم . واما قول المعتزلي فتأويله أنّ النار تؤول اولا الى الخمود ثم ينتهي بها الامر الى الهمود ومن هنا يكون الخمود أقرب من الهمود الى مرحلة اشتعال النار . قال الجوهري : «خَمدت النار تخُمد خمودا اذا سكن لهبها ولم يطفأ جمرها»[١] وقال ايضا : « هَمدت النار تهمُد همودا أي طُفئت وذهبت البتّة »[٢] وقوله البتة يفصح عن ذهاب اللهب والجمر معا ومن هنا كان الهمود أبلغ في الدلالة على انطفاء النار من الخمود ، وبذا لا اختلاف بين قولي الراوندي والمعتزلّي .

٣- قصم - فصم

وقف الشّراح على قوله(ع) : (...فإنّ الله لَم يَقْصِم جَبّارِي دَهْرٍ قطّ الا بعدَ تمَهلٍ ورَخاء)[٣] ففسروا يقصم بيكسر وأشاروا إلى رواية أخرى للفعل هي **يفصم** بالفاء والمعنى العام عندهم قريب بين القَصْم والفَصْم إذ هما بمعنى الكسر[٤] . وميز فريق منهم بين اللفظين معتمدين على ايحاء الصوتين المتعاقبين القاف والفاء فذكروا ان القصم هو الكسر مع الإبانة بين الجزأين والفصم كسر من دون إبانة بينهما[٥] وهذا الفارق الدلالي بين القصم والفصم يعضده جرس الصوتين المتعاقبين فالقاف صوت ذو جرس منفجر من العمق بفعل انفراج مفاجئ بين مؤخّرة اللسانِ واللهاة وهو بهذه الصفات يحاكي كسر العظم بإبانة أما الفاء فصوت ذو جرس رخو شفوي ينبثق من اتصال مباشر بين الثنايا العليا والشفة السفلى[٦] وهو بهذه الصفات يحاكي الكسر دونما فصل او إبانة . وأبينُ من تلّمس هذا الفارق الدلالي بين الشّراح هو التستريّ الذي أنكر على المعتزلّي تفسيره القصم بالكسر مطلقا دون تحديد نوع الكسر قال التستريّ: « الفصم كسر غير بيِّن والقصم كسر بّين وتفسير ابن ابي الحديد له بمطلق الكسر في غير محله »[٧] .

٤- وجف - رجف

اورد الشّراح قوله (ع) في وصف من يجاوز الصراط :(أظْمأ الرَّجَاُء هواجَر يومهِ وظلَفَ الزُّهْدُ شهواتهِ وأُوجَفَ الذّكْر لِسانهِ) [٨] ففسروا (أوجف) بأنّه أفعل من الوجيف وهو ضرب من السير السريع للإبل والخيل والمعنى

---

(١) الصحاح ٣١٦-٣١٧ . (٢) الصحاح ١١٠٦ .

(٣) نهج البلاغة : خ ٨٨ ص ١٤٤ .

(٤) ينظر : المعتزلّي ٣٨٤/٦، ١٤٢/٩ والبحراني ٣٠٥/٢ والسرخسي ١٣٩/١ وعبده ١٦٩/١ ومغنية ٤٤٤/١ وأنصاريان ٢٤٤/١ والشيرازي ٢٤/٢، ٣٦٩/٢ وأبو الفضل ١٨٧/١ والموسوي ٣٧/٢.

(٥) ينظر : الراونديّ ٣٦٨/١، ٨٦/٢ والكيدريّ ٦٥٦/١ والتستريّ ٥٣٧/٢ والخوئي ٣٥٩/٧ .

(٦) ينظر:الأصوات اللغوية ٤٦ .

(٧) التستريّ ٤٣٠/٢ وينظر المعتزلّي ٣٨٤/٦، ١٤٢/٩.

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٣٠.

أسرع الذكر بلسانه ، وكأنّ الذكر لشدة تحريكه اللسان موجف به كما توجف الناقة براكبها اي تسرع . وضبط معظم الشّراح أوجف بالواو وأشاروا إلى الرواية الاخرى (أرجف) أي : تحرّك ، ومعنى أرجف الذكر بلسانه هو إنّ الذكر يحرّك لسانه كأنّ به رجفة من كثرة ذكر الله[١] وضبط بعض الشّراح المتاخّرين[٢] اللفظة بالراء وعدوا الواو رواية معتمدين على ما جاء في النسخة المصرية لمتن النهج . وجرس الواو بما فيه من لين واندفاع للهواء وضم الشفتين[٣] يلائم الدلالة على السير السريع اذ ينزاح الهواء من على جانبي الموجف المسرع كما ينزاح الهواء بالواو بين الشفتين . اما الرجف فدلالته على التحريك تنبثق من جرس الراء التكراري المرفرف المضطرب على سقف الفم ومن هنا صحح التستريّ[٤] رواية الفعل أوجف بالواو وضعّف الرواية الأخرى التي صحّحها بعض المتأخرين معتمدا على مناسبة معنى (اوجف) للسياق الذي يصف المؤمن وهو يجتاز الصراط المستقيم ولسانه لهج بذكر الله وليس المعنى ان المؤمن يحرك لسانه مضطربا خائفا لان الخائف يظهر اثر الاضطراب في اعضاء جسده كلها وليس اللسان وحده . اما وجود ارجف في النسخة المصرية فامر لم يثن التستريّ عن تصحيح اوجف لانه كذلك في نسختي المعتزلّي والبحراني وهما من هما في التحقيق والتوثيق .

المطلب الثاني : التعاقب الصوتي في عين الكلمة .

ومن أمثلته لدى شراح النهج :

١- لدم - لطم

أورد الشّراح قوله (ع) في استعداده للقتال : (واللهِ لا أكُونَ كالضَّبْعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ ...)[٥] . وفسّروا اللَّدْم بأنّه صوتُ الحجر أو العصا أو غيرهما تضرب به الارض ضربا ليس شديدا ، فاللدم هو الضرب الخفيف [٦] . «ويحكى ان الضبع تستغفل في جحرها بمثل ذلك فتسكن حتى تصاد» [٧] . وهنا يمكن قبول الفعل في استغفال الضبع وصيدها إذ لو كان شديدا لنفرت منه، والشّراح في قصرهم دلالة (اللدم) على الضرب الخفيف يلمحون الى ان (اللطم) يدل على الضرب القوي وبهذا فسروا (تلتطم) في قوله(ع) واصفا الارض ودحوها على الماء : (ولُجِجِ بِحَارٍ زاخِرَةٍ تَلْتَطِمُ أواذيُّ أمواجِها ...)[٨]

---

(١) ينظر: الكيدريّ ٣٩٤/١ والمعتزلّي ٢٦٦/٦ والبحراني ٢٥٧/٢ والخوئي ٣/٦ ومغنية ٤٠١/١ والتستريّ ٢٥٢/١٢ وأبو الفضل ١٥٩/١ والموسوي ٤٨٧/١ والسامرائي ١٥٣ ، ٢٥٠ .

(٢) ينظر: عبده ١٥٦/١ والشيرازي ٣٢٩/١ .

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية ٤٣ .

(٤) ينظر: التستريّ ٢٥٢/١٢ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٦ ص ٣٦.

(٦) ينظر : البيهقّي ٨٨ والراوندّي ١٤٨/١والكيدريّ ١٨٣/١ والمعتزلّي ٢٢/٣ والبحراني ٢٨١/١ والسرخسي ١٣٦/١وعبده ٤٧/١ والخوئي ١٤٣/٣ومغنية ١١١/١والتستريّ ٢٩/١٠وأبو الفضل ٤١/١ وأنصاريان ٨٥/١ والشيرازي ٨٥/١-٨٦.

(٧) البحراني ٢٨١/١

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ص ١٦٠ .

فأصْل اللطم لديهم « هو ضرب الخد بالكف مفتوحة »[١] ثم استعير لموج البحر [٢] وهذا دليل على قوة اللطم وشدته . وقصر (لدم) على الضرب الخفيف يعضده صوت الدال الانفجاري المرقق لا المفخم[٣] وصفة الترقيق في الدال تومئ الى خفّة اللدم ورقته سواء كان لدم الارض ام لدم الجسد ، ولا يطلق اللدم للدلالة على ضرب الوجه قال الجوهري : « اللدم ضرب المرأة صدرها وعضدها في النياحة »[٤] ولا شك ان ضرب الوجه اشد وامضى من ضرب الصدر والعضد اما الطاء فهو صوت يشبه الدال بانه انفجاري لثوي وينماز منه بصفة الاطباق او التفخيم[٥] وهو بهذه الصفة يومئ الى شدة اثر الضرب اذ هو ضرب الوجه خاصة ثم استعير للضرب القوي كتلاطم الامواج

٢- وخز - وكز .

قال الامام (ع) في وصف صبره : (صَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الغَيْظِ عَلى أَمَرّ مِنَ العَلْقَمِ وآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفارِ)[٦] وقد فسر الشّراح الوخز بانه الطعن الخفيف غير المميت[٧] وهو مناسب لقوله (ع) لأنّ مراده شدّة الألم لا القتل ، ولما وقف الشّراح على قوله (ع) في عهده لابنه الامام الحسن (ع) (إنْ ابْتُلِيتَ بِخَطَأٍ وأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَو سَيْفُكَ أَو يَدُكَ بِالعُقُوبَةِ فإنّ فِي الوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً)[٨] فسر بعضهم الوكز بانه الطعن القوي المميت[٩] . وقال آخرون : هو الطعن بجمع الكفّ على الذقن[١٠] وإيحاء (وكز) يرجّح أنْ يكون طعنا بآلة كما كان (وخز) بآلةٍ . أمّا الضرب باليد مقبوضة أومفتوحة ففعل غلب ابتداؤه باللام نحو (لكم ،لكز ، لدم، لطم ، لتح ، ...) وإنما كان (الوخز والوكز) ضربا بالة لان اللفظين تصدرهما صوت الواو الذي يحاكي بجرسه الهوائي[١١] اندفاع الالة في الهواء قبل لمسها الجسد ، ويأتي (الخاء والكاف) صوتين يميزان الدلالة الدقيقة بين (الوخز والوكز) فالخاء بجرسه الرخو الاحتكاكي[١٢] يوحي الى طعن الجسد طعنا خفيفا بالة حادة **كالشفار** في قول الامام(ع) وهو جمع شفرة وهي حد السيف[١٣] ، ومن هنا شاع في الطب (وخز الابر) لخفته على الجسد . واما الكاف بجرسه القوي الانفجاري[١٤]

---

(١) أنصاريان ٢٨٩/١ وينظر: الصحاح ٩٤٧.

(٢) ينظر : المعتزلّي ٤٣٨/٦ والبحراني ٣٦٩/٢ والبيهقّي ١٨٦/١ والموسوي ٧٩/٢

(٣)ينظر:الأصوات اللغوية ٤٨

(٤) ينظر: الصحاح ٩٤٣.

(٥) ينظر:الأصوات اللغوية ٦١

(٦) نهج البلاغة :الخطبة ٢١٠ ص ٤٢٢.

(٧) ينظر: المعتزلّي ١١٠/١١ والخوئي ١٧٠/١٤ وأبو الفضل ٢٩/٢ والموسوي ٥٠٦/٣

(٨) نهج البلاغة : الرسالة ٥٣ ص ٥٦٧ .

(٩) ينظر: الخوئي ٣٠٩/٢٠ .

(١٠) ينظر: عبده ١٢٠/٣ والسرخسي ٢٧٢/١

(١١) ينظر: الأصوات اللغوية ٤٣ .

(١٢) ينظر: نفسه ٨٨.

(١٣) ينظر: الصحاح ٥٥٤ .

(١٤) ينظر: الأصوات اللغوية ٨٣ .

فيوحي الى قوة الطعنة وهلاك المطعون ، وجرس الكاف يحاكي سقوط طرف الرمح على الجسد بعد ان كان الواو يحاكي ارسال الرمح في الهواء ، ومن هنا ارتبط الوكز بالقتل في القران الكريم كقوله تعالى بشأن موسى (ع) : ﴿ **فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ** ﴾[1] وهو مقترن بالقتل ايضا في وصية الامام لابنه الحسن (ع) : (فإنّ فِي الوَكْزَةِ فَما فوقَها مَقْتَلَةً)[2] وأمّا صوت الزاي برخاوته وانزلاقه بين الأسنان في ختم (وخز – وكز) فيحاكي نفاذ الالة في الجسد سواء كان النفاذ خفيفا كما في (وخز) ام شديدا كما في (وكز) .

٣- متح – ماح

جاء في خطبة للامام (ع) كنّى فيها عن قوم بالشيطان قوله : (وأُيم اللهِ لأفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنا مَاتِحُه)[3] . وقد فسر الشّراح المتح بالاستسقاء من أعلى البئر وهو ممتلئ وذكروا ان اللفظ يروى – ايضا – (مايحه) بالياء وفسروا المائح بانه المستسقي من اسفل البئر بعد ان يجفّ ماؤه أو يقلّ[4] ونقل المعتزلي عن أبي علي الفارسي أنه لما سئل عن الفرق بين (الماتح والمايح) قال : « اعتبر نقطتي الاعجام فالاعلى للاعلى والادنى للادنى »[5] يريد ان المتح من اعلى البئر والميح من أسفله[6] فدلت كل لفظة باعجامها على معناها وما يهمنا هنا هو ان تدل اللفظة بجرس اصواتها على معناها ، فالتاء بجرسه الاسناني الانفجاري القريب من الشفتين[7] يحاكي وفرة الماء وانبثاقه من فم البئر فيمتحه المستقي من اعلى البئر لقربه منه ، على حين دل الياء بجرسه المستطيل المنحدر[8] الى انحسار ماء البئر في قعره فلا يستحصل الا بالنزول اليه .

المطلب الثالث : التعاقب الصوتي في لام الكلمة .

١ - جمس - جمد

اورد الشّراح قوله (ع) في وصف عجيب خلق اصناف من الحيوان : (اُنْظُروا إلى النَّملة في صِغَرِ جُثَّتِها ... لا يَحْرِمُها الدَّيَّانُ ولَوْ فِي الصَّفَا اليَبِسِ والحَجَرِ الجَامِسِ ...)[9] . وقد فسّر الشّراح الجامس بالجامد[10]، وفرّق

---

(١) القصص ١٥ وينظر : الكشاف ١٦٨/٣ والبحر المحيط ٢٩٣/٨ .

(٢) نهج البلاغة : الرسالة ٥٣ ، ص ٥٦٧ . (٣) نفسه الخطبة ١٠ ص ٣٩ .

(٤) ينظر : البيهقّي ٩٢ والراونديّ ٦١/٢ والمعتزلّي ٢٤٠/١ ، ٢٧١/٦ ، ٣٥/٩ والبحراني ٣٤٩/١ ، ١٦٦/٣ والخوئي ١٦١/٣ والسرخسي ١٣٠/١والشيرازي ٩١/١ وأبو الفضل ١٦١/١ والسامرائي ٩٢ ، ١٢٩ ، ٢٢٩ ، ٢٨٣ وأنصاريان ٨٨/١.

(٥) المعتزلّي ٢٤٠/١ وينظر ١٦١/٣. (٦) ينظر: المقاييس ٩٧٠ ، ٩٧٢ والقاموس المحيط ٢٣٣ ، ٣٣٥ .

(٧) ينظر:الأصوات اللغوية٦١ (٨) ينظر: نفسه ٤٣

(٩) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥ ص ٣٣٩ .

(١٠) ينظر : الراونديّ ٤٢٢/٢ والمعتزلّي ٥٦/١٣ والبحراني ١٣١/٤ والسرخسي ١٩٧/١ ومغنية ٥٨/٣ وعبده ٣٧٤/١ والشيرازي ١٢٢/٣ وأبو الفضل ٦٦/٢ والموسوي ٢١٦/٣ .

بعضهم بينهما كقول الخوئي : « الجامس :الجامد وقيل أكثر ما يستعمل في الماء جمد وفي الحجر وغيره جمس» [١] وفسّر أنصاريان الجامس باليابس الصلب[٢] ، وقال الكيدريّ :هو « الجامد الصلب » [٣] ويبدو من هذه الالتماعات الدلالية الدقيقة ان الجامد صلابة من برودة وهو صفة للماء خاصة ، واما الجامس فهو صلابة من حرارة الشمس ، وقد أوما الدال في اخر (جمد) لما فيه من شدة وجهر[٤] الى البرد وشدته[٤] على حين اوما السين في اخر (جمس) الى الجفاف واليباس بفعل سعير الشمس لما في السين من صفير وهمس ورخاوة[٥] .

٢ - ماد ، مار

قال الامام (ع) في وصف بدء الخلق : (أَمادَ السَّماءَوفَطَرَها ...)[٦] وقد فسر الشراح[٧] أماد بأنّه ماضي الإمادة وهي الحركة بتمايل ، وذكروا أنّ الفعل يروى أيضا : أمار بالّراء وفسّروا (مار الشيء يمور مورا) بتحرّك وذهب وجاء ، ونقلوا عن الضّحّاك تفسيره قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا** ﴾[٨] بأنّ المعنى تتموَّج تموُّجا ، ونقلوا عن الأخفش أن المعنى تتكفئ انكفاء [٩] . ورجح التستريّ[١٠] رواية (أمار) بالراء ؛ لان المور يكون للسماء والميدان يكون للارض ، وهو مصيب في ترجيحه لوجود النقل في القرآن الكريم ،قال تعالى:﴿ **يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا** ﴾[١١] وقال تعالى: ﴿ **وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ** ﴾[١٢] وكذا ورد في نهج البلاغة: (وَوَتَّدَ بالصُخُورِ يَمَدَانَ أَرْضِهِ)[١٣] . فضلا عن ذلك يمكن الاستماع إلى جرس الأصوات المتعاقبة في(المور والميدان) ، فالّدال يلائم أن يكون لحركة الأرض وهي التمايل يمينا وشمالا، والمور هو الانكفاء والدوران التام حول المحور ، ومن هنا قيل للجنين : يمور في بطن أّمه[١٤] ، والراء يناسب الدلالة على الحركة المستمرة حول المحور ؛ لأّنه صوتٌ مرفرفٌ

---

(١) الخوئي ٧/١١ .
(٢) ينظر: أنصاريان ٢٠٧/٢
(٣) الكيدريّ ٢٧٤/٢ .
(٤) ينظر : الأصوات اللغوية ٤٨ .
(٥) ينظر: نفسه ٧٥ وعلم الصوتيات ٦٩ .
(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ص ٢٠٢.
(٧) ينظر : البيهقّي٢٠٥ والراونديّ ٤٦٧/١ والكيدريّ ٥٢٩/١ والمعتزلّي ١٣٣/٩والبحراني ١٤٣/١ وعبده ٢٣١/١ والخوئي ٣٥٨/٧ والتستريّ ٢٥٨/١٢ وأبو الفضل ٢٥٢/١.
(٨) الطور ٩
(٩) ينظر : الكشاف ٢٣/٤والبحر المحيط ٥٦٨/٩.
(١٠) ينظر :التستريّ ٢٥٨/١٢ -٢٥٩.
(١١) النمل ١٥ .
(١٢) لقمان ١٠ .
(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص١٧ وينظر: البيهقّي ٣٣ والرواندي٢٣/١ والمعتزلّي٥٨/١ والبحراني ١٠٧/١ والخوئي٢٩٣/١.
(١٤) ينظر: المقاييس ٩٧٠ ، ٩٦٨ والصحاح ١٠٠٩ ،١٠١١ .

مكّرر يلفُّ اللسان نحو سقف الحنك الاعلى[١] ، ومور السماء بمعنى دورانها المستمّر وهو يلائم حالها في قوله تعالى :﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ** ﴾[٢] . ويبدو أنّ معنى التمايل والتحرك ذهابا وإيابا قد اكتمل في (الميم والحرف المعتل) وتثليث هذين الحرفين يمنح التشكيل دلالة مستقلة نحو (الميلان) لحركة واحدة نحو جهة واحدة إذ اللام بطبيعته صوت جانبي[٣] أمّا (الميدان) للحركة بالتعاقب نحو الجانبين، اذ الدال يصنّف ضِمن حروف القلقلة[٤] . و(الموج) لحركة الماء بالتعاقب نحو جهة واحدة ، والجيم صوت مركب يبدا شديدا وينتهي رخوا[٥] وهذا حال الموج ، و(المور) للحركة المستمرة حول المحور، ويتضح معنى المور بانه جمع فعل (الميدان) و(الدوران) ، فالميدان حركة نحو الجانبين ، والدوران لف محوري ، والمور دوران وميدان معا ، ولذا ارتبط المور بالسماء التي اخبر الباري (تعالى) انها تطوى كطي السجل للكتاب ، وطي الكتاب يكون بلفه حول نفسه وتحريكه الى الجانبين .

وفي باب التعاقب الصوتي المفرد في لام الكلمة ورد في شروح النهج ما يمكن تسميته بحقول الدلالة الصوتية ، وذلك حين يتم التعاقب الصوتي في لام الكلمة على طائفة من الاصول ويبقى المعنى العام جامعا لها قريبا بينها ويفيد التعاقب الصوتي في لامها التنوع الدلالي الدقيق ، وخير مثال على هذه الظاهرة لدى الشّراح هو تثليث (النون والفاء) بصامت يقع لاما للأصل فيبقى المعنى في الأصول كلّها يدلّ على حركة الهواء من موضع الى اخر وهو المعنى الذي ظهر من التشكيل (نف) فيأتي التنوع في (نفث ، نفخ ، نفح ، نفج ، نفر ، نفس ، نفش ، نفض ، نفط) فاما النفث فمعناه لدى الشّراح قريب من النفخ [٧] يقال: «نفث من فيه شيئا أي رمى به ،والنُّفاثة ما نُفث من الفم »[٨] واللفظ في قوله (ع) من خطبة حذر فيها من الشيطان : (وَقَذَفَ في الآذانِ نَجِيّا)[٩] ، وفي القران الكريم : ﴿ **وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** ﴾[١٠] ، وقد فسّر الراونديّ النفث بأنّه شبيه بالنفخ ومن رأى عقدا واراد حله نفث فيه ليسهل ، فاستعير لرد الشيطان انسانا عزم على طاعة الله [١١] وقال عبده: «النفثة كالنفخة يراد بها ما يمازج النفس من الريق عند النفخ » [١٢] واقتران اللفظة في القرآن الكريم بالعقد ينبئ عن ان النفث نفخ فيه رطوبة او بلل من الريق يقع على

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية ٦٦
(٢) الأنبياء ١٠٤
(٣) ينظر: الأصوات اللغوية ٦٤
(٤) ينظر: نفسه ٤٨
(٥) ينظر: نفسه ٧٧
(٦) ينظر: نفسه ٧٠
(٧) ينظر: الراونديّ ٣٤٨/٢ والبحراني ٣١٢/١ والخوئي ٤/٦ والتستريّ ٣٥٠/٣ وأنصاريان ٣٣٧/٢.
(٨) الراونديّ ٢٧٩/٢ .
(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٣١ .
(١٠) الفلق ٤
(١١) ينظر: الراونديّ ٤٤٢/٢
(١٢) عبده ٢٤٦/٣ وينظر: ٢٣٥/٢ .

العقدة ليسهل حلها ، وهذا واضح ، ولو كان هواء الريق خاليا من البلل لما كان فيه فائدة في حل العقدة ، والنفث اقل من التفل الذي فسره بعض الشّراح بانه « نفخ معه ادنى بزاق »[١] ، وجرس الثاء بهمسه ورخاوته وتفشيه بين الأسنان وطرف اللسان[٢] يوحي بالدلالة على الهواء القليل الذي يحمل البلل او الرطوبة .

ولما وقف الشّراح على قوله (ع) في وصف بعضهم : (.. نافِجا حِضْنَيْهِ بَيْنَ ثَدْيِهِ ومُعْتَرَفِهِ ..)[٣] فسّروا (نفج الحضن) بارتفاعه وانتفاخه ، يقال لمن امتلأ بطنه طعاما : جاء نافجا حضنيه[٤] ، وقال بعضهم : « النفج قريب من النفخ »[٥] ، ولا شك في ان الشّراح ألمحوا الى الفارق الدلالي بين النفج والنفخ في ذكرهم كلمة (قريب) ، ووجه القرب بين النفج والنفخ يؤيّده جرسا الجيم والخاء ، فكل صوت دل بجرسه على المعنى الدقيق للفظة التي ورد لاما لها ، فالنفخ يعني اندفاع الهواء من عمق الفم الى خارجه بلحاظ جرس الخاء المطبق الرخو المنبثق من اقصى الحنك نحو الخارج[٦] ، واما النفج فدل فيه جرس الجيم المركب من الشدة والرخاوة في شجر الفم على معناه الذي هو انتفاخ البطن وارتفاعه وانحسار الهواء فيه كانحساره في الموضع الذي ينطق فيه الجيم ، وبلحاظ جرس الجيم الذي يميل الى الشدة شاع استعمال النفج في الدلالة على الرفع والتوسعة وان لم يكن بفعل الهواء المحصور ، كقولهم :« نفج ثدي المرأة قميصها اي رفعه ونفجت الفراريج من بيضها اذا رفعت رؤوسها فيه وخرجت »[٧] .

واشار الشّراح الى ان (النفح) هو في الاصل من افعال الهواء او الرياح – ايضا - ، يقال : نفحت الرائحة اذا انتشرت ، ونفح الطيب اي فاح وانبسط[٨] ، وهنا لاءم صوت الحاء بجرسه المهموس الاحتكاكي الذي يداعب اوتار الحنجرة[٩] الدلالة على فوحان الرائحة وتفشيها بهمس .

وفسر الشراح[١٠] النفاذ بمعنى الخروج من شيء والدخول في غيره في قوله (ع) يصف الشيطان : (...وَنفذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّا)[١١] ، وهذا «تمثيل لدقّة مجاري وسوسته في الأنفس فهو فيما يسوِّله يجري مجرى الأنفاس »[١٢] ،

---

(١) الراونديّ ٢٤٨/٢ وينظر : الصحاح ١٢٧.

(٢) ينظر : الأصوات اللغوية ٤٧

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص ٣٠ .

(٤) ينظر : البيهقّي ١٨٥ والراونديّ ١٢٨/١ والمعتزلّي ١٩٧/١ والسرخسي ٤٩/١ وعبده ٤٠/١ والخوئي ٩٦/٣ والتستريّ ١٩٧/٥ وأنصاريان ٧٥/١ والموسوي ٧٥/١ .

(٥) البحراني ٢٥٤/١ وينظر : الكيدريّ ١٦٣/١والشيرازي ٦٩/١.

(٦) ينظر: الأصوات اللغوية ٨٨

(٧) الصحاح ١٠٥٦.

(٨) ينظر: المعتزلّي ١٧٠/٥ والبحراني ١٧٩/٢ والخوئي ٢٤/٥ .

(٩) ينظر : الأصوات اللغوية ٨٨ .

(١٠) ينظر : المعتزلّي ٢٦٨/٦ والبحراني ٢٥٨/٢ والخوئي ٣/٦-٤ وأبو الفضل ١٦٠/١ والموسوي ٤٩٣/١ وعبده ١٥٥/١

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٣١.

(١٢) عبده ١٥٥/١

وجرس الذال إذْ هو النظير المجهور للثاء بتفشّيه ورخاوته[١] . لاءم ان يكون (نفذ) من الأفعال الهوائّية التي تعني أصلا انتقال جسم محسوس او خفّي في الهواء كالكتاب والسهم والجنّ والإنس والشيطان .

ولما وقف الشّراح على قوله (ع) في فتنة بني أمية :(فَلا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إلاّ فَتْلَةٌ كَفَتْلَةِ القِدْرِ أوْ نَفَاضَةٌ كَنَفَاضَةِ العِكْمِ)[٢] فسروا النفض بتحريك الشيء في الهواء كي يزال عنه ما علق به من تراب او شبهه ، والنفاضة ما سقط من الشيء المنفوض ، والعكم هو العدل[٣] . وجرس الضاد المطبق المنفجر اللثوي[٤] يوحي بتحريك الثوب المنفوض في الهواء حتى يسمع له صفق بغية تخليصه مما علق به من(نفاضة) ، ومن هنا جاء في كلام الامام (ع): (فَنَفَضْتُمْ أيْدِيَكُمْ)[٥] وهي « كلمة تقال في اطراح الشيء وتركه وهي ابلغ من ان تقول تركتم ...لان من يخلي الشيء من يده ثم ينفض يده منه يكون أشدّ تخلية له ممن لاينفضها ، بل يقتصر على تخليته فقط لأنّ نفضها إشعار وإيذان لشدة الاطّراح والإعراض »[٦] .

وهذا التعاقب الصوتي لا يقتصر على لام الكلمة فثمة امثلة لدى الشّراح للتعاقب الصوتي في عين الكلمة نحو (نحب ،ندب ،نعب ،نزب) . ففي قوله (ع) يذكر الموت :(فَهَلْ دَفَعَتِ الأَقَارِبُ أوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ)[٧] ، فسّر الشراح النواحب بجمع ناحبة وهي الرافعة صوتها بالبكاء والنحيب رفع الصوت بالبكاء ، وذكروا ان اللفظ يروى (النوادب) ، والندب هو البكاء على الميت[٨] ، وهنا لاءم جرس الحاء الرخو الاحتكاكي المنبعث من اقصى الحلق بحرقة رفع الصوت بالبكاء ، في حين لاءم الدال المنفجر من خلف الاسنان تأبين الميت وذكر محاسنه قولا مع البكاء . ونظير ذين النعيب وهو للغراب والنزيب وهو للظبي ؛ لانه من الغراب مسموع ينذر بالبين والفراق فلاءم العين بنصاعته التعبير عنه ومن الظبي على شكل زفرات متباعدة دون النعيب في الحدة والنصاعة ، فلاءم الزاي التعبير عنه . وقد يتوسع في هذا التعاقب الصوتي لاسيما في باب (الفعيل) الدال على الاصوات ليأتي التعاقب مزدوجا نحو (نعيق ، نهيق ، نقيق ، نغيق ، نشيج ، نشيد ، نعير ، نعّي). واصل انبثاق الصوت في مجمل هذه الامثلة هو صوت النون ثم يأتي التعاقب المزدوج بعده تنوعا لأصوات كثيرة .

---

(١) ينظر : الأصوات اللغوية ٤٧ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨ ص : ١٩٧ .

(٣) ينظر : البيهقّي ٥٢٠ والراونديّ ٤٦٠/١ والمعتزلّي ١٨٩/٧ والبحراني ١٠٥/٣ والسرخسي١١٥/١ وعبده ٢٢٥/١ والخوئي ٢٩٧/٧ ومغنيه ٢/ ١٣٦ والتستريّ ١٦٤/٦ وأبو الفضل ٢٤٤/١ وأنصاريان ٣٧٥/١ والشيرازي ١٧٠/٢.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية ٤٨ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ص ٣٧٦ .

(٦) المعتزلّي ١٣ /١٨.

(٧) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص ١٢٨ .

(٨) ينظر : الراونديّ ٣٣٦/١ والمعتزلّي٢٦٢/٦ والبحراني ٢٥٠/٢ والخوئي٣٩٣/٥ ومغنية١٦/٣ والتستريّ ١٥٨/١١ والموسوي ٤٨٠/١ وأبو الفضل ١٥٧/١ والشيرازي ٣٢٦/١.

المطلب الرابع : التعاقب الصوتي المضّف .

ومن أمثلته في النهج :

١ - قطّ – قدّ .

اورد فريق من الشّراح قول الناس في الامام (ع) : كانَ يقُدّ الهاَقطّ الأقلامِ[١] ، وفسّروا القطّ بالقطع عرضا ومنه يقال : قطّ القلم ، وأما القطع طولا فيسمى (القدّ) ، ومن ثم قيل في الامام (ع) – ايضا - : « كانتْ ضَرَبَاتُ عليٍّ أبكارا إنْ اعتلى قدّ وإنْ اعترضَ قطّ »[٢] ، وما قاله الشّراح في التمييز بين القطّ والقدّ سبقهم ابن جني إلى ذكره حين علل تخصيص القطّ بالقطع عرضا ، والقدّ بالقطع طولا ، بـ « أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعا له من الدال فجعلوا الطاء المناجزة لقطعِ العرض لقربه وسرعته ، والدال المماطلة لما طال من الأثر وهو قطعه طولا »[٣] . ولم يصرح الشّراح بنسبة هذه المسألة الى ابن جني ، وكذا أغفل المفسّرون ذلك لما فسّروا القدّ في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾[٤] بالقطع طولا من الرقبة إلى أسفل الظهر[٥].

٢ - حسّ ، حشّ .

أورد الشّراح قوله (ع) في بعض أيام صفين: (وتزيلُونَهمْ عَنْ مَواقِفِهِم كَما أزَالُوكُم حَسًّا بالنِّصالِ وشَجًّا بالرِّماحِ)[٦] ، فشرحوا الحس بأنّه الاستئصال قتلا[٧] ، واستدلوُّا بقوله تعالى ﴿ **إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِه** ﴾[٨] ، أي تستأصلونهم بالقتل[٩] وأصل الحس هو « الصوت الخفي »[١٠] . وذكر فريقٌ منهم أنّ (حسّا) رويت – أيضا – (حشّا) بالشّين وقالوا : الحشّ إصابة السهم الجوف[١١] ، ورجّح بعضهم رواية (الحس) بالسين لذكر النصال بعدها ، وأما (الحش) فللسهام في الاصل[١٢] ، وهذا ملمح دلالي يمكن الركون اليه في التفريق بين الحس والحش ، اذ الحس أسرع وأمضى من الحش بدلالة جرس السين الانسيابي الامامي الاسناني الذي يوحي بسرعة القطع وسهولته . اما الحش فوجود الشين الغاري فيه يومئ بالمهلة والبطء لان الشين صوت ممتد متفش من شجر الفم نحو الخارج وفي هذا اشارة الى آلة الحشّ وهي السهم النافذ وسط الجسم . ويمكن التفريق بين اللفظين بملمح آخر وهو مكان الضرب لا آلته ،

---

(١) ينظر : البيهقّي ٢٩ والمعتزلّي ٥٠/١ والبحراني ١٢٧/١ وعبده ١٤/١ والخوئي ١٢٦/١٥ .

(٢) المعتزلّي ٥٠/١ وينظر: البيهقّي ١٤ وعبده ١٤/١ . (٣) الخصائص ١٦٠/٢ (٤) يوسف ٢٧ .

(٥) ينظر: البحر المحيط ٢٦٠/٦ . (٦) نهج البلاغة الخطبة ١٠٧ ص ١٩٥ .

(٧) ينظر : البيهقّي٢٠٢ والراونديّ ٤٥٨/١ والكيدريّ ٥١٦/١ والمعتزلّي ١٨٠/٧ والبحراني ٣٧/٣ والسرخسي ١٠٩/١ وعبده ٢٢٣/١ والخوئي ٢٧٥/٧ ومغنية ١٢٨/٢ والتستريّ ٢٨٣/١٠ وأبو الفضل ٢٤١/١ والموسوي ٢٠٧/٢ والشيرازي ١٦٣/٢ .

(٨) آل عمران ١٥٢ (٩) ينظر : الكشاف ٤٧٠/١ والبحر المحيط ٣٧٨/٣ -٣٧٩ .

(١٠) الصحاح ٢٣٧. (١١) ينظر : الراونديّ ٤٥٨/١ والكيدريّ ٥١٦/١ والتستريّ ٢٨٣/١٠ .

(١٢) ينظر : التستريّ ٢٨٣/١٠

فيقال : إنّ الحسّ للرقاب خاصة ، وهو قتل سريع حرّض القرآن المؤمنين عليه في قوله تعالى ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُم الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ** ﴾[١] ، أما الحشّ فضرب ما دون الرقاب كالجوف في قول الراونديّ[٢] أو الأرجل في قول الكيدريّ[٣] وبهذا المعنى شاع الحش في اللغة المعاصرة لقطع النبات والحطب والمراد القطع من تحت لا من فوق ، ويفاد من جرس السين الامامي وجرس الشين الغاري في الاستدلال على معنى اللفظين بلحاظ موطن الضرب في كل منهما بحسب مخرجيهما . وقد ورد في النهج ما يدلّ على إنّ الحشّ قطع من أسفل وذلك في قوله (ع) يصف المتخاذلين عن الحرب : (لَبِئْسَ حِشاشُ نارِ الحربِ أَنتمُ)[٤] ، إذ فسّر الشّراح الحشاش بالحطب الذي يلقى في النار وهو في الاصل النبات يقطع من اسفله[٥] وروي أيضا (حُشّاش) جمع حاشّ من حشّ النار إذا أوقدها والمراد : لبئس الموقدون لنار الحرب أنتم .

٣- دكّ ، دقّ

أورد الشّراح قوله (ع) في ذكر بيعته بالخلافة : (ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عليَّ تداكَّ الإِبِلِ الهِيْمِ ...)[٦] . ففسروا (الدكّ) بالتكسير والمساواة بالأرض ومعنى (تداكّوا) ازدحموا ازدحاما شديدا كأنّ كلَّ واحد منهم يدوس الآخر ويدقّه في الارض[٧] ، وذكرالكيدريّ ان الدكّ كالدقّ لكنه أخصّ منه وأبلغ ، إذ قال : « تداكّوا علّي ؛ اي وردوا علّي ورودا ودخلوا علّي يدكّ بعضهم بعضا أي يدقّ ، وكان الكاف مبدلة من القاف تخصيصا »[٨] ،وقال في موضع اخر :« تداك الناس عليه اي ازدحموا وهو تفاعل من الدكّ وهو أبلغ من الدقّ »[٩] . وما تلّمسه الكيدريّ وغيره من فروق بين الدكّ والدقّ له ما يعضده في جرسي القاف والكاف ، إذ القاف ألين عريكة من الكاف ؛ كونه ينطق من إطباق وانفراج في اللهاة[١٠] ، وهي لحمة رقيقة متدلية في الحلق لا تأخذ حيزا كبيرا منه[١١] على حين ينطق الكاف من إطباق حنكي قويّ يأخذ حيّزا كبيرا في طبق الفم[١٢] ، وهذه الصفات لاءمت أن يكون الدقّ عامّا يطلق على كلّ صدم أو كسر ومنه الدقيق الذي هو من ألفاظ المشترك اللفظّي الدالّة على الصِّغَر والدقّة[١٣] .على حين اختصّ الدكّ بالدلالة على معنى الدقّ وزيادة هي الوطْء في الأرض وبسبب هذه الدلالة القوّية استُعمل الدكّ في القرآن الكريم في مشاهد القيامة لدكّ الأرض والجبال كما في قوله تعالى:﴿ **وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً** ﴾[١٤] .

---

(١) محمد ٤
(٢) ينظر :الرواندي ٤٥٨/١
(٣) ينظر الكيدريّ : ٥١٦/١
(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٥ ص ٢٣١
(٥) ينظر : المعتزلّي ٨/ ١٠٨ وعبده ١٠/٢
(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٩ ص ٤٤٣-٤٤٤ .
(٧) ينظر :البيهقّي١٣٨والراونديّ٢٧٤/١والكيدريّ٣١٤/١والمعتزلّي٣/٦،١٣/٤والبحراني ٩٩/١٤٤،٤/٢وأنصاريان١٧٥/١ وعبده١١٢/٢والخوئي٣٢٤/٤ والتستريّ٥١٧/٩ وأبو الفضل١١٨/١ومغنية٢٩٥/٣والشيرازي٢٣٠/١والموسوي٢٦٠/١
(٨) الكيدريّ ٣١٥/١ وينظر: الراونديّ ٢٧٤/١.
(٩) الكيدريّ ٢٥٣/٢ وينظر: الراونديّ٤٠٢/٢
(١٠) ينظر: الاصوات اللغوية ٨٤
(١١) ينظر: نفسه ١٨
(١٢) ينظر: نفسه ٨٣
(١٣) ينظر :المقاييس ٣٤٨والقاموس المحيط ٨١٤
(١٤) الحاقة ١٤

المبحث الثالث
دلالة التكرار الصوتي في شروح نهج البلاغة .

ارتبط التكرار اللفظي ارتباطا وثيقا بالمباحث البلاغية المتصلة بالاعجاز القرآني ، فقد عدّ معظم دارسي الاعجاز القراني التكرار من محسنات الكلام ولونا من الوان البديع[١] ، وهو - ايضا- من مقاتل علم البيان[٢] . واما عند النحويين فالتكرار اللفظي ضرب من التوكيد[٣] او هو نمط من التخويف والتغليظ[٤]وله وظيفة في الافهام[٥] وفائدة في الابلاغ بحسن العناية بالامر[٦].

وقد عني القدماء بالتكرار اللفظي او التركيبي ولم يعنوا بالتكرار الصوتي على وفق ما ظهر لدى المحدثين الذين خلصوا الى ان ما يتكرر من الاصوات في بعض النصوص الادبية غالبا ما يكون ذا قيمة فنية ابداعية سواء قصد الناظم ذلك أم لم يقصد ، فربط الصوت المكرر بالمعنى من خلال بيت شعريّ أو جملة أو عبارة هو أمر جدير بالاهتمام والدراسة ؛ لان ذلك له علاقة وطيدة بالصناعة الأدبية وموسيقى الشعر[٧] . والمراد بالتكرار الصوتي هو ان تتناوب الاصوات المتماثلة وتعاد في تشكيل اللفظة لتؤدي نغما موسيقيا يقصده الناظم ، والدلالة الصوتية النابعة من جرس الاصوات المكررة تكشف عن القوة الخفية في الكلمة وتفصح عن جانب من شعور الناظم وفكره . وقد اورد ابن جني في باب امساس الالفاظ اشباه المعاني جملة من انماط التكرار الصوتي مقرونة بالدلالة على عدة معان ، منها تكرار الحركات في باب (الفَعَلان) دليل على الحركة والاضطراب « فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال »[٨] ومنها ان التكرار بالتضعيف يفيد الدلالة على الاستطالة والتكرار بالمضاعف يفيد الدلالة على التقطيع« قال الخليل : كانهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّا فقالوا : صرّ ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : صرصر »[٩] ومنها « انهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل ، فقالوا كسّر وقطّع وفتّح وغلّق »[١٠]

---

(١) ينظر:اعجاز القران للباقلاني ١٠٦ ، والعمدة ٧٣/٢ .

(٢) ينظر: المثل السائر ٣/٣ .

(٣) ينظر:الكتاب٥٠٨/٣ .

(٤) ينظر: معاني الفراء٢٨٧/٣ .

(٥) ينظر: البيان والتبيين١٠٤/١-١٠٦

(٦) ينظر: الصاحبي ٣٤١

(٧) ينظر: موسيقى الشعر ٤٩.

(٨) الخصائص ١٥٤/٢

(٩) الخصائص ١٥٤/٢ وينظر: العين ٥٢/١ .

(١٠) الخصائص : ١٥٧/٢

وربما تكرر العين للمبالغة في الفعل كقولهم خشن واخشوشن وعشب واعشوشب وحلا واحلولى[١] وتكرر اللام والعين معا للمبالغة نحو دمكمك وصمحمح وغشمشم وعصبصب[٢] .

وقد اعتنى القرآن الكريم بهندسة الأصوات وطريقة تتابُعها لينبثقَ منها إيحاء يُشْعر السّامع بأنّ لها حلاوة ولذّة ، لأنّ تشكيل الأصوات في لفظها المعبر عن معناها منح آي الذكر الحكيم إيقاعا محكما، بل معجزا بذاته . فتكرار صوت السين مثلا في سورة الناس ادى وظيفة ايحائية كاملة بفعل تكراره على مسافات متقاربة يشعر قارئ سورة النّاس بوسوسة وهمس دائمين ، فيلمس الحدث الكلامي دلاليا وموسيقيا[٣] ، والاستماع الى تكرار الباء في (ابابيل) في قوله تعالى: ﴿ **وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ** ﴾[٤] يضع المتلقي في اجواء تلك الموقعة التي هلك فيها جيش ابرهة بحجارة السجيل التي تنطلق من مناقير الطيور وأرجلها ثم تسقط على رؤوس أصحاب الفيل كما لو كانت قذائف مدوّية تطلقها المدافع الثقيلة فتسمع لها صوتين : الاول : لحظة الانطلاق ، والاخر لحظة السقوط ، وكذا ايحاء الباءين في (ابابيل)[٥]. والمهم في هذا المقام هو التكرار الصوتي على مستوى المفردة وأثره في محاكاة معناها أو الايماء إلى ظلال المعنى كما في (أبابيل) . إذ نّبه الشّراح على هذه الظاهرة عبر شرحهم مفردات النهج ذات الأصوات المكررة شرحا مرتبطا بجرس هذا التكرار ومستمدا من إيقاعه ونغمه فيأتي معنى اللفظة العام نابعا من جرس التكرار الصوتّي فيها أو هو محاكاة لوقع ذلك التكرار في الاذن، وهذا الموضوع يمكن جلاؤه عن طريق سرد أنماط من التكرار الصوتي في ألفاظ النهج بحسب نوع الأصوات المكّررة فيها . وثّمة نوعان من التكرار الصوتي في الفاظ النهج : هما : التكرار المفرد ، والتكرار المزدوج ، ولذا يمكن تقسيم هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الاول : التكرار الصوتي المفرد .

ومن أمثلته التي نبه عليها الشّراح :

١ - تكرار النون

صوت النون في العربية صوت أغنّ يتضمن شحنة قوية من النغم المشع كيفما استعمل ، وهو صوت واضح في السمع ، ولوضوحه صلح في باب التوكيد والضمائر والترنم والتنوين[٦] والنون بغنته وتغير مجرى الهواء عند نطقه من جوف الفم الى جوف الانف يومئ مفردا الى النواح الداخلي ، واذا جاء مكررا ضوعف النواح ليكون أنينا ، وقد اورد الشّراح طائفة من الالفاظ التي دلت بالصيغة (فعيل) على معنى الصوت ، ثم كرر فيها النون ليصرف معنى الصوت فيها المستحصل بالصيغة الى معنى النواح الداخلي لدى الانسان ، ومن العجيب ان الرنين والانين والحنين والخنين والطنين ، كلها امثلة اكتسبت صفتها من هذا الحرف المكرر. وقد استعمل الامام علي (ع) معظم

---

(١) ينظر: الخصائص ١٥٨/١

(٢) ينظر: نفسه ١٥٧/١

(٣) ينظر: على طريق التفسير البياني ٥٠-٥١

(٤) الفيل٣

(٥) ينظر : دلالة الفريد من الفاظ القران المجيد ٧٣ .

(٦) ينظر : الأصوات اللغوية ٦٦ .

هذه الالفاظ في كلامه ، وقرن كلا منها الى الفاظ اخرى قرنا يمكن الاعتماد عليه في القول: انه الاستعمال الافصح لكل لفظ . اذ قال الامام لما رجع من صفين فسمع بكاء النساء : (ألا تَنْهَوْنُ نّ عَنْ هَذا الرَّنِينِ)[١] وقد فسّر الشّراح الرنين بأنّه صوت المرأة تمدُّه عند البكاء ، يقال : رنّت المرأة رنينا أي صاحت[٢] ، وأوضح من تلّمس دلالة الرنين على الصوت من الشّراح هو الشيرازيّ في قوله: « الرّنة مدّ الصوت في حزن أو ما أشبه»[٣] ، ويبدو من تصدر الراء لفظ الرنين أنه لفظ يحاكي بكاء المرأة المسموع المردّد المشوب بالمرارة فيطرق الأسماع باستمرار ، ولذا نهي عنه الإمام (ع) .

وقال الامام (ع) في خطبة له عند الاستسقاء : (اللهمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الآنِةِ وحَنِينَ الحَانَّةِ)[٤] ، وقد فرق الشّراح بين الأنْين والحَنِين بعد أنْ ذكروا أنّ الآنة هي الشاة والحانّة هي النّاقة ، وربّما كان الراونديّ أوضح الشّراح في الإشارة إلى أثر الأصوات في التمييز بين الحنين والانين ، إذ قال: «... أنّيئ نُّ أنينا وهو أكثر من الحنين »[٥] ، ويبدو أن الراونديّ إنّما فهم أنّ الانين أقوى من الحنين لأنّه أدرك أن جرس الهمزة في (الانين) حنجري وشديد وأعمق من الحاء فلاءم أن يكون الانين أكثر وأقوى لانه صوت يعبر عن الشكوى من الالم لدى الانسان . وقد ذكر الشّراح ان اصل الحنين أن ترجّع النّاقة صوتها أثر ولدها ، ثم استعير لشدّة الشوق لدى الانسان ، وقد يبالغ فيه ليدل على البكاء الخفيف[٦] . وهذا ملمح دلالي آخر يفسّر قوّة الانين أزاء الحنين لأن الانين في الأصل للإنسان وهو « الصوت الذي يخرجه المريض من فمه من شدة المرض »[٧] ، فعلى هذا يكون وصف الشاة بالآنّة أما من باب الاستعارة او للازدواج مع الحانّة .أو يكون المراد بـ (أنين الآنة) كناية عن معاناة الضعفاء من النساء والأطفال في أيام القحط فيكون الاستعمال حقيقيا.

وقال الامام (ع) في خطبة له عرض فيها لهوان الدنيا : (ولا يَخِنَّنَّ أَحَدُكُم خَنِينَ الأَمةِ عَلَى ما زُوِيَ عَنْه مِنها)[٨]
والخنين لدى الشراح هو البكاء من الانف ، وهو وهو للإماء خاصّة لأنهنّ كثيرا ما يبكين ويسمع الخنين منهن ، والحرة تأنف من البكاء والخنين ، والخنّة لدى الشّراح كالغنّة كلاهما من الانف[٩] .

---

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٣٢٢ ص ٦٦٦ .

(٢) ينظر: الراونديّ ٣٩٤/٣ والمعتزلّي ١٣٤/١٩ والبحراني ٤٠٣/٥ وعبده٢٢٢/٢والخوئي٤١٠/٢١ وابو الفضل٣٨١/٢

(٣)الشيرازي٤١٨/٤ (٤) نهج البلاغة : الخطبة ١١٥ص ٢١٥ (٥) الراونديّ ٣٩٨/٢

(٦) ينظر :الراونديّ٣٩٨/٢والكيدريّ ٢٤٤/٢والمعتزلّي ٢٦٤/٧والتستريّ ٣٣١/٦والموسوي ٤٨/٤وأنصاريان ٨١/٣ .

(٧) الشيرازي ٣٨٣/٣ (٨) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٣ ص ٣١٢-٣١٣ .

(٩) ينظر: الراونديّ ١٥٩/٢ والكيدريّ٧١/٢ والمعتزلّي ٣٣٢/٩والبحراني ٣٢٥/٣ والسرخسي١٦٤/١وعبده ١٠٨/٢ والخوئي١٥٧/١٠ ومغنية ٤٨٨/٣ والتستريّ١١/١٢ وأبو الفضل٣٠٩/٢ والموسوي ١٢٣/٣ .

وفّرق أنصاريان بين الحنين والخنين ، وذلك أنّ « الحنين صوت البكاء بالفم ، والخنين صوت البكاء بالأنف »[١]. وهذا الملحظ الدلالي الذي أقرّه أنصاريان له ما يعضده في جرس اللفظتين ، فالخاء صوت ينبثق من سدّ المجرى الأنفي برفع

الطبق نحوه ، فيمر الهواء من الفم بصوت الخاء ، ولذا فهو من الحروف المطبقة أو المستعلية، وقد روعي الاستعلاء فيه فصار كأنّه صوت أنفي ، وكذا الغين الذي هو النظير المجهور للخاء . أما الحاء فهو صوت مستفل لا ترتفع معه مؤخرة اللسان نحو الطبق ، وهو صوت حلقي ، وقد روعي استفالته ومخرجه الحلقي في نسبته إلى الفم ، وكلا اللفظين من المصادر الدالّة على الأصوات ، والفعل (خنّ) مضعّف وهو ضرب من البكاء يتردد فيه الصوت مشوبا بما يحمل من تأثير الانف.

٢ - تكرار الباء

قال الامام (ع) في صفة الارض ودحوها على الماء :(...أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ ...)[٢]. وقد فسر الشّراح الشآبيب بأنّه جمع (شؤبوب) ، وهو الدفعة من المطر[٣]. وبرع بعض الشّراح في إبراز الدلالة الصوتيّة المستنبطة من تكرار الباء في جرس (شؤبوب – شآبيب)، قال المعتزلّي : « الشُّؤبوب: رشّة قويَّة من المطر تنزل دفعة واحدة بشدّة » [٤]. وقال البحراني: « الشآبيب جمع شُؤْبوب وهو الرشقة القوّية من المطر»[٥]، وهذان القولان يفصلان محاكاة جرس اللفظة معناها ؛ لأنّ الشين في (شُؤبوب) يحاكي (رشّة) أو (رشْقة) والهمزة محاكاة لـ(قوّية) وتوالي الباءين محاكاة للمطر النازل ، ولذا ساغ لبعضهم أن يفسر الشابيب بالقطرات العظيمة[٦] .

٣ - تكرار الصاد

وقف الشّرّاح على قوله (ع) في الإخبار عن مصير بني أمية : (يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَنَّارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَرَةٌ وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رُصُّ طَوْدٍ وَلا حِدَابُ أُرْضٍ)[٧] ففسّر بعضُهم (الطود المرصوص) بأنّه شديد الالتصاق[٨] . وشدة الالتصاق في اللفظة (مرصوص) منبثقة من تكرار الصاد بجرسه المطبق الأمامي الذي ترتفع معه مؤخّرة اللسان نحو سقف الحنك ، وزاد التكرير من حجم هذه المساحة لتدلّ اللفظة (مرصوص) بجرسها – الذي هيمن عليه صوت الصاد المطبق – على معناها الذي يعني شدة الالتصاق .

---

(١) أنصاريان ١٦٥/٢ وينظر الخوئي ١٥٧/١٠. (٢) نهج البلاغة: الخطبة ٩١ ص ١٦٣

(٣) ينظر: الراونديّ ٤١١/١ والبحراني ٢٣٠/١ وعبده ١٩٢/١ والخوئي ١٤/٧ ومغنية ٥٠٥/٣ والتستريّ ٣٨٩/٨ وأنصاريان ٢٩٥/١ وأبو الفضل ١٩٠/٢والموسوي ٢٦٢/٤ ، ٩٩/٢والشيرازي ٧٧/٢ ، ٦٤/٤

(٤) المعتزلّي ٤٤٤/٦ (٥) البحراني ٣١/٥

(٦) ينظر : السرخسي ٩٧/١. (٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٦ ص ٣٠٢ .

(٨) ينظر: البحراني ٢٩٤/٣

٤ - تكرار الجيم

الجيم صوت مركّب من الشدة والرخاوة يبدأ شديدا وينتهي رخوا، وذلك بالتصاق وسط اللسان على شجر الفم التصاقا تاما لحبس مجرى الهواء ، ثم ينفرج وسط اللسان عند موضع التقائه بسقف الحنك ليسمح للهواء بالمرور تدريجيا[١] . وعند تكرير الجيم بصفته هذه يكون اختزالا لاصوات طبيعية تفاجئ الأسماع بشدّتها ثُم تميل تلك الاصوات الى الخفوت والتلاشي تدريجيا ، ومما ورد في متن النهج منها (الرجيج)[٢] ، (الضجيج)[٣] (العجيج)[٤] ، وقد فسر الشّراح هذه الألفاظ بأّنها أصوات طبيعّية ، وميّزوا بينها تمييزا يعتمد على تعاقب الراء والعين والضاد في أولها فضلا عن تكرار الجيم في جرسها. فالرجيج صوت الزلزلة وارتجاج البحر أيضا[٥] ، ويبدو أّن الشّراح راعوا الاضطراب والحركة المتعاقبة ، فقرنوا الرجيج بهذا المدلول لما في الراء من ارتعاش لساني . واما العجيج لديهم فهو الصوت المرتفع من الاطفال والبهائم بالصراخ[٦] ، وهذا المدلول ملائم لجرس العين الناصع بالعويل الجوفّي الذي يستدعي المجافاة بين الحنكين كثيرا وهو أمر يأنف عنه العقلاء . وأورد المعتزلي ملمحا دلاليا واضحا على ما يفيده التكرار الصوتي من دلالة على تكرار الصوت الطبيعي ، قال « العجيج رفع الصوت وكذلك العجّ ، وفي الحديث أفضل الحجّ العجّ والثجّ أي التلبية وإراقة الدماء ، وعجّ : صوّت ، ومضاعفة اللفظ دليل على تكرير التصويت» [٧]. واما الضجيج لديهم فهو صوت الصائح عند المكروه والجزع[٨] . وهذا المعنى منبثق من جرس الضاد ، فهو صوت مطبق انفجاري مفخّم[٩] وعند قرنه بالجيم يحاكي الضجر أو الجزع فيأتي الصوت الطبيعي محاكاة لما يدور في نفس الضاجّ كأّنه انفجار مفاجئ من فرط الجزع وعدم التجلد .

٥ - تكرار الشين

قال الامام (ع) في تحريض اصحابه على القتال:(... وَكَأّنِي اْنظُر إِْيكُم تَكِشُّونَ كَشِْيشَ الضَّبابِ) [١٠] ، وفسر الشّراح كشيش الضباب بصوتها من جلودها لا من أفواهها؛ لانها تحك جلودها بعضها ببعض عند الازدحام[١١] . والكشيش عند المعتزلّي صوت يشوبه الخور والضعف وهو مثل الخشخشة[١٢] واتصاف الكشيش بالخور والضعف له ما

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية ٧٦ -٧٧ وعلم الأصوات الغوية ٧٦ ودراسة الصوت اللغوي ٣٣٥

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٥٦ وينظر: المعتزلّي ٤٢٥/٦ والخوئي ٦/ ٣٧١ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٤ ص ٤٣٨ (٤) نفسه الخطبة ١٩٨ ص ٣٩٣ .

(٥) ينظر : البيهقّي ١٨٣والمعتزلّي ١٢٠/٦والسرخسي٩٢/٢ .

(٦) ينظر: الراونديّ١٧/٢والمعتزلّي٣٠٠/٤ والسرخسي١١٥/١والشيرازي١٤٧/٢وأبو الفضل٤٦٠/١وأنصاريان ١٤٧/٢.

(٧) المعتزلّي ١٨٨/١٠ وينظر: غريب الحديث ٢٩/١والزاهر ١٢٧/٢ .

(٨) ينظر :البيهقي ٣٢٨ والراوندي ٣٩٧/٢ والكيدري ٢٤٤/٢ والخوئي ٢٩٢/١٤ والشيرازي ٣٨٢/٣ وأنصاريان ٣٧٨/٢.

(٩) ينظر: الأصوات اللغوية ٤٨ ودراسة الصوت اللغوي ٣٤٧ . (١٠) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٣ ص ٢٢٧ .

(١١) ينظر :الراونديّ ٣٤/٢وعبده٤/٢ومغنية ٢٧/٣ . (١٢) ينظر : المعتزلّي ٣٠٤/٧ .

يعضده في جرس اللفظ ، وذلك بامتداد الشين المكرر وتفشيه وهمسه ، فكل هذه الصفات توحي بضعف صوت الكشيش وخوره ، والمراد بكشيش الضباب في قوله (ع) هو « حكاية حالهم عند الهزيمة»[١] ، فكانهم ينسحبون من الميدان خلسة . وفرق كثير من الشّرّاح بين (كشيش الأفعى) و(فحيحها)، فذكروا ان الكشيش صوت الافعى من جلدها اذا تحرَّكت ، والفحيح صوتها من فيها إذا هَدَّدت[٢] ، وهذا الملحظ الدلالي الذي جاء به الشّرّاح ملائم لجرسي الشين والحاء، فالحاء نفحة في الحلق مهموسة لا يلتذ بسماعها لكزازتها ، وهو صوت صحراوي[٣] ، فيحاكي صوت الافعى من فيها ، وبين (الفحيح) و(الافعى) تناسب صوتي ، فهما يشتركان في الفاء والصوت المعتل ، واما العين فهو النظير المجهور للحاء ، فيبدو أنّ الافعى سّميت بصوتها كالقلّق والبطّ[٤].

المطلب الثاني : التكرار الصوتّي المزدوج .

أشار ابن جني الى نوع من التكرار الصوتي يفيد الدلالة على تكرير الفعل وترديده « وذلك انك تجد المصادر الرباعية المضعفة تاتي للتكرير نحو الزعزعة ، والقلقلة ، والصلصلة ، والقعقعة ، والصعصعة ، والجرجرة ، والقرقرة ... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر »[٥] . وقد ورد في متن النهج عدة الفاظ ضوعفت أصولها تضعيفا بفعل تكرار صوتين فيها لاسيما في باب (الفعللة) الذي يأتي الصوتان الاول والثالث ، والصوتان الثاني والرابع منه متشابهين كالجرجرة والشقشقة والهمهمة ، وقد اختصت هذه الامثلة بالدلالة على الاصوات الطبيعية بسبب مضاعفة بنائها الداخلي بتكرار الاصوات فيها . ولما كثرت الفاظ هذا البناء في متن النهج فسر الشراح دلالتها ضمن المحاكاة الصوتية التي تستحصل بترديد الصوت ، وينبثق نوع الصوت المردّد من جرس الاصوات المكررة او البناء المضاعف ، كما في الأمثلة الآتية .

١ - الشقشقة – الجرجرة

قال الامام (ع) في ختم خطبة له عرفت بالشقشقية : (... هَيْهَاتَ يا ابْنَ عبّاسٍ ! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ)[٦] ، وفسر الشراح[٧] الشِّقْشِقَةَ بكسر فسكون فكسر بانها شيء كالرئة يخرجه فحل الإبل من فيه إذا هاج ، ويسمى الصوت المسموع منها بالشَّقْشَقَة بفتح فسكون ففتح ، ويقال للخطيب : ذو شَقْشَقَة تشبيها له بالفحل . والمراد بقوله (ع) : (شِقشقة هَدَرتْ ثم قرَّت) أنّها سورة الْتهبت ثم خَمدت .

---

(١) عبده ٤/٢ . (٢) ينظر : الراونديّ ٣٤/٢ والمعتزلّي ٣٠٤/٧ والبحراني ١١٤/٣ وعبده٤/٢ والخوئي ١٥٤/٨ والتستريّ ٦١/٥ وأنصاريان٢٦٩/٢ وأبو الفضل ٢٨٦/١ والموسوي ٣٣٩/٢.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية٨٨ ودراسة الصوت اللغوي٣٩٨ (٤) ينظر: الخصائص ١٦٧/٢.

(٥) نفسه ١٥٢/٢ (٦) نهج البلاغة: الخطبة ٣ ص ٣٣ .

(٧) ينظر :الراونديّ١٣١/١والكيدريّ١٦٥/١والمعتزلّي٢٠٥/١ والبحراني ٢٥٤/١ وعبده٤٢/١ والخوئي١١٣/٣، ١٦٥/٧، والتستريّ٢٦٦/٥ ومغنية٩٣/٢ والشيرازي٧٦/١ وأنصاريان٨٠/١ والموسوي١٦٨/٢ وأبو الفضل٣٥/١ والسامرائي٢٢٤ .

وقريب من الشقشقة في محاكاة أصوات الجمل (الجرجرة) وهي في قوله (ع) في خطبة له لما غزا النعمان بن بشير - وهو من أصحاب معاوية- عين التمر : (... فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الجَمَلِ الأَسَرّ ...)[١] والجرجرة في الأصل لدى الشّراح صوت يردده البعير في حنجرته ، وأكثر ما يكون عند الإعياء والضجر ، واما الاسّر فنوع من المرض في زور البعير يفسد صوته ، ثم استعير في قوله لكثرة تململهم وشدة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم اليه[٢] . وهنا دل جرس كل لفظة على معناها مع انهما في الاصل صوتان للجمل ، فالشقشقة امضى واقوى وابين من الجرجرة ؛ لان الشقشقة صوت الجمل الهائج ، ولذا وصفت بالهدير في قوله (ع) المذكور آنفا ، واما الجرجرة فصوت الجمل الذي اعتراه سقم في أعلى صدره فذهب بصوته ولذا وصف بالجر . والجرس المضعف للشين والقاف يومئ الى انشقاق مجرى الهواء في الجوف بفعل قوة الصوت الشائع في المحيط أما جرس الجيم والراء المضعف فيوحي بالتثاقل والضجر وترديد المقاطع في مواضعها من النطق .

٢- الحمحمة – الخمخمة - الهمهمة .

وقف الشّراح على قوله(ع) في خطبة له يخبر فيها عن ثورة الزنج : (كَأَنّي بِهِ وقَدْ سارَ بالجَيْشِ الّذي لا يَكُونُ لَهُ غِبارٌ ولا لَجَبٌ ولا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ ولا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ)[٣] . ففسروا الحمحمة بأنّه صوت الفرس وهو دون الصهيل وذلك إذا طلب العلف أو رأى الذي يأنس به[٤] ورواه فريق منهم (الخمخمة) بخاءين وفسّره بأنّه صوت الفرس إذا قصّر في الصهيل[٥] وقد لاءم جرس الحاء في الحمحمة الدلالة على الصوت الذي يصدره الفرس في طلب العلف او عند ترحابه بمن يأنس به والحمحمة للفرس بمنزلة (الحنين للناقة) اما الخمخمة فجرس الخاء فيها يوحي الى اشتراك الانف في اصدار الصوت وهي بمنزلة (الخنين) الذي هو بكاء الإماء ، ويبدو ان الخمخمة انما كانت صوتا يعقب صهيل الفرس لان الخيول في صهيلها تبذل الجهد والنفس حتى اذا فرغت منه رجّعت زفيرها وتهافت صهيلها ليؤول الى الخمخمة التي هي مزيج من شهيق من الفم وزفير من الانف .

وفي قوله (ع) :(... وَهَماهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ)[٦] وفسّر الشراح الهماهم بأنّه جمع همهمة وهي ترديد الصوت في الصدر والهمهمة صوت خفي يسمع ولا يفهم منه شيء[٧]. ويبدو جرس اللفظة دالا على معناها ، فكان الصوت هو هاء مهتوتة هشة يصل صداها الى الشفتين فيرجع باطباقهما بالميم الى الجوف مرة اخرى فلا يفهمه احد .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٣٩ ص ٨٢.

(٢) ينظر : الراونديّ ٢٥١/١ والكيدريّ ٢٧٩/١ والمعتزلّي ٣٠١/٢ والبحراني ١٠١/٢ ومغنية ٤٧٢/١ والسامرائي ١٠٩

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٨ ص ٢٣٣-٢٣٤ .

(٤) ينظر : عبده١٤/٢ ومغنية٧٢/٣ والشيرازي٢٧٥/٢ وأنصاريان٤٢٧/١ والموسوي٣٦٤/٢ وأبو الفضل٢٧٩/١ .

(٥) ينظر : الخوئي ٤٠٨/٨ (٦) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٦٨ .

(٧) ينظر :البيهقّي٥٥ والكيدريّ ١٤٥/٢ والبحراني ٤٠٣/٣ والسرخسي ٩٩/١ ومغنية ٣٢٤/٥ وأنصاريان١/ ٣٠٣

٣- القلقلة - القعقعة

قال الامام (ع) في بعض ايام صفين : (قَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا) [١] والقلقلة لدى الشّراح صوت تحريك السيوف في أغمادها لئلا يصعب سلُّها من طول مكثها في الاغماد ، وهي محاكاة لصوت تحريك السّيف في غمده[٢] لان انبثاق حركة السيف ابتداء كأنه جرس القاف والحياد عن الاستمرار بالحركة والميل نحو نقطة البدء كأنه صوت اللام ومن هنا صلح القلقلة مصطلحا في باب التلاوة في اصوات (قطب جد) لأنها اصوات «تحفّز في الوقف وتُضغط من مواضعها »[٣] . وقريب من القلقلة في محاكاة صوت السلاح (القعقعة) وهي في قول الامام (ع) يخبر به عن ثورة الزنج : (لا لَجَبٌ ولا قَعْقَعَةُ لُجُم) [٤] وقعقعة اللجم عند الشّراح صوتها عند الحركة وهو ما يسمع من صوت اضطراب اللجم بين اسنان الخيل ثم شاع لدى العرب استعمال القعقعة لصوت السلاح ووجه الشيوع ان وقع السيف على السيف امضى في السمع من اضطراب اللجام في اسنان الفرس[٥] . وتشكيل القاف والعين انصع في السمع وامضى في الحس من تشكيل القاف واللام ومن هنا صلح القعقعة لمحاكاة صوت السلاح في الحرب وصلح القلقلة لمحاكاة صوت تحريك السيف في غمده .

وورد في متن النهج من نظائر (القلقلة) عدة الفاظ منها البلبلة لتفرق الالسن والجلجلة لصوت الرعد والزلزلة لتشقق الارض فالبلبلة وردت في قوله (ع) :(لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً)[٦] وفسرها اكثر الشّراح بالاختلاط يقال : « بلبلت الالسن بمعنى اختلطت ، أي يخلط بعضكم ببعض فإنّ الأحداث تخلط الناس اعاليهم بادانيهم »[٧] وفسّرها فريقٌ منهم بالاختلاف والتفرّق[٨] وفسّرها بعضهم بوساوس الصدر[٩] أو الالقاء في الهّم الشديد[١٠] أو التحريك بالشدائد والنوائب[١١] والراجح ان يكون بلبلة الالسن هو تفرقها لأن الامام (ع) لم يرد الاختلاط بل التفرق والتشتت وتتمة قوله (ع) يشهد على التفرق الشديد وهو الغربلة التي هي كناية عن التمزيق الذي لا يسلم منه الا الصالحون[١٢].

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٦٦ ص ١٠٤

(٢) ينظر : المعتزلّي ١٦٩/٥ والبحراني ١٧٩/٢ والسرخسي ٧٧/١ وعبده ١٢٤/١ والخوئي ٢٣/٥ ومغنية ٣٣٥/١ والتستريّ ٥٣١/٣ والشيرازي ٢٦١/٢ وأنصاريان ١٩٢/١ وأبو الفضل ١٣٢/١ والموسوي ٣٨٨/١ .

(٣) الموضح في التجويد ٩٤ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ١٢٨ ص ٢٣٣ . وينظر: البيهقّي ٢١٩ والروانـدي ٤٤/٢ والمعتزلّي ١٢٥/٨ والبحراني ١٣٧/٣.

(٥) ينظر : عبده ٢٦٢/١ والخوئي ٢٠٤/٨ والشيرازي ٧٥/٢ وأنصاريان ٤٣٠/١ وأبو الفضل ٢٩٧/١ والموسوي ٣٦٤/٢ .

(٦) نهج البلاغة: الخطبة ١٦ ص ٤٤.

(٧) المعتزلّي ٧٤/١ .

(٨) ينظر : البيهقّي ٩٧

(٩) ينظر: السرخسي ٥٨/١

(١٠) ينظر : الخوئي ٢١٨/٣

(١١) ينظر :الروانـدي ١٦٨/١ والكيدريّ ٢٠٠/١ .

(١٢) ينظر:عبده ٥٣/١

٤- الوحوحة – الوعوعة

وقف الشّرّاح على قوله (ع) في مدح أهل الكوفة لما هزموا جند الشام : (وَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِيْ أَنْ رَأَيْتُكُم بِأَخَرَةٍ تُحْوَزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُم) [1] وتكاد تطبق اقوالهم على ان الوحوحة صوت فيه بحّة أو خشونة أو شكاية يصدر عن المتألّم . وتفرّد الراونديّ بذكره أصل استعمال اللفظ وهو وحوح الرجل اذا نفخ في يده من شدة البرد[2] وفي خطبة للامام (ع) في لوم اهل الكوفة لتقاعسهم عن قتال العدو: (أَظُنُّكُم عَلَى الحَقِّ وأَنْتُم تَنْفِرُونَ عَنْهُ فُتُوْرَ المِعْزى من وعوعة الاسد)[3] لم يفصل الشّرّاح معنى وعوعة الاسد واكتفوا بتفسيرها بصوت الاسد[4] ويبدو من جرس اللفظة فضلا عن سياق الكلام انها ادنى صوت يصدره الاسد وهو يكفي لنفور المعزى ويستدل على معنى الوعوعة هذا بنظيره الوحوحة الذي طول الشّرّاح في تفسيره بانه صوت اقرب الى الخفاء والضعف لانه بحة وشكوى في جوف الانسان .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٧ ص ١٩٥ .

(٢) ينظر: البيهقّي ٢٠١ والراونديّ ٤٥٨/١ والبحراني ٣٦/٣ والسرخسي١٠٩/١ وعبده ٢٥٨/١ والخوئي٢٧٥/٧ومغنية ٤٣٣/٢.

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٣١ ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٤) ينظر : المعتزلّي ٢٦٤/٨ والبحراني ١٤٨/٣ وعبده ٢٦٧/١ و٢٠/٢ والخوئي ٢٥٦/٨ ومغنية ١٠٨/٣ والتستريّ ٤٥٣/٦ وأنصاريان٢٦/٢ والشيرازي ٢٨٨/٢ والموسوي ٣٨١/٢ وأبو الفضل ٣٠٤/١.

المبحث الرابع

دلالة الأداء الصوتّي في شروح نهج البلاغة .

المطلب الاول : دلالة النبر في شروح نهج البلاغة.

النبر في اللغة هو العلو والارتفاع وكل شيء رفع شيئا فقد نبره ومنه المنبر لعلوه ، او لرفع الصوت فيه[١] . ويبدو ان هذه الدلالة الواسعة خصصت – اولا- لدى العرب برفع الصوت ، يقال : نبر الرجل نبرة اذا تكلم بكلمة فيها علو[٢] ثم خصصت الدلالة – ثانيا- باستعمالهم النبر بمعنى الهمز ، والنبرة هي الهمزة[٣]. ووجه التخصيص أنّ الهمزة تنطق بضغط الوترين على مجرى الهواء فساغ تسمية الهمز بالنبر لوجود الضغط الموجب لرفع الصوت. والنبر مصطلح حديث ولم يعرفه القدماء ملمحا تمييزيا بين الكلمات ، بل لا يُعلم كيف كان العرب ينبرون كلماتهم لأنّ اللغويين القدماء لم يهتموا بتسجيل هذه الظاهرة[٤] لكن المحدثين من علماء العربية أقّروا وجود النبر في العربية بعد ان نقلوا المفهوم والتعريف به عن الغربيين . ثم خلصوا الى أنّ النبر يعني « الضغط على مقطع معين بزيادة العلو الموسيقي او التوتر او المدة او عدد من هذه العناصر معا بالنسبة الى عناصر المقاطع المجاورة ذاتها» [٥]. ثم فرق اكثرهم بين نوعين من النبر: الاول هو **نبر الكلمات** ومعه « لاتختلف معاني الكلمات العربية ولا استعمالاتها باختلاف موضع النبر فيها» [٦] والاخر هو **نبر الجمل** وهو ان يعمد المتكلم الى كلمة في جملته فيزيد من نبرها ويميزها على غيرها من كلمات الجمل رغبة منه في تأكيدها او الاشارة الى غرض خاص[٧] ومع نبر الجمل تختلف دلالة الجملة او الغرض منها تبعا لاختلاف الكلمة المنبورة فيها وقد مثّل ابراهيم انيس لذلك بقوله : « هل يعقل ان تنضح العين في وسط الصحراء في ثوان » فهذه الجملة الاستفهامية الطويلة لا يتضح معنى الاستفهام على نحو دقيق فيها دون رفع الصوت باحدى كلماتها لتبيان محل الاستفهام فيها وهكذا تتعدد أنماط الاستفهام في هذه الجملة تبعا لانتقال موضع النبر فيها من كلمة إلى اخرى[٨] .

---

(١) ينظر : الصحاح ١٠١٥.

(٢) ينظر: نفسه

(٣) ينظر : الجمهرة ٨٣٠/٢ (همز) والصحاح (نبر) .

(٤) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ٣٠٨ وينظر :التطور النحوي ١٧ والعربية الفصحى٤٩

(٥) دروس في أصوات العربية ١٩٤ وينظر : والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٢٦ ومعجم اللسانيات الحديثة ١٣٣ -١٣٤

(٦) الأصوات اللغوية ١٧٤ وينظر :مناهج البحث في اللغة ١٩٥

(٧) ينظر: الأصوات اللغوية ١٧٤ مناهج البحث في اللغة ١٩٥

(٨) ينظر: دلالة الألفاظ ٤٦-٤٧

وعلى الرغم من اهتمام معظم علماء اللغة المحدثين بالنبر نجدهم يبادرون الى الشكوى من صعوبة الخوض في هذه الظاهرة لانّ « دراستها في العربية الفصحى تتطلب شيئا من المجازفة لان العربية الفصحى لم تعرف هذه الدراسة في قديمها ولم يسجل لنا القدماء شيئا بشأنها »[١]. وتتضح صعوبة الخوض في موضوع النبر من انه « في العربية من

النوع غير التمييزي اي لا تاثير له في المعنى وأنّه وإنْ كان يسهل على السامع تمييزه فانه يصعب في الوقت نفسه على الدارس تحديده وتقعيده وهو أمر عانى منه الاصواتيون المحدثون من العرب وغيرهم» [٢]. ومما يزيد من صعوبة تلمس النبر في التراث العربي الفصيح انه ظاهرة صوتية شاعت في الكلام المنطوق وقلّما يدرك في المكتوب لان الكتابة لا تصور رفع المتكلم صوته او ضغطه على موضع معين من جملته[٣] وقد يعمد الباحثون عند تلمس النبر في النص المكتوب الى الشرح الطويل لتوضيح المراد ، وقلما يهتدي الباحث الى موضع النبر في النص المكتوب كما أراده قائله ؛ لان الاهتداء الى النبر بعد فقدان الاستماع الى النص المنطوق يحتاج الى ذائقة لغوية سليمة والى بعد نظر وقدرة على التأّمل ، بل يعتمد على الحدس والتخمين أحيانا وليس ادل على ذلك من اختلاف علماء الصوت المحدثين في تحديد مواضع النبر في بعض الفاظ العربية كالخلاف بين ابراهيم انيس وتمام حسان في تحديد موضع النبر في الكلمات التي تنتهي بمقطع مغلق قبله مقطع قصير نحو (شَجَرة) ، فابراهيم أنيس يوقع النبر على المقطع الثالث من الأخير وهو /ج –َ/ على حين يوقعه تمام حسان على الرابع من الاخير وهو /ش–َ/[٤] .

وعلى وفق ما سبق يمكن القول :إنّ شراح النهج لم يصرحوا بمسألة النبر بنوعيه – نبر الكلمات ونبر الجمل – تصريحا بيّنا بل المحوا الى ذلك وكنّوا عنه بأقوال يمكن حملها على إنّها تدخل في ما عرف لدى المحدثين بالنبر وأوضح ما أُثر عنهم في هذا الموضوع تفريقهم بين الألفاظ المهموزة وغير المهموزة تفريقا يومئ الى أثر النبر بمعناه الاصطلاحي القديم: (الهمز) في استقرار الدلالة وتخصيصها بعد ان كانت عامة مرسلة بغير النبر (الهمز) وهذا الملحظ يدرك في طائفة من الفاظ العربية يكسبها النبر (الهمز) نوعا من التخصيص كالفرق بين تاريخ وتأريخ فالمهموز خاص بزمن محدّد دلّ على حدث معروف والآخر عام يدل على مطلق الزمن الغابر[٥] ومن هنا نهى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) احدهم عن ان ينبر باسمه اذ قال: يا نبيء الله[٦] ؛ لان الهمز تخصيص وتضييق للنبوة بالنبأ فقط ، أّما عدم الهمز في (نبّي الله) فيدلّ على علّو المقام والمنزلة الرفيعة عند الله وبين الناس فضلا عن نقل الرسالة وإبلاغها وهذه معان تفوق معنى النبأ بمعنى الخبر .

---

(١) مناهج البحث في اللغة ١٩٧ وينظر: العربية الفصحى ٤٩ وعلم الأصوات اللغوية ١٣١.

(٢) المدخل إلى علم الأصوات العربية ٢٥٥ . (٣) ينظر :علم الدلالة (بالمر) ٢٢ .

(٤) ينظر : الأصوات اللغوية ١٧٠ ومناهج البحث في اللغة ١٩٦

(٥) ينظر :النبر في اللغة العربية ٤٧ .

(٦) ينظر : تصحيح الفصيح١/ ٣٤٤ والخصائص١/٣٨٤ والإتقان١/٩٨ والمنهج الصوتي للبنية العربية١٧٣ .

لقد كثرت أمثلة النبر بمعنى الهمز لدى الشّراح الذين أطبقوا على تخصيص الدلالة في الكلمات المهموزة بعد ان كانت عامة بغير الهمز . من ذلك ان الشّراح لما اوردوا قوله (ع) في وصّية له لابنه الحسن(ع) : (وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ)[١] فرّقوا بين الدنْيء بالهمز والدنّي بلا همز بأنّ المهموز ذو دلالة خصصت بالهبوط

والانحطاط لانه من الدناءة والخسة وغير المهموز ذو دلالة مطلقة عامة تدل على مطلق القرب من المكان لانه من الدنو بمعنى القرب[٢] وبمقدار رقي المكان وهبوطه تكتسب اللفظة (دنّي) معناها الدقيق إذ يقال : دنّي من الخير ودنّي من الشر وفي هذا التطويل نوع من التخصيص الذي يقترب من الهبوط احيانا .

ولما وقف الشّراح على قوله (ع) في خطبة عرض فيها للحجّ : (وَفَرَضَ عَلَيْكُم حَجَّ بَيْتِهِ الحَرَامِ الّذي جَعَلَهُ قِبْلَةً للأنامِ يَرِدُونَهُ وُرُوْدَ الأنْعامِ ويَأْلَهُونَ إليهِ وُلُوهَ الحَمَامِ) [٣] روى فريق[٤] منهم (يولهون) بالواو وهو مضارع من الوله بمعنى الوجد وروى فريق[٥] اخر (يألهون) بالهمز ويحتمل معنيين: الاول ان يكون مشتقا من الوله ايضا ولكنه بالهمز يفيد الدلالة على الوله الشديد حتى يكاد العقل يذهب ويعضد هذا الوجه وجود الواو فاء للمصدر (وله) المذكور بعده وهنا تخصيص للدلالة بعد ان كانت مطلقة في يولهون والثاني ان تكون الهمزة في يألهون أصلية يقال: اله ياله كفرح يفرح بمعنى فزع ولاذ[٦]. ومنع الشّراح ان يكون يألهون مضارعا من الألوهة بمعنى العبادة لأن هذا المعنى غير متأتٍ للحمام إلا على المجاز والمعنى عكف عليه كأنه يعبده[٧] وفيه تمحل وبعد في المجاز وهو مردود بالاشتقاق (وله) الحمام وهذا دليل على ان الواو فاء للكلمة[٨] . ويفهم من ميل الشّراح الى تلمس اكثر من وجه لتفسير اللفظ المهموز يألهون انهم يدركون اختلاف المعنى بين اللفظ المهموز وغيره وهذا قادهم الى تخصيص الدلالة في يألهون تارة وتوجيه اللفظ الى معنى اخر تارة اخرى.

ووقف الشّراح على قوله (ع):(وَقَدْ كَرِهْتُ أنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُم أنّي أُحِبُّ الإطراءَ واسْتِماعَ الثَّناءِ)[٩]. وذكروا أنّ الاطراء يحتمل أن يكون مصدر أطريت فلانا اذا مدحته بأحسن ما فيه وبالغت في مدحه وجاوزت الحد بالثناء عليه ويحتمل ان يكون مصدر اطرأت بالهمز بمعنى مدحته فحسب[١٠] وهنا افاد نبر عين الفعل (أطرأته) تخصيص

---

(١) نهج البلاغة الرسالة ٣١ ص ٥٠٨ .

(٢) ينظر : الراونديّ ١١٤/٣ والمعتزلّي ٩٤/١٦ والبحراني ٤٥/٥ وعبده ٥٣/٢ والخوئي ٣٠/٢٠ والسرخسي ٢٥٩/١ ومغنية ٩١/٣ والتستريّ ٣٩٥/٨ والشيرازي ٧٠/٤ وأبو الفضل ١٩٣/٢ والموسوي ٢٦٢/٤ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١ ص٢٤. (٤) ينظر : المعتزلّي ١٢٣/١ وأبو الفضل ٢٤/١ والسامرائي ٣٦٧ .

(٥) ينظر : الراونديّ ١٠٦/١والبحراني ٢٢٣/١ والسرخسي ٤٤/١ والخوئي ٢٣/٢ .

(٦) ينظر :التستريّ ١١٢/١ وعبده ٣١/١ . (٧) ينظر: التستريّ ١١٢/١

(٨) ينظر: المقاييس ٨٤ ، ١١٠٤ والقاموس المحيط ١١٤٤ . (٩) نهج البلاغة : الخطبة ٢١٦ ص ٤٢١

(١٠) ينظر : البيهقّي ٣١٨ والراونديّ ٣٥٧/٢ والمعتزلّي ١٠٢/١١ والبحراني ٤٦/٤والسرخسي ١٨٣/١وعبده ٤٦٢/١ والخوئي ١٥٠/١٤ومغنية ٢٧٤/٣ والتستريّ ٤٤٦/٦ وأبو الفضل ٢٦/٢ والشيرازي ٣٨٣/٣ والموسوي ٤٩٦/٣ وأنصاريان ٤٤٧/٢ .

الدلالة على حدث واحد هو المدح لمرة واحدة في مناسبة معينة وهذا مفهوم من ضيق مجرى الهمزة وانحسار جرسها أما أطريته فيدل على تواصل المدح وتواليه والمبالغة فيه وهو معنى يفهم من اتساع مجرى الياء وامتداد جرسه .

ووقف الشّراح على قوله (ع) في توبيخ أصحابه : (كَم أُدَارِيكُم كَما تُدَارى البِكَارُ العَمِدَةُ والثِّيَابُ المُتَدَاعِيَةُ)[1] ففسّروا المداراة بالمماشاة مع الآخرين وغضّ الطرف عن عقوبتهم ومقاطعتهم[2] . وبرز الراونديّ بين الشّراح في هذا الموضع بقوله:« المدارأة بالهمز المدافعة وبغير الهمز الملاينة» [3] . وهنا قلب نبر المقطع /ر – ً/ معنى اللفظة الى الضد وهو الدفع لان الدرء هو الدفع على حين افاد عدم الهمز فيه ان تدل اللفظة على استعمال اللين واللطف مع الاخرين . وجرس الهمزة بما فيه من انطباق حنجري يقطع النفس في موضع النطق يومئ الى التدافع على حين لاءم جرس الالف الممتد بلا عائق الدلالة على اللين وقد سمّي العرب نظيري الألف وهما : الواو والياء حرفي لين إذ سُبقا بحركة مغايرة أو اذا تحرّكا.

وكلّ ما سبق ذكره يدخل في نبر الكلمات وثّمة نوع آخر من النبر لم يهتدِ إليه الشّراح على الرغم من كثرة أمثلته في متن النهج هو نبر الجمل وتظهر أمثلته جلّية في قوله (ع) لابنه محمد بن الحنفية لّما أعطاه الراية يوم الجمل : (تُزُولُ الجِبَالُ ولا تُزَلْ ! عَضَّ عَلى ناجِذِكَ ، أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ ، تِدْ فِي الأَرْضِ قَدَمَكَ) [4] فالقارئ يدرك أنّ ثمة كلمة هيمن جرسها على أجراس أخواتها في التركيب فصار معنى التركيب العام مؤتلفا لأجلها لأنها اختصار لتطويله . ولو تتبعنا قوله (ع) كلمة فأخرى لأدركنا ان لفظة (ولا تزل) تستدعي رفع الصوت بها إشعارا بالثبات وتأكيدا على عدم الزوال البتة وان الكلمة (عضّ) في الجملة الثانية تنبثق صادحة باسلوب الامر الحقيقي الذي يستدعي القيام بالفعل على وجه الاستعلاء بغية بعث العزيمة ودفع الهمة . وان لفظ الجلالة (الله) يستدعي نطقه مد الصوت وتطويله بغية تأكيد معنى الإيمان والتوحيد والشهادة وإشعار المتلقي بأنه تعالى أولى بأن تبُذل له الجماجم والأرواح لأنه خالقها ابتداء وقابضها أخيرا . وكلمة (تِد) التي تشكل وحدها مقطعا مغلقا يُشعر معناها بأنّ ما بعدها من الالفاظ (في الأرض قدمك) تأكيد لها وعضد لمعناها ومن هنا لابدّ من رفع الصوت بأسلوب الامر الحقيقي في (تد) للتدليل على هيمنة جرس اللفظة على سائر أجزاء التركيب .

ومثل هذا قوله (ع) في ذّم ناس وصفوه بالكذب : (قَاتَلَكُم اللهُ فَعَلى مَنْ أكذبُ ؟ أَعَلى اللهِ فأَنا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَم عَلى نبيِّهِ فأَنا أَوّلُ مَنْ صَدَّقَهُ)[5] وفي هذين السؤالين وجوابهما أربع كلمات تستدعي نطقا بصوت مرتفع او متموج

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٦٩ ص ١٠٧.

(٢) ينظر : البيهقّي ١٤٥/١ والمعتزلّي ١٠٣/٦ والبحراني ١٨٨/٢ والسرخسي ٧٧/١ وعبده ١٢٧/١ والخوئي ١٢١/٥ ومغنية ٣٤٣/١ والتستريّ ٥٨٥/١٠ والشيرازي ٢٧٠/١ والموسوي ٤٠٩/١

(٣) الراونديّ ٢٩٥/١ . (٤) نهج البلاغة : الخطبة١١ ص٤٠ . (٥) نفسه : الخطبة ٧١ ص ١٠٩.

بارتفاع بغية إبراز معنى الانكار والاستهزاء والسخرية من الذين نعتوه بالكذب فـ(الله ونبيه) يقرآن بتموُّج الصوت في السؤال الانكاري لإظهار الدهشة والاستغراب والإنكار و(أوّل) في الموضعين تقرأ بإشباع التشديد بالواو ورفع الصوت بمقدار كاف لإبراز سبقه (ع) الى الايمان بالله والتصديق بنبيه .

وثّمة محاولة جديرة بالذكر قام بها عبد الصبور شاهين الذي انتقى مقطعا من خطبة الامام (ع) في ابتداء الخلق قال فيها : (فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبحانَهُ فقدْ قَرَنَه وَمَنْ قَرَنَه فقد ثّناه وَمَنْ ثّناه فقد جزَّأه وَمَنْ جزَّأه فقد جهله وَمَنْ جهله فقد أَشَارَ إِلَيه وَمَنْ أَشَارَ إِلَيه فقد حدَّه وَمَنْ حدَّه فقد عدَّه وَمَنْ قال فيمَ فقد ضمّنه وَمَنْ قال علامَ فقد أخلى منه ، كائنٌ لا عَنْ حدثٍ مَوْجُودٌ لا عَنْ عَدَمٍ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُقَارَنَةٍ وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُزَايَلَةٍ)[1] . ثم تلّمس شاهين مواضع النبر بنوعيه نبر الكلمات ونبر الجمل ، واجتهد في اضفاء نوع من الدلالة على كل موضع ثم خلص الى القول : « للقارئ أن يتخّيل أداء هذه الجمل المتتابعة على نحوٍ يشدّ إليها أسماع النّاس ويستأثر بإعجابهم »[2].

المطلب الثاني : التنغيم في شروح نهج البلاغة

التنغيم تفعيل من النغمة التي هي جرس الصوت وحسنه في القراءة[3] وفي الاصطلاح هو « عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين»[4] أو « هو تغيير في الأداء بارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام العادي للدلالة على المعاني المتنوعة في الجملة الواحدة»[5] ومعظم التعريفات تجمع على أنه ارتفاع الصوت وانخفاضه في اثناء الكلام[6]. وهو من مصطلحات الصوت التي تغير المعنى فتبرز الدلالة الصوتية جلية مع تنغيم الكلام لا سيما في التراكيب المتشابهة في طريقة استعمال الكلمات ونظمها كالخبر والنفي والاستفهام والتعجب باستعمال الاداة **ما** وذلك « ان العرب ترفع الصوت بما النافية الجاحدة وتخفض الصوت بالخبرية وتمكن بالاستفهامية بحيث تصير بين بين اي بين النافية والخبرية... »[7] .

وعلى الرغم من ان جلّ الاصواتيين المحدثين فصلوا بين النبر والتنغيم في كتبهم نجد اقوالهم قد تداخلت في تقعيدهم لهاتين الظاهرتين فضلا عن التمثيل لهما بل وصل التداخل احيانا الى الاصطلاح للظاهرتين فسمى بعضهم التنغيم بالنبر الموسيقي[8] ويلحظ هذا التداخل جليا من حد فريق من العلماء نبر الجمل بانه رفع الصوت باحدى كلمات الجملة [9] وهذا الحد يدخل المسألة في موضوع التنغيم ذلك ان رفع الصوت بكلمة معينة من الجملة يواكب

---

(١) نهج البلاغة الخطبة١ ص ١٨ . (٢) علم الأصوات /الدراسة ٢٠٠ .

(٣) ينظر :الصحاح ١٠٥٦ والمصباح المنير ٦١٤/١ .

(٤) أسس علم اللغة ٩٣ (٥) علم الأصوات اللغوية ١٣٧

(٦) ينظر: دراسة الصوت اللغوي١٩٤ومناهج البحث في اللغة١٦٤وعلم اللغة العام / الأصوات٢١٢والمدخل إلى علم اللغة١٠٦.

(٧) المدخل إلى علم أصوات العربية ٢٥٧ وينظر : المختصر في أصوات العربية١٧٧

(٨) ينظر: علم الأصوات ، الدراسة ٢٠٩ . (٩) ينظر: الأصوات اللغوية ١٧٤ .

خفضه في كلمات اخرى فيتدرج صوت المتكلم بين الارتفاع والهبوط وهو ينطق جملته وهذا ابين حدود التنغيم على وفق ما قال تمام حسان: « التنغيم هو ارتفاع الصوت وانخفاضه في اثناء الكلام»[1] . وما يهّمنا في هذا المقام أن للتنغيم في العربية أهمية كبيرة في التفريق بين المعاني - ففضلا عن التمييز بين الأساليب التي يأتي نظمها موحَّدا

فتختلف دلالتها بحسب نوع التنغيم المصاحب نطقها - يكون التنغيم هو الفيصل في الاهتداء الى عدة اغراض اخرى لاتظهرها الكتابة كالتهكُم والزجر والموافقة والرفض والاستغراب والدهشة[٢] . ولذا اجتهد الكتبة العرب في انشاء علامات تعين على فهم المكتوب فهما دقيقا سّموها علامات الترقيم .

وللقدماء جهود بينة في هذا الموضوع وان فاتهم الاصطلاح الدقيق له فهو يتضح لدى سيبويه[٣] من تنوع الدلالة في التركيب الواحد في مثل قول القائل: أتاني رجل . فيقال له : ما أتاك رجل . فهذا يحتمل الاخبار عن العدد أو الجنس او النوع . وألمح الجاحظ[٤] الى أثر لغة الجسم من الاشارة باليد والرأس والتفتل والتثّني في فهم التركيب وهذه التعبيرات تصاحب نغمة الكلام فتعين على مقصد المتكلم من عبارته . ويقترب ابن جني[٥] من الاصطلاح لهذه الظاهرة بعد أن سّماها مطلا وتمطيطا في الصوت .

وتظهر اهمية التنغيم في متن النهج بوضوح في عدة مواضع أولها: التفريق بين الجملة الخبرية والجملة الاستفهامية والجملة التعجبية ، وقد تنبه الشّراح على ان فقدان النغمة سّوغ لهم القول بتعدد الاوجه الكلامية في تفسير بعض تراكيب النهج. وثانيها : خروج الاساليب الطلبية عن دلالاتها الحقيقية الى دلالات اخرى وحينئذ فان التنغيم هو الفيصل في التمييز بينها. والاخير : الافصاح عن خواص مسائل التحذير والاغراء والنداء والندبة والاستغاثة فهذه المسائل يدل التنغيم عليها على نحو جلي. وقد استدل الشّراح بالتنغيم فضلا عن السياق في شرح متن النهج وفهم معانيه فميزوا بين أساليبه بدقة والمحوا الى اثر التنغيم في التدليل على المدلول الدقيق لجملة من التراكيب التي يوحي ظاهرها بمعنى اخر، إذ تلمس الشّراح لها معاني خفية ضمنية يبدو اثر التنغيم جليا في الاهتداء اليها وفي ما ياتي امثلة لتلك التراكيب التي قالها الامام (ع) :

- والذي نفس ابن ابي طالب بيده .

وقف الشّراح على قوله (ع) لأصحابه في ساحة الحرب :(والَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ)[٦] وفهم المعتزلي من هذا أنّ الإمام (ع) يحرض اصحابه ليجعل طباعهم مناسبة لطباعه واقدامهم على الحرب مماثلا لاقدامه على عادة الامراء في تحريض جندهم وعسكرهم[٧] .

---

(١) مناهج البحث في اللغة ١٩٨ .
(٢) ينظر: التشكيل الصوتي ١٣٩ والمدخل إلى علم أصوات العربية ٢٥٩ والأصوات ووظائفها ١٥٦ والمصطلح الصوتي ٢٦٥ والتحليل اللغوي ٥٢ -٥٣ والمفارقة القرآنية ٤٦ .
(٣) ينظر :الكتاب ٥٥/١ .
(٤) ينظر : البيان والتبيين ٧٩/١ .
(٥) ينظر : الخصائص ٣٧١/٢
(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٣ ص ٢٢٧ .
(٧) ينظر: المعتزليّ ٣٠١/٧

وفهم الشيرازي من النص انه حلف بالله مع استعماله على التهديد[١] . ولو فصل هذا القول لقيل ان القسم بالذي نفس ابن ابي طالب بيده لم يستعمل على حقيقته في تاكيد النص فحسب بل تفُهم منه معانٍ أُخر هي التحريض على قتال العدو كما فهم المعتزلّي . والتهديد بعذاب النار ان تقاعس احد الجند عن الجهاد كما فهم الشيرازي . وظلال المعنى

هذه تظهر جلية عند الاستماع الى جملة القسم منطوقة إذ يرفع الصوت بنغمة صاعدة بدءا من **والذي** ثم تأخذ النغمة بالهبوط تدريجيا حتى الفراغ من جملة القسم[٢] .

- قرّت إذن عينه

قال الامام في ذم الدنيا وملذاتها: (أَتَمْلَؤُ السَّآمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكُ؟ وَتَغْبَى الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ؟!قَرّتْ إِذَنْ عَيْنُ إِذا اقْتَدَى بَعْدَ الدِّينِ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الهَامِلَةِ وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!) [٣] وقد اطبق الشراح[٤] على ان قرة العين برودها وهي كناية عن الراحة والأمان كما في قوله تعالى بشان مريم (عليها السلام) ﴿**فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا**﴾[٥] ولكن الامام اورد العبارة دالة على الضد من معناها الاصلي وهو الانكار والاستهزاء ، قال البحراني : « قرت إذن عينه : إخبار في معرض الإنكار والاستهزاء باللذة كقوله تعالى :﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾[٦] »[٧]. وهو لدى التستري ((كلام تهكمي))[٨] .ولو فصّل هذين القولين لقيل : إنّ جملة (قرّت إذن عينه) صدرت منه (ع) بنغمة هابطة مشوبة بلغة جسمية توحي بالتهكم والسخرية والرفض وإشاحة الوجه عن فعل البهائم .

وقد كثر في متن النهج استعمال الالفاظ بالدلالة على المعنى النقيض المضاد للمعنى الظاهر على وفق (قرّت عينه) من ذلك (قاتلكُم الله) و(لا أبَ لك) و(تربت يداك) و(ويلُ اّمه) و(ويحَك) فهذه الفاظ ان حملت على الظاهر فهي دالة على الذم وتحافظ هذه التراكيب على معناها الظاهر مع النغمة الصاعدة الموحية بالدعاء والتربص بقتال الله او فقدان المعين او الفقر المدقع لكن معناها ينقلب الى الضد بالنغمة الهابطة لتدل على التعجب والغبطة والمدح وقد اهتدى الشّراح الى هذه الدلالات الدقيقة مستدلين بالسياق وملمحين إلى أثر التنغيم في فهم الدلالة وسيأتي تفصيل هذه الأمثلة في مبحث التضاد السياقي من الفصل الخامس .

---

(١) ينظر: الشيرازي ٢٥٣/٢

(٢) ينظر: مناهج البحث في اللغة ١٦٥ ودراسة الصوت اللغوي ٣٦٦

(٣) نهج البلاغة ، الكتاب ٤٥ ص ٥٣٥

(٤) ينظر : الراوندي ١٥٥/٣ والمعتزلّي ٢٩٥/١٦ والبحراني ١١٧/٥ والخوئي ١٥٥/٢٠ والتستري ٣٩٧/٦ .

(٥) مريم ٢٦ . (٦) الدخان ٤٩

(٧) البحراني ١١٧/٥

(٨) التستري ٣٩٧/٦.

- طوبى لمن ذكر المعاد

قال الامام (ع) : (طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ ، وَقَنَعَ بِالْكَفَافِ وَرَضِيَ عَنِ اللهِ)[١] وقال الامدي في تتمة شرح الخوئي : « طوبى لمن ذكر الحساب الجملة اسمية خبرية في مقام الدعاء او التحسر او التغبط باختلاف المقام ومقتضى المقام الاول»[٢]

وتفصيل هذا القول أنّ (طوبى ...) جملة خبرية تفيد الدلالة على عدة معان دقيقة بحسب اختلاف المقام الذي استدعى استعمال التركيب وهنا يختلف تنغيم الجملة تبعا لاختلاف ذلك المقام . فنغمة الدعاء للميت يشوبها التموج الصوتي بين الهبوط والارتفاع لابراز معاني التضرع وطلب الرحمة والعفو والتذكير بالموت والبكاء على فقد الاحبة . واما نغمة التحسر على شيء فات فيخفت معها الصوت كثيرا وتبرز فيها لغة الجسم من نحو صفق الايدي وحركة الراس نحو الجانبين . واما نغمة الغبطة فتكون صاعدة صادحة بكلمة طوبى بغية اظهار معنى تمني دوام الخير للجميع المفهوم من الغبطة.

- أنت تكفيني؟

وقع جدال بين الامام (ع) وبعض الصحابة فقال المغيرة بن الأخنس للصحابي والامام يسمع: أنا أكفيكه . فقال الامام له: (يا بنَ اللَّعِينِ الأَبتَرِ والشَّجَرَةُ التِي لا أَصْلَ لَها ولا فَرْعَ أَنتَ تَكْفِينِي ؟ فَوَاللهِ ما أَعَزَّكَ اللهُ مَنْ أَنتَ ناصِرُه ولا قَامَ مَنْ أَنتَ مُنْهِضُه)[٣] وقد فسر الشّراح **انت تكفيني** بانه استفهام محذوف الاداة على سبيل الانكار والاستحقار له[٤]. وواضح ان نغمة الاستفهام انت تكفيني تبدو هابطة في استطالة لتبرز معنى السخرية والاستحقار والتصغير وقد اغنت هذه النغمة عن اداة الاستفهام المحذوفة . ولو أريد الخبر في **انت تكفيني** لكانت النغمة صاعدة مستقرة بغية الاخبار بإظهار المدح والاحترام تجاه المخاطب .

وقد كثر في متن النهج حذف اداة الاستفهام مع بقاء المعنى جليا ظاهرا من دونها لوجود عدة قرائن دالة على الاستفهام ومنها التنغيم[٥] .

---

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٤٤ ص ٦٠٩ .

(٢) الخوئي ٨٢/٢١

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٣٥ ص ٢٤٣

(٤) ينظر : المعتزلّي ٣٠٣/٨ والبحراني ١٦٣/٣ و٣٠٣/٣ والخوئي ٣٢٥/٨ .

(٥) ينظر: المعتزلي ٣٢٥/٩ والبحراني ٥٤/٤ ، ٦٩/٤ ، ٧٦/٤ والخوئي ١٧/٩ ، ٢٣٥/١٤ و.....

المطلب الثالث: الوقف والابتداء في شروح نهج البلاغة.

الوقف والابتداء ظاهرة صوتية تقوم على السكت بين الألفاظ والجمل المُتَحَدَّث بها بغية تنظيم الكلام إذ تضفي هذه الظاهرة على الألفاظ والعبارات أداء يؤثر في السامع من حيث حسن الاستماع وشدة الإصغاء وفهم القصد على نحو دقيق. وهي ظاهرة ذات ملامح تمييزية تفرق بين المعاني المتعددة تبعا لاختلاف مواضع الوقف والابتداء[١]. ولذا

حظيت هذه الظاهرة بعناية علماء العربية قديما وحديثا وأخذت صدى واضحا لدى مجودي القرآن الكريم . ومن ثم خصّها كثير من علماء العربية بالتأليف كابن الأنباري في كتابه إيضاح الوقف والابتداء والنحاس في كتابه القطع والائتناف وأبي عمر الداني في كتابه المكتفي في الوقف والابتداء ، وآخرين كثر أطبقوا على أن الوقف والابتداء يكون فصلا بين المعاني المتعددة فضلا عن كونه استراحة للمتحدث ينظم بها نفسه ويعيد نشاطه أثناء الحديث أو القراءة[٢] .

قال ابن الجزري :« لما لم يكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد ولم يجز التنفس بين الكلمتين في حال الوصل بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة وتعيين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة وتحتم أن لا يكون ذلك مما يخل بالمعنى ولا يخل بالفهم إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد »[٣].

ولهذ الظاهرة أثر بين في ترتيل القرآن وتجويده إذ «جاء عن علي (رضي الله عنه) أنه سئل عن قوله : ﴿ **أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا** ﴾[٤] قال :الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقف »[٥] .

وشرط الوقف أن يكون مما يحسن الكلام معه ويتم المعنى به وإلا فهو وقف قبيح بل قد يكون ممتنعا لأنه يحرف الكلم عن مواضعه ويصرف المعنى عن مراده كالوقف على قوله تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ** ﴾[٦]. ومنه ما نقل في الأثر: « أنه أسلم رجلان في عهد الرسول (ص) فشهد أحدهما قائلا: أشهد أن من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن لم يطعهما ، ثم توقف عن الكلام فقال له رسول الله : قم واذهب بئس الخطيب أنت »[٧] . وممّا نقل عن الخليفة أبي بكر (رض) أنه لقي رجلا يقود ناقة فقال له : أتبيعها ؟ فقال الرجل : لا عافاك الله . فقال له أبو بكر (رض) : لا تقل هكذا بل قل :لا وعافاك الله[٨]. وقد طوّل القدماء في ذكر أحكام الوقف التي تعددت بحسب نوع الكلمة الموقوف عليها متمكنة أم غير متمكنة؟ صحيحة أم معتله أم مهموزة ؟ اسما أم فعلا أم حرفا ؟ آخرها مضموم أم مفتوح أم مكسور ؟ وكذا أنواع الوقف التي منها التام والناقص والكافي والحسن والقبيح وغير ذلك مما يطول المقام بتفصيله[٩] .

---

(١) ينظر : المدخل إلى أصوات العربية ٢٦٢-٢٦٤ والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٢-٥٢٦.

(٢) وينظر : إيضاح الوقف والابتداء ١/١٣-١٧١ والقطع والائتناف ٥٤-٥٧ والمكتفي في الوقف ٣-٥ .

(٣) النشر : ١/٢٢٤ -٢٢٥ (٤) المزمل ٤ . (٥) النشر : ١/٢٠٩ .

(٦) الماعون ٤ . (٧) المكتفي في الوقف ١٠٣ . (٨) ينظر : نفسه ٤ .

(٩) ينظر : الكتاب ٤/١٦٨ وشرح الشافية ٢/٢٧١

ولم ينل الوقف والابتداء عناية علماء الصوت المحدثين ربما لأنهم لم يظفروا بجديد يمكن أن يستدركوه على القدماء بشأن هذه الظاهرة . وعلى الرغم من ذلك أشار المحدثون إلى نوع من الوقف بين أجزاء الكلام شاع لديهم باسم (المفصل) « وهو عبارة عن سكته خفيفة بين كلمات ومقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية آخر»[١] وذكروا من أمثلته قول الشاعر[٢] :

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَة فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَة

فما بين (ذا) و(هبة) في صدر البيت سكتة مفصلية تدل على أن المعنى هو عدم الهيبة وليس في (ذاهبة) التي في العجز سكت لأنها من الذهاب . وكذا قول الآخر[٣] :

عَضَّنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَا بِهِ

فبين (بنا) و(به) في عجز البيت سكت يميزه من معنى اللفظ المجانس له في الصدر.

وهذا النوع من الفصل غايته الرئيسة الدلالة على مكان انتهاء لفظ أو مقطع وبداية آخر غيرهما وهو بهذا المعنى لا علاقة له بموضوع الوقف والابتداء الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بتغيير الدلالة تبعا لاختلاف موضعه[٤].

وقد خلت شروح النهج مما عرف لدى المحدثين بالمفصل الذي هو سكت مقطعي يفرق بين معاني الكلمات لا التراكيب أو يدل على مكان انتهاء اللفظ وبدء لفظ آخر. على حين زخرت الشروح بأمثلة الوقف والابتداء كما عرفها القدماء في القرآن الكريم . وانفرد الشارح البحراني من بينهم في حدّ هذه الظاهرة ناقلا عن سابقيه أنها جوهر البلاغة وأنها ظاهرة يشوبها الغموض لا سيما في النصوص المكتوبة ومنها متن النهج الذي وصل إليه كذلك قال: « حاصل معرفة الفصل والوصل يعود إلى معرفة مواضع العطف والاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف مواقعها وهو باب عظيم عند البلغاء ولذلك جعله بعضهم حد البلاغة فقال :إذا سئل عن معناها فإنّها معرفة الفصل والوصل ما ذاك إلا لغموضه وكون معرفته مؤدية للمعاني كما هي »[٥] .

أما الشّراح الآخرون فبرعوا في الاهتداء إلى مواضع الوقف والابتداء في متن النهج وأثر ذلك في اختلاف دلالة التراكيب . من ذلك أنهم لما وقفوا على قوله (٤) : (وَاعْلَمْ أَنّ الرّاسِخِينَ فِي العِلْمِ هُمُ الّذِينَ أَغْنَاهُم عَنْ اقْتِحَامِ السُّدَدِ المَضْرُوبَةِ دونَ الغُيُوبِ ، الإقرارُ بِجُمْلَةِ ما جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الغَيْبِ المَحْجُوبِ ، فَمَدَحَ اللهُ تَعَالى اعْترافَهُمْ بالعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً)[٦] شرحوا هذا مستشهدين بقوله تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[١] ثم فصل فريق منهم مواضع الوقف في هذه الآية وأثره في تغيير المعنى فقال المعتزلّي :« إن من الناس من وقف على قوله تعالى (إلا الله) ومنهم من لم يقف على ذلك وهذا القول أقوى من الأول لأنّه إذا كان لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله لم يكن في إنزاله ومخاطبة المكلفين به فائدة بل يكون كخطاب العربي بالزنجية ومعلوم أن ذلك عيب قبيح »[٢] . ولذا

---

(١) أسس علم اللغة ٩٥ وينظر :أبحاث في أصوات العربية ٦١ ومحاضرات في اللسانيات ٢٦١.

(٢) البيت لأبي الفتح البشتي كما في الإيضاح للقزويني ٣٩٤.

(٣) ذكره المحدثون من دون عزو ينظر : أبحاث في أصوات العربية ٦٢ ودراسة الصوت اللغوي ٣٦٥ والتحليل اللغوي ٥٥.

(٤) ينظر: أبحاث في أصوات العربية٦٩ والمدخل إلى أصوات العربية ٢٦٣ .

(٥) البحراني ١/ ٥٨ . (٦) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٥٠ .

أعرب المعتزلّي (يقولون) بأنه « يمكن أن يكون نصبا على الحال من الراسخين ويمكن أن يكون كلاما مستأنفا أي هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون : آمنا به »[٣] أي أن المعتزلّي يضعّف الوقف على (إلا الله) ويقوي الوقف على (العلم). لكن شرُّاحا آخرين عارضوا ما ذهب إليه المعتزلّي إذ جوَّز أنصاريان أن يكونَ الوقف على (إلا الله) وحينئذ يكون المتشابة مّما خصّ الله به ذاته فقال: « المراد بالمتشابه ما يشمل كنه ذاته وصفاته -سبحانه- مما استأثر الله بعلمه وعلى هذا فمحل الوقف في الآية (إلا الله) كما هو المشهور بين المفسرين والقراء فتفيد اختصاص علم المتشابه به سبحانه»[٤] فأنصاريان ينسب إلى معظم المفسرين الوقف على (الله) ويعرب ما بعده استئنافا على أنه مبتدأ وخبر وعلق بهذا قائلا: « وهو بظاهره مناف لما دلت عليه الأخبار المستفيضة من أنهم عليهم السلام يعلمون ما تشابه من القرآن »[٥] ولذا جّوز أنصاريان الوقف على (العلم) كي يعطف الراسخين بالعلم على الله في كونهم يعلمون المتشابه أيضا فالجملة « يقولون حال من الراسخين أو استئناف موضّح لحالهم »[٦] ثم اجتهد أنصاريان في التأويل كي يوفق بين المعنيين المفهومين من الوقفين توفيقا يحفظ للراسخين بالعلم اطلاعهم على علم المتشابه في كلا الوقفين ، بعد أن أدرك اختلاف دلالة التراكيب بهما . لكن التستريّ منع أن يكون الراسخون في العلم عطفا على الله مستدلا بظاهر كلام الإمام علي (ع) المذكور آنفا . فضلا عن إعراب الآية الذي لا يستقيم بعطف الراسخين على (الله) قال : « إنه وإن اختلفت الخاصة والعامة في الآية ﴿**والراسخون في العلم**﴾ عطف على (الله) أو مستأنف إلا أن كلامه (ع) دالّ على الثاني وهو الظاهر من الآية حيث إنّه لو كان عطفا لكان الأنسب أن يقال : (ويقولون) لا (يقولون) وتأتي فيه زيادة كلام»[٧] أما ما أطبق عليه معظم المسلمين وهو أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه لأن الله علمهم « فلا ينافي ذلك علم النبي وأوصيائه بتأويل القرآن فإن علمهم به بوحيه وإلهامه فعلم تأويله من علم الغيب وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى** ﴾[٨] »[٩] والرسول (ص) وأوصياؤه ممن رضي عنهم الله وأرضاهم باطلاعهم على تأويل متشابه القرآن .

ولما وقف الشّراح على قوله (ع) لبعض أصحابه وقد ابتنى دارا: (مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هذِهِ الدّارِ في الدُّنيا ؟ وأَنْتَ إِلَيها فِي الآخِرَةِ كُنتَ أَحْوَجَ؟ وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِها الآخِرَةَ ، تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ وتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ)[١] . ذكر بعضهم أن « جملة تقري فيها الضيف يجوز أن تكون حالا من بها ويجوز أن تكون استئنافا بيانيا ، فإنه (ع) لما قال له إن شئت بلغت بها ، فكأنه سأل عن كيفية البلاغ فقال تقري فيها الضيف »[٢]. وفي حال كون الجملة **تقري فها الضيف** استئنافا يكون الوقف على **الآخرة** أما إذا كان حالا فالوقف على **الرحم .**

---

(١) آل عمران ٧ . (٢) المعتزلّي ٤٠٤/٦ . (٣) نفسه ٤٠٤/٦ .
(٤) أنصاريان ٢٧٠/١ . (٥) نفسه ٢٧٠/١ . (٦) نفسه ٢٧٠/١ .
(٧) التستريّ ٢١٣/١ (٨) الجن ٢٦-٢٧ . (٩) التستريّ ٢١٣/١ .

ولما أورد الشّراح قوله (ع) يصف من يتصدى للحكم وليس لذلك بأهل : (تَصُرُّ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ وَتعِجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ إِلَى اللهِ مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً وَيَمُوتُونَ ضُلاَّلاً)[٣] ذكر فريق من الشّراح أن الرواية في « كثير من النسخ **إلى الله أشكو** فمن روى ذلك وقف على **المواريث** ومن روى الرواية الأولى وقف على قوله **إلى الله** ويكون قوله **من معشر** من تمام صفات ذلك الحاكم أي هو من معشر صفتهم كذا »[٤] .

ووقف الشّراح على قوله (ع) في حمد الله عزوجل : (مُتَوَحِّدٌ إِذْ لا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ لاَوَيَسْتَوحِشُ لِفَقْدِهِ)[٥] فذكر الراونديّ أن قوله (ع) (لا يستوحش) كلام مستأنف فيكون الوقف على(به)[٦] وعارض المعتزلّي الراونديّ بقوله : «كيف يكون كلاما مستأنفا والهاء في (فقده) ترجع إلى السكن المذكور أولا» [٧] فرجح كون لا يستوحش عطفا على يستأنس ليكون الوقف على (فقده) . وفهم أنصاريان من قول المعتزلّي هذا أنه يرى أن « كلمة لا في لا يستوحش لفقده تأكيد للنفي السابق أي : ولا سكن يستوحش لفقده . أو تكون زائدة كما في قوله تعالى:﴿ **مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ**﴾[٨] »[٩]. وانتصر الخوئي للراوندي من المعتزلّي بقوله :« لا يستوحش لفقده جملة استئنافية كما ذكره القطب الراونديّ وإيراد الشارح المعتزلّي عليه بأنه كيف يكون مستأنفا والهاء في فقده ترجع إلى المذكور فاسد جدا »[١٠]. ثم ذكر الخوئي وجهين لفساد قول المعتزلّي : الأول إن وجود الضمير لا ينافي الاستئناف كما لا ينافيه وجود الواو وهذا بعينه مثل قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ يُعِيدُهُ** ﴾[١١] بعد قوله: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ** ﴾[١٢]. فقد ذكر أنه جملة مستأنفة نظرا إلى أنّ إعادة الخلق لم تقع بعد فيقّروا برؤيتها. والثاني إنه لو لم يكن كلاما مستأنفا فلا بد وأن يجعل معطوفا إما على جملة الصفة (يستأنس) أو على الموصوف مع صفته وكلاهما غير ممكن لوجود لا النافية في (لا يستوحش) التي لا يستقيم الإعراب إلا بزيادتها وهو غير ممكن في القرآن[١٣] .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٩ ص ٤٠٨ .

(٢) الخوئي ١٢٤/١٣ وينظر: الراونديّ ٣٢٩/٢ والبحراني ١٦/٤-١٩ والتستريّ ٣٧٨/٦والشيرازي ٣٠٣/٣.

(٣) نهج البلاغة :الخطبة١٧ ص ٤٨ .

(٤) المعتزلّي ٢٨٥/١- ٢٨٦ وينظر : أبو الفضل ٥٧/١

(٥) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨

(٦) ينظر: الراونديّ ٥٠/١

(٧) المعتزلّي ٨٢/١

(٨) الاعراف ١٢ .

(٩) أنتصاريان ٤٤٦/٢

(١٠) الخوئي ٣٤٣/١-٣٤٤

(١١) العنكبوت ١٩ .

(١٢) العنكبوت ١٩ .

(١٣) ينظر: الخوئي ٣٤٤/١

الفصل الثالث

الدلالةُ الصَّرفّيةُ في شروحِ نَهْجِ البلاغةِ

- توطئة :الدّلالة الصّرفّية قديما وحديثا.
- المبحثُ الأّولُ : الدلالةُ الصرفّيةُ لأَبنيةِ الأسْماءِ المجرَّدةِ .
- المبحثُ الثّاني : الدّلالةُ الصرفّيةُ لأبنيةِ الأسماءِ المزيدةِ بحرفٍ .
- المبحثُ الثّالثُ : الدلالةُ الصرفّيةُ لأبنيةِ الأسماءِ المزْيدةِ بحرفينِ فأَكثَر .
- المبحثُ الرّابعُ : الدلالةُ الصرفّيةُ لأبنيةِ الأفعالِ .

توطئة : الدلالة الصرفّية قديمًا وحديثًا .

حدّد العلماء نوعًا من الدلالة الصرفّيةُ يستمدّ من ترتيب الحروف والحركات والسكنات في الألفاظ ، فما تشابه منها في ذلك يكون مجتمعًا في صيغة واحدة تنماز من غيرها من الأبنية بدلالة معينة مستقاة من هيأة الحروف أو طريقة

صوغها وتعاقبها ،أو زيادتها بمقدار معّين .إذ نّبه القدماء على أن كلَّ زيادة في المبنى موجبة لزيادة في المعنى .وهذا النوع من الدلالة يقترن بأبنية العربية قديمها وجديدها .ويُعَدّ كتاب سيبويه منهلا ثّرا لكل الباحثين عن معاني أبنية العربية ، فلم يترك بناء إلا وساق معه معانيه المفهومة من أمثلته ، وفي عدة مواضع جهر سيبويه بما أخذه عن الخليل من مداليل الأبنية[١]. وقد يدلّ البناء الواحد على معنى واحد أو على عدّة معان .

ثّم توالت جهود الخالفين في إقرار هذا النوع من الدلالة فبرع منهم في تلّمس أمثلته ابن قتيبة والمبرد وابن السراج والفارسي وابن جني وابن سيده والزمخشري وابن يعيش وابن الحاجب وابن عصفور و الرضّي الاستربادي[٢] وآخرون . لكن مباحثهم فيه جاءت مبعثرة من دون تبويب ولا يجمعها حدّ جامع ولا اصطلاح معروف ، لأنّ هذا النوع من الدلالة معروف لديهم بأمثلته . ويبدو أنّ الكفويّ أّول من صرح بتعريف الدلالة الصرفية التي سّماها : (معنى الصيغة) . إذ بّين إن للفظة نوعين من الدلالة : الأول ، دلالة لغوّية تفهم من اللفظة نفسها. والآخر، دلالة الصيغة وهي المستمدة من طبيعة ائتلاف الحروف الأصول والزوائد والحركات والسكنات على نسق معين متشابه فقال : « كلُّ لفظ له معنى لغويّ وهو ما يفهم من مادّة تركيبه ومعنى صيغي وهو ما يفهم من هيأته أي حركاته وسكناته وترتيب حروفه لأن الصيغة اسم من الصوغ الذي يدلّ على التصرّف في الهيأة لا في المادة »[٣]. وقال أيضا في التفريق بين دلالة الألفاظ ودلالة الأبنية : « ما دلّ عليه أصل التركيب فهو دلالة اللّغة ، وما دلّت عليه هيأته فهو دلالة الصيغة »[٤].

لقد انصبّ اهتمام القدماء على الألفاظ ومعانيها وكأّنهم يعلمون أن جيلا من الخالفين سيرميهم بالقُصُور والتقاعس عن الاهتمام بالألفاظ دون المعاني ، إذ عقد ابن جني بابا في الردّ على من ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني قال فيه : « ويدلّك على تمكّن المعنى في أنفسهم وتقدّمه للفظِ عندهم ، تقديُمهم لحرفِ المعنى في أّول الكلمة ، وذلك لقّوة العناية به فقدّموا دليله ليكون ذلك أمارة لتمكّنه عندهم ،وعلى ذلك تقدّمت حروف المضارعة في أّول الفعل إذ كنَّ دلائل على الفاعلين: من هم؟ وما هم؟ وكم عِدّتهم؟ نحو: أَفْعَلُ وَنَفْعَلُ وتَفْعَلُ وَيَفْعَلُ »[٥].

---

(١) ينظر : الكتاب ٤/١٤-٣٧ وأبنية الصرف ١٣-١٤ .

(٢) ينظر : المصادر والمشتقات في لسان العرب٢٠٩-٢١٣ .

(٣) الكليات ١٤٢/٥ .

(٤) نفسه ٣٢٦/٥ .

(٥) الخصائص ٢٢٥/١-٢٢٦.

وانماز الخوئي من سائر شّراح النهج بحدّ واضح لبنية اللفظ التي سّماها بالهيأة فقال : « الهيأة جزء اللفظ إذ هي عبارة عن عدد الحروف مع مجموع الحركات والسكنات الموضوعة وضعا معينا »[١]. وصرح بأن لكل بنية دلالة معينة تجتمع عليها كلّ الألفاظ التي تضطّم عليها تلك البنية ، فالفعل الماضي مثلا يدلّ بهيأته (فَعَلَ) على حدوثه في الزمن الماضي، والمضارع يدل بهيأته (يَفْعَلُ) على استمرار الحدث وغير ذلك[٢].

أمّا المحثون فقد توالت جهودهم في تلمُّس معاني أبنية العربيّة من الأسماء والأفعال ، ويبرز منهم الباحثان العراقيان الدكتور هاشم طه شلاش (رحمه الله) في كتابه أوزان الفعل ومعانيها ، والدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني الأبنية في العربية. لكن الملاحظ في تلك الجهود أنها فرّقت البحث في مدلول البناء الواحد بين عدة مداليل فلم تجمع الدلالات المستمدّة من البناء الواحد في بحث شامل يشير بوضوح إلى أوجه العلاقة بين هذه المداليل بعد أن ظفرت جميعها بالبناء نفسه فقد تكون الدلالة متعددة في الظاهر ولكّنها متّحدة إذا ما أُلعم النظر واتّسع الإدراك . ثم إنّ تلك الدراسات جميعها أطبقت على مقوله واحدة في الصرف العربي لم تنفكَّ منها مع تقادم العهد وتجدد الدرس ، وهي مسألة تناوب الصيغ التي فتحت بابا واسعا من تحريف الكلم عن مواضعه فصار من العسير معها الظفر بالمدلول الدقيق لجملة من ألفاظ العربية فترت هّمة الصرفيين عن إدراك معناها بما هي عليه من هيأة فعمدوا إلى التأويل فيها وهو تأويل قادهم في الغالب إلى القول بنيابة صيغة أدركوا استقامة المعنى معها عن صيغة أخرى استغلق عليهم فهم السياق بها .

وقد نّبه المعتزلّي على أنّ القول بالنيابة الصرفّية يُبعِد اللفظ عن معناه ويحّرف الكلم عن مواضعه ، من ذلك أّنه لّما وقف على قوله (ع) من كتاب له إلى معاوية: (فَاتَّقِ اللهَ فِيما لَدَيْكَ ... فإِنّ لِلطّاعَةِ أَعْلاًما واضِحَةً ، وَسُبُلاً نَيِّرَةً وَمَحَجَّةً نَهْجَةً ، وَغَايَةً مُطّلَبَةً)[٣] فسّر الغاية المطلبة بأّنها « مُساعفة لطالبها بما يطلبه تقول : طلب فلان منّي كذا فأطلبته أي أَسْعفت به »[٤] وأنكر على الراونديّ قوله : « مطّلبه بمعنى مُتَطَلّبه يقال :طلبت كذا وتطلّبته »[٥] فعلّق به قوله : « هذا ليس بشيء ويخرج الكلام عن أن يكون له معنى »[٦] ، يريد أن المطّلب غير المتطلّب فلا يجوز تفسير أحدهما بالآخر على وفق ما يرد في النيابة الصرفّية .

ومن هنا جاء البحث في هذا الفصل قائما على جمع مداليل البناء الواحد في مطلب واحد كي يسهلَ النظر في أواصر قرباها ، وتلّمس سُبل الاتّصال بينها . فضلا عن إنكار مسألة تناوب الصيغ في الأمثلة كلّها . وبغية تحقيق هذه الغاية سار البحث في هذا الفصل مراعيا أنواع الأبنية من حيث التجرد والزيادة في أربعة مباحث ثلاثة منها للأسماء وواحد للأفعال .

---

(١) الخوئي ١٤/١
(٢) ينظر: الخوئي ١٤/١
(٣) نهج البلاغة ر ٣٠ ص:٤٩٥
(٤) المعتزلّي ٦/١٦
(٥) الراونديّ ٨٥/٣
(٦) المعتزلّي ٦/١٦

المبحث الاول

دلالة أبنية الأسماء المجّردة .

الأسماء المجّردة في العربّية أكثرها ثلاثّي وقسم منها رباعّي وقليل منها خماسّي ، فأّما الرباعّية والخماسّية فتكاد تنحصر دلالاتها على أسماء الذات . وقلما تجاوز ذلك لتدلّ على الصفات والمبالغة والجمع والمصادر. ولذا اختصّ

هذا المبحث بتتبع دلالات الاسم الثلاثي الذي يأتي في العربية على عشرة أبنية[١] هي :(**فَعْلى** ، **فَعْلى** ، **فِعْل** **فَعَل** ، **فَعِل** **فُعْلى** ، **فُعْلى** ، **فُعْلى** ، **فِعْلى** ، **فِعِل**.) ويجري مجراها ما لحقته تاء التأنيث منها.

لقد وردت عدّة أمثلة في متن النهج لهذه الأبنية جميعا سواء كانت مذكرة أم مؤنثة ؟ . وقد برع الشّراح في تلّمس مداليل معظم أمثلة هذه الأبنية وفترت همتهم عن إيضاح الدلالة لبعضها ، ولذا وقف هذا المبحث على الأبنية المبرّزة التي عني الشّراح بتلمُّس معانيها كما في المطالب الآتية :

المطلب الأول : معانيَ فَعْل- فَعْلة

كثُرت أمثله (فَعْلى) في متن نهج البلاغة ففرّقها الشّراح على عدّة دلالات هي :

١ - فَعْلٌ مصدرا[٢] .

شاع (فَعْلٌ) مصدرا للثلاثي المتعدي نحو: (نَحَتَ نَحْتاً) و(طَعَنَ طَعْنًا) و(رَفَضَ رَفْضًا) و(أَمِنَ أَمْنًا) و(شَرِبَ شَرْبًا) و(ضَمَّ ضَمًّا) . ونقل ابن سيده عن أئمة اللغُة قبله أنّهم يرون أنّ الأصل في الأفعال الثُلاثّية كلّها أنْ تأتي مصادرها على (فَعْلى) لأنّه أخفّ الأبنية[٣] . ولذا برّز الشّراح دلالة (فَعْلى) على المصادر في كثيرٍ من المواضع ، وذلك بتفسيرها بمصادر أخرى اختلفت عنها في الوزن واتّحدت معها في الاشتقاق كما في أقوالهم : « الأمن : الأمان »[٤] ، و« سَلْما اي اسْتسلاما »[٥] و« المَهْل: الإمهال»[٦] ، و« الجَهْد بفتح الجيم: الاجتهاد»[٧]. ولم يكتفوا بالتلميح – على نحو ما سبق – في ابراز دلالة امثلة (فَعْلى) على المصادر ، بل اعتمدوا على التصريح في كثير من المواضع بذكرهم لفظة (مصدر) لا سيما في حال مجيء المصادر في موضع الحال ، نحو قوله (ع) : (وَيْلُ امِّهِ كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ)[٨] ، فـ « كَيْلا انتصب لأنّه مصدر في موضع الحال »[٩] . ولا يعني هذا أن شراح النهج مسلمون بتوافق الدلالة بين أمثلة النهج التي على (فَعْلى) وبين الأمثلة التي أوردوها في تفسيرهم ، إذ توالت أقوالهم في التفريق بين

---

(١) ينظر : التكملة ٣٩٩-٤١٣.

(٢) ينظر : الكتاب ٥/٤ والمقتضب ١٢٤/٢ والأصول ١٨٦/٣ والتكملة ٥٠٧ واللمع ٤٨ والمفصل ١١١.

(٣) ينظر : المخصص ١٣١/١٤-١٣٢ .

(٤) عبده١١٩/٣ .

(٥) المعتزلّي ١٣١/١٤

(٦) مغنية ١٤٨/٢ .

(٧) البحراني ١٤/٤ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٧ ص :٢٧ .

(٩) انصاريان ٢٠١/١

مصادر هذا البناء والمصادر التي على أبنية أخرى كتفريقهم بين (الأَخْذ) و(المُؤاخذة) ، بأنّ الأخذ يعني العقاب والمؤاخذة بمعنى المُحاسبة[١]. وكذا الفرقُ بين (العَدو) و(العُدوان) و(العَداوة) و(المُعاداة) و(العدواء). فـ «العَدْو التجاوز ومنافاة الالتئام ؛ فإن كان بالقلب يقال له : العداوة والمُعاداة . وان كان بالمشي يقال له : العَدْو . وإنْ كان بالإخلال في العدالة يقال له : العُدْوان وإنْ كانَ في أجزاء الموضع يقال له : العَدْواء »[٢].

وفي عدة مواضع فرق الشّراح بين المصادر التي على (فَعْلى) والمصادر التي تختلف عنها بحركة واحدة تفريقا قائما على طبيعة تلك الحركة ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك في الدلالة الصوتية . ومن امثلته فضلا عمّا سبق قول المعتزلّي : « السَّقي مصدر سقيت والسِّقي بالكسر النصيب من الماء »[٣]. وقوله : «الَوسم التأثير والسِّمة الأثر»[٤]. وقول الخوئي :« الزُّعم بالضم اعتقاد الباطل بلا تقوُّل وبالفتح اعتقاد الباطل بتقوِّل ، وقيل بالفتح قول مع الظن ، وبالضم ظن بلا قول »[٥] . وتفريق المعتزلّي بين (الوسم والسِمة) ردٌّ على الصرفيين الذين أخرجوا (السِمة) من (وسم) بحذف واو الوسم وتعويضها بتاء في السمة ، لأن الحذف والتعويض لا يؤدّي فارقا دلاليا . وهو ردّ مقبول لو التزَم به في النظائر نحو : (فِئة) و(فَيْء) ، إذ عاد المعتزلّي إلى مقالة الصرفيين : « الفئة الطائفة والهاء عوض من الياء التي نقصت من وسطه واصله فَيْء مثال فيع لانه من فاء»[٦]. فلم يفرق بين الفئة والفيء مع ان الفرق واضح ، وقد ذكر جانبا منه عرضا ، وهو ان الفئة جماعة بشرية على حين لا يفيد الفيء هذه الدلالة ، فضلا عن ان ما لحقته التاء يخرج عن المصادر إلى حيّز الاسماء . ومن هنا كانت (السمة) أثرًا للوسم الذي هو الحدث المطلق (المصدر) ، فالوسم مصدر والسمة اسم مصدر.

٢ - فَعْلٌ اسُم مصدر[٧] :

ثّمة أمثلة في متن النهج وردت على (فَعْلى) فسّرها الشّراح بأنّها أسماء مصادر وهي في الأصل مصادر لكّنها فقدت الدلالة على الحدث ، وبهذا فسّروا كلمة (نَهج) في التركيب (نهج البلاغة) الذي هو عنوان المجموع من خطب الامام علي (ع) ورسائله وحكمه . إذ قال المعتزلّي : «النهج هنا ليس بمصدر بل هو اسم للطريق الواضح نفسه »[٨]

---

(١) ينظر : السرخسي٢/٢٢٥ .

(٢) البيهقّي٣٨ وينظر: البحراني١/١٤٢ وانصاريان١/٣٠٠ .

(٣) الخوئي ٦/٧٤ .

(٤) المعتزلّي ٩/١٨٠ .

(٥) انصاريان١/٣٥٩ .

(٦) المعتزلّي٧/٤٦ .

(٧) ينظر:الأمالي النحوية ٤/١٢٦والتسهيل ١٤٢وأوضح المسالك ٤/١٦١وشرح التصريح٢/٦١ والأشباه والنظائر ٢/١٨٥.

(٨) المعتزلّي ١/٥٤

والفرق بين المصدر واسم المصدر اذا اتحدت البِنى هو إنّ المصدر يدلّ على الحدث واسم المصدر يدل على الأثر الحاصل بالحدث . وهذا ما وضّحه الدكتور ابراهيم السامرائي لّما وقف على لفظة (سَعْر) من قوله (ع) في استنفار الناس الى اهل الشام: **(لَبِئْسَ –لَعَمْرُ اللهِ – سَعْرُ نَارِ الحَرْبِ أَنْتُمْ ! تكُادُوْنَ ولا تكِيْدُوْنَ)**[١] **.**

إذ قال السامرائي :« السَّعْر في الأصل مصدرُ قولك : سَعَر النارَ مثل خَفَضَ ، وكأنّ المصدّر قد صُرف إلى الاسم والُمراد الَوقُود »[٢]. لكنّ الشراح المتقدمين رأوا أنّ (سَعْر) « جَمع ساعرٍ كقولك : قَوم كَظْم للغيظِ جَمْعُ كاظِم »[٣].

ويبدو أنّ دلالة (فعل) على الأسماء تدخل في باب التغليب ، ذلك أنّ المصدر حدثٌ مطلق وعندما يظهر أثره في بعض الأسماء الشّائعة المعروفة يغلب لفظ المصدر على لفظ الاسم لدى الناس فالسَّعْر هو الإيقاد ، ولكن لّما كان السعر يظهر جليا في (الحَطَب) دون غيره من الأسماء القابلة للايقاد خُصّ الاسم بلفظ المصدر من باب التغليب او التخصيص او التلازم ، وكذا (نهج البلاغة) غَلب على غيره من طرق البلاغة وسبلها وصار علما لهذا السفر الخالد ومثل هذا أمثلة (فَعْلى) التي قيل : إنّها معدولة عن المصادر الى المفعولين والفاعلين والجموع على ما سيأتي .

٣- فَعْلى بمعنى مَفْعول .

أقرّ السابقون دلالة (فعل) على المفعول ، ومن أشهر أمثلته : هذا ضَرْبُ الأمير بمعنى مضروبه[٤]. وبهذا فسّر بعضهم (النّهب) في قوله (ع) لبعض أصحابه وقد سأل عمّا لا يعنيه : (..وَدَعْ عَنْكَ نَهْبًا صِيْحَ فِي حَوَاتِهِ .)[٥] ، وفي قوله (ع) في الخطبة الشقشقيَّة : (أَرَى تُرَاثِي نَهْبًا)[٦] . فقد ذكروا أنّ (نَهْب) في الموضعين بمعنى (مَنْهُوب) ؛ لأنّ النَّهب هو ما ينهب من المال والإبل[٧] . ومن أمثلتهم لهذه الدلالة (الخَلْق) في قوله (ع): (الحَمْدُ للهِ ...الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دائِمًا إذْ لا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ... لاوَخَلْقٌ ذو اعْتِمَادٍ)[٨] ، فتكاد تُجمع أقوالهم على ان الخلق بمعنى المخلوقين ، والمعنى: لا مخلوق يسعى برجلين فيعتمد عليهما[٩].

ويمكن القول: إنّ (فَعْل) باقٍ في هذه الأمثلة دالاً على المصادر. فالنهب لفظ دال على كل ما ينهب أو يصلح للنهب دون التقيد بالزمن الماضي الذي دل عليه اسم المفعول[١٠] (المنهوب) وهذا هو حد المصدر ،وكذا الخلق يدل على كل ما خلق وسيخلق ومن التحريف تخصيصه بالمخلوقين السابقين .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٣٤ ص:٧٦ (٢) السامرائي ٢٠٣-٢٠٤ .

(٣) المعتزلّي٢٧/٧ وينظر: البيهقّي ١٢٤ والراونديّ ٣٢٩/١ والكيدريّ ٢٦٣/١ والبحراني ٧٨/٢ .

(٤) ينظر : الكتاب٤٣/٤ وشرح المراح ٣١ . (٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٢ ص:٢٨٨ .

(٦) نهج البلاغة الخطبة ٣ ص ٢٩.

(٧) ينظر : البيهقّي ١٢٤والراونديّ٢٣٩/١والكيدريّ٢١/٢والمعتزلّي ١٥٣/١ ، ٢٤٥/٩ ، ٨/١٩ والبحراني ٢٧٥/٣ و٣١٩/٥.

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٩٠ ص :١٤٦-١٤٧.

(٩) ينظر :الراونديّ٣٧٣/١والمعتزلّي٣٩٤/٦والبحراني ٣١٦/٢وعبده١٩٧/١ومغنية٤٥١/١والتستريّ ١٨٩/١والشيرازي٣٣/٢.

(١٠) ينظر: معاني الأبنية ٥٩-٦٠.

وأكثر ما عمد الشّراح إلى التسليم بأنّ هذه الأمثله منقولة إلى المفعول ؛ لأنّهم وجدوها كثيرة في موضع الحال وهي مصادر جامدة فأقّروا تأويلها بالمشتقات ومنها اسم المفعول وفاقا للنحويين[١] ،كما في قوله (ع):(وَيْلُ امِّهِ كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ)[٢] ، فكيلا منصوب على الحال مع إنّه مصدر جامد لأنّه مؤوّل باسم المفعول (مكيل)[٣] .

وفي مواضع أخرى فسّر الشّراح أمثلة (فعل) بالدلالة على المصدرية ، ثّم قادهم التوسُّع في إيراد التراكيب المختلفة الى القول بالتحول لاستغلاق المعنى عليهم مع التركيب الجديد ، من ذلك لفظتي :**الرفض والترك** في قوله (ع)

:(أُوصِيْكُم بالرَّفْضِ لِ هذِهِ الدُّنيا التَّارِكَةِ لَكُم وإِنْ لَم تُحِبُّوا تَرْكَها)[٤]. فقد صرّح بعضهم بأنّ (الرفض) و(الترك) مصدران لـ(فَعَلَ) المتعدّي ، إذ أورد المعتزلي قول العرب : إبلٌ رَفْضٌ وتَرْكٌ ، وفسّره بالمفعول أي : مرفوضة ومتروكة[٥] . ولا شكّ أنّ المفهوم من قولهم : إبل تَرْك ورَفْض غير المفهوم من قولهم : مرفوضة ومتروكة ؛ لأنّها عندما توصف بالمصدر تصبح كأنّها مختصة بهذا الوصف ملازمة له في كلّ حين ، وعندما توصف بالمفعول يتحدد زمن الترك الرفض بالمضّي وحده ، فضلا عن تخصيص الفاعلين الرافضين التاركين بطائفة قليلة ، وأما الوصف بالمصدر فالزمن فيه مطلق وكذا عدد الفاعلين غير محدد .

٤- فَعْل بمعنى فاعل[٦] .

فسّر الشّراح تبعا للسابقين كثيرا من امثلة (فَعْل) بالدلالة على (فاعل) ، من ذلك (عَدْل) و (فَصْل) في قوله (ع) من خطبة له وصف بها النبي (صلى الله عليه وآله) : (...ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَخُطْبَةٍ فَصْلٍ)[٧]. فالمعنى لديهم : ذو منطق عادل لا جور فيه عن الحق وخطبة فاصلة للحق عن الباطل[٨] . وعضدوا هذه الدلالة بقوله تعالى :﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ** ﴾[٩] أي فاصل بين الحقّ والباطل[١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ **أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا** ﴾[١١] أي : غائرا[١٢].

---

(١) ينظر : شرح عمدة الحافظ ٤٤٤-٤٤٦ وارتشاف الضرب٣/٣٣٦ والبهجة المرضية ١٨٩

(٢) نهج البلاغة خ ٧ ص:٢٧ .

(٣) ينظر: الكيدريّ ١٣٠/١ والمعتزلّي ٢٠٩/٧ والبحراني ٣٠٩/٤ والسرخسي ٤٠/١ وأبو الفضل٢٥٨/١ وأنصاريان ٢٠١/١

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٩ ص:١٨٠.

(٥) ينظر : المعتزلّي٨٢/٧ .

(٦) ينظر: الكتاب ٤٣/٤ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٧٢ ص:١١٢.

(٨) ينظر :الروانـدي ٢٠٣/١ والكيدريّ ٣٥٦/١ والمعتزلّي١٤٣/٦ والبحراني ٢٠٥/٢ والسرخسي ٧٩/١ وعبده ١٣١/١ والخوئي ١٩١/٥ ومغنية ٣٥٣/١ والتستريّ ٣٢٠/٢ وأبو الفضل ١٤٠/١ .

(٩) الطارق ١٣.

(١٠) ينظر: الكشاف ٢٤٢/٤.

(١١) الملك ٣٠ .

(١٢) ينظر: الكشاف ١٣٧/٤.

وأكثر ما فسّر الشّراح أمثلة (فُعل) بالدلالة على (الفاعل) إذا كانت في موضع الحال ، من ذلك (كذبا وبغيا) في قوله (ع) : (أَيْنَ الَّذِيْنَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُوْنَ فِي العِلْمِ دُوْنَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا)[١] ، إذ هُما منصوبان على الحالية من فاعل (زعموا) وهما بمعنى الفاعل ، اي: كاذبين باغين[٢]. وكذا ما في قوله (ع) محذّرا من الشيطان (... وَرَمَاكُم مِنْ مَكَانٍ قَرِيْبٍ... قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيْدٍ وَرَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيْبٍ)[٣].فـ(قذفا ورجما) بمعنى :قاذفا وراجما؛ لأنّهما مصدران منصوبان على الحال مؤوّلان بالمشتق الذي هو اسم الفاعل[٤].

وهذه النيابة كسابقاتها غير مسلم بها ؛ لان (فُعل) ليس كـ(فاعل) في المعنى من عدّة امور منها : إنّ (فعل) عام في الوصف غير مقّيد بزمن لأنّه مصدر في الأصل ، على حين يقّيد (فاعل) موصوفه بزمن وحدث معلومين[٥] ، وإنّ (فُعل) أبلغ وآكد في الوصف من (فاعل) ، ومن وصف بـ(فُعل) صار كأنّه الحدث نفسه ، فقولنا:(رجل عدل) يدخل في باب التشبيه البليغ الذي اقره أهل البيان وهو التشبيه الذي يحذف معه وجه الشبه وأداته نحو : فلان أَسَد . فالاسم « إذا وُصف بالمصدر صار كأنّه في الحقيقة مخلوقٌ من ذلك الفعل ، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إيّاه »[٦] وقد صّرح بعض الشّراح بأنّ إسناد أفعال العُقلَاء إلى أمثلة (فَعْلى) لا يخرجها عن المصدرية لأنّه داخل في الاستعارة ، من ذلك ما ورد في قوله (ع) يحثّ على التقوى : (أُيقِظُوا بِهاَ نَوْمَكُمْ)[٧] ، إذ قال الكيدريّ : « هذا من الاستعارات البليغة والمبالغة البديعة حيث أمر بإيقاظ النوم نفسه دون النائم ويناسبه بوجه ما قولهم : جدَّ جَدُّه »[٨] ، يريد أنّ إسناد الافعال الى هذه المصادر وإيقاعها عليها ليس محمولا على النيابة والتضمين بل هو من باب التشبيه بالآدميين الفاعلين او المفعولين وفي هذا نكتة بلاغية استدعاها السياق لا تستحصل من الخطاب المباشر الحقيقي . وكان أكثر الشراح[٩] قد ضمَّنوا (نومكم) معنى (نائمكم) لأنّهم وجدوا النوم مأمورا بالايقاظ وهو مما لا تصح مخاطبته فعمدوا الى القول بالنيابة كي يستقيم المعنى لهم .

وقد صرح فريق من الشّرّاح بان نيابة (فُعل) عن (فاعِل) وردت في أمثلة قليلة لا يقاس عليها وهي لا تتّضح الا إذا كان (فُعل) وصفا . من ذلك إنَّهم لّما اوردوا قول الإمام (ع) في حمد الله تعالى : (الحَمْدُ للهِ الذِّي...لا يَنَالُهُ

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٤ ص:٢٥٣

(٢) ينظر :الراونديّ ٧٠/٢ والكيدريّ ٦٤٥/١ والمعتزلّي ٨٦/٩ والبحراني ١٨٨/٣ والخوئي ١٧/٩ والتستريّ ٤٨/٣ والشيرازي ٢٣٢/٢ وأنصاريان٥٠/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ص:٣٦٢

(٤) ينظر :الرواندي٢٣٨/٢ والكيدريّ٣٤٤/٢ والمعنزلي٢٣٩/١٣ والبحراني ٢٤٥/٤ والخوئي٣٨٤/١١ ومغنية ١١٥/٣والتستريّ٣٦٦/١٤.

(٥) ينظر: شرح المفصل ٨٢/٦ وشرح الكافية ٢٢٠/٢ وشرح الشافية ٧٤/٤ والبهجة المرضية ٢٥٦-٢٥٧.

(٦) الخصائص ٢٥٩/٣-٢٦٠.

(٧) نهج البلاغة : خ ١٩١ ص:٣٥٧.

(٨) الكيدريّ٣١٩/٢.

(٩) ينظر :المعتزلّي٢٢٠/١١والبحراني ٢١٣/٤ وعبده٢٣٣/١ والخوئي٢٢٠/١١ والشيرازي١٦٧/٣.

غَوْصُ الفِطَنِ)[١]. جّوز بعضهم ان يكون (غوص) مصدرا بمعنى الفاعل ، فقال : « يجوز أنْ يكون غوص ها هنا مصدر بمعنى الفاعل كقولهم : فلان عَدْل اي عادل ، وقوله تعالى : ﴿**إنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً**﴾ أي :غائرا فيكون المعنى لا تناله الفطن الغائصة اي التأمُّل العميق»[٢]. ورفض أكثرهم دلالة (غوص) على الفاعل لان (فعل) هنا مضاف وليس وصفا ، فضلا عن قلة امثلته ، قال المعتزلّي : « المصدر الذي جاء بمعنى الفاعل الفاظ معدودة لا

يجوز القياس عليها ولو جاز ، لما كان المصدر ها هنا لمعنى الفاعل لأنّه مصدر مضاف والمصدر المضاف لا يكون بمعنى الفاعل »[٣] .

٥- فُعْل اسم جمع :

أقرّ الشّرّاح دلالة (فُعْل) على الجمع في كثير من ألفاظ النهج ومنها (زُوْر) في قوله (ع) يذكر الموتى : (يَا لَهُ زُوَّاراً مَا أَبْعَدَهُ وَزُوَّاراً مَا أَقْرَبَهُ...)[٤] ، فقد ذهب فريق منهم إلى أنّ الزور بمعنى الزائرين للمقابر[٥]. وذهب فريق اخر إلى أنّ (زور) باقٍ في الدلالة على المصدر بدليل إفراد الضمير العائد عليه في :(ما أغفله) ولو أراد الجمع لقال : (ما أغفلهم) وهو مصدر يوصف به الواحد والجمع ، يقال : رجُل زَور ورِجال زَور[٦] . ومثله (سَفْر) في قوله (ع) من وصية لابنه الحسن (ع) : (إنَّما مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنيا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْر ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ)[٧] ، فالسَّفَر لدى فريق من الشّرّاح بمعنى مسافرون[٨] .

وأقرّ بعض الشّرّاح (فُعْل) جمعا شاذًّا لـ(فاعلة) ، كلفظ (الشَّول) في قوله (ع) : (فَكَأَنَّكُم بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُم حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ)[٩] ، إذ « الشَّول : النُّوق التي خفَّ لبنُها وارتفع ضرعُها وقلَّ عليها من نِتاجها سبعةُ أشهر أو ثمانية ، الواحدة شائلة وهي جمع على غير قياس»[١٠] .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص :١٧ .

(٢) الراونديّ ٣٠/١

(٣) المعتزلّي ٦٩/١ وينظر : الكيدريّ ١١٤/١ والبحراني ١٠٨/١ والسرخسي ٣٦/١ وعبده ١٦/١ والخوئي ٢٩٤/١ ومغنية ١٦/١ والتستريّ ١٤٦/١ والشيرازي ١٢/١.

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢١ ص:٤٢٤

(٥) ينظر :الراونديّ ٣٧٦/٢ والمعتزلّي ٥١/١٤ والبحراني ٣٢٤/٤ والخوئي ١١٩/١٤ والتستريّ ٢٢١/١١ والشيرازي ٣٥١/٣.

(٦) ينظر : الراونديّ ٣٦٨/٢ والتستريّ

(٧) نهج البلاغة ر ٣١ ص:٥٠٢.

(٨) ينظر : الراونديّ ٤٣٨/١ والمعتزلّي ٨٣/١٦ والبحراني ٢٥/٥.

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٧ ص:٢٧٦.

(١٠) المعتزلّي ٢١٢/٩.

وكان الراونديّ ميّالا إلى بقاء (فُعْل) دالا على المصدرية ففسر معظم الأمثلة بأنّها مصادر يستوي فيها المذكر والمؤنث ، إذ جوّز أن يكون : « الزُّور اسم للواحد والجمع كالخَصْم والضَّيْف »[١] . وصرح بأنّ « الضيف مصدر يستوي فيه الواحد والجمع »[٢]. لكنّ المعتزلّي كان يستحسن دلالة (فُعْل) على الجمع لا المصدر . من ذلك تفسيره كلمة (يَنْع) في قوله (ع) محذّرا من فتنة بني أمّية (...فإذا أينَعَ زرعُهُ قَامَ عَلَى يَنْعِهِ ...)[٣] إذ قال المعتزلّي : « الأحسن أن يكون

يَنْعا هنا جمع يانع كصَحْب وصاحِب ، ذكر ذلك ابنُ كيسان ، ويجوز أن يكون أراد المصدر أي : وقام على صنعةٍ وحالةٍ هي نضجُه وإدراكُه »[٤] .

ويبدو أنّ دلالة (فُعل) على الجمع تأتي من طبيعة التركيب وحركة الالفاظ المؤتلفة فيه بعضها مع بعض فإذا كان الموصوف جمعا والوصف (فُعل) ينصرف الذهن الى أنّه جمع ، نحو : قوم سَفر، أي : مسافرون . واذا كان الموصوف مؤنثا والوصف (فُعل) أُوّل بأنّه مؤنث ، نحو: (خطبة فصل) أي : فاصلة . وكلّ هذه الامثلة هي مصادر بدليل عدم اجماع العلماء القدماء وشراح النهج على إنّها جموع ، فقد اختلفوا في مدلولها مع ميل الى انها مصادر لدى اكثرهم . ثم ان المصدر ان وصف به لم يحتج الى مطابقته موصوفه في العدد والجنس . ومن هنا وقع اللبس فعمدوا الى التضمين والنيابة دفعاً له ، فوقعوا في المحذور وهو تحريف الكلم عن مواضعه لان (الماء الغور) إذا فسر بالغائر يفهم منه أنه غائر بنفسه في مدة زمنية معينة وقد يندفق بعد حين وهو المفهوم من دلالة (فاعل) على التحول وعدم الثبات . ولكن المفهوم من الآية الكريمة هو غور الماء بفعل فاعل حكيم غورا دائما ولذا تحمل امثلة (فعل) المذكورة انفا على ظاهرها في الدلالة على المصدرية .

أما (فَعْلة) مؤنث (فَعْل) فقد أقر له الشّراح تبعا للصرفيين[٥] دلالته على المصدر الذي قد يكون صريحا او دالا على المرّة بلحاظ ختمه بالتاء. فأما (فَعْلة) مصدرا للثلاثي فامثلته في النهج (الحَيْطة) في قول الامام (ع) : (لا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ ، وإنْ كَانَ ذَا مَالٍ ، عَن عِتْرَتِهِ وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً)[٦] فالحَيْطَةُ مصدرُ (حاط يحيط) بمعنى الرّعاية والمَنعة[٧] .وكذا (الهَجْعَةُ) في قوله (ع) يصف الرسول (صلى الله عليه وآله) : (أُرْسِلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ)[٨] بمعنى الهجوع[٩]. و(الزَّوْرة) في قوله (ع) يصف الميت : (تَحْمِلُهُ

---

(١) الراونديّ ٣٧٦/٢. (٢) نفسه ٣٢٩/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٠١ ص:١٨٤ .

(٤) المعتزلّي ١٠١/٧ وينظر: الكتاب ٦٢٤/٣.

(٥) ينظر: الكتاب ٤٥/٤ والمقتضب ٣٧٢/٣ والأصول ١٤٠/٣ والتسهيل ٢٠٧ وشرح الشافية ١٨٠/١ وأبنية الصرف ٢٢٤.

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣ ص:٥٤.

(٧) ينظر : المعتزلّي ٣١٤/١ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٨٩ ص:١٤٥.

(٩) ينظر: المعتزلّي ٣٨٨/٦ وابو الفضل ١٨٠/١.

حَفَدَةُ الوِلْدانِ وَحَشَدَةُ الإِخْوانِ إلى دارِ غُرْبَتِهِ وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ)[١] ، بمعنى نهاية الزيارة[٢] . وكذا (النَّجاة) بعنى المنجاة وكلتاهما مصدر نجا إذا فاز[٣] ،والأناة بمعنى التّاني[٤] ،والعَدْوة بمعنى العُدوان[٥] ،والجَوْلة بمعنى الجَولان[٦] والكَفْرة بمعنى الكُفر[٧].

وأمّا (فعلة) بمعنى المصدر الدال على المرّة فهي الدلالة المهيمنة لأمثلة هذا البناء لدى الشّراح نحو: الكرّة والفرّة ، وهما المرة الواحدة من الكرّ والفرّ[٨] ، و(الرجَّة) واحدة الرجّ[٩] ، والأنّة الواحدة من الأنّ[١٠] ، والخَوْضة وهي المرّة الواحدة من الخَوض[١١] ، والسَّوقة المرّة من سياق الروح عند الموت[١٢].

وكان سيبويه قد نّبه على دلالة (فَعْلة) على المرّة[١٣]. وعدّ ابن سيدة أمثلة (فَعْلة) مصادر مفردة جمعها (فَعْل) وهما كثيران في باب المصادر لأنّهما بناءان خفيفان ، فقال : « مصادر الثلاثّي الأصل فيها لأ يكون المصدر على فَعْل بل الأصل في الأفعال الثلاثّية كلّها أنْ تكون مصادرُها على فَعْل لأنّه أخفُّ الأبنية ولأنّا نقول فيها إذا أردنا المرّة الواحدة : فَعْلة ، كقولنا : جلس جَلْسة وقام قَوْمة . وفَعْلٌهو جمعُ فَعْلة كَما يُقال : تَمْرة وتَمْر ، وَيكون الضربُ من الضَّربة كالتَّمر من التَّمرة»[١٤].

ويمكن القول : إنّ ما ورد وزان (فَعْلَة) في متن العربّية يفيد حصول الفعلِ مرّة واحدة مع بيان أثره في الموضع ، وأمّا ما ظاهره ليس كذلك من نحو طول مكث القيام بالفعل او الاتّصاف به على وجه الدوام كما يلحظ في دلالة المصادر نحو قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[١٥] ، فإشارة إلى انتفاء الزمن والعدّ معها لأنّها من الله – عز وجل – فهي لازمة وثابتة لأنّ المضاف يكتسب من المضاف إليه أُمورا منها التذكير[١٦] وهو حاصل

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص:١٣٤.
(٢) ينظر: المعتزلّي٦/٢٧٢ .
(٣) ينظر: الراونديّ٢/١٢١ .
(٤) ينظر: مغنية١/٤٩٩ .
(٥) ينظر: عبده٢/٢٤٥ .
(٦) ينظر: نفسه٢/٣٥ .
(٧) ينظر: مغنية ٣/٢٧٢ .
(٨) ينظر: البحراني ٤/٢٨٤ .
(٩) ينظر: عبده١/٧٩ .
(١٠) ينظر: المعتزلّي٦/١٤١ وينظر : عبده١/١٥٠ .
(١١) ينظر: المعتزلّي٦/٢٧٢ .
(١٢) ينظر : البحراني ٤/٣٣٩ والسرخسي١/١٠٤.
(١٣) ينظر: الكتاب٤/٤٥ .
(١٤) المخصص ١٤/١٣١ -١٣٢ .
(١٥) الاعراف٥٦ .
(١٦) ينظر: البهجة المرضية ٢١٤.

مع (رحمة) بدليل الإخْبار عنها بقريب ، وكذا اكتسبت رحمة الثبات واللزوم من لفظ الجلالة (الله) لا الإتيان بالفعل مرّة واحدة كما هو الاصل في امثلة البناء ، وكذا الزَّورة في قول الامام (ع) :(منقطع زورته) ، فيه اشارة الى ان عمر الانسان بمجمله كأنّه زيارة خاطفة سريعة لمرّة واحدة سواء أحسن الانسان التفاعل معها أم لم يحسن ، وفيه إشارة –

ايضا – الى إنّ الدنيا دار فناء ازاء الآخرة التي هي دار البقاء والقرار . أما ما قُرّه الصرفيُّون[١] ووافقهم فيه الشّراح من دلالة (فُعلة) على مصادر الثلاثي وحينئذ تكون المرّة منها بالوصف (واحدة) ، فيمكن حمله على انه من نوع مصدر المرة المؤكد بالوصف نحو : (زَجْرة واحدة) و (صَيْحة واحدة) و(نَفْخة واحدة) و(دَكّة واحدة) ، فكل هذه الامثلة تدل على المرّة وهي مجردة عن الوصف ومع وصفها بـ (واحدة) تفيد تأكيد المرة الواحدة لا اقرارها ابتداء لانها مدركة في الموصوف (فُعلة) في امثلته جميعها ،والوصف بواحدة في هذه الامثلة هو نفسه في قوله تعالى: ﴿ **أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾[٢] و﴿ **نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ** ﴾[٣] ، وهو نفسه المدلول المستحصل من الوصف (اثنين) في:﴿ **زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾[٤] و﴿ **إِلَـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾[٥]، وكل هذه الصفات للتوكيد ولا دخل لها في نقل دلالة الموصوف بها من عدد الى آخر. ومما ظهر فيه معنى المرة وفسره الشّراح بالمصدر لا المرة ما ورد في قوله (ع) يصف المحتضر:(دَهَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ ...وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ)[٦] ، فكلّ من السكرة والغمرة والأنّة والجذبة والسوقة تفيد المرة الواحدة لاقترانها بالممات الذي يعرض للانسان مرة واحدة فكذلك تلك ، لكن فريقا من الشراح[٧] عدّ هذه مصادر بمعنى السكر والغمر والأن والجذب والسوق وهو غير موجّه .

---

(١) ينظر: شرح الشافية١/١٨١وتصريف الأسماء ٨٠.

(٢) البقرة ٢١٣ .

(٣) ص ٢٣

(٤) هود ٤٠ .

(٥) النحل ٥١.

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص١٣٣.

(٧) ينظر : المعتزلّي٦/٢٧٢ وعبده١/٧٩.

المطلب الثاني : معاني فِعْل – فِعْلة.

كثُرت أمثلة البناء (فِعْل) في متن النهج ففرّقها الشّراح تبعا للصرفيّين[١] على عدة دلالات أهمها :

١ - فِعْل اسم مصدر بمعنى المفعول .

أقّر القدماء دلالة فِعْل على اسم المفعول كابْن سيده في قوله : « يَجِيْءُ الفِعْلُ في الاسْمِ كَثيرا ... تقُوْلُ : طَحَنْتُ الدَّقيقَ طَحْنًا ،والطِّحن: الدقيق المطحون ... والقِسْم هو النَّصيب المقسوم ،والنِّقْض هو الجَمل الذي قَضَه القَدَرُ إذا هَزله »[٢]. وبهذا فسّروا الذِّبح في قوله تعالى : ﴿ **وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ** ﴾[٣].

وأمثلة (فِعل) في متن النهج كثيرا ما دلت على أسماء المفاعيل بخلاف (فَعل) المتّحد معه في الاشتقاق اذ يدل على المصادر، وقد فرّق الشّراح بين امثلة (فِعل) و(فَعل) المتحدة في الاشتقاق مراعين هذا الملحظ الدلالي بينها ، من ذلك أنهم لّما وقفوا على قول الامام (ع) من كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة (...أَتَتَلَئَّ السَّآمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ ؟ وَتَشْبَعُ الرَّبِيْضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ)[٤] ، فسّروا : الرِّعي بإنّه العُشب والنَّبت والكَلأ الذي ترعاه البهائم[٥]، وفرّق بعضُهم بين (الرَّعي) بفتح الراء و(الرِّعي) بكسرها بأنّ مكسور الراء هو الكَلأ وهو الاسم ، والمفتوح هو المصدر[٦]. و« مثل هذا كثير في العربيّة في الموادّ الثلاثية . ومنه الشِّرب للقدر المشروب من الماء ، والمصدر الشُّرب بضم الراء ، ومنه المِسخ للممسوخ من ولد وغيره ، والمصدر المَسخ بفتح الميم . وكذلك النِّقْض بكسر النون وهو المنقوض والمهزول من السير ناقة كان أو جملا وما نُكث من الأخبية والأكسية فغُزِل ثانية ، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ **كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا** ﴾[٧]. والنَّقْض بالفتح هو المصدر وهو ضدّ الإبرام »[٨].

٢ - فِعْلٌ بمعنى الفاعل .

أورد الشّراح طائفة من أمثلة فِعْل دالة على الفاعل . ومنها **الحِصن** في قوله (ع) : (التَّقْوى دَارُ حِصْنٍ عَزِيْزٍ)[٩] وهو بمعنى اسم الفاعل لأنّ التقوى تحصِّن صاحبها[١٠]. و(الرِّي) في قوله (ع) يصف القرآن : (جَعَلَهُ اللهُ رِيًّا لِعَطَشِ العُلَمَاءِ)[١١] إذْ هُوَ بمعنى الرّاوي[١٢] .

---

(١) ينظر: الكتاب ٤٢/٤ وديوان الأدب١٨٧/١والمحتسب ٦٣/٢-٦٤ وشرح الشافية ١٢٥/١/٢ و١٦٢/٢ وارتشاف الضرب ١٩٥/٣ومعاني الأبنية ٦٦ .

(٢) المخصص١٥٦/١٤ وينظر : شرح الشافية١٦٢/٣.

(٣) الصافات ١٠٧ وينظر: الكشاف ٣٤٩/٣ والبحر المحيط ١١٨/٩. (٤) نهج البلاغة ر ٤٥ ص:٥٣٥.

(٥) ينظر :الرواندي١٤٤/٣ والمعتزلّي٢٥٩/١٦ والبحراني ١١٥/٥ والخوئي١٢٤/٢٠ والتستريّ٣٦٩/٦ وعبده٧٧/٢ .

(٦) ينظر: التستريّ ٣٦٩/٦. (٧) النحل ٩٢ . (٨) السامرائي١٧٨.

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٧ ص:٢٧٦ . (١٠) ينظر: المعتزلّي٢١٣/٩ والبحراني ٢٨٤/٢ وعبده١٨٤/١.

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٨ ص:٣٩٨.

(١٢) ينظر: المعتزلّي ٢٠٠/١٠ والبحراني ٣٨٨/١ والخوئي ٣١٤/١٢ والراونديّ ٣٠٤/٢.

٣ - فِعْل مصدرا .

شاعَتْ أمثلة (فِعْل) مصادر في متن العربية ومنها : الكِذب والسِّحر والفِسق وغيرها من المصادر التي سمعت في كلام العرب من أبواب الفعل جميعها[١] . ولذا نّبه الشّراح على هذه الدلالة ، ومنها ما في قوله (ع) : (لا يُدْرِكُ الحَقُّ إلا بالجِدِّ)[٢] . وفيه الجِدُّ بمعنى الاجتهاد[٣].

٤ - فِعل بمعنى فعيل .

ومن أمثلته لدى الشّراح ما في قوله (ع) : (اللّهمُ ... خُذْ قبَلبي إلَى مَراشِدِيْفَ لْيَس ذَلك بُنكْرٍ من هداياتكَ ولا ببِدْعٍ مِنْ كِفاياتك)[٤] ، وفيه (بِدْع) بمعنى البَدِيْع[٥] ، وكذا معناه في قوله تعالى: ﴿ **قل ما كنت بدعا من الرّسل**﴾[٦] ، اي : بديعا[٧] . ومنه (الردف) في قوله (ع) (الرَجُل رَآه يُسْعَى عَلَى عَدُوِّهِ لا بَما فِيه إضْرارٌ بِنَفْسِه : إنَّما أنتَ كالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِ يَقْتلُ رِدْفَه)[٨]، وهو بِمَعْنى الرَّدِيْفِ أيْ الّذي يركب خلف الراكب[٩].

٥ - فعل بمعنى ذي الشيء (النَّسب) .

فسّر الشراح طائفة من أمثلة النهج التي على (فِعْل) بأنّها في الأصل حُذف المضافُ قبلها وهو (ذو) وأقيمت هي مقامه ، كـ(الشِّلو) في قوله (ع) واصفا الدنيا : (... فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ وَدَمٍ مَسْفُوحٍ ...)[١٠] ، فالشِّلو لدى الشّراح واحد الأشلاء وهي الأعضاء المتفرِّقة من الذبيحة ، ومعنى الشلو المذبوح: ذو الشلو المذبوح من الانعام[١١]. وهذا المثال تفهم دلالته على الأسمية إذا ما تُوُسِّع في معنى الذّبح فهو في أصل اللغة مطلق الشقّ[١٢] فيكون المعنى :(شلو مقطّع) وليس على تقدير مضاف محذوف تنصرف اللفظة معه إلى معنى النَّسب بغير ياء .

---

(١) ينظر : المصادر والمشتقات في لسان العرب ٨٨ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٧ ص : ٤٤٢ .

(٣) ينظر: البحراني ٥٦/٢ والمعتزلّي٢٣٠/٦ والراونديّ٨٥/١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٧ ص:٤٤٢.

(٥) ينظر: المعتزلّي ٢٧٦/١١ والبحراني ٩٥/٤ والخوئي ٣٣٤/١٤ ومغنية ٣،٣٢٧ والتستريّ ٢٧/٧ وأبو الفضل ٢٢٢/١٢ والشيرازي ٣٩٣/٣.

(٦) الاحقاف ٩

(٧) ينظر : الكشاف ٥١٧/٣ .

(٨) نهج البلاغة الحكمة ٢٩٦ ص:٦٦٢

(٩) ينظر: مغنية : ٦/ ٣٦٩.

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ١٩١ ص:٣٥٨.

(١١) ينظر:الراوندي ٢٢٥/١ والكيدري ٣٢١/٢ والمعتزلي ١٢٤/١٣والبحراني ٢١٠/٤ .

(١٢) ينظر: المقاييس ٣٩٢ والقاموس ٢١٢ .

ويبدو أنّ هذه الدلالات جميعها تدخل في باب الأسْماء في جميع المواضع ، فالمصدر يدلُّ على حدث مطلق واسم المصدر يدلُّ على أثر ذلك الحدث أو هو النتيجة الطبيعّية المحسوسة أو المعقولة له ، والدليل على ذلك إنّ أمثلة (فِعْل) تتضح فيها الدلالات الفرعية كلُّها بتأويل ، وتظهر فيها الدلالة على الإسمية دون تأويل . فقد ذكر الشّرّاح أنّ (القِرن) هم أهلُ كلّ زمان[١] . وهنا تدلّ الكلمة على اسم الجمع كونها لا تصلح إلا لجماعةٍ من النّاس ، وتدلّ على اسم المفعول كون النّاس مقرونا بعضهم ببعض في هذه المدة . والقِرن اسٌم لهم . وكذا (الضِّغث) في قوله تعالى : ﴿ **وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا** ﴾[٢]. فقد ذكر الشّرّاح تبعا للمفسِّرين[٣] أنّه حشيش مختلط بعضه رطب وبعضه يابس ومعنى اللفظة الأصلي هو اسم جمع لهذه الحشائش مجتمعة ، وتصلح للدلالة على المفعولية باعتبار ضغطها في حزمة . وكذا (الصِّهر) في قوله (ع) في الخطبة الشقشقيّة : (فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ)[٤] ، إذ قيل: هم أهْل بيت المرأة كالأبوين والأخوة[٥] ، واللفظ ظاهر الدلالة على الجمع والواحد . وأمّا دلالة البناء على مصادر الثلاثي فمردودة بتعدُّد أبنية مصادر الثلاثي في الفعل الواحد وهذا التعدُّد يعضُدُ أنْ يكونَ ما ورد على بناء (فِعْل) منها ما هو إلا اسم ، فالكِذب اسم والمصدر هو الكَذِب ، والفِسق اسم والمصدر هو الفُسوق وكذا في سائر الأمثلة . وأما فِعْلة مؤنث فِعْل فبناء كثرت امثلته في متن النهج ففرقها الشّرّاح على عدة دلالات هي :

فِعلةٌ هيأةً .

وهي الدلالة البّينة الجلّية التي جهر بها الشّرّاح عدّة مرّات ، ومنها (المِدحة) في قوله (ع) يحمد الله (عزوجل) : (لا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ)[٦] . وهي الهيأة والحالة التي ينبغي أنْ يكون عليها المادح في مدحه كالرِّكْبة هيأة الركوب والجِلْسة هيأة الجلوس[٧] . ومنها (المِيْتة) في قول الامام (ع) : (وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيْتَةٍ عَلَى الفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ)[٨] . فهي هيأة الميّت كالجِلسة والرِّكبة والقِعْدة[٩] . وقد فاق المعتزلّي اقرانه في الجهر بهذه الدلالة وسماها **الهيأة** في كل الامثلة ، على حين سماها البحراني **الحالة** ، وتفاوت الاخرون في اختيار المصطلح مع ميل لدى أكثرهم نحو (الهيأة)[١٠] .

---

(١) ينظر : انصاريان ٢٩٨/١ .
(٢) ص ٤٤ وينظر: الكشاف ٣٧٧/٣ والبحر المحيط ١٦٣/٩.
(٣) ينظر : انصاريان ١٦٦/٣ .
(٤) نهج البلاغة الخطبة ٣ : ص٣٠
(٥) ينظر :البحراني ٢٥٣/١ والخوئي ٧٢/٣ وأنصاريان ٧٤/١ .
(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص:١٧.
(٧) ينظر :الكيدريّ ١١٣/١ والمعتزلّي ٥٨/١ والبحراني ١٤٢/١ والخوئي ٢٩٦/١ ومغنية ٧١/١ وانصاريان ٣٠/١ .
(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٣ ص:٢٢٧ .
(٩) ينظر : المعتزلّي ٣٠٠/٧ والخوئي ١٥٠/٨ وعبده ٤/٢ .
(١٠) ينظر: المعتزلّي ٣٠٠/٧ والبحراني ١٤٢/١ .

وكان سيبويه قد وصفها بضربٍ من الفعل ، فقال : « هذا باب ما تجيء فيه الفِعلة تريد بها ضربًا من الفعل ، وذلك قولك :حسن الطِّعمة ، وقتلته قِتْلة سوء ، وبئست المِيْتة ، وانَّما تريد الضرب الذي أصابه من القتل والضرب الذي هو عليه من الطعم ، ومثل هذا : الرِّكْبة والجِلْسة والقِعْدة »[١] .

٢ - فِعْلة مصدرا للثلاثي.

ثّمة أمثلة كثيرة جاءت على (فِعْلة) فسّرها الشّراح بالمصادر وقرنوها بمصادر الثلاثي التي شاعت فيه نحو (النِّبتة) في قوله (ع) يصف بني أُمّية: (يَخْضِمُوْنَ مَالَ اللهِ خَضْمَ الإِبْلِ نِبْتَةَ الرَّبِيْعِ)[٢]. فهي بمعنى النبات[٣] . و(الضِّلّة) في قوله (ع) يصف بعض الملاحم : (قائدُها خارجٌ عنِ المِلّة قائمٌ على الضِّلّة)[٤]. ومعناها : الضَّلال[٥] . و(الجِنَّةُ) في قوله (ع) يتبرّأ من الظلم : (أُمُخْتَبِطٌ أَنتَ أُم ذُو جِنَّةٍ أُم تُهَجُر ؟)[٦] . بمعنى الجنون[٧] . وغير ذلك[٨].

٣ - فِعْلة جمعا .

صرّح فريق من الشّراح بدلالة (فِعْلة) على جماعة بشرّية كـ(العِترة) ، يقال : « عِتْرة الرجل أبناؤه وأسرته وعشيرته الأدنون »[٩] .وكذا (الفِرْقة) طائفة من النَّاس والفريق أكثر منهم ، و(الشِّيعة) أنصار الرجل[١٠] وغير ذلك.

وورد في النهج طائفة من جموع التكسير على (فِعْلة) ، فبرز الشراح دلالتها على العدد القليل وفاقا للصرفيين[١١]. كالجِيْرة في قوله (ع) يصف الموتى : (فَهُمْ جِيْرةٌ لا يُجِيْبُوْنَ دَاعِيًا ... جَمِيْعٌ وَهُمْ آحَادٌ وَجِيْرةٌ وَهُمْ أُبَادٌ)[١٢] فـ « جيرة : بعضهم جار لبعض »[١٣].ومنها – أيضا- (صِبْية النار) وهم أبناء مروان بن الحكم ، و(فتية أهل البصرة) وهم أصحاب الثروة فيها[١٤] وغير ذلك .

ويمكن القول : إنّ أمثلة (فِعْلة) أينما وردت وكيفما جاءت تفيد الدلالة على الهيأة التي يكون عليها الفاعل القائم بالفعل او المتَّصف به ، فمثال هيأة القائم بالفعل : جِلْسة وقِعْدة وفِرْقة لتفرُّقهم عن الأصل وغير ذلك ، ومثال هيأة المتَّصف بالفعلِ مِيْتة وعِبْرة ونِعْمة . وقد يكون الفاعل المتصف بالفعل او القائم به جمعا لا مفردا مع (فِعْلة) كالمِلّة والشِّيعة والعِترة . ومن هنا فسِّرت هذه الأمثلة بالجمع وهي ليست جمعا بدليل جواز جمعها على (فِعَل) ، كـ(شِيْعة شِيَع) و(مِلّة مِلَل) و(فِرْقة فِرَق) ، وإنَّما هي أحوال وهيآت وجد عليها الفاعلون .

---

(١) الكتاب٤٤/٤ وينظر المخصص ٥٨/١٤ .
(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص:٣٠.
(٣) ينظر : البحراني ١/ ١٤٣وانصاريان٧٥/١ وعبده٤١/١ .
(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨ ص:١٩٧.
(٥) ينظر: البحراني ٢٩/٣ ومغنية٢٢٩/٣ .
(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٤ ص:٤٣٨ .
(٧) ينظر : السامرائي ٣٤٨ .
(٨) ينظر : المعتزلّي٣١٤/١ والبحراني ٣٤٥/١ .
(٩) السامرائي ٩٩ .
(١٠) ينظر : البيهقّي٢٤ والراوندّي ٢١٤/٢ وعبده١١/١.
(١١) ينظر :الكتاب ٦٠٥/٣.
(١٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١١١ ص ٢٠٩.
(١٣) الشيرازي٢٠٥/٢ وينظر: المعتزلي ٢٣٣/٧ والخوئي ٢٤/٨.
(١٤) ينظر:الراوندي ٧٧/٣ والمعتزلي ٢٠٦/١٦ والخوئي ٨٩/٢٠ والشيرازي ٢٨/٤.

المطلب الثالث : معاني فُعل – فُعلة .

كثُرت أمثلة البناء فُعل في متن النهج ففرّقها الشّراح على اربع دلالات :

١ - فُعل جمعا .

وتدلّ أمثلته على العيوب والحلي والألوان ،ويطّرد في الوصف (أفعل) الذي مؤنثه (فَعلاء) ، نحو: (أحور حوراء حُور) و(أعور عوراء عُور)[١]. وقد غلب في متن النهج فُعل جمعا لمفرد على أفعل فعلاء وصفين دالين على قبح أو عيب . ثّم برز الشّراح هذه الدلالة في عدة أمثلة منها : الصُّم والشُّعث والغُبر جموعا لأَصَمّ وأَشْعَث وأَغْبر[٢]. وعُمي وبُكْم جمعين لأعْمى وأبكم[٣]. وجاء (فُعل) جمعا لمفرد على أفعل فعلاء الدالين على حسن أو حلية نحو: حُور جمع حوراء . والصُّلد جمع أصلد[٤]. وورد (فُعل) جمعًا لفاعل نحو (البُور) في قوله (ع) يصف حال الأموات : (...أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُم قُبُورا ، وَمَا جَمَعُوا بُورا)[٥] ، فالبُور جمع بائر وهو الهالك[٦] .

وورد في العربية (فُعل) جمعا لاسمٍ ثلاثي مذكّر ومؤنّث أجوف . ومن أمثلته لدى الشّراح : ناقة نُوق ، وساق سُوق ، ودار دُور ، ونار نُور[٧]. وورد (فُعل) اسم جمع يفرق بينه وبين واحده بالتاء نحو : الدُّرّ جمع دُرّة[٨].

٢ - فُعل مصدرا .

ومن امثلته في النهج ما في قوله (ع) : (فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا)[٩] . وقوله (ع) : (رَحِمَ اللهُ امرأً سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى)[١٠] وقوله (ع) إلى معاوية: (وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ)[١١]. فكل من (قُبحا ، حُكْما ، خُسْر ، كُفْر) مصادر للثلاثي[١٢]. وقد جمع سيبويه أمثلة (فُعل) من المصادر على معنى النقص والتمام أو القبح والحسن[١٣]. وهذا ظاهر في هذه الأمثلة .

---

(١) ينظر : التكملة٤٤٧ .

(٢) ينظر: الخوئي ٣٦٣/٣ .

(٣) ينظر: المعتزلّي١٥٦/١٣ .

(٤) ينظر: البحراني ٣٩/٣ ومغنية ٢٧٥/٤ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٣٢ ص:٢٤٠.

(٦) ينظر:المعتزلّي٢٧٠/٨ .

(٧) ينظر:نفسه١٩٠/٢ .

(٨) ينظر: انصاريان٢٦٨/١ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ ص:٦٢

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ٧٦ ص:١١٥.

(١١) نهج البلاغة ر ٣٠ ص:٤٩٥.

(١٢) ينظر:المعتزلّي٧٩/٢ و١٧٢/٦ والبحراني ٣٩٦/٤ والسرخسي٢٩٣/١ وعبده١٥٥/١ و١٩١/٣وابو الفضل٣٥٠/١.

(١٣) ينظر : الكتاب٢٨/٤ .

ولم يُسلّم الشّرّاح بأنّ المصادر التي على (فُعل) ذات دلالة مطابقة لغيرها من المصادر التي سُمعت مرادفة لها كالخُسر والخُسران، والكُفر والكُفران ، والشُّكر والشُّكران ، والحُكْم والحِكْمة . بل وردت لديهم التماعات دلالية فرقوا فيها بين أمثلة (فُعل) وغيرها من المصادر فـ « السُّخف في العقل خاصة ، والسَّخافة في كلِّ شيء »[١] . و « السُّدّ ما وجد مصنوعا وما لم يوجد مصنوعا فهو السَّد »[٢]. وقد سبقت الإشارة في الدلالة الصوتية إلى أنّ (فُعل) بناء يدلّ على المشقّة والثقل على الآدميين لقوَّة الفعل فيه وشدَّته فهو أمضى من نظيرية (فَعل وفِعل) .

ويبدو أنّ مجيء المصادر على أوزان الجموع في أمثلة (فُعل) يوحي إلى وجود تقارب في الدلالتين ، وهذا واضح من قول سيبويه في هذه المصادر : إنّها تفيد الحسن والقبح ، ومن شيوع أمثلة الجمع (فُعْل) في ما كان وصفا على (أفعل فعلاء) دالا على عيب أو حلية وأما الألوان فداخلة في العيوب والحلي . فالدلالة واحدة بين المصادر والجموع التي على (فُعل) .

٣ - فُعْل بمعنى فَعِيل

وردت طائفة من أمثلة (فُعل) بمعنى فَعِيل صفة كما في قوله (ﷻ) في معرفة الله عز وجل :(لا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الهِمَمِ)[٣] ، إذ فسّر الراونديّ (بُعد) بأنّه مصدر بمعنى الفاعل كقولهم: رجل عدْل بمعنى عادل ، والتقدير: لا يدركه العالم البعيد الهمّة[٤]. وكذا ما جاء في قوله (ﷻ) - لما سُئل عن قول الرسول (صلى الله عليه وآله) : **(غَيِّروا الشَّيْبَ ولا تَشَبَّهوا باليَهُود)**[٥] - : (إنَّما قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ذلِكَ والدِّينُ قُلٌّ)[٦] ، فقد فسر بعضهم (قُلّ) بـ (قليل)[٧] .

٤ - فُعْل بمعنى مفعول .

ومن أمثلتها لديهم :العُرف بمعنى المعروف[٨] والنكر بمعنى المنكر[٩].

---

(١) الخوئي ١٤/١٥٠.

(٢) الكيدريّ ١/٤٤٦ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٩٤ ص:١٧٣.

(٤) ينظر: الراونديّ ١/٣٠ و المعتزلّي ١/٦٩.

(٥) مسند أحمد رقم : ١٣٤١ ، ٧٢٣٠ ، وسنن الترمذي ١٦٧٤، وسنن النسائي رقم ٤٩٨٦ ،٤٩٩١.

(٦) نهج البلاغة ح ١٧ ص:٦٠١ .

(٧) ينظر: المعتزلّي١٨/١٢٢.

(٨) ينظر : المعتزلّي١٧/٥٣ والسرخسي ١/٢٦٧ والشيرازي٤/١٦٢ وعبده٣/١٠١.

(٩) ينظر:البحراني ٢/٩ و٥/٢٨٤ .

وأمّا فُعْلة مؤنث فُعْلى فهو بناء كثرت أمثلته في متن النهج فتلّمس له الشّراح عدّة لالات هي :

١ – فُعْلة مصدرا.

هو مطّرد في (فعِل) اللازم الدال على لون نحو : الحُمْرة والخُضْرة والشُّهبة[١] ، ومن أمثلته في النّهج ما جاء في قوله (ع) يذكر عجيب خلق الطاووس: (وإذا تصفّحت شعرة من شعرات قصبه أتوك حُمْرة وردية ونضرة خُضْرة زبرجدية وأحيانا صُفْرة عسجدية)[٢]. فالحُمرة والخُضرة والصُّفرة مصادر للثّلاثي الدالّ على لون[٣]. وفسّر بعضهم أمثلة (فُعلة) دالةً على المصدريّة ، وإن لم تدلّ على لون كالعُرْجة في قوله (ع): (أقلّوا العُرْجة على الدُّنيا)[٤] بمعنى التعريج والإقامة على المكان[٥]. والقُرْبة في قوله (ع) في وصيته : (وإنّي إنّما جعلْتُ القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله ، وقُرْبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتكريما لحُرْمته وتشريفا لوصْله)[٦] ، فالحُرمة بمعنى الإحرام ، والوُصلة بمعنى الوصول[٧]. ومنها : « النُّقلة بمعنى الانتقال »[٨] ، و « الفُرْجة بمعنى الانفراج »[٩] ، و « الحُكْرة : الاحتكار »[١٠]، و « العُزْلة : الاعتزال »[١١]، و « القُرْبة : التقرُّب »[١٢]. و « الهُجْنة على (فُعلة) كالمُضغة واللقُمة ، والمراد بها الاستهجان من قولك : يُهجِّن كذا اي يُقبِّحه »[١٣].

٢ – فُعْلة اسم مفعول .

قرّر الصرفيون دلالة فُعلة على المفعول إذْ : « جاء فُعْلة بسكون العين كثيرا بمعنى المفعول كالسُّبَّة والضُحْكَة »[١٤] وقد اكثر الشّراح من توجيه دلالة (فُعلة) على المفعول على نحو فاق دلالتها على المصدرية .

---

(١) ينظر : الكتاب ٢٥/٤ .
(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٥ ص:٢٩٩ .
(٣) ينظر : المعتزلّي ٢٦٩/٩ والبحراني٣٠٨/٣ والسرخسي١٥٧/١ والخوئي٤٥/١٠ والتستريّ ٧٢/٧ والشيرازي٨/٣ وأنصاريان١٣٧/٢.
(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٤ ص :٤٠٤ .
(٥) ينظر: البحراني ٨/٤ .
(٦) نهج البلاغة ر ٢٤ ص:٤٨٠ .
(٧) ينظر: البحراني ٣٥٩/٤ .
(٨) الخوئي ١٠/ ٦٥ .
(٩) الراونديّ٣٨٨/١ .
(١٠) عبده١١١/٣ .
(١١) المعتزلّي١٨٨/١٧.
(١٢) الراونديّ٥٢/٣ .
(١٣) المعتزلّي ١٤٩/١٣.
(١٤) شرح الشافية١٦٢/١ وينظر : معاني الأبنية ٦٧ ،٧٢.

وقد سبق الشريف الرضيّ جامع النهج إلى إقرار هذه الدلالة لّما أورد قوله (ع): (السَّبقَةَ الجَنَّةُ ، والغَايَةُ النّارُ)[١] ، إذ قال : «وقد جاء في رواية أخرى (والسُّبقَةُ الجَنَّةُ) بضمِّ السين ، والسُّبقة عندهم اسمٌ لما يُجعل للسابقِ إذا سبق من مالٍ أو عرضٍ ، والمعنيان متقاربان لأنّ ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم ، وإنّما يكون جزاء على فِعْلِ الأمرِ المحمودِ »[٢]. وفهم فريقٌ من الشراح من هذا أن السُّبقة جزاء السابقين فهي (فُعلة) بمعنى مفعول كأنّها مسبوق إليها[٣]. ومن ذلك (فُلْعة وبُلْغة) في قوله (ع) من وصيّة لابنه الحسن (ع) : (واعْلَمْ يَابُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّما خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لا لِلدُّنْيا ولِلْفَنَاءِ لا لِلْبقَاءِ ولِلْمَوْتِ لا لِلْحَيَاةِ ، وأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ ودَارِ بُلْغَةٍ)[٤] ،فالقُلعة هو المنزل الذي لا يصلح للاستيطان كأنّه مقلوع ، والبُلْغة ما يتبلغ به أي ما يكفي القوت[٥]. وكذا (اللُّعْقة) في قوله (ع) : (وصَارَ دِيْنُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ)[٦] ، وهي لدى الشّراح ما يلعق باللسّان فهي فُعلة بمعنى المفعول ، أي الملعوق[٧] . و(الأُكْلة) في قوله (ع): (وأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ وأُكْلَةٌ لآكِلٍ)[٨] ، معناها المأكول[٩] . وأكثر الشّراح توسعا في اقرار هذه الدلالة هو السامرائي الذي رسخها في جملة مسائل منها اللُّقمة واللُّمظة واللُّهفة والضُّحكة والكُسْوة[١٠].

٣ - فُعْلَةَ مكانًا .

ثمَّة دلالة أخرى لأمثلة (فُعلة) أقرها بعض الشّراح وفاقا لسيبويه ، وهي الدلالة على الموضع اذ يقال: القُطْعة والجُذْمة والصُّلْعة[١١] ، وسمّاها الرضيّ «موضع الفعل في الأعضاء »[١٢]. وليس الأمر مقصورا على الاعضاء على وفق ما تلمَّسه شراح النهج من أمثلة نحو : «القُتْرة بالضّم بيت الصائد الذي يستتر فيه عند تصيُّده والجمع قتر مثل غُرفة غُرف »[١٣]. والوُقْتة الموضعُ الذي يستتر به فهو كالستارة[١٤].

---

(١) نهج البلاغة خ ٢٨ ص:٦٤

(٢) نفسه ٦٦

(٣) ينظر: البيهقّي ١١٨/١ والمعتزلّي ٩٣/٢ والبحراني ٤١/٢ والخوئي ٣/١٤ والتستريّ ٨٣/١٢ .

(٤) نهج البلاغة ر ٣١ ص:٥٠٦.

(٥) ينظر: المعتزلّي١٥٢/٣ والبحراني ٣٧/٥ ومغنية٥٠٧/١.

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١١٣ ص:٢١١

(٧) ينظر : البيهقّي٢٠٩ والكيدريّ٥٤٤/١ والمعتزلّي٢٤٩/٧ والبحراني ١٣/٣ وعبده٦٠/٢ والموسوي٢٨١/٢ والسامرائي٣١٨

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١٤ ص:٤٢ .

(٩) ينظر : الكيدريّ١٩٧/١ والمعتزلّي٤/٧ والبحراني ٣٥٨/١ ومغنية٢٨٩/١ والموسوي١٥١/١ والسامرائي٧٢ وانصاريان٩٤/١.

(١٠) ينظر : السامرائي٧٢ و٦٨ و١٦٨ و٣١٨ .

(١١) ينظر : الكتاب٢٧/٤ .

(١٢) شرح الشافية١٦/١.

(١٣) الخوئي ٣٧٣/٦ وينظر : الراوندي ٤٠٠/١ والكيدري ٤٦٢/١ والتستري٥٤٩/١.

(١٤) ينظر: الراوندي ٣٩٩/١ والخوئي ٣٧٢/٦ .

ويبدو أنّ امثلة (فُعلة) جميعها تفيد الدلالة على موضع الفعل في ما ظهر للحسّ والإدراك فخُصِّص أثره في مكان محدّد . ومن هنا كثرت أمثلة (فُعلة) في المحسوسات لوضوح دلالتها على الموضع ، فالعُزلة موضع العَزل ، والفُرجة موضع الانفراج ، والقُربة موضع التقرّب ، والسُّبقة موضع التسابق . وهذه الدلالة التي اقرها سيبويه وغفل عنها اللاحقون حين شتتوها بين المصدرية والمفعولية تصلح لجمع ما تفرَّق لدى المتأخرين ، ومنهم شراح النهج في تفسير كل امثلة (فُعلة) بالدلالة على الموضع . وقد يكون الموضع ضيّقا مدركا بلا تأمل كالفرجة في الحائط ، وقد يكون واسعا جدا فلا يدرك الا بالتأمُّل نحو القدرة في قوله (ع) يذكر عجيب خلق أصناف من الحيوانات : (وَلَو فكَّروا فِي عَظِيمِ القُدرةِ وَجَسِيمِ النِّعَمةِ...)[1] إذ فسَّر بعضُهم القُدْرة بالمَقْدور[2] وهو تفسير ليس كافيا لإدراك معنى اللفظة ، وأفضل منه أن يقال : القُدرة الموضع الذي تجلّى فيه اقتدار الباري .

---

(١) نهج البلاغة ١٨٥ ص:٣٣٩.

(٢) ينظر : البحراني ١٩٩/٤.

المطلب الرابع : معاني فَعل – فَعلة .

كَثُرتْ أمثلة البناء فَعَل في النهج ففرّقها الشّراح على عدة دلالات أهّمها:

١ – فَعل مصدرٌ

ويطّرد في (فُعل) اللازم الذي تدلّ أفعاله على الطبائع والسجايا[١] ، فكانت أمثلة (فَعل) في شروح النهج من المصادر طبائع وسجايا نحو : الشَّفَق : الإشفاق ، والكَرم : الإكْرام ، والنَّصَف :الإنصاف[٢] . ويدخل في الطبائع والسجايا ما يعتري الانسان من عوارض كالفَرَح والحِزن والمَرض والخَوف والعَطش . ويبدو أنّ بناء (فعل) إنَّما صلح لهذه العوارض الإنسانّية لتوالي الحركات فيه ، فهذا التعاقب الحركي يوحي بالهيجان والاضطراب لدى الانسان . وقد شاعت أمثلة (فَعل) من المصادر الدالّة على العوارض والأدواء نحو الكَلَب في قوله (ع) : (وأَلْبَسَهُمْ سرابيلَ القَطِران ... في نارٍ لها كَلَبٌ ولَجَبٌولَهَ بٌ ساطِعٌ)[٣] ، فقد ذكر الشّرّاح أنّ الكَلَب في الأصل ما يعتري الكَلْبَ من الهيجان وهو يعض الرجل فيورثه الداء المعروف بالكَلَب . و(فَعل) من مصادر العلل والادواء نحو: الشَّلَل والعَوج والمَرض والوَلَه وغيرها[٤]. ومنه العَشَا وهو « ضعف البصر في النور والظلام ، والفعل عشِي مثل فرِح والعَشَا من الأدواء كالعَمى والعَوج ، ويجيء على فَعَل . وهذا نظير الاعراض كالفَرَح والعَطَش والشَّبع »[٥] . وثمة مصادر على (فَعل) غلبت عليها الاسمية ففسِّرت بمعنى المفعول او الفاعل إذا كان الاسم الغالب مفردا ، وإذا كان الاسم جمعا فسِّرت بأنّها جموع أو أسماء جموع ، وكلّ الدلالات الفرعية داخلة في المصادر وأسماء المصادر. من ذلك (النَّصَب) في الأصل مصدر نصبت الشيء إذا أقمته ثم قيل للوثن (نَصَب) لأنهم رفعوه للعبادة[٦] وإنّما خُصِّص المصدر (الحدث المطلق) في أحد استعمالاته بالدلالة على الاسمية من باب التغليب ، فقد يكون احد استعمالات المصدر مهيمنا على غيره وشائعا في الاستعمال فيستحوذ على لفظ المصدر ليكون اسما له نحو (الملأ) ، فهو في الأصل الامتلاء . وأبين ما في هذا المعنى هو أن تمتلئ العين من رؤية الاشراف من أهل الحل والعقد فسمُّوا بلفظ المصدر من باب التغليب ، فقيل الملأ الأشراف الذين يملأون العين ، وكذا الأمر في معظم اسماء المصادر التي ظفرت بلفظ المصدر لانها الاستعمال الشائع له فصارت اسما له .

---

(١) ينظر :الكتاب ١٩/٣وشرح الشافية١٥٦/١.

(٢) ينظر: الراونديّ٦٠/٢، ١٢٢/٢والكيدريّ ٢٣٧/١ ، ٣٨٩/١ والمعتزلّي٧٨/٢ ، ٢٤٢/٩والبحراني ١٥٦/٣وعبده ٧١/١ والخوئي ٢٠٨/٣ ومغنية ١٦٢/٦ وابو الفضل١٧٦/١ وانصاريان١٣/١.

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ص:٣٠٢.

(٤) ينظر : البحراني ٧٥/٥ والسامرائي٣٠١ .

(٥) السامرائي١٠٤ وينظر : ١٧٥ وانصاريان ٢٣٢/١ والمعتزلّي٣٣٤/٣ .

(٦) ينظر : الراونديّ٢٦٨/٣ .

٢ فَعَـــل جمعـــا أو اســـم جمـــع.

فسر الشّرّاح طائفة من ألفاظ النهج جاءت على (فَعَل) بأنها جموع أو أسماء جموع ، من ذلك : « الرَّصَدُ جَمْعُ راصدٍ كخَدَم وخادِم »[١] و« العَبالتحريك جمعُ كثرة لعَمُود البيت وكذا العُمُد بضمتين »[٢] و« هَمَلا : مُهْمَلين»[٣] . وقد تنبه الشّرّاح على ان دلالة (فَعَل) على الجمع او اسم الجمع طارئة لا أصلية لان (فَعَل) عندما يوصف به الجمع تلحظ فيه الجمعية فراموا المطابقة بين الوصف والموصوف مع إنّه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . فالرَّصَد هم القوم يرصدون ، وهو في الاصل مصدر كالكرم والفرح ولكنه لما صح الوصف به دل على الجمع ، ومثله الحَرَس والنَّفَر[٤] . ومن هنا جوز الشّرّاح في كثير من المصادر التي على (فَعَل) انها جموع او مصادر فـ « البَلَج جمع بَلْجة وهو أوّل الصبح وقد يكون مصدرا »[٥]، و« قَزَم ، الذكر والانثى والواحد والجمع فيه سواء لانه في معنى المصدر »[٦] و« التَّبَع يكون واحدا وجماعة لأنه في الأصل مصدر، قال تعالى: ﴿ **إنّا كنّا لكم تَبَعا**﴾[٧] »[٨]

٣ – فَعَلَ بمعنى مفعول

أقرّ علماء العربية

دلالة (فَعَل) على (مفعول) ، وذكروا من أمثلتها : النَّفَض أي: المنفوض ، والصَّمَد معناه المصمود إليه في الحوائج ، والفَلَق بمعنى المفلوق[٩] . وكذا (السَّلَب) بمعنى السلاح المسلوب من القتيل في الحرب[١٠]. و(الجَلَب) بمعنى المال المجلوب ، وكل ما يجلب من بلد الى آخر في التجارة فهو جَلَب[١١]. وجمع الدكتور ابراهيم السامرائي طائفة من هذه الأمثلة لّما أورد قوله (ع) يذكر النبيّ (صلى الله عليه وآله) : (حَتَّى أُورِى قَبَسًا لِقَابِسٍ ، وَأُنَارَ عَلَمًا لِحَابِسٍ)[١٢] . فالقَبَس « بفتحتين نظير طائفة كبيرة من الاسماء في العربيّة على (فَعَل)

---

(١) ينظر : انصاريان ٢٧٨/١ .
(٢) انصاريان ٣٨/١ وينظر : الخوئي ٣٧٠/١ .
(٣) الشيرازي ٤٠/١ .
(٤) ينظر : الراونديّ ١٠٨/٢ والسامرائي ٣٤٢ .
(٥) البحراني ٢٣٨/٣ .
(٦) المعتزلي ٣١٠/١٣ .
(٧) ابراهيم ٢١ وينظر: الكشاف ٣٧٣/٢ والبحر ٤٢٤/٦ .
(٨) الراونديّ ١٧٢/٢ .
(٩) ينظر : المخصص ٥٦/١٤ والكليات ١٢٤/٣ ومعاني الأبنية ٦٦.
(١٠) ينظر : البحراني ١٩٥/٤ والسامرائي ١٧٥ ومغنية ٣٩٤/٢ .
(١١) ينظر : الراونديّ ١٣/٢ والمعتزلّي ١١/١٣ والخوئي ٢٣/١٥ وعبده ٧١/١ ومغنية ٣٤١/١ .
(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٦ ص: ١٩٣.

بمعنى المفعول مثل : الحَلَب والجَلَب والمَنَص والنَّفَض والرَّصَد وغيرها ، إذ هي بمعنى المحلوب والمجلوب والمقنوص والمنفوض والمرصود »[١]. ودلالة (فَعل) على المفعول مفهومة من أنّه في الأصل مصدر ثّم غلبت عليه الاسمية فقيِّد بالدلالة على أثر الفعل ، فدلالته على المفعول عارضة ، لأنّهم وصفوا بأمثلته كثيرا فصارت كأنّها الموصوف . ولّما احتملت أمثلة (فَعل) الدلالة على المصادر وأسماء المصادر والجموع وأسمائها والمفعولين والفاعلين بحسب السياق اضطرب الشّراح في تفسير بعض أمثلتها نحو (الوَلَد) في قوله (ع) : (واصْطَفَى سُبْحَانه مِنْ وَلَدِه أُنبِيَاء)[٢] ، فالرّاونديّ جوَّز فيه « أنْ يكون بمعنى المولود أو أن يكون اسم جمع يستوي فيه الواحد والجمع لأنّه مصدر في الأصل »[٣] ، فجمع له الدلالات الثلاث : المفعول واسم الجمع والمصدر . وأنكر المعتزلّي أن يكون الوَلَد مصدرا « لأنّ الماضي فَعَل بالفتح ، والمفتوح لا يأتي مصدره بالفتح ولكن فَعَلا مصدر فَعِل بالكسر كقولك :ولِهت عليه وَلَها ووحِمت المرأة وَحَما »[٤].

٥ - فَعل صفة بمعنى فاعل .

وهي دلالة أقّرها اللغويون في كلام العرب لأمثلة فَعَل فتكون صفاتٍ مشبهةً تصاغ من الثلاثي (فُعل) ، وهذه الصفات بمعنى الفاعل القائم بفعله أو المتّصف به فالحَسَن متصف بالحسن والبَطَل قائم بالبطولة[٥]. ومن امثلتها لدى الشّراح (الفَرَط) وهو الذي يتقدّم الواردين وهو (فَعل) بمعنى (فاعل) كتَبَع بمعنى تابِع[٦]، ومنها الجَلَم إذ هو مقصّ يجز به الصوف وأوبار الابل فهو جالم[٧]. وكذا الحَكَم معناه الحاكم[٨] ، والحَدَث بمعنى الحادث[٩] ، والشَّبه : المشابه[١٠] . ويبدو أن (فَعلاً) إن دلّ على من قام بالفعل فهو بمعنى فاعل على وفق ما سبق وإن اتّصف بالفعل فهو

---

(١) السامرائي٢٩٣ وينظر : ١٧٨ .
(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص:٢٢.
(٣) الراونديّ٧٦/١ .
(٤) المعتزلّي١١٥/١ .
(٥) ينظر : شرح الشافية١٤٨/١ .
(٦) ينظر : البيهقّي ٤٢٥ والراونديّ١٦/٣ .
(٧) ينظر : انصاريان١٤٣/١ وعبده١٠١/١ .
(٨) ينظر: المعتزلّي٢٠٩/١٦ والبحراني ٤٣٢/١٣.
(٩) ينظر: عبده ١٠٦/١ .
(١٠) ينظر: نفسه٢١٥/٢ .

صفة مشّبهة باسم الفاعل تدل على الثبوت . فـ(الأَحد) في قوله (ع) : (الأَحد لا بتأويلِ عَدَدٍ)[1] ، صفة على (فَعل) من الوحدة ، وقد فرق الراوندي بين الأحد والواحد[2] بان (أحد) وصف مأخوذ من الوحدة فهو كالواحد ، لكن (أحد) يطلق على ما لا يقبل الكثرة ولا يقبل العدّ بخلاف الواحد فإنّ له ثانيا ، فالأحد « يستوعب جنسه بخلاف الواحد ألا ترى أنك لو قلت : فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقاومه اثنان ، ولو قلت : لا يقاومه أحد لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر منهم فهو أبلغ »[3] . وفرق البيهقّي بين (الثَّنا) ، والثناء بأنَّ (الثنّا) في الخير والشرِّ جميعا ، والثنّاء في الخير خاصَّة[4] . وفرَّق المعتزلّي بين (العَجَ والعِجَ) بأنّ « العَجَ بفتح العين في ما ينتصب كالنَّخْلة والرُّمح ، والعِجَ بكسرها في ما لا ينتصب كالأرض والرَّأي والدِّين »[5] . وهذه الأمثلة كلّها في الأصل مصادر بدليل أنّ (التبع) الذي قيل :إنّه بمعنى تابع ورد في القرآن مجموعا في قوله تعالى: ﴿**إنّا كنّا لكم تبعا**﴾[6] أي تابعين[7] ، ويبدو أنّ التقدير : (انا كنا قوما تبعا) فأقام الصفة مقام الموصوف للمبالغة والتاكيد على التبعية والملازمة . فصارت الصفة (تبع) كانها الموصوف (القوم) فغلب (تبع) اسما للجمع كموصوفه ، ثمَّ إنّه قام بالفعل ولم يقع الفعل عليه فصار بمعنى الفاعل فتعددت دلالته .

أما البناء المختوم بتاء التأنيث (فَعلة) فذكر الشّراح ثلاث دلالات لأمثلته هي :

١ - فَعلة مصدرا .

كـ (الأَمنة) في قوله (ع) من وصيّةٍ له كتبها بعد معركة صفّين يوصي بها بما يعمل في أمواله :(هَذَا مَا أَمر بِهِ عَبْدُ اللهِ عَليٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ فِي مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ لِيُوْلِجَهُ الْجَنَّةَ وَيُعْطِيَهِ بِهِ الأَمَنَةَ)[8] إذْ هِي بِمعنى الأَمن[9]. و(الأَثَرَة) في قوله (ع) يصف قوما من عسكره في المدينة لحقوا بمعاوية : (لَعَمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الحَقِّ أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلى الأَثَرَةِ)[10] ، وهي بمعنى الاستئثار[11] . وكذا (الهلَكَة) بمعنى الهلاك ، والشَّفَقَة بمعنى الاشفاق[12].

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٥٢ ص ٢٦٦.
(٢) ينظر: تفسير الفخر ١/
(٣) الراونديّ١٨/٢ .
(٤) ينظر : البيهقّي٣٦٠ .
(٥) المعتزلّي ١٩٣/١٠ .
(٦) ابراهيم ٢١ وغافر ٤٧ .
(٧) ينظر : الكشاف
(٨) نهج البلاغة ر ٢٤ ص :٤٨٠ .
(٩) ينظر : البحراني ٣٥٩/٤ وانصاريان٣٦١/١ .
(١٠) نهج البلاغة ر ٧٠ ص :٥٩٠.
(١١) ينظر : المعتزلّي ٥٣/١٨ .
(١٢) ينظر : المعتزلّي ٤٨٦/١١ وعبده ٢٤٣/٢ .

٢ - فَعلة جمعا .

اطّرد فَعَلة جمعا مكسّرا لفاعل صحيح اللام[١] ، ومن أمثلته في النهج (الحَشَدة) و(الحَفدَة) في قوله (ع) يصف الميّت : (تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الوِلْدَانِ وَحَشَدَةِ الإِخْوانِ إلى دارِ غُرْبَتِهِ)[٢] ، فالحَفدَة جمعُ حافد وهو الحفيد ، والحَشَدَة جمع حاشِد وهو المتأهّب المستعدّ[٣]. وكذا « السَّدَنة جمع سادن فاعل ، ومثلها السَّاقة جمع سائق كحائض وحائك »[٤] .

٣- فَعلة واحد الأجناس .

سجّل الشّراح طائفةً من أمثلة (فَعَلَة) دالة على الأسماء المفردة وهي آحاد لأجناس نحو: الهَمَجَة واحدة الهَمَج وهو الذّباب الصغير[٥]. وكذا الشَّجَرة والثَّمَرة وغير ذلك[٦].

---

(١) ينظر:المقتضب ٢٢١/٢ وشرح المفصل ٥٤/٥.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص:١٣٤.

(٣) ينظر : المعتزلّي٢٧٢/٦ .

(٤) المعتزلّي٩٢/١ .

(٥) ينظر : البحراني ٣٤٨/١ وأنصاريان ١٤٣/٢.

(٦) ينظر : المعتزلّي١٨٢/٢ و٢٦٢/٦ و١٤٢/١٣ .

المطلب الخامس : معاني فُعل- فُعلة .

فُعل في العربيّة جمع مطرد لـ (فُعلة) اسما، و(فُعلى) صفة ، نحو: (غُرفة غُرف) و(كُبرى كُبر)[١]. ومن أمثلته في

شروح النهج : النُّقَب جمع نُقْبة وهي أوّل ما يبدو من الجَرب ، والغُصَص جمع غُصّة وهي الشجا ، والذُرى جمع ذُروة ، وقُحَم جمع قُحمة وهي المهالك ، ولُعق جمع لُعقة ، وقُتَر جمع قُترة وهي بيت الصائد ، وسُدَد جمع سُدّة ، وكُفَف جمع كُفّة[٢].

وأما فُعلة فأكثر أمثلة وأوسع معنى من مذكّره ، فقد أقّر له الشّراح تبعا للصرفيين الدلالات الآتية :

١- **فُعلة جمعا .** إذ يحتفظ (فُعلة) بالدلالة على الجمع – تبعا لمذكّره فُعلى - دلالةً رئيسة مطّردة في (فاعل) معتل اللام[٣] . ومن أمثلته لدى الشراح[٤] : رُماة ، غُزاة ، دُعاة ، عُصاة ، غُواة ، دُهاة ، جُفاة وغير ذلك .

٢- **فُعلة مبالغة .** ومنها ما في قوله (ع) : (كلُّ غَدْرةٍ فَجْرةٌ ، وكُلُّ فَجْرةٍ كَفْرةٌ)[٥] ، فقد رواه فريق منهم: (كلُّ غُدَرةٍ فُجَرةٌ وكُلُّ فُجَرةٍ كُفَرةٌ) ، وفسَّروا الغُدَرة بأنّه المبالغ في الغدر. والفُجرة المبالغ في الفجور والكُفَرة المبالغ في الكفر[٦] . وكذا ما في قوله (ع) في التزهيد في الدنيا: (... ذلكَ زَمانٌ لا يَنْجُو فيه إلا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمة)[٧] ، وفيه « النُّوَمة الكثيرُ النُّومِ مثلُ الهُمَزة واللُّمَزة واللُّعَبة والطُّلَعة وغيرها من الأبنية الدالّة على المبالغة »[٨] . وعضد الشّراح دلالة هذا البناء على المبالغة بما جاء في قوله تعالى: ﴿**ويلٌ لكلِّ هُمَزةٍ لُمَزةٍ**﴾[٩]. فالهُمَزة واللُّمَزة صيغتا مبالغة تدلان على من كان كثيرَ الهَمْز واللَّمْز[١٠].

٣- **فُعلَة مَصْدرا .** ندر مجيء (فُعلة) مصدرا ، ومن أمثلته في النهج (تُقاة) في قوله (ع) : (واتّقوا اللهَ حقَّ تقاتِه)[١١] ، بمعنى حقَّ تقيته ، وأصله (تُقَية) على (فُعلة) فلما حركت الياء وسبقت بفتح قلبت الفا[١٢] .

---

(١) ينظر : التكملة ٤١٧ والمقرب ٤٦٧ وجموع التصحيح والتكسير ٤٤ .

(٢) ينظر: المعتزلّي ٧٩/٢ ، ٢٦١/٦ ، ٤٠٤/٦ ، ٤٤٣/٦ ، ٢٩/٧ والخوئي ٣٧٣/٦ والسامرائي ٢٦٦ ، ٣١٨ .

(٣) ينظر : الكتاب٣٥٩/٤ وادب الكاتب٢٥٥ والتكملة ٤٦٤ وشرح المراح١٢٥ والمزهر ٣٤٣/٢ .

(٤) ينظر:الخوئي ١٧٩/١٠ والتستريّ ٥٦٥/١٠ والموسوي ١٦٦/٣.

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٠ ص ٤٠١.

(٦) ينظر : المعتزلّي٢١١/١٠ والبحراني ٤٣٩/٣ ومغنية٣٢٧/٤ والسامرائي ٢٧٥ .

(٧) نهج البلاغة ص: خ ١٠٣ ص:١٨٧.

(٨) السامرائي ٣٤٦ وينظر : الراونديّ٤٤٨/١ والمعتزلّي١١٠/٧ والبحراني ٢٠/٣ وعبده٢٤٨/١ ومغنية ٤٠٠/٢ .

(٩) الهمزة ١ . (١٠) ينظر : الكشاف

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١١٤ ، ص ٢١٤.

(١٢) ينظر : الكيدريّ ٥٥٠/١ المعتزلّي٢٩١/٧ والبحراني ٩٩/٣ والخوئي ٥٤/٨.

المطلب السادس : معاني فَعِل- فَعِلة .

تكاد تجتمع أمثلة (فَعِل) على الدلالة على الوصف العارض ، نحو: فلان حذِر فطِن . ومنها ما في قوله (ع) : (فإنّ الدُّنيا رَنِقٌ مَشْرَبُها رَدِغٌ مَشْرَعُها...)[١] ، إذْ يقال : عَيْش رنِقٌ أي كدِر ، ويقال : مشروع ردِغ ذو طين ووحل[٢]. ومنها قوله (ع) لأحدهم : (يا أخا بني أسَدٍ إنّكَ قلِقُ الوَضِينِ)[٣] ، فقلِق صفة مشبَّهة من قلِق يقلق من الباب الرابع[٤] ومنها : (طلِق ملِق)[٥]، و(غرِقين)[٦]، و(فكِهين)[٧].

وكان البصريُّون قد أوّلوا النعت بالمصدر على حذف المضاف نحو: (دمٍ كذب) ، تقديره: دم ذو كذب ، أما الكوفيون فأوّلوا المصدر بالمشتقّ ، فقالوا: مكذوب فيه[٨] . وهذا البناء من أبنية الصفة المشبهة التي تفيد الدلالة على الصفات العارضة غير الثابتة[٩] التي تزول سريعا ، وتصاغ أمثلته من (فعِل) اللازم للدلالة على الادواء الباطنة ، نحو : وجِعٍ ، ودوٍ ، وعمٍ من عمِيَ قلبُ ، والعيوب الباطنة نحو : نكِسٍ وشكِسٍ ، والهياجات والخفة ، نحو : أشِرٍ وبطِرٍ وفرِحٍ وقلِقٍ[١٠].

أما (فَعِلة) فبناء برزت أمثلته في متن النهج دالّة على الأوصاف الثابتة كوصف الدنيا في قوله (ع) :(أُحَذِّرُكُم الدُّنيا فإنّها حُلْوَةٌ خَضِرةٌ)[١١] ، أي:متّصفة بالحلاوة والخضرة[١٢] . وجاء بعض أمثلتة بمعنى المفعول ، ومنها (طَلِبة) في قوله (ع) في شأن طلحة والزبير :(وَإنْ كَانُوا وَلُوه دُونِي فَلَهُ الطَّلِبة إلا قِبَلَهُم)[١٣].إذ هي بمعنى الشيء المطلوب[١٤].

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص:١٢٢ .

(٢) ينظر : المعتزلّي٦/٢٤٦-٢٤٧ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٢ ص:٢٨٨ .

(٤) ينظر : المعتزلّي٩/٢٤١ .

(٥) ينظر : المعتزلّي٢/٧٨ و١٦/٢١ .

(٦) ينظر: الراونديّ ٢/٢٦٣ والمعتزلّي ١٣/١٧٣ والبحراني ١/٤٦٢ والخوئي ١١/٣٨٩ .

(٧) ينظر: الروانديِ ٢،٢٦٥ والمعتزلّي ١٣/١٧٣ والبحراني ٤/٢٩٢.

(٨) ينظر : الكتاب٤/٩٧ ومعاني الفراء٢/٣٨ والمقتضب٣/١٦٣ ومجمع البيان٥/٢١٥ وائتلاف النصرة٧٤.

(٩) ينظر : شرح الشافية١/٧٢ واوضح المسالك٣/٣٤٣ وشرح التصريح٢/٧٨ .

(١٠) ينظر : الكتاب٤/١٧ وادب الكاتب ٤٦٧ والصاحبي ٢٢٤ والمخصص ١٤/١٤١ .

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١١١ ص:٢٠٥.

(١٢) ينظر : الراونديّ ١/٤٧٥ والكيدريّ ١/٥٣٩ والمعتزلّي ٧/١١٠ والبحراني ٣/٨٦ والخوئي ٨/١٧ .

(١٣) نهج البلاغة خ ١٣٧ ص :٢٤٥.

(١٤) ينظر : المعتزلّي٩/٣٣ و١٠/١٩٠ والبحراني ٣/١٥٦ وعبده ٣/٨٨ ومغنية ٥/٢٢٧ .

المطلب السابع : معاني فُعل .

وهو بناء أفادت الفاظه عدة دلالات هي :

١- **فُعل جمعا :** وهو مطّرد في الوصف (فَعول) بمعنى (فاعل) نحو : صَبُور صُبُر وقَدُور قُدُر. وفي اسم رباعي قبل آخره مدّ ، مذكرا كان ام مؤنثا؟ نحو : كتاب كُتُب وصحيفة صُحُف[١]. ولذا كثُرت أمثلته في متن النهج ، فدلّل الشّراح على مفرداتها ، وكان الرضيّ أول من أقرّ دلالة (فُعل) على الجمع لما أورد قوله (ع) في مدح المتقين : (أُولئكَ مَصَابِيْحُ الهدَى وأَعْلامُ السُّرى ، لَيْسُوا بِالمَسَابِيْحِ ولا المَذَايِيْعِ البُذُر)[٢] ، إذ قال : « البُذُر جمع بَذُور وهو الذي يكثُر سَفَهُهُ ويلغُو مَنْطِقُهُ »[٣] . وقد ورد (فُعل) جمعًا في شروح النهج لغيرِ ما ذكر آنفا نحو (الرُّعُث) و(القُلُب) في قوله (ع) من خطبة يصف أصحاب معاوية لما غزوا الأنبار : (ولَقَدْ بَلَغَنِي أَنّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ والأُخْرَى المُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُبَهَا وَقَلائِدَهَا ورُعُثَهَا)[٤]، فقُلُب جمع قُلْب وهو السوار المُصمت . والرُّعُث جمع رَعْثة وهي القِرط[٥] . وذهب بعضهم إلى أنّ الرُّعُث جمع مفرده (رِعَاث) وهذا جمعٌ مفرده (رَعْثة) ، فقال : « رُعُثها شُنُوفُها جمع رِعَاث بكسر الراء ، ورِعاث جمع رَعْثة ، فالأوّل مثل حِمار وحُمُر ، والثّاني مثل جَفْنة وجِفَان»[٦]. وكذا « الأديم واحد والجمع أُدم ، كما قالوا أَفِيق للجلد الذي لم تتمَّ دباغته وجمعه أُفُق »[٧]. ومنها الذُّلُل جمع ذَلُول ، والسُّلُس جمع سَلِس[٨]. ويمكن القول : إنّ دلالة أمثلة (فُعُل) على الجمع مطردة في كل الأمثلة التي صرفها أكثرهم إلى معان أخرى منها المفعولية والفاعلية والمصدرية .

٢- **فُعل بمعنى مفعول :** ومن أمثلته (فُتُح) في قوله (ع) في مناسك الحج : (لم يَجْعَلْ ذلك أَبوابًا فُتُحًا إلى فَضْلِه وأَسْبَابًا ذُلُلاً لِعَفْوِه)[٩] ، فالأبواب الفُتُح هي المفتوحة[١٠]. وكذا (الجُرُف) وهو ما تجرفه السُّيول وأكلته من الأرض ، فيكون بمعنى المفعول أي المجروف[١١]. وهذه الدلالة تندرج تحت الوصف بالمصدر ، فيقال : باب فُتُح ، وأَبواب فُتُح ، وقارورة فُتُح ، فيستوي فيه المفرد والجَمْع والمذكّر والمؤنَّث .

---

(١) ينظر: التكملة ٤٤١ والمقرب ٤٧٥ - ٤٧٦ .
(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٣ ص :١٨٧.
(٣) نهج البلاغة ١٨٨ وينظر : المعتزلّي١١٠/٧.
(٤) نهج البلاغةخ٢٧ ص:٦٢ .
(٥) ينظر: الراوندي ٢١٥/١ والبحراني ٣٢/٢ والتستريّ٥٠٥/١٠ وأنصاريان ١٣١/١ .
(٦) المعتزلّي٧٨/٢ .
(٧) المعتزلّي ١٩٧/٣ .
(٨) ينظر : الراونديّ٢٣٨/١ والمعتزلّي١٤٨/١٣ .
(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٧٠ .
(١٠) ينظر : المعتزلّي١٦/١٣ والبحراني ٢٤٧/٤ والسرخسي٢١٦/١ .
(١١) ينظر : عبده٢٥٢/١ والموسوي١٨٩/٢ .

وفرَّق بعض الشّراح بين قارورة فُتُح وقارورة مفتوحة بأنّ الوصف بالمصدر يفيد الثبات والدوام والاستمرار على الفتح . اما الوصف باسم المفعول فمنصرف إلى المضّي ، أي عدم الاستمرار على حالة الفتح[١].

٣ – فُعل اسم فاعل .

ومثاله (قُدما) في قوله (ع) في وصف المؤمن المتقي : (..وَنظَرَ قُدُمًا أَمامَه)[٢] ، والمعنى: نظر ما بين يديه متقدِّما لم ينثنِ ولم يعرِّجْ[٣]، واللفظُ – أيضا – في قوله (ع) : (مَضَوْا قُدُمًا...)[٤] ، أي مُقَدِّمِينَ[٥]. ويبدو أنَّ هذه الدلالة مندرجة – أيضا – تحت الجمع وهي واضحة في (مضوا قدما) ومؤولة في (نظر قدما) بإرادة النظر المتعاقب لا النظرة الواحدة .

٤ – فعل مصدرا .

ومن أمثلته (نُزُل حميم) والمعنى (نُزول الحميم) عند أكثرهم[٦]، وكذا (الأُنف) معناه الأنفة لدى فريق منهم[٧].

وواضح أنّ نزل الحميم تعني توالي النزول فكأنّ (نُزُل) جمع نُزول وكذا الأُنف كأنه جمع أَنفة وليس مرادفا لها.

---

(١) ينظر : الراونديّ٢/٢٥٣ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص:١٣١

(٣) ينظر : المعتزلّي٦/٢٦٧ .

(٤) نهج البلاغة خ ١١٦ ص:٢١٩

(٥) ينظر : انصاريان١/٤٠٠ .

(٦) ينظر : البيهقّي ١٦٣ .

(٧) ينظر : السرخسي١/٢٧ وعبده١/١٨١ ومغنية ٢/١٧٧ .

المطلب الثامن : معاني فِعْل.

١ - **فَعل جمعًا** . كثُرت أمثلة البناء (فَعل) لدى الشّراح دالةً على جمع الكثرة للمؤنثة (فِعْلة)[١]، ومنها: النِّعم جمع نِعْمة ، والرِّفَد جمع رِفْدة وهي العَطيّة والصِّلة ، والإِحَن جَمْع إِحْنة وهي الحِقد في الصَّدر، والقِطَع جَمْع قِطْعة ، والرِّبق جَمْع رِبْقة وَهْو الحَبْل يُرْبَقُ به البَهِيم[٢]. ومن هذه الأمثلة يتبيَّن أنّ (فَعل) جمعٌ مختصٌّ باسمٍ مؤنّثٍ على (فِعْلة) . ونبّه الصرفيون على إنّه اسم تامّ لم يُحذف من حروفه شيْء .

٢ - **فَعل مصدرا** . إذ وردت أمثلة (فِعل) دالة على المصادر كثيرا ، منها الصِّغَر والعِظَم والكِبر والقِدَم . وهذه المصادر تفيد الدلالة على اللزوم والثبات ؛ لانها تصاغ من الباب الخامس ، يقال : « صغُر الشيء يصغُر من باب شُرف صِغَرا وزان عَنَب فهو صغير ، ... وعظُم الشيءُ بالضم أيضا عِظَما كعَنَب فهو عظيم»[٣]. وفرق الخوئيّ بين (الصِّغَر) و(الصُّغر) ، بان الصِّغَر لما كان من الباب الخامس (فُعُل) فهو ملازم لصاحبه ومبالغ فيه ، فكأن الحقارة والذل لا تنفك عن الموصوف بالصِّغر، واما (الصُّغر) فهو من الباب الرابع وأفعاله عارضة فهو دون الصغر في الدلالة على الحقارة ، ولذا أطلق على مقتبل العمر لأن الإنسان لا يدوم على ذلك[٤]. وكان المعتزليّ قد رسّخ إفادة المصادر التي على (فِعل) معنى الثبات واللزوم لّما وقف على قوله (ﷻ) في حمد الله تعالى : (لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَهُ تَجْسِيمًا وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الغَايَاتُ فَعَظَّمَهُ تَجْسِيدًا بَلْ كَبُرَ شَأْنًا وَعَظُمَ سُلْطَانًا)[٥] ، إذ قال :« معناه إنّه تعالى يُطلق عليه من أسمائه الكبير والعظيم ، وقد ورد بهما القرآن العزيز وليس المراد بهما ما يستعمله الجمهور من قولهم : هذا الجسم أعظم من وأكبر مقدارا من هذا الجسم، بل المراد عِظَم شأنه وجلالة سلطانه »[٦]. وللتدليل على ثبات المعنى في أمثلة (فِعل) في المصادر أورد الشّراح قوله (ﷻ) في وصف الله عز وجل: (الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ)[٧]، وفيه القِدَم مصدر قُدُم يقدُم فهو قديم ، والقديم ثابت أزلي لا محوَّل عن صيرورة أو تغيير . ذلك إنّ حدوث الاجسام قد دلّ على إنّه لا بدَّ من صانع يحدثها وهذا هو المعنّي بالقِدَم[٨] .

أما (فِعلة) فأشار الشّراح إلى مجيئه جمعَ تكسيرٍ للثّلاثي مكسورِ الفاءِ نحو: دِيك دِيَكة ، وقِرْط قِرَطة[٩].

---

(١) ينظر: التكملة ٤١٥ .

(٢) ينظر :البيهقّي ١٨٢/١ والرواندي ٣٩٤/١ والمعتزلّي ٤٢٨/٦ و١٠٣/٧ والبحراني ٢٢٥/١ والخوئي ٣٧٢/٦ ومغنية ٢٢/٢.

(٣) التكملة ٤١٦ وينظر:جموع التصحيح والتكسير ٤٥ .

(٤) ينظر: الخوئي ١٥٠/١٤ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٥ ، ص ٣٣٨ .

(٦) المعتزلّي ٥٤/١٣ وينظر: البحراني ١٢٣/٤.

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٥ ، ص ٣٣٨ .

(٨) ينظر : المعتزلّي ٤٥/١٣ والبحراني ١٢٣/٤ والخوئي ٧/١١ والشيرازي ١١٨/٣.

(٩) ينظر: المعتزلّي ٢٦٩/٦ وأنصاريان ١٣٧/٢.

المبحثُ الثّاني

دلالة أبنية الأسماء المزيدة بحرفٍ واحدٍ

المطلب الأول : مَعاني أفعل .

كثُرت أمثلة (أفعل) في متن النهج ، فوزّعها الشّراح على خمسة معانٍ هي :

١ - أفعل للتفضيل .

تدلّ أمثلة أفعل التفضيل على أنّ شيئين قد اشتركا في صفة ما وزاد أحدهما على الآخر فيها[١] . واشترط القدماء لصياغة اسم التفضيل من الفعل أن يكون ثلاثيا ومتصرّفا وقابلا للتفاوت وأن لايكون الوصف منه على أفعل فعلاء وأن يكون مثبتا وتامّا ومعلوما[٢] . واقتصد المحدثون في هذه الشروط ، فجّوز المجمع العلميّ في القاهرة صياغة أفعل التفضيل من الفعل المنفي والناقص والمجهول ، فوقفوا في شروطة عند أربعة بعد أن كانت سبعة لا اكثر[٣] .

ووردت أمثلة افعل التفضيل كثيرا في نهج البلاغة منها ما في قوله الامام (ع) يصف الملائكة : (هُم أَعْلَم خَلْقِكَ بِكَ وَأَخْوفهمْ لَكَ وأَقْرَبهمْ مِنْكَ)[٤] ، فكلّ من : (أعلم ، أخوف ، أقرب) أسماء تفضيل[٥] . وما في قوله (ع) في ذّم بعضهم : (وَمنْ فَازَ بِكُم فقَدْ فازَ واللهِ بِالسَّهمِ الأَخْيَبِ)[٦] ، فالأَخْيَبِ معناه أَشَدّ خيبة وهي الحرمان[٧] . وما في قوله (ع) لما بعث الأشتر واليا على مصر : (...فإِنَّه مِمّن لا يُخَافُ وَهْنُه ، ولا سَقْطَتُه ، ولا بُطْؤه عَمّا الإِسْرَاعُ إِلَيْه أَحْزَم ، لاَو إِسْرَاعُه إِلى ما الْبطْء عَنْه أُمْثَلُ)[٨] ، فالعرب تقول : « هذا الرأي أحزم من هذا اي أدخل في باب الحزم والاحتياط وهذا أمثل من هذا أي أفضل »[٩] . وما في قوله (ع) في الحثّ على القتال : (وَعَضُّوا عَلى الأَضْرَاسِ فإِنَّه أَنْبى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهامِ ، وَالْثَوا فِي أَطْرافِ الرِّمَاح فإِنَّه أَمْوَرُ لِلأَسِنَّة ، وَغُضُّوا الأَبْصار فإِنَّه أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ، وأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ فإِنَّه أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ)[١٠] ، فكلّ من: أنبى وأمور وأربط وأسكن وأطرد ،أسماء تفضيل[١١].

---

(١) ينظر : دقائق التصريف٢٣٣ وشرح الكافية٢١٢/٢ وشرح الشافية ٣٢٥/٢.

(٢) ينظر : شرح المفصل ٩٢/٦ والايضاح في شرح المفصل٦٥٣/١ وشرح الكافية٢١٢/٢ .

(٣) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية ١١٨-١١٩. (٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ص :١٩٩.

(٥) ينظر : المعتزلّي٢٠٠/٧ . (٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٩ ص:٦٧.

(٧) ينظر : البحراني ١٥١/٢ .

(٨) نهج البلاغة :الرسالة ١٣ ، ص :٤٧١-٤٧٢.

(٩) المعتزلّي١٠٣/١٥ .

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٤ص:٢٢٧.

(١١) ينظر : الراونديّ٣٤/٢

٢ - أفْعل صفة .

تكثر أمثلة أفعل صفة لازمة للمذكر من (فِعل) اللازم وتكون فيما دلّ على لون نحو: أحمر وأزرق . أو حُلية نحو: أغيد وأهيف أو عيب نحو: أعمى وأعور[١]. وأكثر ما جاء أفعل في النهج صفة دالة على عيب نحو: الأعمى والأصّم والأبكم[٢]. ثم صفة دالة على لون نحو : (اَلْمَوْتُ الأَحْمر والجُوعُ الأَغْبر)[٣] .إذ نعت الموت بالأحمر لكثرة ما فيه من دماء وقتل ، ونعت الجوع بالأغبر لأن الجائع يرى الآفاق كأنّ عليها غبرة وظلاما[٤] . وندر مجيء أفعل صفة دالة على حلية .

وقد عد سيبويه وخالفوه (أفعل) في الوصف نظيرا لـ(فِعل) نحو : شعِث وأشعث ، وحدِب وأحدب ، وحمِق وأحمق[٥] . وفّرق الدكتور فاضل السامرائي بين البناءين فقال : « لا أذهب إلى ما ذكره سيبويه من نحو حمِق وأحمق ، وجرِب وأجرب أنّهما بمعنى واحد وإن كان أصحاب المعجمات يذهبون الى ذلك أيضا ، وإنّما أرى أنّ لكل منهما معنى وقصدًا ، فبناء فعِل يختلف عن أفعل في جملة أمور منها: إنّه عرض غير ثابت وإنّ فيه هيجا ، وإنّه فيما يكره من الأمور الباطنة غالبا ، وأما أفْعل فيكون ثابتا ، وإنّه في العيوب الظاهرة »[٦].

٣- أفعل بمعنى ذي الشْيء .

وهوفي قوله (ع) في سحر اليوم الذي ضُرب فيه :(...فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي)[٧] ، إذ فهم الشّراح أنّ (شرًّا) لا يدلّ هنا على أنّ فيه (ع) شرًّا ؛ لأنّه ليس بمعنى التفضيل الذي يستدعي اشتراك اسمين في الفعل زاد أحدهما على الآخر في القيام به أو الاتّصاف به ، وإنّما المعنى : أبدلهم بي من هو ذو شّر ، فيقع الشّر من غيره لا منه (ع) ، وكذا (خير منهم) ، التقدير: أبدلني اللهم (ذا خير) لأنّهم لا خير فيهم . وهذا الوجه رجحه المعتزلّي[٨]، وعضده بقوله تعالى :﴿ **قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ**﴾[٩] فـ(خير) لا يدلّ على أنّ في النار (خيرا) وانما المعنى : هل النار ذات الخير أم جنّة الخلد ؟[١٠] . وعضده اخرون[١١] بقوله تعالى :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا**

---

(١) ينظر : الكتاب ١٧/٤ و ٢٥ و ٢٦ والمخصص ١٤٠/١٤ وشرح الشافية ١٤٥/١ والمزهر ٨٢/٢ .

(٢) ينظر : المعتزلّي ١٨٣/٧ والبحراني ٣٣٦/٣ . (٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٢ ص:١٨٦

(٤) ينظر: الراونديّ ٤٤٣/١ والمعتزلّي ١٠٤/٧والبحراني ١٥/٣والخوئي ١٧٨/٧ وأنصاريان ٣٤١/١.

(٥) ينظر: الكتاب ٢٥/٤-٢٦ .

(٦) معاني الابنية ٨١ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٢٥ ص:٥٨.

(٨) ينظر : المعتزلّي ١١٢/٦ .

(٩) الفرقان ١٥

(١٠) ينظر: البحر المحيط ٨٨/٨

(١١) ينظر: الخوئي ١٢٦/٥ وابو الفضل ٧١/١ .

يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ من يأتي ءامنا يوم القيمة﴾[١]، ولا خير في من يُلقى في النار ، وإنَّما المعنى : من يُلقى في النار ذو الخير! أم من يأتي آمنا ؟[٢] . وهو أحد الوجهين لدى البحراني الذي رأى « أنّ صيغة التفضيل كما ترِدُ لإثبات الأفضلية كذلك قد ترِدُ لإثبات الفضلية »[٣]. أمّا وجهه الآخر فقد أقرّه الراونديّ قبله ثمّ رجحه البحراني ومعظم الشّراح ، وملخَّصه ان (شرّ) و (خير) على بابهما في التفضيل ، ومعنى الشّر مفهوم من نسبته إلى المخاطب على وجه الاعتقاد أو الزعم ، وهو أن يكون الشرُّ منه (ع) محمولا على عقائدهم الفاسدة أنّ فيه شرًّا عليهم . واعتقادهم الفاسد أنّه ذو شرّ لا يوجب كونه كذلك[٤]. وهذا الوجه أولى بأن يُؤخذ به لنأيه عن شُبهة النيابة الصرفيّة والعدول عن ظاهر اللفظ .

٤ - أفعل بمعنى مفعول .

وهي دلالة صرّح بها الشّراح في أمثلة (أفعل) التي وقع عليها الفعل ، كما في قوله (ع) يذّم أصحابه لتقاعُسهم عن الجهاد :(جَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الجَمَلِ الأَسَرِّ ، وَتَثَاقَلْتُمْ ثِقَالَ النِّضْوِ الأَدْبَرِ)[٥] ، فالأَسّر المصاب بالسرر ، وهو داء في حلق البعير يفسد كركرته ، والأدبر هو المصاب بالدَّبر، وهو داء في ظهر الجمل ، وكلاهما بمعنى المفعول : أي الجمل المسرور ، والنِّضْو المدبور[٦]. وقريبٌ مِنْهما ما في قوله (ع) : (فَلا تَنْفُرُوا مِنَ الحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الأَجْرَبِ)[٧] ، بمعنى المجروب وهو الذي أصابه الجَرَب[٨].

٥ - أفعل بمعنى فاعل .

ومثاله ما في قوله (ع) من عهده إلى محمد بن أبي بكر (رض) حين قلّده على مصر: (... فَإِنَّ اللهَ تَعَالى يُسَائِلُكُم ...فإنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ ، وإنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ)[٩]. إذ حمل الرواندي (أظلم) على معنى الفاعلية ، فهو بمعنى (ظالم) ولم يحمله على التفضيل لأنه يؤول إلى أن أدنى ظلم يأتي من الله تعالى ، إذ قال : « المراد بأظلم الظالم وإن كان على لفظ المبالغة لأنّ أفعل إنّما يدخل على أشياء تتساوى ويُفضّل أحدها ... وقال : أظلم على لفظ أفعل لازدواج أكرم والمراد الفاعل قال تعالى :﴿ **وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾[١٠] ، أي : هيّن عليه ، إذ لا يصعب عليه تعالى شيء»[١١] .

---

(١) فصلت ٤٠

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣٠٩/٩. (٣) البحراني ٢٢/٢ .

(٤) ينظر: الراونديّ ٣٠٠/١ والبحراني ٢٢/٢ والخوئي ١٢٦/٥ ومغنية ٣٤٦/١ والتستريّ ١٠/١١ والشيرازي ٢٧٤/١.

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٣٩ ص:٨٢

(٦) ينظر : البيهقّي ١٢٩ والرواندي ٢٥١/١ والمعتزلّي ٣٠١/٢ والبحراني ١٠٠/٢ والخوئي ١٧٤/٤-١٧٥

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٧ ص:٢٥٧

(٨) ينظر: الراونديّ ٧٥/٢ والمعتزلّي ١٠٧/٩ والبحراني ٢٠٢/٣ والتستريّ ٨٨/٣.

(٩) نهج البلاغة : الرسالة٢٧ ، ص ٤٨٥ .

(١٠) الروم ٢٧ وينظر: الكشاف٢٢٠/٣ والبحر المحيط ٣٨٦/٨.

(١١) الراونديّ ٦٣/٣ .

وشايع فريق من الشّرّاح الرواندي ففسَّروا (أظلم) بـ(ظالم) . وإنما لم يُصرَّح بلفظ (ظالم) مراعاة الازدواج بـ(أكرم)[١]. على حين جوز البحراني بقاء (أظلم) دالا على المفاضلة بين شيئين فقال مستدركا على الراونديّ : « يحتمل أن يكون قد سمّى ما يجازيهم به من العدل ظُلما مجازا لمشابهة الظالم في الكمّية والصورة كما سُمّي القصاص اعتداء في قوله تعالى : ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** ﴾[٢] . ثم نُسب إليه فعلهم . فصدق – اذن – افعل التفضيل باعتبار كونهم بدؤوا بالمعصية ، وكذلك الإعلام بأنّه تعالى مظنّة الكرم بالعفو عنهم »[٣].

ومن هنا يمكن القول : إنّ أمثلة (أفعل) جميعا باقية على دلالتها الرئيسة التي هي المفاضلة في الفعل بين اثنين ، إذ قد تكون المفاضلة ظاهرة إذا تساوى الطرفان ، وقد تكون خفّية لا تدرك إلا بالتأمّل والتأويل إذا اتّسع البون كثيرا بين المتفاضلَيْنِ ، والتسليم بتحريف بعض الأمثلة نحو : (أهون عليه) و (شرًّا منّي) يفقد التركيب إعجازه وبلاغته . فـ (شرّ) و(خير) في قوله (ﷺ) المذكور آنفا باقيان على حالهما في التفضيل مع وجود أدنى خير فيهم ، وأدنى شرّ فيه (ﷺ) على وجه الاعتقاد من كلا الفريقين . إذ هم أصحابه وجنوده فلا يعقل خلوهم من الخير، وهو (ﷺ) أميرهم وقد دعاهم الى القتال وهو كُره لهم ، ومن هذا الباب زعموا أن فيه شرّا عليهم . وقد ألمح الشّرّاح إلى ان (خيرا منهم) و(شرًّا منّي) حُذِف منه الصفات ، والتقدير: خيرا منهم صالحون ثابتون في القتال لا مُدْبرين ، وشرًّا منّي واليا قاعدا متقاعسا عن حكم الله[٤] . وكذا حذف المفضل منه في: (أنتم أظلم) و(فهو أكرم) ، والتقدير : « إنه تعالى إن يعاقب فأنكم أظلم من كل عبد عصى سيده وإن يعفُ فهو أكرم من كلّ سلطان يعفو عن رعيته »[٥]. فهذا وجه آخر أفضل من تضمين (أظلم) معنى (الظالم) ، وحمل (خير وشرّ) على معنى (ذو الخير وذو الشر) .

---

(١) ينظر: الكيدريّ ٤٣٢/١ والمعتزلّي ١٦٥/١٥ والخوئي ٦١/١٩ والشيرازي ١٨/٤ وابو الفضل ١٦٧/٢ وانصاريان ٧١/٣ .

(٢) البقرة ١٩٤ .

(٣) البحراني ٣٧١/٤ .

(٤) ينظر : عبده ١١٣/١ والسامرائي ١٠٩ .

(٥) التستريّ ١٦/٩.

المطلب الثاني : معاني فعيل – فعيلة

فعيل: بناء احتدمت أمثلته في متن النهج ، فتلمس الشّرّاح لها أربع دلالات هي :

١ – فعيل صفة .

أقّر ذوو الصَّنعة دلالة (فعيل) على الوصف الثابت اللازم في باب الصفة المشبهة باسم الفاعل ، فتشتقّ أمثلته من أفعال الباب الخامس التي تدلّ على الطبائع والخصال الملازمة صاحبها كالحسن والقبح ، نحو: قبيح ، وسيم ، جميل ، رحيم[١] . ونّبه المبرد على قوة الوشيجة بين (فعِل) و(فعيل) في الدلالة على الوصف اللازم فقال : « فعِل مضارعه الفعيل »[٢] . وأكّد الرضيّ رأي المبرد هذا بقوله : « يجيء فعيلٌ فيما حقّه فعِل كسقيم ومريض »[٣]. وقد نالت أمثلة (فعيل) الدالة على الوصف الثابت نصيبا وافيا من الفاظ النهج التي على هذا البناء فقسمها الشّرّاح تبعا للسابقين على ضربين :

أ - فعيل بمعنى فاعل .

وهي دلالة جلّية واضحة في امثلة (فعيل) لدى الشّرّاح جميعا مع جهد واضح بالتصريح والتمثيل والاستدلال لدى المعتزلّي[٤] والبحراني[٥] اللذين فاقا أقرانهما في إقرارها . ثم قّعد لها الدكتور ابراهيم السامرائي[٦] في أكثر من موضع ، ومن امثلتها لديهم قول المعتزلّي : « شهيدك أي: شاهدك ، قال تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾[٧] »[٨] . وقول البحراني : « البديع : الصائغ ، وهو فعيل بمعنى فاعل ، كقوله تعالى ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾[٩] »[١٠] .

ومجيء فعيل بمعنى اسم الفاعل في متن النهج يعم امثلة اسم الفاعل جميعها سواء منها المجرد (فاعل) كالشهيد والبديع المذكورين انفا، او المزيد الذي على (مُفْعِل) كالشَّفيق بمعنى المُشْفِق ، والنَّذير بمعنى المُنْذِر[١١]. أو على

---

(١) ينظر: الكتاب ٤٨/٤ وينظر : الصاحبي ١٩١-١٩٢ والمخصص ١٤٧/١٤-١٤٨ .

(٢) المقتضب ١١٦/٢.

(٣) شرح الشافية ١٤٧/١ .

(٤) ينظر : المعتزلّي ١٤٢/٦ و ٢٥٨/٩ و ٢٦٠/١٠ و ١٨٠/١١ و ٣٨٥/١٨.

(٥) ينظر : البحراني ٢١٠/٢ و ٢٨١/٣ و ٣/٥ و ١١٢.

(٦) ينظر : السامرائي ١٢١ و ١٣٠ .

(٧) النساء ٤١ وينظر: الكشاف ٥٢٧/١ والبحر المحيط ٥٨٢/١.

(٨) المعتزلّي ١٤٢/٦ وينظر : عبده ١٥١/١ وانصاريان ٢٠٣/١.

(٩) البقرة ١١٧ وينظر: الكشاف ٣٠٧/١ والبحر المحيط ٥٨٢/١.

(١٠) البحراني ١٥٧/٤ وينظر : الخوئي ١٥٣/٢ وانصاريان ٧٥/٢ .

(١١) ينظر : الراونديّ ٢٧٢/١ و ١٢٢/٢ والكيدريّ ٢٧٢/١ والشيرازي ١٨٩/١ والموسوي ٢٨٢/١ .

(مُفاعَل) كالحَجِيْج بمعنى المُحَاجِج والخَصِيْم بمعنى المُخَاصِم والنَّجِيّ بمعنى المُنَاجِي والحَسِيْب بمعنى المُحَاسِب والحَدِيْف بمعنى المُحَالِف والقَرِيْن بمعنى المُقارِن[١] ، وغير هذا كثير . أو على (مُتفَعِّل) كالدَّفِيْق بمعنى المُتَدَفِّق والمَكِيْن بمعنى المَتَمَكِّن[٢] . أو على (مُفْتعَل) كالسَّوِيّ بمعنى المُسْتَوِي والبَدِيْء بمعنى المُبْتَدِئ[٣] . أو على (مُسْتَفْعِل) كالدِّين القَوِيْم بمعنى المُسْتَقِيْم[٤].

وكان علماء العربية قد فسّروا جملة من امثلة (فعيل) بالدلالة على (فاعل) وهي دلالة مطردة في كل (فعيل) قائم بالفعل او متصف به ، نحو:(كريم وعظيم) ، و«فعيل بمعنى فاعل يذكر ويؤنث سواء أجري على موصوفه ام لا ، نحو : رجل ظريف وامرأة ظريفة »[٥] . ويمكن القول في هذه الامثلة : إنّها انما فسرت بالفاعل من باب التوضيح والبيان وليس المراد تمام المطابقة في الدلالة بين امثلة البناءين : (فعيل) و(فاعل) ؛ ذلك إنّ (فاعل) قائم بالفعل على وجه التجدد وعدم اللزوم ، ويدل (فعيل) على الثبات واللزوم في الاتيان بالفعل ، وبهذا يظهر الفرق بين (كريم ومكرم) و(خصيم ومخاصم) و(شهيد وشاهد) ، بل إنّ (مخاصم) وبابه يستدعي طرفا وشريكا وهو المفهوم من مدلول المشاركة في (خاصم) على حين لا يستدعي (فعيل) ندا او شريكا لاقرار مفهومه وتبيان دلالته ، فالخصيم هو من يرفض كل ما يعرض له وان لم يكن له ندّ يبادله الخصومة ، اما المخاصم فلا يتحقق معناه الا بوجود شريكه .

ويبدو ان الشّراح لم يلتزموا بمسألة (تناوب الصيغ) التي اقّرها المحدثون اعتمادا على تلك الاشارات التي تلقوها من القدماء ، بدليل انهم فسروا امثلة (فعيل) الدالة على وصف الفاعل القائم بفعله بأنّها تعني (ذو الشيء) ، ولم يشيروا الى تضمن (فعيل) معنى (فاعل) نحو :الحجيج والخصيم : « ذو الحاجة والخصومة »[٦] و «الامير ذو الامر »[٧]، و «النجيد ذو النجدة »[٨]، والمرعى الوبيّ بمعنى : « ذو الوباء »[٩].

وسيأتي عما قريب تفسير فريق من الشّراح هذه الأمثلة وغيرها بالدلالة على المبالغة لا على الفاعلية . ومن هذا يفهم أن مسألة النيابة الصرفية غير مسلم بها في تفسير أبنية العربية ، وانما يلجأ إليها أحيانا بغية الإيضاح والبيان وتفسير الغامض بالواضح .

---

(١) ينظر: الراونديّ٢/٤٠٤ والكيدريّ٢/٢٣٦ والمعتزلّي١٠/٢٦٠ ، ١١/١٨٠ والبحراني ٢/٢١٠ ، ٥/٣ والسرخسي١/٨١ وعبده٢/١١٥ والخوئي ١٤/٢٤٧ ومغنية ٤/٤٥٣ والتستريّ٤/٢٦٢ والسامرائي١٢١ وابو الفضل ١/١٦٢ ، ٢/٤٤ .

(٢) ينظر : الخوئي ١/٣٧٠ انصاريان٢/١٢٧ .

(٣) ينظر : البحراني ٣/٢٨١ والخوئي ٢٠/٣٣٩ وابو الفضل١/٣٨٧.

(٤) ينظر : المعتزلّي٩/١٢٢ .

(٥) الكليات ٢/١٨٩ .

(٦) المعتزلّي٦/١٦٩ .

(٧) البيهقّي١٥ .

(٨) البحراني ٤/٢٦٧ .

(٩) المعتزلّي١٠/١١ والبحراني ٣/٢٧٤ وانصاريان٢/١٦٨ والخوئي ١٠/١٧٨ .

ب – فعيل بمعنى مفعول .

أقّر الصرفيون دلالة فعيل على مفعول ، كجريح بمعنى مجروح ، وقتيل بمعنى مقتول ، وقاس بعضهم هذه الدلالة في كل (فعيل) وقع عليه الفعل[١].

وقد كثرت امثلة (فعيل) الواقع عليه الفعلفي متن النهج فتلقّفها الشّراح بإقرار دلالتها على المفعول مصرحين باستواء المذكر والمؤنث فيها ، كالجريح في قوله (ع) : (لاَوتجْهِزُوا عَلَى جَرِيْحٍ)[٢] ، إذ « الجريح فعيل بمعنى مفعول أي : المجروح ، وهو المصاب بجرحه ، جمعه جرحى كقتيل وقتلى ، يستوي فيه المذكر والمؤنث »[٣]. ومنها الرقيم في قوله (ع) في صفة السماء : (... وَسَقْفٍ سَائِرٍ وَرَقِيمٍ مَائِرٍ)[٤] ، إذ « الرَّقيم في الأصل الكتاب المرقوم فعيل بمعنى مفعول...»[٥] . ومنها الحصيد في قوله (ع) : (... حصيد المرجان ...)[٦] ، وفي قوله تعالى : ﴿ **وَحَبَّ الْحَصِيدِ** ﴾[٧] أي حبّ النبات المحصود[٨] . ومنها الدفيق والفتيق في قوله (ع) يصف خلق السموات والارض : (ثُمَّ أَنْشَأَ . سُبحانه. فَتْقَ الأَجْواءِ ...الهواءُ مِنْ تَحْتِها فَتِيْقٌ ، والَماءُ مِنْ فَوْقِها دَفِيْقٌ)[٩] . إذ هما بمعنى الهواء المفتوق والماء المدفوق لدى أكثرهم[١٠] ، ولدى فريق منهم بمعنى فاعل أي : هواء منفتق وماء متدفّق[١١].

ويفهم من تشتّت أقوال الشّراح في دلالة هذين المثالين أنّ القول بتناوب الصيغ مسألة فيها نظر وتقوم على ذائقة العالم وفهمه الخاص ، وليس عليها إجماع الصرفيين ، بل إنّ حذّاقهم يفرقون بين أمثلة (فعيل) و(مفعول) ، إذ صرح ابن هشام بأنّ فعيل أبلغ من المفعول ولذا استعمل القرآن البناء الأغلب في قوله تعالى : ﴿ **فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ** ﴾[١٢] إذ : « أقيم فعيل مقام مفعول لانه أبلغ منه ولهذا لا يقال لمن جرحت أنملته (جريح)

---

(١) ينظر: الكتاب ٢١٣/٢ واصلاح المنطق ٣٧٨ وأدب الكاتب ٢٢٨ والمخصص ١٥٦/١٦ والكليات ١٨٨ وشرح شذور الذهب ١٠٢ وشرح ابن عقيل١٣٨/٣ .

(٢) نهج البلاغة ر ١٤ ص:٤٧٢ .

(٣) الخوئي ١٢٨/١٨ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص:٢٠ .

(٥) انصاريان ٤٠/١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ص: ١٤٩-١٥٠ .

(٧) ق ٩ وينظر:الكشاف ٤/٤ والبحر المحيط ٥٣١/٩ .

(٨) ينظر: البيهقّي١٨ ، ١٧٢ والراونديّ ٣٨١/١ والمعتزلّي١٦٨/١ ،٤٠٢/٦ ،١٦٨/١٣ والبحراني ٣٢٧/٢ ،٢٨٤/٤ وعبده٢٠٠/١ والخوئي ٣٦٠/٥ ، ٢٨٦/٦ ومغنية٤٨٦/٢ وابو الفضل٢٤٤/١ وانصاريان٢٣٣/١ ، ٢٦٨/١.

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص:١٨ -١٩.

(١٠) ينظر :الراونديّ١٥٩/١ والكيدريّ١٢٩/١ والمعتزلّي٨٨/١ والسرخسي١٣٩/١وعبده٢٣/١ وابو الفضل١٧/١ والشيرازي٢١/١.

(١١) ينظر : البحراني ١٧٢/١ والخوئي ٣٧٤/١ ومغنية١٠٠/١ .

(١٢) يونس ٢٤ .

ويقال له : مجروح »[١] . وخلص الدكتور فاضل السامرائي الى ان الوصف بـ (فعيل) يفيد الثبات واللزوم ، واما بـ(مفعول) فيفيد التجدد والحدوث ، فالحميد يكون الحمد له ثابتا لازما ، والمحمود لا يثبت حمده بل يتجدد ، وكذا الفرق بين قولنا : كفّ خضيب وكفّ مخضوب[٢]. فلا معنى – إذن- للقول بنيابة (فعيل عن مفعول) في هذه الامثلة إلا من باب التوضيح والبيان ، وتفسير اللفظ بنظيره كما هو دأب المعجميين .

٢ – فَعِيل مصدرا .

تأتي مصادر الثلاثي على (فعيل) من (فَعَل) اللازم كثيرا ، والمتعدّي قليلا إذا دلا على صوت ، قال سيبويه: « جاء فعيل في الصوت كما جاء فُعال وذلك نحو الهدَير والضَّجيج والصَّريخ والصَّهيل والنَّهيق والشَّحيج »[٣].

وقد كثرت أمثلة فعيل من المصادر الدالة على الصوت في متن النهج ، فجهر الشّراح جميعا بهذه الدلالة ، ومن أقوالهم : « الرجيج الصوت العالي مستعار من رجّه يُرجّه إذا حرّكه »[٤]. و « الهديل صوت الحمام »[٥] و « النجّي مصدر كالصهيل يقع على الواحد والجمع »[٦] و « الوجيب اضطراب القلب »[٧] . ورأى الدكتور فاضل السامرائي ان (فعيل) دون (فُعال) في الدلالة على الصوت ؛ لان الضمة والالف في (فعال) أقوى من الفتحة والياء في (فعيل) ، فالصريخ لديه دون (الصراخ) في القوة ، وهذا الفرق بين امثلة المصدرين مفهوم لديه من غلبة (فُعال) في الصفات على (فعيل) كـ (طُوال وطَويل) على وفق ما أكّده ابن جّني من قبل[٨].

وشاع في العربية مجيء مصادر الثلاثي على (فعيل) من (فَعَل) اللازم إذا دلَّ على سير، وقد صرح معظم الشّرّاح بهذه الدلالة لا سيما البحراني الذي فاق أقرانه في كثرة الأمثلة والاستدلال عليها وتلمُّس المداليل الدقيقة لأمثلتها كقوله: « الوجيف: ضرب من السير فيه سرعة »[٩] ، وقوله : « الدبيب: المشي الخفيف »[١٠] ، والدفيف :« طيران الطائر فوق الارض»[١١].

---

(١) شرح شذور الذهب١٠٢

(٢) ينظر : معاني الابنية٦٢ .

(٣) الكتاب١٤/٤ وينظر : الاصول١٨٩/٣ وادب الكاتب ٤٧٠ والمخصص١٣٥/١٤ وشرح الأشموني٣٠٤/٢ .

(٤) الراونديّ٣٩٨/١ وينظر : البيهقي ١٨٣ والكيدري ٤٥٩/١ والمعتزلي ٤٢٧/٦ والبحراني ٣٥٤/٢ والخوئي ٣٧٢/٦ .

(٥) المعتزلّي٧٤/١ .

(٦) الكيدريّ٣٩٨/١ .

(٧) البحراني ٢٨٤/٤ .

(٨) ينظر : الخصائص٢٧٠/٣ ومعاني الابنية ١١٦.

(٩) البحراني ٣١٤/٤ .

(١٠) البحراني ٣٤٥/١ .

(١١) انصاريان١٣٥/٢ .

ويبدو أنّ دلالة فعيل على السير منشعبة من دلالته على الصوت فالدفيف طيران يسمع معه خفق الاجنحة والدبيب سير يسمع معه وقع الاقدام . وعلى هذا النحو يمكن توحيد الباب في مصادر الثلاثي التي على وزن (فعيل) لتدلّ أمثلته كلها على الصوت ، وهو صوت تتعدد مصادره ومنها ما يكون عن سير مُعّين . والدليل على ذلك قلة امثلة فعيل في السير إذا ما قورنت بما دلّ على الأصوات منها .

٣ – فَعِيل مبالغة .

ان الوصف إذا اريد به الدلالة على الكثرة والمبالغة تحول من (فاعل) إلى صيغ أخرى منها (فَعيل) ، والفرق بين أمثلة (فعيل) في المبالغة وأمثلة (فعيل) في الوصف أن ما كان للمبالغة منها يصاغ من المتعدي نحو : (السميع و البصير) وما كان للوصف يصاغ من اللازم نحو : (كريم وعظيم) . فضلا عن ان المبالغة دون الصفة المشبهة في اللزوم والثبات ، وكأنّ (فعيل) في المبالغة منزلة بين منزلتين ، الأُولى : اسم الفاعل الذي يفيد التجدد والحدوث ، والأخرى : الصفة المشبهة التي تفيد الزوم ، فالمبالغة تعني كثرة القيام بالفعل او الاتصاف به ليس على وجه اللزوم والثبات[١].

وقد انماز المعتزلّي بترديد التصريح بدلالة امثلة (فعيل) على المبالغة بخلاف سائر الشّراح الذين فسروا أمثلة (فعيل) بتضمُّنها معنى (فاعل) على وفق ما سبق عما قريب . فـ(الثريّ) معناه لدى المعتزلي كثير الثروة ، والعديد : العدو الكثير العدّة والعدد ، والحجيج : المبالغ بإظهار الحجّة ، والقدير مبالغة في القادر ، والمرعى الوبّي : كثير الوباء ، والغبّي : كثير الغباوة قليل الفطنة[٢] . ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن دلالة فعيل على المبالغة منقولة من فعيل الدال على الصفة المشبهة الذي يدل على الثبوت فيما هو خلقة او بمنزلتها كطويل وقصير ، ووجه النقل ان (فعيل) في المبالغة يدلّ على معاناة الأمر وتكراره حتى يصبح كأنّه خلقة في صاحبه وطبيعة فيه ، كعليم الذي كثُر منه النظر في العلم والتبحر فيه فأصبح العلم سجية ثابتة كالطبيعة فيه[٣] . ويدخل على هذا التفسير أنه يوجّه النقل من الصفة المشبهة الى المبالغة بكثرة القيام بالفعل وما يصحبها من التكرار والمعاناة ، وهي معان تصدق على اللفظة إذا وصف بها إنسان ولا تصدق عليها اذا كان الموصوف هو الباري – عز وجل – فلا يليق به تعالى أن يسند اليه التكرار والمعاناة . ومن هنا يمكن توحيد الباب في كل الأمثلة التي على (فعيل) بأنّها وصف دائم أو شبه دائم لكثرته مع الموصوف. وعلى العموم يمكن القول : إن كل ما ورد على (فعيل) من الكلم العربي يفيد الدلالة على الاستمرار في الزمان والتفشّي في المكان بلحاظ الياء المدّية التي يمتدّ بها الصوت امتدادا يومئ بالاستحواذ على درجة معينة من الزمان والمكان .

---

(١) ينظر :معاني الأبنية ٩٤-٩٥، ١١٧ -١١٨.

(٢) ينظر: المعتزلّي ٢٥٨/١ ، ١٦٥/٥ ، ٢٣٢/٧ ، ١١/١٠ ، ١٣/١٦وانصاريان ٢٠٦/١ ، ٣٠٥/١ .

(٣) ينظر : معاني الابنية ١١٧ .

وما قاله القدماء في تنوع الدلالة في امثلة هذا البناء يمثل المداليل الثانوية وليس الدلالة الرئيسة لها التي تفيد استمرار الفعل وتفشيه . وعلى الرغم من كثرة ما أُثِر عن القدماء بشأن دلالة (فعيل) يبقى ما قالوه قاصرا عن تفسير كل الامثلة كوصف الجماعة بـ (فعيل) مفردا كما في قوله تعالى :﴿ **خَلَصُوا نَجِيًّا**﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾[2].إذ جوز فريق من الشّراح أن يكون (النجّي) و(الرفيق) وصفا بمعنى المفعول أو مصدرا كالصهيل . ولذا خالف موصوفه المجموع (خلصوا) و(اولئك) ؛ لان فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع . وأما المصدر فيلازم حالة واحدة إذا وقع وصفا إذ يجوز فيه أن يخالف موصوفه فيقال: رجل عدل وامرأة عدل ورجال عدل ونساء عدل[3].

ولاشك في أنّ استمرار الفعل وتفشّيه يفيد معنى الكثرة فيصلح اللفظ لوصفها او بيان حالها او تمييزها. واما المبالغة فمعنى مدرك من تكثير الفعل ايضا . اما نيابة فعيل عن صيغ اخرى ففي غاية البعد ؛ لان القول بها يلغي مدلولها على الاستمرار والتفشي وهو معنى لا يدرك في فاعل ولا في (مفعول) .

أما البناء (فعيلة) فأمثلته كثيرة في متن النهج ، ومثلما فرق العلماء ثم الشّراح مداليل (فعيل) بين المصدرية والمبالغة والصفة المشبهة فرقوا كذلك مداليل مؤنثه (فعيلة) على المداليل نفسها ، فالفعيلة مصدر في قوله (ع) ينهى عن الحيلة : (يَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ)[4] ، إذ « الحَرِيجة بمعنى : التحرُّج »[5] وكذا البصيرة معناها الاستبصار[6] في قوله (ع) يصف ايمانه: (...لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي)[7].

وكثيرا ما دلّت أمثلة النهج من (الفعيلة) على معنى (المفعولة) ، كالرمّية بمعنى المرمّية ، والرهينة بمعنى المرهونة والكسيرة بمعنى المكسورة[8]. وأقلّ من هذا دلالة (فعيلة) على معنى (فاعلة) ، نحو: الخصيصة بمعنى خاصّة الإنسان وهي ما يختص به من كمالٍ وغيره[9].

ويبدو أنّ نيابة فعيلة عن المفعولة والفاعلة مسألة تخضع لذوق الشارح وفهمه الخاص ؛ لأن الشّراح جّوزوا أن تدلَّ الأمثلة التي على (فعيلة) على المفعولة والفاعلة معا بالاعتماد على التأويل والتقدير، نحو: الرهينة مفرد الرهائن

---

(١) يوسف ٨٠ وينظر: الكشاف ٣٣٦/٢ والبحر المحيط ٣١٠/٦ .

(٢) النساء ٦٩ وينظر: الكشاف ٥٤٠/١ والبحر المحيط ٧٠١/٣.

(٣) ينظر : الراونديّ ٣٥٨/١ و ٣٧٥/٢ والكيدريّ ٣٩٨/١.

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٤١ ص ٨٤ .

(٥) البحراني ١٠٥/٢ وينظر : السرخسي ١٧٠/١ وعبده ١١٥/١ وانصاريان ١٦٠/١.

(٦) ينظر : السرخسي ٨٧/١ .

(٧) نهج البلاغة: ر ٦٢ ص:٥٧٨.

(٨) ينظر: البيهقّي ٣٧٣ والمعتزلّي ٢٦/١٠ ، ٥٤/٩١٦ والبحراني ٣٦٣/١ ، ٣/٥ وعبده ٣٨/٣ والخوئي ١٩ /١٠٣.

(٩) ينظر : البحراني ١٢٤/١ .

في قوله (ع) في ذم الدنيا :(...أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ؟ أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ؟ فَهَاهُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ...)[١] قال البحراني : « اسْتَعَارَ لَفْظ الرَّهَائِنِ لهم باعتبار كونهم موثقين في القبور باعمالهم كالرهن ، ويحتمل أن يكون حقيقة ويكون رهينة بمعنى راهنة وهي الأشخاص المقيمة بقبورها »[٢] ، وقريب منه قول الخوئي : « الحقيقة ... في الاصل فعيلة من حقّ الشيء يحِقّ إذا ثبت أو حققت الشيء إذا أثبته فعلى الاول الفعيل بمعنى الفاعل كالعليم والرحيم ، وعلى الثاني فبمعنى المفعول كالجريح والقتيل »[٣].

واكثر ما شغل الشّراح في هذه المسالة هو دلالة التاء في (فعيلة) إذ اطبقوا على انها ليست للتأنيث وانما لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية؛ لان (فعيل) ان كان بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث فلا تفيد التاء تأنيثا لأنّه موجود بالصيغة ، وإنّما فائدة التاء تخصيص اللفظ بالأسماء وهو ما يعرف بالنقل إذ «يقال : للصيد يرمى : هذه الرمّية ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة والأصل في مثلها ألا تلحقها الهاء نحو: كفّ خضيب وعين كحيل إلا إنّهم أجروها مجرى الأسماء لا النعوت كالقصيدة والقطيعة »[٤] . وفسر بعض الشّراح معنى « كونها للنقل أنّ اللفظ إذا صار بنفسه اسما لغلبة الاستعمال بعدما كان وصفا كانت اسميتهُ فرعا لوصفيته فيشبه المؤنث لكونه فرعا للمذكر فتُجعل التاء علامة للفرعية كما كانت علامة لها في رجل علامة لكثرة العلم بناء على ان كثرة الشيء فرع »[٥] .

ومجمل أقوال السابقين بشأن هذه التاء انها لا تختلف عمّا ذكره الشّراح إلا في الاصطلاح ، فالشائع أنّ هذه التاء للنقل كما قرّره الشّراح . وذكروا أنّها للتخصيص والإعداد والاتّخاذ ، فالذبيحة ليست كالمذبوح بل هي مختصّة بما يصلح للذبح ويُعَد له من النّعم أو ما يُتّخذ للذبح ذكرا كان أم أنثى ، ويجوز أن يقال لها ذبيحة ، وكذا الرمّية والضحّية وغير ذلك[٦]. وقد جمع الدكتور فاضل السامرائي أقوال السابقين كلها في التفريق بين البناءين في امرين: **الاول** : إنّ فعيلة تدل على الاسم بخلاف (فعيل) الذي يدل على الوصف ، و**الاخر**: ان (فعيلة) مختصة بما اتخذ للفعل و(الفعيل) يدل على ما وقع عليه الفعل او اتصف به[٧] .

---

(١) نهج البلاغة ر٤٥ ص:٥٣٤ .

(٢) البحراني ١٠٨/٥ .

(٣) الخوئي ٢٣/١ وينظر : ٤٧/١ والراونديّ٢٥١/٢والمعتزلّي١٤٢/١والبحراني ٢٤٢/١وانصاريان٢٤/١ و ٤٢١ والخوئي٣٣٢/١١ .

(٤) المعتزلّي١٩٤/١١ .

(٥) الخوئي ٢٣/١ وينظر : الراونديّ٧٥/٢ والكيدريّ١٧٣/٣ والمعتزلّي١٩٤/١٥ والبحراني ٣٨٣/٤ والخوئي ١٠٣/١٩ .

(٦) ينظر : الكتاب٢١٣/٢ وشرح الشافية١٤٢/٢ والمخصص١٥٥/١٦ .

(٧) ينظر : معاني الابنية٦٥ .

المطلب الثالث : معاني فاعِل - فاعِلة

زخر متن النهج بأمثلة فاعل ومؤنثه فاعلة فتلمَّس الشّراح لهما عدة معان أهمُّها :

١ - فاعل بمعنى المفعول .

أقّر المفسرون دلالة فاعل على المفعول .وبهذا فسَّروا قوله تعالى : ﴿**خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ**﴾[١] أي :مدفوق[٢]. وقوله تعالى: ﴿ **لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ** ﴾[٣] أي : لا معصوم[٤] ، وقوله تعالى: ﴿ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ** ﴾[٥] أي : مرضيَّة[٦] . والآية الأخيرة هي أم الباب في الاستدلال على هذه المسألة لدى علماء العربية ، وأما من الشعر فدليلهم المشترك هو قول الحطيئة[٧] :

دَعِ المَكَارِمِ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

وقد رسخ سيبويه[٨] دلالة (فاعل) على (المفعول) بذكره أمثلة قليلة زاد عليها خالفوه[٩] أمثلة غيرها . وكل ما ذكروه لم يجاوز العدّ ،فقال ابن خالويه : « ليس في كلام العرب فاعل بمعنى مفعول الا قولهم ريح ساف وانما هو مسفّي ومثله عيشة راضية هي مرضية وماء دافق وهو مدفوق وسر كاتم وليل نائم و....»[١٠] وتابع شراح النهج علماء العربية فاقروا دلالة (فاعل) على (المفعول) في جملة من الفاظ النهج منها ما جاء في قوله الامام (ع) : (وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ)[١١]. فـ « الراكس هنا بمعنى المركوس فهو مقلوب فاعل بمعنى مفعول ، كقوله تعالى :﴿ **هُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ** ﴾ »[١٢]. و« ساحل البحر مقلوب في اللفظ لأن الماء سحله فهو مسحول ، كما قالوا : عيشة راضية في معنى مرضّية »[١٣]، و « قولهم ليس فيه شائبة ... يجوز ان يكون مأخوذا من شوب اللبن فهو مشوب ومعناه ليس فيه شيء مختلط ... فتكون فاعلة بمعنى مفعولة »[١٤].

---

(١) الطارق ٦

(٢) ينظر: الكشاف ٢٤١/٤ والبحر المحيط ٤٤٥/١٠ .

(٣) هود ٤٣

(٤) ينظر: الكشاف ٧٢٠/٢ والبحر المحيط ١٥٨.

(٥) الحاقة ٢١

(٦) ينظر: الكشاف ٥٣/٤ والبحر المحيط ٢٦١/١٠ .

(٧) ديوانه :٧٤

(٨) ينظر: الكتاب ٣٨١/٣ -٣٨٢.

(٩) ينظر: شرح الكافية ٢٢١/٢ وفقه اللغة للثعالبي ٤٩٢ ومعاني الأبنية ٥٨.

(١٠) ليس في كلام العرب ٦٩- ٧٠ .

(١١) نهج البلاغة: ر ٥٨ ص:٥٧٤.

(١٢) المعتزلّي١٧٦/١١.

(١٣) التستريّ ١٠٩/١٢.

(١٤) الخوئي٣٣١/١١ وينظر: الراونديّ٢٥١/٢ والتستريّ ٧٣/٢.

وإنّما فهم الصرفيون من هذه الأمثلة دلالتها على المفعول لا الفاعل لأنّهم لم يلحظوا فيها القدرة على الفاعلية بل فهموا وقوع الفعل عليها ففسَّروها بالمفعول . ووجَّهها بعضهم على النَّسب فتكون من باب نابل وتامر وناشب بمعنى ذي الشيء ، وليست من باب نيابة فاعل عن المفعول[١]. وهذا التوجيه يبقي الالفاظ دالة على الفاعلية ومن النوع الذي يتصف فيه الفاعل بفعله لا من النوع الذي يقوم بالفعل على وجه الحقيقة . والأولى أن يلتزم بظاهر البناء (فاعل) فلا يقلب الى (المفعول) تارة والى (ذي الشيء) تارة اخرى ؛ لان «الدافق اسم فاعل يأتي كصفة للفاعل ، مثله مثلَ أيّ اسم فاعل يعمل كصفته مثل : رجل تاجر، و سيف ضارب ،وزورق غارق »[٢] ، والماء في الطبيعة متدفق بنفسه وقد اخبر القران انه (يتفجر) و(يخرج) ، اما ماء الرجل فتدفقه من تلقاء نفسه امر « مطابق لحالة غياب الارادة كاملة كما في الاحتلام أو جزئيا كما في الجماع فيكون التدفق من فعل الماء نفسه »[٣] . وأما(**عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**) فلفظة (عيشة) « تتضمن العائش لانها مرتبطة به فهي ليست كاي لفظ اخر مثل بستان يموت صاحبه ويبقى البستان لان العيشة تنتهي بالعائش فهي اسم لحياة الكائن الحي العاقل ... وحينما تقول عاش الرجل عيشة راضية صارت العيشة هي الراضية فخرج بذلك عن الاهتمام بها خروجا كاملا وصارت هي المهتمة به . ولا توجد في الحقيقة عيشة على هذا النحو الا تلك التي يعطيها الرب العظيم لعباده اللذين رضي عنهم »[٤] . وأما الطاعم الكاسي في بيت الحطيئة فالطاعم « الأولى أن نقول : هو اسم فاعل من طعِم يطعم مسلوبا منه معنى الحدوث»[٥] . والكاسي « يجوز أن يقال : المراد الكاسي نفسه »[٦] .وحينئذ يفهم ذّم الحطيئة الزبرقان بن بدر من مجمل أبيات القصيدة التي تصدح ذما من مطلعها حتى ختمها فلا ينفع إخفاء الذم في هذا الموضع ، وهو ظاهر في هذا البيت من نغمة الاستفهام الانكاري المحذوف في جملة (أنّك أنت الطاعم الكاسي ؟) . أو يكون البيت محرَّفا بقصد الاستشهاد به وأصله : **واقعد فإنّك لست الطاعَم الكاسي .**

٢- فاعل بمعنى ذي الشيء (النسب) .

حشر سيبويه في باب النسب بلا ياء مشدَّدة طائفة من الأمثلة على وزن (فاعل) ، ورأى أنّها دالّة على النَّسب بالصيغة لأنّها بمعنى (ذو شيء) يعمله ليس على وجه الدوام والمبالغة « وذلك قولك لذي الدرع : دارع ، ولذي النبل : نابل ، ولذي النُّشّاب: ناشب ، ولذي التمر: تامر، ولذي اللبن : لابن ، قال الحطيئة:

فَغَرْتنِي وَزعَمْتَ أَنَّكَ لابِنٌ فِي الصَّيْفِ تامِر »[٧]

وردد معظم خالفي سيبويه هذه الأمثلة ولم يصرح أكثرهم بأنّها نوع من النسب بل هي على « فاعل يكون لصاحب الشيء من غير مبالغة »[٨]. وصرح آخرون بإنّ (فاعل) إذا كان بمعنى (ذو صنعة) يزاولها فهو من باب النسب بلا

---

(١) ينظر: شرح الشافية ٢/٨٤-٨٥. (٢) النظام القرآني ١٧٠. (٣) نفسه ١٢٤ .
(٤) نفسه ١٢٦ . (٥) شرح الشافية ٢/٨٣ (٦) نفسه ٢/٨٣-٨٤
(٧) الكتاب ٣/٣٨١-٣٨٢. (٨) شرح الشافية ٢/٨٤ -٨٥ والمخصص ١٥/٦٩ .

ياء مشدّدة ؛ لأن (فاعل) في هذه الامثلة ليس جاريا على فعل معلوم فيحمل على أصله في الدلالة على الفاعلية فلا يقال : درع يدرع ولا لبن يلبن[١]. وتوسّع المبرد في أمثلة (فاعل) هذه فحمل عليه الفاظا كثيرة أشعرت خالفيه أنّه يقيس هذا[٢] ، ومن أمثلته « كل مؤنث نعت بغير هاء نحو: طامث وحائض ومتئم وطالق»[٣] ، وكل ما « كان ذا شيء اي صاحب شيء بني على فاعل »[٤]. وفرق أكثرهم بين (فاعل) الدال على النسب وغيره وذلك ان (فاعل) ان دل على التجدد والحدوث فهو يدل على القيام بالفعل وان دل على الثبوت فهو بمعنى النسب[٥].

وقد توسع شراح النهج في تفسير امثلة (فاعل) الدالة على النسب ، ومنها (الدارع) في قوله (ع) في تنظيم الجيش : (فَقَدِّموا الدَّارِعَ وأَخِّروا الحَاسِرَ)[٦] ، وقوله (ع) في أهل البصرة : (فأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ وأُكْلَةٌ لآكِلٍ)[٧] ، وقوله (ع) في الاستسقاء : (اللّهُمَّ سُقْيا مِنْكَ مُحْيِيَة ...ثامِلٍ فَرْعُها)[٨] ، فالدارع هو ذو الدرع ، اي: لابس الدرع[٩] ، والنابل بمعنى: ذي النبل[١٠] ، والثامر هو: ذو الثمر، والعائل بمعنى: ذي العيلة ، أي : الفقر[١١]. وقلّ لدى الشّراح امثلة (فاعلة) بمعنى ذي الشيء ، ومنها الواغرة في قوله (ع) واصفا النبي (صلى الله عليه وآله) :(وأَلْأَفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الأَرْحَامِ بَعْدَ العَدَاوَةِ الوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ)[١٢] ، فالواغرة بمعنى: ذات الوغر، وهو شدّة توقد الحر[١٣] . ولا شكّ في أنّ أمثلة (فاعل) الدالة على النسب لا يمكن ان تفسر بالدلالة على الثبوت فالدارع والنابل واللابن والتامر كلّها تدل على الفاعل المتصف بفعله لا الملازم له. فاصطحاب الدارع درعه لا يتصور في السلم وكذا النابل ، وأمّا اللابن والتامر فيكفي أنّ المثال الذي ذكروه لهما وهو قول الحطيئة[١٤]:

فَغَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لابِنٌ فِي الصَّيْفِ تَامِر

فيه (في الصيف) قرينة لفظية تفيد التجدد لا اللزوم . وهنا بان الفرق بين إخراج هذه الامثلة على النسب وبقائها على الدلالة على الفاعل المتّصف بالفعل اتّصافا متجددا لا دائما . وبين النسب وهذه الألفاظ عدّة فروق ، منها إنّ

---

(١) ينظر: شرح المفصل ١٠٠/٥.
(٢) ينظر: شرح الأشموني ٤٠٠/٤ وحاشية الصبان ٢٩٥/٢.
(٣) المقتضب ١٦١/٣-١٦٢
(٤) نفسه ١٦١/٣ -١٦٢ .
(٥) ينظر: التسهيل ٢٥٤ وحاشية الصبان ٢٩٥/٢ .
(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٤ ص:٢٢٧ .
(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٤ ، ص ٤٢ .
(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١١٥ ، ص ٢١٦ .
(٩) ينظر: المعتزلّي ٣/٨ وعبده ٢٥٥/١ والخوئي ١٥٨/٨ والشيرازي ٢٥٤/٢.
(١٠) ينظر: الروانديّ ١٦٣/١ والمعتزلّي ١٤/١ والبحراني ٢٩٤/١ والتستريّ ٥٢٠/٥ وأبو الفضل ٥٠/١
(١١) ينظر: الراونديّ ١٦/٢ والمعتزلّي ٢٦٦/٧ والشيرازي ٢٦/٢ وأنصاريان ٨٥/١.
(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣٢ ص:٤٤٨.
(١٣) ينظر: الراونديّ ٤١٢/٢ والمعتزلّي ٩/١٣ والخوئي ١٠/١٥.
(١٤) ديوانه ١٧

النسب يقّرب المنسوب نحو الاسمّية ويفيد التلازم وعدم الانفكاك ، فلا يُتصَور انفكاك المنسوب عن قومه ووطنه ومذهبه ومدينته وحرفته وقبيلته ، ولو قيل : فلان تامر أو تّمار فتلك حرفة يمكن الانفكاك عنها إلى غيرها ولكن صاحبها يقوم بها على الاتصاف بها أو المبالغة في الدوام عليها .

٣- فاعل مصدرا.

جّوز الصرفيُّون نيابة اسم الفاعل عن المصدر، نحو قم قائما ، أي: قياما ، كما ينوب المصدر مقام اسم الفاعل نحو: رجل عدل وصوم ، أي :عادل وصائم . وبهذا فسّروا طائفة من ألفاظ القرآن الكريم جاءت على **فاعلة** نحو قوله تعالى :﴿ **لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ** ﴾[١] ، أي : كذب . وقوله تعالى : ﴿ **فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ** ﴾[٢] ، أي : بقاء .

ثّمكثُرت أمثلتهم من كلام العرب كقولهم : عافاه الله عافية ،أي :معافاة ، وقائلة بمعنى :القيلولة[٣]. وإقرار الصرفيين دلالة (فاعلة) على المصدر في مثل هذه الأمثلة لم يأت لديهم على وجه الوجوب واللزوم ، وانما هو جائز أن يقال به وجائز أن يعدل عنه الى وجوه أخرى ذكروها في تلّمس دلالة مثل هذه الألفاظ وهي[٤]:

١ – إنّ هذه الالفاظ محمولة على حذف موصوف مؤنث والهاء فيها للتانيث فتكون هي من نوع اسم الفاعل المتصف بالفعل لا القائم به ، اذ جوز الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ** ﴾ أن يكون التقدير: نفس كاذبة ، وكذا : ﴿ **فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ** ﴾ بمعنى :نفس باقية[٥] .

٢- إنّها محمولة على حذف موصوف مذكّر والهاء فيها للاسمية لا للتأنيث والتقدير: شيء باقية وشيء كاذبة . ووقف الشّراح على جملة من الألفاظ التي وردت في متن النهج وهي على (فاعلة) فتفاوتت اقوالهم فيها بين قائل بدلالتها على المصدرية ومجوز بقاءها على اسم الفاعل الذي حذف موصوفه المؤنث قبله . وقد تمسّك معظم الشّراح بهذين الوجهين في توجيه قوله (ع) في ذكر الملاحم: (وَعَظُمَتْ الطَّاغِيَةِ وَقَلَّتِ الدَّاعِيَة)[٦] ، إذ قال المعتزلّي : « عظمت الطاغية اي الطغيان فاعلة بمعنى المصدر ويجوز ان تكون الطاغية ها هنا صفة (فاعل) محذوف ، اي : عظمت الفئة الطاغية ، وقلت الداعية مثله ، اي : الفرقة الداعية »[٧]. وأيَّد فريق من الشّراح المعتزلّي في قوله هذا فنقلوا لفظه[٨] او معناه[٩].ولم يرض بعضهم أن يكون (الطاغية والداعية) بمعنى المصدر فوجه اللفظين على حذف

---

(١) الواقعة ٢ وينظر: الكشاف ٥١/٤ والبحر المحيط ٧٦/١٠.

(٢) الحاقة ٨ وينظر: الكشاف ١٥٠/٤ وتبيان العكبري٢٠٢/٢ والبحر المحيط ٢٥٥/١٠.

(٣) ينظر: دقائق التصريف ٥٨ وشرح الأشموني ٣٥١/٢ وحاشية الصبان ٣٠٩/٢ -٣١٠ والمفصل ١١٣ وليس في كلام العرب ٤٢ وشرح المفصل ٥٠/٦ وشرح الشافية ١٧٥/١ وشرح المراح ٣٧.

(٤) ينظر : شرح الكافية ١٧٥/١-١٧٦ .

(٥) ينظر: الكشاف ٥١/٤

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨ ص:١٩٨

(٧) المعتزلّي١٩٢/٧ .

(٨) ينظر : الخوئي ٣٠٢/٧ وابو الفضل٢٤٥/١ وانصاريان ٣٧٧/١ والموسوي٢١٣/٢ .

(٩) ينظر : الشيرازي١٧٢/٢ والتستريّ١٧١/٦ .

موصوف مؤنث تقديره : (فرقة) أو (فئة) ، فمعنى « عظمت الطاغية ، أي: الفئة الطاغية التي تجاوزت الحدّ والمقدار. وقلّت الراعية ، أي: رعاة الدين وأهله الذين يحمون حوزته اي: الفرقة الراعية »[١] . ولما كان الموصوف المحذوف مؤنثا يدلّ ضمنا على الجمع فسّر فريق منهم[٢] الطاغية بالطُّغاة والداعية بالدُّعاة . ومعنى الجمع مفهوم من تقدير الموصوف المحذوف : (فئة ، فرقة) إذ يدل هذا ضمنا على جماعة بشرّية .

وقد كثرت توجيهات الشّراح لطائفة من الفاظ النهج على هذا النحو مع تفاوت بينهم في حشد كل الوجوه المحتملة او الاكتفاء منها بوجه واحد . ويلحظ ميلهم في هذه الامثلة الى تفسير (فاعلة) بالدلالة على اسم الفاعل متى ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، من ذلك انهم لما اوردوا قوله (ع) : (لَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله) مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيا وَعُيُوبِها إِذْ جَعَ فِيها مَعَ خَاصَّتِهِ)[٣] فـ (خاصته) عند بعضهم (اسم فاعل) في معنى المصدر، أي : مع (خصوصيته) وفضله عند ربّه[٤] ، وعند آخر[٥] على تقدير محذوف مؤنَّث هو: (منزلته الخاصّة) ، وحمل فريق منهم[٦] اللفظ على أصله في الدلالة على اسم الفاعل ، فيكون (خاصّة الرجل) أهلَه المقربين منه . ورسخ الشّراح المتأخّرون دلالة (فاعلة) على المصدر على نحو جلّي يظهر فيه التقعيد والتمثيل معا كقول الخوئي : « عافاه الله : محا عنه الاسقام ، والعافية اسم منه وهي مصدر جاءت على (فاعلة) ، ومثله ناشئة الليل بمعنى نشوء الليل ، والخاتمة بمعنى الختم ، والعاقبة بمعنى العقب ، وليس لوقعتها كاذبة اي : كذب »[٧] . وكذا قول الدكتور ابراهيم السامرائي: « القادحة على اسم الفاعل الذي ينصرف في استعماله الى المصدر كالعافية والعاقبة ونحو ذلك »[٨] .

٣- فاعل وصفا لمؤنث .

ثّمة صفات على (فاعل) خاصة بالإناث وردت في متن النهج بلا علامة تأنيث منها في قوله (ع) في ذم الخوارج : (إِنَّما أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمّا أَتَمَّتْ أَلْقَتْ...)[٩] ، إذ « حذفت تاء التأنيث في الحامل والحائض لعدم الاشتراك في هذين الوصفين بين الرجل والمراة فلا احتياج للتاء الفارقة »[١٠]. ويقال: « حضن الطائر بيضه حضنا وحضانا بكسرهما ضمه تحت جناحه فهي حاضن لانه وصف مختص ، وحكي حاضنة على الأصل »[١١] . و تلحق التاء فارقة بين معنيين مختصين بالاناث فيقال : (امراة طاهر) من الحيض ، وامراة طاهرة ، أي : نقية من العيوب و(امراة حامل) من الحبل ، و حاملة على ظهرها[١٢].

---

(١) البحراني ١٠٥/٣ .
(٢) ينظر : البيهقّي٥٢١ والراونديّ٤٦٠/١ والكيدريّ
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٠ ص :٢٨٤ .
(٤) ينظر : عبده٨٢/٢ .
(٥) ينظر: مغنية ٤٣٤/٢ .
(٦) ينظر : البحراني ٢٨٧/٣ والشيرازي٤٣٦/٣ والموسوي١٦٥/٣ .
(٧) الخوئي ٣٤٤/٩ .
(٨) السامرائي ٦٧ .
(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٧ ص:١٠٩
(١٠) البحراني ١٩٣/٢
(١١) الخوئي٧٥/١٠
(١٢) ينظر: الخوئي ١٩/٢ ، ٧٥/١٠ .

٤ - فاعِلة وصفا لمذكر.

شاع في متن العربية زيادة التاء في بناء (فاعل) في غير معنى التأنيث كقولهم : فلان راوية وعارفة ، والاصل (الراوي والعارف) . وقد أشار القدماء[١] إلى أنّ هذه التاء تفيد المبالغة في الإتيان بالفعل فكأنّ (فاعلة) بمعنى (فعّال) أو (مفعال) وغيرهما من صيغ المبالغة . إذْ «تأتي التاء للمبالغة في الوصف كراوية لكثير الرواية ، وإنّما أنّثوا المذكر لأنّهم أرادوا أنّه غاية في ذلك الوصف والغاية مؤنّثة »[٢]. وقد رسّخ شراح النهج إفادة التاء المقترنة باسم الفاعل معنى المبالغة في الوصف مع بقائه دالا على المذكر، من ذلك ما جاء في رسالته (ع) إلى الأشتر : (لاَوتحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وإنْ قَلَّ ، فإنَّه دَاعِيَةٌ لَهُمْ إلَى بَذْلِ النَّصِيْحَةِ لَكَ)[٣] . إذ قال الراونديّ : « إنّما قال داعية بالهاء للتأكيد كما يقال : رجل راوية للشّعر ، والصحيح إنّه من قولهم : داعية اللبن لما يترك في الضرع ليدعو ما بعده . وفي الحديث (دَعْ دَاعِيَ اللَّبَنِ)[٤] »[٥] . أي إنّه صحّح حذف مضاف مؤنّث هو (الناقة الداعية) أو (الشاة الداعية) . ولما وقف الشيرازي على قوله (ع) في الملاحم : (وَعَظُمَتْ الطَّاغِيَةُ وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ)[٦] ، قال شارحا الداعية : « التأنيث باعتبار النفس أو التاء للمبالغة »[٧] أي أنّه جوّز أن يكون المضاف المؤنث محذوفا أو أن يكون اللفظ صفة لمذكر والتاء للمبالغة . ولما أورد البحراني قوله (ع) : (لَوْلاَ كَرَاهِيَةُ الغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ)[٨] ، قال : « الدهاء ، يسمى صاحبه داهيا وداهية للمبالغة »[٩]. ولما اورد البيهقّي قوله (ع) يذم عمرو بن العاص : (عَجَبًا لابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لأَهْلِ الشَّامِ أنَّ فِيَّ دُعَابَةً)[١٠] ، قال : « النابغة في أسامي الرجال والهاء للمبالغة ، وفي أسامي النساء علامة التأنيث »[١١]. وشايعه فريق من الشراح فجوَّز أنْ يكون المرادُ بابْنِ النَّابغة أباه أو أمَّه ، ورجحوا كونها أمه فيكون التقدير : ابن المرأة النابغة فحذف الموصوف . والنبغ هو الظهور بعد الخفاء والمرأة نابغة لتظاهرها بالفجور واشتهارها به ، والرجل نابغة إذا جاء بالشّعر ولم يكن له إرث فيه[١٢] . ومنع آخرون أن يكون في الجملة حذف وحملوا التأنيث على المبالغة[١٣]، ومع تعدُّد هذه الوجوه يحسن القول : إن دلالة فاعل على القيام بالفعل مدركة في أمثلته كلها مذكرة كانت أم مؤنثة؟ ، وهذا لايلغي إيماء قسم منها على دلالات فرعية تظهر من سياق الكلام .

---

(١) ينظر:الكامل ١٦٤/١ والفروق اللغوية ٦٩ وشرح المفصل٩٨/٥ وشرح التصريح٢٨٨/٢.

(٢) شرح التصريح ٢٨٨/٢ وينظر: معاني الأبنية ١٢٠-١٢١ .

(٣) نهج البلاغة ر ٥٣ ص:٥٥٢ .

(٤) مسند أحمد : رقم ١٦١٠٣ ، ١٦١٠٥ وسنن الدارمي : رقم ١٩١٣.

(٥) الروانديّ ١٨١/٣

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨ ، ص ١٩٨ .

(٧) الشيرازي١٧٢/٢.

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٠ ص:٤٠١

(٩) البحراني ١٩١/٣.

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ٨٤ ص:١٣٦.

(١١) البيهقّي ١٦٤.

(١٢) ينظر: الراوندي ٣٥٢/١ والكيدري٨١/١ والمعتزلي ٢٨١/٦ والبحراني ٢٧٠/٢ والخوئي ٧٣/٦ وأنصاريان ٢٣٥/١

المطلب الرابع : معاني فُعول

توالت أمثلة فُعول في متن النهج فوزّعها الشّراح على دلالتين هما :

١ - فُعول مصدرا .

جّوز فريق من علماء العربية مجيء المصادر على (فُعول) شرط أن تكون من فعل ثلاثي عينه صحيحة مفتوحة كدَخَل دُخولا وخَرَج خُروجا . أو مكسورة كجهِش جُهوشا وجزِع جزوعا[١] . وذهب فريق من الصرفيين الى أن (فُعول) مصدر يدلّ على العلاج[٢]. ومن أمثلته لدى الشّراح ما في قوله (ع) قبل موته : (إنّما كُنتُ جارًا جَاوَرَكُم بَدَني أيّامًا وَستَعْقُبُونَ مِنّي جُثّةً خَلاءً سَاكِنةً بَعْد حِراكٍ وَصامِتةً بَعْد نُطوق لِيَعِظْكُم هُدُوِّي وَخُفُوتُ إطْرَاقِي وَسُكُون أطْرَافِي...)[٣]. ويبدو أن المراد من العلاج هو الانتقال من حال إلى غيره ، إذ تكاد تجتمع أمثلة (فُعول) في المصادر على هذه الدلالة وهي جلية في قوله (ع) المذكور آنفا ، فالهدُوء والخُفوت والسُّكون لا تكون إلا بعد الحراك ، والنُّطوق يكون بعد الصمت . ومن هنا يمكن التفريق بين (الفُعول) وغيره من المصادر، فالفسق غير الفُسوق ، والصَّد غير الصُّدود ، والجَحد غير الجُحود ؛ لأن الفُعول يستلزم الانتقال من حال الى إخرى ، والمُجرد ثابت لا منتقل ، وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا**﴾[٤]، فورد (الصَّد) عن سبيل الله لأنه ثابت معلن من اليهود ، ولتأكيد الثبات وصفه بـ (كثيرا) على حين قال تعالى بشأن المنافقين :﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا** ﴾[٥] ، فورد (الصدود) لأن المنافقين تتغيّر أحوالهم وتضطرب نفوسهم عند سماعهم ذكر الله . وقد رأى المنافقون عزم الصحابة على الإقبال على الإسلام عزما لا ينفع معه كيدهم وصدّهم في غالب الأحيان ولذا ليس أمامهم إلا الصُّدود ، وهو تحيّن الفرص والترقّب ببعض المسلمين أملا بردعهم عن دينهم ، ودأب المنافقين هذا متغيّر منهم طارئ على فعالهم فهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر. ولا يكتفى بما ذكره الدكتور فاضل السامرائي[٦] من ان الفرق بين (الصّد) و(الصُّدود) يفهم من تعدي الفعل ولزومه فجعل الصدّ مصدرا للمتعدي والصدود مصدرا للازم ، إذ ورد مصدر المتعدي على (فَعْل) ومصدر اللازم على (فُعول) لان الفُعول مصدر مطرد في الفعل اللازم والمتعدي معا ، فالمتعدي نحو : رَكِبْتُ رُكوبا، واللازم نحو: هَدَأ هُدُوءا .

---

(١) ينظر : الكتاب ٤/١ و ٩ والتكملة٥١٣ وشرح ابن عقيل٦٨/٢ .

(٢) ينظر : شرح الشافية١٠٨/١ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٩ ص:٢٦٠ وينظر:الراونديّ٧٧/٢ والكيدري ٦٤٨/١ والمعتزلّي ١٢٣/٩والبحراني ٣ /٢١٢ والخوئي ١١٣/٩ والشيراي ٣٥٧/٢

(٤) النساء١٦٠ .

(٥) النساء ٦١ وينظر: الكشاف ٥٣٦/١ والبحر المحيط ٦٨٩/٣.

(٦) ينظر: معاني الابنية ٢٢ .

٢ - فُعول جَمْعا .

يطرد (فُعول) جمعا في اسم ثلاثي نحو: (مَلِك مُلوك) و (فَلْس فُلوس) ، وفي (فاعِل) وصفا نحو: (ساجِد سُجود) و(هاجِع هُجوع)[١] . وقد وردت عدة أمثلة منه في متن النهج ، كقوله (ع) في وصف جهنم :(... حَامِيَةٍ قُدُورُهَا فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا)[٢] ، فجُمع القِدر على قُدور والأمر على أُمور[٣]. ومثل هذا : (الخُلُوف) جمع خالف بمعنى المتخلّفين ، و(الصُّموت) جمع صامت ، والقُلُوب والرُّؤوس والجُنود وغير هذا كثير جدا[٤] .

ونّبه الدكتور فاضل السامرائي على أنّ اتفّاق المصدر والجمع في البناء (فُعول) يفاد منه أنّ (فعول) الجمع يدلّ على المعنى الحقيقي لا المجازي للفعل على حين لا تفيد الجموع الأخرى الدلالة على الفعل على نحو الحقيقة والواقع ، وبهذا فرق بين (القُعود) و(القاعدين) في القرآن الكريم وبين (السُّجود) و (السُّجَّد) ، وهما في القرآن ايضا[٥] .

ومن هنا جوز بعض شّراح النهج الأمرين في تفسير طائفة من الألفاظ جاءت على بناء (فعول) ، نحو قوله (ع) يحمد الله تعالى : (لاَيُحِيطُهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ)[٦] . قال المعتزلّي : « هذه كلها مصادر يقال : بطَن بُطُونا أي خفى وظهرَ ظُهُورا أي تجلّى »[٧] ، واستدرك التستريّ عليه قائلا : « يُحتمل أن يكون جَمع الظهر والبطن ويكون المراد ان الخلائق اذا وردوا في بطون الأشياء تكون ظهورها عنهم مستورة »[٨] .

---

(١) ينظر : الكتاب ٣/٥٧٣-٥٧٦.

(٢) نهج البلاغةخ ١٩٠ ص:٣٥٤.

(٣) ينظر: البيهقي ٣٥٣ والخوئي ١١/٢٠٥ ومغنية ٣/٩٦ والموسوي ٣/٢٦٤.

(٤) ينظر: البحراني ٥/١٤٦ والسرخسي ١/٨٧ .

(٥) ينظر: معاني الابنية ١٥٣-١٥٤.

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٥ ص:٣٨٩.

(٧) المعتزلّي ١٠/١٧٤ .

(٨) التستريّ ١/٤٢٩ .

المطلب الخامس : معاني فُعول

كثُرت أمثلة فَعول في متن النهج ففرّقها الشّراح على الدلالات الآتية :

١ – فُعول اسم ذات لما يفعل به الشيء.

يجيء الفعَول لما يفعل به الشيء ، كالَوجور لما يُوجَر به وهو الدواء الذي يدخل في الفم ، والنَّقوع لما يُنقَعُ ليلا ليشرب نهارا ، وكذا الَوضوء لما يُتَوَضَّأ به وهو الماء ، والسَّحور لما يُتَسَحَّر به ، والفَطُور لما يفطر عليه ، وغير هذا كثير[١]. ونّبه فريق من شراح النهج على ما ورد فيه من أمثلة على (فُعول) دالّة على أسماء ذوات تُفْعَلُ بها الأشياء ، فهي كالآلات نحو : (الدَّنوب) الذي « هو الدلو الملآن ولا يقال لها وهي فارغة : ذُنوب »[٢]. والَوقُود الذي هو ما توُقد به النّار وهو الحَطَب أو كلّ ما يُوقدَ ويُحرَق[٣].

٢ – فُعول وصفا يفيد المبالغة .

أقّر العلماء دلالة (فُعول) على وصفِ مَن دام منه الفعل[٤] أو من كثُر منه الفعل[٥] أو من كان قوّيا على الفعل[٦]، نحو : صَبُور وشَكُور ورَؤُوف وغَفُور وغير ذلك من الصِّفات . وقد كثرت في متن النهج امثلة (فُعول) التي تفيد الدوام على الفعل سواء على جهة القيام به اوعلى جهة وقوعه عليها. ومن ثمَّ فسَّر الشّراح تبعا للصرفيين أمثلة (فُعول) بالدلالة على الفاعل أو المفعول .

أ – فعول بمعنى فاعل: أطبق الصرفيون على أنّ أمثلة (فُعول) تأتي بمعنى الفاعل ، كالصَّبور بمعنى الصابر والشَّكور بمعنى الشاكر وحينئذ يستوي فيها المذكر والمؤنث[٧] ، وعلّ الفّراء خلّو (فُعول) من تاء الإناث إذا كان وصفا لها بقوله : « إنّما أُلْغِيَتْ من أنثاه الهاء لأنّه عُدل من صابر إلى صَبور فلم يكن له فعلٌ يُبنى عليه فترُك كالمذكَرِ »[٨] .

---

(١) ينظر : شرح الشافية١٦٢/١ والمخصص١٢/٤ والكليات١٦٣/٥ ومعاني الابنية١١٤-١١٥ .

(٢) المعتزلّي٧٢/١٩ .

(٣) ينظر: التستريّ١٥٥/٧ ومغنية٣٢٣/٥ .

(٤)ينظر: ديوان الادب٨٥/١ .

(٥) ينظر: الهمع٩٧/٢ والكليات١٦٢/٥ .

(٦) ينظر: الفروق اللغوية ١٥ .

(٧) ينظر : الكافية١٦٦/٢ والهمع٦٣/٦ .

(٨) المذكر والمؤنث ٦٣ .

ومن أمثلة ذلك في النهج (غرور) في قوله (ع) : (فإنّ الدُّنيا ... غُرورٌ حَائلٌ)[١] أي غائرة تغر الخلق بزخارفها ، أو ذات غُرور تفعلُ بهم ذلك[٢]. وكذا قوله (ع) في وصف الدنيا : (ألا وهَي المُتَصَدِّيَةُ العَنُونُ والجَامِحَةُ الحَرُونُ والمَائِنَةُ

الخَؤُونُ والجَحُودُ الكَنُودُ والعَنُودُ الصَّدُودُ والحَيُودُ المَيُودُ)[٣] . ففيةجملة من صيغ المبالغة على فَعول . فالعنون هي كثيرة العنن وهو الاعتراض ، والحرون هي شديدة الجماح التي يصعب ركوبها. والعنود الحيود: كثيرة الميل عن الجادّة ، والصَّدود كثيرة الصّدّ والمنع ، والمَيود كثيرة الميد أي التمايل[٤] ، وغير هذا كثير[٥].

ب- فَعول بمعنى مفعول.

جّوز العلماء دلالة (فَعول) على (المفعول)[٦]، وعلى هذا سار الشّراح ففسّروا العيش الغَفُول بأنه « العيش الذي غَفل عنه صاحبه »[٧] ، والزَّبور بمعنى المزبور[٨] .

وجّوز فريق من الشّراح أن تدلّ أمثلة (فَعول)على الفاعل او المفعول معا بحسب التأويل كما في قوله (ع) : (واعْلَمُوا عِبادَ اللهِ أَنَّ المُؤمِنَ لا يُصْبِحُ ولا يُمْسِي إلا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَه)[٩] ، إذ قال الراونديّ : « الظَّنّاسم فاعل والظَّنون بناء المبالغة فيه كالشَّكور والشّاكر ويجوز أن يكون بمعنى المفعول ، أي : مظنونة عنده »[١٠] . على حين اكتفى المعتزلّي بوجهٍ واحد هو المبالغة في الفاعل فقال : « الظَّنون البئر التي لا يدرى أفيها ماء أم لا ؟ ، فالمؤمن لا يصبح ولا يمسي إلا وهو على حذر من نفسه معتقدا فيها التقصير في الطاعة غير قاطع على صلاحها وسلامة عاقبتها »[١١] فكأنه شّبه النفس بالبئر فنعتها بالظنون من باب الاستعارة .

---

(١) نهج البلاغة خ ٨٣ ص:١٢٢

(٢) ينظر : البحراني ٤٤٣/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩١ ص:٣٥٧.

(٤) ينظر:الرواندي٢٢٠/٢ والمعتزلّي١٢٢/٣والبحراني ٢٣٣/٤وعبده١٥٨/٢والخوئي ٢١/١١ والتستريّ١/ ٣٤٣ والسامرائي٢٣٢.

(٥) ينظر :الراونديّ١٦٤/٢ والكيدريّ٨٢/٢ والمعتزلّي٨٢/١٨ والخوئي ٨٧/٧ ومغنية١٩/٦ .

(٦) ينظر: شرح الشافية ١٦٢/١ ومعاني الأبنية ٦٩.

(٧) المعتزلّي١٦٤/١١ .

(٨) ينظر : الرواندي١٦٤/٢ والمعتزلّي ٦٣/٩ ومغنية ٥٢٥/٢ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٦ ص:٣١٦.

(١٠) الراونديّ ١٦٤/٢ والتستريّ ١٢٨/١٢.

(١١) المعتزلّي ١٤/١٠.

ورأى الدكتور فاضل السامرائي أن (فَعول) في المبالغة منقول من دلالته على أسماء الذات « فعندما نقول : هو صَبور كان المعنى أنّه صار كالمادة التي تستنفذ في الصبر وتفُنى فيه كالوقود الذي يستهلك في الاتقّاد ويُفنى فيه ، وكالَوضوء الذي يستنفذ في الوضوء ، وكذا حين تقول : (هو شكور) كأنّه مادة معدّة للشكر تستهلك فيه »[١].

ويمكن القول : إنّ ما ذكره السامرائي صحيح من جانب واحد هو اتّحاد دلالة البناء (فُعول) على المبالغة سواء كان دالا على أسماء الذات أم الادواء أم الصفات . ولكّنه بعيد من جانب آخر حين ذهب إلى أنّ الأصل دلالة البناء على اسماء الذات ثّم انتقل الى الأدواء والصِّفات .ولو قُلب الأمر فقال : إنّ الاصل هو المبالغة في وصف الفاعل القائم بالفعل او المتّصف به ، نحو: (صَبور) و (شَكور) و (رَؤوف) و (غَفور) ثّم انتقل الى أسماء الذات من غير العاقلين لكان أبين ؛ ذلك إنّ (فعول) إنْ كثُر من الآدميين كان مبالغة في القيام بالفعل وإن كثُر من غيرهم كان بمنزلة الاسم الذي يفعل به الشيء بلحاظ اختصاصه بالفعل فهو كالاسم من هذا الجانب ، فالَوضوء لا يكون بغير الماء والَوقود لا يكون بغير الحطب ، ومن هنا أشربت هذه الصفات معنى الأسماء لما فيها من لزوم للفعل واختصاص به بفعل دلالتها الرئيسة على المبالغة .

---

(١) معاني الابنية ١١٥ .

المطلب السادس : معاني مَفْعَل – مَفْعَلة

وقف الشّراح على عدة من أمثلة (مَفْعل) فأقّروا لها الدلالات الآتية :

١ - مَفْعَل مصدرا ميميّا .

يصاغ المصدر الميمي ومعه اسما الزمان والمكان من الثلاثي بلحاظ حركة عينه في المضارع ، فاذا كانت عين (يفعل) مفتوحة او مضمومة فالمَفْعَل منه مفتوح العين ، واذا كانت عين (يفعِل) مكسورة فانه مكسور العين[١]. وقد شاع في متن النهج مجيء الالفاظ على (مَفْعِل) ، (مَفْعَلة) بمعنى المصدر الميمي ، وصرح الشّراح بهذه الكثرة فقال المعتزلّي : « أمير المؤمنين عليه السلام كثير الاستعمال لمَفْعِل ومَفْعَلة بمعنى المصدر ، وإذا تصفّحت كلامه عرفت ذلك »[٢] ، وقال البحراني : « أمير المؤمنين كثيرا ما يريد بمَفْعِل المصدر »[٣] . وقد تبّين أن أمثلة (مَفْعَل) زادت على مئة وعشرين لفظة في متن النهج على حين زادت أمثلة (مَفْعَلة) على تسعين لفظة ، ومعظم هذه الالفاظ وجهها الشّراح بالدلالة على المصدر ، كالمَفْتَق واحد المفاتِق في قوله (ع) يذكر النبّي محمّد (صلى الله عليه وآله) : (فَرَتَقَ بِهِ المَفاتِقَ)[٤] ، إذ قال المعتزلّي : « المفاتق جمع مفتق وهو مصدر كالمضرَب والمقتل »[٥] ، والمَوقِف في قوله (ع) يصف فرار معاوية من القتل في صفّين : (فَمَا كَانَ إلا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتّى نَجَا جَرِيْضًا بَعْدَ مَا أُخِذَ بِهِ بِالْمُخَنَّقِ)[٦] ، إذْ قال البحراني : « الموقف المصدر، أي : فما كان ذلك القتال الا كوقوف ساعة »[٧]، وغير ذلك كثير[٨]. ولم ينعت الشّراح المتقدمون هذا الضرب من المصدر بـ(الميمّي) على حين صرح الشّراح المحدثون بمصطلح (المصدر الميمي) ، نحو قول الشيرازي: « مجراها : مصدر ميمي ، بمعنى : إجرائها »[٩] ، وقوله : « المشهَد والمغيب مصدران ميمّيان بمعنى الشهود والغيبة »[١٠] .

٢ – مَفْعَل للمكان والزمان .

لخص الخوئي ّقياس صوغ (مَفْعَل) الدالّ على المكان والزمان وما شذّ عن هذا القياس فقال : « يُبنى اسما الزمان والمكان من الثلاثي الصحيح المجرد على وزن مفعِل بكسر العين إذا كانت عين مضارعه مكسورة ، وعلى مفَعل بفتح العين إذا كانت عين المضارع مضمومة أو مفتوحة إلا إحدى عشرة لفظة أتت بكسر العين مع إنّ مضارعها

---

(١) ينظر: الكتاب ٣٥/٤ ، ٨٧ ،٩٦ والمقتضب ٧٤/١ ، ١٢٠/٢ والأصول ١٤١/٣ والمفصل ١٣ وشرح الشافية ١٨١/١ وأبنية الصرف ٢٨٧ ومعاني الأبنية ٣٤.

(٢) المعتزلّي١٥١/١٣ . (٣) البحراني ٢٦٨/٤-٢٦٩ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢١٣ ص:٤١٥ . (٥) المعتزلّي٦٤/١٠ .

(٦) نهج البلاغة ر ٣٦ ص:٥١٨. (٧) البحراني ٧٥/٥ .

(٨) ينظر: المعتزلّي١٤٧/١٣ والبحراني ١٤٦/٥ وانصاريان ٢٦٩/١ .

(٩) الشيرازي٢١/١ . (١٠) نفسه١٨٣/١ .

مضموم... »[١] . وقد تفاوت الشّراح في الاصطلاح للمكان ، فالغالب لديهم (الموضع)[٢]، وأقلّ منه (المكان)[٣] ، والأقلّ (المحلّ)[٤] . ومن أمثلة (مَفعَل) الدالّ على المكان ما جاء في قوله (ع) يحمد الله عزوجل: (يَعْلَمُ مَسْقَطَ القَطْرَةِ

وَمقرَّها وَمسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمجَرَّها)[٥] ، فالمسقط والمقرّ والمسحب والمجرّ مكان السقوط والاستقرار والسحب والجر[٦].
ومنها (المَقْجَر) في قوله (ع) يذكر فضيلة الحجّ : (يَحْرِزُوْنَ الأَرْباحَ فِي مَقْجَرِ عِبَادَتِه)[٧] ، فالمَقْجر موضع التجارة[٨] .
وقد جوز الشّراح في ما يربو على ستين مثالا من أمثلة (مَفعل) أن تكون دالة على المصدر والمكان معا لأنّ السياق يبيح هذا التجوز، من ذلك ما ورد في قوله (ع) يصف خلق الرياح : (ثُمَّ أَنشأ سبحانه رِيْحًا اعْتقَمَ مَهبَّهَا وَأَدَامَ مَرَبَّها وأَعْصَفَ مَجْرَاهَا وأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا)[٩] ، فالمهبّ أمّا مصدر بمعنى الهبوب أو اسم مكان ، والمربّ أما بمعنى الإرباب فهو مصدر أو الموضع الذي لزمته الريح وأقامت به فهو محل إربابها . وكذا المجرى والمنشأ يحتملان المصدر والمكان[١٠].وغير ذلك كثير[١١].

وهذا الذي جوّزه الشّراح في توجيه دلالة (مَفْعَل) بين المصدر والمكان يومئ إلى أنّهم غير مطمئنين إلى دلالة واحدة فيها ، فبادروا إلى ذكر الوجه الآخر زيادة في الاطمئنان ، وهذا الأمر مقبول في حال جمعهم الدلالتين معا للفظة الواحدة لا إيرادهما على سبيل الاحتمال ، ويكون أكثر قبولا لو جمعوا مع دلالة أمثلة (مَفْعل) على المصدر والمكان دلالتها على الزمان ، فقولهم المذكور آنفا تفيد ألفاظه الأربع : (مربّها ومهّبها ومنشأها ومجراها) الدلالة على الحدث المقرون بمكانه وزمانه ، وهذا هو الفرق بين المصدر الصريح والمصدر الميمي ، وهذا هو مفهوم أمثلة (مَفعل) كلّها في حال إطلاقها فإذا قُيدت في السياق بقرائن المكان وحده أو الزمان وحده انصرفت عن هذا الإطلاق نحو التخصص .

---

(١) الخوئي ٣١٠/١٨ .
(٢) ينظر : الراونديّ٣٨٨/٢ والمعتزلّي٢٩٨/٧ والبحراني ٨٩/٥ والسرخسي٢١٥/١ والخوئي ٧١/٧ و السامرائي ٩٣ .
(٣) ينظر : المعتزلّي٢٨/٧ ومغنية ١٦/٤ وانصاريان٣٥/١ .
(٤) ينظر : البحراني ٢٨٢/٥ .
(٥) نهج البلاغةخ ١٨٢ ص:٣٢٩
(٦) ينظر : مغنية ١٦/٤ .
(٧) نهج البلاغة خ ١ص ٢٥.
(٨) ينظر : السامرائي ٩٣ .
(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص: ١٩.
(١٠) ينظر: الراونديّ٣٨٨/٢ والمعتزلّي٢٤٨/٦ ، ٢٨٨/١٦ ، ٢٨٥/١٩ والبحراني ١٨٠/١ والسرخسي٢١٥/١ ، ١٥٩/٣ والخوئي ٧١/٧ ومغنية ١٦٦/٤ وانصاريان٣٥/١ .
(١١) ينظر : الراونديّ٣٥٧/١ والكيدريّ١٣/١ والمعتزلّي١١٥/٧ والبحراني ٢٧٩/١ ، ٢٢٤/٤ والخوئي ٨٧/٧ ومغنية ١٧٦/٤ والتستريّ١٧٦/١ وانصاريان٣٤٥/١٣،١/٢ .

وجاء لدى البحراني بعض الالتماعات التي تفُصح عن حوز (مَفعل) على الدلالات الثلاث حيازة اجتماع لا حيازة احتمال ، من ذلك تفسيره : (أبعد منشأها) في الخطبة المذكورة سابقا بقوله : « المَنْشَأ محلّ النُّشوء وهو الموضع الذي

أنشأها منه فلا يفهم منه الارتفاع ، اللهّم إلا على تقدير استعماله لموضع الإنْشاء استعمال المصدر، اي : بلغ بإنشائها غاية بعيدة . والأقرب أنّه يشير الى إنّها نشأت من مبدأ بعيد ، ولا يمكن الوقوف على أدلّة قدرة الحق سبحانه ووجوده »[١]، ففي هذا النص المح البحراني الى دلالة (منشأها) على المكان والزمان والمصدر كي يفهم معناها الدقيق . ولم أقف على مثال واحد لها لدى الشّراح ورد فيه (مفعل) دالا على الزمان وحده .

وأما صياغة هذه الأسماء من غير الثلاثي فقد ألمح الشّراح تبعا للقدماء[٢] إلى أنّ أمثلة اسمي الزمان والمكان والمصدر الميمي تصاغ من غير الثلاثي كما يُصاغ اسم المفعول . من ذلك تفسيرهم المعسكر بفتح الكاف بأنه موضع العسكر ولا يجوز كسر كافه إن أريد به الموضع[٣]. وفرّق الراونديّ بين كسرعين (مفعِل) وفتحها من المفعل الواحد ، « فالمنسك بكسر العين هو الموضع الذي تذبح فيه الذبائح ، وبالفتح مصدر بمعنى النسك ، وقرئ بهما قوله تعالى : ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا** ﴾[٤] »[٥].

وكثيرا ما تزاد التاء في آخر (مفعل) ليؤول البناء إلى (مفَعلة) بفتح الميم والعين[٦] ، وقد تلمس الشّراح لأمثلتها عدة مداليل ، أشهرها إنّ التاء تخلص الأمثلة للدلالة على المكان دون الزمان والمصدر. وقد صرح معظم الشّراح بهذه الدلالة سواء كانت الالفاظ محسوسة ام معنوية كما في قوله (ع) : (مُجَالَسَةُ أَهْلِ الهَوَى مَنْسَاةٌ للإِيمانِ وَمَحْضَةٌ للشَّيْطَانِ)[٧] ، إذْ فسّر الشّراح المَنْساة بالموضع الذّي يُنسى فيه الإيمان ، والمَحضرة بالموضع الذي يحضر فيه الشيطان[٨] . وذكروا – أيضا - المَسْبعة : موضع للسباع ، والمَفعاة : موضع الأفاعي ، والمَهواة : موضع السُّقوط ، والمَضَلّة : موضع الضلال ، والمَزَلّة : مكان الزَّلل ، والمَظَنَّة :موضع الظَّن ، والمَتاهة : محلّ التيه ، والمَثابة : مكان يثوب الناس اليه اي يرجعون اليه ،والمَرْعاة : بُقعة تُرعى ،والمَأْسدة : مكان الأُسْد ،والمَحياة موضع الحياة[٩].

---

(١) البحراني ١٨١/١ .

(٢) ينظر: الكتاب٣٥/٤ ، ٨٧ ،٩٦ والمقتضب ٧٤/١ ، ١٢٠/٢ والأصول ١٤١/٣ والمفصل ١٣ وشرح الشافية١٨١/١

(٣) ينظر: المعتزلّي٢٩٨/٧ والبحراني ٣٣١/٤ .

(٤) الحج ٣٤ وينظر: الكشاف ١٤٥/٣ والبحر المحيط ٥٠٨/٧.

(٥) الراونديّ٣٨٨/٢ وينظر : المعتزلّي٢٤٢/١١ والبحراني ١٤٤/٢ .

(٦) ينظر: الكتاب٩٤/٤ والمفصل ٢٣٩ والمخصص ١٩٨/١٤ وشرح المفصل ١١٠/٦ وشرح الشافية ١٨٨/١.

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٨٦ ص :١٤٠.

(٨) ينظر: المعتزلّي٣٥٦/٦ والبحراني ٢٩٤/١ وابو الفضل٧١/١ .

(٩) ينظر: المعتزلّي٣٦٥/٦ والسرخسي٥٢/١ وعبده ١٩٠/١ ، ١٩٣/٢ ، ٧٦/٣ ومغنية٤٩٢/٣ .

وجّوز بعضهم دلالة (مفعلة) على المكان والمصدر معا ، كالمَرضاة بمعنى الرِّضا أو محلّ الرضوان[١] . والمنجاة بمعنى النجاة ،و محلّ النجاة[٢] .وقلّما أخلص الشّراح أمثلة (مفعلة) للمصدر ، كالمحّبة إذ هي مصدر بمعنى المفعول

كالخلق والضرب[٣]. وفهم بعضهم من وجود التاء في آخر (مفعلة) إفادتها معنى الجمع فضلا عن المكان ، كالَمسْلحة بمعنى القوم المسلّحون أو المكان الذي يرابطون فيه[٤] . وفسّر الخوئي طائفة من هذه الأمثلة بإفادتها معنى تكثير الشيء في المكان ، إذ قال في توجيه معنى (المنساة والمحضرة) : « محلّ النسيان والحضور والتاء فيهما للتكثير كما يقال : أرض مسبعة أي كثُرت فيها السباع »[٥]، وهذه هي الدلالة الرئيسة التي خلص اليها الصرفيون في أمثلة (مفعلة)[٦] . وثّمة دلالة أخرى فهُمت من بعض الأمثلة لاسيما من الالفاظ المعنوية كقول الرسول (صلى الله عليه وآله) : **(إنّ الولدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ)**[٧] ، والمعنى هو سبب للجبن والبخل والحزن[٨] ، وهذه الدلالة تنّبه عليها المعتزلّي في (منساة للايمان) اذ هي بمعنى « داعية إلى نسيان الإيمان وإهماله »[٩].

---

(١) ينظر: البحراني ٢٧٩/١ وأنصاريان ١٣/٢

(٢) ينظر المعتزلّي ١١٥/٧ والخوئي ٨٧/٧ والتستريّ ١٧٦/١ وأنصاريان ٣٤٥/١.

(٣) ينظر: الرواندي ٣٥٧/١ والكيدريّ١٣/١

(٤) ينظر: البحراني ٢٢٤/٤ ومغنية١٧٦/٤

(٥) الخوئي ١٢٥/٦ .

(٦) ينظر: حاشية الصبان٣١٢/٢ ومعاني الأبنية ٣٩

(٧) مسند أحمد ١٦٩٠٤ وسنن ابن ماجة ٣٦٥٦.

(٨) ينظر: شرح الشافية ١٦٢/١ ومعاني الابنية٣٩.

(٩) المعتزلّي٣٥٦/٦.

المطلب السابع : معاني فَعال – فعالة .

توالت امثلة البناء فعال في متن النهج فوزعها الشّراح على دلالتين :

١ – فَعال اسم مصدر.

وهو كثير أزاء التفعيل نحو : جهزّ جهازا والمصدر التجهيز، و زّوجواجا والمصدر التزويج ، وطلّق طلاقا والمصدر التطليق ، وزكّى زكاة والمصدر التزكية وغير هذا كثير[١] . وفي النهج طائفة من هذه الأمثلة منها (البلاغ) اسم مصدر من بلّغ الذي مصدره التبليغ[٢]. وقد يأتي (الفعال) اسم مصدر من غير باب التفعيل نحو: (الكَفاف) وهو ما يكفيك اي يمنعك عن سؤال غيرك ، وهو مقدار القوت والفعل (كفّ) مصدره المقيس كِفاف بالكسر لأنه يدل على امتناع[٣] . والقَرار) اسم بمعنى الاستقرار[٤] .

٢ – فَعال اسم جمع .

وهو شائع في العربية على (فَعال) الذي مؤنثه (فَعالة) نحو : الحَمام و اليَمام والغَمام وغير ذلك . ومن أمثلته في النهج (السَّحاب) إذ هو « بمعنى السُّحب وهو اسم جمع كقوله تعالى :﴿ **حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ** ﴾[٥] »[٦] .

وثّمة دلالات أخرى لأمثلة فَعال أوردها الشّراح ، منها دلالة فَعال على أسماء الأفعال أو أسماء المصادر أو أعلام الأجناس كما في قوله (ع) : (تَقُولُونَ فِي المَجَالِسِ : كَيْتَ وكَيْتَ ،فَإِذَا جاءَ القِتَالُ قُلْتُمْ : حِيْدِي حَيَاد)[٧] . فقد نقل الشّراح عن الجوهري[٨] قول العرب : حِيدي حَياد وفِيحي فيَاح وهما اسمان للغارة ، واستدرك البحراني على الجوهري ان تكون حَياد وفيَاح من أسماء الأفعال كَنزالِ فيكون قد أمر بالتنحّي مرّتين بلفظين مختلفين[٩] .

---

(١) ينظر: الكتاب ٢٦/٤ وشرح الشافية ١٦٣/١.

(٢) ينظر : الراونديّ ٢٦٠/١ والكيدريّ ٢٩٣/١ والمعتزلّي ١٩٩/١ والبحراني ١٢٧/١ .

(٣) ينظر : عبده ١٩/١ والسامرائي ٨٧ .

(٤) ينظر: المعتزلّي ٤/١١ والبحراني ٤٧٤/٤ والسرخسي ٨٣/١ وعبده ١٥٢/١ وانصاريان ١٨٦/١.

(٥) الأعراف ٥٧ وينظر: الكشاف ٨٤/٢ والبحر المحيط ٧٧/٥.

(٦) السامرائي ٨٢ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٢٩ ، ص ٦٧ .

(٨) ينظر: الصحاح ٢٧٦ ، ٨٢٦ .

(٩) ينظر: البحراني ٥٠/٢-٥١ وأنصاريان ١٣٤/١ .

وأما البناء (فَعالة) فورد له في متن النهج عدة أمثلة . تلّمس لها الشّراح أربع دلالات هي:

١ – فَعالة مصدرا.

وهو في قوله (ع) من كتاب لصاحبه الحارث الهمذاني : (احْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُه)[١] ، فالصَّحَابة (مصدر صحِبْتُ)[٢]، وكذا الكَهانَة مصدر (كهُن) بالضم أي صار كاهنا ، والبَراءة مصدر كالتبرُّؤ ، والخَصَاصة مصدر (خَصّ الرجل)[٣]. ويبدو أن بناء (فَعالة) سماعي في المصادر ، وعلى الرغم من ذلك حصر سيبويه بعض الأمثلة المقيسة على (فَعالة) لأنّها تجتمع في الدلالة على الحسن والقبح نحو: الظَّرَافة والوَسَامة والوَسَاخة والبَشَاعة ، وعدَّ ما كُسِرت فاؤه كالوِلاية والإمارة أسماء لا مصادر ، فالوِلاية اسم لما توليَّته ، والإمارة اسم لما أمرت عليه[٤] .

٢ – فَعالة اسما لما بقِي من الشيء .

ومثاله ما في قوله (ع) : (أَلا حُرٌّ يَدَعُ هَذِه اللمَّاظة لأَفْوِاهِها)[٥] ، فاللمَّاظة بالفتح هي «ما تبقى في الفم من الطَّعام»[٦] والأصل في ما بقي من الأشياء أن يأتي على (فُعالة) على وفق ما سيأتي .

٣ – فَعالة اسما للمكان .

نحو: (قَرارة النُّطفة) ، اي: مكان استقرارها ، و(غَيابة الجبّ) ، اي : قعر البئر ، وهو المكان الذي يغيِّبُ مَنْ فيه[٧].

٤ – فَعالة جمعا .

وهي الدلالة التي جوّزها المعتزلي في (صَحَابة) المذكورةفي دلالة فَعالة على المصادر ، فجوّز أنْ يكونَ صَحَابة جمع صاحب ، يقال: (صحابة الرسول) ، أي : أصحابه[٨] .

---

(١) نهج البلاغة ر ٦٩ ص :٥٨٨.

(٢) ينظر: المعتزلّي١٨/٤٨ والسرخسي١/١٠٣.

(٣) ينظر: البحراني ٤/١٧٦ وعبده١/٧٧ والخوئي ٨/٩٥ وانصاريان١/٢١٢ .

(٤) ينظر: الكتاب٤/٢٨-٢٩والأصول ٣/٩٣ وارتشاف الضرب ١/٢٢٢.

(٥) نهج البلاغة ح ٤٥٦ ص:٦٩٢ .

(٦) المعتزلّي٢٠/١٧٣ .

(٧) ينظر: المعتزلّي٧/٢٦ والبحراني ٢/٤٠٠ وعبده١/٢٢٦ .

(٨) ينظر: المعتزلّي١٨/٤٨ .

المطلب الثامن : معاني فِعال – فعالة.

كثُرت أمثلة فِعال في متن النهج ففرّقها الشّراح على عدة دلالات أهمّها :

١ – فِعال آلة .

ومن أمثلتها في النهج ما في قوله (ع) : (الآنَ عِبَادَ اللهِ والخِنَاقُ مُهْمَلٌ ...)[١] ، فالخِناق بالكسر حبل يُخْنَقُ به وهو من الأدوات[٢]. ومنها أيضا : « القِياد : وهو ما تقُاد به الدابة »[٣] ، و « السِّقاء : وِعاء اللبن والماء أيضا »[٤].

وقد تمنّى الدكتور ابراهيم السامرائي لو أنّه ألّف كتابا في أمثلة (فِعال) لكثرة أمثلته الدالّة على الآلة مع غفلة الآخرين عن هذه الدلالة ، قال : « وقد يصير لي أن أجمع من هذا طائفة تؤلّف رسالة لطيفة ، ومن العجيب أن أهل المصطلح الحديث لم يفطنوا لهذا »[٥]. وفي هذا إشارة الى إنّ القدماء وثّقوا دلالة (فِعال) على الاشتمال والإحاطة بالشيء فكأنّه آلة لذلك نحو : الرِّباط والخِمار والحِزام والنِّطاق وغير ذلك[٦].

٢ – فِعال جمعا .

ويطّرد في مفردات كثيرة الأوزان[٧] ، وورد في النهج منه عدة أمثلة منها: (الحِجال) جمع حِجْل[٨] ، و(العِجال) جمع عَجُول[٩] ، والبِكار جمع بِكْر ، والفِجاججمع فَجّ[١٠] ، والحِشاش جمع حاشّ كِيام جمع نائم[١١] . وغير هذا كثير .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص:١٣٥.

(٢) ينظر: السامرائي ١٣٩ .

(٣) عبده ٦٠/٣ .

(٤) البحراني ١٧٢/١ .

(٥) السامرائي ١٣٩ وينظر : ١٩٦ .

(٦) ينظر: الفروق اللغوية٧٣ .

(٧) ينظر : جموع التصحيح والتكسير ٥٢ .

(٨) ينظر: المعتزلّي٧٩/٢ .

(٩) ينظر: المعتزلّي٣٣٤/٣ .

(١٠) ينظر: نفسه١٠٢/٦ و ٦٤/٧ .

(١١) ينظر: البحراني ١١٩/٣ .

٣ – فِعال مصدرا .

شاع في العربية فِعال مصدرا للثلاثي أو الرباعي المزيد بألف ثانية دالا على عدّة معان هي :

أ –**فعال مصدرا للثلاثي دالا على بعد وفراق** . « نحو الفِرار والشِّراد والشِّماس والفِّار والطِّماح ، هذا كلّه مباعدةٌ ... وقد قالوا : خِلاء لأنّ هذا فَرَقٌ وتباعُدٌ »[١] . وقد سمّى المحدثون هذه الدلالة (امتناع) تارة ، و(إباء) تارة اخرى ، و(رفض) تارة ثالثة[٢] ، واصطلاح سيبويه المذكور آنفا أبين وأشمل .

ومن أمثلتها في النّهج (الشّماس) في قوله (ع) في الشقشقيّة : (فُمَنِي النَّاسُ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ)[٣] ، فالشّماس هو الامتناع والنِّفار[٤]، هو « مصدر شمس الفرس إذا منع ظهره »[٥] .

ب –**فعال مصدرا للثلاثّي دالا على انتهاء زمن الفعل** . اذ «جاؤوا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فِعال وذلك الصِّرام والجِزاز والجِداد والقِطاع والحِصاد...»[٦] . ومن أمثلته في النهج (السِّياق) في قوله (ع) يصف الدنيا : (أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ ولِحَاقٍ وفِرَاقٍ)[٧] ، فالسِّياق بمعنى نزع الروح وانتهاء الحياة ، يقال : « رأيت فلانًا يسوقُ ، أي : ينزع عند الموت »[٨] . ويبدو أنّ هذه الدلالة تؤول إلى البعد والفراق فيكون الفِعال جامعا للفراق والبعد سواء في الجمادات أو الأحياء .

ج – **فعال مصدرا للرباعي (فاعل) دالا على المشاركة** . ومن أمثلته : الحِوار والنِّقاش والسِّباق والخِلاف والجِدال والحِجاج والشِّقاق[٩] . ويبدو أنّ معنى المشاركة في مثل هذه المصادر يفضي في النهاية إلى التباعد والبينونة بينهما وذلك مستحصل من غلبة أحد الطرفين صاحبه في أمثلة الفِعال ، فيبين الغالب بينهما عن المغلوب .

د -**(فِعال) اسم مصدر** . وقد خلص ذوو الصَّنعة إلى أنّ اسم المصدر هو « ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه وخالفه بخلوِّه – لفظا او تقديرا – من بعض ما في فعله دون تعويضٍ كَعطاء فإنّه مساوٍ لإعطاء معنى ومخالف له بخلوِّه من الهمزة الموجودة في فعله وهو خالٍ منها لفظا و تقديرا ولم يعوَّض عنها بشيء »[١٠] ، ومن أمثلة اسم المصدر التي صرّح بها الشّراح (القِوام) في قوله (ع) من رسالة الى الأشتر يذكر فيها القضاة والعمّال والكتّاب : (لاَ قِوَام لهُمْ جَمِيْعًا إلا بِالتُّجّارِ وذَوِي الصِّنَاعَاتِ ...)[١١] ، فالقِوام هو « ما يُقيم من الحاجات والوسائل وكأنّه اسم

---

(١) الكتاب ١٢/٤-١٣ وينظر : الاصول ٩٠/٣ .
(٢) ينظر: شذا العرف ٧٠ والمهذب ٢٣٧
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص:٢٩- ٣٠.
(٤) ينظر: الموسوي ٧٥/١ .
(٥) المعتزلّي ٢٩/١٩ .
(٦) الكتاب ٢/٤ وينظر : الاصول ٩٠/٣
(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٩١ ص:٣٥٨
(٨) المعتزلّي ١٢٣/١٣-١٢٤ وينظر : البحراني ٣٣٤/٢ وانصاريان ٢٥/١ وعبده ١٥٩/٢ .
(٩) ينظر :المعتزلي ٧٢/١٠ والبحراني ٣٧٨/٣ والخوئي ١٧٩/١٠ والتستريّ ٥٦٨/١٠ وأنصاريان ١٨٤/٢.
(١٠) شرح ابن عقيل ٩٨/٢ وأوضح المسالك ١٦١/٣ وشرح التصريح ٦١/٢ .
(١١) نهج البلاغة : الرسالة ٥٣ ، ص ٥٥١ .

من (فِعال) وقد يكون لنا أن نعدَّه مصدرًا كالقيام أي أنّهم لا يقومون إلا بالتُّجّار والاسم أولى كما نقول : إنّ الماء قوام الحياة »[١] . وإنّما كان القوام اسم مصدر لأنّه بمعنى المصدر: (الإقامة) ومخالف له في بعض الحروف ، وكذا (الوِقار) اسم من التوقير[٢]، و(الفِراء) اسم من الافتراء[٣] ، وجِماع المسلمين: إجماعهم[٤] .

هـ – فَعال بمعنى المفعول . ومن أمثلة الشّراح لهذه الدلالة (الإله) بمعنى المألوه ، أي : المعبود لأنه مشتقٌّ من أَلَهَ يَأْلَهُ إلاهةً مثلُ عَبَدَ يَعْبُد عِبادَةً وزنا ومعنى[٥]. وكذا البِناء بمعنى المبنّي[٦] ، والكِتاب بمعنى المَكتوب والإمام بمعنى المأموم[٧]. ويبدو أنّ دلالة فِعال على المفعول تدخل في باب الاشتمال والإحاطة الّذي سبق ذكره في الآلات والأدوات وغيرها[٨] .

وفّرق فريق منهم بين (المَهد) و(المِهاد) في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا** ﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿ **جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا** ﴾[١٠]، تفريقا مستنبطا من شيوع دلالة (فِعال) على الإحاطة والاشتمال فرأى أن الأرض مِهاد لأنها يسهلُ على العباد أن يتصرّفوا فيها بالقُعود والقِيام والزِّراعة وسائر جهات المنفعة . وسمّيت (مهدا) تشبيها بمهد الصبّي في كونه محلّ الراحة والنوم . وفي هذا معنى الاشتمال والاحاطة أيضا لكنه في (المهاد) أبين وأوسع لكثرة جهات التصرّف[١١]. وبالاعتماد على هذا الملمح الدلالي يمكن القول : إنّ أمثلة (فِعال) أنّى وردت تفيد الدلالة على الاشتمال والإحاطة أو الانتشار في الحّيز المكاني خاصة . ومن هنا فرّقوا أيضا بين أمثلة (فعال) وغيرها من الأمثلة التي اتفّقت معها في الاشتقاق وخالفتها في البناء ، كالرّيش والرّياش فهما بمعنى اللباس الفاخر[١٢] ، والفرق بينهما هو أنّ الريش للطائر ، والرّياش للبشر من قبيل التشبيه بالطائر . وكذا الفرق بين اللبس واللباس ، فاللبس إحاطة بعض أجزاء الجسد بما يلبس ، على حين يكون اللباس أكثر إحاطة شمولا منه فهو في القرآن الكريم مقرون بالتقوى والزوجة وغير ذلك .

---

(١) السامرائي ١٨٠ .

(٢) ينظر: البحراني ٦٦/٥ .

(٣) ينظر: نفسه٢٤٢/٤ .

(٤) ينظر: نفسه ٩٥/٣ .

(٥) ينظر : الراونديّ٢٤/١ والمعتزلّي٦٣/١ والخوئي ٢٩٥/١ والتستري ١٤٦/١.

(٦) ينظر: الراونديّ٣١٢/٢ .

(٧) ينظر: المعتزلّي٣٥٨/٧ والبحراني ٩٣/٢ وعبده١٠١/٣ ومغنية٤٦٤/٢ والسامرائي ٧٥.

(٨) ينظر: ديوان الادب٤٥٣/١-٤٥٤ .

(٩) النبأ ٦ وينظر: الكشاف ٤ /٢٠٧.

(١٠) طه ٥٣ وينظر: الكشاف ٥٤٠/٢

(١١) ينظر:الرواندي ١٢٩/٢ والمعتزلي ٢٥٣/٩ والبحراني ٢٩٧/٣ .

(١٢) ينظر:الراوندي ٣٢٣/١ والمعتزلي ٤٤/٦ والبحراني ٢٣٣/٢.

أما البناء المختوم بتاء التأنيث (فِعالة) فذكر له الشّراح الدلالات الآتية :

١ – فِعالة مصدرا .

فِعالة عند القدماء اسم ، والمصدر هو (الفَعالة) بفتح الفاء[١]، ولم يصرحوا بأنّ (فِعالة) مصدرا ، وإنّما « الوِكالة والوِصاية والجِراية ونحوهن شبهن بالولاية لأن معناهنّ القيام بالشيء »[٢] ، وكذا « قالوا التِّجارة والخِياطة والقِصابة ، وإنّما أرادوا أن يُخبروا بالصَّنْعة التي يليها »[٣]. وإلى هذا ذهب الشّراح ، فـ « الوِلاية اسم لما توليَّته وقمت به مثل الإمارة ، فإذا أرادوا المصدر فتحوا »[٤]. و« الكَهانة بالفتح مصدر كهنُ بالضم أي صار كاهنا ، ويقال كهَن يكهُن كِهانة مثل كتبَ يكتبُ كتابة إذا تكهَّن والحرفة كِهانة »[٥] .

والفِعالة عند المتأخّرين مصدر يدلّ على حرفة ، ولكثرة أمثلته في اللغة المعاصرة أمر مجمع اللغة العربية في مصر أن « يجيء مصدر فِعالة من الثلاثي للدلالة على الحرفة أو شبهها كالصِّناعة والحِياكة والتِّجارة والإمارة والسِّفارة والنِّقابة ، وقد رأى مجمع اللغة العربيّة قياسيّة هذا المصدر معتمدا في ذلك على مذهب سيبويه والأخفش وابن مالك ومتابعتهم ، فأصدر في دورته الأولى القرار التالي : يصاغ للدلالة على الحرفة أو شبهها من أي باب من أبواب الثلاثي مصدر على وزن فِعالة بالكسر »[٦].

٢ - فِعالة آلة .

ومثاله ما في قوله (ع) حين بلغه ان جيش معاوية دخل اليمن وطرد عامليه عليها :(.فَلَوْ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيْتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلاقَتِهِ ...)[٧] ، فالعِلاقة هي ما يعلقّ منه القدحُ الضَّخم من ليف ونحوه[٨] . و(الحِبالة) هي آلة الصائد وهي شبكة يتَّخذها للصيد[٩]. وهذه « من أوزان الآلة والأداة نحو: العِمامة والعِضادة والوِسادة وغيرها»[١٠] .

وقد أحسن العسكريّ حين جمع دلالة (فِعالة) سواء كانت مصدرا دالا على حرفة أم اسم الة ؟ على دلالة واحدة هي الإحاطة والاشتمال ، فقال : « الفِعالة للاشتمال مثل العِصابة والعِمامة والقِلادة ولذلك جاء أكثر الصناعات على فِعالة نحو: القِصارة والخِياطة ، ومثل ذلك العِبارة لاشتمالها على ما فيها »[١١].

---

(١) ينظر : الكتاب١٦/٤ وادب الكاتب ٤٧ والاصول٩٢/٣.

(٢) الكتاب١١/٤ . (٣) نفسه١١/٤ .

(٤) الراونديّ٣٥٣/٢ . (٥) انصاريان٢١٢/١٧

(٦) فقه اللغة (وافي) ٢١٨ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٢٥ ص:٥٨.

(٨) ينظر: عبده٨٣/١ ومغنية٣٦٢/١ .

(٩) ينظر: عبده ١٥٥/٣ .

(١٠) السامرائي٢٦٧ .

(١١) الفروق اللغوية ٨٤ .

المطلب التاسع : معاني فُعال – فُعالة .

كثُرت أمثلة فُعال في متن النهج فتلمَّس لها الشّراح الدلالات الآتية :

١ – فُعال مصدرا .

يتأي فُعال مصدرا للثلاثي دالا على داء أو علّة كالُعطاس والنُّعاس[١]. ومن أمثلته لدى الشّراح (الخُناق) ويعني قطع النفس[٢]. وكذا (الُعشاء) ، وهو مرض في العين ، يُرى فيها نهارا ولا يُرى ليلا[٣]. ويأتي (فُعال) مصدرا دالا على صوت ، كالصُّراخ والُبكاء[٤] . ومن أمثلته في النهج التي صرحوا بدلالتها هذه : (الُجؤار) ، إذ هو « من المصادر الدالّة على الأصوات وتكثر في بناء فُعال كالصُّراخ والُبكاء ونحو ذلك ، والُجؤار صوت مرتفع »[٥] . وقد تبّين للدكتور فاضل السامرائي أن (فُعال) في الأصوات أقوى من (فعيل) ، فالصُّراخ أقوى من الصَّريخ بلحاظ ضمة (فُعال) وألفه أزاء فتحة (فَعيل) ويائه ، والمراد بقّوة الصوت امتداده وشدّته . ويبدو أنّ الفُعال هو صوت مشوب بالداء كالصُّراخ والُعواء والُبكاء ومن هنا قيل : إّنه أشدّ من الفعيل وأقوى ، ولذا تكون دلالة (فُعال) على الأصوات تبعا لدلالته على الداء والمرض فيتوحّد الباب .

٢ – فُعال مبالغة من فعيل .

إذا أُريد المبالغة في الوصف الذي على (فَعيل) نُقل الى (فُعال) نحو: (طَويل –طُوال) و (كَبير – كُبار)[٦] . ومن أمثلتها في النهج (الُجلال) ، إذ فسّرها الشّراح بأّنها مبالغة في الجليل ونظروها بالطوال والطويل[٧] . ومعنى المبالغة الذي أقره الشّراح تبعا للسابقين يومئ بالشدّة والغرابة في الموصوف فيكون داخلا في الباب أيضا.

---

(١) ينظر: الكتاب ١٠/٤ والاصول ٨٩/٣ .

(٢) ينظر: مغنية ٥٥/٢ .

(٣) ينظر: الموسوي ٤٧٩/١.

(٤) ينظر: الكتاب ٩/٤-١٤ والاصول ٨٩/٣ .

(٥) السامرائي ١٠٣ وينظر : المعتزلّي ٤٢٩/٦ والبحراني ١٣٩/٢ والخوئي ٣٧٤/٦ ومغنية ٥٤٠/١ والسامرائي ١٠٣ .

(٦) ينظر: شرح الشافية ١٣٦/٢ والخصائص ٢٧٠/٣-٢٧١ .

(٧) ينظر: المعتزلّي ٢٦٣/٩ وابو الفضل ٣٨٩/١ .

٣ – (فُعال) جمعا .

يأتي (فُعال) جمعا عزيزا لطائفة من الألفاظ وهو مسموع فيها ولا وجه لقياسه[١] . وقد وردت بضع ألفاظ في متن النهج على (فُعال) دالّة على الجمع ومنها (عُراق) في قوله (ع) : (وَاللهِ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عُرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ)[٢] ، فالعُراق جمع عَرْق وهو العظم عليه شيء من اللحم وهو من الجموع النّادرة نحو رَخْل ورُخَال ، وظِئر وظُؤار[٣] . ومجمل هذا القول مبالغة في هوان الدنيا وحقارتها في عين الامام (ع) ونفرته منها ؛ لان الواحد من العُراق لا خير فيه ابتداء فلو كان متراكما مجموعا وكان من خنزير ثم في يد مجذوم بلغت النفرة منها الغاية لأن حقارته لا تقرن بشيء .

٤ – (فُعال) اسما دالا على التفرّق والتفتُّت.

يأتي (فُعال) دالا على التفتُّت والتفرّق فيكون بمعنى المفعول أو الفاعل لأنّه لّما وقع عليه الفعل فتّته وفرَّقه أو ما اتَّصف به الفعل الدالّ على التفرق[٤] . ومن أمثلته في النهج (التُّراث) إذ هو بمعنى الموروث وهو لا يكون إلا عن تفرّق وتفتّت عن أصله[٥] . وكذا (الحُطَام) بمعنى المُحَطَّم وهو ما تكسّر من الحشيش واليَبس وغير ذلك[٦]. فكلّ من التُّراث والحُطَام بمعنى المفعول ، وقد يأتي الفعال بمعنى الفاعل نحو : (الرُّكام) بمعنى المتراكم بعضه فوق بعض[٧]. ويبدو رأ الفُعال في الآدميين داء او شبهه على حين هو من غيرهم تفتّت وتفرّق على وفق ما سبق ذكره .

---

(١) ينظر: الكتاب٣/٦١٦-٦١٧ والمخصص١٤/١١٤ .

(٢) نهج البلاغة : الحكمة ٢٣٦ ، ص٦٤٥ .

(٣) ينظر: المعتزلّي١٩/٦٧ والبحراني ٥/٣٣٤ .

(٤) ينظر: الاصول٣/٨٩-٩٠ وارتشاف الضرب١/٢٤٣ والمخصص١٤/١٣٢ وشرح الشافية١/١٥٥ .

(٥) ينظر: الراونديّ١/٣١٣ والكيدريّ١/٣٦٦ المعتزلّي١/١٥٣ والتستريّ٨/٥٨ وعبده١/٣٧ .

(٦) ينظر: المعتزلّي١٩/٢٨٥ .

(٧) ينظر : البحراني ١/١٧٣والسرخسي١/٤٠ وانصاريان١/٣٦ وعبده ٢/١٠٠ ومغنية١/٩٢ .

أّما البناء المختوم بتاء التأنيث (فُعالة) فورد في النهج منه طائفة من الألفاظ جمعها الشّراح على دلالة واحدة هي (ما يسقط من الشيء) ، وصّرح فريقٌ منهم بأنّ (فُعالة) بمعنى (مفعول) ، أي الشيء المطروح من شيء كبير ، وهذا ما خلصوا إليه في تفسيرهم ما جاء في قوله (ع) محذّرا من فتنة بني أمية : (...فَلَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ

وَنُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ العِكْمِ)[1] ، قُثَالَةُ القِدْرِ هِيَ مَا رَسَبَ فِيهِ مِنَ الطَّبْخِ ، وَنُفَاضَةُ العِكم هي ما يسقط من العِدْلِ المنفوضِ[2] .

ومثل هذا تفسيرهم ما جاء في قوله (ع) في خطبة له عرض فيها للزهد في الدنيا : (فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ القَرَظِ وَقُرَاضَةِ الجَلَمِ)[3] ، فحُثالة القَرَظ : ما يسقط من قشر الشعير والأرزّوالتمر ، والقُراضة ما يسقط عند جزّ الصوف أو شبهه[4].

وكان سيبويه قد ذهب الى ان (فُعالة) بناء يفيد «معنى الفُضالة وذلك نحو القُلامة والقُزّة والقُراضة والنُّفاية والحُسالة والجُرامة...»[5]، وسمّى تابعو سيبويه (الفُضالة) البقّية من الشيء[6]. وأنس بعضُ شُرّاح النهج المحدثين بـ (بقايا الاشياء) مصطلحا لتفسير معنى هذا البناء ، إذْ قال السامرائي : «قُثالة القدر ...من الكلمات التي تأتي على فُعالة من بقايا الأشياء نحو الخُشارة والنُّخالة والصُّبابة ونحوها »[7] . ويبدو من أمثلة سيبويه للفُعالة أنّها مختصّة بالرديء من الأشياء لأنّها فُضالة لا فائدة منها ، وهذا ما كرّره شُرّاح النهج في معظم الأمثلة ، لكن الشارح المعتزلّي جوّز أن تأتي أمثلة فعالة في الشيء الجيد النافع ، فلّما وقف على قوله (ع) - من خطبة له تعرف بالأشباح : (وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الجِبَالِ وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ البِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ والعِقْيَانِ وَنُثَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيْدِ المَرْجَانِ ...)[8] - قال : « نُثارة الدّر ما تناثر منه كالسُّقاطة والنُّخالة وتأتي فُعالة تارة للجيد المختار وتارة للساقط المتروك ، فالأول نحو الخُلاصة والثّاني نحو القُلامة »[9]. ويبدو أنّ دلالة فُعالة على الشيء الجيد أو الرديء مستحصلة ممّا تُضاف إليه أمثلتها ، فالنُّثارة جيّدة في قوله (ع) ؛ لأنّها أضيفت إلى نفيس وقد تكون قبيحةً إذا أُضيفت إلى خسيس .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨ ، ص ١٩٧ .

(٢) ينظر : الراونديّ ٤٦٠/١ و ٥٠/٢ والمعتزلّي ١٨٩/٧ وعبده ٢٦١/١ وابو الفضل ٢٤٤/١ والسامرائي ٩٨ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣٢ ، ص ٧٢ .

(٤) ينظر: مغنية ٤٢٤/١ والسامرائي ٢٩٧ .

(٥) الكتاب ١٣/٤ .

(٦) ينظر: المخصص ١٣٦/٤ والصاحبي ١٩١-١٩٢ .

(٧) السامرائي ٩٨ وينظر : ٢٩٧-٢٩٨ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٤٩ .

(٩) المعتزلّي ٤٠٢/٦ .

المطلب العاشر : معاني فُعَل .

تلّمس الشّراح لأمثلة (فُعَل) في متن النهج دلالتين هما :

١ - فُعَل جمعا[1] .

وهو في قوله (ﷺ) يصف الأموات : (... غُيَّبا لا يُنْتَظَرُوْنَ ، وَهُدُوداً لا يَحْضُرُوْنَ)[٢] فـ(غيّب جمع غائب)[٣] . ومنه ما جاء في قوله (ﷺ) في صفة الملائكة : (ومِنْهُمْ مَن هُو فِي خَلْقِ الغَمَام الدُلّحِ وَفِي عِظَمِ الجِبَالِ الشُمّخ)[٤] ، فالدُّلّح جمع دالح وهو الثقيل بالماء ، والشُمَّخ جمع شامخ وهو المرتفع[٥].

وقد وثّق القدماء دلالة (فُعَّل) على الجمع[٦] ، وفرَّق العاملون في الإعجاز القرآني بين (فُعَّل) و (فُعُول) نحو: (سُجَّد و سُجُود) ، فخلص الزركشي إلى أن (فُعَّل) يدلُّ على الحركة الظاهرة التي لا تفيد معنى الخضوع ولا الانقياد لله – عزوجل – ومن هنا استعمل (سُجَّد) مع سجود السَّحرة لموسى وسجود إخوة يوسف ليوسف (ﷺ) ؛ لأن هذا النوع من السجود ليس خضوعا وانقيادا ، وهو دون الحركة الفعلية . وأما (السُّجُود) فهم القائمون بحركة فعلّية تدلّ على السُّجُود الحقيقّي بمعنى العبادة لله والخشوع له . وهو ظاهر في القرآن لله تعالى وحده . وأما قوله تعالى: ﴿**تريهم ركّعا سجّدا**﴾[٧] ، فقال : (سجّد) ؛ لأنه « من رؤية العين ورؤية العين لا تتعلّق إلا بالظاهر فقصد بذلك الى السجود المعنوي والصوري »[٨]

٢ - فُعَّل مبالغة .

ومثاله ما في قوله (ﷺ) : (قَدْ يَرَى الحُوَّلُ القُلَّبُ وَجْهَ الحِيْلَةِ وَدُوْنَهَا لَمَعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيٍ هِيَ يَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ)[٩] ، فالحُوَّلُ القُلَّبُ هُوَ البَصِيْرُ بتحويل الأُمور وتقليبها أو هو الّذي قد تحَوَّل وتقلَّب كثيرًا في الأمور وجرّب . وتأتي الصفتان متلازمتين في كلام العرب[١٠] .

---

(١) ينظر: همع الهوامع ١٧٧/٢ والبهجة المرضية ١٩٨ وشرح الأشموني ١٣٣/٤ ومعاني الأبنية ١٥٢ -١٥٥.

(٢) نهج البلاغة خ ٢٢١ ص:٤٢٦ .

(٣) المعتزلّي١٥٥/١١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ص :١٥٧ .

(٥) ينظر: الخوئي ٣٧٣/٦ .

(٦) ينظر : الكتاب٦٢٦/٣ .

(٧) الفتح ٢٩ وينظر: الكشاف ٥٥٠/٣ والبحر المحيط ٥٠١/٩ .

(٨) البرهان ٢٥٠/٣-٢٥١ وينظر : معاني الابنية١٥٢-١٥٣ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٤١ ص:٨٣

(١٠) ينظر: المعتزلّي٣١٣/٢ و ١٥٥/١١ .

المبحث الثالث

دلالة أبنية الأسماء المزيدة بحرفين

المطلب الأول : معاني مَفْعول .

بناء (مفعول) يدلّ في الأصلِ على الحدث ومن وقع عليه الحدث ، وهو يشتقّ من الفعل المتعدّي المبني للمجهول على وزن (مَفْعول) من الثلاثي ، ومن مضارع غير الثلاثي بإبدال يائه ميمًا مضمومة وفتح ما قبل الآخر[١] . وقد يلتبس بناء الفاعل والمفعول في بابي الانفعال والافتعال إذا كان الفعل أجوف أو مضعَّفا ، والفيصل هو السياق . وقد دلّل بعض الشّراح على هذه المسألة وأشار إلى أثر السياق في حسمها كما في لفظ (المُعتام) في قوله (ع) : (أَشْهدَ أنّ مُحَمّدًا عَبْدُه وَرَسُولُه الْمُجْتَبَى مِنْ خَلائِقِه والْمُعْتَامُ شَرْحِ حَقَائِقِه)[٢] فـ « المعتام: المختار ... فإنْ قلت : لفظة (معتام) و(مختار) تصلح للفاعل والمفعول فماذا يفصل بينهما ؟ قلت : بما يقترن باللفظ من الكلام قبله وبعده ، فإن قلت : فهل يختلفان في التقدير في صناعة النحو وان اتفقا قي اللفظ ؟ قلت : نعم فإنّ عين الكلمة ياء مفتوح ما قبلها وإن أردت الفاعل فهي مكسورة ، وتقديره : (مُخْتَيِر) مثل (مُخْتَرِع) ، وإن كان مفعولا فهي مفتوحة ، وتقديره: (مُخْتَيَر) مثل (مُخْتَرَع) وعلى كلا التقديرين لابدّ من انقلاب الياء ألفا واللفظ واحد ولكنّ يُقدّر على الألف كسرة للفاعل وفتحة للمفعول ،وكذلك القول في معتام ومضطرّ ونحوهما »[٣]

وقد كثرت أمثلة المفعول في متن النهج فوقف الشّراح عند طائفة منها بالتوضيح والشرح ، كما في قوله (ع) يصف بعثة الأنبياء إلى الخلق :(وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدَرَةِ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ)[٤]، « فالسقف المرفوع يعني السماء وهو في قوله تعالى : ﴿ **وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ** ﴾[٥] ، والمهاد الموضوع هو الارض »[٦] .

ولما وقف فريق من الشرح على قوله (ع) يصف خلق ادم :(ثُمّ جَمَعَ سُبحانه ... تُرْبَةً سَهَّلَها بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ لِاطْهَا بِالبِلَّةِ حَتّى لَزَبَتْ)[٧] ، أَشَارَ إلى أنّ هذا مقتبس من معنى قوله تعالى: ﴿ **مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ** ﴾[٨] ، ثُمّ توسعوا في شرح المسنون كقول البحراني : « المسنون الطين الرطب في قول ابن عباس وعن ابن السكيت عن ابي عمرو أنه المتغّير ، وقول ابن عباس أنسب الى كلام علي (ع) ؛ لأن قوله : سنّها بالماء ، إلى ، حتّى لزبت . أي أنّه خلطها بالماء حتّى صارت طينا رطبا يلتصق »[٩].

---

(١) ينظر :أوضح المسالك ١٦٦/٣ وشرح المراح١٢٩ وشذا العرف ٧٥ والتطبيق الصرفي٨١-٨٣ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٨ ص :٣٢٢ .

(٣) المعتزلّي ٥٩/١٠-٦٠ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص:٢٣.

(٥) الطور٥- ٦ وينظر: الكشاف ٢٢/٤ .

(٦) السامرائي٢٠٦ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص: ٢١.

(٨) الحجر ٢٦ وينظر: الكشاف ٣٩٠/٢ والبحر المحيط ٤٧٦.

(٩) البحراني ٢١٦/١ وينظر: البيهقي ٦٢/١ والراوندي ٧١/١ والكيدري ١٣٦/١ والمعتزلي ٩٧/١ والخوئي ٣٩/٢.

وقد فسر الشّراح تبعا للسابقين كثيرا من أمثلة اسم المفعول بالدلالة على معان أخرى غير المفعول وكما يأتي :

١- دلالة مفعول على فاعل .

أقّر علماء العربية دلالة (مفعول) على (فاعل)[١] ، وبهذا فسروا قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾[٢] ، أي : ساترا[٣] ، وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾[٤]، أي : آتيا[٥]. وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾[٦] ، أي : وافرا[٧]. ولذا فسّر فريق من الشّراح طائفة من ألفاظ النهج التي جاءت على(مفعول) بأنّها متضمّنة معنى (فاعل) نحو: (السقف المحفوظ) في قوله (ع) في ابتداء خلق السماء : (جَعَلَ سُفْلاهُنّ مَوْجًا مَكْفُوفاً وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظًا)[٨]. وأكثر الشّراح على أنّ المراد بـ(سقفا محفوظا) هي السماء التي تحفظ العالم من الفساد بما أودع تعالى فيها من قوى الجاذبية ونحوها وتحفظ الأرض من الخلل فهي كالسقف الحافظ لها[٩] . وجّوز فريق منهم بقاء (محفوظ) دالا على المفعول وذلك أنّ « في علم الفلك الحديث قالوا: إنّ أعالي الجو طبقة نتروجينية تحفظ سقف الارض من قذائف السماء والمراد محفوظا من وصول الشياطين ومن الفساد والاختلال »[١٠] . فنسبوا الى الفلكيين المحدثين الذين تهيّأت لهم سبل العلم بأسرار الفضاء أن الغلاف الجوي محفوظ بطبقات أخرى فعلى هذا يكون السقف محفوظا حقيقة.

---

(١) ينظر : الصاحبي ٢٢١ والمخصص ١٧/١٥ والكليات ٣١٩/٣ و ١٩٢/٤.

(٢) الاسراء ٤٥ .

(٣) ينظر: البحر المحيط ٥٦/٧.

(٤) مريم ٦١ .

(٥) ينظر: البحر المحيط ٢٧٩/٧ .

(٦) الاسراء٦٣ .

(٧) ينظر: الفخر الرازي ٦/٢١/٧.

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص:١٩.

(٩) ينظر: البيهقّي ٥٨ والرواندي ٦٣/١ والكيدريّ ١٣٠/١ والمعتزلّي ٨٩/٨٨/١ والبحراني ١٣٧/١ وعبده١٩/١ والخوئي ٣٧٠/١ ومغنية ٣٧/١ والتستريّ ٤٦٤/١ وأبو الفضل ١٧/١ والشيرازي ٢٣/١ وأنصاريان ٣٣/١ والموسوي ٢٤/١ .

(١٠) الشيرازي ٢٣/١ وينظر: الرواندي ٦٣/١ والمعتزلّي ٨٩/٨٨/١ والخوئي ٣٧٠/١ ومغنية ٣٧/١ .

ومن أمثلة هذه الدلالة ما في قوله (ع) يصف القرآن الكريم: (فَهَمَ بِهِ الْبِعَ الْمَدْخُولَةَ وَبَيَّنَ بِهِ الأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ)[١]، فرأى معظم الشّراح أنّ «الأحكام المفصولة هي التي فصّلها الله سبحانه وتعالى تفصيلا أو بمعنى الفاصلة بين الحق والباطل ، فإنّ اسم المفعول قد يأتي بمعنى الفاعل نحو :﴿ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ ، أي : ساترا »[٢] . وفي كلا المثالين (محفوظ) و (مفصول) ذكر الشّراح معنى الفاعلية على سبيل الاحتمال ، ثّم عادوا وأثبتوا معنى المفعولية لهما وهو

الصواب « لأنّ القول بنيابة (مفعول) عن (فاعل) ما هو إلا ضرب من التحريف والزيغ . ففي (السقف المحفوظ) ، السقف وحده يحمي ما تحته وهو الأرض ، ونَعته بالمحفوظ يفيد كونه منيعا شديدا مستحكما إذْ لو اعتراه الفساد لفسد ما تحته فلا قيمة لبيت بوجود سقف فاسد »[٣] . والمُراد بالأحكام المفصولة التّي بينها القرآن الكريم هي « الشرائع المقطوعة المتروكة من مِلّة ابراهيم (ع) »[٤] . فهي مفصّلة فعلا ، لكن الناس حرفوا فيها وحادوا عنها جيلا بعد جيل فجاء القرآن ليعيد العمل بتلك الأحكام التي فصلها الله تعالى للبشرية جمعاء .

وأمثلة (مفعول) التي فسرها العلماء بالفاعل كلها باقية على بنائها اشعارا بقدرة الله – عز وجل- وعظمته اذ هو الفاعل الحقيقي لستر الحجاب وتوفير الجزاء وايتاء الوعد وتفصيل الأحكام وحفظ السقف وليس هذه الاشياء فواعل . فالحجاب المستور لا يمكن ان يكون بمعنى ساترا ؛ لأن الحجاب وحده يفيد الستر فإن وصف بالمعنى ذاته كان لغوا كما في التقدير: حجابا حاجبا او ستارا ساترا . وانما هو مستور عن حواسهم فلا يرونه لانه من صنع الله تعالى[٥] . وكذا: ﴿ **وَعْدُهُ مَأْتِيًّا** ﴾ إذ لو كان بمعنى الفاعل لأتى بنفسه اليهم لكنهم هم الآتون الى حيث وعد الله ، إذ «الوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها »[٦] .

وكذا الجزاء الموفور الذي أوعد الله تعالى به ابليس ومن تبعه إنما عبر عنه باسم المفعول للاشارة الى أنّ الله تعالى سعّر جهنم منذ أن خلق الخلق كله ، فمن ابتغى لها سبيلا لقي مبتغاه موفورا .ولو قيل انه بمعنى الفاعل لفهم منه أنّ هذا الجزاء وافر بنفسه وهو غير مفهوم .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٦١ ص:٢٨٦.

(٢) الشيرازي ٤٤١/٢ وينظر : الراونديّ ١٢١/٢والكيدريّ ١٦٠/٢والمعتزلّي ١٦٣/٩ والبحراني ٢٩١/٣ وعبده٣١٦/١ والخوئي٤٠٩/٩ ومغنية٤٤١/٢ والتستريّ٢٢٩/٢ والموسوي٤٩/٣ وأبو الفضل ٣٧٩/١وأنصاريان١١٩/٢.

(٣) اسم المفعول في نهج البلاغة : ٩

(٤) الراوندي ١٢١/٢ .

(٥) ينظر: الكشاف ٤٥١/٢ والبحر المحيط ٥٦/٧ .

(٦) الكشاف ٢/ ٥١٥.

٢ - دلالة مفعول على المصدر.

منع سيبويه مجيء مصادر الثلاثي على وزن (مفعول) فتأّول ما ورد على هذا البناء وفيه حدث يجري على فعله بأّنه باقٍ دالا على المفعول وذلك نحو: « دعْهُ إلى مَيْسُورِهِ ودَعْ مَعْسورَهُ ، فإنّما يجيء هذا على المَفعول كأّنه قال: دعْهُ إلى أمرٍ يُوسَرُ فيه أو يُعْسَر فيه ، وكذلك المرفوع والموضوع كأّنه يقول : له ما يرفعه وله ما يضعه »[١] . وكلُّ هذه الأمثلة

التي على (مفعول) مؤّولة « تأويلا يساير اسم المفعول في المبنى والمعنى دون التفات الى المصدر »[٢] .
وأّيد بعضهم سيبويه في منعه دلالة (مفعول) على المصدر[٣] ، على حين جّوز أكثرهم هذه الدلالة وبهذا فسّروا قوله تعالى :﴿ **بِأَيِّكُم الْمَفْتُونُ** ﴾[٤] ، أي : الفتنة ، وقوله تعالى : ﴿ **فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا** ﴾[٥] ، أي : يسر. وكذا كلّ الأمثلة التي ذكرها سيبويه محمولة لديهم على المصدرية ، فالَميسور بمعنى اليسر ، والَمعسور بمعنى العسر . وذكروا أمثلةً غيرها نحو : حلفت َمحْلُوفا ، أي : َحلْفا ، ولا مجلود لفلان ولا معقول له ، أي : لا جلد له ولا َعقل ، وعلى الرغم من ذلك صّرح هؤلاء بقلّة أمثلة المصادر على مفعول[٦].
وخالف الشّراح سيبويه فوجهوا طائفة من ألفاظ النهج التي وردت على المفعول بأّنها دالّة على المصدرية ، وقد صّرح فريق منهم بمخالفته سيبويه وذلك في توجيههم قوله (ع) : (وقدَّر الأرزاقَ فكثَّرها وقلَّلها وقسَّمها على الضِّيقِ والسَّعةِ فعدَل بها لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا مَعْسُورَهَا...)[٧] ، فـ« الَميْسور والَمعْسور ضدّان وهُما مصدران ، وقال سيبويه هما صفتان وعنده لا يجيء المصدر على المفعول البتّة وتأّول قولهم : دَعوه الى ميسوره ومعسوره ، ويقول معناه إلى أمر يُوسَر فيه وإلى أمر يُعْسَرُ فيه »[٨].

---

(١) الكتاب ٠٧/٤
(٢) النحو الوافي ١٩٨/٣.
(٣) ينظر : نفسه ١٩٨/٣
(٤) القلم ٦.
(٥) الإسراء ٢٨.
(٦) ينظر : ليس في كلام العرب ٤٢ والاصول١٤٩/٣ودقائق التصريف ٥٦ والمفصل ١١٣ وشرح الأشموني٣٥١/٢ وحاشية الصبان ٣٠٩/٢ .
(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ص:١٦٥.
(٨) الراونديّ ٤١٤/١ وينظر : المعتزلّي ٢١/٧ وعبده١١٨/١ والخوئي ٣٣/٧ وانصاريان١٦٥/١.

٣- دلالة مفعول على ذي الشيء (النسب) .

أقّر المفسّرون طائفة من أمثلة (مفعول) دالّة على النسب بمعنى (ذو شيء) ، وبهذا فسّر بعضهم قوله تعالى : ﴿**إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا** ﴾[١] ، بمعنى : ذو سُحْر ،أي : رئة ،فهو بشر مثلكم[٢] ، وذكر أصحاب المعجمات : ثغر ملعوب: ذو لعاب ، ورجل منسوب: ذو نسب ، وجرح مندوب: ذو ندب[٣] . وأخرج الشّراح طائفة من الفاظ النهج

على هذه الدلالة ومنها ما في قوله (ع) يحمد الله : (كَائِنٌ لا عَنْ حَدَثٍ مَوْجُودٌ لا عَنْ عَدَمٍ)[٤]. فقد أطبق الشّراح على ان (موجود) إن حُمل على المفعول لا يصدق المعنى على ذاته المقدسة ولذا لا مناص من تفسير الموجود في هذا الموضع بذي الوجود او المتّصف بالوجود أو صاحب الوجود[٥]. وكذا (الموفور) في قوله (ع) يصف الدنيا وأصنافا من أصحابها : (مُهْلِكَ ا مَسْلُوبٌ ، وعَزِيزَهَا مَغْلُوبٌ ، وَمَوْفُورَهَا مَنْكُوبٌ ، وَجَارَهَا مَحْرُوبٌ)[٦] ، فالموفور هو ذو الوفر والثروة منها[٧].

وهذه الأمثلة ظاهرة الدلالة على المفعول فالرجل المسحور فسره أكثرهم بـ(سُحر فجُنّ)[٨] من السِّحر . وكذا يفهم كونه تعالى موجودا لوقوع الوجود عليه تعالى من لدن عباده العارفين حقّه « فيكون الخلق هم المدركون وجود ربهم فطرة أو تبليغا وهذا التفسير يلائم كونه تعالى (موجود لا عن عدم) إذ ليس المقصود بالوجود أنه تعالى كان عدما ثم وجد ، بل المراد أن الخلائق اهتدت إلى معرفة وجوده الأزلي تعالى عما يقول الجاهلون علوا كبيرا »[٩]

---

(١) الاسراء ٤٧

(٢) ينظر: الكشاف ٤٥٢/٢ ومجمع البيان ٢٥٧/١٥/٦ والبحر المحيط ٤٩/٧-٥٠ .

(٣) ينظر: المصادر والمشتقات في لسان العرب ٢٤٩.

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص : ١٨.

(٥) ينظر:البيهقّي٥١ والرواندي ٥٠/١ والكيدريّ ١٦/١ والمعتزلّي ٧٩/١ والبحراني ١٢٧/١ والسرخسي ٣٧/١ وعبده١٧/١ والخوئي ٣٤٤/١ ومغنية ٢٠/١ والتستريّ١٦١/١ والشيرازي ١٦/١والموسوي ٢٠/١.

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١١١ ص :٢٠٧ -٢٠٨ .

(٧) ينظر : المعتزلّي٢٣١/٧ وعبده ٢٨٧/١ والسامرائي ١٧٢ والشيرازي٢٣١/٢ وانصاريان ٤٠٠/١ وابو الفضل٢٥٩/١.

(٨) الكشاف ٤٥٢/٢ ومجمع البيان ٢٥٧/١٥/٦ والبحر المحيط ٤٩/٧ -٥٠.

(٩) اسم المفعول في نهج البلاغة ٦.

المطلب الثاني : معاني مِفْعال

كثرت أمثلته مِفْعال في متن النهج ففرّقها الشّراح على الدلالات الآتية :

١- المبالغة .

يأتي مِفعال دالا على المبالغة في القيام بالفعل أو الاتّصاف به اتصافا شديدا ،أو لمن اعتاد الفعل فدام منه حتى صار كالآلة ، نحو المِنْحار والمِهْذار والمِضْحاك وغير ذلك[١] . ومن أمثلتها في النهج ما جاء في قوله (ع) يصف أصحابه الخلّص : (قُوّام واللهِ مَيامِيْنُ الرأي مَراجِيْحُ الحِلْمِ مَقاوِيْلُ بالحَقِّ مَتارِيْكُ لِلْبَغْيِ)[٢]، فقد صرّح الشّراح المتأخّرون بأنّ المقاويل جمع مِقوال وهو المُحْسِنُ في القول المُكْثِرُ مِنْهُ ، والمَتارِيْكُ جمع مِتْراك أي: كثير التَّرك[٣] ، على حين أغفل الشّراح المتقدّمون الإشارة إلى معنى المُبالغة في المفردين : مِقْوال ، مِتْراك[٤] .

ومِن أمثلته ما جاء في قوله (ع) يصف الزاهدين في الدنيا : (أُولَئِكَ مَصَابِيْحُ الهُدَى وأَعْلامُ السُّرى لَيْسُوا بِالمَسَابِيْحِ لاَ المَذَايِيْعِ)[٥] ، فالمَصابيح جمع مِصباح وهو مبالغة في الإصباح بمعنى كثرة النُّور الهادي ، والمَسَابِيْح جمع مِسياح وهو الذي يكثر السيح بين الناس بالفساد ، والمَذاييع جمع مِذياع وهو الذي إذا سمِع لغيره بفاحشةٍ بالغ في إذاعتها ونشرِها[٦] . وقد أنس الآمدي - متّمم شرح الخوئي - بما تؤدّيه زيادة المبنى من معان فقال مفرقا بين جملة من الالفاظ المتحدة في الاشتقاق المختلفة في الأبنية : « المِبطان الذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل ، فأمّا المُبْطِن فالضّامر البطن ، وأما البَطين فالعظيم البَطْن خلقة ، وأما البَطِن فهو الذي لا يهمّه إلا بطنه ، وأما المَبْطون فالعليل البطن »[٧] .

٢ - (مفعال) اسما للزمان أو المكان.

فسّر الشّراح جملة من ألفاظ النهج جاءت على المفعال بأنّها أسماء للزمان أو المكان بحسب السياق أو التاويل ، من

---

(١) ينظر: ديوان الأدب ٨٣/١ وأدب الكاتب ٢٥٥ وفقه اللغة للثعالبي ٥٥٥ والفروق اللغوية ١٢ -١٣.

(٢) نهج البلاغة ١١٦ ص:٢١٩.

(٣) ينظر: عبده ٢٤٧/١ والخوئي ٩١/٨ ومغنية ٢٠١/٢ والتستريّ ٢٢٨/٦ والموسوي ٣٠٨/٢ وأنصاريان ٤٠٠/١ .

(٤) ينظر: البيهقّي ٢١٢ والرواندي ٢١٢/٢ والكيدريّ ٥٥٨/١ والمعتزلّي ٢٧٨/٧ والبحراني ١٠٨/٣ والسرخسي ١١٧/١.

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٣ ص:١٨٧.

(٦) ينظر: الخوئي ١٨٩/٧ ومغنية ١٠٤/٢ والتستريّ ٢٠٠/٨ والشيرازي ١٤١/٢ والموسوي ١٧٧/٢ والسامرائي ٨١ وأنصاريان ٣٩٥/١

(٧) الخوئي ١١٨/٢٠ وينظر : المعتزلّي ٢٨٧/١٦ والبحراني ٩٦/٥ ومغنية ٣١٤/٥ وانصاريان ١٥٨/٣.

ذلك (الميثاق) و(الميلاد) في قوله (ع) يذكر محمّدا (صلى الله عليه وآله) : (بَعَثَهُ اللهُ سبحانه مُحمّداً رَسُوْلَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) ... مَأْخُوْذًا عَلَى النَّبِيِّيْنَ مِيْثَاقُهُ ، مَشْهُوْرَةٌ سِمَاتُهُ كَرِيْمًا مِيْلادُه)[١] ، إذْ فسّر أكثرهم الميثاق بالوقت الذي تسود فيه الثّقة بين الناس فهو كالعهد بينهم أو هو الموضع الذي يثق فيه الناس بعضهم ببعض . والميلاد هو وقت الولادة أو محلّها[٢] . وكذا (المِضمار) في قوله (ع) : (ألا وإنّ اليومَ المِضمارَ وغدًا السِّباقَ والسَّبقَةُ الجنَّةُ والغايةُ النّارُ)[٣] ، فقد

أقر فريقٌ من الشّراح دلالة المِضمار على الزّمان وحده كما في قول الراونديّ : « المِضمار سمِّي بذلك لأنّه تُضَمَّر فيه الخيل ، فتضمير الفرسِ أن تعلفه حتّى يسمنَ ثم تردُّه إلى القوت وذلك في أربعين يوما وهذه المدَّة تسّمى المضمار »[٤] ، وصرح أكثرهم بدلالة المضمار على الزمان والمكان معا ، فمن حيث كونه وقتا يكون بمعنى المدة التي يضمر فيها الفرس وهي أربعين يوما على وفق ما ذكر الراونديّ ، ومن حيث كونه مكانا يكون بمعنى الموضع الذي يضمر فيه الفرس لأنّه يُتَّخذ للاستباق في هذا الموضع فَيضمر[٥]. ويبدو أنّ دلالة (مفعال) على المكان والزمان تدخل في دلالته على المبالغة ، فالميثاق هو شدّة الثقة والمبالغة بالاطمئنان ، والميلاد يدل على اهمية الولادة وعظيم حظوة المولود بينهم . وكذا ما في قوله (ع) :(وإنّي لعلى بيِّنة من ربِّي ومِنهاجٍ مِن نَبيِّي وإنّي لعلى الطَّريقِ الواضحِ أَلْقُطُه لُقْطًا)[٦] ، فقد فسروا المنهاج بالطريق الواضح[٧] ، مع إنّ الطريق الواضح مذكور بعده في كلام الامام (ع) ، فلا يعقل أن يكون المنهاج والطريق الواضح بالمعنى نفسه ، والأولى ان يكون المنهاج مبالغة في النهج والمعنى : السبيل المنجي من المهالك لأنه معروف صلاحه سلفا فيكون مقرونا بعاملي الزمان والمكان . وكذا ما في قوله (ع) : (وإنْ لَمْ تَفُتْ أَخْذُه وهُوَ لَه بِالْمِرْصَادِ على مَجَازِ طَرِيقِه)[٨] ، فقد جوزوا أن يكون معنى المرصاد موضع الرصد والترقُّب ، أي هو الطريق الذي يرصد فيه [٩] مع أن الطريق مذكور بعده في (مجاز طريقه) ، والأولى أن يحمل المرصاد على المبالغة والشّدّة في رصد الظالم رصدا يومئ ضمنا إلى زمان ومكان معلومين .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص:٢٣.

(٢) ينظر : البحراني ٢٥١/١ والخوئي ١٦٢/٢ومغنية ٦٢/١ والتستريّ ١٢٤/٢ والشيرازي ٤٠/١ وأنصاريان ٥٢/١.

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢٨ ص:٦٤.

(٤) الراونديّ٢١٨/١

(٥) ينظر : البيهقّي ١٥٧ الكيدريّ٣٨٨/١ والمعتزلّي٢٠٢/٩ ، ٨٨/٢٠ والسرخسي٨٤/١ وعبده١٩٠/١ والخوئي ١٨٥/١٦ ، ٥١٤/٢١ ومغنية ٣٩٣/١ وابو الفضل٨٠/١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٩٧ ص: ١٧٨.

(٧) ينظر : البحراني ٤٠٧/٢ ومغنية ٧٨/٢ والتستريّ ١١٥/٢ والشيرازي ١١٥/٢ وأنصاريان ٣٢٩/١ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٩٧ ، ص ١٧٦ .

(٩) ينظر : ينظر : المعتزلّي ٧١/٧ والبحراني ٤٠٤/٢ ومغنية ٧٣/٢والتستريّ ٥٩٥/١٠ وأبو الفضل ٢١٦/١ وأنصاريان ٣٢٧/١ والشيرازي١١٠/٢ والموسوي١٤٢/٢.

٣- مِفْعال آلة .

ومن أمثلتها في الشروح : المِرصاد : آلة الرَّصد ، والمِزمار : آلة التزمير[١] . وهذه الدلالة منشعبة من المبالغة إن لم تكن داخلة فيها ، فالمرصاد مثلا لا يستقيم تفسيره بالآلة في كثير من المواضع كما في قوله تعالى : ﴿**انّ ربّك لبالمرصاد**﴾[٢] ، وقوله (ع) المذكور عمّا قريب . والأولى تفسيرهبكثرة الرصد او الترقّب . وأما معنى الآلة فمنشعب من المبالغة ؛ لأنها تفيد كثرة معالجة الفعل والدوام عليه فهي مبالغة من هذا الجانب . وكذا يبعد توجيه دلالة المزامير في

قوله (ﷻ) :(وَإِنْ شِئْتُ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَاحِبِ المَزَامِيرِ)[٣] ، على الآلة التي يُزمر فيها ابتداء[٤] ، والأولى أن يكون المزمار مبالغة في الزمر، أي : الحشد والتجميع[٥] ، وكذا كان داود (عليه السلام) تجتمع حوله الكائنات بعد أن يناديها.

٤- مفعال بمعنى ذي الشيء .

ومنه ما في قوله (ﷻ) يصف الفتنة : (يَهْرُبُ بِهَذَا الأَكْيَاسُ وَيُدَوِّرُهَا الأَرْجَاسُ مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ)[٦] ، وفيه : فهي « مِبْراق مِرْعاد ، أي: ذات رعد وبرق »[٧] . وواضح أن هذه الدلالة الى المبالغة أقرب ، فالفتنة يكثر فيها الرعد والبرق وهو كناية عن الخوف والفزع وقد انفرد الخوئي بالتصريح بهذا فقال: « مبراق مرعاد : كثيرة الرعد والبرق »[٨] .

---

(١) ينظر : البحراني ٤٢١/٢ ومغنية ٣٠٦/٢ ، والتستريّ ٧٧/٢ والشيرازي ٢٣٠/٢ وأبو الفضل ٣٧٥/١ والموسوي ٤١/٣

(٢) الفجر ١٤ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٠ ص:٢٨٣.

(٤) ينظر :المعتزلّي ٢٣١/٩ والبحراني ٢٨٥/٣ والخوئي ٣٦٠/٩ ومغنية ٤٣٢/٢ والتستريّ ٧٧/٢ والشيرازي ٢٣٠/٢ وأبو الفضل ٣٧٥/١ والموسوي ٤١/٣ .

(٥) ينظر : المقاييس٤٦٠ والقاموس ٣٧٤ والمفردات ٣٨٣.

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٥١ ص:٢٦٥

(٧) أنصاريان ٦٩/٢ وينظر :المعتزلّي ١٤٥/٩ وعبده ٦٠/٢ ومغنية ٣٦٧/٢ وأبو الفضل ٣٤٧/١ والموسوي٤٧٢/٢ والشيرازي ٣٧١/٢.

(٨) الخوئي ١٦٧/٩.

المطلب الثالث : معاني فُعلان .

أقّر الشّراح لأمثلة هذا البناء دلالتين هما :

١ - فُعلان جمعا .

وهو في قوله (ﷻ) يحمد الله عزوجل : (سَجَدَتْ لَهُ بِالغُدُوِّ والآصَالِ الأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ وَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانُ المُضِيئَةُ)[١]، فالقُضْبان جمع قضيب وهو الغُصن ، والمعنى أنه بقدرته تعالى أخرج من الشجر الأخضر نارا[٢] . ومن أمثلته أيضا : الُوحدان جمع واحد ، والرُّكبان جمع راكب ، وشُّبان جمع شابّ ، والغُدران جمع غدير[٣] . وقد انفرد

التستريّ بالتصريح بأن فُعلان يأتي جمعا للجمع فقال : « الرَّكب أصحاب الإبل من النفَّر دون الدوابّ وهم العشرة فما فوقها والجمع أركُب ، والرَّكَبة بالتحريك أقلّ من الرَّكْب ، والرُّكبان الجماعة منهم »[٤] . ويبدو أنّ هذا هو المدلول الدقيق لما ورد مجموعا على فُعلان فهو يشير إلى الجمع المتناهي أو المتوالي بلِحاظ ختمه بالألف والنون التي تصرف كل ما تلحق به ، سواء كان جمعا أم مصدرا أم صفة إلى الدلالة على الإحاطة والشمول .

٢ - فُعلان مصدرا .

وهو في قوله (ع) يصف جيشه إلى معاوية : (وَزَوْرًا لا يُسرُّكَ لُقْيانُه)[٥] ، أي : لقاؤهم[٦] . ومنها الفرُقان بمعنى الفرُقة ، والبُنيان بمعنى البناء ، والشُّكران بمعنى الشكر، والغُفْران بمعنى المغفرة ، والعُدْوان بمعنى العداوة ، والسُّلطان بمعنى السلطة وغير هذا كثير[٧]. ويمكن جمع هاتين الدلالتين في أمثلة (فُعلان) على معنى واحد هو أنّ الفُعلان يفيد الدلالة على الإحاطة والاشتمال على الحدث أو فاعله ، فإن كان المشتمل عليه حدثا (فعلا) كان الفُعلان مصدرا، وإن كان المشتمل عليه (فاعلا)قيل هو جمع ، لكن دلالة فُعلان على المصدرية والجمعية دلالة جانبية وهي فرع من الدلالة الأصلية التي هي جمع الجنس عموما ، وهذه الدلالة متآة من ختم البناء بالألف والنون وهو مقطع يومئ بالاشتمال والإحاطة .وقد ورد في القرآن الكريم عدة مصادر على فُعلان منها : البُهتان والخُسران والعُدوان والكُفران وهي مصادر ثلاثّية تدل على المبالغة والشدة ، وبهذا انمازت من غيرها من المصادر التي وردت للفعل نفسه كالخُسر والعَدو والبَهت والكُفر ، ومعنى المبالغة والشدة في الفُعلان يتّضح في الفرق بين الخُسر

---

(١) نهج البلاغة خ ١٣٣ ص:٢٤١.

(٢) ينظر: المعتزلّي٢٧٣/٨ والخوئي ٣٩٤/٨ والشيرازي ٢٩٧/٢ والموسوي ٣٩٢/٢.

(٣) ينظر: المعتزلّي١٤٤/٩ والبحراني ٤١٥/٣ وعبده ٤٣٨/١ والخوئي ٢٩٩/١٢ ومغنية٢٧٦/٣ والشيرازي ٢٧٤/٣ والموسوي ٤٠١/٣.

(٤) التستريّ٤١١/١١.

(٥) نهج البلاغة ر ٩ ص :٤٦٧ .

(٦) ينظر: المعتزلّي ٥١/١٤ والخوئي ٣٣٤/١٧ وأبو الفضل ١٣٩/٢ والشيرازي ٤٤٣/٣ والموسوي ١٤٧/٤.

(٧) ينظر: البحراني ٤٥٦/٣ والخوئي ٢٩١/١٢ والتستريّ ٣٨٤/١٢ ، ٥٤/١٣ وأنصاريان ٣٨٢/٢ والموسوي ٤٠١/٣.

والخُسران كما في قوله تعالى :﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾[٢] ، فالخُسر عام يقع على أمور الدنيا وإن كانت صغيرة لكنّ الخُسران خاص بالعبادة ولذا فهو خُسر متتابع ينتهي بصاحبه إلى فقدان كل شيء ، فكأن الخسران جمع خسر من هذا الجانب[٣].

(١) العصر ٢ .

(٢) الحج ١١ وينظر: الكشاف ٧/٣ والبحر المحيط ٤٨٩/٧.

(٣) ينظر: المفردات ٢٨٢ والتفسير البياني ٨٤/٢ ومعاني الأبنية ٢٠.

المطلب الرابع : معاني فُعلان .

يرد فَعلان في العربية وصفا للمذكر دالا على الخُلّو والامتلاء وحرارة الجوف[١] . وقد صرح الشّراح بهذه الدلالة في امثلته التي وقفوا عليها ، ومنها (الثَّكْلان) في قوله (ﷺ) واصفا زمانه بالجور فقسم الناس على خمسة اصناف : فَلَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ وَحَائِفٍ مَقْمَعٍ وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ وَدَاعٍ مُخْلِصٍ وَثَكْلَانَ مُوجَعٍ...)[٢] . فالثكلان وصف على فُعلان من الثكل بمعنى شدة الحزن على فقد الأحبّة نحو العَطْشان وغيره[٣].

وقد ذهب القدماء الى أنّ (فَعلان) يأتي بمعنى (فِعل) و(أفعل) نحو : عَطشان وعطِش وجَربان وأَجرب[٤] ، وفرّق الدكتور فاضل السامرائي بين (فَعلان) وغيره من الأوصاف بأنّ (فَعلان) وصف عارض و(أفعل) وصف ثابت ، فالجَربان ليس كمعنى الأجرب ؛ لأنّ (فَعلان) وصف عارض أما أجرب فهو دالّ على الثبوت ، وكذا (غَضبان) و(غضِب) ، ففي (فعلان) من الامتلاء بالوصف وحرارة الباطن ما ليس في (فِعل) الذي يلحظ فيه معنى الداء على نحو جلي بخلاف (فَعلان)[٥].

ويمكن القول : إنّ (فَعلان) في الصفات يفيد الدلالة على تتابع الصفة لدى الموصوف وتواليها لديه ، فكأنّه مشتمل عليها محيط بها مبالغ في القيام بها او الاتصاف بها . وأقرب أمر الفَعلان ان يكون مبالغة لـ (فاعل) ؛ فالثّكلان مبالغة لـ (ثاكل) اسم فاعل . وهذه المبالغة التي أقرها الصرفيون هي في الحقيقة نوع من انواع الجموع ، وإنما يوصف المفرد بـ (فَعلان) لأنه اجتمع لديه شيء ما ، فالثّكلان اجتمع لديه الثكل فهو بمنزلة ثاكل ثم ثاكل ثم ثاكل ، ومن هنا يفهم معنى الجمع في كل ما ختم بالف ونون في العربية .

وقد ذكرت المعجمات أمثلة نزرة من المصادر جاءت على (فَعلان) منها (لّيان)[٦] ، ولم يأت في متن النهج (فعلان) مصدرا .

---

(١) ينظر: الكتاب٢١/٤ -٢٥ والمخصص ١٤١/١٤وشرح الشافية ١٤٣/١-١٤٤ وشرح الأشموني ٣١٣/٢ وهمع الهوامع ١٦٩/٢.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٣٢ ص:٧١.

(٣) ينظر: البحراني ٤٥٦/٣ وعبده ٨٧/١ والخوئي٥٦/٤ ومغنية ٢١٧/١ والتستريّ ١٥٧/٨ وأنصاريان ٣٨٣/٢ والسامرائي

(٤) ينظر: الكتاب١٩/٤ وشرح الشافية١٤٦/١

(٥) ينظر: معاني الأبنية٩٤

(٦) ينظر: الصحاح ٩٦٠ .

المطلب الخامس : معاني فِعلان .

فِعلان بناء تدلّ أمثلته على الجمعيّة غالبا ، وهو مطّرد في الأجوف[١] ومن أمثلته في النهج : النِّيران جمع النار ، والنِّينان جمع النُّون ، والغِيطان جمع الغَيط ، والقِيعان جمع قاع ، والجِيران جمع الجار[٢] . وقد أشار سيبويه إلى أنّ « ما كان فَعْلا ، فإنّه يكسّر على أفعال إذا أردت بناء أدنى العدد ... وإذا أردت بناء أكثر العدد كسّرته على فِعلان ،

وذلك نحو : جِيران وقِيعان وتِيجان »[٣] ، وقال أيضا : « وأمّا فُعول ... فإذا أردت بناء أكثر العدد كسّرته على فِعلان وذلك خِرفان وقِعدان»[٤]. وواضح من قولي سيبويه هذين أنّ (الفِعلان) من نوع الجمع المتناهي في الدلالة على العدد . وجاء الفِعلان مصدرا قليلا في متن النهج ، نحو : العِرفان في قوله (ع) في ذكر الله : (الحَمْدُ للهِ الّذي أظْهَرَ مِنْ آثارِ سُلْطَانِهِ ... وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ)[٥] ، فـ « العِرْفَانُ : المَعرفة وكلاهما مصدر»[٦] . ويلحظ من قوله (ع) أنّ العرفان أقصى درجات المعرفة فكأنه من هذا الجانب معرفة متوالية متتابعة . ولا ينفع تفسير العرفان بالمعرفة وحدها .

---

(١) ينظر: التكملة ٤٠٣ .

(٢) ينظر: المعتزلّي ٢٧/٧و٢٧٣/٨و١٧٢/١٠ و١٩٩/١٠و١٥٣/١٣ والبحراني ٣٠٣/١ و٤١٥/٣ و٢٤٧/٤ .

(٣) الكتاب٥٩٠/٣ .

(٤) الكتاب٦٠٧/٣-٦٠٨ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٥ ص:٣٨٧ -٣٨٨ .

(٦) الراونديّ ٢٨٥/٢ وينظر:المعتزلّي١٧٢/١٠والبحراني ٤٣٣/٣ والخوئي ١٨٧/١٢ والتستريّ ٢٤٩/١ والموسوي ٣٧٩/٣ واللشيرازي ٢٥١/٣ .

المطلب السادس: معنى فَعلان .

وهو بناء ذو امثلة كثيرة في متن النهج تجتمع لدى الشّراح على معنى المصدر الدالّ على الحركة والاضطراب غالبا، من ذلك (المَيدان) في قوله الامام: (ع) يصف خلق الارض: (وَوتّدَ بِالصُّخُورِ مَيدانَ أرْضِهِ)[١] إذ هو بمعنى حركة الارض بتمايل وتقلّبها في عدّة جهات[٢]. والمَوجَان في قوله (ع) يصف خلق الأرض أيضا : (فَسُبْحَانَ مَنْ أمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا)[٣]. فالمَوجان مصدر دالّ على الاضطراب كالمَيَدانِ والنَّزَوانِ والخَفقَان[٤] . وكان سيبويه قد اصطلح

على دلالة هذا البناء بزعزعة البدن واهتزازه في الارتفاع والتجّيش والتثّور والتقلّب والتصرّف[٥]. وعزا ابن جني إفادة (فعلان) معنى التقلب والاضطراب الى توالي الفتحات الثلاث في بنائه لانهم « قابلوا بتوالي حركة المثال توالي حركة الأفعال »[٦] . وكان فريق من الشّراح قد أنس بحشد مصادر الثلاثي الذي سمع منه (فَعلان) ولم يفّرقوا بين الفَعلان وغيره نحو: « الَمْيد كالَمَيدان »[٧] ، و«الهِياج كالهَيَجان »[٨] و «الشَّتّ كالشَّتَتَان »[٩] و«الَحَياة كالَحَيوان »[١٠] لكنّ ثّمة فرقا كبيرا بين الفعلان وغيره وهو ظاهر في قرنهم الفَعلان بالحركة والاضطراب بخلاف غيره من المصادر فضلا عن أنّ زيادة الألف والنون في آخره صرفت دلالته إلى التتابع والاستمرار وبهذا يفرق بين الحياة والحيوان فقد خصّ القرآن الكريم الحياة بالدنيا لأنّها حياة فانية يعقبها سكون على حين سّمى ما في الآخرة حَيوان لأنها حياة دائمة لا موت فيها .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص١٧.

(٢) ينظر: الكيدريّ١/١٢٠ والمعتزلّي١/٦٢ ،٦/٢٤٢ ومغنية ١/٧٢ وأنصاريان١/٢٤

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢١١ ص:١١٣ .

(٤) ينظر: المعتزلّي ١١/٥٩ والسرخسي ١/١٣٩ والخوئي ١٤/٦٧-٦٨ وأنصاريان١/٨٢ .

(٥) ينظر: الكتاب٤/١٤-١٦ .

(٦) الخصائص٢/١٥٥

(٧) المعتزلّي١/٦٢

(٨) نفسه٦/١٣٩ .

(٩) نفسه ٥/١٥٥

(١٠) أنصاريان٢/١٣٤

المطلب السابع : معاني تفَعال .

قرّر سيبويه وخالفوه دلالة أمثلة التّفعال على المبالغة في مصدر الثلاثي وتكثيره ، فالتهذار مبالغة في الهذر ، والتلعاب مبالغة في اللعب ، والتجوال مبالغة في الَجولان ، والترداد مبالغة في الردّ[١] . فالتفعال مبالغة من مصادر الثلاثي وليس مصدرا لـ(فعّل) مرادفا للتفعيل مثل ما وهم بعض الشّراح حين عدّ التفعال والتفعيل مصدرين للمزيد بالتضعيف أحدهما مسموع والآخر مقيس فقال : « التّركاض مصدر للفعل ركّض بالتضعيف للمبالغة في الركض ، ومثله التّجوال مصدر للفعل جّول ، ومثل هذا كثير نحو ترَحاب ، وتَحلاق ، وتَسفار ، وترَحال ، وغير ذلك ولكنه مقّيد بالسماع ، والقياس في

مصدر (فَعّل) تفعيل ، نحو: درّب ومصدره تدريب »[٢]. وقد ورد في النهج طائفة من أمثلة (تفَعال) فسرها الشّراح بتكثير مصادر الثلاثي والمبالغة فيها ، من ذلك : التَّرحال: مبالغة في الرحلة ، والتَّركاض : مبالغة في الركض ، والتَّهمام : مبالغة في الهّم[٣] .

وقد تلحق التاء في آخر التَّفعال ، وحينها يدل البناء على منتهى المبالغة والتكثير فضلا عن وصف الأسماء بالحدث المبالغ به ، ومن أمثلة ذلك (لتَّلعابة) في قوله (ع) :(عَجَبًا لابْنِ النَّابِغَةِ ! يَزْعُمُ لأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَابَةً ، وأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ)[٤] ، فقد أطبق الشّراح على أن التلعابة مبالغة في كثرة اللعب ، والكثرة مفهومة من وزن (التلعاب) ، أّما التاء فليست للتأنيث ، بل لاستقصاء تلك الكثرة ولصرف الحدث إلى الأسماء[٥] . وهذا هو حاصل قول ابن جني في الهاء التي تلحق صفات الذكور عموما ، كالعلاّمة والرَّاوية والتَّلعابة فهي « لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هي فيه ، وإنّما لحقت لإعلام السامع أنّ هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية ، فجُعل تأنيثُ الصفة أمارةً لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة ، وسواء كان ذلك الموصوف بتلك الصفة مذكّرا أم مؤنّثا ؟ »[٦] ، وزاد العسكري أنّ هذا الوصف المختوم بالتاء « يقوم مقام جماعة علماء ، فدخلت الهاء فيه لتأنيث الجماعة التي في معناه ولهذا يقال : الله علاّم ولا يقال له علاّمة »[٧] .

---

(١) ينظر: الكتاب٤/٨٣-٨٤ والأصول ١٣٦/٣ والتبصرة ٧٧٠/٢ ودقائق التصريف ١٨ والمفصل ١١٥ .
وشرح الشافية ١٦٧/١ وشرح المفصل ٥٥/٦ .

(٢) السامرائي ١٨٢

(٣) ينظر: المعتزلّي٨٠/٢ ، ١٠١/١٠ والبحراني ٧٥/٥ وعبده٨٩/١ ، ٦٥/٣ والخوئي ٣٤٩/١٠ ومغنية ٢٧٢/٥ والتستريّ ٢٧/٣ ، ٤٥٢/١٣-٤٥٣ والسامرائي ٢١٦ وأنصاريان ١٩٧/٢

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٨٤ ص:١٣٦.

(٥) ينظر: الراونديّ ٣٥٢/١ والمعتزلّي ٢٨٠/٦ ، ٣٥٢/٦ والبحراني ٢٧٩/٢ والسرخسي ٨٧/١ وعبده ١٨٢/١ والخوئي ٧٤/٦ ، ٥٠/٧ وأنصاريان ٢٣٦/١ والموسوي ٥١٠/١ .

(٦) الخصائص ٢٠٣/٣.

(٧) الفروق اللغوية٦٨.

المطلب الثامن : معاني فِعِّيل

فِعِّيل بناء يدلّ على المبالغة اتفاقا ، ويختلف عن غيره من أبنيتها في أنّ أمثلته تدلّ على من أُولع بالفعل وداوم عليه فيكون الفعل له عادة ، قال ابن قتيبة : « فِعِّيل وهو لمن دام منه الفعل نحو: رجل سِكّير كثير السكر ، وخِمّير كثير الشرب للخمر ... ولا يقال ذلك لمن فعل الشيء مرة واحدة أو مرتين حتى يكثر منه أو يكون له عادة »[١] . وقد ورد في متن النهج طائفة من أمثلة (فِعِّيل) اقرّ الشّراح دلالتها على أعلى درجات المبالغة في القيام بالفعل او الاتّصاف به ، منها (الضِلّيل) في قوله (ع) يصف بعض الملاحم : (لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَتِهِ فِي

ضَواحِي كُوفَانَ)[٢] ، فالضِّلِّيل هو الكثير الضلال والإضلال كالشِّرِّيب والفِسِّيق ، المبالغ فيهما ، أو هو الضالّ جدّا الذي يتّبع الضلالة كثيرا[٣]. و وصف الرضيّ في متن النهج الجاحظ بالدِّلْيِّلِ الخِرِّيت[٤] ، فالدِّلِّيل معناه الحاذق في الاستدلال على الأشياء ، والخِرِّيت الرجل الماهر الخبير مشتق من الخَرْت وهو الثُّقب كأنّه خبير بدقائق الأمور[٥].

وورد في شروح النهج مثال على هذا البناء فسّره الشّراح بالدلالة على العلمّية بعد أن أوضحوا أنّه في الأصل مبالغة في القيام بالفعل أو الاتصاف به ، ثم نقل الى الاعلام لكثرة الاستعمال ، وهو (صِفّين) ، إذ جوز المعتزلّي وغيره دلالته على الأرض المعروفة لأنّها تصفن فيها الخيل أو تصطف فيها الاقدام ، اذ يقال : صفن الفرس اذا قام على ثلاث وأقام الرابعة على طرف الحافر ، أو من صفَن القوم إذا صفُّوا أقدامهم لا يخرج بعضها من بعض فسّميت صِفِّين لكثرة ما فيها من صُفُون الخيل أو اصطفاف الأقدام وهو كناية عن التهيُّؤ للحرب[٦].

ويبدو أن (فِعِّيل) يفيد في آن واحد الدلالة على القيام بالفعل على نحو المبالغة والكثرة ثّم الاتصاف به ، فالصِّدِّيق يلقب بذلك لأنّه صادق ومُصدَّق في آن واحد ، فيكون الصدق في ذاته طبعا وعادة فوصف به من لدن الاخرين ، وكذا السِّكِّير يكون السكر له طبعا وعادة لكثرة ما عرف على تلك الهيأة . والمبالغة بـ (فِعِّيل) هي الأعلى والأشد لما فيه من كسر فائه وتشديد عينه وامتداده بالياء التي قبل آخره .

---

(١) أدب الكاتب ٤٢٥ وينظر: حاشية الصبان٣/٣ ومعاني الأبينة ١١٨.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة١٠١ ص ١٨٣.

(٣) ينظر: الراونديّ٤١/١ والمعتزلّي٩٩/٧ ، ١٧٠/٢٠ وأبو الفضل٢٢٦/١ والسامرائي٢٤٢ ومغنية٣٨٨/٢ والسرخسي١٠٥/١.

(٤) ينظر: نهج البلاغة ص ٧٢

(٥) ينظر: الخوئي ٥/٤ والتستريّ ١٦٣/٨.

(٦) ينظر: المعتزلّي١٣١/١ والخوئي ٢٦٧/٢

المطلب التاسع : معاني فَعّال .

غلب الشّراح تبعا للصرفيين[١] دلالة فعّال على المبالغة والكثرة في القيام بالفعل نحو : (المَنّان) بمعنى « كثير المنّ والإنعام على عباده »[٢] و «الزَّخّار: مبالغة في الزاخر »[٣] ، أو هو « شديد الزخر، اي : الامتداد »[٤] ، و « التّيار أعظم الموج »[٥] ، و« الخَبّاط بناء المبالغة من الفعل خبط . وخبط الليل سار فيه على غير هدى »[٦]. وألمح فريق منهم إلى دلالة بعض أمثلة (فعّال) على النسب بمعنى ذي الشيء ؛ لأنها لا يستقيم تفسيرها على المبالغة نحو : الظلاّم في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾[٧] ، والمعنى « صيغة نسبة ، أي : ذي ظلم »[٨] . وإنّما فُسّر الظلاّم بـ (ذي ظلم) لأنّ معنى المبالغة في ظلام لا ينفي كونه ظالمًا تعالى عمّا يقول الجاهلون علّوا كبيرا . وكان

العسكري قد فسّر دلالة (فعّال) على الكثرة والمبالغة بأنّ أمثلته تفيد تكرار الشيء عدة مرات ، فـ « إذا فعل الفعل وقتا بعد وقت قيل : فعّال مثل علاّم وصبّار »[٩] . ومن هنا يفهم شيوع أمثلة هذا البناء دالّة على صاحب الحرفة كالقصّاب والنجّار والخيّاط وغير ذلك كثير لأنّه يفعل ذلك وقتا بعد وقت .

المطلب العاشر : معنى فُيْعُول .

فُيْعُول بناء له في متن النهج فضلا عن العربية[١٠] دلالة واحدة هي الصفة المشّبهة باسْم الفاعل التي تفيد القيام بالفعل إلى درجة الاتّصاف به في آن واحد ؛ لأنّه يأتي به على وجه الثبوت واللزوم ، وأشهر أمثلة هذا البناء : (قيّوم) ، إذ هو في القران الكريم ونهج البلاغة ، قال تعالى :﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾[١١]، وقال (ع) : (...نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لا تأْخُذُكَ سِنَةٌ لاَوَنَوْمٌ)[١٢] ، و « القيّوم هو القائم بذاته المقيم لغيره ،وكل قائم لذاته فهو موجود واجب الوجود »[١٣] .

---

(١) ينظر:الكتاب ٣٨١/٣ والمقتضب ١٦١/٣ والمخصص ٦٩/١٥ وشرح الشافية ٨٤/٢-٨٥.

(٢) المعتزلّي٥٧/١٣ وينظر : أنصاريان٢١٠/٢.

(٣) عبده٢٠/١.

(٤) البحراني ١٧٢/١،

(٥) أنصاريان٢٩٢/١،

(٦) السامرائي٢٦١

(٧) فصلت ٤٦ .

(٨) الشيرازي٧٩/٣

(٩) الفروق اللغوية١٢،

(١٠) ينظر: الفخر الرازي ٤/٧/٣-٦.

(١١) البقرة٢٥٥

(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٠ ، ص ٢٨٠ .

(١٣) البحراني ٢٦٠/٣ وينظر:٥٠/٣.

ومن أمثلته أيضا : الصَّيُّور في قوله (ع) يصف الموتى : (يَمْضُوْنَ إرْسَالاً إلى غَايَةِ الانْتِهاءِ وَصَيُّورِ الفَنَاءِ)[١] ، فـ « صَيُّورِ الأمر: آخره وما يؤول إليه »[٢] ، أو « ما يرجع إليه منه »[٣]. وكذا الصيخود بمعنى الصخرة الصلبة[٤] . ويبدو أنّ أمثلة (فيعول) لشدّة دلالتها على لزوم الموصوف قامت مقامه فاقتربت من الاسماء نحو : الدَّيْجُور : شدّة الظلام . والخَيْشوم : اقصى الانف[٥] .

حادي عشر: معني فعالّة

بناء بدلالة واحدة في متن النهج بل لم يرد له إلا مثالان في العربّية هما في قوله (ع) في استنهاض أصحابه لقتال أهل الشام : (فَإذا أَمْرتكُم بالسَّيْرِ إلَيْهِم فِي أيَّامِ الحَرّ قُلْتُم : هَذه حَمارَّةُ القَيْظِ ، أمهِلْنا يُسَبَّخُ عَنَّا الحَرُّ ، وإذَا أَمْرتكُم بالسَّيْرِ

إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ : هَذِهِ صَبَارَّةُ القُرِّ ، أَمهِلْنا يَنْسَلِخْ عَنّا البَرْدُ)[٦] ، وأطبق الشّراح على أنّ حمارّة القيظ بمعنى : شدة الحر ، وصبارّة البرد بمعنى شدة البرد ، وكل من (حمارّة) و (صبارّة) مبالغة في الحر والبرد[٧]. واللفظان من غريب نهج البلاغة فضلا عن العربية[٨] .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ، ص ١٢٣ .

(٢) المعتزلّي٦/٢٤٩

(٣) البحراني ٢/٢٤٢

(٤) ينظر: المعتزلّي٤/٤٤١

(٥) ينظر: المعتزلّي٦/٤٤٢

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ ، ص٦٣

(٧) ينظر: المعتزلّي٢/٧٩ والبحراني ٢/٣٢ وعبده ١/٨٨ والسامرائي١٣٧ والشيرازي١/٥٤

(٨) ينظر:الصحاح ٢٦١ ،٥٦٨.

المبحث الرابع

دلالة أبنية الأفعال

توطئة : مفهوم الفعل وزمنه لدى الشّراح .

الفعل هو ما دلّ على حدث مقترنٍ بزمنٍ . والزَّمن عنصر رئيس في مدلول الفعل يمّيزه من الاسم ، وقد قسّم علماء العربية الفعل العربّي على ثلاثة أقسام بحسب دلالته على الزمن ، قال سيبويه : « أّما الفعل فأمثلة أُخِذت من لفظ أحداث الأسماء وبُنيت لِ ما مضى وما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع »[١] . والفعل لفظ يستدعي فاعله ويومئ

إليه وإن لم يُذكر معه في الجملة . ومن هنا عدّ بعض شراح النهج الفعل لفظا مركّبا ؛ لأنّه « ممّا يدلّ جزؤه على جزء معناه دلالة مقصودة ... مثل : (قم) حال كونه أمرا فإن له جزءا مقدّرا وهو أنت ...وسائر الأفعال المضارعة فإن جزء لفظ كل واحد منها يدلّ على جزء معناها إذ الألف تدل على التثنية والواو على الجمعية وحروف المضارعة على معنى في المضارع »[٢] . وأما الفعل الماضي فإنه « بمادّته يدلّ على الحدث وبهيأته على حصول ذلك الحدث في الزمن الماضي والهيأة جزء اللفظ »[٣] .

وأشار العلماء إلى أن زمن الفعل ليس ثابتا على جهة واحدة معه فقد ينصرف الفعل من زمان إلى آخر بالقرائن والأدوات[٤] . على حين أشار بعض شراح النهج إلى أن الفعل قد ينسلخ عن الزمان إذا كان الفاعل هو (الله) ؛ لأنّ صفات الذات الإلهية إذا صيغت في قالب الفعل انسلخ الفعل بالنسبة إليها عن الزمان فإذا قيل : عَلِمَ اللهُ وعَلا وقَدَّر وما أشبهه لا يراد بها أنّه تعالى صار إلى تلك الصّفات بعد أن لم يكن ، بل المراد نسبة المصدر إلى الذات بمعنى إنه عالم قادر عالٍ وهكذا[٥]. وهنا تكون الأفعال عموما دالّة على الزمن ابتداء وتحتفظ بهذه الدلالة مع سائر الفاعلين ولكنّها تنسلخ عن الزمن إن صدرت من الباري تعالى ؛ لأن أفعاله جلّ شأنه لا تقترن بزمن دون غيره كما لا يحيط بها مكان دون آخر . وقلب بعض الشّراح الأمر في مسألة اقتران الأفعال بالزمن فرأى أن الفعل لا وضع له للزمان (ابتداء) وإنما ينصرف من ذلك انصرافا حسب القرينة العامة والمعنى إنّ قدرته العامة هي الموجبة لكونه سبحانه عاليا رفيعا[٦] .

وقد احتدمت الأفعال في متن النهج فبرع الشّراح في تتّبع دلالاتها بحسب أبنيتها ولتفصيل ذلك قُسّم هذا المبحث على أربعة مطالب :

---

(١) الكتاب ٢/١ . (٢) الخوئي ١٣/١. (٣) نفسه ١٤/١ .

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز ١٣٣-١٣٤ ومعاني الأبنية ٩-١٧ والزمن في اللغة العربية ٤٣-٥٠.

(٥) ينظر: البحراني ٢٩/١ والخوئي ١٧/١.

(٦) ينظر: الشيرازي ٣١٠/١-٣١١

المطلب الأول : دلالة الفعل المجرد .

اتخذت دلالة الفعل المجرد لدى الشّراح سبيلين :

الأول : مجيء الفعل المجرّد بمعنى المزيد .

أُثر عن القدماء ركونهم إلى تساوي المعنى بين (فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ) و (فَعَلْتُ وفعَّلْتُ) و (فَعَلْتُ وفاَعَلْتُ) وغير ذلك[١]. ومن ثم أقّر الشّراح دلالة الفعل المجرد على مدلول الفعل المزيد باختلاف أنواعه سواء منه المزيد بحرف واحد أم بحرفين أم بثلاثة وكما يأتي :

١ - **الفعل المجرّد بمعنى فعّل .** ومن أقوالهم في هذه المسألة : « هَدَر : ردّد صوته في حنجرته وكذلك هدّر بالتشديد »[٢] ، و « فَعَلَ وفعَّلَ بمعنى واحد نحو ذَمَر وذَمَّر »[٣] ، و« غَرِدَ الطّائر كفَرِحَ وغَرَّدَ تغريدا رفع صوته وطَرِبَ به »[٤] . ولا شكّ في أن فعّل المشدد يختلف عن المجرد لإفادته معنى المبالغة والكثرة على وفق ما سيأتي .

٢ - **الفعل المجرد بمعنى أفعل .** كما في أقوالهم : « آوتهم الحال بالمدّ أي ضمّتهم وأنزلتهم ، قال تعالى : ﴿**ءاوى إليه أخاه**﴾[٥] ،أي : ضمّه إليه وأنزله ، ويجوز أَوْهمُ بغير مدّ ، أفعلت في هذا المعنى وفَعَلْت واحد »[٦]. و« جَهدْتُ دابتي بالفتح ويجوز أَجْهدْتُها إذا حملت عليها في السير فوق طاقتها »[٧] .

٣ - **الفعل المجرد بمعنى فاعل .** نحو : يَأْخُذُهم بمعنى يؤاخِذهم[٩].

٤ - **الفعل المجرد بمعنى افتعل .** نحو : ، و« حَشَمْتُ الرجلَ واحْتشَمته بمعنى ، وهو أن يجلس إليك فتوّبخه وتغضبه »[١١] ، و« جَاحَه من باب قال واجتاحه بمعنى أهلكه واستأصله »[١٢] .

٥ - **الفعل المجرد بمعنى انفعل .** إذ « يجوز أن يكون فعل بمعنى انفعل كقوله : جَبَرْتُه فانجبر »[١٣] . و« زاح وانزاح تنحّى »[١٤] . و « دَرَسَتْ كانْدرست أي انطمست »[١٥] .

٦ – **الفعل المجرد بمعنى تفعّل .** نحو « عَطَفَ عليه وتعطّف إذا اشفق »[١٦] . و « عجبت من كذا وتعجّبت بمعنى»[١٧] و « حار : تحيّر »[١٨] .

---

(١) ينظر: الكتاب ٦٢/٤ -٦٥ وأدب الكاتب٣٣٠ -٣٤٧ وشرح الشافية ٩١/١ -٩٩ والمزهر ٨٢/٤ -٨٤.

(٢) المعتزلّي١٩٢/٧ . (٣) البحراني ٤٠٣/١ . (٤) انصاريان٣٠٢/١ .

(٥) يوسف ٦٩ وينظر : الكشاف ٣٣٣/٢ . (٦) المعتزلّي ١٣١٧٤ . (٧) المعتزلي ١٠٣/٧ وينظر: أنصاريان ٣٠٠/١

(٨) ينظر: الراونديّ٢٤٥/٣ وأبو الفضل ٣١٩/١ (٩) أنصاريان ٢٢٥/٣ .

(١٠) الخوئي ٣٣١/١٧ و للمزيد ينظر: الكيدريّ٣٩٤/١ والمعتزلّي٢٨٤/١ ، ٢٦٦/٦ والبحراني ١٠٢/٣وأنصاريان١٦٧/٣ .

(١١) المعتزلّي ٢٧٤/١ وينظر: الرواندي١٧٠/١ والكيدريّ ٢٠١/١

(١٢) البحراني ٤٠٣/١ . (١٣) عبده ٣٣/١

(١٤) البحراني ٢٦٧/٤ وينظر : الراونديّ ٢٦٦/١ (١٥) أنصاريان٣١٩/٢ (١٦) الخوئي ٣٨٢/٧

٧ - **الفعل المجرد بمعنى استفعل .** كـ «حقَر بالتخفيف بمعنى استحقر »[١] ، و « عُذْت بفلان واستعذت به ، اي : التجأت اليه »[٢] . و « ذَكَتِ النّارُ واستذكت : اشتدّ لهبها »[٣] ، و«قرّت ، أي : استقرت »[٤] .

وفي عدة أمثلة غير ما ذكر آنفا جمع فريق من الشّراح افعالا - تشابهت في الاشتقاق واختلفت في البنى - على دلالة واحدة كقول المعتزلّي :« هاج الماء واهتاج وتهيّج كله بمعنى أثار »[٥] ، و « أغامت الآفاق غطاها الغيم ، وغامت واغْيمَّت وتغيَّمت كلُّه بمعنى »[٦] . وقول الخوئي : « نَبأَ ونَبَّأَ وأَنبأَ كلّها بمعنى »[٧] .

ومن الاسراف في القول حمل عدة افعال ذات بنى مختلفة على معنى واحد دون النظر الى ما تحدثه الزيادة في المبنى من تغير في المعنى ، وكذا من الإسراف تفسير فعل معين بآخر شاركه في أصل الاشتقاق واختلف عنه في

البنية على وفق ما سبق ذكره . ولذا لم يلتزم الشّراح بدلالة الأبنية الفعلية المختلفة على معنى واحدة في معظم المواضع ، بل تلحظ العناية لديهم بالفروق الدلالية بين أمثلة الأفعال التي اشتركت في أصل الاشتقاق واختلفت في البنى من حيث التجرد والزيادة ، وأكثر ما يلحظ ذلك لدى الشّراح المتقدمين كالراونديّ والمعتزلّي والبحراني ، من ذلك قول الراونديّ : «يهلّون يرفعون أصواتهم بالتلبية ونحوها ... ويهلّلون أي يقولون : لا إله إلا الله »[٨] ، وقوله أيضا « صنع فلان كذا أي فعله ، واصطنعه أي فعله لخاصة أمره »[٩] . وقوله أيضا : « بعثه وابتعثه بمعنى أرسله، وفي الابتعاث تأكيد ليس في البعث »[١٠] . ومنه « كبّه لوجهه صرعه فهو كابّ ، ولا يقال أكبّه . فكبّ متعد وأكبّ لازم وهو على خلاف القياس يقال كببته فأكبّ هو على وجهه »[١١] ، وقوله أيضا : « يقال : كفأت الإناء ، أي : كببته ، وأكفأت الإناء : أمليته »[١٢] . وكذا قوله : « أويت المكان نزلت به ، وآويته أنزلته به »[١٣]. ومن أقوال المعتزلّي: « شَرقت الشمس طلعت ، وأشْرقت بالهمزة إذا أضاءت وصفت »[١٤]. ومن أقوال البحراني : « تقول : قضْتُ البيضة كسرتها ، وانقاضت تصدّعت من غير كسر ، وتقّيضت انكسرت فلقا »[١٥] . والأمر نفسه يلحظ لدى الشّراح الآخرين الذين فرقوا بين : (هّم واهتّم) بأنّ (هّم) بمعنى أذاب من هَمْتُ الشّحم أي أذبْتهُ ، وأهّم بمعنى أحزن . و صَلَيْتُ الرجل نارا اذا أعددتها له ، ويقال : أصليتهُ نارا إذا أدخلته فيها كأنك تريد الإحراق[١٦].

---

(١) الراونديّ ١١٦/٢ .
(٢) المعتزلّي ٢٧٣/٦
(٣) أنصاريان ٣٦٣/١
(٤) المعتزلّي ١٦٨/١ .
(٥) نفسه ٤٣٩/٦
(٦) نفسه ٣٣/٧ .
(٧) الخوئي ١٥٣/٢
(٨) الرواندي ٢٥٢/٢ .
(٩) نفسه ٢٠١/٢
(١٠) نفسه ١٢٠/٢
(١١) نفسه ٤٤/٢
(١٢) نفسه ٣٥٨/٢ وينظر: المعتزلّي ١١٠/٧ والبحراني ٤٥/٤
(١٣) الرواندي ٢٦٣/٢
(١٤) المعتزلّي ٢٩/٧ وينظر: أنصاريان ٣٠٣/١
(١٥) البحراني ٢٩٢/٣ .
(١٦) ينظر: عبده ٢٨٧/١ والخوئي ٩١/٨ والسامرائي ٢٣٤ وأنصاريان ٤٠٠/١ .

الثاني : معاني الفعل المجرد بحسب حركة عينه .

يقسم الفعل المجرد بحسب حركة عينه على ثلاثة أقسام :

١- مفتوح العين (فَعَل) .
٢- مكسور العين (فَعِل) .
٣- مضموم العين (فَعُل) .

ويعد مفتوح العين من أخف أبنية الأفعال وأكثرها ورودا في متن العربية ومن ثّمكثُر التصرّف فيه والتعبير به ، ذلك « إنّ فَعَل مفتوح يقع على معان كثيرة لا تكاد تنحصر توسّعا فيه لخفّة البناء واللفظ . واللفظ إذا خفّ كثر استعماله

واتّسع التصرف فيه »[١]. وقد أورد ابن مالك في التسهيل عدة معان له جمعها في قوله : « الجمع ، والتفريق ، والاعطاء ، والمنع ، والامتناع ، والايذاء ، والغلبة ، والتحويل ، والاستقرار والسير ، والتجريد ، والرمي ، والاصلاح ، والتصويت »[٢]. وأما القسمان الآخران فقد ذكر سيبوية أن (فعِل) مكسور العين يفيد الدلالة على الألوان والأمراض والصحة والذعر والخوف والهيج والاضطراب والأشياء المتعذّرة المكروهة والجُوع والعَطَش والشّبع والرِّي[٣]. و(فُعل) مضموم العين يدلّ على الطبائع والغرائز الثابتة من الصِّغر والكِبر والشِّدة والجُرأة والرِّفعة والضِّعة[٤]. وحصرها ابن السراج فيما كان خَلقة أو خُلقا أو صناعة وخصلة تكون في الشيء[٥].

ويبدو أن معاني الفعل المجرد بأقسامه الثلاثة مسألة لا تخضع لضابط محدّد وإنما تنبثق وفقا لفهم العالم الخاص واستنتاجه الذاتي ، وهي معان كثيرة ككثرة الأفعال الثلاثية نفسها ، فكأنهم ذكروا معاني الأفعال لا معاني أبنيتها . وعلى الرغم من ذلك يمكن وصف ما ذكره الشّراح منها بما يأتي :

- **الدلالة على الصيرورة .** نحو : شدّ : صار شديدا ، ووَبل المطر: صار وابلا ، وهو المطر الشديد ، وذلّ فلان : صار ذليلا ، وخلَص التراب طينا : صار طينة خالصة[٦].
- **الدلالة على الآلة التي حصل بها الفعل .** نحو : قَمَعَه : ضربه بالمِقمعة . وعَصَاه : ضربه بالعَصا ، وسَهَمَه : ضربه بالسَّهم[٧].

---

(١) شرح المفصل ٧ /١٥٦-١٥٧ وينظر: شرح الشافية ٧٠/١ ودروس التصريف ٦١ -٧٠ وأوزان الفعل ٢٧١ -٢٨٩ .

(٢) التسهيل ١٩٦-١٩٧ ، وينظر: الهمع ٢٠/٦-٢١ .

(٣) ينظر: الكتاب ١٧/٤ والمفصل ٢٧٧ والأفعال للسرقسطي ٦٠/١-٦١ وارتشاف الضرب ٧٦/١-٨١ .

(٤) ينظر : الكتاب ١٧/٤-٢٥ .

(٥) ينظر : الأصول ٨٩/٣ -٩٩ .

(٦) ينظر: البيهقّي ٦٢ والراونديّ ٧١/١ والكيدريّ ١٣٦/١ والمعتزلّي ٩٨/١ والبحراني ١٧٠/١ والسرخسي ٤١/١ وعبده ٢٣/١ والخوئي ٣٩/٢ ومغنية ٤١/١ والتستريّ ٥٧٨/١ والشيرازي ٢٨/١ والموسوي ٣٦/١ وأنصاريان ٤٤/١ .

(٧) ينظر: البيهقّي ١٢٢ والراونديّ ٢٣٢/١ والكيدريّ ٢٥٦/١ والمعتزلّي ١٧٧/١٠ والبحراني ٦٤/٢ ، ٣٦٥/٤ وأنصاريان ١٤٢/١.

- **الدلالة على ضرب عضو من الجسد .** نحو : جَبهه : ضرب جَبْهتَه . وجَلَده : أَصَابَ جِلْدَه[١]
- **الدلالة على الإصابة بشيء شديد .** نحو : يبأَس : يُصيبه البُؤس وهو الشَّقاء ، وقَحَطُوا : أَصَابهم القَحْطُ[٢].
- **الدلالة على الجعل .** نحو : مَحَكَه الخُصُوم : جَعَلَه ماحِكا أي لَجُوجًا ، وعَصَبَه بكم : جعله كالعِصابة التي يُشَدُّ بها الرأس، وعدَلَ بالله : جعل له عَديلا ، ودَعَم الشيء : جعل له دِعامة[٣].
- **الدلالة على الدخول في الشيء .** نحو: جَحَر الضَّبُّ ، أي : دخلَ جُحرَه ، وبطَنْتُ الوادِي : دخلت باطِنه[٤].

وقد سبقت الإشارة في الفصل الثاني إلى أن فَعل مفتوح العين مقترن بالمعاني العامة الشائعة ثّم تبدأ المعاني بالتخصص في حال كسر العين لتدلّ على الصفات العارضة كالفرح والحزن ثم تخصص أكثر في حال ضم العين

لتدل على الطبائع والسجايا الثابتة كالشرف والضعة . وقد كثرت إشارت الشّراح إلى هذه الدلالات الدقيقة ومنها فضلا عما ذكر سابقا : سفهَ فلان ، اي : صار سفيها ، وسفهُ بالضم : صار ذلك طبعا له[٥] ، وهَ جني كذا بالفتح ، اي : سرّني ، وبهجُ النبات ، أي : حسن[٦] ،وعقَص الثور قرنه بالفتح معناه : التوى قرناه على أذنيه ، وعقِص الرجل بالكسر: إذا شحّ وساء خلقه[٧] .

---

(١) ينظر: الراونديّ ٣٨٣/١ والكيدريّ ٤٤٨/١ والمعتزلّي ٤٠٩/٦ والبحراني ٣٣٧/٢ وعبده ١٧٧/١ والخوئي ٣٠٥/٦ والتستريّ ٢٢٠/١ وأبو الفضل ١٨٧/١ والشيرازي ٢٧١/١ وأنصاريان ٢٧٢/١ .

(٢) ينظر:الراوندي ٤٧٧/١ والمعتزلّي ٢٢٣/٧ والبحراني ٢٦٧/١ ، ٤٢١/٢ وعبده٢٣٨/١ ، ٩٧/٢ والشيرازي ٢٠٤/٢.

(٣) ينظر: المعتزلّي ٥٩/١٧ والسرخسي ٤٠/١ وعبده ١٢٠/٢ وأنصاريان ١٢٠/١ .

(٤) ينظر: المعتزلّي ١٠٣/٦ والبحراني ١٢٧/٢ ، ١٨٨/٢ والسرخسي ٧٣/١ والتستريّ ١٦٧/١ وأنصاريان ١٧٢/١.

(٥) ينظر:المعتزلّي ٢٧٦/١

(٦) ينظر: المعتزلّي ٤٤٤/٩

(٧) ينظر: المعتزلّي ١٦٢/٢

المطلب الثاني : دلالة الفعل المزيد بحرف واحد

أولا : معاني أَفْعَلَ :

تزاد همزة (أَفْعَلَ) للدلالة على عدّة معان ذكرها ذوو الصَّنعة[١] .وقد كرّر شراح النهج معظم تلك المعاني وزادوا عليها غيرها وكما يأتي:

١- التعدية : وهو المعنى الأشهر لأمثلة (أَفْعَلَ)[٢] ، وهو الشائع في شروح النهج شيوعا يفوق الحصر . ومعنى التعدية أنّ الفعل يُنقل بالهمزة من اللازم الى المتعدي ، ومن المتعدي لواحد الى المتعدي لاثنين ، أو من المتعدّي لاثنين إلى المتعدي الى ثلاثة . فمثال المتعدي إلى واحد بالهمزة : «وَرِي الزّنْدُ : إذا خرجت نارُه ، وأُوْرَيْتُ الزَّنْدَ متعدٍ

بالهمزة »[٣] ، و« شَخَصَ : خرج من منزله الى منزل آخر ، وأَشْخصه غيره »[٤] ، و« كَدَتِ الأرض تكدُ فهي كادية : إذا أبطأ نباتُها وقلّ حيّزها ، فهذا لازم فإذا عدّيته أتيت بالهمزة فقلت : أكْديت الأرضَ ، اي : جعلتها كادية »[٥]. وفضا المكان يفضو مثل نصر بمعنى: اتّسع ، وأفضاه فلانٌ بمعنى : أفشاه وأشاعه وجعله واسعا[٦]. و« ساغ الشَّراب : سهلُ مدخله في الحلق ، وأسغتهُ أنا متعدٍّ ، قال تعالى : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾[٧] »[٨] .

ومثال المتعدي الى اثنين بالهمزة : «قَبِسْتُ مِنْه نَارًا ، وأَقْبَسَنِي نَارًا »[٩] . ولم يرد لديهم مثال من التعدية بالهمزة إلى المفعول الثالث . وتبين للدكتور ابراهيم السامرائي أن التعدية بالهمزة اوسع من التعدية بالتضعيف ، فلّما وقف على قوله (ع): (وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانُ مِنْ قِيَادِهِ)[١٠] : قال : « والفعل أَمكَن فِعلٌ متعدٍّ ، أي ... مكّن الشيطان ... وهذا الفعل الأخير مزيد بالتضعيف ، وتضعيف الكاف فيه من أجل التّعدية ، فهو مثل (أمكن) ؛ لأن الهمزة في هذا الاخير للتعدية ، غير إنّي أميل الى أنّ التعدية بالهمزة في العربيّة القديمة أكثر ورودا من الأفعال التي عُدّيت بالتضعيف ، واستقراء هذه الظاهرة في لغة القرآن تثبت ما ذهبت اليه »[١١]. وكثيرا ما ترتبط التعدية بالصيرورة أو الجعل كما في الأمثلة السابقة التي ورد التصريح في قسم منها بهذه الدلالة الجانبية .

---

(١) ينظر: الكتاب ٦٠/٤-٦٣ وأدب الكاتب ٣٥٦ -٣٥٧ وشرح الشافية ٨٣/١ ودروس التصريف٦٨ -٧٠ وأوزان الفعل ٢٩٤ -٣١٢ وأبنية الفعل ١٦-٢٠ والزوائد في الصيغ ١١-١٤ .

(٢) ينظر: ديوان الأدب ٣٣٧/٢ والتكملة ٥١٧ وعمدة الصرف ٢٧ ودروس التصريف ٦٨ .

(٣) الراونديّ ٢٤١/٢ .

(٤) البحراني ٦٥/٣ .

(٥) المعتزلّي ٣٩٩/٦ .

(٦) السامرائي٢٨٥ .

(٧) ابراهيم ١٧ وينظر : الكشاف ٣٧١/٢ والبحر المحيط ٤١٨/٦ .

(٨) الراونديّ ١٣٢/٢ .

(٩) المعتزلّي ١٤١/٦ .

(١٠) نهج البلاغة ر ٤٨ ص:٥٤٠.

(١١) السامرائي ٣٢٨ وينظر: ١٣٧

٢- الصيرورة[١] : كثُرت لدى الشّراح دلالة أمثلة (أفعل) على معنى الصيرورة نحو : « أمّر :صار مرّا »[٢] ، و« أطْرَدْتُ الأيّام : صيَّرتُها طريدةً »[٣] ، و« أَرْغَدَ القَوْم : أخْصَبُوا وصاروا في رَغَد العَيش»[٤] ، و« أَحْدَقَتِ الرَّوْضَةُ :صارتْ حَديقةً »[٥] ،و«أَمْعَرَ الوادي :صارَ مُمْرِعًا »[٦] ، و« أَظَلَّكُم ،أي :صار لكم ظِلاّ تستظلون به»[٧].

٣- الجعل[٨] : توالت لدى الشّراح أمثلة (أفعل) الدالّة على الجعل نحو: «أَرْعَى المَكَانَ ، أي : جعله مرعى »[٩] و« أعضضته ، اي : جعلته معضوضا ... وأكثر ما يأتي أَفْعَلْتُهُ أَنْ تجعلُ فاعلا وهي ها هُنا من المَقْلوب »[١٠] ، و« أجمدها ، أي : جعلها جامدة »[١١] ، و«أحمى المكان : جعله حمى لا يُقْرب »[١٢] ، و« أصلدها : جعلها صَلْدَةً ملساء متينة »[١٣] ، و« أشْعِرْ قلبك الرَّحمة ، أي : اجْعلها كشِعار لَه ، وهو الثَّوب الملاصق للجسد »[١٤] ، و« أَحَلَّ

بنفسه الذّل والخزي ، أي : جعلَ نفسه محلاّ لهمُا »[١٥] ، و« أُرجفها : جعلها راجفة ، أي : مُرْتعَدة متزلزله »[١٦] ، و« أصْلهِم الحَربَ : اجعلهم صالينَ لها »[١٧] .

٤ - الدخول في المكان والزمان المشتق منهما الفعل[١٨] : ولهذا المعنى عدة أمثلة لدى الشّراح لكنه اتّخذ عدة اسماء ، ففضلا عن الدخول وهو الاصطلاح الشائع ذكروا البلوغ والتغطية والالقاء والاقامة والوقوع والبروز والخروج والظهور والانكشاف وغير ذلك من الاصطلاحات التي يفهم منها الدخول في المكان او الزمان المشتق منهما الفعل . ومنها : « أَصْحِرْ لعِدُوِّك ، أي :أبرِز له ولا تستتر عنه »[١٩]. و« أضحى الرجل :إذا برز للشمس وقت الضُّحى »[٢٠] ، و« أَلْجَم العَرَقُ : سال حتّى بلغ الى موضع اللجام من الدابّة »[٢١] ، و« أُوعَثَ القَوْم : وقعوا في الوَعْثِ »[٢٢] . و« يُرديه : يُوقِعُه في الرَّدى »[٢٣] وغير ذلك[٢٤].

---

(١) ينظر: دروس اتصريف٦٩ .
(٢) المعتزلّي ٣٣٣/٣.
(٣) البحراني ١٩٥/٣.
(٤) المعتزلّي٤/٧ وينظر: أنصاريان٤٥/١ .
(٥) الخوئي ٣٣٣/١١ .
(٦) الرواندي ١٩/١ .
(٧) السامرائي ٢٥٠ وينظر: المعتزلي ١٤٦/٥ .
(٨) ينظر: أوزان الفعل٦٣-٦٤ .
(٩) السرخسي ١٤٦/١.
(١٠) المعتزلّي ١٩/١٨ .
(١١) نفسه ٥٩/١١ وأنصاريان ٤٥/١ .
(١٢) أنصاريان٧٥/٢ وينظر: الرواندي ٩١/٢ .
(١٣) البحراني ٦١٦/١ وينظر: عبده ٢٤/١ .
(١٤) الراوندّي ٢٢٢/٢وينظر: المعتزلّي ٣٣/١٧ .
(١٥) المعتزلّي١٦٢/١٥ .
(١٦) نفسه ١١٠/٧ .
(١٧) المعتزلّي ٩٦/٩ .
(١٨) ينظر: دروس التصريف٧٠ .
(١٩) الراوندّي٤٦٧/١ وينظر: الكيدريّ ٥٣٠/١ والمعتزلّي ١٠٨/٧ ، ١٤٤/١٦ ، ٩٨/١٧ والبحراني ٦١/٣ ، ٧١/٥ والسرخسي ١١٢/١والخوئي ٣٠٧/٧ ومغنية ١٤٩/٢ والتستريّ ٣٧٧/١١ وأبو الفضل ٢٥١/١ والموسوي ٢٢٨/٢ .
(٢٠) المعتزلّي ٢٥٦/٧ .
(٢١) نفسه ٢٥٠/٦ وينظر: ١٢/٧.
(٢٢) نفسه٩٠/١٦ .
(٢٣) البحراني ٢٩٦/٤ .
(٢٤) ينظر: المعتزلّي ٢٦/٧ .

واستقصى الدكتور ابراهيم السامرائي كثيرا من أمثلة هذه الدلالة في متن العربية لما وقف على قوله (ﷺ) : (فأَصْحِر لِعَدُوِّكَ)[١] . فقال : « والأصل في أصْحر أنّها تعني دخل الصحراء كسائر الأفعال التي أُخِذت من كلمات دالة على الأمكنة والبلاد ، نحو : (أنجد) دخل نجدا ، وأعرق بمعنى : دخل العراق ، وكذلك تأْهَمَ ، اي : دخل تهامة ، ومثل هذا أَصْعَدَ : ذهب صُعُودا ، وأَغْوَر، اي : نزل الغَوْر ، ومثل هذا شيء كثير »[٢] . وقال ايضا : « أَصْحَرَ: أي خرج الى الصحراء ، والفعل نظير الفعل أَنْجَدَ وأعرق وايمن ونحو ذلك ، والمراد : الدخول في نجد والعراق واليمن ، وهذه الافعال أُخذت من الأسماء ، وكثيرا من هذا على هذه الشاكلة ، ومن ذلك : أغار وأغور ، وأروض وأشتى وأصاف وأخرف وأربع ، وكلّها تشير الى أصولها وهي أسماء . »[٣] .

٥- **وجود الشيء على صفة**[٤] : نحو : أحمدته : بمعنى وجدته محمودا ، وأبخلته : وجدته بخيلا[٥] .

٦- **المبالغة**[٦] **:** نحو: « الاثخان : مصدر اثخن في القتل ، اي : اكثر منه وبالغ فيه حتى كثف شانه وصار كالشيء الثخين» [٧].

٧- **الحينونة والاستحقاق**[٨] **:** نحو: أَحصد الزرع : إذا حان حَصاده أو استحق أن يُحْصد ، وأَجَزّ الحشيش : آن أَن يُجَزّ، ومنه قيل للشيخ كاد أن يموت: قد أَجَزّ[٩] .

٨- **الاتخاذ**[١٠] **:** نحو أفحل الرَّجل : اتّخذ فَحْلاً لإبِلِه ، وأمهدوا : اتّخذوا مِهادا[١١].

٩- **السلب والازالة :** وهو أن يزيل الفاعل عن المفعول معنى الفعل ، نحو: أشكيته : أزلت شكواه ، وأقذيت عينه ، أي : أزلت ما بها من قذى[١٢] . ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[١٣] ، لأنهم يزيلون القَسط . وقوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** ﴾[١٤]لأنهم يأتون بالقَسط ، أي : الجور.

---

(١) نهج البلاغة ر ٣٤ ص:٥١٦.
(٢) السامرائي٢٣٠
(٣) نفسه ١٠٩ .
(٤) ينظر : دروس التصريف ٦٩
(٥) ينظر: الراونديّ ٣٨١/١ والكيدريّ٤٤٨/١ وابو الفضل ١٨٦/١ .
(٦) ينظر : المثل السائر ٢٥٠/٢ .
(٧) المعتزلّي ١٤٢/١٣ .
(٨) ينظر: الكتاب ٢٣٦/٢ وادب الكاتب ٣٤٥/٣ واوزان الفعل ٦٥ .
(٩) ينظر: المعتزلّي ٢٥٥/٦ .
(١٠) ينظر : ادب الكاتب ٣٤٧ واوزان الفعل ٦٨ .
(١١) ينظر: المعتزلّي ١١٢/١٣.
(١٢) ينظر : سر صناعة الإعراب ٤٢ -٤٣ ودروس التصريف٦٩- ٧٢ واوزان الفعل ٦٠ .
(١٣) المائدة ٤٢ وينظر: الكشاف ٦١٤/١ والبحر المحيط ٣٣٣/٤ .
(١٤) الجن ١٥ وينظر: الكشاف ١٦٩/٤ والبحر المحيط ٢٩٩/١٠.

ومن أمثلته لدى الشراح : أعتبني فلان : الهمزة للسلب ، أي : أزال العتاب[١] . ويقال في الاستحسان : أعجبني فلان وفي الذّم والإنكار يقال : عجِبْتُ[٢] . وقال السامرائي معلقًا بقوله (ﷻ): (وأُبسِلْهُمْ بِمَا كَسَبُوا)[٣] : « وقوله أبسلهم بمعنى أهلكهم ، وبين بَسَلَ الثلاثي وأَبسَلَ طريق طويل يتحّول فيه المعنى إلى ما يقرب من ضدّه »[٤]. ولما وقف السامرائي على قوله (ﷻ) يذكر محمدا (صلّى الله عليه وآله) : (بَلَغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا ...)[٥] . قال : « مُعذرا ، أي : مُبينا حُجَّته التي تقوم مقام العُذر في إنزال العقوبة بهم إن قصّروا فيما يترك الاعذار اليهم ، والاعذار كما اسلفنا هو تجريدهم من العذر لاعمال الحجة التي خص بها الرسل »[٦] ، وقد ذكر الشّراح هذه الدلالة لما وقفوا على قوله (ﷻ) في الشقشقية : (وَقَسَطَ آخَرُونَ)[٧] ، فقسط بمعنى :جار وظلم ، وهم اصحاب صفّين ، والفعل (اقسط) بالهمزة يعني العدل وهو نظير وعد

وأوعد ، وشفى وأشفى ، وعذر وأعذر ، وشكى وأشكى ، وعجب وأعجب ، وعتب وأعتب ، وكلّ ذلك الهمزة فيه للسلب[٨] .

١٠-الإظهار[٩] : وقد سمى الشّراح هذه الدلالة بالظهور ، والبروز ، والتبيين ، والايضاح وغير ذلك ، ومنها : حمِس الوغى : اشتدّ وعظم فهو حميس ، وأحمس : أظهر الحماسة . وأورى أفعل من الورى وهو: إظهار النار[١٠] وفسّر الشّراح المعور في قوله (ع) : (لاَوتَصِيْبُوا مُعْوِرًا)[١١] بأنّه من ظهرت عورته للعيان ، وهو كناية عن جرحه وعجزه عن القتال . فهو الذي أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها ، فكأنه من هذا الجانب قد أبدى عورته[١٢] .

ويمكن القول : إن (افعل) يمكن ردّ مداليله كلّها إلى مدلول واحد رئيس هو التحّول الذي يعني انتقال الفاعل من حالٍ إلى آخر وهذا التحّول يشمل كلّ المعاني التي ذُكرت سابقا بدليل جواز فهم الإظهار والسلب والاتخاذ والصيرورة والتعدّي من هذا المعنى الرئيس . ولذا تشعّبت أقوال الشّراح في تلمس المدلول الدقيق لجملة من الأفعال المزيدة بالهمزة كـ(أعذر) في قوله (ع) :(لاَوتَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ فقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْكُم بِحَجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ)[١٣].

---

(١) ينظر: الخوئي ٥٨/١٣ .
(٢) ينظر: نفسه ٣٧٤/٦ .
(٣) نهج البلاغة خ ١٢٤ ص:٢٢٩ .
(٤) السامرائي ٨٤ .
(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ، ص ٢٠٤ .
(٦) السامرائي ٢٥٦ .
(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص :٣٠.
(٨) ينظر : المعتزلّي٦٨/٧ والبحراني ٢٢٤/٣ وعبده٢٥٣/١ والخوئي ٣٧٤/٦ والسامرائي ٣٠٠ والموسوي٣٥٨/٢ .
(٩) ينظر: اوزان الفعل ٧٣ .
(١٠) ينظر : الراونديّ ٦٩/٢ ، ١٥٩ ، ٥٣/٣ والمعتزلّي ٧٦/٧ ، ٨٥/٩ ،٣٥/١٠ ، ١٨ /٦٨ و البحراني ٢٢٤/٤ ، ٣٧٦/٥ وعبده ١١٧/٣ والخوئي ٣٢٥/٥ .
(١١) نهج البلاغة ر ١٤ ص:٤٧٢
(١٢) ينظر :عبده ١٥/٣ والسامرائي٢٧١ ومغنية ١٠٤/٤ وابو الفضل ١٤٨/٢ .
(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ٨١ ص:١١٩ .

إذ تفاوتت أقوال الشراح في معنى (أعذر) فتارة تكون « همزة الفعل تفيد السلب من قولك : أعذرت الرجل ، أي لم أترك له عذرا يتوسّل به عند تقصيره في الطاعة ، ويقولون : أعذرت له ، أي : اتّخذت لنفسي عُذرا فيما أوقعت عليه من العقاب ، وكأنّني نبّهته وحذّرته »[١]. وتارة أخرى يكون « الإعذار: إظهار العُذر »[٢] ، وتارة ثالثة يكون معنى « أَعْذَرَ في الأمر: صار ذا عُذر فيه »[٣] . وفسّر بعضهم (أعذرت) بمعنيين : « أما أن تكون همزته للسلب بمعنى : سلبت عذره ، أي :ما جعلت له عذرًا يأتي به ، أو يكون بمعنى الإظهار، أي : أقمت لنفسي عنده عذرا واضحا »[٤] . وكل هذا الخلط والاضطراب لا مسوغ له لو قيل : إنّ المدلول الرئيس لأمثلة (أفعل) هو أنّها تحّول فاعلها من حال إلى آخر بغض النّظر عن التفاصيل الدقيقة التي تصف نوع ذلك التحّول . وهذا التحّول مستمدّ من طبيعة الهمزة ذاتها التي تنطق بطريقة الانسداد الحنجري التّام ثّم الانبثاق المفاجئ بالصوت . وهذا في ذاته تحّول وانتقال مفاجئ من الضدّ إلى

ضدّة ، أي من الانسداد إلى الانفتاح ، فلا غرو من أن يكون من ضمن معاني (أفعل) الجانبية معنى الدلالة على النقيض في ما عرف لدى الصرفيين بالسلب والإزالة ، وهو اصطلاح قاصر عن تحديد ما جرى بدقّة ، إذ هو التحوّل العكسي إو إلى النقيض وليس سلبا أو إزالة ؛ لأن المفهوم من السلب والإزالة أن يبقى (أفعل) بلا معنى لأنّ معناه قد سلب وأُزيل ، لا أن يؤول إلى النقيض مما كان عليه .

وفضلا عمّا سبق ذكره من مداليل أفعل ذكر الشّراح أنّه يدلّ على معان فعلية تؤدّيها أفعال ترد على أبنية أخرى غير (أفعل) وكما يأتي :

١ - أفعل بمعنى فَعلَ المجرّد : أقر القدماء اتفّاق فعل الثلاثي وأفعل في المعنى[٥] . ومن أمثلة ذلك لدى الشّرّاح : « أشنق الناقة : إذا جذب رأسها بالزّمام فرفعه ، وشنقها مثله »[٦] . و « أربحت الرجل إرباحا : أعطيته ربحا ... يقال : تجارة مربحة ورابحة أَفْعَلَ وفَعَلَ في هذا سواء »[٧] . و « شنّ الغارة وأشنّها : فرّقها من كلّ وجه »[٨] . وعلى الرغم من ذهابهم إلى اتفّاق الدلالة بين أمثلة (أَفْعَلَ) و(فَعَلَ) المجرّد في كثير من المواضع ، تلحظ بعض الالتماعات الدلالية لدى فريق من الشّرّاح تفرّق بين المزيد بالهمزة والمجرد كقول المعتزلّي: « أطردت الرجل اذا أمرت بإخراجه وطرده ، وطردته إذا نفيته وأخرجته ، فالإطراد أدلّ على القهر من الطّرد »[٩] .

---

(١) المعتزلّي ١٦/١٠ وينظر : عبده ١٦١/١ .

(٢) الراونديّ ٢٥٨/٣ .

(٣) الخوئي ٢٧٦/٢٠ .

(٤) عبده ١٦١/١ .

(٥) ينظر :أدب الكاتب ٣٣٠ -٣٤٥ وشرح الشافية ٩٣/١ -٩٥.

(٦) ينظر : الكيدريّ ١٦٨/١ والمعتزلّي ١٧١/١ وعبده ٣٨/١ .

(٧) انصاريان ٣٥١/٢ . (٨) البحراني ٣٢/٢ . (٩) المعتزلّي ١١٧/٩

٢ - أَفْعَلَ بمعنى فّعل . قرّر الشّراح مجيء أفعل وفّعل بمعنى واحد في طائفة من أفعال النهج ، من ذلك ما ورد في قوله (ع) : (أُولَى النَّاسِ بِالكَرمِ مَنْ عُوِّدَتْ فِيهِ الكِرَامُ)[١] ، قال المعتزلّي : « أعرقت وعرّقت في هذا الموضع بمعنى واحد ، أي : ضربت عُروقه في الكرم ، أي : له سلف وآباء كرام »[٢] . ومنه ما في قوله (ع) في إحدى حروبه : (أَمْلِكُوا عَنّي هَذا الغُلاَم)[٣] ، يريد الحسن (ع) ، فـ « أملكه الشيء وملّكه من بابي الإفعال والتفعيل بمعنى واحد »[٤] . ومنه ما في قوله (ع) : (إنّ اللهَ سُبحانه لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ...قَدْ سَمّى آثَارَكُمْ)[٥] ، فقد فسّر المعتزلّي في أحد قوليه سمّى بـ «أعلى مآثركم ، أي : رفع منازلكم إنْ أطعتم ويكون سمّى بمعنى أسمى »[٦]. و« أنسك بالتشديد ، وآنسك بالمدّ كلاهما بمعنى »[٧] و« مكّنه الله من الشيء وأمكنه منه بمعنى »[٨] و « ووتّد وأوتد الوتد : ثّبته »[٩] .

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٤٣٦ ن ص ٦٨٩ .
(٢) المعتزلّي٨٣/٢٠ .
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٧ ، ص ٤٠٧ .
(٤) الخوئي ٩٦/١٣ .
(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٨٦ ، ص ١٣٩ .
(٦) المعتزلّي٣٥٢/٦ .
(٧) نفسه ٢٤٠/١١ .
(٨) انصاريان ١٤٥/٣ .
(٩) مغنية ٧٢/١ .

٣- **أفْعل بمعنى (فاعل) :** نحو: « أدهن وداهن كلّه بمعنى صانع »[١] .
٤- **أفعل بمعنى (انفعل) :** نحو: «أكمش : أسرع ومثله انكمش »[٢] . و« أفلت وانفلت بمعنى »[٣] .
٥- **أفعل بمعنى (افتعل) :** نحو: « أبلاه الله وابتلاه بمعنى اختبره »[٤] .
٦- **أفعل بمعنى (تفّعل) :** نحو: و«أخطأت وتخطّأت بمعنى »[٥].
٧- **أفعل بمعنى (استفعل) :** نحو: « أفاد المال : استفاده »[٦] ، و« أكثر كقولك : استكثر»[٧] ، و « الإعداد : التهيئة كالاستعداد »[٨] ، و «أعتبته واستعتبته ، أي : أرضيته »[٩] .

واجتماع مثل هذه الافعال ذات البنى المختلفة على معنى واحد مسألة فيها نظر، إذ أوردها الشّرّاح فرادى في بعض المواضع على عجل ودونما تدبّر ، بدليل عدم اطّرادها لديهم ، ثّم تصريحهم بالفرق الجلّي بين هذه الأمثلة في كثير من المواضع كما في قوله (ع): (نَحْمِدُه عَلَى مَا أَخَذَ وأَعْطَى وَعَلَى مَا أُبْلَى وابْتَلَى)[١٠] ،

فقد انفرد البحرانّي بأنّ أبلى وابتلى متّفقان في الدلالة على الاختبار[١١] ، وهذا مردود باجتماع الفعلين في سياق واحد . ومن هنا فّرق سائر الشّراح بينهما فخصّوا (أبلى) بالخير الحسن ، وخصّوا الابتلاء بالشّر والعذاب ، إذ يقال : « أبلاه الله بلاء حسنا بكثرة المال والصحة والشباب ، وابتلاه الله بالمرض والفقر والمشيب »[١٢] .

---

(١) الراونديّ ١٩٥/١ ، ٣٥٨/١ وينظر :الكيدريّ ٢٢٦/١ والبحراني ١٤/٢ والسرخسي ٦٢/١ .

(٢) المعتزلّي ٢٦٧/٦ .

(٣) السرخسي ٢٦٠/١ .

(٤) البحراني ٢٨٩/١ .

(٦) الراونديّ ٣٥٦/٢ . وينظر: البحراني ٣٢١/٣ .

(٧) عبده ٢٠٥/١ ، ١٧٨/٣ .

(٨) الكيدريّ ٣٨٨/٢ .

(٩) انصاريان ١٦٣/١ .

(١٠) الراونديّ ٤٢٨/١.

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١٣٢ ص ٢٣٩

(١٢) ينظر: البحراني ٢٨٩/١ .

(١٣) الراونديّ ٥٢/٢ وينظر : المعتزلّي ٢٦٨/٨ وعبده ٢٦٨/١ والخوئي ٢٩٤/٨ ومغنية ٢٧٤/٢ والشيرازي ٢٩٢/٢ وأبو الفضل ٣٠٦/١ والموسوي ٣٨٦/٢ .

ثانيا : معاني فّعل .

يأتي (فّعل) مضّعف العين للدلالة على عدّة معان هي :

١ - التكثير . وهي الدلالة الشائعة لأمثلة (فّعل) في العربية ، وهي التي أطبق الصرفّيون على الابتداء بها في تلّمس معاني هذا البناء التي تشيع أمثلته دالّة على تكثير الفعل ، نحو : طّوفت البلاد ، والمعنى كثّرت الطّواف ، وتكثير المفعول نحو : فتّحت الأبواب ، أي : كثّرت فتحها لأنها كثيرة[١] . وقد كثرت أمثلة (فّعل) لدى الشّراح بهذا المعنى فاتّخذت عدّة مسّميات أشهرها : التكثير والتكرير والمبالغة . وهذه المعاني صرح الشّراح بها في ما يشتق من باب

التفعيل . ومن أقوالهم في هذه المسألة : « عمس عليهم الخبر ، يجوز التشديد ويجوز التخفيف ، والتشديد يعطي الكثرة ويفيدها ، ومعناه :أبهم عليهم الخبر »[٢] . و« عبّر : رأى العبر مرات كثيرة لان فعّل يفيد التكرار والتكرير»[٣] . و« ذمر يروى بالتخفيف والتشديد ،وهو: الحث والحض ، والتشديد دليل التكثير والمبالغة لانهم يقولون : ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى »[٤] . و« المنصّح : المبالغ في النصيحة »[٥] . و« فعّل مشدد للتكثير ، قتلّت اكثر من قتلت »[٦] . ويبدو أن إفادة أمثلة (فعّل) معنى التكثير والمبالغة مسألة مطّردة لدى معظم الشّراح لكثرة تصريحهم بها[٧]. ويمكن القول : إنّ أمثلة (فعّل) دلالتها الرئيسه هي التكثير والتكرار، وكلّ المداليل الأخرى التي تلمسها ذوو الصنعة تندرج تحت هذه الدلالة الرئيسة وتنبثق منها وهذا مدرك جلّي في المعاني الأخرى .

وفي قوله تعالى:﴿ **فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ**﴾[٨] استعُمل اسم المفعول من المجرّد شاد يشيد كباع يبيع مع الواحد ،على حين استعُمل اسم المفعول من المزيد بالتضعيف (شيّد) مع الجمع الكثير في قوله تعالى: ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴾[٩] ليلائم المجرد الدلالة على الواحد ويلائم المزيد بالتضعيف الدلالة على الكثرة[١٠].

---

(١) ينظر : الكتاب ٥٥/٤ -٦٣ وادب الكاتب ٣٥٤-٣٥٥ واوزان الفعل ومعانيها ٧٤-٨٣ وابنية الفعل ٣٣-٣٤ والزوائد في الصيغ ٤٢-٤٤ .

(٢) المعتزلّي٢٤٤/٣ وينظر : الخوئي ٣٠٢/٤ .

(٣) الراونديّ٢٩/١ وينظر : المعتزلّي٢٥٦/٦ والخوئي ٣٨٢/٥ .

(٤) الخوئي ٣٠٨/٣ . (٥) البحراني ٣٨٣/٤ . (٦) المعتزلّي ٢١٧/٧ .

(٧) ينظر : الراونديّ١٤١/٢، ١٣٩/٢ ، ٣٩٧/٢ والكيدريّ ٩٤/٢ والمعتزلّي ٣٠٤/١ ، ١٦٩/٣ ، ٢٧٢/٦ والخوئي ٢٦/١٨ وعبده ٤٨/٢ وأنصاريان ٣١٨/١ .

(٨) الحج ٤٥ وينظر:الكشاف ١٧/٣ والبحر المحيط ٥٢٠/٧ . (٩) النساء ٧٨ وينظر: الكشاف ٥٤٥/١ والبحر المحيط ٧١٦/٣.

(١٠) ينظر : المعتزلّي٢٧٠/٨، ٢٥٨/١١ والخوئي ١١٨/١٧ والتستريّ١٠٥/١١ .

٢- الدخول في المكان أو الزمان المشتق منهما الفعل . يأتي (فعّل) في العربية بمعنى قصد المكان المشتقّ منه الفعل والنزول فيه نحو : كوّف ، أي : مشى إلى الكوفة، وفوّز وغوّر ، أي : مشى إلى المَفازة والغَور[١] . وممّا ورد منه لدى الشّراح : « غوّر ، أي : نزل الغائرة وهي القائلة ونصف النهار »[٢].

٣- التعدية . وهي دلالة صريحة مقرونة بالدلالة على التكثير والمبالغة لدى الشّراح ومنها: لَبس الأمُر ولّبسته على فلان ، وكذا صارت وصّيرها، وداث ودّيثه ، وذلّ وذلّله وغير ذلك[٣] .

٤- الاتخاذ . وأمثلتها تلحظ لدى الشّراح من أقوالهم في ما اشتق من باب التفعيل كقول بعضهم : « اتخاذ الفعل من الاسم نحو: خيّم القوم ضربوا خياما »[٤] ، و«موطّنين اكناف دجلة ، اي : متخذين حوالي هذا النهر وطنا ، يقال :

اوطنت البقعة ووطنتها واستوطنتها ، اي : اتخذتها وطنا »[٥] ،و« يوطّن ، اي : يتخذ وطنا »[٦] ، و« عبّده بالتشديد ، اي : اتخذه عبدا »[٧] ، و « جنّب عنه : اخذ عنه جانبا »[٨] .

٥-العدّ . وهي دلالة لم اجد الصرفيين يذكرونها ولكنها صريحة لدى بعض الشّراح لما وقف على قوله (ع) : (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمانٌ لا يُقَرَّبُ فِيهِ إلاّ المَاحِلُ ، وَلا يُظَرَّفُ فِيهِ إلا الفَاجِرُ ، وَلا يُضَعَّفُ فِيهِ إلا المُنْصِفُ)[٩]. فمعنى « لا يُظَرَّفُ فِيهِ ، أي : لا يُعَدّ ظَرِيفا ، ومن هذا قوله : لا يُضَعَّفُ ، أي : لايُعَدّ ضَعِيفاً »[٩] .

٦- نسبة المفعول إلى معنى الفعل . مثّل الصرفيون لهذه الدلالة بـ كذبته : اذا نسبته الى الكذب ، وكفرّته : إذا نسبته إلى الكفر ، وفسّقته : إذا نسبته إلى الفسق[١٠] . وأمّا في شروح النهج فلها عدّة أمثلة ، منها ما في قوله (ع) يذكر الحرب : (فَلَمّا ضَرَّسَتْنَا وإيّاهم ...)[١١] ، فالمعنى لدى الشّراح : عضّتنا بأضراسها ، وفيه نسبة المفعول (نا) الى (الضرس)[١٢] ، وكذا ما في قوله (ع) يصف الدنيا : (وعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَناخِرِ)[١٣] ، والمعنى ألصقت أُنوفهم بالعفرِ وهو التُّراب ، وفيه نسبة المفعول (هم) إلى العفر[١٤] . ولم يصرحْ معظم الشّراح بهذه الدلالة ، وإنما هي مفهومة من أقوالهم ، بل إنّ فريقا منهم حمل معنى (ضرّس) ، و(عفرّ) على المبالغة[١٥] .

---

(١) ينظر : اوزان الفعل ٨٠ .

(٢) البحراني ٣٣٠/٤ وينظر : عبده ١٤/٣ .

(٣) ينظر: البيهقي ١١٦/١والراونديّ ١٣٢/٢ والمعتزلي ٢٧/٢ والبحراني٣١/٢ وأنصاريان ١١٨/٣.

(٤) اوزان الفعل ٧٨ .

(٥) الكيدريّ ٢٩٩/١ وعبده ١٢١/١ .

(٦) البحراني ٣٣/٥ .

(٧) المعتزلّي ٣٨٨/١٨ .

(٨) نفسه ٤٠/١١ .

(٩) السامرائي ٣٢٤ . وينظر: المعتزلّي ٢٦٠/١٨ .

(١٠) ينظر: دروس في التصريف ٧٣ .

(١١) نهج البلاغة ر٥٨ ص :٥٧٤ .

(١٢) ينظر : المعتزلّي ١٤٢/١٧ ، ٣١/١٠ .

(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ١١١ ص:٢٠٨ .

(١٤) ينظر : المعتزلّي ٢٣٥/٧ ، ١٥١/١٣ والخوئي ٣٠٢/١١ .

(١٥) ينظر: المعتزلّي ٣١/١٠ والسرخسي ٢٧٥/١ والخوئي ٣٠٢/١١ وانصاريان٢٨١/٣ .

٧- السلب . ومن أمثلته التي أقرّها الصرفّيون : قرّدت البعير وجرّبته ، اي : أزلت عنه القُراد والجَرب . وقشّرت الفاكهة : إذا أزلت قشرها[١] ، وهو في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** ﴾[٢] ، أي : أزل عنهم الحرض وهو فساد البدن[٣] . وأما الشّراح فقد وردت هذه الدلالة لديهم لما وقفوا على قوله (ع) في تهذيب الفقراء : (واخْشَوْهُ خِشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ)[٤] ، فالتعذير بمعنى إزالة العُذر ، قال السامرائي : «عذّر الرجلُ اي لم يكن له عذر ، والمراد اخشوه خشية ليست بمتأتيّة عن ذنب يلزمه الاعتذار عنه ، وكأنّ التضعيف في عذّر لإفادة السلب ، مثل : قشّر ، و فرّع ، ومرّض ونحو ذلك »[٥] ، وسمّى بعضهم هذه الدلالة بالخدمة إذا كان سلب الفعل من العقلاء ، قال عبده : « علّل المريض خدمه في علته كمرّضه خدمه في مرضه »[٦] ، وقد يومئ الشّراح الى هذه الدلالة ايماء ولا يصرحون

بها ، من ذلك قول المعتزلّي: « المسهدّ : الممنوع النوم وهو السهاد »[٧] ، وتفصيل هذا القول هو ان المسهدّ اسم مفعول من سهد بمعنى زال سهاده أي نومه .

٨- **الجعل .** من ذلك : « قلّده الامر : جعله في عنقه كالقلادة »[٨] ، و « حرّرها : جعلها حرة »[٩]. و« يقال : حكّم الله زيدا ، اي : جعله حاكما وقاضيا بين الناس »[١٠] . و «حقّر الدنيا وصغّرها وهّونها : جعلها حقيرة صغيرة هّينة »[١١] ، و « هّينوا الطريق : جعلوه ذهّيوسهّ لوه في زعمهم »[١٢] وغير ذلك[١٣] .

٩ - **اختصار حكاية الفعل .** يأتي الفعل المزيد عموما اختصارا لحكاية او جملة ، وهو كثير في (فّعل) نحو : (كّبر ، سّبح ، لّبى) اذا قال : (الله أكبر)، (سبحان الله)، (لّبيك اللهّم لبيك)[١٤] ، ومن أقوال الشّراح : « يهللّون ، أي : يقولون : لا إله إلا الله »[١٥].

---

(١) ينظر: دروس التصريف ٧٣ - ٧٤ .

(٢) الأنفال ٦٥

(٣) ينظر: الكشاف ١٦٧/٢ والبحر المحيط ٣٤٩/٥.

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣ ص:٥٤ .

(٥) السامرائي ٢٥٦ .

(٦) عبده ١٨٥/٣ .

(٧) المعتزلّي ٢٤٦/١١ .

(٨) الراونديّ ١٨٦/٣ وينظر:الخوئي ٢٤٧/٢٠ والشيرازي ١٧١/٤.

(٩) الكيدريّ ٤٢٦/٢ وينظر: المعتزلّي ١٤٧/١٥ والبحراني ٤٩١/١ والخوئي ٣٦٩/١٨ ومغنية ٤٤٣/٣ .

(١٠) الرواندي ٤١/٢ وينظر: المعتزلّي ١٠٤/٨ والبحراني ١٢٨/٣ .

(١١) البحراني ٢٨٦/٣ وينظر :الخوئي ٣٧٢/٩ .

(١٢) التستريّ ٤٤٣/٦-٤٤٤ .

(١٣) ينظر: السرخسي ١٧٢/١ .

(١٤) ينظر : الواضح في علم الصرف ٩٤ .

(١٥) البحراني ٣٦٢/٤ وينظر : عبده ٢٥/٣ .

١٠ -**الطّلب** : نحو: « قّرره : طلب منه الاقرار »[١] .

وورد في متن النهج اجتماع (فّعل) و (أفعل) في سياق واحد هو قوله (ع) : (حَقَّرَ الدُّنيا وصَغَّرَها ، وأَهْوَنها وهَوَّنها)[٢] ، وفسر الشّراح هذا الاقتران بين (فّعل) و(أفعل) بأنه أعلى درجات المبالغة ، ونقل بعضهم قول ابن قتيبة : « تدُخل فعَّلت على أَفعلت إذا أردت تكثير العمل والمبالغة ، تقول : أَجْودت وجوَّدت ، وأَغْلقت الأبواب وغلقَّت ، وأَقْفلت وقفَّلت ... »[٣] .

وقد سبقت الإشارة إلى تقريب الشّراح الدلالة بين أمثلة (أفعل وفّعل) ، ولم يكتفوا بذلك بل يلحظ مثل هذا التقريب في دلالات الأفعال ذات الأبنية المختلفة بين فّعلى وغيره من أبنية المزيد بحرفين نحو : « الوسيلة ما يتقّرب به ، ويقال :

وسّلت إليه وتوسَّلت إليه بمعنى »[٤] ، وخلص بعضهم إلى أنّ « فعّل بمعنى تفعّل واسع ، يقال : وجّه بمعنى توجه ، وقدّم بمعنى تقدّم ، ونبّه بمعنى تنبّه ، ونكّب بمعنى تنكّب »[٥] . وفسّر بعضهم « عبّده واستعبده بمعنى واحد »[٦] . و« شبّهت : اشتبهت وأوقعت الشبهة »[٧]. ومسألة تفسير (فعّل) بغيره من أبنية المزيد بعيدة ومردودة بأنّ كلّ زيادة في المبنى موجبة لزيادة في المعنى ، فضلا عن أنّ اختلاف الأبنية منبئ باختلاف المعاني ، وهذا ما اقرّه بعض الشّراح في أقوالهم ، نحو : «ولّت : أدبرت ، وتولّت : أعرضت »[٨] .

---

(١) مغنية ١٦٩/٥ والبحراني ١٠/٥.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ، ص ٢٠٣ .

(٣) التستريّ ٤٤٣/١ .

(٤) المعتزلّي ٤٢٩/٦ .

(٥) الخوئي ١٧٣/١٨ .

(٦) المعتزلّي ٣٨٨/١٨ .

(٧) البحراني ٤٥/٢ .

(٨) الكيدريّ ٢٥٩/١ .

ثالثا : معاني فاعل .

فاعل بناء فعلّي تدل أفعاله على عدة معان[١] ، أورد منها الشّراح المعاني الآتية :

١ -**المشاركة .** وهو المعنى الغالب في أمثلة (فاعل) وفيه يقع الفعل من فاعلين في المعنى ، وفي النحو يكون الفاعل هو المرفوع والمفعول هو المنصوب ، قال المعتزلّي: « المفاعلة تدل على كون الفعل بين الاثنين كالمضاربة والمقاتلة »[٢] . وقد انماز البحراني بكثرة التصريح بدلالة أمثلة باب المفاعلة على المشاركة ، ومن أمثلتها الواردة في النهج ما في قوله (ع) في ذم التكّبر: (...فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ)[٣] . فـ « المساورة : المواثبة ، وإنما أتى بوزن المفاعلة باعتبار أنّ الفعل القبيح لا بد فيه من ممانع كواضع

الشرع والعرف فيتوهم فيه معنى المواثبة »[٤]. وكذا ما في قوله (ع): (لا يُقِيمُ أَمْرَ اللهِ سُبحانه إِلا مَنْ لا يُصَانِعُ وَلا يُضارِعُ وَلا يَتَّبِعُ الطَّمَعَ)[٥] . فـ « المُضارعة : فُعاعلة من الضَّرَع وهو الذّلة كأن كلاً منهما يضرع للاخر، وظاهر أن مصانعة الآخر تستلزم طلب رضاه وذلك يمنع من إقامة حدود الله »[٦] . وكذا ما في خطبة الرضيّ في مقدمة النهج: « وعاقت عن إتمام بقّية الكتاب محاجزات الأّيام ومماطلات الزّمان »[٧] ، وفيه : « المُحاجزات جمع مُحاجزة وهي المُانعة من الطّرفين كأنّ الأّيام ممانعة عن العمل وهو يمانعها منعها له ، والمماطلات جمع مماطلة مفاعلة أيضا من الطرفين كأنّ الزمان لاغتراره بطوله يعِدُه بإنجاز العمل فيخلف . وكأّنه لطولِ أمله يعِدُ الزمان بوقوع العمل فيه فيخلف »[٨]. ومنها : « المناصبة : المعاداة والمقابلة في الحرب لأن كلاً قد نصّب نفسه وشّره للآخر »[٩] . و « المُزايلة : المُفارقة وهي مُفاعلة من الطّرفين »[١٠] . و « المُوافقة مفاعلة من الطرفين »[١١] . وسمى بعضهم المشاركة بـ (المقابلة) ، قال السامرائي في قوله (ع) :(إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ)[١٢]: « أقول : والمساماة هي المقابلة في السّمو ، والفِعل بناء (فاعل) من السُّمو والمصدر مفاعلة »[١٣]. وغير هذا كثير[١٤] .

---

(١) ينظر : الكتاب ٦٨/٤ واصلاح المنطق ١٤٤ والمفصل ٢٨١ واوزان الفعل ٣٢٤ ودروس التصريف ٧٢.

(٢) المعتزلّي ٢٧٤/١٨ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٤) البحراني ٩٦/١.

(٥) نهج البلاغة : الحكمة ١١٠ ، ص ٦٢٠ .

(٦) البحراني ٢٧٧/٥ .

(٧) نهج البلاغة ١٠

(٨) البحراني ١٢٤/١ .

(٩) نفسه ٢٢٤/٤ .

(١٠) نفسه ١٤٣/١ .

(١١) نفسه ٣٨٨/١ .

(١٢) نهج البلاغة ر ٥٣ ص:٥٤٦

(١٣) السامرائي ٣٤٠ .

(١٤) ينظر: المعتزلّي ٩٠/١٥ وأنصاريان ٢٣٢/١ وعبده ١٤٨/٢ و ١٩٨/١ والشيرازي ٣١٨/١.

٢ - الصيرورة . نحو: « ظاهر : إذا صار ظهرا ، أي : بعيدا »[١]. و « جاهَرَتْكُم العِبَرُ ، أي : صارت شَيْئا جهيرا صريحا لكُم »[٢] .

٣ - الجعل . نحو : « لاءم بين مختلفاتها ، أي : جعلَ المختلفاتِ متماثلاتٍ »[٣] و « آسِ بينهم : اجعلهم أُسوة »[٤].

٤ - المبالغة . نحو : « خابطَ الغيَّ : كأّنه جعله والغّي متخابطين ، يخبط أحدهما في الاخر ، وذلك أشّد مبالغة من أن يقول : خبط في الغي »[٥] فجاء « ذكر المخابطة هنا للمبالغة من كلا الجانبين »[٦] .

وقد ألمح بعض الشراح[٧] الى أنّ أمثلة (فاعل) لاتتخلّى عن المشاركة وإن بان غلبة أحد الفاعلين على صاحبه كأنْ يكون الفاعل هو (الله) مثلا كما في قوله (ع) : (قاتلَكُم الله)[٨] ، فهذا دعاء عليهم بالموت لانّ خصمهم في القتال هو الله تعالى ، وإنّما جيء بباب المفاعلة ؛ لأن الأصل في القتل ان يكون من الجانبين ، فكلٌّ يريد قتل الاخر ، أو إنه

شّبه إرادة الله موتهم وإرادتهم عدم الموت بالمقاتلين الذين يريد أحدهما قتل صاحبه ويريد الصاحب مثله ، وأصل القتال يكون من طرفين كلّ يريد قتل صاحبه وإن كان هذا المعنى مفقودا في هذا المثال ، وفي قوله تعالى : ﴿ **قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾[٩] . ويفهم من هذا أن المعنى الجامع لأمثلة باب المفاعلة هو المشاركة التي قد تكون ظاهرة إذا كانت بين متماثلين ، وقد تكون خفية إذا كان ثّمة بون كبير بينهما كما في :(قاتلكم الله) الذي هو دعاء عليهم بأن يقابلوا ويقاتلوا أعظم قوة في الوجود .

---

(١) عبده ٣٤/٣ .

(٢) نفسه ٦٧/١ .

(٣) المعتزلّي٨١/١ .

(٤) نفسه ١٦٤/١٥ .

(٥) نفسه ٣٣١/١ .

(٦) انصاريان ١٢٠/١ وينظر : البحراني ١٤/٢ والسامرائي ١٤٦ .

(٧) ينظر: الشيرازي ١٥٥/١ و ٢٧٦/١ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ ص :٦٣ ، خ ٧١ ص :١٠٩.

(٩) التوبة ٣٠ وينظر: الكشاف ١٨٥/٢ والبحر المحيط ٤٠٢/٥ .

المطلب الثالث : دلالة الفعل المزيد بحرفين فأكثر.

أولا : معاني انفعل[١]

١- **المطاوعة .** أطبق الصرفّيون على أنّ لهذا البناء معنى رئيسا هو المطاوعة ، نحو : صرفته فانصرف ، وقَسمته فانقسَم ، وكَسرته فانكسَر ، وهَدمته فانهدَم ، ومعنى المطاوعة هو : إنّ أثر الفعل يظهر على مفعوله فكأنّه استجاب له . ولاحظوا أنّ هذا البناء خاصّ بالافعال الثلاثّية العلاجّية التي تدلّ على عمل وحركة ، أما الافعال الباطنية من غير الثلاثي فلا تكون مطاوعتها بانفعل ، فلا يقال : أحكمته فانحكم ، ولا علّمته فانعلَم . واشترطوا في هذا البناء أن لا

تكون فاء الفعل لاما او راء او واوا او نونا او ميما[٢] . وجاء في متن النهج (انفعل) فاؤه ميٌم كـ(انمحى وانماث) وغير ذلك ، وهذا يردّ بعضا من شروط الصرفيين في اشتقاق هذا البناء الفعلي .

وقل لديهم مجيء (انفعل) لغير المطاوعة كما جاء في كتاب سيبويه في باب ما لا يجوز فيه فَعلته من نحو : انطلق ، وانجرد ، وانكمش ، وانسل ، قال : « وهذا موضع قد يستعمل فيه انفعل وليس مما طاوع فَعلت »[٣] . ولتحقيق معنى المطاوعة اشترط الصرفيون أن يكون الثلاثي منه متعدّيا، واسقط بعضهم هذا الشرط بقوله : « ماذا يقول هؤلاء في انكدرت النجوم ، وانزعج فلان ، وانداح البطن ، وانباع العرق ، وانشمر ، وانساح ، وعشرات غيرها »[٤] . وخالف الدكتور مصطفى جواد جمهور الصرفيين في إقرارهم معنى المطاوعة لأمثلة انفعل بحجّة أنّ العرب لم تسمع إعرابيا فصيحا استعمل في كلامه نحو : كسرت العود فانكسر[٥]. واستقصى الدكتور هاشم طه شلاش هذه الظاهرة في الشعر العربي الفصيح فجمع منها عدة شواهد تدلّ على استعمال العرب هذه الظاهرة في كلامهم واستحسانهم إياها في تأكيد المعنى وإيضاحه[٦] .

---

(١) ينظر : الكتاب٤/٧٦ -٧٧ والمنصف١/٧٢ وشرح المفصل٧/١٥٩.

(٢) ينظر : شرح الشافية١/١٠٩ ودروس التصريف٧٦ واوزان الفعل٨٧-٨٩ ،١٥٧-١٥٩ والمغني في تصريف الافعال١٤٤.

(٣) الكتاب٢/٢٤٢ .

(٤) اوزان الفعل ٨٧ .

(٥) ينظر: المباحث اللغوية في العراق ١٧

(٦) ينظر: أوزان الفعل ٨٨-٨٩ .

ومن أمثلته لدى الشّراح ما في قوله (ع) يذّم الدنيا : (قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ)[١] . وقوله (ع) يذكر آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) :(بِهِمْ عَادَ الحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ وانْزَاحَ البَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ وانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبَتِهِ)[٢] . وقوله (ع) في الاستسقاء :(اللّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا)[٣] . وقوله (ع) يصف بعضهم :(لا يَنْزَجِرُ مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ)[٤]. فانسلّ مطاوع سَلَلْتُهُ ، وانقطع مطاوع قَطَعته ، وانزاح مطاوع زِحْتُهُ ، وانصاح مطاوع صاح الثّبت إذا جفّ وفيه دليل على جواز المطاوعة من اللازم[٥].

٢-الدخول في الزمان أو المكان . ومنه ما في قوله (ع) : (وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ)[٦] ، والمعنى لدى الشّراح جميعا هو : دخلتم في الفجر[٧] . واستظهر بعضهم رواية (أفجرتم) بدلا من (انفجرتم) ؛ لأنّ (انفعل) الكثير فيه هو

المطاوعة ، والقليل فيه أن يفيد الدخول في الزمان . اما (أفعل) فيدلّ على معنى الدخول في الزمان كثيرا نحو : أضحى وأمسى وأصبح وغيرها[٨] . ومن أمثله الدخول في المكان ما جاء في قوله (ع) : في ذّم بعض أصحابه لقعودهم عن قتال أهل الشام :(وَانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ في جُحْرِها)[٩] . فقوله : « انجحر أي دخل الجحر ، وهذا الفعل يندرج في الأفعال التي تعتمد في اشتقاقها على المكان والموضع »[١٠] .

وورد لدى الشّراح مجيء (انفعل) بمعنى نظيره في الاشتقاق المزيد بحرفين أو ثلاثة ، من ذلك « انغلق واستغلق إذا عسر فتحه »[١١] . و « انفعل واستفعل واحد ، نحو انكفى واستكفى »[١٢] . و « انجلى الشيء وتجلّى اي انكشف وظهر »[١٣] . ولم يشيروا الى معنى المطاوعة في هذه الأفعال مع أنّه ظاهر بيّن فيها .

---

(١) نهج البلاغة ر ٤٥ ص :٥٣٣ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣٩ ص :٤٥٤ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١١٥ ص :٢١٥ .

(٤) نهج البلاغة ك الخطبة ١٠٩ ص ٢٠٠.

(٥) ينظر :الكيدريّ ٥٥٣/١ والمعتزلّي ٢٠٨/١ ، ٢٦٣/٧ والبحراني ١٠٥/٣ ، ٣١٢/١وعبده ٤٤/١ والخوئي ١١٧/٣ ، ١٠ /٥٨ ومغنية ١٩٥/٢ والموسوي ١٢٠/١ ، ٢٩٩/٢ والشيرازي ١٨٨/٢ ، وأنصاريان ٣٩٥/١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٤ ص:٣٤

(٧) ينظر: الرواندي ١٣٧/١ والكيدريّ ١٧٣/١ والمعتزلّي ٢٠٨/١ -٢٠٩ والبحراني ٢٧١/١ وعبده ٤٣/١ والخوئي ١١٧/٣ ومغنية ١٠٠/١ وأبو الفضل ٣٧/١ وأنصاريان ٨٢/١ والشيرازي ٧٧/١ والموسوي ١٢٠/١.

(٨) ينظر: المعتزلّي ٢٠٩ والخوئي ١١٧/٢.

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٦٩ ص ١٠٧

(١٠) السامرائي ١٠٥ وينظر : البحراني ١٩١/٢ والشيرازي ٢٧١/١ ومغنية ٢/ ٧٩ .

(١١) انصاريان ٢٠٣/١ . (١٢) البحراني ٤٠٣/١ . (١٣) انصاريان ١٩٥/١ .

ثانيا : معاني افتعل[١] .

١ - الجعل . وهو المعنى المبرز في أمثلة (افتعل) من النهج كما في أقوال الشّراح : «ارْتَحَلَ البعيرَ حطّ عليه الرَّحْلَ فجعله كالراحلة »[٢] . و« ائتّم فلانٌ بفلانٍ ، اي : جعله إماما »[٣] . و« احتبلهم ، اي : جعلهم مقّيدين بالحبال »[٤] . و « ارتهن أنفسهم ، أي : جعل أنفسهم رهنًا »[٥] . و « اعتقد : جعل لنفسه عُقدة كالذخيرة من المال »[٦] . و « مرتفق لخدَّيه ، أي جاعل : مِرفقيه تحت خدَّيه كالنادم »[٧] .

٢ - الاشتراك . وهو معنى ألمح إليه الشّراح في معظم المواضع وذلك بقرن أمثلة باب الافتعال بنظائرها من بابي التفاعل الذي يدل على الاشتراك ، والفرق بين الاشتراك والمشاركة التي هي الدلالة الرئيسة في باب المفاعلة هو أن

الاشتراك في باب الافتعال - وكذا التفاعُل الآتي - بين جماعة كلّهم فاعل لفظا ومعنى على حين تكون المشاركة في باب المفاعلة بين اثنين فاعلين في المعنى دون اللفظ[٨]. ويتّضح الاشتراك في أقوال الشّراح : « ارتمى القوم : اذا تراموا بالّنبال »[٩] . و« انتجى القوم وتناجوا ، اي : تسارّوا »[١٠] . و« اقتسموا المال بينهم ، اي : تقاسموه »[١١] . وصرّح بعضهم بحمل الافتعال على التفاعل في مسألة الإعلال فقال : « انّما ظهرت الواو في اعتور لانه في معنى تعاوَر فُبنى عليه ... لانّ التعاُور يستدعي الضدّين معا »[١٢].

٣- الاتّخاذ . ومن أمثلته ما في قوله (ﷻ) في خلق آدم : ﴿وَجَوارِحَ يَخْتَدِمُها﴾[١٣] ، وفيه « جوارح يختدمها : أي يتَّخذها خوادم »[١٤] ، و« الفعلُ اخْتدم كأنّه يفيد أنّ الانسان يتّخذ من جوارحه خدما له فهو يختدمها »[١٥] . ومن أقوالهم فيه - أيضا - : « الانتباذ : التنحّي واتّخاذ مكان بعيد »[١٦]. و« المحتجبة بصيغة الفاعل ، اي : المتّخذة لنفسها حجابا ، ففائدة الافتعال الاتخاذ »[١٧] . و « اكتنز العلم ، اي : اتّخذه كنزا »[١٨] و « ادَّرعه : لبسه كالدّرع »[١٩] كأنّه اتّخذه درعا له.

---

(١) ينظر: ديوان الأدب ٤٢٠/٢ والمبدع في التصريف ١١٥ وأوزان الفعل ٨٩- ٩٤.
(٢) انصاريان ٢٨٤/١ وينظر :عبده ٢١١/١ .
(٣) المعتزلّي ٤٠٤/٦ .
(٤) انصاريان ١٥٤/١ وينظر: عبده ١٠٩/١.
(٥) البحراني ٣٧٣/٣ .
(٦) المعتزلّي ٣٠/١٤. وينظر: عبده ١٧٢/٣ .
(٧) البحراني ٢١١/٤ .
(٨) ينظر: دروس التصريف ٧٤.
(٩) المعتزلّي ٤٠٨/٦ وينظر: الخوئي ٣٠٤/٦ .
(١٠) المعتزلّي ٢٤/٧ .
(١١) الشيرازي ٧٠/٢ .
(١٢) المعتزلّي ٨٢/١٠ وينظر : ٣١/٧ .
(١٣) السرخسي ٤١/١ .
(١٤) السامرائي ١٤٧ .
(١٥) انصاريان ١٥٣/١ .
(١٦) الخوئي ٣٠٦/٦ .
(١٧) المعتزلّي ١٩٦/١٦ .
(١٨) نفسه ٢٨٤/١ .
(١٩) البحراني ٢١٤/٤ .

٤- الصيرورة . نحو : « اعترض الشكّ : صار عارضا ومانعا »[١]. و« تكترِش من أعلافها : أي صارت منه ذات كرش »[٢] .

٥-الاظهار. وهو معنى عبر عنه الشّراح – أيضا- بألفاظ أخرى منها الإتيان والإصابه وغير ذلك ، نحو : « احتجّ : أتى بالحُجّة ، أي : أظهرها »[٣]. و « يختال : يصيبه الخيلاء »[٤]. و « اغتّر آدم عدّوه الشيطان ، بمعنى : أظهر الغرور له »[٥] .

٦-**المطاوعة .** كما في قول بعضهم : « التوى وتلّوى بمعنى وكلاهما مطاوع لويت »[٦]. وقول الآخر : « الزجر: النهي والمنع ، زجر، اي : منع ، وازدجر مطاوع ازدجر ، اللفظ فيهما واحد ، تقول : ازدجرت زيدا عن كذا فازدجر هو ، وهذا غريب ، وإنما جاء مطاوع ازدجر في زجر لانهما كالشيء الواحد . »[٧] .

٧- **الطلب .** كما في قول بعضهم : « احتسبت كذا عند الله ، اي : طلبت بِهِ الحِسبة بكسر الحاء وهو الاجر»[٨]. وقول الآخر: « ارتأى في الأمر: اذا فكّر فيه طلبا للرأي الأصلح . وهو افتعل من رأى ، والافتعال يستعمل في من يفعل شيئا لنفسه كالاكتساب والاكتمال وما شاكلهما »[٩] . وكذا : « الاقتراب : طلب القرب »[١٠] ، و « الارتياد طلب ما يراد »[١١] وغير ذلك[١٢] .

٨- **المبالغة .** كما في قول بعضهم : « احتصد ابلغ من حصد »[١٣] ، وقول الآخر : « ارتسخت أسماؤهم مثل رسخت ، كأنّها اقوى في الرسوخ بسبب الزيادة »[١٤] وغير ذلك[١٥] .

---

(١) الموسوي ٧٥/١

(٢) الرواندي ١٥١/٣ وينظر: المعتزلّي ٢٨٨/١٦

(٣) الموسوي ٤٠٢/١

(٤)البحراني ٣٠٧/٣.

(٥) مغنية ٥٢/١ وينظر:التستريّ ٥٩٠/١ .

(٦) الراونديّ٣٤/٢ .

(٧) المعتزلّي٢٥٦/٦ .

(٨) البحراني ٧٢/٥ .

(٩) انصاريان٦٤/١ .

(١٠) انصاريان٣٥٩/١ . (١١) عبده١٦٩/١ .

(١٢) ينظر : المعتزلّي ١٣٠/٩ والبحراني ٢٢٤/٣ ، ١٤٧/٤ والسرخسي١٨٥/١ وانصاريان١٠٨/١.

(١٣) الراوندي ٧٤/٢ .

(١٤) السرخسي ١٨٧/١

(١٥) ينظر: الراونديّ٧٤/٢ والمعتزلّي ٢٤٩/٦ ، ٤٤٠/٦ ، ٢٣/١٨ والبحراني ١٣٩/١، ٣٩٦/٤ وعبده ١٦/١ ، ١٦٦/١ ، ١٧/٢ ومغنية١٤٣/٢ والشيرازي٢٧٩/٢ والسامرائي ١٧٦ .

ثالثا : معاني تفاعل[١]

١- **الاشتراك .** ومن أمثلته **:** تداكّ النّاسُ ، تزاحموا وكأنّ في ازدحامهم تدافعا بحيث يضرب أحدهم الآخر بجنبه[٢] وتواكل القوم : اتكّل بعضُهم على بعض ، وتخاذلوا ، أي : خذل بعضُهم بعضا[٣] . وتواصَفوا الشيء : وصفه بعضُهم لبعض[٤] . وتناصف القوم : انصف بعضُهم بعضًا ، والتناصُف تفاعُل يكون بين اثنين أو أكثر وهو أن أنصفك من

نفسي وتنصفني من نفسك[٥]. والتصاُول : أن يحمل كلّ واحد من القرنين على صاحبه[٦]. وتخادع القوم إذا استغفل كل واحد منكم صاحبه وخدعه[٧] . والتحاضّ : تفاعل يستدعي وقوع الحضّ وهو الحث من الجهتين ، اي : يُحثّ بعضهم بعضا[٨] ، وغير ذلك .

٢ - الإظهار . نحو : تبارك الله ، تفاعل من البركة وهو بمعنى الاتيان بها او إظهارها[٩]. وتعايى أهلُهبصفة دائِه ، أي : بدا منهم العيّ[١٠] . وتغابى : أظهر الغباء[١١] . والتغاير: إظهار الغيرة على المرأة[١٢] . والله تعالى لم يتناه في العقول ، أي : لم تظهر نهايته فيها لأنّها أعجز من أن تقدّره تعالى[١٣] . والمتناسون الذين يظهرون نسيان الشيء تكلّفا كما يقال : تمارض و تمّوت[١٤].

---

(١) ينظر: ديوان الأدب ٤٧٣/٢ وشرح الشافية ١٠٠/١ والمغني في تصريف الأفعال ١٣٨ -١٣٩ ودروس التصريف ٧٦.
(٢) ينظر: عبده ٥٩/٣ والسامرائي ١١١
(٣) ينظر: انصاريان ١٣١/١ .
(٤) ينظر: نفسه ٤٥٥/٢ .
(٥) ينظر: السرخسي ١٨٣/١ ومغنية٤٢٠/٤ .
(٦) ينظر: المعتزلّي٣٣/٤ .
(٧) ينظر: المعتزلّي١٦٨/٣ .
(٨) ينظر: المعتزلّي٣/١٣ والسرخسي١٩٢/٨ .
(٩) ينظر: المعتزلّي١٩٣/٧ وانصاريان٣٢٨/١ .
(١٠) ينظر: الراوندّي ٤٢٧/١ والمعتزلّي٦١/٧ .
(١١) ينظر: المعتزلّي١٦٦/١١ .
(١٢) ينظر: نفسه٣/١٦ .
(١٣) ينظر: عبده ٦٩/٣ ومغنية٢٥٠/٥ .
(١٤) ينظر: انصاريان٢٧٤/١ .

٢ - الصيرورة . كما في قول بعضهم : « تواخى الناس : صاروا إخوة ، والأصل تآخى الناس فأبدلت الهمزة واوا »[١] .

٢ -المبالغة . نحو : تمادى فلان : تفاعل من المَدى وهو بلوغ الغاية فيه ، أي : لم يقف بل مضى قُدُما[٢].

٥ - التكلّف . نحو : تحامل على نفسه : إذا تكلّف حمل الشيء على مشقّة[٣] .

٦ -المطاوعة : نحو : حتّ القشرة ، أي : فركها لتسقط ، وتحاتّ الورق مثل انحتّ كلاهما مطاوع حتّ[٤] .

٨- **بمعنى تفّعل :** نحو : تكاءَدنا الأمُر وتكأّدنا ، بمعنى : شقّ علينا ، ومنه عَقَبَةٌ كَؤود . ومثله تعهدّ الضيعة وتعاهدها[٥] . وفّرق أكثرهم بين أمثلة التفاعل والتفعل بأن « التكاثر أقلّ من التكثر » [٦] ، «والتعهدّ للضيعة أفصح والتعاُهد انّما يكون بين اثنين »[٧] .

---

(١) المعتزلّي٩٢/٧ .

(٢) ينظر: نفسه ٨١/١٥ .

(٣) ينظر: الراونديّ١٦٧/٢ .

(٤) ينظر: السامرائي ١٢١ .

(٥) ينظر: البيهقّي٣٢١ والمعتزلّي١٦١/١١ ، ٩٢/١٣ والبحراني ٤٧/٣ .

(٦) الراونديّ٢٤٩/٢ .

(٧) الكيدريّ١٦٥/٢ .

رابعا : معاني تفّعل[١]

١- **التجنب .** وقد ذكر الشّراح لهذا المعنى عدة أسماء أخرى منها : الإزالة والفرار والخوف والخشية والترك . ومن أقوالهم فيه : « لا يتأثّم ، اي : لا يخاف الإثم . »[٢] . و« التذمُّم : الفرار من الذّم »[٣] . و«التحرّج : مجانبة الحرج ،

أي : الضّيق ، يقال :تحرّج ، أي : فعل فعلا جانب به الحرج ، كما يقال : تحنّث إذا فعل ما يخرج به عن الحنث ، وللعرب أفعال تخالف معانيها ألفاظها ، قالوا :تحرّج وتحنّث وتأثّم وتهجّد إذا ترك الفعل »[٤] .

٢ - الادّعاء . نحو : «تجرّمت على فلان : ادّعيت عليه جرما وذنبا »[٥] . و« التجّنى : دعوى الجناية على من لم يفعلها »[٦] .

٣ - بمعنى فعّل . نحو: « لم يتشّعبهم ريب المنون ، اي : لم يفرّقهم الموت ، وتشّعب بمعنى شّعب »[٧] . و«تولّت وولّت ، كلاهما بمعنى واحد ،أي : أدبرت هاربة »[٨] . و« تجلى بمعنى جلّى ، نحو : حدّث وتحدّث »[٩] .

٤ - الاظهار. نحو: «يتعلّل : يظهر العِلّة أو يشغل نفسه بالاباطيل »[١٠] .

٥ - التدّرج . نحو : « التمرُّز : الامتصاص قليلا قليلا »[١١]. و« التسقُّط في الخبر: إذا أخذه قليلا قليلا »[١٢] وتوّردت الخيل : من الورود ، أي : وردت شيئا بعد شيء[١٣]. و« التقمُّم : تتبُّع القمامة وهي الكناسة »[١٤] و « التصرُّم : تقضّي الأمر شيئا فشيئا »[١٥] .

---

(١) ينظر: ديوان الأدب ٤٦٥/٢ -٤٦٦ والممتع في التصريف ١٨٣/١ ودروس التصريف ٧٥ وأوزان الفعل ٩٤ -١٠١ والمغني في تصريف الأفعال ١٤٠ -١٤٤.

(٢) البحراني ٢١/٤ وينظر: وعبده ٢١٠/٢ والسامرائي ٦٦ .

(٣) السامرائي ١٦٨ وينظر:مغنية٩٣/٦ .

(٤) الخوئي ٢٧/١٤ .

(٥) المعتزلّي١٨/ وينظر:عبده١٨٤/٣ .

(٦) الراونديّ١٨/٣ وينظر:البحراني ٣٢٠/٤ .

(٧) الراونديّ

(٨) الخوئي ٦١/٤ .

(٩) الراونديّ ٤٥٨/١ .

(١٠) مغنية ٤٥٢/٤ .

(١١) المعتزلّي٣٣٣/٣ وينظر:البحراني ١٣٩/٢ وعبده ١٢٥/١ وابو الفضل ١١٦/١ والسامرائي ١٩٥ و ٣٢١ .

(١٢) عبده ١٢١/٣.

(١٣) ينظر: البيهقّي ٢٣٩ والبحراني ٣٣٢/٣ وعبده١١٥/٢ ومغنية٥١٧/٣ .

(١٤) المعتزلّي٢٨٨/١٦ وينظر:البحراني ٩٦/٥ .

(١٥) البحراني ١٣٩/٢

٦ -المبالغة . نحو: « التورُّع مبالغة في الورع »[١] . و« المتنصِّح : المبالغ في النصيحة »[٢]. و« تولَّهت القلوب اليه : اشتدّ ولهها »[٣] .

٧- **الطلب .** نحو : « تأوَّلوا على الله فأكذبهم ، أي : طلبوا لأفعالهم تأويلا لا يرضي الله »[٤] . و« تعرّفتها : طلبت معرفتها »[٥] . و« التقصّي: الاستقصاء ، اي : طلب أقصى الأمر »[٦] . و « تنجَّزت الامر : سألت إنجازه »[٧]. و« التحرّي : طلب الاولى والاولى »[٨] . و« المتنسَّم : موضع التنسّم وهو طلب النسيم واستنشاقه »[٩] .

٨-**الصيرورة .** نحو: « تبهجّتْ : صارت ذات بهجة وحسن »[١٠] . و« تبّعلت المرأة : صارت ذات بعل »[١١] . و« توكّل لهم : صار وكيلا ، وتكفّل : صار كفيلا »[١٢]. وتولّى النّاس : صار واليا عليهم[١٣] و « تشعَّبوا : صاروا شعوبا وقبائل »[١٤] .

٩-**التكلُّف .** نحو : « التجلدُ : تكلّف الجلادة ، وهي القّوة والشدّة »[١٥] . و« التحلّم : تكلّف الحلم »[١٦]. و« تعففّ الرجل : أي تكلّف العفةّ »[١٧] .

---

(١) انصاريان ١٢/٢ .
(٢) الراونديّ ٨٢/٣ .
(٣) المعتزلّي ٤٠٨/٦ .
(٤) الكيدريّ ٥١٠/٢ وينظر:السامرائي ٧٧ .
(٥) مغنية ٤٧١/٤ وينظر:عبده ٢٣٦/٢ .
(٦) السرخسي ١٥٥/١ .
(٧) البحراني ١٢٨/١ .
(٨) نفسه ٦٩/٤ .
(٩) انصاريان ٢٩٤/١ .
(١٠) مغنية ٧٢/٥ .
(١١) مغنية ٢٠٢/٦ .
(١٢) المعتزلّي ٢٩٦/٨ .
(١٣) ينظر: المعتزلّي ٤٢٩/٦ والبحراني ٣٧٥/٢ .
(١٤) المعتزلّي ١٧١/١٣ .
(١٥) الخوئي ٣/١٣ .
(١٦) المعتزلّي ٢٧/١٩ .
(١٧) نفسه ٣٨٥/٦ .

١٠-**الإظهار :** نحو: « التوعُّد : إظهار الوعيد »[١] . و« التجمُّل : التزيُّن وتكلُّف الجميل وإظهاره »[٢] .

١١-**الاتّخاذ :** نحو: « تشطّرا : اتّخذ كلّ واحد منهم شطرا »[٣] . و« يتوطّنها : يتّخذها وطنا»[٤] . و«تولاّه ،اي : اتّخذه ولّيا »[٥] . و« تنسّمتم العلياء ، اي : اتخذتوها سناما لكم»[٦] . و« تقمّصها : اتّخذها قميصا»[٧] . و« المتقّعد : الذي يتخذ الظهر قعودا يستعمله للركوب في كل حاجاته »[٨].

١٢- **الدخول في الشيء الذي اشتقّ منه الفعل:** نحو: تسرّب ، إذا دخل في السرب[٩] . وتقحّم: أي رمى نفسه في مهلكة من غير روّية[١٠]

١٣- **التشبيه:** نحو : تتّمر فلان : إذا تشبّه بفعل النمر، والمعنى: تغيّر خلقه[١١] .

خامسا : معاني افعلّ[١٢]

وهو لدى الصرفيين دالّ على المبالغة في الألوان والعيوب وهو دون افعالّ فيها ، ومن أمثلته في النهج (اغبّرت أرضنا)[١٣] ، اذ فسّره الشّراح بكثرة غبرتها ، وهو لون الغبار وفيه كناية عن الجدب والبور[١٤] . ومثله ما ورد في قوله (ع) يصف بعثة النبيّ (صلى الله عليه وآله):(أُرْسَلَهُ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ... عَلَى حِيْنِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا واغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا)[١٥] ، وفيه الاصفرار مصدر اصفرّ على افعلّ وهو مبالغة في صفرة الورق ، والاغورار مصدر اغورّ وهو مبالغة في غورِ الماء[١٦] ، وفي (الاغورار) دليل على دلالة افعلّ على غير الألوان والعيوب .

---

(١) عبده ٢٢٦/٣ .

(٢) انصاريان ٣٥٦/٢ .

(٣) الخوئي ٤٨/٣ وينظر :مغنية ١٩٧/١ .

(٤) مغنية ٤٧١/٤ .

(٥) انصاريان ٢٨٧/١ .

(٦) انصاريان ٨١/١ وينظر :عبده ٤٤/١ والموسوي ١١٩/١ .

(٧) انصاريان ٩٢/١ .

(٨) عبده ٦٥/٣ .

(٩) ينظر: البحراني ٣٨٣/٢ وانصاريان ٢٩٤/١ .

(١٠) ينظر: عبده ٣٩/١ .

(١١) ينظر: المعتزلّي ١٢٦/١٥ والبحراني ٣٤٧/٤ والسامرائي ٣٤٤ .

(١٢) ينظر :الكتاب ٧٦/٤ -٧٧ و شرح الشافية ١١٢/١ وارتشاف الضرب ٨٦/١ -٨٧ والمغني في تصريف الأفعال ١٥٦ -١٥٧ وأوزان الفعل ومعانيها ١٠٣ -١٠٦ .

(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ١١٥ ص:٢١٥ .

(١٤) ينظر : الراونديّ ١٧/٢ ومغنية ١٩٥/٢ والشيرازي ٢٢٣/٢ .

(١٥) نهج البلاغة : الخطبة ٨٩ ص:١٤٥ .

(١٦) ينظر : الراونديّ ٣٧٠/١ والكيدريّ ٤٢٥/١ والمعتزلّي ٣٨٨/٦ والبحراني ٢١٣/١ والخوئي ٢٦٠/٦ .

سادسا : معاني استفعل[١].

١ - **الطلب :** وهو المعنى الرئيس لاستفعل في العربية ، وكثيرا ما يسّمى بالمسألة ، نحو : استوهبته كذا ، اي : سألته هبة لي ، واستعطيته : سألته العطية ، واستعجلته : سألته العجلة[٢] . وتبّين لبعض المحدثين أنّ معنى الطلب إنّما ثبت في هذا البناء لوجود الالف والسين والتاء في صدره ، وهذه الأحرف الثلاثة هي بقّية فعل فقُد في العربية وحُفظ في السريانّية ، وأصله (سطا) بمعنى مال او طلب ، فعند قولهم : استقتل يكون المعنى الاصلي مال الى القتال او أحّبه ، وهو قريب من معنى الطلب الذي أقّره علماء العربية لأمثلة (استفعل)[٣] . ويدخل على هذا الراي ان (سطا) السرياني لا يشبه اللاصق العربي (است) من حيث الترتيب ، فضلا عن ان هذا اللاصق يفيد عدة معان اخرى غير الطلب والميل نحو الشيء ، ومعنى الميل يمكن ان يفهم من (استفعل) الواقع من العقلاء ولكن يصعب تفسيره مع الفعل الواقع من غيرهم ، نحو : استحجر الطين ، او استنسر البغاث وغير ذلك من المعاني التي فسرها العلماء بالتحول والصيرورة . ومن أمثلة هذا المعنى في أقوال الشّراح : « استعينك : أطلب منك المعونة »[٤] . و« يستزلّ : يطلب الزلل »[٥] . و« استشفعهما إليه : سألهما أن يشفعا له عنده »[٦] . و« استهوتْك : طلبتْ هواك إليها »[٧] . و« استفلّهم ، اي :طلب منهم التفرق ... والفلّ : التفريق »[٨] . و« مستأديكم شكره : طالبٌ منكم أداء ذلك والقيام به »[٩] . و« الاستقالة : طلب الاقالة »[١٠] . و « الاستمطار: طلب المطر »[١١] . و« استحفظك : طلب منك حفظه »[١٢] . و« استوصف الطبيب: طلب منه وصف الدواء بعد تشخيص »[١٣]. و« استفتحوا الله ، اي : اسالوا الله النصر والفتح »[١٤] وغير ذلك[١٥] .

---

(١) ينظر: الكتاب ٤/٧٠-٧١ وأدب الكاتب ٣٦٠ والممتع في التصريف ١/١٩٥ وأوزان الفعل ومعانيها ١٠٧ -١١٢.

(٢) ينظر: اوزان الفعل ومعانيها ١٠٧ .

(٣) ينظر: الفلسفة اللغوية ٣٩ .

(٤) عبده ٢/١٠٦ .

(٥) الراونديّ١/٢٢٨ .

(٦) عبده ١/١٥٢ .

(٧) البحراني (٨) نفسه ٣/٣٥٤ .

(٩) المعتزلّي١١/١٤٢ وينظر:السرخسي١/٤٢١ وانصاريان١/٤٥ ومغنية١/١١٩ .

(١٠) انصاريان ١/٢٧ . (١١) نفسه ١/٣٤٨ .

(١٢) عبده ٣/١١١ . (١٣) نفسه ٣/١٨٥ .

(١٤) الراونديّ ٢/٢٨٦ .

(١٥) ينظر: المعتزلّي٢/٦١ والبحراني ١/١٨١، ٢/١٨١ ، ٢/٣٠٠ والسرخسي١/٢٤٧ وعبده ١/١٤٠ ومغنية٢/٦١ ، ٦/٤٦٥ والتستريّ٧/٥٠٥ وانصاريان١/١٩٢ .

٢ -**الجعل .** نحو: « استشعر الحزن : جعله كالشّعار ، وهو ما يلي البدن من الثياب »[١]. و « استلأم : لبس لأمة الحرب وهي الدرع »[٢] . و«استهام بك الخبيث ، اي : جعلك هائما ضالاّ »[٣] . و« استظهر به : جعله كالظهر»[٤] و « استحفظكم من كتابه : جعلكم حفظة له »[٥] . و« استزلّتهم الكبرياء : جعلتهم ذوي زلل وخطأ ، واستخفتّهم الجاهلية : جعلتهم ذوي خفةّ وطيش »[٦] . و« استفرغتهم أشغال عبادته ، اي : جعلتهم فارغين عن غيرها »[٧] .

٣ -**الاتخـــاذ .** نحـــو: « اســـتوطن البقعـــة : اتخّـــذها وطنـــا »[٨] . و «اســـتظهرت بفـــلان : اتخّذتـــه ظهـــرا »[٩] . و« استشـعرت الشـيء : اتخذتـه شِـعارا . » [١٠] . و« اسـتدلّوا : اتخّـذوا دلـيلا »[١١] . و« المستصـبح : المتخّـذ لنفسـه مصباحا »[١٢] .

٤ -**الصيرورة .** نحو : « استفحل : صار فحلا »[١٣] . و « استشهد : صار شهيدا »[١٤] .

٥ - **بمعنـى فَعل:** كما في أقوالهم : « تستحيلُه الكلمة الواحدة ، أي : تَحيلُـه وتغّيره عن مقتضى طبعه ...واستفعل بمعنى فعل كثيرٌ ، كاستغلظ العسل ، أي : غلظ »[١٥] . و«استحرّ القتل وحرّ ، اي : اشتدّ »[١٦] . و« جلب واستجلب بمعنى »[١٧] و« استوصف : بمعنى وصف ، كقولك : استغنى زيد عن عمر ، أي : غني عنه ، واستعلى عليه ، أي علا : ومثله كثير»[١٨] . و« استحقّت ، اي حقّت : استفعل بمعنى فعل ، كقولك : استقرّ على باطله ، أي : قرّ»[١٩].

---

(١) المعتزلّي ٦١/٢ وينظر: البحراني ١٨١/٢ وعبده ١٤٠/١.

(٢) الراونديّ٣٠٥/٢ وينظر: البحراني ٤١٦/٣ .

(٣)الرواندي ٣٣٠/٢ وينظر: المعتزلّي ٣٣/١١

(٤)الراونديّ ١٥٥/٣ وينظر: المعتزلّي ٤/١٧.

(٥) الراونديّ ٣٥٧/١ وينظر: ٣٢٥/٦

(٦) المعتزلّي ٦٦/٧ .

(٧) المعتزلّي ٤٢٩/٦ وينظر: الرواندي ٤٠١/١ .

(٨) البحراني ١٢٦/٢ وينظر:أنصاريان ١٧٠/١

(٩)البحراني ٩/٤، ٨٩/٥ .

(١٠)نفسه ١٨١/٢، ٣٠٠ .

(١١) نفسه ٣٣١/٣ .

(١٢) الراونديّ ٦٩/٢ وينظر: مغنية ٤١٧/٢ .

(١٣) الراونديّ ٢٤٠/٢ وينظر: المعتزلّي ١٤٢/١٣.

(١٤) الشيرازي ٢٧/٤ .

(١٥) المعتزلّي ٢٥٨/١٩ .

(١٦) البحراني ١٣١/٣ .

(١٧) أنصاريان ٢٠٩/٢ .

(١٨) المعتزلّي ١٥١/٩ .

(١٩) نفسه ٢١٦/٩ .

٦- **بمعنى أفعل :** نحو: « استنفذ وأنفذ بمعنى »[١] . و« استفاض ، اي : أفاض »[٢] . و« استزلّهم الكبرياء ، اي : أزلّهم الكبر»[٣] . و« استعدّوا : استفعل بمعنى أفعل ، اي : أعدّوا ، كما يقال استجاب بمعنى أجاب »[٤] . و« استودعهم الله ، اي : أودعهم »[٥] . و« استوصى بمعنى : أوصى ، إلا أنّ أوصى يكون للغير واستوصى للنفس »[٦] . و« استعدّوا للموت : يمكن ان يكون بمعنى اعدّوا ، فقد جاء استفعل بمعنى افعل كقولهم : استجاب له ، أي : أجابه ، ويمكن ان يكون بمعنى الطلب كما تقول :استطعم ، أي : طلب الطعام »[٧]

٧- **بمعنى تفاعل :** نحو : « استدركت ما فات وتداركني ما فات بمعنى »[٨] . و« استمسكت ، اي : تماسكت »[٩] .

٨- **العد :** نحو :« استبطأه ،اي : عدّه بطيئا »[١٠] . و« استوهنه ، أي : عدّه وهنا ضعيفا »[١١] ، و« استطال الايام : عدّها طويلة »[١٢] . و« استغشوها ، اي : عدّوها غشاوة »[١٣] . و« الاستكثار : عدّ الشيء كثيرا »[١٤]. و« الاستضعاف : عدّ الشيء ضعيفا »[١٥]

٩- **وجود الشيء على صفة :** نحو: « استراح : وجد الراحة »[١٦] . و« المستضعف : الذي يوجد ضعيفا ، وان كان في نفسه قويا »[١٧] . و« استحلاه : وجده حلوا »[١٨] . و« استوبلوا من عواقب الغدر ، اي : وجدوا عواقب غدرهم وبيلة عليهم »[١٩] . و« استخلوهم ، اي : وجدوهم خالين »[٢٠] .

١٠-**اختصار حكاية :** نحو: استرجع : قال : إنّا لله وإنّا اليه راجعون[٢١] .

---

(١) الرواندي ٢٨٦/٢ .
(٢) نفسه ٤٣٠/٢ وينظر: البحراني ١٥٩/٤
(٣) الراونديّ ٢٢٨/١ .
(٤) نفسه ٢٨٥/١
(٥) الشيرازي ١٠٢/٢.
(٦) الرواندي ١٩٣/٣
(٧) المعتزلّي ١٤٦/٥.
(٨) المعتزلّي ٣٥٤/٦ وينظر: أنصاريان ٢٠٩/٢
(٩) الرواندي ٣٣٨/٢ .
(١٠) أنصاريان ١٧٦/١
(١١) نفسه ٤٩/١ .
(١٢) نفسه ٣١٩/١
(١٣) الرواندي ٦٥/٢ .
(١٤) أنصاريان ٣٥٥/٢
(١٥) نفسه ٢٥٢/٢ .
(١٦) نفسه ١٣٥/١
(١٧) الروالندي ٢٢٩/٢ .
(١٨) الكيدريّ ٢١٢/٢
(١٩) المعتزلّي ١٨/١٧ وينظر: السامرائي ٣٥٦ .
(٢٠) عبده ١٢٦/٢ .
(٢١) ينظر: الرواندي ٢١٥/١ والكيدري ٢٣٩/١ والمعتزلّي ٧٨/٢ والبحراني ٣٢/٢ والخوئي ٣٩١/٣ ومغنية ٣٨٠/١ والسامرائي ١٧٣ وأنصاريان ١٣١/١ .

سابعا : معاني افعوعل[١].

١ -المبالغة .

وهو المعنى الرئيس لأمثلة هذا البناء ، إذ نّبه الشّرّاح على أنّ (افعوعل) مبالغة قصوى لـ(فَعَلَ) وكأنّهم يشيرون إلى أن المبالغة الدنيا تكون بـ(فّعل) ثم يكون التدرج بالمبالغة كلما كثرت الزوائد وهي مع افعوعل بلغت الغاية . ومن أقوال الشّرّاح التي تفصح عن هذه الدلالة : اعذوذب واحلولى ، أي : صار الى غاية العذوبة والحلاوة[٢] . واغدق المطر ، واغدودق كثر كثرة بالغة[٣].

٢ -الصيرورة .

أمثلة افعوعل تدلّ على الصيرورة دلالة جانبية ، وقد ألمح الشّرّاح إلى معنى المبالغة بعد تصريحهم بمعنى الصيرورة فيها كما في قوله (ع) :(حَتّى إذَا اخْلَوْلَقَ الأَجَلُ)[٤] فـ« اخلولق ، اي : صار خليقا ، وهو كناية عن بلوغهم غاية مدتهم المكتوبة »[٥]. و« احلولت : صارت حلوة جدا »[٦]

ومما يدل على أن معنى الصيروة فرع من معنى المبالغة القصوى أن الفعل (اخلولق) يأتي تاما يفيد المبالغة كما في قوله (ع) : (اخلولق الأجل) ، أي : قرب قربا كثيرا ، ويأتي ناقصا بمعنى : صار خليقا ، ومجيؤه ناقصا فرع من تمامه .

---

(١) ينظر: الكتاب ٧٥/١ -٧٦ وشرح الشافية ١١٢/١ وارتشاف الضرب ٨٦/١ وأوزان الفعل ومعانيها ١٥٦.

(٢) ينظر: الرواندي ٤٤٩/١ المعتزلّي ١٩٠/١٠ والخوئي ٢١٦/٧ وأبو الفضل ٢٥٨/١ والسامرائي ٣٥٥.

(٣) ينظر: أبو الفضل ٢٣٤/١ ومغنية ٤٨٦/٢ وأنصاريان ٣٩٢/١.

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٠ ص:٢٦٢.

(٥) البحراني ٢٠٣/٣ .

(٦) الخوئي ٢١٦/٧.

الفصلُ الرَّابعُ

الدِّلالةُ النَّحويّة في شروح نهج البلاغة.

توطئة: الدلالة النحوّية مفهومها وأنماطها.

المبحث الأول : الدلالة الإعرابّية في شروح النهج .

المبحث الثاني : الدلالة التركيبية في شروح النهج .

المبحث الثالث : دلالة الأدوات الأحادية في شروح النهج .

المبحث الرابع : دلالة الأدوات الأخرى في شروح النهج .

توطئة : الدلالة النحوّية ، مفهومها وأنماطها

واكب الاهتمام بدلالة الجملة نشأة النحو العربّي على وفق ما نجده من أخبار منها ما روي عن أبي الأسود الدؤلي وابنته التي لحنت بحضرته فجاءت بجملة الاستفهام في موضع التعجّب من جمال السماء فصحح لها أبوها قولها لاختلاف المعنى بين الجملتين : ما أجملُ السماءِ؟ وما أجملَ السماَء[١]. وكذا ما روي عن اللحن في القرآن الكريم الذي يخلّ بالمعنى بسبب تغيير الإعراب كما في قوله تعالى :﴿ **أَنَّ اللَّـهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ** ﴾[٢]، وفيه لحن بعضهم فجرّ الرسول[٣] فأخل بالمعنى خللا كبيرا. ونقل عن الصحابة تقويمهم هذا اللحن لأنه يقود إلى تشويه المعنى القرآني وصرفه عن مراده[٤].

ثّم عني علماء العربّية بنوع من الدلالة مستنبط من قواعد النحو العربّي وما تشير إليه العلاقة بين المفردات في التركيب الواحد فالنحو لديهم هو « علم باحث عن أحوال المركبات الموضوعة وضعا نوعيا لنوع من المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها ، وغرضه تحصيل ملكة يقتدر بها على إيراد تركيب وضع وضعا نوعيا لما أراده المتكلم من المعنى وعلى فهم معنى أي مركب كان بحسب الوضع المذكور .وغايته الاحتراز عن الخطأ في تطبيق التراكيب العربّية على المعاني الأصلية »[٥] . واللفظ المفرد لا يفهم معناه بعيدا عن سياقه ، « فلا ترى كلاما ما قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك الميزة وذلك الفضل إلى معاني النحو »[٦].

ثم أضحى موضوع الدلالة النحوّية لدى المحدثين علما قائما بذاته فأطلقوا عليه عدة تسميات لكن الشائع هو الدلالة النحوّية وهي الدلالة المفهومة « من استخدام الألفاظ أو الصور الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي»[٧] .

والدلالة النحوّية في اللغة العربّية على قسمين : الأول : دلالة نحوية عامة وهي المعاني العامة المستقاة من الجمل والأساليب. والآخر : دلالة نحوية خاصة وهي المفهومة من معاني الأبواب النحوّية كالفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر وغير ذلك[٨]. وقد قسم البحث الدلالة النحوّية تقسيما آخر قائما على الطريقة التي استنبط بها الشّرّاح المعنى ، فإذا استنبط المعنى من حركات الإعراب سُمّي ذلك بالدلالة الإعرابية. وإذا استنبط المعنى من العلاقة بين وحدات التركيب سُمّي ذلك بالدلالة التركيبية. وإذا استنبط من أداة دون غيرها سُمّي ذلك بدلالة الأدوات النحوّية .

---

(١) ينظر : المدارس النحويّة ١٤- ١٥ والتحليل اللغوي ١١٩-١٢٠ .

(٢) التوبة ٣

(٣) ينظر : المدارس النحوية ١٤-١٥ .

(٤) ينظر : نشاة النحو ٩-١٢

(٥) مفتاح السعادة ١٣٢/١ وينظر: مفتاح العلوم ٣٣

(٦) دلائل الإعجاز ٨١-٨٢

(٧) علم الدلالة (فريد عوض) ٤٣ وينظر: أقسام الكلام العربّي ٢٠٩

(٨) ينظر: اللغة العربّية معناها ومبناها ١٧٨ .

المبحث الأول

الدلالة الإعرابية في شروح النهج .

نّبه الشّرّاح في عدة مواضع على ما يحدثه الإعراب من مداليل مختلفة بحسب اختلافه ، فاسم الفعل (ايه) ينطق بكسر الهاء (إيهِ) ، وبالتنوين (إيهٍ) ، وقد فرق بعض الشّرّاح بين الإعرابين ، فاذا قلت: إيهِ بغير تنوين فكأن مخاطبك كان في حديث ثم امسك ، فأمرته بالشروع في الحديث الذي كان فيه ، اي هات الحديث . فاذا قلت: إيهٍ بالتنوين ، فكأّنك أمرته ابتداء بأنْ يُحدّثَ حديثا ، أي: هات حديثا[١].وقد كثُرت لدى الشّرّاح أنماط الدلالة الإعرابية ، فمنها ما استشف من الحركة الإعرابية الواحدة ، ومنها ما يُتَلّمس من تعاقب الحركات الإعرابية على اللفظة الواحدة بسبب تعدد رواياتها بحركات إعرابية متعددة ، ومنها ما أقّر من مراعاة المحل الإعرابي لا سيما في الجمل والأسماء المبنية ، ولذا جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : دلالة الحركة الإعرابية الواحدة في شروح النهج.

أولا : دلالة الفتحة[٢] .

١- جاء في النهج (وَمِنْ دُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو بِهِ عَلَيه السَّلام كَثِيرا ، الحَمْدُ للهِالَّذي لَمْ يُصْبِحْبِي مَيِّتًا لاوَسَقِيما)[٣]. وقد تعددت اقوال الشّرّاح في إعراب **(كثيرا)** في قول الرضيّ المذكور انفا تبعا لتفاوتهم في فهم معنى التركيب . فالمعتزلّي ذهب الى انّ « كثيرا منصوب بانه صفة مصدر محذوف ، اي دعاء كثيرا»[٤]. وجّوز الخوئي ان يكون « كثيرا ... صفة اما لظرف محذوف او لمصدر محذوف ، اي حينا كثيرا ، او دعاء كثيرا ، والاول اظهر »[٥]. واستظهر التستريّ إعراب (كثيرا) صفة لوقت محذوف لا غير، لأنّ « هذا الدعاء دعاء واحد لا كثير ، وانما كان عليه السلام يقرأه في أوقات كثيرة ، فهو مفعول فيه معّينا ، ولا مجال لاحتمال كونه مفعولا مطلقا كما احتمله الخوئي ايضا »[٦].

ثم تعددت اقوال الشّرّاح في نصب (ميتا) وما عطف عليه . فذهب الراونديّ الى جواز نصبه حالا من الياء ، فيكون (اصبح) تاّما . او ان يكون (ميتا) خبرا لأصبح الناقصة[٧]. ولم يجز المعتزلّي إعراب اصبح ناقصة فيكون

---

(١) ينظر : البيهقّي٢١٢ والكيدريّ ٥٥٩/١ والسرخسي١١٧/١ .

(٢) ينظر:إحياء النحو ٦٨- ٦٩ وفي النحو العربي نقد وتوجيه ٨١-٨٣

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ٢١٥ ، ص:٤١٧

(٤) المعتزلّي ٨٥/١١

(٥) الخوئي ١١٣/١٤

(٦) التستريّ ٧/٧

(٧) ينظر: الراونديّ ٣٤٧/٢

(ميتا)خبرها ، كما احتمل الراونديّ « لان خبر كان واخواتها يجب ان يكون هو الاسم ، الا ترى انها مبتدأ وخبر في الاصل ، واسم (يصبح) ضمير (الله) تعالى ، وميتا ليس هو الله سبحانه »[١] . ولم يُجز المعتزليّ إلا ان يكون (يصبح) تاما ، و(ميّتا) حالا من ياء المتكلم . وصحّح الخوئي ما احتمله الراونديّ لانّ مراده « بكون ميتا خبر اصبح انه في الاصل خبرها ، والمخبر به ياء المتكلم، فان اصبح على كونها ناقصة بمعنى صار ، فلما عدّيت بالباء صارت بمعنى صيّر وتكون من افعال التصيير فيكون المعنى لم يصيرني ميتا ، كما يقال : صيرني الله فداك »[٢] وهذا مما لا غبار عليه .

٢ - قال الامام (ع) في وصف خلق ادم (ع) : (وَاسْكَنَه جَنَّتَه ، وَأَرْغَدَ فِيْهَا أُكُلَه ... فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاه عَنْه مُوَافَاةً لسابقِ علمه) [٣] . وفي إعراب (موافاةً) خلاف بين الشّرّاح أساسه تباينهم في فهم المعنى، فأعرب البيهقّي (موافاة) بانه مفعول له (لاجله)، ومعنى (موافاة لسابق علمه): اثباتا لسابق علمه . والله تعالى عالم بما سيقع من آدم في وقت مخصوص ومكان مخصوص ، وهو تعالى عالم بكل معلوم في حال عدمه ، فيقع كلُّ أمر موافقا لما يعلمه الله تعالى. وكلّ ما سيبدر من آدم هو معلوم لدى الباري قبل وقوعه منه. فكان إقدام آدم على الشجرة موافقا لعلمه السابق سبحانه وتعالى[٤]. ومن ثّم قال الامام (ع): (فاقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه) ، فكأنّ (الموافاة) عذر او علة لاقدام ادم على ما نهاه[٥]. ومنع المعتزلّي ان يعرب المصدر (موافاة) منصوبا على انه مفعول له ، لان المفعول له عذر وعلة للفعل ، ولا يجوز ان يكون اقدام ادم على الشجرة لاجل الموافاة للعلم الالهي الاسبق ، بل يجب ان ينصب (موافاة) على المصدرية كانه قال : فوافى بالمعصية موافاة وطابق بها سابق العلم مطابقة[٦]. وشايع فريق من الشّرّاح المعتزلّي في قوله هذا[٧]. واعرب مغنية (موافاة) صفة لمفعول مطلق محذوف اي: اقدم على المعصية اقداما موافاة لسابق علم الله بان هذا الاقدام سيكون من ادم[٨]. وجوز التستريّ في (موافاة) ان يكون مفعولا مطلقا لمعنى الفعل (أقدم) ، والاصل : أقدم موافاة ، أوأن يكون مفعولا له من باب ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[٩] .فتكون عداوة موسى لآل فرعون بسبب التقاطهم إياه من البحر . وكذا تكون موافاة آدم للعلم الإلهي السابق واقعة بسبب إقدامه على ما نهاه الله تعالى[١٠]. والمقابلة بين القرآن الكريم ومتن النهج في هذا الموضع مقبولة في فهم المعنى. لكن التقاط موسى ليس هو السبب في العداوة بل هو مصداق لتحقق العداوة المسبقة، كما أنّ أقدام آدم على الشجرة ليس سببا للعلم الإلهي بل هو مصداق لتحققه ، فتكون (موافاة) حالا من الإقدام .

---

(١) المعتزلّي ٦٥/١١ .
(٢) الخوئي ١١٣/١٤ .
(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ٩١ ص:١٦٤ .
(٤) ينظر: البيهقّي١٨٨ .
(٥) ينظر :الكيدريّ٤٦٨/١ والبحراني ٣٩٦/٢ والتستريّ٥٩٥/١ والشيرازي٨١/٢ .
(٦) ينظر: المعتزلّي٥٠٤/٧ .
(٧) ينظر : عبده٣٥٦/١ والخوئي ٣٣/٧ وابو الفضل٢٠١/١ وانصاريان٢٩٠/١ .
(٨) ينظر: مغنية٢٩٤/٢ .
(٩) القصص ٨ .
(١٠) ينظر: التستريّ ٥٩٥/١ .

٣- قال الامام (ع) : (أُوصِيْكُم عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الّذِي ضَرَبَ الأَمْثَالَ ..وَأَحَاطَ بِكُمُ الإِحْصَاءَ ...فَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا، وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَدًا)[١].وقد تعدّدت اراء الشّراح في توجيه نصب (الاحصاء) ، وكما يأتي :

أ - الاحصاء مفعول به للفعل (احاط) المزيد بالهمزة الدالة على الصيرورة والجعل ، والمجرد (حاط) متعد ايضا ، وله معنيان ، فيجوز لدى الرواندي نصب (الاحصاء) به « على وجهين : **احدهما** ان يكون من حاط ثلاثيا ، تقول : حاط فلان كَرْمَهُ ،اي جعل عليه حائطا ،وكأنّه جعل الاحصاء والعد كالحائط المدار عليهم ،لأنّهم لا يبعدون منه ولا يخرجون عنه . **والثاني**:ان يكون من حاط الحمار عانته يحوطها بالواو اي جمعها ، فأدخل الهمزة كأنّه جعل الاحصاء يحوطهم ويجمعهم ، تقول : ضربت زيدا وأضربته ، اي جعلته ذا ضرب ، فلذلك كأنّه جعل عليه السلام الاحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الاول ، او جعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثاني »[٢] . ومال الراوندي إلى هذا الوجه لان كلام الامام (ع) بعده يدل عليه ، وهو (وظّف لكم مُدَدًا) اي : بيّن لكل واحد منكم مدّة[٣]. وشايع الراونديّ فريق من الشّراح[٤].

ب- الاحصاء منصوب على المصدرية ، فهو مفعول مطلق لـ (احاط) من غير لفظه ، واما تعريفه بالالف واللام ، فلا يمنع من نصبه على المصدرية[٥] ، اذ يقال كثيرا ، نحو: ضربته الضربة[٦]. واستظهر الخوئي هذا الوجه مستدلا بالقرآن الكريم وسياق النهج وآراء ائمة اللغة ، فقال: « الاظهر هو الانتصاب بالمصدر ، ومثله قوله (ع): (واحصاكم عددا)، فإنّه مصدر بغير لفظ الفعل على ما ذهب اليه الزجاج من تجويز كون العدد مصدرا مستدلا بقوله تعالى: ﴿**سنين عددا**﴾[٧] ، وعلى هذا يكون اصل كلامه احصاكم وعدّكم عددا على حد قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا** ﴾[٨]»[٩] . واختار مغنية هذا الوجه فقال: « الاحصاء مفعول مطلق مثل قعدت جلوسا؛ لان الاحاطة تستدعي الاحصاء، و(عددا) مفعول مطلق لأحصاكم »[١٠].

ج- الاحصاء منصوب على انه مفعول له ، وفي الكلام حذف ، تقديره : وأحاط بكم حفظته وملائكته للاحصاء ، ودخول الالف واللام على المفعول له وارد في كلام العرب نحو : (لأقعدنّ الجبن) أي لأجله[١١] ، وما صحب الألف واللام في هذا يكثر جره باللام ويقل نصبه فـ « ضربت ابني للتأديب أكثر من ضربت ابني التأدُّبَ »[١٢] وهذا وجه جوزه المعتزلّي والخوئي[١٣] .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ص ١٢١. (٢) المعتزلّي ٢٤٥/٦ وينظر: الخوئي ٣٥٠/٥ والشيرازي ٣٣٣/١.

(٣) ينظر: الرواندي ٣٢٣/١. (٤) ينظر: البيهقّي ١٥٦ والكيدريّ ٣٨٦/١ والسرخسي ٨٣/١.

(٥) ينظر: الكتاب ٢٣١/١ وشرح الجمل ٣٢٧/١ وارتشاف الضرب ٢٠٣/٢ والهمع ١٨٧/١.

(٦) ينظر: المعتزلّي ٢٤٥/٦ . (٧) الكهف ١١ (٨) مريم ٩٤ .

(٩) الخوئي ٣٥١/٥ وينظر:معاني الفراء ١٣٥/٢ ومعاني الزجاج ٢٢١/٣ وإعراب النحاس ٣٩٦/٢ والكشاف ٤٧٣/٢

(١٠) مغنية ١٣٨/٢ . (١١) ينظر: ارتشاف الضرب ٢٢٣/٢ والبهجة ١٧٧ والهمع ١٩٤/١ .

(١٢) شرح ابن عقيل ٥٧٥/٢ . (١٣) ينظر: المعتزلّي ٢٤٥/٦ والخوئي ٣٥٠/٥ .

د- الإحصاء منصوب على التمييز ، وهو وجه ذكره البحراني ، ولم يفصله ، وفهم مغنية منه ان الاحصاء تمييز محول عن مفعول ، والاصل : احصى عددكم ، وهو مثل : ﴿ **وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا** ﴾[1] ، اي : عيون الارض[2] وضعّف التستريّ هذا الوجه ؛ لانّ «التمييز يصحّ لو كان نكرة كقوله تعالى: ﴿ **وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا** ﴾[3] »[4].

وسياق الخطبة يرجّح كون الاحصاء مفعولا به، فقد انتصبت الالفاظ قبله وبعده على المفعولية ، كما في قوله (ع) : (أُوصِيْكُم عِبَادَ الله بِتَقْوَى الله الّذي ضَرَبَ الأمثالَ ، وَوَقَّتَ لَكُم الآجَالَ ، وألْبَسَكُم الرِّيَاشَ ، وأَفْضَلَ لَكُم المَعَاشَ ، وأَحَاطَ بِكُم الإحْصَاءَ ، وأَرْصَدَ لَكُم الجَزَاءَ ...)[5] .

ويبدو أن اصل التركيب : (أحاطكم بالأحصاء) ، فعُدل عن هذا الأصل لتقع حيطة الله تعالى على الإحصاء للتنبيه على أن الإحصاء ليس عونا له تعالى في حال جرّه بالباء في التركيب (أحاطكم بالإحصاء) فيكون المعنى أحاطكم مستعينا بالإحصاء أو بسببه أو بوساطته ، وإنما الإحصاء من ضمن مخلوقات الله تعالى وهو شيء ملازم للبشر فتكون الباء في (أحاط بكم الإحصاء) للإلصاق ، والإحصاء مفعولا به ، والمعنى خلق الإحصاء وألصقه بكم .

٤ - قال الامام (ع) : (...فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ ... والشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ له المَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا ، وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، إِذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا)[6]. وفي إعراب (أغفل) خلاف بين الشّراح . إذ قال البحراني :« أغفل نصب على الحال »[7] . وقال الخوئي : «أغفل منصوب بنزع الخافض ، أي : في أغفل حاله »[8]. ولم يرض التستريّ هذين الوجهين لان المعنى يصعب استحصاله بهما، فخلص الى ان « الصواب كونه مفعولا فيه فلا يحتاج الى تقدير **في** ، وقالوا في قولهم : انتظرته صلاة العصر: إن (صلاة) مفعول فيه ، اي: في وقت صلاة العصر. وفي قولهم : لا أكلّمك هبيرة بن قيس: هبيرة مفعول فيه ، اي : مدة غيبة هبيرة . واما الحال فيجب ان تكون نكرة ، و(اغفل ما يكون عنها) في معنى : اغفل الناس لأنه معرف بإضافته إلى (ما) »[9] .ويبدو أنّ معنى الحالية هو الراجح إذ المراد : حتى تهجم عليه منّيته وهو شديد الغفلة عنها . ولا يحول تعريف (أغفل) دون هذا الإعراب لأنه أضيف إلى اسم مبهم (ما) فاكتسب التخصيص لا التعريف ، وعلى الرغم من ذلك ورد الحال معرفا في قليل من كلام العرب[10].

---

(١) القمر ١٢.
(٢) ينظر: البحراني ٢٤١/٢ ومغنية ١٣٨/٢.
(٣) الكهف ٩١ .
(٤) التستريّ٤٢٩/٤ وينظر: الكشاف٤٩٨/٢ والبهجة ١٩٨
(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ، ص ١٢١ .
(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٦٤ ص:١٠٢ .
(٧) البحراني ١٦٨/٢ وينظر: الراونديّ٢٨٩/١ .
(٨) الخوئي ٣٩٦/٤ .
(٩) التستريّ١٣٦/١١ وينظر:شرح عمدة الحافظ ٤١٧ وارتشاف الضرب ٣٣٧/٢
(١٠) ينظر :الكتاب ٣٧١/١ والإنصاف ٢٥٥/١.

٥- قال الامام (ع) : (فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ عَدُوَّ اللهِ أَنْ يُعِيدَكُمْ بِدَائِهِ ... وَلَدَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ ... وَأَوْطَؤُوكُمْ إِثْخَانَ الجِرَاحَةِ طَعْنًا فِي عُيُونِكُمْ ، وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ . وَسَوْقًا بِخَزَائِمِ القَهْرِ إِلَى النَّارِ المُعَدَّةِ لَكُمْ ...)[١] . وقد اختلف الشّراح في توجيه نصب (اثخان) ، ثم اختلفوا في توجيه نصب المصادر الخمسة : (طعنا ، حزّا ، دقا ، سوقا ، قصدا) . فاما الراونديّ[٢] فذهب الى ان (اثخان) منصوب بنزع الخافض ، والاصل : (اوطؤوكم باثخان الجراحة) او (لاثخان الجراحة) . واشار الى ان اللفظة رويت مجرورة باللام ايضا، وهذا يعضد كونها منصوبة بنزع الخافض . وانكر المعتزلّي توجيه الراونديّ هذا فرأى أنّ (اثخان) مفعول ثان « ومعنى ايطاء الشيطان ببني ادم هو القاؤه اياهم فيه ، وتوريطهم ، وحمله لهم عليه »[٣] . وتبع البحراني المعتزلّي[٤] . لكن الخوئي قلب الإعراب ، فجعل (الاثخان) مفعولا اولا ، و (كم) مفعولا ثانيا ، لان المعنى لا يفهم إلا بهذا التقديم ، فقال: « إثخان الجراحة بالنصب مفعول أوّل لأوطؤوكم ، كما في قولك: اعطيت درهما زيدا ، اي : جعلوا اثخان الجراحة واطئا لهم ، لا انه جعلهم واطئين له على انه مفعول ثان كما توّهمه الشارح المعتزلّي»[٥]. وأنكر التستريّ على المعتزلّي ذهابه إلى أنّ المعنى جعلوكم واطئين للاثخان ، إذ « لا معنى للكلام ، فإذا كانوا واطئين للاثخان، أيُّ نقص في ذلك حتّى يكون من قبيل فأقحموكم ولجات الذل ، وأحلّوكم ورطات القتل ؟ »[٦].

وما خلص اليه الخوئي في إعراب (اثخان) هو الملتزم كون الفعل (اوطا) ان ردّ الى المجرّد يتضح المعنى جيدا ، فيكون (اثخان) فاعلا، و(الناس) مفعولا به ، والتقدير: (وطئ إثخانُ الجراحة الناسَ) ، ومع زيادة الهمزة يكون التقدير: أوطأَ الشَّيطانُ إثخانَ الجراحة الناسَ ، فيكون الاثخان مفعولا اول لا ثانيا .

واختلف الشّرّاح –أيضا- في توجيه نصب المصادرالخمسة : (طعنا ، جزا ، وقا ، قصدا ، سوقا) ، فذهب المعتزلّي والبحراني الى ان هذه الخمسة منصوبة على المصدرية جميعا ، وافعالها محذوفة يدلّ عليها السياق ، اي : فعلوا بكم هذه الافعال ، فطعنوكم في عيونكم طعنا ، وحزّوا حلوقكم حزّا ، وكذا في الجميع[٧] . وفصّل الخوئي فاعرب « طعنا ، وحزّا ، ودقاّ كلّها منصوبة على الأبدال من اثخان ، وقصدا وسوقا منصوبان على المصدر ، والعامل محذوف »[٨] ، ثم جمع فقال : « يجوز انتصاب المنصوبات الخمسة جميعا على المصدر»[٩]. والتفريق بين الخمسة غلط ؛ لان الكل على سياق واحد ،واما ان تكون (طعنا ، ودقا ، وجزا) مبدلات من (اثخان الجراحة) فعلى

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ص:٣٦١-٣٦٢ .
(٢) ينظر: الراونديّ٢/٢٤٥ .
(٣) المعتزلّي١٣/١٤٣ .
(٤) ينظر: البحراني ٤/٢٣٣
(٥) الخوئي ١١/٢٨٤ .
(٦) التستريّ١٤/٣٦٨ .
(٧) ينظر : المعتزلّي١٣/١٤٣ والبحراني ٤/٢٣٣ .
(٨) الخوئي ١١/٢٨٤ .
(٩) نفسه١١/٢٨٤ .

الرغم من قرب المعنى بينها يبقى المانع من ذلك هو تعريف (اثخان) بالإضافة وتنكير هذه الخمسة . وأغرب التستريّ فجوّز إعراب هذه الخمسة احوالا مؤولة باسم الفاعل ، او ان تعرب مفاعيل لأجلها ، عواملها : اوطؤوكم ، واحلوكم ، واقحموكم . او أن تعرب تمييزات. ولم يفصّل ما جوزه لما فيه من بعد في التأويل[١].

٦- قال الامام (ع) في خطبة له تسمى القاصعة ، ورد فيها ذم ابليس : (فالله الله في كِبْرِ الحَمِيَّةِ ، وفَخْرِ الجَاهِلِيَّةِ ، فإنّه مُلاقِحُ الشَّنآنِ ومَنافِخُ الشَّيْطانِ ، التّي خَدَعَ بِها الأُمم الماضِيَةَ ، والقُرُونَ الخالِيَةَ ، حَتّى أَعْنَقُوا في حَنادِسِ جَهالَتِهِ ، هَوَاوِي ضَلالَتِهِ ، ذُلُلا عَن سِياقِهِ ، سُلُسا عَنْ قِيادِهِ . أَمْرا تَشَابَهَتِ القُلُوبُ فِيهِ)[٢]. وقد تعدّدت أقوال الشّرّاح في توجيه نصب (أمرا) ، فتلّمس الراونديّ ثلاثة اوجه[٣] ، تابعه الشّرّاح اللاحقون في المفاضلة بينها واستظهار أحدها ، او إنكارها كلّها ، ثم تلمُّسِ وجوهٍ غيرها . فاما الوجه الاول : فهو ان (امرا) مفعول به ، عامله المصدر المذكور قبله ، وهو (سياقه) ، والتقدير : ساق الشيطان أمرا تشابهت . اما الوجه الثاني : فهو إنّ (أمرا) وما عطف عليه منصوب بالمصدر (قياده) المضاف الى فاعله ايضا ، فيكون التقدير: قاد الشيطان أمرا . وأنكر المعتزلّي أن يكون (امرا) مفعولا به عامله المصدران : (سياقه) و(قياده) ؛ « لأنّ مفعول هذين المصدرين محذوف، تقديره : عن سياقه اياهم ، وقياده اياهم ، وهذا هو معنى الكلام ، ولو فرضنا مفعول أحد هذين المصدرين (أمرا) لفسد معنى الكلام »[٤] . وأمّا الوجه الاخير: فهو ان (امرا) حال . وكذا انكر المعتزلّي هذا الوجه ؛ «لان الحال وصف هيئة الفاعل او المفعول، و(امرا) ليس كذلك»[٥]

ولما انكر المعتزلّي اوجه الراونديّ الثلاثة ، ذهب الى أنّ « امرا منصوب بتقدير فعل ، اي : اعتمدوا امرا»[٦] ، وتبعه البحراني الذي لم يلتفت الى اوجه الراونديّ ، فقال: « امرا منصوب بفعل مضمر تقديره فاعتمدوا امرا تشابهت قلوبهم فيه ، وتتابعت القرون الماضية منهم على اعتماده ، وهو الفخر ، ونفخ الشيطان ، والاعناق في جهالته وضلالته »[٧] . وساق الخوئي اوجه الراونديّ سوقا حثيثا ، وذكر اعتراض المعتزلّي عليها وذهابه الى وجه جديد ، ثم اعرض عن هذا كله لان معنى الكلام على وفق اوجه الراونديّ فُصل بعضه عن بعض ، فضلا عن تكلف تقدير فعل محذوف كما في راي المعتزلّي والبحراني ، ولذا استظهر الخوئي « أن يجعل أمرا منصوبا بنزع الخافض متعلقا بقوله (اعنقوا) أي : اسرعوا الى امر ، وعلى هذا التأم معنى الكلام دون حاجة الى التكلف وحذف الفعل »[٨].

---

(١) ينظر: التستريّ١٤/٣٧٠ .
(٢) نهج البلاغة الخطبة خ ١٩٢ ص:٣٦٤
(٣) ينظر: الراونديّ٢/٢٤٤ .
(٤) المعتزلّي١٣/١٤٨-١٤٩ .
(٥) المعتزلّي١٣/١٤٩ وينظر : الخوئي ١١/٣٠٢ .
(٦) المعتزلّي١٣/١٤٨ .
(٧) البحراني ٤/٢٤٠ .
(٨) الخوئي ١١/٣٠٢ .

وتبين للتستري ان قوله (ع) المذكور انفا الاصل فيه قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[١] ، ثم بين خطا قول المعتزلّي

والبحراني في نصب (امرا) بفعل محذوف ، وخطا مذهب الخوئي في نصبه على نزع الخافض ، واعرض عن ذكر اوجه الراونديّ كلّها ، وخلص الى ان كل ما ذُكر قبله « بلا معنى فانهم لم يعتمدوا ، ولم يسرعوا الى امر بذلك الوصف ، وانما عملوا عملا كان بذلك الوصف ، ونزع الخافض يحتاج الى قرينة وليست موجودة ، والصواب كونه خبرا لكان محذوف ، وحذف كان مع اسمها وابقاء خبرها كثير ، كقوله تعالى : ﴿ **تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ** ﴾[٢] »[٣].

وما ذهب اليه التستريّ فيه تكلّف ايضا ، فقد زعم حذف شيئين ، هما (كان واسمها) مع أنّ المعتزلّي والبحراني فعلا الشيء نفسه ، فحذفا اثنين (الفعل والفاعل) ، وحذف الخوئي شيئا واحدا هو حرف الجر. فاذا ما سلمنا بجواز الحذف في العربيّة يكون قول الخوئي هو الاقرب ، ومع ذلك هو بعيد . والراجح أن يكون (امرا) منصوبا على الاغراء والتحذير ، اي : احذركم امرا تشابهت ، ولا يحتاج اصلا الى تقدير محذوف إلا من باب الايضاح لا الإعراب ، وهو منصوب كما نصب (الله الله) في بدء الكلام ، و(امرا) في حكم المقدم بعد « الله الله أمرا تشابهت ... » ، والمعنى أحذركم عذاب الله من امر تشابهت القلوب فيه .

٧- قال الامام (ع) يصف المنافقين : (يمشُون الخفاَء ، ويدِّبون الضّواَء)[٤] ، وقد تعددت اقوال الشّرّاح في توجيه نصب (الخفاء ، والضراء) تبعا لتوسع الراونديّ[٥] فيها ، اذ تلمس خمسة اوجه تفاوت الشّرّاح اللاحقون في الاختيار بينها ، فاما الوجه الاول : فهو ان يكون (الخفاء ، والضراء) منصوبين على الحالية ، من باب (ارسلها العراك)[٦] ، اذ يقلّ في العربيّة مجيء الحال مصدرا معرفة ، وان وردت بعض امثلته هكذا ، فيؤول بنكرة مشتقة[٧] . فيكون التقدير : يمشون مستخفين ، ويدبون ضارّين . والمح الكيدريّ[٨] الى اختياره هذا الوجه . وأما الوجه الثاني : فهو ان ينصب الاسمان على نزع الخافض (في) ، فيكون الاصل : يمشون في الخفاء ، ويدبون في الضراء ، وبعد حذف (في) نُصِبا . واختار المعتزلّي هذا الوجه وحده ولم يلتفت الى الوجوه الاخرى[٩] . والتزم به معظم الشّرّاح

---

(١) البقرة ١١٨ . (٢) يس ٥ .

(٣) التستريّ١٤/٣٨٠ وينظر: معاني الفراء ٢٧٢/٢ ومعاني الزجاج ٢٠٩/٤ إعراب النحاس ٢٩٧/٣ والكشاف ٢١٤/٣ والهمع ١٢١/١.

(٤) نهج البلاغة : الخطبة١٩٤ ص:٣٨٦ . (٥) ينظر: الراونديّ٢٨٣/٢ .

(٦) جزء من بيت قاله لبيد بن ربيعه يصف ورود الحمر الوحشية الماء وهو في ديوانه ٨٦ وتمامه:

فأرسلها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال

(٧) ينظر : الكتاب ٣٧٢/١ ، ٣٧٥ وشرح ابن عقيل ٦٣٠/١ والبهجة المرضية ١٨٩.

(٨) ينظر : الكيدريّ١٣٩/٢ . (٩) ينظر : المعتزلّي١٦٦/١٠ .

المتأخرين[١] . وأما الوجه الثالث : فهو ان ينصب الاسمان على المصدرية فيكونا مفعولين مطلقين من معنى الفعل لا لفظه . واستظهر التستريّ[٢] هذا الوجه ، وقرنه بباب (رجعت القهقرى)[٣] . وهذا الوجه غير مرضي لدي الكيدريّ[٤] على هذا التاويل لعدم ظهور المناسبة المعنوية بين المشي والخفاء من جهة ، والدبيب والإضرارّ من جهة أخرى ،

فصّوبه بتأويل اخر وهو ان يكون الاسمان منصوبين على المصدر الذي بمعنى الفاعل ، وهو في الاصل صفة لمفعول مطلق محذوف ، والتقدير: يمشون المشي الخافي، ويدّبون الدبيب المضرّ، فيكونا نائبين عن المفعول المطلق . والوجه الرابع : هو ان يكون الاسمان منصوبين على الظرفية. وفصل الكيدريّ[٥] دلالة الخفاء والضراء على الظرفية بأنهم يمشون بالشر في الاماكن التي لا يُطّلع عليها فهي خافية عن الناس. واما الضراء فهو المكان القفر الذي يوازي الشجر، و(يدّبون الضراء) كناية عمّن يسعى بالفساد ، ويدبّ بالشر والنميمة، ويختل صاحبه لانه في تهييج الشر خائف يمشي تحت الاشجار بحيث لا يرى. واختار البحراني هذا الوجه ، ولم يفصله ، ولكنه فهم من (يمشون الخفاء ، ويدّبون الضراء) انهما كناية عن حركاتهم القولية والفعلية فيما يريدونه في اخفاء افهام الناس ، والدبيب اليهم في الضرر[٦] .

والوجه الخامس – وهو الاخير – ان يكون الاسمان منصوبين على المفعولية ، وهو وجه غير مرضي لدى الكيدريّ لأن الفعلين (يمشون ويدّبون) لازمان[٧]. وأقرب هذه الوجوه ان يكون الاسمان منصوبين على الحال ، واما تعريفهما بالالف واللام ، وشذوذهما عن نظائرهما في هذا الباب[٨] فللإشارة الى المبالغة في وصف مشي المنافقين ودبيبهم على حالة واحدة هي الخفاء والضراء ، والحال المعرّفة بالالف واللام تدل على المبالغة المفهومة من تعيين الحال وتعريفه باللام وكأنه أمر معهود للجميع .

---

(١) ينظر : عبده١/ ٤٢٦ والخوئي ١٢/١٧٧ ومغنية٤/٢٦٧ وابو الفضل١/٤٥٠ والشيرازي ٣/٢٤٧ والموسويّ ٣/٣٧١ .
(٢) ينظر : التستريّ٢/٥٧٨ .
(٣) ينظر: شرح بن عقيل١/٥٦١
(٤) ينظر : الكيدريّ٢/٢٤٠ .
(٥) ينظر : الكيدريّ٢/١٤٠ .
(٦) ينظر : البحراني ٣/٤٠٠ والخوئي ١٢/١٧٧ .
(٧) ينظر: الكيدريّ٢/١٤٠.
(٨) ينظر: شرح عمدة الحافظ ٤١٩-٤٢٠ وارتشاف الضرب ٢/٣٣٧ والبهجة ١٨٩.

٨- قال الامام (ع) يصف فرار نجاة معاوية من القتل في صفين : (... فَمَا كَانَ إِلاّ كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيْضًا بَعْدَمَا أُخِذَ مِنْه بِالْمُخَنّقِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْه غَيْرُ الرَّمَقِ ، فَلأْيًا بِلأْيٍ مَا نَجَا)[١]. وقد اختلف الشّرّاح في فهم المراد من قول الامام: (فلأْيًا بلأْيٍ ما نجا)، ثم اختلفوا في إعرابه . فذهب البيهقّي[٢] الى ان معنى التركيب هو: (بعد شدّة وإبطاء نجا)

، فتكون (ما) زائدة تفيد الابهام ، و(لأيا) منصوبا على الظرفية بمعنى (بعد ذلك) ، يقال : لأى لأًيا بمعنى أبطا ابطاء . وتابعه الراونديّ[٣] .واعرب الكيدريّ (لأيا) مصدرا منصوبا على الحال، و(ما) زائدة ، والتقدير: «نجا في حال كونه صاحب جهد ومشقّة ملبسة بمثلها، أي : نجا في حال تضاعف الشدائد وترادفها عليه »[٤] . وقريب من هذا قول المعتزلّي : « ما زائدة او مصدرية ، وانتصب لأيا على المصدر القائم مقام الحال ، اي نجا مبطئا ، والعامل في المصدر محذوف ، أي : أبطا إبطاءا ، والفائدة في تكرير اللفظة المبالغة في وصف البطء الذي نجا موصوفه به ، اي لأيا مقرونا بلأي »[٥]. ويفهم من كون (ما) مصدرية ان التقدير : نجاته في حال كونه بطيئا . ومع هذا الراي سار الآملي[٦]. وجزم البحراني بمصدرية (ما) ، والمصدر المنسبك من (ما نجا) في موضع الفاعل للفعل المحذوف ، و(لايا) منصوب على المصدرية عامله محذوف ، والتقدير: فلأى نجاؤه لأيا بلأي ، أي: عسرت نجاته عسرا بعسر[٧]. ووافقه فريق من تابعيه[٨]. والسياق يرجح كون (لأيا) منصوبا على الظرفية فقد ذكر قبله (بعدما أخذ منه بالمخنق) فتكون الفاء عاطفة و(لأيا بلاي ما نجى) جملة اسمية مستأنفة تفسيرّية ، وأصلها (فنجاته لأيا بلأي) . ومعنى نجا جريضا : نجا وهو يبلع ريقه ويسترد رمقه الأخير من شدة الخنق[٩] .

---

(١) نهج البلاغة رسالة ٣٦ ص: ٥١٨.
(٢) ينظر: البيهقّي ٣٨٠.
(٣) ينظر: الراونديّ٣/١٠٥.
(٤) الكيدريّ٢/٤٨٠-٤٨١ .
(٥) المعتزلّي١٦/١٥٠ .
(٦) ينظر: الخوئي ٢٠/٥٩
(٧) ينظر: البحراني ٥/٧٥ .
(٨) ينظر: مغنية٣/٥٤٥ والتستريّ١/٢٥٣ والشيرازي٤/٢٩١ .
(٩) ينظر: المقاييس ٩٥٤ والقاموس المحيط ١٢٢١.

ثانيا : دلالة الضّمة[١]

١- قال الامام (ع) يلوم بعض أصحابه : (لله أَنْتُمْ ، أَمَاْ دِيْنٌ يَجْمَعُكُمْ ! لاَوَحَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ !)[٢] . وفي رفع (دين) و(حمية) اكثر من وجه لشراح النهج بحسب فهمهم لمعنى الكلام. فالمعتزلّي[٣] فهم من الكلام انه يقع في سياق العرض

الذي يستدعي فعلا ، فذهب الى ان (دين) يجوز ان يرفع على انه فاعل لفعل مقدر ، أي : «اما يجمعكم دين يجمعكم ، واللفظ الثاني مفسر للاول كما قدّر بعد (اذا) في قوله تعالى : ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ** ﴾ [٤] . والمح المعتزلّي الى وجه اخر وهو ان يكون (دين ، حمّية) مبتدأين خبرهما محذوف مقدم عليهما والتقدير : « اما لكم دين ... ولا لكم حمية »[٥]. وصحح الخوئي هذا الوجه بان يكون الخبر الجملة الفعلية : (يجمعكم ، تشحذكم) ؛ لأنّ الاصل عنده عدم الحذف مع وجود الجملة الصالحة للخبرية[٦]. ثم ان الخوئي لم يركن الى الوجهين اللذين ذكرهما المعتزلّي ، فاستحسن وجها آخر وهو ان تكون « الهمزة للاستفهام على سبيل الانكار التوبيخي ، او على سبيل التقرير ، وما حرف نفي فلا حاجة الى تقدير الفعل لان (ما) على ذلك حجازية بمعنى ليس ، و دين اسمها ، ويجمعكم خبرها »[٧].

والراجح رفع الاسمين على الابتداء مع كونهما نكرتين لاعتمادهما على استفهام ونفي في سياق التحضيض[٨]. وتنكير الدين والحمية مع إنهما في حكم المعلوم إذ المراد : (الدين الإسلامي والحمّية العربّية) بغية التعظيم والتأكيد على أهميتهما في إقامة الدين وإحقاق الحق.

٢- قال الامام (ع) في احدى حكمه : (المنّيةُ ولا الدنّيةُ)[٩]. وقد تفاوتت اقوال الشّرّاح في توجيه رفع الاسمين ، فالراونديّ[١٠] قدر الاسمين مرفوعين على انهما نائب فاعل ، وأصل التركيب لديه : احتمِلُ المَنيَّةَ ، ولا احتمِلُ الدَّنيَّةَ . ومع حذف الفاعل يكون التقدير : تُحتَمَلُ المَنّيةُ ، ولا تُحتَمَلُ الدنّيةُ ، ثّم حذف الفعل المبني للمجهول ، فبقي الاسمان مرفوعين به . والى هذا ذهب البحراني في أحد قوليه[١١] . اما قوله الاخر : « فالمنّية مبتدأ دلّ على خبره

---

(١) ينظر: إحياء النحو٥٣ وفي النحو العربي نقد وتوجيه ٧٠ ومعاني النحو ٢٦/١

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٠ص:٣٢٥

(٣) ينظر : المعتزلّي١٠/٧٠

(٤) الانشقاق١ وينظر: الإنصاف ٦٢٠/٢

(٥) المعتزلّي ١٠/٧٠

(٦) ينظر: الخوئي ٢٧٨/١٠ .

(٧) نفسه٢٧٨/١٠ .

(٨) ينظر: ارتشاف الضرب ٨٠/٢

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٣٩٦ ، ص:٦٨٢

(١٠) ينظر: الراونديّ٤٢٠/٣ .

(١١) ينظر: البحراني ٤٠٨/٥

بقوله : ولا الدنّية ، أي : أسهل من الدنّية »[١] . وضعف الكمري في تتمة شرح الخوئي هذا الوجه ؛ لانّ عطف (ولا الدنية) لا يستقيم على ما قدر البحراني : « المنية اسهل من الدنية » ، ورأى أن فيه سماجة لا تخفى . ثم جاء بوجه جديد وهو « ان يقال : ان المنية اسم لكان التامة المقدرة بقرينة المقام ، اي كانت المنية ولا الدنية »[٢] ، ويبدو من راي البحراني الذي ضعّفه الكمري انه لم يقدر الجملة بـ « المنية اسهل من الدنية ، ولا الدنية » كي يكون العطف سمجا.

وانما قدر البحراني الخبر (اسهل من) في الموضعين ، أي : المنية اسهل من الدنية ، ولا الدنية أسهل من المنية . وعلى العموم كل ما ذكر سابقا لا يمكن الركون اليه لانه مبني على تقدير حذف. والاولى ان يقال : ان (المنية) مبتدا مكتف عن الخبر لردفه بمبتدا ثان : (ولا الدنية) ، فقام كل واحد منهما مقام الخبر عن الثاني ، فتّم الكلام بهما دون الحاجة الى الاغراق في التاويل .

٣- قال الامام (ع) : (عبادَ الله ، الله اَلله فَي أعزِّ الأنفس عليكم ، وأحبِّها إليكم ؛ فإنّ الله قد أوضحَ لكم سبيلَ الحقّ ، وأنارَ طُرُقَه . فشقوةٌ لازمةٌ ، أو سعادةٌ دائمةٌ!)[٣] . ووجّه المعتزلّي رفع (شقوة) بأنّها خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : فغايتكم ، أو جزاؤكم ، أو فشأنكم[٤] . وفي إعراب المعتزلّي هذا جاءت الجملة اسمية دالة على ثبات الشقوة او السعادة بتركيبها الذي يفيد الدلالة على الثبات ، فضلا عن نعتها بـ(لازمة) ، و (دائمة) ، ففهم من التقدير والإعراب انه يدل على مذهب المعتزلة « في الوعيد ؛ لانه قسم الجزاء على قسمين ، اما العذاب ابدا ، او النعيم ابدا ،وفي هذا بطلان لقول المرجئة ان ناسا يخرجون من النار فيدخلون الجنة ،لان هذا لو صح لكان قسما ثالثا »[٥] وتابع البحراني المعتزلّي في قوله هذا ، ورأى ان فيه تنبيها على غايتي سبيل الحق ، وسبيل الباطل[٦] . واكثر الشّرّاح المتاخرين على هذا الوجه[٧] . وجّوز الخوئي أنّ (شقوة ، وسعادة) «مبتدان محذوفا الخبر ، ولا يضر نكارتهما لكونهما نكرة موصوفة ، والتقدير : فشقوة لازمة لمن نكب عنها ، او سعادة دائمة لمن سلكها»[٨] . ثم جّوز «ان يكونا فاعلين لفعل محذوف »[٩] . وقرن التستريّ[١٠] إعراب (فشقوة لازمة) بإعراب قوله تعالى :﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾[١١]. فكلاهما يحتمل الرفع على أنّه مبتدأ فيقدر له خبر ، او خبر يقدر له مبتدا[١٢] . ثم انكر على الخوئي

---

(١) البحراني ٤٠٨/٥ .

(٢) الخوئي ٤٨٢/٢١ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ،١٥٧ ص:٢٧٦

(٤) ينظر: المعتزلّي ٢١٤/٩ .

(٥) نفسه٢١٤/٩ .

(٦) ينظر: البحراني ٢٥٣/٣ .

(٧) ينظر :عبده٣٦/١ ومغنية٤١٢/٢ وابو الفضل ١٥٨/١ والشيرازي٤١١/٢ .

(٨) الخوئي ٣١٥/٩

(٩) نفسه ٣١٥/٩ .

(١٠) ينظر: التستريّ ١٧٢/٢

(١١) يوسف ١٨ .

(١٢) ينظر: معاني الفراء٣٩/٢ ومعاني الزجاج ٧٨/٣ وإعراب النحاس ٣٠٨/٢:٢٨٦٢ والتبيان للعكبري ٧/٢ .

تجويزه رفع (شقوة) على انه فاعل لفعل محذوف ، لان الفعل لا يقدر الا بعد (ان) و(اذا) الشرطيتين ، وليس في كل موضع[١] . وخلص الى ان معنى الكلام : « بعد إيضاح السبيل ، وابانة الطريق ، من سلك السبيل يكون له السعادة الدائمة ، ومن تنكّب عن الطريق يكون له الشقوة اللازمة ، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ** ﴾[٢] »[٣] .

٤ - قال الامام (ع) في وصيّة للاشتر النخعي: (واجْعَلْ نفسَكَ جُنّةً دُون ما أَعْطَيْتَ ، فإنّه ليس من فرائضِ اللهِ شَيءٌ النـاسُ أشَدُّ عليه اجْتماعًا مع تَفَرُّقِ أَهْوائِهِم ، وتَشَتُّتِ آرائِهِم ، مِنْ تَعْظِيمِ الوَفاءِ بِالعُهودِ)[٤]. وفي إعراب : (الناسُ أشدُّ) خلاف بين الشّرّاح ينبثق من تفاوتهم في فهم المعنى ، فذهب الراونديّ الى أنّ (الناس) مبتدأ أوّل ، و (أشدّ) مبتدأ ثان ، و(من تعظيم الوفاء) خبر المبتدأ الثاني ، والمبتدأ الثاني مع خبره خبر للمبتدأ الاول ، ومحلّ الجملة نصب لأنّه خبر ليس ، ومحل ليس مع اسمها وخبرها رفع لانه خبر (انّ) ، و(شيء) اسم ليس ، و(من فرائض الله) لو كان متاخرا لكان صفة[٥] .

ووصف الكيدريّ إعراب الراونديّ بالخطا الفاحش جدّا ، ورأى ان : (الناس اشد عليه) مبتدا وخبر ، والجملة خبر ليس[٦]. وصحّح المعتزليّ كون (شيء) « اسم ليس ، وجاز ذلك وان كان نكرة لاعتماده على النفي ، ولان الجار والمجرور قبله في موضع الحال كالصفة ، فتخصص بذلك ، وقرب من المعرفة »[٧] . ثم خالف الراونديّ فاعرب «الناس مبتدا ، واشد خبره ، وهذه الجملة المركبة من مبتدا وخبر في موضع رفع لانها صفة (شيء) ، واما خبر المبتدأ الذي هو (شيء) فمحذوف وتقديره : (في الوجود) كما حذف الخبر في قولنا : لا اله الا الله ، اي : في الوجود»[٨] . وخطّأ الراونديّ في إعرابه : (اشد) مبتدا ثانيا ، و (من تعظيم الوفاء) خبره ؛ « لان حرف الجر اذا

---

(١) ينظر: الإنصاف ٢/٦١٥-٦٢٠.

(٢) هود ١٠٥ .

(٣) التستريّ ٢/١٧٢ .

(٤) نهج البلاغة : الرسالة ٥٤، ص: ٥٦٦.

(٥) ينظر: الراونديّ٣/٢٠٠ .

(٦) ينظر: الكيدريّ٢/٥٤٦ -٥٤٧ .

(٧) المعتزليّ١٧/١٠٧ .

(٨) نفسه١٧/١٠٧-١٠٨ وينظر: شرح عمدة الحافظ ٢٥٨ -٢٥٩ وأوضح المسالك ١/٢٩١.

كان خبرا لمبتدأ تعلّق بمحذوف ، وها هنا هو متعلق باشد نفسه ، فكيف يكون خبرا عنه »[١] ، وخطأه – ايضا - في إعرابه جملة (اشد من تعظيم الوفاء) خبرا عن الناس ؛ « لان ذلك كلام غير مفيد ، الا ترى انك اذا اردت ان تخبر بهذا الكلام عن المبتدأ الذي هو الناس لم يقم من ذلك صورة محصلة تفيدك شيئا ، بل يكون كلاما مضطربا »[٢]. ولما وجد المعتزليّ جواز استحصال المعنى مع تعدد وجوه الإعراب جوز ايضا « ان يكون من فرائض الله في موضع رفع

لانه خبر المبتدأ ، وقد قدم عليه ، ويكون موضع (الناس) ما بعده رفعا لانه خبر المبتدأ الذي هو (شيء)[٣] . وكذا لم يمنع المعتزلّي من « ان يكون (من فرائض) منصوب الموضع لأنّه حال ، ويكون موضع (الناس اشد) رفعا لانه خبر المبتدأ الذي هو شيء »[٤] .

ونعت الاملي – متّمم شرح الخوئي – ما ذكره الراونديّ والمعتزلّي من وجوه الإعراب بالتكلف المستغنى عنه ، فخلص بعد ايراده قوليهما الى ان « الوجه الصحيح في إعراب هذه الجملة أنّ : من فرائض الله ، ظرف مستقر خبر ليس ، و (شيء) اسمه ، وكون الخبر ظرفا ومقدما من مصححات الابتداء بالنكرة ، و(الناس) مبتدأ ، و (اشد عليه اجتماعا) خبره ، و(من تعظيم الوفاء) مكمل قوله (اشد) فان افعل التفضيل يكمل بالاضافة ، او لفظة **من** . والجملة في محل حال او صفة لقوله (شيء) »[٥] .

---

(١) المعتزلي ١٧/١٠٨ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

(٥) الخوئي ٢٠/٣٠٠ .

المطلب الثاني: دلالة حركات الإعراب المتعاقبة

١ - قال الامام (ع) في صفة السماء : (وَنَظَمَ بِلا تَعليقٍ رَهَواتِ فُرُجِها ، ولاَحَمَ صُدُعَ انفِراجِها ... وناداها بعدَ إذْ هِيَ دُخَانٌ ، فالتَحَمَتْ عُرى أشْراجِها)[١] ، ونقل الشراح[٢] ان : (بعد) روي بفتح الدال وبضمها ، فأما النصب فعلى اضافة (بعد) الى الظرف (اذ) ، واما الرفع فعلى القطع عن الاضافة . واستحسن المعتزلّي رواية النصب وهي عنده : «

احسن واصوب ؛ لانها على الضم تكون دخانا بعد نظمه رهوات فرجها وملاحمة صدوعه ، والحال تقتضي ان دخانها قبل ذلك لا بعده »[٣] . واستدل البحراني [٤] بالقران الكريم على عضد رواية فتح الدال التي تفصح عن ان نداء السماء يتلو كونها دخانا ، فقد قال تعالى :﴿ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها﴾[٥].

٢ - قال الامام (ع) قبل موته : (أَما وصِيَّتِي : فالله لَاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وُمَحَمّدًا (صلى الله عليه وآله) فلا تُضَيِّعوا سُنَّتَه)[٦] ونقل معظم الشراح[٧] ان (الله) و(محمدا) رويا بالنصب والرفع ، وأنّ نصبهما أشهر من رفعهما في نسخ النهج ، ثّم رجحوا رواية النصب تبعا لشهرتها في النسخ ، فضلا عن قوة وجهها وهو ان الاسمين منصوبان بفعل مضمر يفسره الفعل المذكور، والتقدير: وحدوا الله واتبعوا محمدا . وبين المعتزلّي ان سبب رجحان النصب هو ان الوصية تستدعي الفعل بعدها[٨]. على حين استحسن الراونديّ الرفع على النصب ، ولم يدلل على ما استحسنه[٩] ، وربما يكون مرامه ان رفع (الله) و (محمد) على الابتداء يلزم منه ان يكون التركيب جملة اسمية تدل على الثبات واللزوم[١٠]. اي ثبات عدم الاشراك بالله – عز وجل- وثبات الالتزام بسنة محمد (صلى الله عليه وآله) . لكن الخوئي[١١] ضعف الرفع ؛ لانه يلزم منه مجيء الجملة الطلبية خبرا ، وقد منع النحويون ذلك[١٢].

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص:١٥٤

(٢) ينظر:الراونديّ١/٣٨٨ والكيدريّ١/٤٥٣ والمعتزلّي٦/٤٢٠ والبحراني ٢/٣٥٩.

(٣) المعتزلّي٦/ ٤٢٠ وينظر: ٦/٣٤٧

(٤) ينظر:البحراني ٢/٣٦١ .

(٥) الصافات ١١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة١٤٩ ص ٢٥٩ .

(٧) ينظر:البيهقّي١/٢٣٨ والراونديّ٢/٧٦ والكيدريّ١/٤٦٧ والمعتزلّي٩/١١٧والبحراني ٣/١٩٥ والخوئي ٩/٣٥٤ .

(٨) ينظر: المعتزلّي٩/١١٧ .

(٩) ينظر: الراونديّ٢/٧٦ .

(١٠) ينظر: حاشية الصبان ١/٢١٠ ومعاني النحو ١/١٦

(١١) ينظر: الخوئي ٩/١١٤ .

(١٢) ينظر: الهمع ١/٩٦

٣ - قال الامام (ع) في بعض أيام صفين ، وقد رأى الحسن ابنه (ع) يتسرع الى الحرب : (اِلْمِكُوا عنِّي هذا الغلاَم لا يَهدُّني ، فإنَّنِي أُنفسُ بهذينِ . يعني الحسنَ والحسينَ عليهما السلام . على الموتِ لِئَلا ينقطِعَ بهما نَسْلُ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله)[١] . وقد روي الفعل (يهدني) منصوبا ومرفوعا ، فاما نصبه فللشراح ثلاثة اوجه له : الاول : أقّره البيهقّي وهو ان الفعل المضارع مجزوم في الاصل لانه واقع في جواب الطلب : (املكوا) ولكونه مضعّفا فتح اخره تخفيفا[٢]. وتبعه على هذا الراونديّ والكيدريّ[٣] . وأما الوجه الاخر : فأقّره الشارح المعتزلّي الذي أغفل الاشارة الى وجه

الراونـديّ المـذكور آنفا ثـم تبعـه فـي هـذا الاغفـال الشّرّاح اللاحقون جميعهم . ووجْـه المعتزلـّي هـو : « ان **يهـدني** منصوب بان مضمرة ، والتقدير: لئلا يهدني ، فحذف كما حذف طرفه في قوله[٤] :

أَلا أَيُّهذا الزَّاجري أحضَرَ الوغَى

اي : ان احضر »[٥] . وشايع معظم الشّرّاح اللاحقون[٦] المعتزلّي في رأيه هذا إلا الخوئي الذي نقل عن علماء اللغة قولهم : « انتصاب المضارع في هذا الشعر شاذّ لعدم وقوعه في جواب احد الاشياء الستة »[٧] ، ولذا جوّز الخوئي وجها اخر هو الثالث ، فقال : « يحتمل ان يكون انتصاب يهدّني بلفظة كي مضمرة إن جوّزنا اضمارها كما نصبت مظهرة في قوله تعالى : ﴿ **لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ** ﴾[٨] »[٩] .

واما رواية رفع (يهدُّني) ، فاحتمل الراونديّ فيها الوجوه الاتية[١٠] :

- ضم الدال اتباعا لضمّ الهاء قبلها.
- تقديم : (لا يهدني) وتاخير: (املكوا عني هذا الغلام).
- حمل(لا) على (ليس) في الإعراب.
- تقدير فاء محذوفة في : (فلا يهدّني) ، فيكون الكلام مستأنفا .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٧ ص:٤٠٧

(٢) ينظر : البيهقّي٣١٤ .

(٣) ينظر :الراونديّ٣٢٨/٢ والكيدريّ١٨٤/٢.

(٤) لطرفه في معلقته ، وتمامه:(وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي) ، ينظر: شرح السبع ١٩٢ وشرح االتسع٢٦٤-٢٦٥.

(٥) المعتزلّي٢٦/١١ ، وينظر: الكتاب ٩٩/١-١٠٠ والإنصاف ٥٦٠/٢.

(٦) ينظر : البحراني ١٤/٤ وعبده٤٤٧/١ ومغنية٣٣٤/٣ والتستريّ٢١٠/٣ وابو الفضل٨/٢ وانصاريان٣٩٦/٢والشيرازي٣١٥/٣.

(٧) الخوئي ٩٧/١٣ .

(٨) الأحزاب ٣٧ .

(٩) الخوئي ٩٧/١٣ .

(١٠) ينظر: الراونديّ٣٢٨/٢ .

واستدلّ بقوله تعالى :﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا** ﴾[١]. وفيه : (لا يضرُّكم) مرفوع ، ويحتمل رفعه على التقديم والتاخير ، وتقدير فاء محذوفة ، اي : (فهو لا يضرّكم) ، أو أن تكون (لا) كـ(ليس) الداخلة على الجملة الفعلية ، او يكون ضمّ الراء اتباعا لضم الضاد[٢]. واختار الكيدريّ من هذه الثلاثة الاتباع وحده[٣]. ووجّه الخوئي رفع يهدّني بأنّه « على إلغاء ان المضمرة عن العمل كما في قولهم :تسمعُ بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه ،على رواية الرفع »[٤]. وتنصّل فريق من الشّرّاح عن رواية الرفع[٥].

٤- قال الامام (ع) يصف المتقين : (فهُم والجنّةُ كَمن قد رآها ، فهُمْ فيها مُنَعَّمون ، وهُم والنارُ كمن قدْ رآها، فهم فيها مُعذَّبون)[٦] . وقد ذكر الشراح[٧] ان : (الجنة والنار) رُوِيا بالرفع والنصب ، فاما الرفع فعلى انهما معطوفان على (هم) ، واما النصب فوجهه ان الواو للمعية و (الجنة والنار) منصوبان على انهما مفعول معه ، وخبر المبتدأ شبه الجملة : (كمن قد رآها) . واستحسن الراونديّ رفع الاسمين فتكون الجملة الاسمية دالة على الثبات والاستقرار ويكون المعنى : « ان رجاءهم لثواب الجنة لاستقراره وثباته بدرجة ثواب من دخل الجنة ورآها وتنعم فيها .... وخوفهم من عذاب الله بمنزلة خوف من رأى جهنم وعذّب فيها »[٨] ، فكأنهم « حصل لهم من العلوم اليقينية ما يجري مجرى الضرورية »[٩].

واستحسن المعتزلّي نصب الاسمين ولم يأتِ بالسبب[١٠] . ورأى البحراني أنّ في الرفع « اشارة الى ان العارف وان كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدته بعين بصيرة لأحوال الجّنة وسعادتها وأحوال النار وشقاوتها كالذين شاهدوا الجّنة بعين حبهم ، وتنعموا فيها ، وكالذين شاهدوا النار وعذبوا فيها ، وهي مرتبة عين اليقين. فحسب هذه المرتبة كانت شدة شوقهم الى الجنة ، وشدة خوفهم من النار»[١١] . والانسان إذا طال فكره في شْيء ارتسم ذلك الشيء في نفسه حتى كأّنه حَسَّه بإحدى حواسّه[١٢].

---

(١) آل عمران ١٢٠

(٢) ينظر: معاني الفراء ٢٣٢/١ وإعراب النحاس ١٨٢/١ وتبيان العكبري ٢٣٥/١ .

(٣) ينظر: الكيدريّ ١٨٤/٢ .

(٤) الخوئي ٩٧/١٣ . وينظر :الزاهر ٢٤٧/٢وجمهرة الأمثال ٢٥٥/١ ،٢٦٦ ومجمع الأمثال ١٢٩/١ ،١٣١ ،٤٢٠ والمستقصى ٣٧١/١ وفصل المقال ١٣٥/١.

(٥) ينظر : البيهقّي ٣١٤ والمعتزلّي ٢٥/١١-٢٦ والبحراني ١٥/٤ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣، ص:٣٨١.

(٧) ينظر: الراونديّ ٢٧٧/٢ والكيدريّ ١٣٣/٢ والمعتزلّي ١٤١/١٠ والبحراني ٣٨٦/٣ .

(٨) الراونديّ ١٣٣/٢ .

(٩) الكيدريّ ١٣٣/٢ .

(١٠) ينظر: المعتزلّي ١٤٢/١٠ .

(١١) البحراني ٣٨٧/٣ .

(١٢) ينظر: الشيرازي ٢٤٦/٣ .

٥- وقال (ع) – أيضا -يصف المتّقين : (صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً. تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ)[١] . وفي : (تجارة مربحة) روايتان تفاوت الشّرّاح في اختيارهما ، فالراونديّ اختار النصب ، وجوز فيه اربعة وجوه : « اما البدل من الراحة ، واما النصب على المدح ، واما على الحال ، واما على تقدير اتّجروا ، ونصب المصدر مع حذف فعله كثير في الكلام »[٢] . ووجه المعتزلّي نصب تجارة على أنها مصدر محذوف الفعل ثم اختار رفع (تجارة مربحة) على الابتداء ، والتقدير : تجارتهم تجارة مربحة ، فحذف المبتدأ[٣] . ووافقه الخوئي[٤]. وجوز الكيدريّ ما احتمله الراونديّ الا تجويزه إعراب (تجارة) بدلا من (راحة) فهذا الوجه « ليس بالقوي لان التجارة المربحة ليست بنفس الراحة

وانما صبرهم المستعقب لتلك الراحة هي التجارة »[٥] . وزاد على ما ذكر الراونديّ ان تكون تجارة منصوبة بفعل مضمر يفسّره ما بعده اي : يسّر لهم ربهم تجارة . وجاء البحراني بالرفع وحده ، فلم يذكر رواية النصب ، ورأى أنّها تدلّ على الثبات والاستقرار على العمل الصالح اذ «استعار لفظ التجارة لاعمالهم الصالحة وامتثال أوامر الله ، ووجه المشابهة كونهم متعوضين بمتاع الدنيا وبحركاتهم في العبادة متاع الاخرة ، ورشح بلفظ الربح لافضلية متاع الاخرة وزيادته في النفاسة على ما تركوه »[٦] والراجح رفع (تجارة) لما في الجملة الاسمية من دلالة على اللزوم والثبات والاستقرار على العمل الصالح . فيكون عمل الانسان في الدنيا في حكم التجارة اذ يعمل هنا وياخذ هناك . اما النصب ففي جميع وجوهه يدل على زوال العمل ا لصالح ، وعدم استقرارهم عليه بلحاظ الفعل المقدّر مع نصب تجارة سواء كان مقدّما أم مؤخّرا .

٦- وقال (ع) – أيضا- يصف المتقين: (أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهمُ ، وأَمَّا النَّهَارَ فَحُكَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارُ تَأْقِيَاءُ)[٧]. واجمع الشّراح على ان (الليل والنهار) رويا بالرفع والنصب[٨] ، فأمّا النصب فعند أكثرهم[٩] على الظرفية ، وعامل النصب هو « (أمّا) لتضمنها معنى الفعل او الخبر في نحو قولك : اما اليوم فأنا ذاهب »[١٠]. وجوز بعضهم النصب بنزع الخافض (في) ، والتقدير : واما حالهم في الليل ... واما حالهم في النهار...[١١]. واما الرفع فعلى الابتداء ،وهو

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ ، ص:٣٨١ .

(٢) الراونديّ٢/ ٢٧٧ وينظر: الهمع١٨٨/١ .

(٣) ينظر: المعتزلّي١٤٢/١٠ وأنصاريان٣٥١/٢ .

(٤) ينظر : الخوئي ١١٣/١٢ .

(٥) الكيدريّ١٣٣/٢.

(٦) البحراني ٣٨٨/٣ وينظر: الشيرازي٢٤٦/٣ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣، ص:٣٨٢ .

(٨) ينظر:الراونديّ٢٧٨/٢ والكيدريّ١٣٦/٢ والمعتزلّي١٤١/١٠ والبحراني ٤١٠/٣ والخوئي ١١٢/١٢ وانصاريان٣٥٢/٢.

(٩) ينظر: الراونديّ٢٧٨/٢ والكيدريّ١٣٦/٢ والبحراني ٤١٠/٣ والخوئي ١١٢/١٢.

(١٠) الخوئي ١١٣/١٢ . (١١) ينظر: المعتزلّي ١٤٢/١٠

مجاز ، وتقديره : «ليل هؤلاء صافّون ونهارهم حكماء »[١] . وقدر الكيدريّ مبتدأ آخر محذوفا بعد (النهار والليل) ، والاصل عنده : « اما الليل فهم صافون فيه ، واما النهار فهم حكماء فيه ، فيكون (الليل والنهار) مبتدا ، والجملة بعده خبره ، وفيها ضمير مقدر يعود عليهما »[٢].

٧- قال الامام (ع) يصف خلق الكواكب : (جَعَلَ نُجُومَها أعلاماً يَستدلُّ بها الحيرانُ في مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الأقطارِ . لم يمنْع ضوءَ نورِها ادلهمامُ سُجُفِ اللّيلِ المُظلمِ ، ولا استطاعت جلابيبُ سوادِ الحنادسِ أنْ تَرُدَّ ما شاعَ في السّماواتِ من تلالُؤِ نورِ القمرِ)[٣] . واطبق الشّراح على ان الرواية المشهورة هي برفع (ادلهمام) على الفاعلية ، ونصب (ضوء نورها)

على المفعولية[٤] . واستحسن الراونديّ « ان يكون ادلهمام مرفوعا ليكون فاعل لم يمنع ، وضوء نورها مفعول ، ليكون المعنى مزدوجا لما بعده »[٥] . وفهم المعتزلّي من هذا ان رفع (ادلهمام) يلزم منه ان يكون لازِما الليَّلِ : (ادلهمام السجف) و(جلابيب السواد) هما الفاعل في الحالتين. والمعنى : لم يمنع ادلهماُم سجف الليل ضوءَ نور النجوم، ولا استطاعت جلابيبُ سواد الحنادس منع تلالؤ نور القمر[٦] . ونقل البيهقّي عن الوبري قوله : « انما لم يصِحَّ من الظلمة ان تمنع نور الكواكب لان الله تعالى قادر على ان يزيد في قدر انوارها على قدر اجزاء الظلمة ، وانما يكون الشيء مانعا لغيره لكثرة اجزائه ، ففي اي جانب حصلت الكثرة صار الاخر مغلوبا »[٧] . وذكر فريق من الشّرّاح رواية اخرى وذلك بعكس الإعراب بين اللفظين ، فيكون (ادلهمام) منصوبا على المفعولية ، و(ضوء نورها) مرفوعا على الفاعلية . وقد صرح البحراني بان هذا الإعراب يلزم منه مقابلة بين الضياء والظلام ، « فنور القمر والنجوم لايمنعه من الوجود والتحقق ظلمة الليل بل يتعاقبان بحسب تعاقب اسبابهما المنتهية الى قدرة الصانع الحكيم »[٨] ، وسمى المعتزلّي المقابلة (ازدواجا) ، ورأى ان هذه الرواية « احسن في صناعة الكتابة لمكان الازدواج ، اي : لا القمر ولا الكواكب تمنع الليل من الظلمة ، ولا الليل يمنع الكواكب والقمر من الاضاءة»[٩] .

---

(١) الراونديّ٢/٢٧٨ وينظر: المعتزلّي١٠/١٤٢ .

(٢) الكيدريّ٢/١٣٦ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٢ص:٣٢٨

(٤) ينظر : البيهقّي٣٠٢ والراونديّ٢/١٨٨ والكيدريّ٢/١٠٨ والمعتزلّي١٠/٨٥ والبحراني ٣/٣٥٥ وعبده١/٣٥٨ والخوئي ١٠/٣٠٩ والتستريّ١/٣٥٨ وابو الفضل١/٤٢٩ وانصاريان٢/١٨٧ والشيرازي٣/٨٩ .

(٥) الراونديّ٢/١٨٨ .

(٦) ينظر: المعتزلّي١٠/٨٦ .

(٧) البيهقّي٣٠٢ وينظر: الكيدريّ٢/١٠٩ .

(٨) البحراني ٣/٣٥٩ .

(٩) المعتزلّي١٠/٨٦ وينظر : الخوئي ١٠/٣٠٩ .

٨- قال الامام (ع) في توحيد الباري وحدوث الاجسام كلها : (لا يُشْمَلُ بِحَدٍّ ، ولا يُحْسَبُ بِعَدٍّ ، وإنّما تُحُدُّ الأدواتُ أنفُسها ، وتُشِيرُ الآلات إلى نَظَائِرِها ، مَنَعَتْها (مُنْذُ) القِدْمَةَ ، وحَقَقْتها (قَدْ) الأزلّية ، وجَنَّبْتها (لولا) التَّكْمِلَةَ)[١].

ولما وقف الشّرّاح على هذا الموضع نقلوا اختلاف الرواة في إعراب : (القدمة والازلية والتكملة) ، فمنهم من نصبها ومنهم من رفعها . فاما رواية نصب هذه الثلاثة فهي السماع من المشايخ المعتمدين لدى الراونديّ[٢] ، وهي الرواية الاولى لدى البحراني لانها بخط الرضي[٣] . ومن هنا طول الراونديّ في توجيهها وتلمس المعنى العام في حال نصب هذه الثلاثة ، اذ تكون الادوات : (منذ ، وقد ، ولولا) فواعل ، وتعرب الاسماء المنصوبة : (القدمة والازلية والتكملة)

مفعولا ثانيا ، والمفعول الاول الضمائر المتصلة بالافعال : (منعتها ، وحمتها ، وجنبتها) . فيكون المعنى ان كلمة (منذ) منعت الالات والادوات من أن يصفها العقلاء بالقدم لعلمهم بابتدائها جميعا ، والقديم ما لا اول لوجوده ، على حين تقتضي (منذ) الابتداء فينافي مدلولها القدم ، فيقال : منذ كان كذا ، والمعنى من الوقت المعين فيكون اطلاق كلمة منذ على الالات والادوات مانعا عن كونها قديمة . وكذا منعت كلمة (قد) الالات والادوات من ان توصف بالازلية ؛ لان (قد) تفيد تقريب الماضي من الحال ، فيقال : قد قام وهذا يدل على ان قيامه قريب من الحال التي أخبرت فيها بقيامه ، او التردد في الحاضر ، فيقال : زيد قد يعطي وقد يمنع ، وهذه المعاني تنافي الازلية ؛ لان الازلي لا يصح منه ذلك لانه قديم لا بداية له ، وهم يقولون : ان الالات والادوات وجدت بعد عدمها وان لفظة (قد) منعت الاجسام ان تكون ازلية . وكذا منعت كلمة (لولا) الالات والادوات ان توصف بالكمال ، فلقائل ان يقول : ما اكمل هذه الدار وما فيها لولا انها فانية ، فدل هذا على نقصان الدار لان (لولا) مدلولها ينافي الكمال ، فهي تدل على كون الشيء معلقا بغيره ، اذ وضعت لامتناع الشيء لوجود غيره[٤] . وشايع الراونديّ فريق من الشّرّاح في قوله هذا دون تصريح بنقلهم عنه[٥].

اما رواية رفع الاسماء الثلاثة : (القدمة والازلية والتكملة) ففيها تعرب هذه الاسماء المرفوعة فواعل لمنعت وحمت وجنبت ، فيكون محل (منذ وقد ولولا) نصبا على انها مفعول ثان ، وتكون الضمائر المتصلة بالافعال في محل نصب مفعول اول . وقد سبق الراونديّ اقرانه الى تلمس المعنى العام للتركيب على وفق هذا الإعراب ، وهو ان قدمته تعالى منعت تلك الاجسام المحدثة ان تستعمل في الله تعالى لفظة (منذ) لانها تفيد الحدوث والابتداء[٦] ، فيقال : كان منذ زمان كذا . وهذا ينافي القدم . وكذا حمت ازليته تعالى ان تستعمل لفظة (قد) في الله تعالى لانها تفيد تقريب الماضي من

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٦ص :٣٤٣. (٢) ينظر: الراونديّ٢/٤٣١.

(٣) ينظر: البحراني ١٣١/٤ . (٤) ينظر: الراونديّ٢/٤٣١-٤٣٢ .

(٥) ينظر : البيهقّي٣٤٥ والكيدريّ٢/٢٨٤ والمعتزلّي١٣/٧٧ والبحراني ١٤٣/٤ والسرخسي١/٢٠١ وعبده ٣٧٨/١ والخوئي١١/٦٠ ومغنية٣/٦٦ وأبو الفضل ٧٠/٢والموسوي ٢٣٥/٣ .

(٦) ينظر: الكتاب ٣/٢٢٦،٢٨٧،٤ والجمل في النحو ١٣٩ وشرح المفصل ٤٦/٨ وشرح الكافية للرضيّ٢/١٣٢.

الحال[١] وهذا ينافي الازلية . وكذا جنبت غاية كماله ان يقال في الله تعالى (لولا) لان هذه اللفظة لا تطلق الا على ناقص لأنها تفيد امتناع الشيء لوجود غيره[٢] . وخلص البحراني الى نعت هذه الرواية بهذا المعنى بانها هي التي «تقضي بقدمه ونفي الحدوث عنه »[٣] . على حين شايع المعتزلّي الراونديّ ، فقال في ختمه توجيهها : « المقصد والمنحى بهذا الكلام على هذه الرواية بيان قدم الباري تعالى وكماله ، وانه لا يصح ان يطلق عليه الفاظ تدل على الحدوث والنقصان»[٤] . وتبين للتستري ان الافعال الثلاثة (منع وحمى وجنب) ليس لها الا مفعول واحد ، وتتعدى الى الثاني بالواسطة (من) و(عن) ، وليست هذه التعدية في المعجمات ، ولذا اعرب (منذ) و (قد) و (لولا) بدلا من

الضمائر في (منعتها و حمتها وجنبتها) ، واستدلّ على ذلك بان الادوات والالات المذكورة سابقا هي نفسها (منذ وقد ولولا) وغير ذلك ، فيصح القول بابدال هذه الادوات من الضمائر المتصلة بالافعال ؛ لان الادوات والالات عبارة عن منذ وقد ولولا[٥]. وألمح التستريّ الى رجحان رواية من نصب الاسماء الظاهرة ، وإعراب الادوات فواعل بايراده تتمة خطبة الامام من كتاب تحف العقول ، وفيها : (لاوتغُيِّبه مُذْ لاوتدْنيهِقَد لاوتحْجُبه لَعلَّ لاوتَوَقُّه قَد لاو تشْمله حِيْنَ لاوتفَارِقُهعهَ)[٦] .

٩- قال الامام (ع) : (أَما بعدُ ، فإنّ الدُّنيا أَدْبَرتْ ، وآذَنتْ بِوَداعٍ ، وإنَّ الآخرة قدْ أَقْبَلَتْ ، وأشْرَفَتْ بِاطّلاعٍ ، ألا وإنَّ اليوَم المِضْمارَ وغدًا السِّباقَ)[٧] . ولما وقف الشّرّاح على هذه الخطبة جوزوا رفع (المضمار والسباق) ثم تفاوتوا في الاختيار تبعا لاختلافهم في فهم معنى كلام الامام (ع) . فذهب الراونديّ الى ان «الاحسن ان يجعل اليوم اسما صريحا ، ويكون اسم ان. ويرفع المضمار على انه خبر ان ، وعلى هذا إعراب وغدا السباق »[٨].

واختار المعتزلّي نصب المضمار والسباق على انهما اسما ان ، فيكون الظرفان خبرين وموضعهما الرفع ؛ لان « ظرف الزمان يجوز ان يكون خبرا عن الحدث »[٩]. وفصل البحراني في تجويز الإعرابين دونما اختيار ، واشار الى اختلاف المعنى بين رفع (المضمار و السباق) ونصبهما . ففهم من رأي الراونديّ الذي اختار رفعهما انه يجعل (اليوم) و(غدا) اسمين صريحين ، فاليوم كناية عن ايام الانسان الباقية من عمره ، وهو خارج عن الظرفية كانه

---

(١) ينظر: الكتاب ١١٥/٣.

(٢) ينظر: الكتاب ٢٢٢/٤ والجمل ٣١١

(٣) البحراني ٤٣٣/٢ .

(٤) المعتزلّي ٧٧/١٣ .

(٥) ينظر: التستريّ ١/ ٣٠٩ .

(٦) التستريّ ٣١٠/١ وينظر: تحف العقول ٦١ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة٢٨، ص: ٦٤

(٨) الراونديّ ٢١٨/١ وينظر :البيهقّي ١١٨والكيدريّ ٢٤٣/١ وعبده ٧٩/١ ومغنية ٢٨/١ وأبو الفضل ٨٠/١ والشيرازي١٥٧ .

(٩) المعتزلّي ٩٣/٢ وينظر: التستريّ ٩٠/١٢-٩١ .

معرفة وليس ظرفا مبهما .وكذا (غدا) كناية عما بعد الموت ، وهو يوم الحساب ، وكانه معرفة – ايضا- لايمان الناس المخاطبين به ، فصلح مجيء الظرفين في موضع الابتداء[١].

. واما نصب الاسمين على وفق ما اختاره المعتزلّي ، فرأى البحراني أن فيه اشكالا في : (ان اليوم المضمار) ، إذ كل من المبتدأ والخبر زمان ، فالمضمار اسم يطلق على المدة التي يعد فيها الفرس للسباق ومقدارها اربعون يوما يُسمّن فيها ثم يُردّ الى القوت . واستعير هذا الى الانسان في مدة عمره لما بينهما من المشابهة ، فالانسان يستعد بالتقوى والاعمال الصالحة ليكون من السابقين الى لقاء الله – عز وجل – كما يستعد الفرس للسبق بالتضمير وهو التسمين ثم

القوت[٢]. واما اليوم فزمان معلوم . فلا يصحّ بعد هذا الإخبار بوقوع الزمان في الزمان ؛ لانه يلزم منه ان الزمان سيكون محتاجا الى زمان اخر ، وهذا محال[٣]. ثم يجيب البحراني عن هذا الاشكال بان المضمار ليس اسما لمجرد الزمان بل هو زمان مشتمل على حدث هو التضمير، ونحوه : ان مصطبح القوم اليوم ، فصح الاخبار هنا من باب « ان بعض اجزاء الزمان قد يخبر عنها بالزمان بمعنى انها اجزاؤه ، لا بمعنى انها حاصلة في زمان آخر »[٤] . والمضمار لما كان عبارة عن الزمان الذي تضمر فيه الخيل ، وهو زمان مخصوص لتقيده بوصف مخصوص صح الاخبار عنه باليوم[٥] .

وأما : (وغدا السباق) ، فجوز البحراني فيه نصب (السباق) على انه اسم ان، و(غدا) في موضع الخبر، ومنع رفع (السباق)؛ لأنّه لو كان خبرا لكان (غدا) اسمه ، فيكون هو المبتدأ في الاصل والسباق خبره ، وهذا لايجوز ؛ لان السباق ليس محمولا على (غدا) ، اذ لو كان محمولا عليه لكان الحمل بمعنى (هو) ، نحو : الانسان الضحاك ، اي : هو الضحاك، او الحمل بمعنى (ذو) نحو : الجسم ابيض ، اي ذو بياض ، ولا واحد من المعنيين بحاصل في (غد السباق) فمنع ان يكون السباق خبر ان . ويستدرك البحراني على ذلك مجوزا رفع السباق بتقدير محذوف هو المضاف، واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير: (وان غدا وقت السباق)[٦].

١٠- قال الامام (ع) في فضل الاسلام على الامة : (وَإنّكم إنْ لجأتُمْ إلى غيره حارَبَكُم أهْلُ الكُفْرِ ، ثُمَّ لا جبرائيلُ ولا ميكائيلُ ولا مهاجرون ولا أنصارٌ ينصُرُونَكم إلا المقارعةَ بالسيفِ)[٧] . ثمّ رأى اكثر الشّرّاح ان الرواية المشهورة هي نصب (جبرائيل ، وميكائيل ، والمهاجرين ، والانصار)[٨] . ووجه النصب ان هذه الاسماء ، وان كانت مفردة

---

(١) ينظر: البحراني ٤٣/٢ .
(٢) ينظر: نفسه٤١/٢ .
(٣) ينظر:الكتاب ٤١٨/١ والهمع ٩٩/١ .
(٤) البحراني ٤٣/٢ .
(٥) ينظر: الخوئي ٤/٤
(٦) ينظر : البحراني ٤٢/٢-٤٣
(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ص :٣٧٦.
(٨) ينظر: البيهقّي٣٦٤ والراونديّ ٢٦٦/٢ والكيدريّ٣٥٨/٢ والمعتزلّي١٨٢/٣ والبحراني ٢٨٠/٤ والخوئي٤/١٢ والتستريّ٣٠٨/٤.

عوملت معاملة الجنس بعد (لا) النافية للجنس « وهو جائز على التشبيه بالنكرة كقولهم : معضلة ولا ابا حسن لها ، قال الراجز[١] : لا هيثم الليلة للمطي »[٢].

وعلل البحراني نصب (جبرائيل وميكائيل) مع تعريفهما بانهما لوحظ « فيهما التنكير ولذلك أتى عقيبهما بعد لا بالنكرتين»[٣]. وعضد الخوئي رواية النصب في هذه الاسماء بعد (لا) النافية للجنس بما استقر عند النحويين[٤] من إنّ العلم المشهور في باب لا النافية للجنس قد يؤول بنكرة فينتصب وينزع منه لام التعريف « ولتأويله بالنكرة وجهان: إما أن يقدر مضاف هو: (مثل) ، فلا يتعرف بالإضافة لتوغله في الإبهام ، وأما أن يجعل العلم لاشتهاره بتلك الخلة كأنه

اسم جنس موضوع لإفادة ذلك المعنى ؛ لأنّ قضية ولا أبا حسن لها : لا فيصل لها ...فصار اسمه كالجنس المفيد لمعنى الفصل والقطع كلفظ الفيصل .»[٥]. ومن هنا رأى الخوئي انّ تاويل النصب في : (لا جبريل ولا ميكائيل) انه لا ناصرَ لكم ولا معاونَ[٦] . فخرجه على العموم والسعة لا التخصيص والتعريف. واستدل التستريّ بسياق المعاطيف في عضد رواية النصب ؛ لان « قوله عليه السلام : ولا مهاجرين ولا انصار بلا لام دون ان يقول : ولا المهاجرين ولا الانصار دليل على ارادة العموم بجبرائيل وميكائيل ، كقولهم : ولا ابا حسن ، دون ان يقول : ولا ابا الحسن »[٧]. ومعنى العموم ظاهر مع نصب هذه الاسماء لانها بمنزلة الاجناس لا الافراد.

اما رفع هذه الاربعة فرجحه البحراني [٨] ، ووجه الرفع عنده على الابتداء ، وتكون فيها (لا) ملغاة عن العمل ، والمعنى ان « عدم نصرة الملائكة والمهاجرين والانصار لهم ، اما لان النصرة كانت مخصوصة بوجود الرسول والاجتماع على طاعته ، وقد زالت بفقده ، او لانها مشروطة بالاجتماع على الدين والالفة فيه ، والذب عنه ، واذا التجؤوا الى غيره وحاربهم الكفار لم يكن لهم ناصر من الملائكة لعدم اجتماعهم على الدين ولا من المهاجرين والانصار لفقدهم »[٩]. ونبه الخوئي الى ان الغاء (لا) عن العمل في رواية رفع هذه المعاطيف الاربعة ((هو احد الوجوه الخمسة التي ذكرها علماء الادب في نحو : لا حول ولا قوة الا بالله ، وعلى اي تقدير فالخبر محذوف ، وجملة : ينصرونكم وصف اوحال »[١٠]. وتقدير الخبر بالمعرفة او النكرة هو الذي يحدد إعراب جملة (ينصرونكم)

---

(١) من شواهد الكتاب ٢٩٦/٢ من دون عزو.

(٢) المعتزلّي١٨٢/٣.

(٣) البحراني ٢٨٠/٤ .

(٤) ينظر :الكتاب٢٩٦/٢-٢٩٧ وشرح عمدة الحافظ٢٥٧-٢٨٥ والتسهيل٦٧ وشرح الكافية للرضي١٨٦/١وشرح ابن عقيل٣٩٩/١.

(٥) الخوئي٤/١٢ وينظر: شرح الكافية للرضي١٨٥/١-١٨٦ .

(٦) ينظر: الخوئي ٤/١٢ .

(٧) التستريّ٣٠٨/١٢ وينظر: التسهيل ٦٧ وشرح ابن عقيل ٣٩٤/١.

(٨) ينظر: البحراني ٢٦٦/٤ . (٩) نفسه٢٧٩/٤-٢٨٠.

(١٠) الخوئي ٤/١٢ وينظر : شرح عمدة الحافظ٢٥٧ وشرح ابن عقيل٣٩٥/١ .

بين الحال او الوصف ، فلو قدر الخبر بلفظ (المعروفون) تعرب الجملة حالا ، ولو قدر بلفظ (موجودون) تعرب الجملة نعتا . والمعنى يستدعي ان يكون التقدير : فلا جبرائيل ، ولا ميكائيل ، ولا المهاجرين ، ولا الانصار موجودون ينصرونكم ؛ لان تقدير الخبر بلفظ (المعروفون) يلزم منه جواز الاخبار عن انصار ومهاجرين غير معروفين ينصرونهم ، فنفي النصرة عن هؤلاء المعروفين لا يلغي وجود النصرة من غير المعروفين منهم. اما تقدير الخبر بلفظ النكرة (موجودون) فلا يعارضه الاخبار عن الملائكة والمهاجرين والانصار بغير موجودين ؛ لانهم غير موجودين فعلا

في الكوفة آنئذٍ ، ومع فساد تقدير الخبر معرفة يرجح كون الجملة (ينصرونكم) حالا . ويبقى رفع الاسماء الاربعة دليلا على تخصيص مدلولها بالملكين المعروفين والفريقين المعروفين .

ثم اطبق الشراح[١] على ان (المقارعة) في : (الا المقارعة بالسيف) يروى بالنصب والرفع . اما النصب فاختلفوا في توجيهه ، فذهب الراونديّ الى ان « المقارعة تكون بالنصب على انه استثناء منقطع »[٢] ، وتبعه البحراني [٣]. ورأى المعتزلّي أنّ « المقارعة منصوبة على المصدر»[٤]. وذهب الخوئي الى ان (المقارعة) استثناء متصل بما قبله ، وليس منقطعا كما ذهب الراونديّ والبحراني ، وذلك بعد افادة الاسماء الاربعة قبلها معنى العموم المستحصل من تنكيرها في حال روايتها بالنصب ، والمقارعة جزء من هذا العموم « فان الكلام بعد التاويل المذكور بمنزلة لا اعوان ولا ناصرين ينصرونكم الا المقارعة »[٥]. وكأنّ المقارعة احد المناصرين فهي استثناء متّصل من هذا الجانب . وجوز الخوئي وجها اخر لاتصال المقارعة بما قبلها ، وهو « جعل المستثنى منه ضمير الجمع في ينصرون العائد الى الاسماء المذكورة »[٦] ، والمعنى : لا شيء ينصركم الا المقارعة. وربما ادرك الخوئي نفسه تعسف توجيه نصب (المقارعة) على الاستثناء المتصل او المنقطع ، فخلص الى ان « الذي يقتضيه النظر الدقيق هو ان جعل انتصاب المقارعة على رواية النصب بالمصدر ، كما قال الشارح المعتزلّي اولى لافادة الدوام والثبوت ، بيان ذلك انهم قد قالوا ان المصدر اذا وقع مثبتا بعد نفي داخل على اسم لا يكون خبرا عنه الا مجازا ؛ لكون صاحب هذا المصدر يحذف عامله قياسا نحو : ما زيد الا سيرا ، وما الدهر الا تقلبا ، وما كان زيدٌ الا سيرا . فان سيرا لا يجوز جعله خبرا عن زيد ؛ لان زيدا صاحب السير ، لا نفس السير ، وهكذا لا يصح جعل (تقلبا) خبرا عن دهر فلابد من ان يكون العامل محذوفا ، اي : ما زيد الا يسير سيرا ، وما الدهر الا يتقلب تقلبا ، وفيما نحن فيه : لا انصار ينصرونكم الا تقارعوا المقارعة بالسيف »[٧]. ثم يأنس

(١) ينظر: البيهقّي٣٦٤ والراونديّ ٢٦٦/٢ والكيدريّ٣٥٨/٢ والمعتزلّي١٨٢/٣ والبحراني ٢٨٠/٤ والخوئي ٤/١٢ والتستريّ٣٠٨/٤.

(٢) الراونديّ ٢٦٦/٢

(٣) ينظر: البحراني ٢٨٠/٤

(٤) المعتزلّي١٨٢/٣

(٥) الخوئي ٥/١٢

(٦) نفسه ٥/١٢

(٧) نفسه ٦/١٢ .

الخوئي بأنّ حذف الفعل في مثل هذا الموضع يفيد الدلالة على ان المقصود من هذا الحصر وصف الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له « فلما كان المراد التنصيص على الدوام واللزوم لم يستعمل العامل اصلا لكونه اما فعلا ، وهو موضوع على التجدد ، او اسم فاعل وهو مع العمل كالفعل لمشابهته ، فصار العامل لازم الحذف ، فان ارادوا زيادة المبالغة جعلوا المصدر نفسه خبرا ، نحو : ما زيد الا سيرا... فينمحي عن الكلام معنى الحدوث اصلا لعدم صريح الفعل ، وعدم المفعول المطلق الدال عليه»[١].

اما رفع المقارعة، فتأويله لدى الراونديّ يحتمل وجهين تبعا لإعراب الاسماء الاربعة قبلها ، فيجوز ان يكون « ابتدأ وقال : ولا انصار ينصرونكم ، والمعنى وليس لكم انصار ينصرونكم الا المقارعة ، اي : ذوو المقارعة ، فحذف المضاف ، ويجوز ان يكون المعنى : لا ينجيكم الا المقارعة ، فلا يحتاج الى اضمار مضاف »[٢]. فاما الابتداء في (ولا انصار ينصرونكم الا المقارعة) ، ففيه (لا) بمعنى (ليس) و (المقارعة) خبر (ليس) والاستثناء مفرغ ، وأما كون (المقارعة) فاعلا في التقدير : لا ينصركم الا المقارعة ، فمحمول على نصب الاسماء الاربعة قبلها. ووجه الخوئي رفع (المقارعة) باحد وجهين: الاول : انها بدل من الاسماء المذكورة قبلها في حال روايتها بالرفع. والاخر : انها بدل من ضمير (ينصرونهم) في حال رواية الاسماء الاربعة بالنصب ، واختار الخوئي رفع (المقارعة) تبعا لما رجحه العلماء « في مثل ﴿ **مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾[٣] والا قليلا ، اي فيما اذا وقع المستثنى بالا في كلام غير موجب وذكر المستثنى منه انه يجوز النصب ويختار البدل»[٤] .

١١- قال الامام (ع) يصف احكام القرآن: (بينَ مأخوذٍ ميثاقُ علمِه ، ومُوَسَّعٍ على العبادِ في جَهْلِه ... وبين واجبٍ بوقتِه ، وزائلٍ في مستقبلِه . ومباينٌ بينَ محارمِه من كبيرٍ أوعد عليه نيرانَه، أو صغيرٍ أرصد له غفرانَه...)[٥]. وفسر الشّراح (مباين بين محارمه ...) بان معنى المباينة بين محارم القران هو ان محارمه تنقسم الى كبيرة وصغيرة ، فالكبيرة أوعد الله – عزّ وجل- عليها بالعقاب ، والصغيرة مغفورة[٦]. ثم قاد المعتزلّي فريقا من الشّراح ، فاعربوا (مباين) بالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف ، والتقدير: هو مباين ، ورأى المعتزلّي أنّ « الواجب أنْ يكون مباين بالرفع لا بالجر ، فانه ليس معطوفا على ما قبله ، الا ترى ان جميع ما قبله يستدعي الشيء وضده ، او الشيء ونقيضه ، وقوله : (مباين بين محارمه) لا نقيض ولا ضد له ؛ لانه ليس القران العزيز على قسمين: احدهما

---

(١) الخوئي ٦/١٢ وينظر:الكتاب ٣٣٧/١ والمقتضب ١١٩/٢والجمل ٥٥٠/١ ودلائل الإعجاز ١٣٣-١٣٤والأمالي الشجرية ٧١/١.

(٢) الراونديّ٢٦٦/٢ وينظر : ٣٥٩/٢ .

(٣)النساء٦٦ وينظر: إعراب النحاس ٢٣٠/١ والكشاف ٥٣٩/١ وتبيان العكبري ٢٩٧/١

(٤) الخوئي ٥/١٢.وينظر: الجمل ٢٣٠ وشرح الجمل ٢٥٦/٢ وشرح شذور الذهب٢٥٦

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١ص:٢٤ .

(٦) ينظر : البيهقّي٧٤ والكيدريّ١٤٢/١ والمعتزلّي١٢٢/١ والبحراني ٢٧٧/١ وعبده٣٠/١ ومغنية١٤٢/١ والتستريّ١٨/١٣.

مباين بين محارمه ، والاخر غير مباين ، فان ذلك لا يجوز ، فوجب رفع مباين ليكون خبر مبتدأ محذوف »[١] .

واعرب البحراني (مباين) معطوفا على المجرورات السابقة ، ورأى ان فيه نكتة لطيفة هي ان «المحارم لما كانت هي محال الحكم المسمى بالحرمة صار المعنى: بين حكم مباين وبين محالّه وهو الحرمة»[٢] . فقدر متضايفين محذوفين قبل (مباين) لتاويل جره ، وأقر التعدد في معنى (مباين) وهو تعدد على سبيل الضد او النقيض ، كما اشترط المعتزلّي، فمنع تبعا لهذا الشرط ان تعرب اللفظة بالجر عطفا على المتضادات والمتناقضات قبلها. ونعت التستريّ قول البحراني

هذا بانه « فيه تكلف لا تلطف ... وما قاله لا يناسب كلامه عليه السلام فيتعين رفعه »[٣] . يريد ان لا داعي لتقدير عامل الجر لـ (مباين) مع وجود إعراب اخر غيره لا تقدير فيه والمعنى ظاهر معه ؛ « لان المباين ليس ايضا شيئا واحدا شخصيا ، بل هو مثل المحارم، والحرمة المباينة بين المحارم تابعة للمحارم في تعدد الافراد»[٤] ، وانكر الخوئي على المعتزلّي استدلاله بان القران ليس على قسمين احدهما مباين ، والاخر غير مباين فمنع جر (مباين) عطفا على الاضداد قبله ، ورأى ان القران « ليس منحصرا في المباين بل بعضه جدل ، وبعضه قصص ، وبعضه مَثَل ، وبعضه احكام ، وبعضه ترغيب ، وبعضه ترهيب ، كما ان بعضه مباين بين محارمه الى غير ذلك مما اشتمل عليه »[٥] .

وشايع الخوئي [٦] البحراني فاعرب مباين بالجر عطفا على سابقه ، أي : بين مباين وبين محارمه . فقدر (بين) محذوفة وحدها . ووصف رأي المعتزلّي وصحبه في وجوب رفع (مباين) بالوهم ، ولم يلتفت الى احتجاجه بان ما قبل (مباين) يستدعي الشيء وضده ، وهذا لا ضد له . وتوسع في تبيان مدلول كلمة (بين)[٧] التي لا تستدعي الاضافة الى اثنين فصاعدا متضادين او متناقضين ، كما فهم المعتزلّي ، بل تضاف ايضا الى شيء يقوم مقام شيئين، كما في قوله تعالى: ﴿ **عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ** ﴾ [٨] ، وقول امرىء القيس : بين الدخول فحومل[٩]، وهنا صلح تقديرها محذوفة قبل (مباين) لانه شيء يقوم مقام شيئين فاكثر.

---

(١) المعتزلّي ١٢٢/١ .
(٢) البحراني ٢٧٧/١ وينظر :الشيرازي ٥١/١ .
(٣) التستريّ ١٨/١٣ .
(٤) الخوئي ١٧٧/٢ .
(٥) نفسه ١٧٧/٢ .
(٦) ينظر: نفسه١٧٦/٢ .
(٧) ينظر: القاموس المحيط ١٠٨٩.
(٨) البقرة ٦٨ وينظر: المفردات ١٥٦
(9) جزء من مطلع معلقته ، وفيه أضاف (بين) ألى متعاطفين بالفاء والأصل أن يقال: زيد بين خالد وسعيد بالواو لا بالفاء .
ينظر: شرح السبع ١٦-١٧ وشرح التسع ٩٩.

١٢- قال الامام (ع) يصف من يتصدى للحكم بين الامة ، وليس اهلا لذلك : (...قَدْ سمّاه أشْباهُ النَّاسِ عالما ، وليس بهِ ، بكّر فاستكثَر من جمعٍ ، ما قلَّ منه خيرٌ مّما كثُر ...)[١]. وقد اطبق الشّراح على ان الرواية المشهورة هي : (من جمعٍ ، ما قلّ ...) بتنوين (جمع) ، ووجهها ان (ما) موصولة في محل رفع مبتدا ، و (خير) خبرها ، و (قل) صلتها ، وفاعل (قل) ضمير مستتر عائد على الاستكثار المفهوم من استكثر ، والضمير في (منه) عائد على الموصول ، والجملة الاسمية في محل جر صفة لـ (جمع) المجرور ، كما ذهب اكثرهم[٢] ، او بدل كما ذهب الخوئي[٣] .

واشار فريق من الشّراح الى رواية اخرى هي : (من جمعِ ما قل) بغير تنوين ، واختلفوا في توجيهها، فذهب الراونديّ الى ان (جمع) مضاف الى (ما) الموصولة بعده ، وفي التركيب حذف ، وهو (ان) المصدرية ، وموضعها قبل الفعل (قل) لتنسبك معه في محل رفع مبتدا ، والتقدير : (من جمع ما قلته خير من كثرته...)[٤].

وقد اورد البحراني والخوئي [٥] هذا الرأي دون عزوه الى صاحبه ، وفهما من تقدير (ان) المصدرية محذوفة فيه انه يجري مجرى قولهم : (تسمع بالمعيدي خير من ان تراه)[٦] ، والتقدير : (أن تسمع) ، وتأويله : (سماعك بالمعيدي).

وذهب المعتزلّي الى ان (ما) مصدرية ، والمصدر المنسبك من (ما قل) في محل جر صفة لموصوف محذوف ، والتقدير : « من جمع شيءٍ قِلُّه خَيْرٌ مِنْ كَثْرَتِه »[٧] . وذهب البحراني الى تقدير (ما) اخرى محذوفة قبل المذكورة « حتى تكون (ما) الاولى هي المضاف ، والثانية هي المبتدأ ، والتقدير: من جمع ما الذي قلّ منه خير مما كثر ، لكنه لما كان اظهار ما الثانية يُشْبِه التكرار ويوجب هجنه في الكلام ، وكانت ما الواحدة تعطي المعنى عن المقدرة كان حذفها اولى»[٨] . وذهب الخوئي الى ان المضاف اليه محذوف ، وهو (شيء) ، و(ما) بعده موصوله ، والتقدير: « من جمع شيء الذي قل منه خير من الذي كثر»[٩].

١٣- قال الامام (ع) في عهد له الى بعض عماله ، وقد بعثه على الصدقة : (وإنّا مُوَفُّوك حقَّك ، فَوَفِّهِم حُقُوقَهم ، وإلا تفعلْ فإنَّك من أكْثر النّاسِ خُصُومًا يومَ القيامةِ ، وبُؤْسَى لِمَنْ خَصْمُه عندَ اللهِ الفقراءُ والمساكينُ ...)[١٠] . ثّم اختلف الشّرّاح المتقدمون في إعراب (بؤسا) اختلافا افضى الى اختلاف المعنى ، فذهب الراونديّ[١١] الى ان اللفظة منونة ، والبؤس مصدر بمعنى الشدة ، وقد نُكّر وُضب في هذا الموضع على المصدرية .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٧، ص:٤٧.

(٢) ينظر : الراونديّ١/١٧٧ والمعتزلّي١/٢٨٧ والبحراني ١/٣٨٣ وابو الفضل١/٥٥ .

(٣) ينظر: الخوئي ٣/٢٥٠ .

(٤) الراونديّ١/١٧٧ .

(٥) ينظر : البحراني ١/٣٨٣ والخوئي ٣/٢٥٠

(٦) ينظر: جمهرة الأمثال ١/١٢٩

(٧) المعتزلّي١/٢٨٧ .

(٨) البحراني ١/٣٨٣ .

(٩)الخوئي ٣/٢٥٠ .

(١٠) نهج البلاغة : رسالة ٢٦، ص ٤٨٥ .

(١١) ينظر : الراونديّ٣/٦١ والبحراني ٤/٣٦٧ .

وذهب المعتزلّي[١] الى ان اللفظة ممنوعة من الصرف ، وانكر على الراونديّ تنوينها لانها لفظة مؤنثة ، وهي (بؤسى) بوزن فعلى ، مثل : فضلى ، ونعمى ، وطوبى ، يقال : بؤسى لفلان ، كما في قول الشاعر[٢] :

ارى الحلم بؤسى للفتى في حياته ولا عيش الا ما حباك به الجهل

وانتصر الشّراح اللاحقون[٣] للراوندي مستدلين بما خطه الرضيّ بيده من كتابة اللفظة بالالف لا بالياء ، كما في نسخة البحراني (بؤسا) ومطابقة رايه للعربية ، اذ تنصب (بؤسا) على المصدر ، كما يقال : سحقا لك ، وبعدا ، فضلا عن ظهور المعنى في قول الراونديّ ، اذ يقال : بئس الرجل ييأس بؤسا ، اي اشتدت حاجته فهو بائس ، فكأنّ (بؤسا)

بمعنى (فقرا) و (سوءا) . وضعف بعضهم[٤] الاستدلال بالشعر الذي ساقه المعتزلّي ، اذ يجوز ان يكون اصله (بؤسا) بالتنوين ، ثم صرف الى (بؤسى) اذ يستقيم الوزن بهما معا ، ثم ان الشعر لم يعرف قائله ولعله لبعض المتأخّرين ، فيكون الاستشهاد به غلطا ، ورواية الشعر بلفظ (بؤسا) اعم من الحصر بلفظ (بؤسى) ذلك إنّ اخراج اللفظة على النصب على المصدر اعم واوسع من اخراجها على انها اسم مؤنث ممنوع من الصرف ، ثم ان الكثير في (بؤسى) ان تعرف كما في معجمات اللغة ، ولم يُعلم استعمالها نكرة[٥] .

(١) ينظر : المعتزلّي١٥/١٦٠ .
(٢) لم أقف على قائله
(٣) ينظر : البحراني ٣٦٧/٤ والخوئي ٣٨/١٩ والتستريّ٥٨٦/٦ والشيرازي٢١/٤ وانصاريان٦٦/٣-٦٧.
(٤) ينظر : التستريّ٥٨٦/٦ .
(٥) ينظر: العين ١٢٨/١ والصحاح ٧١ والقاموس ٤٩٢ .

المطلب الثالث : دلالة المحل الإعرابّي في شروح النهج .

١- قال الامام (ع) في ذكر الملاحم الخاصة بظهور الامام المهدي (ع) : (..حتّى إذا اخلولقَ الأجلُ ، واستراح قوُم إلى الفتنِ ، وأشالُوا عن لَقَاحِ حربِهم ، لم يُمنُّوا على اللهِ بالصبرِ ...)[١]. وفي محل جملة : (لم يمنوا) خلاف بين الشّرّاح نشأ بسبب تفاوتهم في فهم المعنى ، إذ قاد البيهقّي فريقا[٢] رأى أن (الواو) في (لم يمنوا) عائد على (القوم) ، والجملة في محل رفع نعت لهم ؛ لان الجمل بعد النكرات صفات[٣] ، والمعنى ان القوم استراحوا الى الفتن فلم يعدوا

اصطبارهم على البلاء منة على الله ، ولم يجزعوا وان قتلوا في سبيل الله . وذهب المعتزلّي الى ان جملة : (لم يمنوا) جواب الشرط في (حتى اذا اخلولق الاجل) ، والضمير في لم يمنوا راجع الى العارفين الذين تقدم ذكرهم في مبتدا الخطبة ، والقوم المذكورون في (استراح قوم الى الفتن) مذمومون لقعودهم عن قتال اعدائهم واستراحتهم الى الفتن . وجملة (لم يمنوا) وما بعدها في سياق مدح العارفين الذين انهضهم الله تعالى في وقت القى فيه كثير من الناس اسلحتهم ، وعجزوا عن قتال الطغاة والظلمة ، واستراحوا من قتالهم بدخولهم في ظلالتهم وفتنتهم . اما العارفون الذين انهضهم الله لقتال الظلم والجور ، فلم يمنوا على الله تعالى بصبرهم ، ولم يستعظموا ان يبذلوا في الحق نفوسهم حتى اذن الله لهم بالنهوض بقضاء الله وقدره ، بعد انقضاء مدة الفئة الداخلة في ضلال الظالمين والطغاة . والمعنى : حتى اذا قرب العهد امام العارفين لم يمنوا على الله بصبرهم على طول المدة في انتظارهم نصرة الحق[٤] . وجوز البحراني في أحد قوليه اختيار البيهقي ، وهو ان يكون المرادُ بالضمير في (يمنوا) وما بعده القومَ الذين استراحوا الى الفتنة ، وذلك أنهم لم يفعلوا ذلك الا لانهم لم يؤذن لهم في القيام حين استراحتهم واستكانتهم لهذه الفئة الباغية ، ولم يتمكنوا من مقاومتهم لعدم قيام القائم بالامر ، فكانوا حين مسالمتهم صابرين على مضض من الم المنكر الذي يشاهدونه غير مستعظمين لبذل انفسهم في نصرة الحق لو ظهر لهم من يكون لهم ظهرا يلجؤون اليه ، حتى اذا ورد القضاء الالهي بانقطاع مدة بلاء هذه الفئة ،وظهور من يقوم بنصر الحق ودعا اليه ، حمل هؤلاء بصائرهم على أسيافهم ، وقاموا لربهم بأمر من يقوم فيهم واعظا وداعيا . وذكر أنّ هذا الوجه يرجحه عود الضمير على الاقرب وهو القوم[٥]. وجوز البحراني في قوله الآخر اختيار المعتزلي ، ولم ينسبه الى صاحبه ، وانما قال : « الضمير في لم يمنوا ، قال بعض الشارحين :إنّه عائد الى العارفين الذين تقدم ذكرهم في الفصل السابق »[٦]. والمعنى حتى اذا القى هؤلاء السلام الى الفئة الضالّة وعجزوا عن قتالهم تقية منهم ، انهض الله اولئك

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٠، ص:٢٦٢ .

(٢) ينظر : البيهقّي٢٣٩ والراونديّ٨٢/٢ والكيدريّ٦٥٢/١ .

(٣) ينظر: معاني النحو ١٨٦/٣

(٤) ينظر : المعتزلّي١٣٠/٩-١٣١ .

(٥) ينظر : البحراني ٢٠٤/٣ .

(٦) البحراني ٢٠٤/٣ .

الذين خصهم بحكمته ، واطلعهم على اسرار العلوم ، فنهضوا ، ولم يمنوا على الله تعالى بالصبر في طاعته[١].

وانكر الخوئي ان تكون جملة (لم يمنوا) جوابا للشرط في (حتّى إذا اخلولقَ الأَجلُ) ، ورأى ان الجواب محذوف يدل عليه جواب (اذا) المذكورة لاحقا في قوله (ع): (حتّى إذا وافقَ وارِدُ القَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدّةِ البَلاءِ ، حَطُّوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيافِهم)[٢]، ولذا أعرب (لم يمنّوا) في موضع الحال من فاعل (أشالوا)[٣]. وأيّد التستريّ رأي الخوئي ؛ لانّ عدم منّتهم على الله بصبرهم ، وعدم عدّهم بذل أنفسهم في الحق عظيما كانا من الابتداء ، لا بعد اخليلاق الاجل ، انما الجواب

(حملوا) الاتي ، لكن التستريّ يختلف مع الخوئي في صاحب الحال ، فقد رأى الخوئي انه الواو في (أشالوا) ، ورأى التستريّ ان الجملة حالٌ من (استراح قوم)[٤]. وخلص مغنية الى ان معنى (لم يمّنوا على الله بالصبر) لا يستقيم الا بتقدير جملة محذوفة ، ويكون السياق : « بعد ان سكت قوم عن الذين افسدوا نهض جماعة من المؤمنين لجهاد المفسدين ، وصبروا على جهادهم ، ولم يمن المؤمنون المجاهدون على الله بالصبر والجهاد ولم يستعظموا بذل انفسهم في الحق ، بل رأوه واجبا عليهم ، وامانة في عنقهم»[٥]. وهذا حاصل مذهب المعتزلّي .

٢- قال الامام (ع) في احدى خطبه :(فاحذروا . عبادَ الله . عَدُوَّ الله أَنْ يُعْدِيَكُم بدائه ...)[٦] ، وفي إعراب المصدر المؤول (أن يعديكم) عدة اوجه : فجّوز الراونديّ فيه وجهين : الاول : انه بدل من (عدّو الله) فهو في محل نصب ، والاخر :انه مفعول ثان لـ(احذروا) [٧]. وانكر المعتزلّي الوجه الثاني ؛ لان (حذر) المجرد لا يتعدى الى مفعولين[٨]. ولذا صحح وجها واحدا في إعراب (ان يعديكم) وهو النصب على البدلية ، وعلى هذا معظم الشّراح ، والتقدير هو: « احذروا عدو الله عدواه لكم بدائه »[٩]. وصحح التستريّ[١٠] وجه الراونديّ الثاني ؛ لانه يمكن ان يكون (ان يعديكم) مفعولا ثانيا لـ(احذروا) وذلك بنزع الخافض ، والاصل :(من ان يعديكم بدائه) ، وحذف الجار مع (أنْ) كثير في العربية[١١].

---

(١) ينظر : البحراني ٢٠٤/٣ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٠، ص:٢٦٢ .

(٣) ينظر: الخوئي ١٣٣/٩.

(٤) ينظر: التستريّ٢٢٣/٧ .

(٥) مغنية٢٥٥/٣-٢٥٦ .

(٦) نهج البلاغة الخطبة١٩٢ ، ص ٣٦١ .

(٧) ينظر : الراونديّ٢٣٧/٢ .

(٨) ينظر: المعتزلّي ١٣٨/١٣ .

(٩) ينظر : البيهقّي٣٥٧ والكيدريّ٣٤٢/٢ والبحراني ٢٢٩/٤ والخوئي ٨٤/١١ والموسوي٢٩١/٣ .

(١٠) ينظر : التستريّ٣٦١/١٤ .

(١١) ينظر: الكتاب ١٣٧/٣.

وإعراب (ان يعديكم) على انه بدل اقرب امره انه بدل بعض من كل ، فالتقدير : احذروا ابليس عدواه لكم ، يفهم منه ان الحذر مقصور على عدوى ابليس وليس شيئا اخر ، فيجوز مع هذا الإعراب ان ياتي الخير من ابليس ، ولذا يمكن القول ان (ان يعديكم) في موضع المفعول لاجله ، فيكون الحذر واقعا على (عدو الله) ، ويكون (ان يعديكم) سببا للحذر وليس اسما يقع الحذر عليه ، وفي هذا الإعراب تكون (ان) مشوبة بالنفي بمعنى (لا)[١] فيكون التقدير : احذروا عدو الله منجاة لكم.

٣- قال الامام (ع) بعد ان غلب بسر بن أرطأة صاحب معاوية على اليمن: (ما هِيَ الا الكوفةُ أقبِضُها وأبسُطُها،إنْ لم تكُونِي إلا أنت تهُبّ أعَاصِيرُك ، فقبّحَكِ الله !)[٢]. وفي إعراب الجملة الفعلية : (اقبضها) ، جوز البحراني وتبعه الخوئي ثلاثة اوجه هي[٣]:

١- إنها وما عطف عليها في محل رفع خبر ثان للمبتدأ (هي) ، والخبر الاول (الكوفة) .

٢- إنها وما عطف عليها في محل رفع خبر لمبتدا محذوف ، والتقدير (انا اقبضها) .

٣- إنها وما عطف عليها في محل رفع خبر، والمبتدأ هو (الكوفة) ، فيكون الضمير (هي) للقصة او الشان .

وأشار البحراني إلى أن نظير هذا الإعراب في الاحتمالات قوله تعالى : ﴿**كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**﴾[٤]، وفيه يحتمل إعراب (نزاعة) خبرا ثانيا ، او خبرا لمبتدأ محذوف تقديره (هي) ، او خبرا اول ، والهاء ضمير القصة او الشان[٥] . ولم يلتفت البحراني والخوئي الى المعنى في سردهما هذه الاوجه الإعرابية التي اطبقت على ان (اقبضها وابسطها) خبر ثان ؛ لان هذا الإعراب يلزم منه ان يكون المراد من كلام الامام (ع) قد تم في (ما هي الا الكوفة) ، وليس هذا مراده ؛ لانه (ع) اخبر في عمدة كلامه عن قبضه الكوفة وبسطه إيّاها وهو كناية عن ان استيلائه التام منحصر فيها ، وهي عاصمة دولته التي تمتد من العراق الى الحجاز فاليمن ، ولم يجرؤ معاوية قطّ على الاغارة عليها لتصرف الامام (ع) فيها تصرفا تاما دون غيرها من امصار دولته التي يقل تصرفه فيها نوعا ما عن الكوفة . فكيف يكون مقصده (ما هي الا الكوفة) ، بل المراد (ما هو الا قبض الكوفة) ، ومن هنا رجح التستريّ[٦] ان تكون جملة (اقبضها وابسطها) بدل اشتمال من (الكوفة) لاشتمالها على القبض والبسط كما في قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ** ﴾ [٧] ، فجاء (قتال) بدلا من الشهر الحرام لاشتمال الشهر على القتال العظيم[٨].

---

(١) ينظر: مغني اللبيب ٣٦/١ والهمع ١٩/٢ ومعاني النحو ٣٢٩/٣.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٥، ص: ٥٧.

(٣) ينظر: البحراني ١٩/٢والخوئي ٣٤٩/٣ .

(٤) المعارج ١٥-١٦.

(٥) ينظر: الكشاف ١٥٨/٤ ومجمع البيان ٢٩ /١٢٢.

(٦) ينظر: التستريّ /٤٧١ .

(٧) البقرة ٢١٧.

(٨) ينظر:معاني الفراء ١٤١/١ وإعراب النحاس ١١٢/١ ومعاني الزجاج ١/ ٢٤٨

٤- قال الامام (ع) في حمد الله تعالى: (الّذي ابْتَدَعَ الخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ ،وَلَامِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ)[١] . وقد اعرب فريق من الشّراح (من خالق) في موضع صفة لـ(مقدار) ، فيكون المعنى ان المراد بنفي امتثال المثال انه - تعالى- لم يمثل لنفسه مثالا قبل شروعه في خلق العالم ليخلق العالم على هيأته ، ويكون المراد بنفي احتذاء المقدار انه – تعالى- لم يقتد بخالق كان قبله ، فيكون الجار والمجرور صفة للمقدار فقط ، وليس صفة للمثال الذي لا يحتاج الى خالق اخر[٢] . وفي هذا الوجه يكون معنى « امتثله : مثله كما تقول : صنعت واصطنعت بمعنى ، فيكون التقدير انه لم يمثل لنفسه مثالا قبل شروعه في خلق العالم ؛ ثم احتذى ذلك المثال وركب العالم على

حسب ترتيبه كالصانع الذي يصوغ حلقة من رصاص مثالا ثم يصوغ حلقة من ذهب عليها ، او كالبناء يقدر ويفرض رسوما وتقديرات في الارض وخطوطا ثم يبني بحسبها »[٣] .

وجوزوا ان يكون (من خالق) صفة للمقدار والمثال معا ، فيكون نفي احتذاء المقدار تاكيدا لنفي امتثال المثال ، وحينئذ يجوز نعتهما معا بـ(من خالق) ، ويكون نعت نفي المثال بمعنى نفي الاقتداء باخر في التصوير ، ويكون نعت نفي المقدار بمعنى نفي الاقتداء باخر في التقدير[٤] .

وفي هذا الوجه يكون المراد (بامتثله) احتذاه ، وتقبله ، واتبعه ، والاصل فيه امتثال الامر في القول ، فنقل الى احتذاء الترتيب العقلي ، فيكون التقدير : « انه لم يمثل له فاعل اخر قبله مثالا اتبعه واحتذاه وفعل نظيره كما يفعل التلميذ في الصباغة والنجارة شيئا قد مثل له استاذه صورته وهياته»[٥] .

وظاهر كلام الامام (ع) يرجح ان يكون (من خالق) نعت لـ(مقدار) ؛ لان معنى كلامه (ع) انه ابتدع الخلق على غير مثال قدمه هو لنفسه ، ولا غير مقدار قدمه خالق اخر له ليحتذي عليه ، ولو كان (من خالق) صفة للمثال والمقدار معا لكان نفي احتذاء المقدار بمعنى نفي امتثال المثال فيكون الثاني لغوا لا فائدة فيه ، وهذا لا يصدق على كلام الامام (ع) .

٥- قال الامام (عليه السلام) في صفة المتقين : (نَزَلَتْ أَنفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاءِ كَالَّذِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ)[٦] . وقد اختلف الشّرّاح في إعراب (كالذي) ، فاختلف معنى العبارة تبعا لاختلاف الإعراب ، فاما الراونديّ فجوز في احد قوليه تقدير اسم مفرد يكون هو المجرور بالكاف في (كالذي) لان تشبيه الواحد بالجمع لا يصح ، فيكون التقدير : « كل واحد منهم اذا نزلت نفسه في البلاء يكون كالرجل الذي نزلت نفسه في الرخاء»[٧] .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص:١٥١. (٢) ينظر : الخوئي ٣٠٦/٦ وانصاريان ٢٧٢/١ .

(٣) المعتزليّ ٤١١/٦ .

(٤) ينظر : انصاريان ٢٧٢/١ .

(٥) المعتزليّ ٤١١/٦ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ ، ص ٣٨١ . .

(٧) الراونديّ ٢٧١/٢ .

ويكون المعنى على هذا الوجه « نزلت انفسهم في البلاء من قبلهم اختيارا ، ويطيبون به قلبا مثل طيب قلب الذي نزلت نفسه في الرجاء»[١] . وجوز – ايضا – ان يكون (الذي) بمعنى ما المصدرية ، كقوله تعالى : ﴿ **وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا** ﴾[٢] ، والتقدير : وخضتم كخوضهم[٣] . فيكون المعنى في قوله (ع) : ونزلت انفسهم منهم في البلاء كنزولها في الرخاء[٤] .

ولم يلتفت المعتزليّ الى رأيي الراونديّ هذين ، فذهب الى ان موضع (كالذي) نصب على انه صفة لمصدر منصوب (مفعول مطلق) محذوف ، والتقدير : نزلت انفسهم منهم في حال البلاء نزولا كالنزول الذي نزلت منهم في حال الرخاء

. وقد حذف العائد على الاسم الموصول وهو الهاء في (نزلته) ، ومثله : ضربت الذي ضربت ، اي: الذي ضربته ، والمعنى على وفق هذا الإعراب : انهم طابوا نفسا في البلاء والشدة كطيب انفسهم باحوالهم في الرخاء والنعمة ، وذلك لقلة مبالاتهم بشدائد الدنيا[٥].

واختار البحراني – في احد قوليه – مذهب المعتزلـّي هذا من دون التصريح باسمه[٦] ، اما الوجه الاخر لدى البحراني فهو ان يكون المراد بـ (الذي) الجمع ، اي (الذين) فحذف نون الجمع ، فيكون المعنى تشبيههم حال نزول انفسهم منهم في البلاء بالذين نزلت انفسهم منهم في الرخاء[٧].

ووصف الخوئي اراء المعتزلـّي والبحراني والكيدريّ بالتكلفات التي يأبى عنها الذوق السليم ، لُبعد المعنى فيها جميعا ، فضلا عن بعد الوجه الاول الذي ذكره الراوندّي لان المفهوم من ظاهر كلامه تشبيه احدى حالتي المتقين بحالتهم الاخرى ، لا تشبيههم بغيرهم من اهل الرخاء[٨]. ولما وجد الخوئي ان الإعراب في الاوجه التي ذكروها يفضي الى تشبيه المتقين بغيرهم ، والامام يشبه حال المتقين بحال اخرى لهم خطـّأ هذه الاوجه ، وصحح الوجه الثاني الذي ذكره الراوندّي ، ولم يعزه اليه ، ولكنه نسب الى ائمة اللغة ذهابهم الى مجيء (الذي) بمعنى (ما) المصدرية ، فقال: « الاقرب عندي ان يجعل الذي مصدريا بان يكون حكمه حكم ما المصدرية ، كما ذهب اليه يونس والاخفش في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [٩] أي : ذلك تبشير الله . وكذلك قالا في قوله تعالى : ﴿**وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا** ﴾ ، وعلى هذا فيكون المعنى : نزلت انفسهم منهم في البلاء مثل نزولها في الرخاء ، وهذا لا تكلف فيه اصلا »[١٠].

---

(١) الراوندّي ٢٧١/٢ وينظر : الكيدريّ١٣٣/٢ .

(٢) التوبة ٦٩

(٣) ينظر:معاني الفراء ٤٤٦/١ والكشاف ٢٠١/٢ والتبيان للعكبري ٤٩٩/١ .

(٤) ينظر:الراوندّي٢٧١/٢. (٥) ينظر : المعتزلّي١٤٢/١٠.

(٦) ينظر : البحراني ٣٨٦/٣. (٧) ينظر : المصدر نفسه٣٨٦/٣.

(٨) ينظر : الخوئي ١١٢/١٢. (٩) الشورى ٢٣

(١٠) الخوئي ١١٢/١٢-١١٣ وينظر: الكشاف ٤٦٦/٣ والتبيان للعكبري ٢٣٨/٢.

وعلى الرغم من ردّه الاوجه الاخرى كلها حاول الخوئي تقويم وجه الراوندّي الاول الذي اقر فيه تقدير مفرد محذوف يكون موصوفا بـ(الذي) ، فذهب الى جواز ان يكون الموصوف المحذوف مفردا لفظا وجمعا ، نحو: (رهط) ، و(جمع) ، و(فريق) ، فيكون المعنى : نزلت انفسهم منهم في البلاء كالجمع الذي نزلت انفسهم منهم في الرخاء ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا** ﴾ [١] ، تقديره (كمثل الجمع الذي استوقد نارا) ، وهذا الوجه عنده اقرب من تمحل تاويل الجمع بالمفرد كما في تقدير (رجل) محذوفا مع ان المذكور قبله جمع[٢] .

٦- قال الامام (ع) من رسالة له الى بعض عماله : (... فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ ، هَمُّهَا عَلَفُهَا ...)[٣] . وفيه أعرب الراونديّ «الكاف في كالبهيمة ، محله النصب لانه صفة مصدر محذوف ، اي لم اخلق خلقة مثل خلق البهيمة»[٤] ، فقدر الجاروالمجرور (كالبهيمة) في محل نصب صفة للمفعول المطلق المحذوف ، والمجرور بالكاف محذوف ايضا ، فيكون التقدير : ما خلقت خلقا كخلق البهيمة. واعرب شراح اخرون : (كالبهيمة) في موضع الحال من الضمير المنصوب في (يشغلني) ، والتقدير : «ما خلقت ليشغلني ذلك مشابها للبهيمة ، اي لو شغلني ذلك لشابهت البهيمة »[٥] ، لانه (ع) « أخذ في تمثيل نفسه بالسائمة والربيضة على تقدير ان يرضى بمثل حالهما وغايتهما من الدنيا في معرض الانكار لذلك الرضا من نفسه ، والاصل في ذلك التمثيل البهيمة ، والفرع هو (ع) ، والمشترك الجامع هو: الرعي ، والشبع ، والبروك ، والنوم ، والراحة . ولما كان الاصل المقيس عليه في غاية الخسة بالقياس الى الانسان الكامل استلزم ذلك التشبيه به قوة النفرة كما يستلزم التشبيه من الصفات»[٦] .

٧- قال الامام (ع) في خطبة له في بديع خلق الخفاش :(...هو الله الحقّ المبين ، أحقُّ وأبينُ ممّا ترى العُيونُ...)[٧]. وجّه بعض الشّراح رفع (احق وابين) بانهما « بدلان من الحق المبين ، أو عطفا بيانٍ ، وعلى الاول ففائدتهما التقرير ، وعلى الثاني فالايضاح »[٨]. وانما اعرب الشّرّاح (أحقّ) بدلا او عطف بيان ؛ لان البدل يكون كالمبدل منه في المعنى ، وكذا عطف البيان ، وقد قدم الامام (ع) (الحقّ المبين) ثم كرر المعنى بقوله : (أحقّ وابين مما ترى العيون) ، وفي هذا التكرار فائدة هي ان «العلوم العقلية اذا كانت ضرورية ، او قريبة من الضرورية كانت اوثق من المحسوسات ؛ لان الحس يغلط دائما فيرى الكبير صغيرا كالبعيد ، والصغير كبيرا كالعنبة في الماء ترى

---

(١) البقرة ١٧ وينظر :معاني الفراء ١٥/١ ومعاني الزجاج ٩٢/١ وإعراب النحاس ٣٤/١ والكشاف ١٩٥/١.

(٢) ينظر : الخوئي ١١٢/١٢ .

(٣) نهج البلاغة : الرسالة ٤٥ ، ص :٥٣٢.

(٤) الراونديّ ١٥١/٣ .

(٥) الكيدريّ٥٠٢/٢ .

(٦) البحراني ١١٠/٥-١١١ وينظر : الخوئي ١١٨/٢٠ والشيرازي ١٥/٤ والتستريّ٤٨٥/٧ مغنية٣٢٤/٥ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٥، ص: ٢٧١.

(٨) الخوئي ٢٥٨/٩ وينظر: المقتضب٣٩٩/٤-٤٠٠ وشرح المفصل ٦٦/٣ والمقرب ٢٧٢.

كالاّجاصة ، ويرى الساكن متحركا كجرف الشط اذا رآه راكب السفينة متصاعدا ، ويرى المتحرك ساكنا كالظل. الى غير ذلك من الاغاليط والقضايا العقلية الموثوق بها لانها بديهية ، او تكاد ، فالغلط غير داخل عليها»[١] . وتلمس البيهقّي وجها لطيفا في اختيار (احق ، وابين) دون غيرهما ، ثم مجيئهما مرفوعين ، بان مع هذين اللفظين المرفوعين على البدلية يكون المبدل منه لا يدخله الاحتمال ؛ لان البدلية لا تخطيء ، بل هي كاشفة عن حقيقة المعلوم قطعا ويقينا ، وليس كذلك الرفع على الخبرية ، او النعت او ما سوى ذلك[٢].واحتفى بعضهم بتوجيه البيهقّي هذا[٣].

٨- قال الامام (ع) في ختم وصيته للاشتر: (وأنا أسألُ الله بسعةِ رحمتهِ ...أنْ يُوَفِّقَني وإيّاك لِـ ما فيهِ رِضاه مُنَ الإقامةِ على العُذْرِ الواضحِ إلَيهِ ، وإلى خَلْقِهِ من حُسْنِ الثّناء في العِبَاد ، وجميلِ الأَثَرِ في البِلاد ، وتمامِ النّعمةِ...)[٣].

فاعرب المعتزلّي (تمام النعمة) عطفا «على ما ، من قوله (لما فيه) ،كانه قال : اسال الله توفيقي لذا ولتمام النعمة»[٤] .

واستحسن الامدي – متمم شرح الخوئي – ان يعطف تمام النعمة « على الاقامة في قوله : من الاقامة ؛ لان تمام النعمة وما بعده مما فيه رضاه »[٥] .

وما استوضحه الامدي هو الراجح ؛ لان رضا الله معنى مجمل تفصيله المجرورات بعده بـ (من) وهي : الاقامة على العذر الواضح ، وحسن الثناء في العباد ، وجميل الاثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، فيكون (تمام النعمة) معطوفا على اول ما فصّل الاجمال ، وهو لفظ (الاقامة على العذر الواضح) على وفق ما استوضحه الاملي.

---

(١) المعتزلّي١٨٢/٩ وينظر : البحراني ٢٣٩/٣ .

(٢) ينظر : البيهقّي٢٥٥

(٣) ينظر:الكيدريّ٦٨١/١ والتستريّ٣٤٠/١ والشيرازي٣٩٤/٢ .

(٣) نهج البلاغة : رسالة ٥٣ ، ص ٥٦٩.

(٤) المعتزلّي١١٨/١٧ وينظر : البحراني ١٨٧/٥ .

(٥) الخوئي ٣٢٠/٢٠ .

المبحث الثاني

الدلالة التركيبية في شروح نهج البلاغة

المراد بالدلالة التركيبية هي الدلالة الناشئة من العلاقة بين وحدات التركيب ، أو المستمدة من ترتيب وحداته على نحو يوافق القواعد[١]. وللنظام التركيبي أهمية في تعدد أوجه المعنى . ولذا عني الشّراح بإيضاح المعاني المتعددة المفهومة من انتظام الكلمات في ترتيب معين كأن يكون هذا التركيب قائما على تغيير الرتبة وهو ما يعرف بالتقديم والتأخير.

أوقائما على عود الضمير على اسمه الظاهر المؤخر أو المحذوف. أو على العلاقة الدلالية بين المتضايفين. أو على العلاقة المفهومة من التعريف والتنكير والتكرار اللفظي وغير ذلك من السمات التركيبية .

المطلب الأول : التقديم والتاخير

تقسم اللغات من حيث ترتيب الالفاظ في جملها على لغات ذات ترتيب ثابت ، وموقع مقيد ، كاللغتين الفرنسية والانكليزية ، ولغات ذات ترتيب حر لا تتقيد عناصر الجملة فيها بترتيب ثابت ، كاللغة اللاتينية[٢]. اما العربّية فتقع وسطا بين هذين النوعين ؛ لان ترتيب مفرداتها تارة يكون ثابتا لا يتغير ، نحو تقدم الموصوف على الصفة ، والمضاف على المضاف اليه ، وتارة يكون حرا تبعا لارادة المتكلم وقصده كما في تقدم الخبر على المبتدأ ، والمفعول على الفاعل أو على الفعل والفاعل معا[٣].

ويعد التقديم والتاخير من موضوعات علم المعاني ، وقد عني به البلاغيون اكثر مما عني به النحويون[٤]. وعلى الرغم من ذلك كان سيبويه هو الرائد في دراسة هذا الموضوع ، وبيان خصائصه ومميزاته[٥] . وهو عند الجرجاني « باب كثير الفوائد جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعه ، ويفضي بك الى لطيفه»[٦] . وجهر الشارح المعتزلّي بان « التقديم والتاخير طريق لاحب ، وسبيل مهيع في لغة العرب ، قال سبحانه : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا** ﴾[٧] ، أي : انزل على عبده الكتاب قيما ، ولم يجعل له عوجا ، وهذا كثير»[٨] . وانماز الخوئي من بين أقرانه في تتبع أنماط التقديم والتأخير في متن النهج ، ونّبه على دلالاتها ، وقلما يغفل عن التنبيه على ذلك . وقد ورد في النهج كثير من أنماط التقديم والتأخير وفيما يأتي أهم أنماطه مقرونة بدلالاتها التي تلمسها الشّراح :

---

(١) ينظر: فقه اللغة في الكتب العربية١٥٩ وأثر الوقف على الدلالة التركيبية ٦٧-٦٨ والتحليل اللغوي ١٢٥.

(٢) ينظر : من اسرار اللغة٢٨١-٢٨٢.

(٣) ينظر : التطور النحوي ١٣٤.

(٤) ينظر:البرهان للزركشي ٦٠٦-٦٠٨ والتقديم والتاخير في القران الكريم٢٣-٢٧.

(٥) ينظر: الكتاب ٣١/١-٤٣ ، ١٢٧/٢-١٢٨. (٦) دلائل الاعجاز١٠٦.

(٧) الكهف ١-٢. (٨) المعتزلّي١٥٥/١.

أولا : تقديم الخبر على المبتدأ

قدم الخبر على المبتدأ في عدة مواضع من النهج ، وقد أقر الشّراح عدة دلالات لهذا التقديم أهمها :

١- الاهتمام بالخبر[١] كما في قوله (ع) : (مِسْكينٌ ابنُ آدم : مكتومُ الأَجَلِ ...)[٢]. وفيه : « مسكين خبر المبتدأ ، قدم عليه لان ذكره اهم ... »[٣] . وقد عد الشّراح الاهتمام بالاسم المقدم دلالة رئيسة في باب المبتدأ والخبر سواء احتفظ المبتدأ برتبته أم أخّر بعد الخبر ، ففي قوله (ع) يصف الموت والبعث : « فان الغاية امامكم ، وان وراءكم الساعة تحدوكم ، تخففوا تلحقوا ... »[٤] . حافظ المبتدأ (اسم إن) على رتبته فقدم على خبرها في : (فَإِنّ الغَايَةَ أَمَامَكُم) ، ثم

قدم خبرها على اسمها في: (وان وراكم الساعة) ، والنكتة في ذلك « ان كون الموت امام الانسان لما كان واضحا عند الكل اجرى الكلام فيه على الحقيقة بتقديم ما حقه التقديم ، وتاخير ما حقه التاخير ، حيث قال : فان الغاية امامكم »[٥]. واما كون الساعة في الوراء فلما كان امرها خفيا « فلذلك قدم الخبر على الاسم ، وقال : ان وراءكم الساعة لمزيد من الاهتمام به ، وزيادة اشعاره بهذا المعنى »[٦]. وكذا ما في قوله (ع):(بكثرةِ الصّمتِ تكونُ الهيبةُ ،وبالنَّصَفةِ يكْثُرُ المُواصِلون ،وبالإفْضَالِ تعظُمُ الأقدارُ ،وبالتّواضُعِ تَتِمُّ النّعْمَةُ)[٧]،وفيه قدم الخبر وهو :الجار والمجرور على (كان واسمها) في كل المواضع « للاهتمام به ،وبيان انه هو المقصود بالافادة»[٨].

٢- التشويق الى ذكر المبتدأ ، كما في قوله (ع)في بديع خلق الخفاش : (ومنْ لطائفِ صَنْعَتِه ، وعجائبِ خِلْقَتِه ما أرانا مِن غوامضِ الحِكْمَةِ)[٩]. وفيه قدم الخبر: (من لطائف صنعته) على المسند اليه : (ما ارانا) « للتشويق الى ذكر المسند اليه ، وهو من فنون البلاغة كما في قوله[١٠]:

ثلاثةٌ تشْرِقُ الدُّنيا ببهجتها شمسُ الضُّحى وأبو اسْحاق والقَمر »[١١].

٣- حصر معنى الخبر المقدم بالمبتدأ ، كما في قوله (ع) : (الذّليلُ واللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوه!...)[١٢]. وفيه قدم الخبر وهو: (الذليل) لقصد الحصر، ومعناه ان تحصر الذلة بهذا الذي ينصره هؤلاء ؛ لان نصرتهم ذل[١٣]. ومنه ما جاء في قوله (ع) يصف حال المحتضرين مع الموت : (فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ ما نَزَلَ بِهِم)[١٤]. وفيه (غيرُ) خبر مقدّم على مبتدئه

---

(١) ينظر : معاني النحو ١٠٥/٣. (٢) نهج البلاغة : الرسالة ٤١٩، ص:٦٨٦.

(٣) البحراني ٤٦/٥ وينظر: الراونديّ٤٣٧/٣ و المعتزلّي٦٢/٢٠ والتستريّ٣٣٧/١١ والشيرازي٤٦٢/٤ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢١، ص:٥١.

(٥) الخوئي ٣٠٢/٣ وينظر: الراونديّ ٤٣٧/٣ والمعتزلّي ٦٢/٢٠.

(٦) الخوئي ٣٠٢/٣ وينظر : البحراني ٣٣٠/١ والتستريّ ٢١٧/١٢. (٧) نهج البلاغة : الرسالة ٢٢٤، ص: ٦٤٢.

(٨) الخوئي ٢٩٣/٢١ وينظر : الراونديّ ١/ ١٨٧البحراني ١/ ٣٣٠. (٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٥ص :٢٧١.

(١٠) البيت في خزانة الأدب ٣٧١/٢ لمحمد بن وهيب يمدح المعتصم .

(١١) الخوئي ٢٥٨/٩ وينظر : المعتزلّي١٨٣/٣والبحراني ٣٥٧/٣. (١٢) نهج البلاغة : الخطبة ٦٩ ص:١٠٧.

(١٣) ينظر:الخوئي ١٢٢/٥. (١٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ص:٢٠١ .

(ما) الموصولة لإفادة الحصر، والدلالة على أنّ ما ينزل بهم من الامور الأخرى التي تعتري حياتهم كله قابل للوصف الا الموت فانه غير قابل للوصف ، فهذا مثل قوله تعالى في وصف خمور الجنة: ﴿**لا فِيهَا غَوْلٌ**﴾[١] ،إذ فيه دلالة على خلّو خمور الجنة من الغول بخلاف خمور الدنيا[٢]. وفي (غير موصوف ما نزل بهم) دلالة اخرى ، وهي مجيء المسند اليه بلفظ الموصول للدلالة على التفخيم والتهويل[٣] ، كما في قوله تعالى :﴿ **فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ** ﴾[٤]

.

٤ - التوسع في مدلول الخبر، إذ يكثر هذا التوسع في حال مجيء الخبر مقدما وهو ظرف أو جار ومجرور، كما في قوله (ع) يصف الخارجين من القبور يوم البعث والنشور: (عَلَيْهِمْ لُبُوسُ الاسْتِكَانَةِ)[٥]. فلبوس الاستكانة مرفوع على الابتداء قدم عليه خبره للتوسع[٦]. ومثله ما في قوله (ع) لما دفن الزهراء (ع):(... وَرَقَّ عنها تَجَلُّدِي ، إلا أنَّ في التأسّي لي بعظيمِ فُرقتك ، وفادحِ مُصيبتك ، مَوْضِع تعزٍّ)[٧] . فقدّم خبر ان (لي) ، واخر الاسم (موضع تعزٍّ) للتوسع[٨] . وكذا قوله (ع) لبعض اصحابه ، وقد طلب مالا :(فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ في حَرْبِهِم كانَ لكَ مثلُ حَظِّهم)[٩]. وفيه قدّم خبر (كان) وهو الجار والمجرور (لك) ، وأخّر الاسم : (مثل) توسعة للظرف[١٠]. وكذا ما في قوله (ع) يصف خصومه : (وَقَدْ أُرْعِدُوا وأُبْرِقُوا، ومعَ هذينِ الفَشَلُ)[١١] . وفيه « الفشل مرفوع على الابتداء قدم عليه خبره توسعا»[١٢]. وقال الامام (ع) ذاكرا الملاحم: (ألا وفي غدٍ . وسيأتي غدٌ بِما لا تَعْرِفون . يأخُذُ الوالي من غَيرِها عُمّالَها على مساوِئِ أعمالِها)[١٣] . وفيه : (في غد) متعلق بقوله (يأخذ) ، وقدّم للتوسع [١٤] .

٥- مراعاة السجع ، كما في قوله (ع) : (وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ)[١٥].وفيه قُدّم الجار والمجرور: (من نفسه) على اسم كان : (واعظ) مراعاة للسجع بين (حافظ) و(واعظ) [١٦]. ومثله قوله (ع) وقد تبع جنازة فسمع رجلا يضحك : (كأنَّ الموتَ فيها على غيرِنا كُتِبَ ، وكأنّ الحقَّ فيها على غيرِنا وَجَبَ)[١٧]. وفيه « على غيرنا ظرف متعلّق بقوله: كتب ، قدّم عليه لرعاية السجع »[١٨].

---

(١)الصافات ٤٧ .
(٢) ينظر: معاني الزجاج ٢٢٨/٤ وإعراب النحاس ١٢/٤ والكشاف ٣٤٠/٣.
(٣) ينظر: الخوئي ٣٢٨/٧-٣٢٩ .
(٤) طه ٧٨ وينظر: معاني الزجاج ٣٠١/٣ ومعاني النحو ٦٣٥/٤.
(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣، ص:١٢٤.
(٦) ينظر: الخوئي ٣٦١/٥ .
(٧) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٢، ص:٤٠٣ .
(٨) ينظر: الخوئي ٤/١٣ .
(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣٢، ص:٤٤٨ .
(١٠) ينظر: الخوئي ١٥/ ٤.
(١١) نهج البلاغة : الخطبة ٩، ص:٣٨ .
(١٢) الخوئي ١٥٩/٣.
(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٣٨، ص:٢٤٦ .
(١٤) ينظر : الراونديّ٦٢/٢ والكيدريّ٦١٦/١ والمعتزليّ٩٤٢ والخوئي ٣٤١/٨ التستريّ١٩٠/٦ .
(١٥) نهج البلاغة : الحكمة ٨٩ ، ص:٦١٥
(١٦) ينظر: الخوئي ١٣٤/٢٩ .
(١٧) نهج البلاغة : الحكمة ١٢٢ ، ص ٦٢٣ .
(١٨) الخوئي ١٨٧/٢١ .

وقد نّبه الشّرّاح على اختلاف المعنى تبعا للتقديم والتأخير في الروايات ، كما في قوله (ع) في كتاب له الى عامله على مكّة قثم بن العباس: (ولا يَكُنْ لك إلى النّاس سفيرٌ إلا لِسانُك ، ولا حاجبٌلا وجهُك)[١]. وروي قوله(ع) هذا بلفظ اخر فيه تقديم وتاخير ، وهو: (ولا يكُنْ الا لسانُك سفيرًا لك الى الناس ، ولا حاجبٌلا وجهُك). ورجح معظم الشّرّاح رواية : (لا يكن لك الى الناس سفير الا لسانك)[٢] . وفيها أعرب المعتزلّي (سفير) اسم كان و(لك) خبرها ، فيكون (لسانك) منصوبا على الاستثناء جوازا[٣] .على حين اعرب البحراني (لسانك) خبرا لكان ، وهو محصور بـ (الا)[٤]

. وضعّف الاملي إعراب (لسانك) خبرا لكان ؛ لانه انما يستقيم على كون الاستثناء مفرغا، وهو هنا تامّ على الرواية المشهورة[٥]. ولذا رجح الاملي قول المعتزلّي ، فأعرب « الا لسانك: مستثنى في كلام تام منفي يجوز فيه النصب والاتباع للمستثنى منه ، وهو قوله : (سفير) فانه يفيد العموم لتقدم النفي عليه ، ويحتمل كون الاستثناء منقطعا بدعوى عدم دخول اللسان والوجه في مفهوم السفير والحاجب »[٦]، وحينئذ يتعين نصب (لسانك) مع الاستثناء المنقطع المنفي[٧].

ورجح الراونديّ الرواية الاخرى وهي بالتركيب : (لا يكن الا لسانك سفيرا لك الى الناس) ، ورأى ان الإعراب في هذا التركيب احسن[٨] ، يريد ان الاستثناء مفرغ ، واسم كان هو (لسانك) مقدم على خبرها (سفيرا) وهو التركيب الاصلي . ونبه المعتزلّي على ان هذا الإعراب مثل قوله تعالى : ﴿**فَما كَانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا**﴾ [٩] ، اذ وقع اسم كان بعد (الا) في الموضعين[١٠].

وبين الراونديّ ان الرواية التي رجحها روي فيها (سفير) بالرفع ، ووجهه هو « انه اسم كان ، والا لسانك صفة اي غير لسانك ، والخبر : الى الناس »[١١]. وعلق المعتزلّي على هذا الوجه بقوله: « لا يصح ما قاله الراونديّ : ان خبرها (الى الناس) ؛ لان (الى) هاهنا متعلقة بنفس (سفير) فلا يجوز ان تكون الخبر عن سفير ، تقول : سفرت الى بني فلان في الصلح ، واذا تعلق حرف الجر بالكلمة صارا كالشيء الواحد »[١٢].وفي الرواية المشهورة جاء معنى

---

(١) نهج البلاغة : الرسالة ٦٧ ص:٥٨٦.

(٢) ينظر : الكيدريّ٥٨٠/٢ والمعتزلّي٣٠/١٨ والبحراني ٢٠٣/٥ والخوئي ٣٨٤/٢٠

(٣) ينظر: المعتزلّي٣١/١٨ .

(٤) ينظر: البحراني ٢٠٤/٥ .

(٥) ينظر: الخوئي ٣٨٥/٢٠ .

(٦) ينظر: نفسه ٣٨٥/٢٠

(٧) ينظر : شذور الذهب ٢٦٥ وشرح عمدة الحافظ ٣٧٩ .

(٨) ينظر: الراونديّ٢٤٦/٣

(٩) النحل ٥٦ .

(١٠) ينظر: المعتزلّي٣١/١٨ وينظر: الخوئي ٣٨٥/٢٠ .

(١١) الراونديّ٢٤٦/٣ .

(١٢) المعتزلّي ٣١/١٨ .

التركيب اقوى وآكد على التبليغ والتوجيه ،اذ فيه تقديم الخبر (لك) وتاخير المبتدأ (سفير) ، وقد المح هذا التقديم الى وجوب الاتصال بين الراعي ورعيته اتصالا مباشرا لوقوع النفي قبل (لك) فلا يتخذ الوالي السفراء اليهم في كل حال ، ويجعل بينه وبينهم المبلّغين والرسل ، وفي تنكير (سفير) مع انه في موضع المبتدأ اشارة الى العموم والسعة[١] . ثم بعد نفي هذا النوع من الاتصال المشعر بزهو الامراء وعزلتهم جاء الاستثناء بـ (الا لسانك) ليؤكد تواضع الحاكم ودرايته المباشرة باحوال الناس ، وتبليغه لهم بلسانه . لكن الرواية غير المشهورة يظهر فيها زهو الحاكم ، وعزلته عن رعيته .

وقد عمد بعض الشّراح إلى القول بالتقديم والتأخير في توجيههم بعض أقوال الإمام (ع) لأنهم لم يفهموا المعنى إلا به ، كما في قوله (ع) في الخطبة الشقشقية : (يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ ، فسدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا . وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ ، أو أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ ... فرأيتُ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى ، فَصَبَرْتُ وفِي العَينِ قَذًى ، وفِي الحَلْقِ شَجًا)[٢].

إذ رأى المعتزلّي « ان في الكلام تقديما وتاخيرا ، وتقديره : ولا يرقى الي الطير ، فطفقت ارتئي بين كذا وكذا ، فرأيت ان الصبر على هاتا احجى ، فسدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا ، ثم : فصبرت وفي العين قذى ، الى اخر القصة ، لانه لا يجوز ان يسدل دونها ثوبا ويطوي عنها كشحا ، ثم يطفق يرتئي بين ان ينابذهم او يصبر ، الا ترى انه اذا اسدل دونها ثوبا ، وطوى عنها كشحا فقد تركها وحرّمها ، ومن يترك ويحرّم لا يرتئي في المنابذة »[٣]. ووجه انصاريان التركيب بقوله : إن « سدل الثوب وطي الكشح لم يكن على وجه البت وتصميم العزم على الترك ، بل المراد ترك العجلة والمبادرة إلى الطلب من غير تدبر في عاقبة الأمر، ولعل الفقرتين بهذا المعنى أنسب »[٤] وخلص التستريّ إلى أنّه لا تقديم ولا تأخير ، وانّما الكلام من باب الاجمال والتفصيل ، فأجمل (ع) أولا إعراضه بقوله : (سدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا) ، وفصل ثانيا بقوله : (وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جذاء ، او اصبر على طخية عمياء) ، فشرع يفكر فرأى امره دائرا بين معذورين : صولة غير منتجة ، وغمضة مؤلمة . والمحذور الثاني اقرب الى العقل ، فاختاره ، ولولاه لما كان لاعراضه وجه[٥].

---

(١) ينظر: معاني النحو ٤٢/١

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٣، ص:٢٨.

(٣) المعتزلّي ١٥٥/١ .

(٤) انصاريان ٣٥/١ .

(٥) ينظر: التستريّ ٣٩/٤-٤٠ .

ثانيا : التقديم والتأخير بين المتعاطفين

أقر الشّراح عدة دلالات للتقديم والتأخير بين المعطوف والمعطوف عليه ، ومنها :

١- مراعاة الاهم : كما في قوله (ع) : (بادروا أمَر العامّة وخاصّة احدِكُم وهَو الموتُ)[١]. قال الشارح محمد عبده : « في تقديم الامام امر العامة على امر الخاصة دليل على ان الاول اهم ، ولا يتم الثاني الا به ، وهذا ما تضافرت عليه الادلة الشرعية وان غفل عنه الناس في ازماننا هذه »[٢].

٢- مراعاة السياق: كما في قوله (ع) يحمد الله : (لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَه فَيَكُونَ فِي العِزّ مُشَارَكًا وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثًا هَالِكًا)[٣] . وفسر الراونديّ التقديم والتاخير في (لم يولد ولم يلد) الذي جاء بخلاف النسق القرآني في سورة الاخلاص بانه « انما قدم امير المؤمنين –عليه السلام- ههنا (لم يولد) ؛ لانه تعالى لو كان ممن يولد لدل ذلك على حدوثه ، وذلك من صفات الاجسام ، وقوله : (لم يلد) يدل على نفي حاجته ، ... فاستدل اولا على صفة الاثبات له تعالى ، وهو كونه غنيا ، وذاك نفي الحاجة عنه ، فحسن التقديم والتاخير لذلك »[٤].

٣- مراعاة تسلسل الاحداث : كما في قوله (ع): (اجعلْ شرائفَ صلواتكَ ، ونوامِيَ بركاتِك ، على محمّدٍ عبدِك ورسولِك)[٥]. فـ« تقديم العبد للاعتراف بكونه مملوكا له سبحانه زيادة في تمجيده سبحانه »[٦] ، إي أنّ المخلوق يكون عبدا لربه اولا ، ثم يصطفي الله من عباده ما يشاء ، وخير المصطفين نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) .

وثمة أنماط أخرى من التقديم والتأخير جهر الشّرّاح بدلالاتها ، كتقديم المفعول به على الفاعل ، وتقديم المفعول على الفعل والفاعل معا ، وتقديم المفعول الثاني على الأول ، وغير ذلك من الأنماط التي جمعها الشّرّاح على دلالة رئيسة هي الاهتمام بالمقدم .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٧ ص:٣٠٤.

(٢) عبده١٠١/٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٢ ، ص ٣٢٨ .

(٤) الراونديّ١٨٥/٢.

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٧٢ ، ص ١١٠ .

(٦) الشيرازي٢٧٩/١ وينظر : ١٢٥/٢ .

المطلب الثاني : دلالة الضمائر

اولا : الاضمار قبل الاظهار

ورد في النهج طائفة من امثلة الضمائر المقدمة على اسمائها الظاهرة ، فتلمس الشّرّاح تبعا للنحويين[١] عدة دلالات لهذا النوع من التراكيب ، وكما ياتي :

١ - **الدلالـة علـى التهويـل** : كما في قوله (ع) في الاستعداد للموت : (فَيَالَ ا حسرةً على كلّ ذي غفلةٍ ان يكونَ عُمُرُه عليهِ حُجَّةً)[٢] ، فالهاء في (يالها) راجع الى (الحسرة) ، وانما قدم الضمير للتهويل ، فان « ذكر الصريح بعد التلويح اوقع في النفس لتعطيش القلب الى الاظهار بعد الاخفاء»[٣].

٢ - **الدلالـة علـى حضور الاسم في الذهن** : كما في قوله (ع) : (ما هِيَ الا الكوفةُ ، أَقْبِضُها وأُبسِطُها)[٤]، فقدّم الامام (ع) الضمير (هي) وإن لم يجر له ذكر سابق ، لأن « تضجّره من اهلها قبل ذلك وخوضه في تدبيرها مرارا ، وحضورها في ذهنه يجري مجرى الذكر السابق لها »[٥].

٣ - **الدلالة على فهم المقصود** : كما جاء في قوله (ع) عند خروجه لقتال اهل البصرة : (إنّ الله سبحانه بَعَثَ محمّدا – صلّى الله عليه وآله - ... فساقَ النّاسَ حتّى بوّأهم مَحَلّتَهمُ ...أما واللهِ إنْ كُنْتُ لَفي ساقَتِها حَتّى تولّتْ بِحَذافيرِها ...)[٦] ، فالضمير في **ساقتها** لكتائب الحرب ، وان لم يجر لها ذكر صريح ، لكن المعنى واضح فاختصر الكلام .وكأنه قال :فساق الناس وهم يومئذ كتائب عليه ،فكنت في ساقتها حتى تولت تلك الكتائب باسرها[٧].

٤ - **الدلالـة علـى تعظيم الشأن :** وهو معنى يفهم من ضمير الشأن ، ومن امثلته ما جاء في قوله (ع) : (فإنّه. والله. الجِدّ لا اللعبُ ، والحقّ لا الكَذِبُ . وَما هُو إلا الموتُ)[٨] ، وفيه اضمر في (إنه) قبل الجد ، ثم أضمر في (هو) قبل ذكر الموت . وهذا الضمير لدى الشّرّاح تبعا للنحويين[٩] ضمير الشأن ، كما في قولنا :هو الامير مقبل ، اي : الشأن هذا[١٠]. وطول الخوئي في ذكر دلالة هذا الضمير وفائدته ، ورأى ان « القصد بهذا الابهام ثّم التفسير تعظيم الامر ، وتفخيم الشان ، فعلى هذا لابد ان يكون مضمون الجملة المفسرة شيئا عظيما يعتنى به ، فلا يقال : هو الذباب يطير»[١١] ، ثم ذكر معنيين آخرين لهذا الضمير وهو انهم انما ذكروا « اولا شيئا مبهما حتى يتشوق نفس السامع الى العثور على المراد به ، ثم يفسروه ، فيكون اوقع في النفس ، وايضا يكون ذلك المفسر مذكورا مرتين بالاجمال والتفصيل ثانيا فيكون اكد»[١٢] .

---

(١) ينظر: الجمل ١١٧-١٢٠ والبرهان ٤٧٩-٤٨٠ ومعاني النحو ٦٦/١-٦٧.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٦٤، ص:١٠٢.
(٣) الشيرازي٢٧٢/١ .
(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢٥، ص:٥٧
(٥) البحراني ١٩/٢ وينظر : ابو الفضل٧٠/١ .
(٦) نهج البلاغة : الخطبة٣٣، ص:٧٣.
(٧) ينظر : المعتزلّي١١٦/٧ والبحراني ٧٤/٢ وعبده١٠٣/١ .
(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١٣٢ ، ص:٢٣٩
(٩) ينظر : شرح المفصل ٣:١١٤ وشرح الكافية ٧٥/٢-٧٦
(١٠) ينظر: الخوئي ٢٩٥/٨ .
(١١) نفسه٢٩٦/٧ .
(١٢) نفسه ٢٩٦/٧ . وينظر:شرح الكافية ٢٧/٢.

ثانيا : دلالة التباين في العدد بين الضمير والاسم[١].

ورد في متن النهج تباين واختلاف في العدد والجنس بين الضمير والاسم ، كمجيء ضمير الجمع دالا على الواحد ، ومجيء ضمير الجمع دالا على الاثنين ، ومجيء ضمير المذكر دالا على الاسم المؤنث ، وغير ذلك من أمثلة التباين في الضمير واسمه التي تلمس لها الشّراح الدلالات الآتية :

١ - **الدلالـة علـى تعظـيم شـأن المـتكلم** ، كمـا فـي قولـه (ع) : (نحنُ الشّعارُ والأصحاب ، والخَزَنَةُ والأبوابُ، ولا تُؤْتى البُيوتُ إلا من أبوابِها)[٢] ، وفيه جاء بضمير الجمع (نحن) مع أنه يشير الى نفسه ؛ لأن كلامه هذا في معرض الفخر فجاء بالجمع تعظيما لشأنه إزاء قوم غفلوا عن عظيم منزلته[٣]. وقد تبين للمعتزلي[٤] أنّ الامام (ع) يطلق دائما هذه الصيغ الجمعية ويعني نفسه بغية التعظيم إزاء مبغضيه . وفي القران كثير من ذلك ، كقوله تعالى:﴿**الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمنا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾ [٥] ،والقائل واحد [٦].

٢ - **الدلالـة علـى تليـين الموقـف** ، كمـا فـي قولـه (ع) : (لا نَنْفِقُ بِما لَمْ نَمْنا)[٧]، وفيه تكلم الإمام بلفظ الجمع ، اذ من عادة البلغاء ان ينسبوا الى انفسهم القضايا العامة تليينا للموقف وبيانا للعموم فأدخل نفسه مع الذين لم ينتفعوا بأعمالهم مع إنه ليس منهم[٨].

٣ - **الدلالة على انزال الجميع منزلة الواحد لرضاهم بفعله** ، ومثالها ما في قوله تعالى:﴿ **فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ** ﴾ [٩]، بمعنى ان المباشر للعقر كان واحدا ، ثم نسب العقر الى الجميع في قوله تعالى:﴿ **فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ** ﴾ [١٠] لرضاهم بفعل الواحد[١١].

٤ - **الدلالة على جمع المتشابهات** ، ومثاله ما في قوله (ع) يصف الدنيا بانها :(غُرور حائل ...قَمَصَتْ بِأُرْجُلِها)[١٢] ، فقال(ع) :بأرجلها، وانما للدابة رجلان ؛ اما لان المثنى قد يطلق عليه صيغة الجمع ، كما في قولهم :امراة ذات اوراك ، وهما وركان . واما لانه اجرى اليدين والرجلين مجرى واحدا ، فسماها كلها ارجلا لما بينهما من تشابه لدى الدواب الذي يمشي على أربع[١٣].

---

(١) ينظر: البرهان ٤٩٧-٥٠٠ ومعاني النحو ٦٧-٦٨.
(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٤، ص:٢٧٠
(٣) ينظر : المعتزلّي٩/١٦٥.
(٤) ينظر : المعتزلّي٩/١٧٦.
(٥) ال عمران١٧٣
(٦) ينظر : معاني الفراء١/٢٤٧ والكشاف ١/ ٤٨٠ والبحر المحيط ٣/٤٣٦.
(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٣٢ ، ص:٦٩.
(٨) ينظر: الراونديّ ١/٢٣٠ والكيدريّ ١/٢٥٤ والمعتزلّي ٢/١٧٦ والبحراني ٢/٦٣ والخوئي ٤/٤٩ والتستريّ ٨/١٤٦ .
(٩) القمر٢٩
(١٠) الشعراء١٥٧وينظر:الكشاف ٣/١٢٣-١٢٤.
(١١) ينظر: الشيرازي١/١٦٩
(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ، ص:١٢٢
(١٣) ينظر : المعتزلّي٦/٢٤٧

٥ - **اطلاق الخطاب للدلالـة علـى عمـوم المخـاطبين** ، كمـا قـال الامـام (ع) في ذكر الملاحم ، يصف المهدي (ع) : (...فيريكم كيف عدل السيرة)[١] ، وفي هذا وجه الامام (ع) الخطاب الى اصحابه بقوله: (فيريكم) ، ولا يعني هذا انهم يرون ما سيأتي في اخر الزمان ، لكن « خطاب الحاضرين من الامة كالعام لكل الامة ، وذلك كسائر خطابات القران

الكريم مع الموجودين في عصر الرسول (ص) فانه يتناول الموجودين الى يوم القيامة ثم يخرج المخاطبون بدليل العادة ، اذ من عادتهم ان لا تمتد اعمارهم الى وقت ظهوره ، فبقي الموجودون في زمانه »[٢].

٦- **الدلالة على الاحاد التي ياتلف منها الجمع** ، وذلك في قوله (ع) يصف الغافلين عن الموت: (... وزورا ما أغفله)[٣] ، وفيه اعاد الضمير المفرد وهو الهاء في (ما أغفله) على الجميع (زور) بمعنى زائرين ؛ لأنه اراد كل واحد منهم ، ونحوه قوله تعالى: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهيرا﴾ [٤] ، اي كل واحد من الملائكة ظهير للرسول (صلى الله عليه وآله)[٥].

ثالثا: الإضمار دون الإظهار[٦] ، ثمة « ضرب من ضمائر العربيّة لا يعود الى سابق بعينه ، بل يعود الى مجهول يتاول في الكلام ، وقريب منه قول النحويين : ضمير الشان »[٧]، وأما مدلول هذا النوع من الضمائر التي ذكرها الشّرّاح فأهمها :

١- **الدلالة على العلم بالشيء المجهول** ، ومنه قوله (ع) في تعداد فضائله ازاء فضائل الصحابة: (...وكنت اخفضهم صوتا ،واعلاهم فوتا ، فطرت بعنانها واستبددت برهانها)[٨] ، وفيه اضمر في (عنانها و برهانها) والضميران يعودان الى الفضيلة ، وان لم يجر لها ذكر لفظي سابق او لاحق ، وفي عدم تصريحه بذكر لفظ (الفضيلة) او (الشجاعة) دليل على انه في حكم المعلوم الذي شاعت معرفته فكانت الكناية معه انسب من التصريح به[٩] . وكذا ما جاء في قوله (ع) يوصي اصحابه في بعض ايام صفين : (وَعَضُّوا على الأضْراسِ فإنّه أُنبى للسُّيوفِ عَنِ الهامِ)[١٠] والضمير في قوله :(فانه) يعود الى المصدر الذي دل عليه (عضّوا) ، كقولك: (من احسن كان خيرا له)[١١]. ومنه قوله (ع) : (أيها النّاسُ ، خُذُوها عن خَاتِمَ النَّبِيين - صلى الله عليه وآله - ، إنّه يموتُ من ماتَ مِنّا وليس بميّتٍ ، ويبلى من بَلِيَ مِنّا وليس ببالٍ)[١٢]، فان كلامه (ع) لما كان في معرض ذكر الفائدة ، فكانه قد تقدم ، فلذلك احسن ابراز الضمير في قوله : خذوها وان لم يسبق لها ذكر[١٣].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٨ص:٢٤٦. (٢) البحراني ١٦١/٣. (٣) نهج البلاغة : الخطبة٢٢١ ص:٤٢٤ .

(٤) التحريم ٤ وينظر: معاني الفراء ١٦٧/٣ ومعاني الزجاج ١٥٠/٥وإعراب النحاس ٨٢/٥ والكشاف ١٢٧/٤.

(٥) ينظر: الشيرازي٣٥/٣ .

(٦) ينظر: البرهان ٣٠/٤-٣١ والإتقان ١٨٧/١ومعاني النحو ٦٨/١-٦٩. (٧) السامرائي١٣٦.

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٣٧، ص: ٨٠. (٩) ينظر:المعتزلّي١٦٩/٥ والبحراني ١٨٢/٢، ١٤٩.

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٤، ص:٢٢٧. (١١) البحراني ٣١٢/٢.

(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ٨٧، ص:١٤٣. (١٣) ينظر: البحراني ٢٠٨/٢

٢- **الدلالة على شهرة المكنى عنه** ، كما في قوله (ع) من كلام له لما عزم أكثر الستة على بيعة الخليفة الثالث : (لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنّي أحقّ النّاسِ بها من غَيري ...)[٤]، فالضمير يعود الى الخلافة ، وانّما حذفها لشهرتها، وكون الحديث فيها قرينة معينة لها ، كما قال قبل: لقد تقمّصها فلان[٥].

ومن ذلك -أيضا- قوله (ع) في تأبين الصحابي مالك الأشتر : (أصابَ خَيْرَها ، وسَبَقَ شَرّها)[٦]، والضمير يعود على الخلافة « ولم يجر ذكرها لعادة العرب في امثال ذلك ، كقوله تعالى: ﴿ **حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ** ﴾ [٧] »[٨].

رابعا - تعدد اوجه عود الضمير مراعاة للمعنى

جوّز الشّرّاح على سبيل الاحتمال اكثر من وجه في مسالة عود الضمير على صاحبه لأن المعنى يجيز هذا التعدد ، كما في قوله (ع) من وصية له بما يعمل في امواله : (يَقُومُ بذلكَ الحسنُ بنُ عليّ ، يأكلُ مِنْه بالمعروفِ ، ويُنْفِقُ منه في المعروفِ ، فإنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وحُسين حيّ، قَامَ بالأمرِ بعدَه وأصدره مصدَره .)[٩] ، فالضمير في (بعده) للحسن ، وفي (اصدره) للامر الذي يقوم به . واما الضمير الذي في (مصدره) فيحتمل وجهين[١٠] : **احدهما** : عوده على الحسن ، وتقديره : واصدر الحسين الامر كاصدار الحسن له ، وقضى في المال كقضائه. والمصدر بمعنى الاصدار، كقوله : ﴿والله انبتكم من الارض نباتا﴾ [١١]، اي: انباتا[١٢] ، ويحتمل ان يكون المصدر محل الاصدار ، اي : واصدره في محل اصداره. و**الآخر** : ان يعود الى الامر الذي وصى به (ع) ،ويكون المعنى : ووضع كل شيء موضعه.

وكذا جاء في الخطبة الشقشقية : (أَما واللهِ لقد تقمّصها فلانٌ ... إنّ محلّي منها محلّ القُطْبِ من الرَّحَى ...فَصَبَرْتُ وفي العَيْنِ قَذًى وفي الحَلْقِ شَجًا ...فصاحبُها كراكبِ الصَّعْبَةِ...)[١٣] ، وفي عود الضمير في (فصاحبها) عدة اوجه ذكرها الشّراح ، وهي :

- ان يكون الضمير عائدا على الخلافة ، وان لم يجر لها ذكر ؛ لانها معروفة ، وصاحبها هو كل من تولى امرها ، اذا كان عادلا مراعيا لحق الله ، ووجه الشبه براكب الصعبة ان المتولي امر الخلافة يضطر الى الكلفة الشاقة في مداراة احوال الناس ، فهو ان افرط في طلب الحق منهم كان عاتيا عليهم ، وكان كمن يشنق الناقة ، وان فرّط في الحق كان صغيرا في اعينهم ، وكان كمن اسلس لناقته ، وحينئذ يلقيه تفريطه في موارد الهلكة ، والمعنى في هذا الوجه ظاهر[١٤] .

---

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٧٤، ص:١١٣.

(٥) ينظر : الراونديّ١١٠/١ والخوئي ١٦٥/٧ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٨، ص:٤٤٣

(٧) ص ٣٢ وينظر: معاني الزجاج ٢٤٨/٤ وإعراب النحاس٤٢/٤.

(٨) المعتزليّ٦/٢ وينظر : ٩٨/١٠

(٩) نهج البلاغة : الرسالة ٢٤، ص:٤٨٠.

(١٠) ينظر: البحراني ٣٥٩/٤ .

(١١) نوح ١٧.

(١٢) ينظر: إعراب النحاس ١١٦/٥.

(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص: ٢٨.

(١٤) ينظر : البحراني ٣٢١/١-٣٢٢ .

- ان يكون الضمير عائدا على الحوزة الخشناء ، والمراد على هذا الوجه ان صاحب الحوزة الخشناء بحاجة الى المداراة في صعوبة حاله ، كراكب الناقة الصعبة ، ووجه المشابهة ان راكب الناقة الصعبة كما يحتاج الى الكلفة والمشقة في مداراة احوالها ، فهو معها بين خطرين : ان والى الجذبات في وجهها بالزمام خرم انفها ، وان اسلس لها في القياد تقحمت به المهالك ، كذلك حال الناس مع صاحب الحوزة الخشناء ، ان اكثروا عليه انكار ما يتسرع اليه ادى ذلك الى

مشاققته ، وفساد حالهم معه ، وان سكتوا عنه وتركوه وما يصنع ادى ذلك الى الاخلال بالواجب . وهذا الوجه اليق بسياق الكلام ونظامه ؛ لان الضمير يعود على قريب مذكور ، وهو حوزة خشناء[١].

- ان يكون عائدا على (نفسه) ، وإنّما شبّه نفسه براكب الصعبة ؛ لانه أيضا بين خطرين ، اما ان يبقى ساكتا على طلب الخلافة ، فيقوده سكوته الى موارد الذل ، والصغار ، واما ان يتشدد في طلبها ، فينشعب بذلك امر المسلمين ، وتنشق عصاهم ، فيكون بذلك كمن اشنق الناقة فخرم انفها ، وهذا وجه محتمل ، ولكنه مرجوح لحذف الاسم الظاهر – نفسه- لفظا ، فضلا عن الالتفات في : (طفقت ، ارتاي ، اصول ، اصبر ...) الى الغائب – صاحبها -[٢]. وكذا ما جاء في قوله (ع) : (نحمده على ما وفق له من الطاعة ، وذاد عنه من المعصية)[٣]. فالضمير في (له) اما عائد الى (ما) التي بمعنى (الذي) ، او عائد الى الله سبحانه ، كانه قال : نحمده على ما وفق من طاعته . وصحّح المعتزلّي الوجه الاول ؛« لان **له** في الفقرة الاولى بازاء **عنه** في الفقرة الثانية ، والهاء في (عنه) عائدة الى الله»[٤].

خامسا[٥] : الالتفات من الغيبة الى الحضور للاهتمام بالمكنى، كما في قوله (ع) في ذكر توحيد الله : (..وَمَنْ مَاتَ فإليهِ مُقْلَبُه . لْم تَرَكَ الْعُيُونُ فتخْبِرَ عَنْكَ)[٦] ، وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب ، كقوله تعالى : ﴿ **آياك نعبد**﴾ [٧] « وهذا الالتفات وعكسه يستلزم شدة عناية المتكلم بالمعنى المنتقل اليه ،وحسنه معلوم في علم البيان »[٨] .

ونحوه قوله (ع) : **(**ما هِيَ إلا الكُوفَةُ أقْبِضُها وأُبسِطُها ، إنْ لْم تكُوني إلا أنتِهُ بُّ أعاصيرُكَ...**)**[٩] ، وفيه عدل من الغيبة الى المخاطب الحاضر لبيان الاهتمام بها فكانها مما تصح مخاطبته[١٠].

---

(١) ينظر : البحراني ٣٢١/١ .

(٢) ينظر: نفسه ٣٢٢/١ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٤ ،ص:٣٨٥.

(٤) المعتزلّي١٦٤/١٠ .

(٥) ينظر: البرهان ٦٤٣-٦٤٥.

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩، ص:١٩٩.

(٧) الفاتحة ٤ وينظر:الكشاف ٦١/١ والتبيان للعكبري ١٧/١.

(٨) البحراني ٥١/٣ وينظر : الخوئي ٣١٦/٧ والشيرازي١٧٦/٢ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٢٥، ص:٥٧ .

(١٠) ينظر : الخوئي ٣٥٦/٣ .

المطلب الثالث: دلالة الاضافة[١]

أقّر الشّراح الدلالات الآتية في باب الإضافة:

١- **تفخيم شأن المضاف والاهتمام به** : ويكون هذا المعنى في اضافة الصفة الى الموصوف . إذ جهر الشّراح بأن هذه الإضافة تفيد تفخيم الصفة ازاء الموصوف والاهتمام بها ، كما جاء في قوله (ع) : (وتدّ بالصُّخُورِ مَيدانَ

أُرضِـهِ)[٢] ، فالوتـد يكـون فـي الارض لا فـي ميـدانها ولكـن « لمـا كـان الميـدان علـة حاملـة علـى ايجـاد الجبـال ، وايتـاد الارض بهـا ، كـان الاهتمـام بـه اشـد فلـذلك قدمـه واضـافه اضـافة الصـفة الـى الموصـوف ، وان كـان التقـدير : ووتـد بالصخور ارضه المائدة »[٣] . وعد الخوئي [٤] الإضافة في (ميدان الارض) بمعنى اللام أي : (ميدان لأرضه) ، وليس من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف ، أي : (ارضه المائدة). ومن أمثلة هذا النوع من الإضافة ما في قوله (ع) : (أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفاءُ الزُّهْدِ)[٥] . إذ رأى بعض الشّرّاح أنّ (إخفاء الزهد) تقديره : (الزهد الخفي) ، فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها ؛ لانها اهم ، ولان الزهد يكاد لا ينفك عن رياء وسمعة ، فكان مفصولا[٦]. ونحوه ما في قوله (ع)في وصف العدل : هو (على أربعِ شُعَبٍ : على غائصِ الفَهْمِ ، وغَوْرِ العِلْمِ ، وزُهْوَةِ الحُكْمِ ، وَرَسَاخَةِ الحِلْمِ)[٧]. والتقدير: فهْم غائصٌ وعلْم غائرٌ وحكمةٌ زاهرةٌ وحلْم راسخٌ[٨].

وكذا ما في قوله (ع) : (لا يُدْرِكُه بُعْدُ الهِمَمِ ، ولا ينالُه غَوْصُ الفِطَنِ)[٩] ، وفيه «اضافة الغوص الى الفطن والبعد الى الهمم ، اضافة لمعنى الصفة بلفظ المصدر الى الموصوف ، والتقدير : لا تناله الفطن الغائصة ، ولا تدركه الهمم البعيدة »[١٠] . فهذا كقول العرب: (جود حاتم) ، وفيه اضافة الصفة بلفظ المصدر (جود) الى الموصوف (حاتم) ، والاصل:(حاتم الجواد)[١١]. ومثالها التراكيب : (ثواقِبُ شُهبِها)[١٢] ، و(جوامع الأقدارِ)[١٣] ، والتقدير : الشهب الثواقب ، والاقدار الجوامع ، ثم اضاف الصفة الى الموصوف للاهتمام بالصفات[١٤].

٢ -ايضاح شأن المضاف وبيانه : وهو واضح في اضافة الخاص الى العام[١٥] ، كما جاء في التركيب : (غُلُف الأكمامِ)[١٦]، وفيه اضاف الغُلُف جمع (غِلاف) الى الاكمام جمع (كُمّ) ؛ « لأن كلَّ كمٍّ غِلافٌ ، ولا ينعكس ، فجازَ

---

(١) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه ١٧٣ ومعاني النحو ١١٣/٣-١١٨.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١، ص:١٧.

(٣) البحراني ١٥٥/١ .

(٤) ينظر: الخوئي ٣٠٨/١ .

(٥) نهج البلاغة : الرسالة ٢٨، ص ٦٠٣.

(٦) ينظر: المعتزلّي ١٣٩/١٨ والخوئي ٤٤/٢١.

(٧) نهج البلاغة : الرسالة ٣١ ص :٦٠٤.

(٨) ينظر: الراونديّ٢١٥/٣ والبحراني ٣٥٨/٥ وانصاريان ٢٨١/١.

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٧.

(١٠) البحراني ١٥١/١.

(١١) ينظر: الراونديّ٦٢/٣ وارتشاف الضرب ٥٠٦/١-٥٠٧.

(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ٩١، ص ١٥٤

(١٣) نهج البلاغة : الرسالة ٥٥، ص ٥٧١.

(١٤) : البحراني ٣٩٩/٢.

(١٥) ينظر: شرح المفصل ٨/٣ وارتشاف الضرب ٥٠٦/١.

(١٦) نهج البلاغة : الخطبة ٩١، ص ١٦٦.

تخصيص العام بالاضافة الى بعض اجزائه»[١]. وكذا الإضافة في (فَيْء الظّلّ)[٢] ، فهي من قبيل إضافة الخاص الى العام ؛ لان الفيء لا يكون الى بعد الزوال ، اما الظل فعام في كل وقت[٣]. وقد كثر في النهج أمثلة هذا النوع من الإضافة كما في التراكيب : (وجه سبيلِه) و(فوائد النِّعَمِ) و(فُضُول الحطامِ) و(سَوابِغُ النِّعَمِ) و(ودائع أَمْرِه) و(عَواقِبِ الغَدْرِ) و(لِباسُ الذُّلِّ) و(نِكال العِقاب) . وكلّها تفيد الايضاح والبيان[٤] ، وهي بمعنى (من) ، نحو :(خاتم فِضّة)[٥].

٣- تخصيص المضاف : ويكون ذلك في إضافة العام إلى الخاص كما جاء في قوله (ع) : (وَمضَتِ الدُّنْيا لِحَالِ سَبِيلِها)[٦] ، فالبالُ هو القلب ، والحال أعّم منه ، ولذلك أضاف العام الى الخاصّ ، والمعنى : مضت الدنيا بحالها التي هي الانتقال[٧]. وكذا ما في قوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾ [٨] ، فاضاف الجناح الى الذل تخصيصا له ، والمعنى: اخفض لهما جناحك الذليل[٩]. ومثالها – ايضا – (خرور الجباه) ، و(توحيد الشفاه) ، فالاضافة للتخصيص لأن المضاف أعم من المضاف إليه[١٠]. وقد يخصص مدلول المضاف من اضافة الموصوف الى الصفة ، نحو : (برقُ الخُبِّ) ، و(مسجد الجامع) ، و(دار الاخرة) ، والاصل : (البرقُ الخُبّ) ، وهو الذي لا غيث معه ، و(المسجد الجامع) ، و(الدار الاخرة) ، فاضاف الموصوف إلى صفته على معنى التخصيص[١١].

وقد اشار الشارحان البيهقّي والكيدريّ[١٢] الى خلاف العلماء في هذا النوع من الاضافة ، فالبصريون يمنعون اضافة الموصوف الى الصفة ، ويقدرون محذوفا مضافا اليه في مثل هذه التراكيب ، وهو (برق السحاب الخلب) ، و(مسجد اليوم الجامع) ، و(دار الساعة الاخرة) ، فيكون المعرف بـ(أل) نعتا . على حين جوّز الكوفّيون اضافة الموصوف الى الصفة كما في (مسجد الجامع) اصله (المسجد الجامع)[١٣].

٤- المبالغة في معنى المضاف : ومن امثلتها ما في قوله (ع) يحمد الله : (وكانَ مِنِ اقْتِدارِ جَبَرُوتِهِ...)[١٤] ، وفيه « اضافة الاقتدار الى جبروت الله تعالى ، مع ان الاصل اضافة الاقتدار اليه تعالى، كما في نسبة الاكرام الى مثوى يوسف (ع) في قوله تعالى :﴿**أَكْرِمِي مَثْوَاهُ** ﴾[١٥]، مع ان الاصل النسبة اليه (ع) للدلالة على المبالغة »[١٦].

---

(١) الخوئي ٣٨٩/٤. (٢) نهج البلاغة : الخطبة ٦٣، ص:١٠٠ (٣) ينظر: عبده١٣٤/١ .

(٤) ينظر : الكيدريّ٣٨٨/١ وانصاريان٨٢/١ و١٢٩ و٢٨٩/٢ والشيرازي٣٢٢/١ ، ٣١٨/١ و٣٢٢ و٦/٢ و٣٩.

(٥) ينظر:المقرب ٢٣٠ و شرح الكافية٢٩٨/١- ٢٩٩ (٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩١ ، ص :٣٥٩.

(٧) ينظر: الراونديّ٢٢٩/٢. (٨)الإسراء٢٤ وينظر: معاني الزجاج ١٩٢/٣.

(٩) ينظر: الراونديّ٦٢/٣ . (١٠) ينظر : نفسه١٢٩/٢ .

(١١) ينظر :ينظر: المعتزلّي٧ / ٢٦٧، ١١٧/١٣ والبحراني ١٠٥/٣ ، ٣٤٤/٤ والخوئي ٢٢٠/١١، ١٧/ ١١٣ .

(١٢) ينظر : البيهقّي٢١١ والكيدريّ٥٥٤/١ . (١٣) ينظر: ارتشاف الضرب ٥٠٧/١.

(١٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢١١، ص:٤١١. (١٥) يوسف٢١ وينظر: الكشاف ٣١٠/٢.

(١٦) التستريّ ٥٠٩/١ وينظر: الراونديّ ٣٣٧/٢ والمعتزلّي ٥٢/١١ والبحراني ٢٥/٤ والخوئي ٢٦٦/١٤.

ومثله ما جاء في وصف الموت: (وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا ، وَجَعَلَهُ لَهَا جِسْراً لِأَشْطَانِهَا ، وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا ...)[١]. فالمرائر جمع مريرة ، وهي الحبل الشديد الفتل ، والاقرن هو الحبل تجمع به دابتان ، وكأن اضافة المرائر الى الاقران لبيان الشدة العظيمة في معنى المضاف ، والمبالغة في قوته واستحكامه ، ومع ذلك يقطعه الموت[٢].

٥- اثبات المضاف ونفي المضاف اليه : ويكون هذا المعنى في اضافة الشيء الى ضده ، كما في (سُفَهَاء الأحلامِ)[٣] ، فالسفه ضد الحلم « والعرب تضيف الشيء الى ضده اثباتا للمضاف ، ونفيا للمضاف اليه»[٤].

٦- **تشريف المضاف :** ومثالها اضافة الروح الى ضمير لفظ الجلالة ،في قوله تعالى : ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** ﴾[٥] ، اذ هي اضافة تشريف وايجاد لا اضافة اتحاد تعالى الله عن ذلك . كما يقال : بيت الله وناقة الله وعهد الله وخلق الله وذمة الله[٦] . ومنه – أيضا- الإضافة في (امة الرسول)[٧] ، إذ هي تشريف للامة ، واذا ما جاء من هذا التركيب في معرض التوهين والضعف فيكون الكلام في مقام التعجب عن انحراف المضاف ، إذ كيف انحرفوا ؟ مع ان مؤهلات الاستقامة موجودة فيهم باضافتهم الى (الرسول)[٨].

٧- **تحقير المضاف :** إذ يكتسب المضاف معنى التحقير من المضاف إليه ، كما جاء في قوله (ع) :(لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدُ عِنْدِي...)[٩]. وفيه اضاف الدنيا الى المخاطبين في (دنياكم) لتحقيرهم وتحقيرها ، وبراءة ساحته عن ان يكون ممن يضاف اليه الدنيا[١٠]. وكذا ما جاء في قوله (ع) في ذم ابليس: (لَاوتَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ ، وحَلْقَةِ ضِيْقٍ ، وعَرْصَةِ مَوْتٍ ، وجَوْلَةِ بَلاءٍ)[١١] ، فالاضافة في المواضع الأربعة تفيد التحقير وهي من باب إضافة الخاص إلى العام[١٢]. و اللفظ الخاص ليس حقيرا في هذه التراكيب ولكنه يكتسب هذا المعنى من اللفظ العام بعده . ونظير هذا في القرآن ما في قوله تعالى: ﴿ **فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾[١٣] ، فالعاقبة بمعنى العقاب لكنها اختصت هنا بالخاتمة السيئة من المضاف اليه ،وفي حال انقطاعها عن الاضافة واطلاقها تختص بالثواب كما في: ﴿ **وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[١٤].

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة٩١، ص:١٥٣.
(٢) ينظر : السامرائي١٥٢.
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣٦، ص:٨٠
(٤) البيهقّي ١٢٧ وينظر: التستريّ ٤٤٧/٥.
(٥) الحجر ٢٩ وينظر:الكشاف ٨٩/٢
(٦) ينظر:البيهقّي١٢٧ والراونديّ١٠٦/١، ٢٣٠/٢ والكيدريّ١٣٦/١ والتستريّ٤٤٧/٦ والشيرازي١٩٢/٤و١٧٧/٣.
(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٧ ، ص:٢٣٢.
(٨) ينظر:الشيرازي٢٧٤/١ .
(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، ص:٣٢.
(١٠) ينظر: المعتزلّي٢٠٢/١ والخوئي ١١٠/٣ .
(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص٣٦٣.
(١٢) ينظر: الرواندي ٢٣٧/٢ والكيدريّ ٣٤٢/٢ والمعتزلّي ١٤٠/١٣ والبحراني ٢٤٤/٤ والخوئي٢٨٣/١١ والتستريّ٣٦٥/١٤ ومغنية ١١٤/٣ .
(١٣) يونس ٣٩ وينظر: الكشاف ٢٣٨/٢.
(١٤) الاعراف ١٢٨ و ينظر : الكشاف ١٠٥/٢ و البحراني ١٩٨/٤ .

٨- **تاكيد مفهوم المضاف :** ويستحصل هذا المعنى في كلام العرب من اضافة الشيء الى نفسه فيكون المتضايفان بمعنى واحد ، نحو : (كرى النوم)[١] . وأما في النهج فنبه الشّرّاح على طائفة من أمثلته ومنها: (مزالق الدحض) و(جداول الانهار) و(أسداف الظلمة) و(غسق دجنة) و(حب الحصيد) و(حق اليقين) و(ينابيع العيون) ، وهي اضافة للتأكيد[٢] . وهذا النوع من الاضافة إنّما أقرّه الشّرّاح لايمانهم بترادف الالفاظ للمعنى الواحد ، فراوا ان الفيء كالظل ، والحق كاليقين والحب كالحصيد وما سوى ذلك . فاقروا معنى التأكيد في هذا النوع من الاضافة .

وعلى الرغم من ذلك اورد بعض الشّرّاح ما يفصح عن عدم ايمانهم باضافة الشيء الى نفسه ؛ لانهم يرون ان بين المتضايفين فرقا ، كما في قول المعتزلّي في (فيء الظل) : « يمكن ان يقال ان الظل اعم من الفيء ؛ لان الفيء لا يكون الا بعد الزوال ، وكلّ فيء ظلّ ، وليس كل ظلّ فيئا ، فلما كان فيهما تغاير معنوي بهذا الاعتبار صحت الاضافة »[٣]. وقريب منه قول التستريّ في (ينابيع العيون) : « يفهم من اضافته (ع) الينابيع الى العيون كون الينبوع غير العين ، وان الينبوع اصل العين ومحل خروج الماء ، والعين ماؤه المجتمع ، لا كما توهم من اتحادهما »[٤].

وهذا النوع من الاضافة سماه الشّرّاح الاضافة اللفظية ، وذكروا انه يختلف عن الاضافة المعنوية التي يختلف فيها المعنى بين المتضايفين ، ثم اختلفوا فيما بينهم في بعض التراكيب اهي اضافة لفظية ام معنوية ، كما في (مواضع المفاقر) ، فذهب البحراني الى ان الاضافة ليست معنوية ؛ لاتفاق المعنى بين اللفظين ، وانما صحت لتغاير اللفظين فحسب[٥] . على حين عد الآملي الاضافة معنوية تفيد التخصيص ؛ لان الفرق المعنوي بين المضاف والمضاف اليه جلّي[٦] ؛ وذلك أن المفقر موضع لما انفرج بين شيئين خاصة كمفاقر الظهر ، أما الموضع فيدل على كل مكان خُفض وانحطّ[٧] . وكذا ﴿**حبّ الحصيد**﴾ [٨] و﴿**حق اليقين**﴾ [٩] ، فالحب لدى بعض الشّرّاح هو الحصيد ، والحق هو اليقين ، والاضافة لفظية تفيد التاكيد لأن المتضايفين معناهما واحد[١٠]. ورأى آخرون أن الحب خاص بالزرع ذي الحبّ ، على حين يكون الحصيد في كل ما قطع من الزرع وإن لم يكن له حبّ[١١] ، ومعنى حبّ الحصيد : حب الزرع الذي يقتات به ، ومن شانه ان يحصد ، وأما الحق فهو المطابقة والموافقة بين الشيء والواقع ، واليقين هو زوال الشك وثبات الحكم[١٢].

---

(١) في المسألة خلاف بين البصريين والكوفيين ، ينظر : الإنصاف ، المسألة ٦١ ، ٢/٤٣٦-٤٣٨.

(٢) ينظر :الراونديّ١/١٤١و٣٣٨ و٤١٠ والكيدريّ١/٣٩٤ ،٦١٥ ،٢/٥٠٣ والمعتزلّي٥/١٤٣ ،١٧/١٣٧ والسامرائي ٢٢٢.

(٣) المعتزلّي٥/١٤٤. (٤) التستريّ ٣/٤٩٤. (٥) ينظر: البحراني ٥/٢١٧ . (٦) ينظر: لخوئي ٢٠/٣٨٥ .

(٧) ينظر: المقاييس ٨٢٤ و ١٠٩٤. (٨) ق ٩ ، وينظر: معاني الفراء٣/٧٦ ومعاني الزجاج ٥/٣٥.

(٩) الواقعة ٩٥، وينظر: معاني الزجاج ٥/٩٤ وإعراب النحاس ٤/٢٩٤ والكشاف ٤/٦٠.

(١٠) ينظر: الكيدريّ٢/٥٠٣ وابو الفضل١/١٢٧.

(١١) ينظر :الروالندي ٣/١٥١ والمعتزلّي ١٦/٢٨٨والبحراني ٥/١٠٢وعبده ٢/٧٤والخوئي ٢٠/١١٨ومغنية٤/١٩والتستريّ٧/٤٨٥ .

(١٢) ينظر: المقاييس ١١١، ٢٤٤ ، ٢٤٨والمفردات ٨٩ ، ٢١٤ ،٢٤٦ .

٩- تعميم معنى المضاف : كما في (نعمة الله) ، فهي غير متناهية ، وبعيدة عن العد والحصر ، بدليل قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾ [١] ، اذ المفهوم من (نعمة الله) الجنس ، لا النعمة الواحدة ، كما يقول القائل : انا لا اجحد احسانك الّي وامتنانك علي ، ولا يقصد بذلك احسانا واحدا بل جنس الاحسان[٢]. وفي هذا «دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق والعموم بالاضافة»[٣]. ومثله ما في قوله (ع) : (أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعَمِهِ)[٤] ، وفيه إضافة النعمة الى ضمير الباري « اشارة الى ان نعمته سبحانه غير متناهية ، وفيوضاته تعالى غير منتهية من الكم والكيفية »[٥] .

ومن امثلة التوسع في معنى المضاف ما ياتي من الاضافة الى المفعول ، ومثالها : (خيانة الأمة)[٦] ، و(غشّ الائمة)[٧] ، وفيها اضاف المصدر الى المفعول به ، والفاعل محذوف، اي : (خان الساعي الأمة) و(غش الرعية الائمة)[٨]، واظهر معنى لهذه الاضافة لدى الشّرّاح هو التوسع في معنى الغش والخيانة بحذف فاعلهما الحقيقي . وقد يحصل التوسع في معنى المضاف من اضافته الى الفاعل كما في (ستر الله) ، فالله –عزوجل- هو الساتر ، والمفعول محذوف ، واضافة الستر الى الله تعالى تدخل في باب التوسع في معناه[٩].

وقد يحصل التعميم من اضافة المفرد الى الجمع كما في : (شرار النساء) ، و(خيارهن) ، اذ قال السامرائي : «الشرار اسم كالخيار ، فكما تقول خيار الشيء ، وخيره ، وخيرته ، تقول : شرار الشيء ، وشره ، وشرته ، غير ان الشرار والخيار اكتسبا صفة الجمع باضافتهما الى النساء فكان المراد بشرارهن وخيارهن ما كان منهن خيرا ، وما كان منهن شرا ، او ما كان منهن شريرة وخيرة »[١٠] . وقد ذكر السامرائي في ختم قوله هذا المفردين (شريرة) ، و(خيرة) ، فعلى هذا يكون (شرار) ، و(خيار) جمعا مقيسا لهما ، كظريف ظراف ، وكريمة كرام ، فلا تفيد الاضافة تعميما بل تخصيصا ؛ لان التعميم حاصل في المضاف .

وثمة تراكيب في باب الاضافة جوز الشّرّاح فيها اكثر من معنى ، كما في وصف الرضيّ اهل البيت (عليهم السلام) بانهم (مثاقيل الفضل) ، «وهذه الاضافة اما بمعنى اللام ، اي مثاقيل للفضل ، أي : اذا اعتبر فضل غيرهم ونسب بعضه الى بعض كانوا مثاقيل راجحة لذلك الفضل بغير رجحان بعضه على بعض بالنسبة اليه ، او بمعنى (من)

---

(١) ابراهيم ٣٤ . (٢) ينظر: المعتزلّي ٦٦/١ .

(٣) الخوئي ٢٩٩/١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢، ص ٢٥.

(٥) الخوئي ٢/ ٢٦٨ .

(٦) نهج البلاغة : الرسالة ٢٦، ص ٤٨٥.

(٧) نفسه

(٨) ينظر: الراونديّ٦٢/٣ والمعتزلّي١٦٢/١٥ .

(٩) ينظر: انصاريان١٤٢/١ .

(١٠) السامرائي ٢١٨.

، اي مثاقيل من الفضل متبوعة ترجح على غيرها »[١]. وذهب البحراني الى أنّ (مثاقيل الفضل) اضافة بمعنى (من)[٢]. وصحّح الخوئي ان تكون الاضافة بمعنى اللام[٣]. وكذا الاضافة في (سبحان الله) فقد جوز فيها بعض الشّرّاح ان تكون من نوع الاضافة الى المفعول لانه تعالى هو المسبَّح من لدن الصالحين ، او ان تكون من نوع الاضافة الى الفاعل ، ويكون معنى (سبحان الله) : اسبح مثل ما سبح الله تعالى به نفسه[٤]. وكذا الاضافة في (باقي الكتاب) ، اما من نوع اضافة الصفة الى الموصوف ، اي: الكتاب الباقي بين الامة ، او بمعنى (من) ، وفي هذا اشارة الى وقوع

التحريف في القران والنقصان فيه[٥] . وكذا (منهجه) ، فـ« إضافة المنهج إلى ضمير الباري اما نظير الاضافة في (سعيد كرز) ، أي : إضافة الشيء إلى نفسه ، أو بمعنى اللام »[٦].

ويختلف نوع الاضافة ومدلولها مع تعدد الروايات لدى الشّرّاح ، نحو التركيب : (حد شوكتهم) ، فهو بالحاء اضافة لامية ، وبالجيم اضافة بمعنى (في)[٧] . وربما افضى التباين في فهم الاضافة الى خلاف فقهي ، كما نقل المعتزلّي عن الشافعي تجويزه بيع دور مكّة وإجارتها لانها مما يصح التصرف بها ، بدليل قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ** ﴾[٨] ، فأضاف الديار اليهم . وامتنع أصحاب ابي حنيفة من بيع دور مكة ، وإجارتها بناء على انّ المسجد الحرام هو مكة كلّها ، فلا يحقّ لأحد التصرف به من بيع وإجار ، وهو ما نبه عليه الامام علي (ع) بقوله الى عامله على مكة قثم بن العباس: (وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ ألاَ يَأْخُذُوا مِن سَاكِنٍ أَجْراً ، فَإِنَّ الله سُبحانه يقول : ﴿ **سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ** ﴾[٩])[١٠] . ووجهوا الاضافة في (ديارهم) « بأنّها اضافة اختصاص ، لا اضافة تمليك ، كما تقول : جلّ الدابة »[١١] ، والمعنى : اخرجوا من الديار المعروفة او المخصوصة .

---

(١) ينظر : نهج البلاغة : مقدمة الشريف الرضيّ، ص ٩ .
(٢) ينظر:البحراني ١٣٤/١ .
(٣) ينظر:الخوئي ٢٥١/١ .
(٤) ينظر:نفسه١٦٥/٣ .
(٥) ينظر: نفسه ٢٣٣/٣ وينظر: شرح ابن عقيل ٤٩/٢.
(٦) نفسه١٨٣/٩.
(٧) ينظر: الخوئي ١٠١/١٠ .
(٨) الحج ٤٠ وينظر: الكشاف ٣٢/٣
(٩) الحج ٢٥ .
(١٠) نهج البلاغة : الرسالة ٦٧، ص:٥٨٦
(١١) المعتزلّي٣٣/١٨ .

المطلب الرابع: دلالة التذكير والتأنيث

١ - تأنيث المذكر حملا على معنى المؤنث :

ومن أمثلته لدى الشّراح ما في قوله (ع) : (فأَيْنَ تذْهَبُونَ؟ وأَنّى تؤْفَكُونَ؟ والأَعْلاَمُ قَائِمَةٌ ! والآياتُ واضِحَةٌ ، والمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ)[١] . فالمنار : علم الطريق ، اي المحلّ الذي يوضع عليه المصباح ليرى الانسان طريقه في الليل ، وانما قال (ع) منصوبة حملا للمنار على معنى البقعة التي هو فيها[٢]. ومنها – ايضا – ما جاء في قوله (ع) :(اسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ

أَيَّامِكُم واصْبِرُوا لَـهَا أُنفُسُكُم فإِنَّها قَلِيلٌ فِي كَثْيِرِ الأَيَّامِ)[٣] ، فاخبر عن المؤنث وهو الضمير في (إنّها) بالمذكر (قليل) ، بدلا من (قليلة) ؛ لأنه في معنى (شيء قليل) لدى المعتزلّي[٤]. وانكر التستريّ هذا التوجيه ؛ « لان القليل ياتي للمؤنث كما ياتي للمذكر ، كما أتى للجمع في قوله تعالى : ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ** ﴾ [٥] »[٦].

ومنها – أيضا- ما جاء في كتاب للامام (ع) الى بعض عماله وقد اشترى دارا : (هذا ما اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٍ مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزعِجَ للرَّحِيْلِ ، اشْتَرَى مِنه دَارًا مِنْ دَارِ الغُرُور)[٧]. وفيه كان القياس ان يقال : هذه ما اشترى ؛ لأن ما ابتاعها كانت دارا ، وانما ذكّر فقال : هذا ما اشترى ، حملا على معنى المنزل او البيت ونحوهما[٨]. ومنها ما جاء في قوله (ع) يصف ما أُخذ ظلما من مال المسلمين قبله : (واللهِ لَو وَجَدْتُه قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّساء ، وُمِلكَ بِهِ الإِماء لَرَدَدْتُه)[٩] ، وفيه أسند الفعلين المبنيين للمجهول (تُزُوِّجَ ، وُمِلكَ) الى فاعلين مؤنثين هما : النساء والاماء ، وانما ذكّر الفعلين والفاعل مؤنث اشارة الى ان المتزوج والمالك هو الرجل ، فهو الفاعل في المعنى لا النساء والاماء[١٠]. ومثله تذكير السماء مع ان الكثير فيها ان تكون مؤنثة ، وذلك حملا على معنى السقف ؛ لأن كلّ ما علاك فهو سماء[١١]. وتذكير الفعل مع الفاعل المؤنث وارد في القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ** ﴾ [١٢] ،

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٧ ، ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) ينظر: الكيدريّ ٤٢٠/١ والشيرازي ٢٩/٢.

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٨٦، ص١٣٩.

(٤) ينظر : المعتزلّي ٣٥٤/٦.

(٥) الأنفال ٢٦.

(٦) التستريّ ٣٤٧/١١.

(٧) نهج البلاغة : الرسالة ٣ ، ص٤٦٠.

(٨) ينظر: الخوئي ١٢٢/١٧.

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ١٥ ،ص ٤٣ .

(١٠) ينظر: الخوئي ٢١٣/٣ .

(١١) ينظر: الخوئي ٣/٩-٤ وينظر : الصحاح ٥١٠ .

(١٢) يوسف ٣٠

وانما ذُكّر الفعل حملا على المعنى ؛ لأنّ القائلين رجال ونساء ، ولكنه بين النساء أشهر وأبين فصرح بذكر المؤنث (نسوة) ، وألمح الى الرجال بـ(قال) ، ولم تكن اقوال المفسرين شافية في هذا الموضع[١]. وكذا التذكير في (الطريق الواضح) ، وانما ذكر الطريق فأخبر عنه بالواضح ؛ لانه بمعنى الصراط المستقيم[٢]. وفي : (حرب شديد) ، إذ ذُكّرت الحرب مرادا بها معنى القتال[٣].

٢ - تأنيث المذكر حملا على معنى المؤنث : ومن أمثلته ما في قوله (ﷺ) :(ليتأسَّ صَغِيرُكُم بِكَبِيرِكُم ... لاَوتكُّونوا كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدْاحٍ يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْرا)[٤]، والقيض هو قشر البيض العليا اليابسة ، والضمير في (كسرها) راجع الى (القيض) وهو مذكر ؛ لانه اسم جنس جمعي ، وانما انثه بعود الضمير عليه مؤنثا ؛ لانه محمول على معنى (القشرة)[٥]. واحتمل الخوئي[٦] وجها آخر للتأنيث ، وهو ان المضاف (قيض) اكتسب التانيث من المضاف اليه (بيض) ، ونظيره قول الشاعر[٧]:

كَما شَرِقَت صَدرُ القَناة من الدَّمِ .

ويرد عليه ان المضاف اليه (بيض) اسم جنس ايضا ، وهو مذكر كالبقر في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا** ﴾[٨] ، فيكون ما احتمله بعيدا . والاولى ان يقال : ان الضمير في (كسرها) انما جاء مؤنثا لانه يعود على اسم جنس : (بيض) ، وهذا يكثر تأنيثه ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ** ﴾[٩] اذا اراد به الجمع ، وهنا اراد الجمع في (قيض بيض) فأنث حملا على معنى الجمع لا على المذكر المتضمن معنى المؤنث. وقد نبه الشّرّاح في بعض المواضع على ان اسم الجنس يعامل معاملة المؤنث ان دل على الجمع ، نحو ما جاء في قوله (ﷺ) : (فَلَمّا أَقَلَّتْ السَّحَابُ)[١٠] ، وحيث ان السحاب جنس ، جيء بالفعل مؤنثا ، وعلى العموم فاق الشيرازي اقرانه في التصريح بتأنيث الاسم الدال على الجنس[١١] .

---

(١) ينظر : الكشاف٣١٦/٢ ومجمع البيان ٣٩٥/١٢/٥ والبحر المحيط ٢٤٦/٦ وفي ظلال القرآن ١٩٨٣/١٢/٤.

(٢) ينظر: عبده٢٩١/١

(٣) ينظر : الراونديّ٣٤٣/١ والخوئي ١١٧/١٣ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٦، ص ٣٠٢.

(٥) ينظر : الخوئي ٧٥/١٠-٧٦ .

(٦) ينظر: نفسه٧٦/١٠ .

(٧) ديوان الأعشى ٩٤ وهو من شواهد الكتاب ٥٢/١.

(٨) البقرة٧٠ وينظر:إعراب النحاس ٦٠/١ والتبيان للعكبري ٧١/١

(٩) يوسف ٤١

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٦٤.

(١١) ينظر : الشيرازي١٨٢/١ و٨١/٢ و٣٥٧ و ١٢٧/٣ .

المطلب الخامس: دلالة التعريف والتنكير .

١ - دلالة التنكير على التعميم ، والتعريف على التخصيص :

وهذه هي الدلالة الرئيسية التي جهر بها النحويون[١] ، ومن ذلك ما جاء في قوله (ﷺ)يصف خلق السماء : (ثُمَّ أَنشَأَ سُبحانه فَتْقَ الأَجْواء ... فأَجْرى فِيها مَاءً مُتلاطِمًا تيَّارُه ، حَمَلَه عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ العَاصِفَةِ .الهَوَاءُ مِنْ تَحْتِها فَتِيقٌ ،

والماءُ مِنْ فَوْقِها دَفِيقٌ)[٢] ، وفيه نكّر الماء أولا في (ماء متلاطما) ، فهو عام ، ثم عرّفه في (الماء من فوقها دفيق) فخصّص بعد العموم[٣]. وكذا ما جاء في قوله (ع) : (فَمَنْ نَاَه اُلله مالاً فَلْيَصِلْ بِه القَرابةَ ، وَلْيُحْسِنْ مِنْه الضِّيافَةَ ، ... فإنّ فَوْزًا بِهذِهِ الخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنيا)[٤] ، وفيه نكّر (الفوز) ؛ لان تنكيره يفيد العموم فهو قد يحصل بأي شخص كان ذا مال ، ولو عرّف (الفوز) لكان موهما بأنه شخصي او مخصوص[٥] . ومن دلالة التنكير على التعميم أن أحدهم لما سأل الإمام (ع) عن حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) : (غيّروا الشَّيبَ ولا تَشَبَّهوا باليهود) أجاب الإمام (ع) : (إنّما قال صلّى الله عليه وآله ذلك والدِّينُ قُلّ ، فأمّا الآن وقد اتّسع نِطاقَه وضَرب بجرانه فامرؤٌ وما اختار)[٦] ، وفيه « نكّر امرأ لأنه اراد بالنكرة العموم ، كقول الله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً**﴾[٧] »[٨]. ومنه ما في قوله (ع): (وإنَّ للذِّكْرِ لأهلاً أَخَذُوه مِنَ الدُّنيا بَدَلاً فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْه ...)[١١] ، وفيه نكر (تجارة) فانه اما اراد انهم لا يشغلهم نوع من هذه التجارة ، ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل ؛ لان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة ألهته[١٢] . ومثله ما في قول الامام (ع) : (الحَمْدُ للهِ ...الَّذي لا تُبْرَحُ مِنْه رَحْمَةٌ ، ولا تُفْقَدُ لَه نِعْمَةٌ)[١٣] ، وفيه نكر (رحمة ونعمة) ليؤذن بعموم افرادهما ، اي انه هو الذي لايزول منه فرد من افراد الرحمة ، ولا يفقد له فرد من افراد النعمة ، وذلك لان النكرة في سياق النفي تدل على العموم[١٤] .

٢- دلالة التعريف على التكثير ، والتنكير على التخصيص :

وهذا قلب للدلالة الاصلية التي تستدعي ان يفيد الاسم المنكر على العموم المجهول ، والاسم المعرف على شيء معلوم ، وهذه الدلالة التي هي نقيض الاصل انما تفهم من السياق والنظم ، كما في قوله (ع) في الشقشقية : (...أو اصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ ، يَهْرَمُ فِيها الكبيرُ ، وَيَشِيبُ فِيها الصّغيرُ ، وَيَكْدَحُ فِيها مُؤْمِنٌ حتّى يَلْقَى رَبَّه)[١٥] ، وفيه « عرف الصغير والكبير ، ونكّر مؤمن ، لإرادة التكثير في الصغير والكبير ، والتقليل في المؤمن ، فان المؤمن انما

---

(١) ينظر : شرح الكافية ١٠٣/٢ والبرهان ٧٥٥-٧٥٨ والاتقان ١٩٠/١ .
(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص ١٨ .
(٣) ينظر: الكيدريّ١٣٠/١.
(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٢ ، ص ٢٥٠ .
(٥) ينظر : البحراني ١٧١/٣ والشيرازي٣٢٥/٢ .
(٦) نهج البلاغة : الحكمة ١٧ ، ص ٦٠١ .
(٧) البقرة ٢٠١ .
(٨) البيهقّي٤٠٢ .
(١١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٢ ، ص ٤٣٢ .
(١٢) ينظر: الراونديّ٣٧٩/٢ .
(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ٤٥ ، ص ٨٧ .
(١٤) ينظر: الخوئي ٢٤٥/٤ .
(١٥) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، ص ٢٨ .

كان هو عليه السلام وأصحابه . والمستفاد من الاخبار ان اصحابه – عليه السلام- بعد النبي – صلى الله عليه وآله - انما كانوا ثلاثة : سلمان ، وأبو ذر ، والمقداد ، ثّم صاروا الى حين وفاة الصديقة سبعة »[١].

٣- دلالة التنكير على التعظيم والتهويل : ومنه ما جاء في قوله (ع) : (أَيها الناسُ إِنا قَدْ أَصْبَحْنا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وزَمَنٍ كَنُودٍ ...)[٢] ، وفيه نكّر (الدهر ، والزمن) للتعظيم والتهويل[٣] .وكذا ما جاء في قوله (ع) يتوعد بني أمية : (... وأَيْم اللهِ لأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَاتِحُه)[٤]، وفيه نكّر (الحوض) لتعظيمه[٥].

٤- دلالة التعريف والتنكير على التغاير والاختلاف : كما في قوله (ع) يصف خلق الهواء والماء : (ثُمّ أَنْشَأَ سُبحانه فتقَ الأجواءِ ، فأَجْرى فِيها مَاءً مُتلاطِمًا تَيّارُه ، مُتَوَاكِمًا زَخّارُه ، حَمَلَه عُلَى مَتْنِ الرِّيحِ العَاصِفَةِ ... فأَمَرَها بِرَدِّه ، وَسَلَّطَها عَلَى شَدِّه ، وَقَرَنَها إِلَى حَدِّه الهَواءُ من تَحْتِها فَتِيقٌ ، والمَاءُ مِن فوقِها دَفِيقٌ، ثُمّ أَنْشأَ سُبحانه رِيحًا اعْتَقَمَ مَهبَّها ...)[٦] ، ولما وجد البحراني الريح معرفة مرّة ، ونكرة مرة اخرى قال : « الريح الاولى غير الريح الثانية ؛ لان احداهما معرفة ، والاخرى نكرة ، وهذا مثل قوله : صمِ اليوَم ، صم يومًا ؛ فانه يقتضي يومين »[٧] . على حين رأى المعتزلّي أن هذه المغايرة بين (الريح) ، و(ريحا) ليست «مستفادة من مجرد التعريف والتنكير ، لانه لو كان قال (ع) : وحمله على متن ريح عاصفة ، وزعزع قاصفة ، لكانت الريحان الاولى والثانية منكرتين معا ، وانما علمنا تغايرهما لأن احداهما تحت الماء ، والاخرى فوقه ، والجسم الواحد لا يكون في جهتين »[٨].

٥- دلالة التنكير على التحقير : ومثاله قوله (ع) من كتاب له الى معاوية : (وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ ، وَخَالِكَ ، وأَخِيكَ فِي مَقَامٍ واحدٍ ... وقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ ، وأَخْوالٍ ، حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ ، وتَمَنِّي البَاطِلَ عَلَى الجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله))[٩] ، وفيه ورد (اعمام) ، و(اخوال) جمعين منكرين « والجمع المنكر جاز ان يعبر به عن الواحد والاثنين للمبالغة مجازا في معرض الشناعة ، وذلك تحقيرا لاصله »[١٠]. وقد يعبر عن معنى التحقير باستعمال اسماء الاشارة التي هي معارف اتفاقا ، كما في قوله (ع) يذكر قول فرعون لموسى وهارون : (ألا تَعْجَبُوا مِنْ هَذين يَشْرِطانِي دَوام العِزِّ وبَقَاءِ المُلْكِ ...)[١١] ، والاشارة لدى الشّرّاح تفيد التحقير في هذا الموضع[١٢] ، وكذا قوله (ع) في الشقشقية : (ولأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ ...)[١٣] ، الاشارة للتحقير[١٤].

---

(١) التستريّ ٥٢/٥ .
(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٣٢ ، ص ٦٩.
(٣) ينظر: التستريّ١٤٧/٨ .
(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٠ ، ص ٣٩ .
(٥) ينظر : الكيدريّ٦١١/١ والبحراني ٢٩٦/١ وانصاريان ٣٦/٢ .
(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص ١٨ .
(٧) البحراني ١٣٣/١
(٨) المعتزلّي٩٠/١١-٩١ وينظر: عبده ١٩/١ وابو الفضل ١٧/١ .
(٩) نهج البلاغة : الرسالة ٦٤ ، ص ٥٨٢ .
(١٠) البحراني ١٩٨/٥ .
(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦٧ .
(١٢) ينظر : التستريّ ٦٤/٢ والشيرازي١٩٢/٣ والموسوي٣٠٠/٣ .
(١٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، ص ٣٢ .
(١٤) ينظر : انصاريان ٧٩/١ .

المطلب السادس : دلالة التكرار اللفظي والمعنوي.

١ - دلالة التكرار المعنوي على التفصيل بعد الاجمال : ومثاله ما ورد في قوله (ع) يصف حال المحتضرين مع الموت : (غَيْرُ مَوْصُوفٍ ما نَزَلَ بِهِمْ ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ، وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ)[١] . وفيه ذكر اولا ان ما نزل بهم غير قابل للوصف ، فهو مبهم لدى الناظرين ، ثم استدرك يوضح بعضا مما نزل بهم ، فاتى بـ (اجتمعت عليهم ...) وليس في هذا وصف للموت – ايضا – ولكن فيه تفصيل لما لم يمكن وصفه او معرفة سببه ، وهو سكرة الموت ، وحسرة الفوت ، وفتور الاطراف ، وتغير الالوان وغير ذلك ، وانما وصل جملة (اجتمعت) بسابقتها لما بينهما من كمال الاتصال ، وكون الثانية اوفى بتمام المراد واقتضاء المقام والاعتناء بشانه لكونه فظيعا في نفسه ، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿**وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ**﴾[٢] ، والمراد بالجملتين التنبيه على نعم الله ، لكن الثانية أوفى بتادية التنبيه على تلك النعم لدلالتها عليها بالتفصيل لا بالإجمال[٣] .

٢ - دلالة التكرار المعنوي على تركيز المعنى في الذهن : ومنه ما جاء في قوله (ع) في وصف الموت : (فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ ، واحْتِدامُ عِلَلِهِ ، وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ ، وغَواشِي سَكَراتِهِ ، وأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ ، وَدُجُوُّ إِطْبَاقِهِ ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ ...)[٤] . وفيه كرر معنى شدة الموت في سبع جمل ، وتكرار هذه الجمل المتقاربة المعنى إنّما جاء «لتركيز حال الموت في ذهن الانسان ، فان التكرار من افضل وسائل التركيز »[٥]. ومنه ماجاء في قوله (ع) يصف سجود الملائكة لادم : (وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَلائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِي الإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ والْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ)[٦] فذكر الخنوع بعد (الإذعان بالسجود) ، لأنّ الأول يفيد انهم امروا اولا بالخضوع له في السجود ،والثاني يفيد ثباتهم على الخضوع له وفيه التركيز على تكريم ادم في اذهان الملائكة[٧] .

٣ - دلالة التكرار اللفظي على تاكيد المعنى : من ذلك ما جاء في قوله (ع) : (اللهَ اللهَ أَيُّها النّاس ، فِيما اسْتَحْفَظَكُمْ مِن كِتَابِهِ ...)[٨] ، و(اللهَ اللهَ فِي الأيتام ...)[٩] ، و(اللهَ اللهَ فِي الصَّلاة ...)[١٠] ، و(الفرائضَ الفرائضَ ...)[١١]. وفيه جاءت الالفاظ المكررة المنصوبة على الاغراء والتحذير لتأكيد المعنى[١٢].

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ، ص ٢٠١ . (٢) الشعراء ١٣٢-١٣٣ .

(٣) ينظر: الخوئي ٣٢٨/٧-٣٢٩ . (٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣٠ ، ص ٤٤٥-٤٤٦ .

(٥) الشيرازي٤٢١/٣ وينظر : المعتزلّي٤/١٣ والبحراني ١٠١/٤ والخوئي ٤٠٧/٤ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص ٢١ .

(٧) ينظر : الراونديّ٧٤/١ والمعتزلّي ٩٩/١ والبحراني ١٧١/١ والخوئي ٥٥/٢

(٨) نهج البلاغة :الخطبة ٨٦ ص ١٣٩ (٩) المصدر نفسه : الرسالة ٤٧ ، ص ٥٣٨ .

(١٠) نفسه : الرسالة ٤٧ ، ص ٥٣٨ . (١١) نفسه : الخطبة ١٦٧ ، ص ٣٠٤ .

(١٢) ينظر : البيهقّي٣٨٥ والخوئي ١٢٦/٦ والشيرازي٢/٢ و ٤١٩ و٢٦/٣ و ١٢٦/٤ .

والنصب على الاغراء يفيد معنى لزوم المفعول به ، والتعلق به ، نحو: (الله الله) ، و(اخاك اخاك) بمعنى الزم . اما النصب على التحذير فيفيد الخوف والخشية من المفعول به ، نحو : (الضيغم الضيغم) ، وقلما يجتمع هذان المعنيان في غير اسماء الله الحسنى . فتقدير الاغراء: (الزموا الله الله)، وتقدير التحذير : (اتقوا الله)[١].

وكذا قوله (ع) في حث الناس على العبادة : (فَصَمْدًا صَمْدًا حتّى يتجلّى لكم عَمُودُ الحَقّ ...)[٢] ، وفيه صمدا صمدا منصوبان على المصدرية ، والعامل محذوف ، والتكرار للتأكيد ، والتحريض على الصبر في العبادة[٣].

٤ - **دلالة التكرار الاشتقاقي على المبالغة** : والمراد بالتكرار الاشتقاقي ترديد الالفاظ المشتقة من جذر واحد في التركيب نفسه ، كالترديد بين الفعل والفاعل نحو : (ذكر ذاكر)[٤] ، والفعل والمفعول به نحو:(خلق الخلق)[٥] ، والصفة والموصوف ، نحو : (ولا حدٌّ محدودٌ)[٦] ، والمتضايفين نحو: (دعوة الداعي)[٧] ، والفعل وما يتعلق به ، نحو:(لا يَنْزَجِرُ بِزَاجِرٍ ... ولا يَتَّعِظُ بِوَاعِظٍ)[٨] ، وغير ذلك من انماط التكرار الاشتقاقي ، وقد اقر الشّرّاح دلالة رئيسة لهذا النوع من التكرار هي المبالغة ، كما في قوله (ع) يذكر ابتداء خلق السماء والارض : (...الَّذي لَيْس لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ ...)[٩] ، وفيه وصف الحدّ بكونه محدودا للمبالغة على طريقة قولهم : شعر شاعر[١٠] . وكذا ما جاء في قوله (ع) : (إنّ الله يَبْتَلِي عِبَادَهُ – عِنْدَ الأعْمال السَّيِّئَة –بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ ، وَحَبْسِ البَرَكَاتِ ، وإغْلاقِ خَزَائِنِ الخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ ، ويُقْلِعَ مُقْلِعٌ ، ويَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ ، ويَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ ...)[١١] . وانما جاء الفاعل من لفظ الفعل في هذه الخطبة في أربعة مواضع منها للمبالغة في التوبة ، والاقلاع ، والتذكر ، والازدجار[١٢] . وكذا ما في قول الامام (ع) يصف معاوية : (فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ المَغْلُوبِ، ولا ظَفَرُ الظَّافِرِ)[١٣] ، فجاء بالمتضايفين من أصل واحد تأكيدًا للاضافة ، وللبلوغ بها أقصى درجات المبالغة في الغلبة والظفر[١٤] .

---

(١) ينظر : الكتاب ٢٥٣/١ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٦٦ ، ص ١٠٥ .

(٣) ينظر :الراونديّ٢٩٠/١والمعتزلّي١٦٩/٥والبحراني ١٧٨/٢وعبده١٢٤/١والخوئي ٣٤/٥ومغنية٣٣٥/١وابو الفضل١٣٢/١.

(٤) نهج البلاغة : الرسالة ٢٨ ص ٤٨٩ .

(٥) نفسه : الخطبة ١٩٣ ، ص ٣٨١ .

(٦) نفسه : الخطبة ١ ، ص ١٧ .

(٧) نفسه : الخطبة ٨٣ ، ص ١٢٤ .

(٨) نفسه : الخطبة ١٠٩ ، ص ٢٠٠ .

(٩) نفسه : الخطبة ١ ، ص ١٧ .

(١٠) ينظر : الكتاب٣٨٥/٣ والكيدريّ١١٣/١ والمعتزلّي٥٨/١ والبحراني ١٠٧/١ والسرخسي٣٥/١ وعبده١٦/١ والخوئي٢٩٣/١ ومغنية١٥/١ وابو الفضل١٣/١ والشيرازي١١/١ .

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٣ ، ص ٢٥٠ -٢٥١ .

(١٢) ينظر : المعتزلّي٧٧/٩ والبحراني ١٨٤/٣ والخوئي ٣/٩ والتستريّ ١١٤/١٤ وابو الفضل ٣٢٢/١ ومغنية ٣١٢/٢ .

(١٣) نهج البلاغة : الكتاب ٢٨ ، ص ٤٨٩ .

(١٤) ينظر : المعتزلّي١٨٤/١٥ والبحراني ٤٣٥/٤ والخوئي ٩٦/١٩ والموسوي٢٢٩/٤ .

المبحث الثالث

دلالة الأدوات الأحاديّة في شروح نهج البلاغة

توطئة :

الأدوات مصطلح كوفّي يقابله لدى البصريين مصطلح حروف المعاني[١] ، وهو القسم الثالث من اقسام الكلام بعد الاسم والفعل ، فلما كان الحرف في اللغة دالا على طرف الشيء وحدّه[٢] ، استعمل الحرف في الاصطلاح النحوي « لانه حد ما بين القسمين ورباط لهما ... فكأنَّه وصلة بين هذين ، كالحروف التي تلي ما هومتصل بها »[٣] . الا ان مصطلح الاداة ادق في دلالته من مصطلح الحروف ؛ لانه يخلص من الدلالة على حروف الهجاء التي تندرج تحت مصطلح الحرف ، فضلا عن شمول مصطلح الاداة للحروف والاسماء التي تؤدي وظيفة الربط والتعليق في الجملة ، فلا يقتصر على حروف العطف وحروف الجر الداخلة ضمن مفهوم حروف المعاني[٤].

ويلحظ في الدراسة الدلالية للحروف جانبان : الاول : دلالة الحرف على المعنى هل هي منبثقة من الحرف نفسه أم من انتظامه في الجملة ؟ ويبدو من حد سيبويه للحرف أن المعنى متأتٍّ من الحرف نفسه ، وليس مما يتعلق به الحرف ، إذ قال : « وأمّا ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل ، فنحو :ثُمَّ ، وسوف ، وواو القسم ، ولام الاضافة ، ونحوها »[٥] ، فسيبويه يرى ان الحرف يفيد معنى غير موجود في اسم ولا فعل ، ففي قولنا : هل قام زيد؟ افادت (هل) ما لم يكن في زيد ، ولا في قام ، فمعنى الاستفهام ليس مستفادا من الفعل الذي هو قام ، ولا الاسم الذي هو زيد ، وانما هو في (هل) نفسها[٦] . لكن فريقا آخر من النحويين رأى أن الحرف هو : ما دل على معنى في غيره[٧] ، وهذا يعني ان دلالة الحرف على معناه متوقفة على ما يتعلق به من الاسم والفعل ، فان لم يذكر متعلقه فلا دلالة له على شيء[٨] . والظاهر ان للحرف معنى لا يتوقف على تعلقه بغيره ، فالحرف يظفر بمعنى مستقل بمعزل عن السياق ، فمعنى (الى) هو بلوغ الغاية ، ومعنى (على) هو الاستعلاء ، و(لن) تدل على النفي ، و(هل) على الاستفهام ، وهكذا ثم تأتلف هذه الادوات في السياق لتربط اجزاء الجملة بعضها مع بعض بمعناها الخاص بها

---

(١) ينظر : مدرسة الكوفة٣١٠-٣١١ والمصطلح النحوي١٧٤ . (٢) ينظر :المقاييس ٢٥٥ .

(٣) الايضاح في علل النحو ٤٤ وينظر : سر الصناعة١٥/١ واسرار العربيّة١٢ والجنى الداني٨٨ .

(٤) ينظر : مدرسة الكوفة٢٤٠ وابو زكريا الفراء ٤٤ واقسام الكلام العربيّ٩٢ والادوات النحويّة وتعدد معانيها الوظيفية١١.

(٥) الكتاب١٢/١ .

(٦) ينظر : الصاحبي٨٦ والمرتجل٢٣-٢٤ .

(٧) ينظر: شرح المفصل ٢/٨ وشرح الحدود النحوية ٥١

(٨) ينظر: الأصول في النحو ٤٢٧/١ وشرح الكافية ١٠/١ والجنى الداني٢٠ واللغة العربية معناها ومبناها ١٢٤-١٢٧ وتناوب حروف الجر في لغة القرآن ٧.

فالاداة (الى) في قولنا : ذهب محمد الى المدرسة ، عملت علاقة نحوية داخل الجملة بين الحدث (الذهاب) ، والذات (المدرسة) ، وهي علاقة (بلوغ الغاية) التي اختصت بمعناها الاداة (الى) ، وهو معنى غير موجود في كلمتي : ذهب والمدرسة وإلا لصح القول : ذهب محمد المدرسة[١] . وما يؤيد ان دلالة الحرف في نفسه لا في ما تعلق به أن الخلاف قائم بين البصريين والكوفيين بشأن دلالة الحروف أثابتة أم متعددة ؟. فقد ذهب الكوفيون الى ان الحرف الواحد وضع لاكثر من معنى ، وجوزوا نيابة الحروف بعضها عن بعض . ولم يجز البصريون تعدد معاني الحرف الواحد ، واكدوا على ضرورة ابقاء الحرف على معناه الاصلي ، وما خالف الاصل لديهم يؤول تاويلا يقبله اللفظ ، او على تضمين فعل معنى فعل اخر، وليست من باب تناوب الحروف[٢].

ومسألة بقاء الاداة على المعنى الاصلي لها اولى من تكثير معاني الاداة الواحدة ، او تحويل الفعل عن مساره الدلالي بتضمينه معنى فعل اخر لا يمت له بصلة . وفتح الباب امام الحرف الواحد لياخذ معاني حروفٍ اخر يخضع في اغلبه الى تصورات المفسر او الشارح للنص وفهمه الخاصّ ، ولا يراعي المعنى الذي يقصده المتكلم[٣].

ويمكن القول ان الاختلاف في معاني الحروف هو امر ظاهري مرده الى اختلاف مواقعها من التركيب ، شانها في ذلك شان الالفاظ الاخرى ، فيختلف اذ ذاك الاداء الذي تقوم به ، دون ان يختلف معناها الذي اختصت به. وقد ذكر البصريون هذه الحقيقة ، فذهبوا الى ان « الاصل في كل حرف ان لا يدل الا على ما وضع له ، ولا يدل على معنى حرف اخر ، فنحن تمسكنا بالاصل ، ومن تمسك بالاصل استغنى عن اقامة الدليل ، ومن عدل عن الاصل بقي مرتهنا باقامة الدليل »[٤].

وقد احتفى شراح النهج بدلالات الادوات الواردة في كلام الامام (ع) ، مازجين بين مذهب الكوفيين ومذهب البصريين في نظرتهم لدلالة الحرف ، فتارة يذكرون عدة معان للاداة الواحدة ، وتارة يبقون الاداة على معناها الاصلي ويضمنون الافعال المتعلقة بها معاني اخرى . وهذا منهج عام طرقه الشّرّاح جميعا ، وان تفاوتوا فيه بين موضع واخر ، وعند متابعة هذه المواضع والبحث في اخرج الاداة عن مسارها الدلالي ، واعطاء الحرف معنى حرف اخر يتبين أن الشّرّاح إنما خلطوا الأمرين بفعل فهمهم الخاص للنص لا بفعل تحري الدلالة الحقيقية لقوله (ع) المفهومة من ابقاء الاداة على معناها الأصلي الذي لاجله استعملت دون غيرها. وعلى الرغم من ذلك ثمة التفاتات مهمة لدى الشّرّاح الى الفروق الدلالية بين الحروف ذات المعاني المتقاربة للتمييز بين معانيها الدقيقة. ولكثرة عناية الشّرّاح بالأدوات النحوية آثرت درسها في مبحثين : الأول ، الأدوات الأحادية. والآخر الأدوات الثنائية فأكثر. فأما المبحث الأول فيشتمل على المطالب الآتية :

---

(١) ينظر: دراسات نقدية في النحو العربي ٨ واللامات دراسة نحوية شاملة ٥٥- ٥٩.

(٢) ينظر : الانصاف المسألة ٦٧ ص٤٨١/٢ والجنى الداني٣١٤ ومغني اللبيب٤١٩/١ ومعاني النحو ١٢/٣-١٤.

(٣) ينظر : النظام القراني٥٠.

(٤) الانصاف ٤٨١/٢ .

المطلب الأول : دلالة الباء[١]

تعددت دلالة حرف الجر (الباء) في شروح النهج ليصل بها الشّرّاح الى أربعة عشر معنى ، مستدلين عليها بشواهد قرآنية أو شعرية . وَمن تتبَّع معاني حرف الباء هذه وجدها معاني استحصلها الشّرّاح من سياق الكلام ، ومن دلالات الافعال التي تعلقت بها الباء ، لا من دلالة الباء نفسها . وهي معان تعكس فهم الشّرّاح للنص العام ، ولا تعكس فهمهم لمعنى الاداة ووظيفتها الدلالية . وقد ظهر اتجاه حديث يردّ هذه المعاني المتعددة إلى دلالة واحدة ، وهي افادة الباء الواسطة بين شيئين ، انطلاقا من دلالة الباء الصوتية التي «تصلح كواسطة بين حركتين لا تنشأ حركة ثالثة الا عند الجمع بينهما »[٢]. وقد صرح بعض الشّرّاح بمعنى الباء الجامع لفروعها الذي هو «واسطة بين أمرين »[٣] . وقد تبين أنّ الدلالات الفرعية التي ذكرها شراح النهج لحرف الباء كلّها يمكن ردها الى معناها الجامع المذكور آنفا ، وكما يأتي :

١ - دلالة الباء على الاستعانة

ذكر الشّرّاح دلالة الباء على الاستعانة في عدة مواضع ، وربّما سموها بالآلة[٤]. وهو مصطلح يؤول إلى الاستعانة ؛ لأن الآلة يستعان بها لعمل شيء . من ذلك قوله (ع) في صفة الملائكة : (قَدْ أَلْقَوْا حَلاَوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرِبُوا بِالكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ)[٥] . فدلالة الباء في (شربوا بالكأس) تنصرف الى الاستعانة بالكاس لغرض الشرب[٦]. ولما كان الفعل شرب متعدّيا الى المفعول ، توسّع الخوئي [٧] في توجيه دلالة الباء في (شربوا بالكاس) ، فاجاز دلالة الباء على الاستعانة ، أو أن تكون للتبعيض ، أو أن يكون الفعل (شرب) المتعدّي بمعنى (تلذذ) اللازم . ويمكن القول ان الباء في هذا النص واسطة بين الشاربين والمشروب ، فبوساطة الكاس يحصل الشرب.

ومن أمثلة هذه الدلالة ما في قوله (ع) : (وَلَكِنّي أَضْرِبُ بِالمُقْبِلِ إِلَى الحَقِّ المُدْبِرَ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ المُطِيعِ العَاصِيَ المُرِيبَ)[٨] ، فقد ذكر الشراح[٩] أنّ الباء في **بالمقبل وبالسامع** للاستعانة، وسمّاها الخوئي باء المصاحبة[١٠]. ومعنى الاستعانة أوالمصاحبة داخل في المعنى العام للباء ، وهو كونها واسطة للضرب ، فتكون الاستعانة بهذين الصنفين من رجاله (ع) ومصاحبتهم له مفهومة من اتخاذه لهم واسطة لتحقيق الغاية من ضرب المفسدين .

---

(١) ينظر: ارتتشاف الضرب ٤٢٦/٢ ومغني اللبيب ١٣٧/١ - ١٥١ والجنى الداني ١٠٢ - ١١٧ .

(٢) اللغة الموحدة ٢٥٥ .

(٣) أنصاريان ٢٠٣/١.

(٤) ينظر : الخوئي ١٤١/٤ و ٤١٦/٤ والخوئي ٣٢٣/١٤ .

(٥) نهج البلاغة الخطبة : الخطبة ٩١، ص : ١٥٨.

(٦) ينظر : المعتزلّي ٤٣١/٦ وانصاريان ٢٨٦/١ .

(٧) ينظر : الخوئي ٣٧٥/٦ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٦، ص: ٣٧ .

(٩) ينظر : المعتزلّي ٢٢٦/١ والبحراني ٢٨١/١ والشيرازي ٨٦/١ .

(١٠) ينظر: الخوئي ١٤٣/٣

وقد اشار الرضيّ – جامع النهج – الى اختصاص الباء بالاستعانة دون ان يفصل ، وذلك بعد ذكره لقوله (ع) في وصف الدنيا: (مَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَّعَظَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ)[1]،إذ قال: « وإذا تأّمل المتأّمل قوله (ع) : وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ ، وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا يبلغ غايته ، ولا يدرك ، لا سيما اذا قرن اليه قوله : ومن ابصر اليها اعمته ، فانه يجد الفرق بين ابصر بها وابصر اليها واضحا نيرا وعجيبا باهرا »[2] . وفرق طائفة من الشّرّاح بين الاستعمالين : (أبصر بها وأبصر إليها) تفريقا واضحا ، إذ فرق البيهقّي بين الاستعمالين فعدّ ابصر بها دالا على العلم بحال الدنيا ، وابصر اليها بمعنى نظر اليها. وذلك أّنه « يمكن ان يكون المعنى من ابصر بها اي جعلها الة وواسطة لادراك السعادة الكبرى»[3]. والفعل (ابصر) من الافعال المتعدّية بنفسها و« المسموع : ابصرت زيدا ، ولم يسمع ابصرت الى زيد »[4]. ولذا فسروا كلام الامام (ع) بتقدير محذوف تتعلق به الاداة (الى) وهو : توجه أو نظر ، ويكون المعنى : « ابصر متوجها اليها ، كقوله : ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ [5] ، ولم يقل مرسلا »[6].

ويمكن القول: إنّ الفرق بين الاستعمالين (أبصر بها وأبصر إليها) ينبثق من المعنى الأصلي للأداتين الباء وإلى ، فالفعل (ابصر) ، إذا عُدّي بـ (الى) يكون المعنى أنّ الابصار غايته الدنيا الفانية فيكون مآله العمى. وإذا عُدِّي بالباء يكون المعنى أن الإبصار وسيلة لا غاية ، فالدنيا الة وواسطة للابصار فتكون النتيجة التبصّر، كما هو واضح من تتمة كل استعمال في قوله (ع) السابق .

٢ - دلالة الباء على الإلصاق

ذكر البحراني دلالة الباء على الإلصاق وهو يشرح قوله (ع) في الحث على الاقبال الى الاخرة ، وترك الحرص على الدنيا : (وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَظَالِعِهَا قَدْ نَشَبَتْ فِيكُمْ ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ وَمُعْضِلاتُ الْمَحْذُورِ ، فَقَلِّصُوا عَلائِقَ الدُّنْيَا ، وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى)[7] . اذ بين ان (الباء في بمخالبها للالصاق) . وألمح إلى أن متعلق الباء هو الفعل (أمسك) الذي يحقق معنى الإلصاق ، فيكون التقدير: (تمسكون بمخالبها)[9]. ثّم قدره الخوئي بالفعل يبصرون ، والمعنى : « كانكم تبصرون بمخالبها»[9] ، وقدره مغنية بالفعل علق ، والمعنى : « كأنّ اظفاره قد علقت باجسامكم وقلوبكم »[10].

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٢ ، ص :١١٩.

(٢) نفسه ، ص ١١٩- ١٢.

(٣) البيهقّي١٥٥. (٤) ينظر: المقاييس١٣٥ والصحاح ٩٣ -٩٤ .

(٥) النمل١٢ وينظر :معاني الزجاج ٨٤/٤ وإعراب النحاس ١٦١/٣ والكشاف ١٣٨/٣.

(٦) المعتزلّي ٢٤٠/٦ . (٧) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٤ ، ص ٤٠٥ .

(٨) البحراني ٩/٤ وينظر : مغني اللبيب ١٣٧/١ .

(٩) الخوئي ٤٩/١٣ . (١٠) مغنية٢٢٤/٣ .

ويمكن القول: إنّ دلالة الباء على الواسطة واضحة في هذا الموضع على الرغم من تعدد التأويل في كلام الشّرّاح ، اذ إنّ المخالب هي واسطة ليبصروا ما يحدث لهم من مفظعات الامور، وهي واسطة لتعلق الموت بالأجسام والقلوب ، وهي واسطة تمنع من الحركة عند الموت على تقدير الفعل (مسك) الذي يفيد التوقف عن الحركة . وانما ترك ذكر المتعلق في هذا الموضع لغرض دلالي لم يشر اليه الشّرّاح ، وهو ترك المجال امام المتلقي لتقدير ما تعلق به حرف الباء ، وبذا تتعدد صور مجيء المنية الى الانسان وتمكنها منه على نحو يزيد الترهيب والتحذير منها.

٣- دلالة الباء على المصاحبة .

وعليها قوله (ع) : (فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلافِ سَنَةٍ ... عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ ! كَلاَّ مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا)[١]. فقد ذهب فريق من الشّرّاح الى جعل الباء الداخلة على (امر) في قوله (ع) : (بأمرٍ أخرج به) دالة على المصاحبة ، اي مصاحبة الامر ، والباء الداخلة على الضمير (الهاء) دالة على السببية[٢] ،على حين ذهب فريق اخر الى توحيد دلالة الباءين في هذه العبارة وجعلهما دالتين على السببية ؛ « لان ما يكون سببا للاخراج لا يكون سببا للادخال »[٣].

ورفض المعتزلّي ان تكون الباء في (بامر) دالة على السببية « بل هي كالباء في قولهم : خرج زيد بثيابه ، ودخل زيد بسلاحه ، اي : خرج لابسا ، ودخل متسلحا ، اي : تصحبه الثياب ويصحبه السلاح ، فكذلك قوله (ع) : بامر اخرج به منها ملكا ، معناه ان الله تعالى لا يدخل الجنة بشرا يصحبه امر اخرج الله به ملكا منها »[٤] . وانما اوجب المعتزلّي دلالة الباء على المصاحبة في **بامر** دون السببية ليفسر دخول العاصين الى الجنة برحمة الله وعفوه . ولو كانت الباء للسببية لفهم منه انه تعالى لا يدخل الجّنة بشرا بسبب امر اخرج به ابليس من قبل ، وبذا لم يدخل الجنة المتكبر . ولما استقر في ذهن المعتزلّي دخول هذا النوع من البشر بعد غفران الله لهم ورحمته عليهم ، جعل الباء للمصاحبة ليصبح دخولهم الى الجنة ممكنا على الرغم من صحبتهم هذه المعصية وذلك بعد تحقق الاستغفار.

ويمكن القول ان دلالة الباء واحدة في الموضعين ، وهي ان امتناع دخول البشر الجنة يكون بواسطة امور كثيرة منها (الكبر) الذي خرج بسببه ابليس من الجنة . ولذا دخلت الباءان على المعصية نفسها ، فالضمير في (به) يعود على (الامر) ، والمعصية هي واسطة لدخول النار.

٤- دلالة الباء على المقابلة.

ومن امثلة الشّرّاح على هذا المعنى ما في قوله (ع) في الدعاء : (فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢، ص ٣٦١ .

(٢) ينظر : المعتزلّي١٣٦/١٣ والبحراني ٢٤٨/٤ والخوئي ٢٧٨/١١ وانصاريان٢٧٥/٢ والتستريّ٣٦٠/١٤.

(٣) السرخسي٢٠٩/١ وينظر : الموسوي٢٨٩/٣ .

(٤) ينظر: المعتزلّي ١٣٦/١٣

منّي)[١] ، اذ عدّوا الباءين في (بهم ، وبي) دالتين على المقابلة[٢] ، وسمّاها بعضهم بباء العوض[٣]. وأغرب البيهقّي فعدّ الباء في هذين الموضعين بمعنى (في) ليكون المعنى : «ابدلهم فّي من هو عندهم وعلى زعمهم ورايهم شرا مني...»[٤] ، ولم يبين مراده بدلالة الباء على (في) ، أظرفية هي ام على تقدير محذوف؟ . ويبدو أنّ معنى المقابلة الذي ذكره معظم الشّرّاح مفهوم من دلالة الفعل (ابدل) على المقايضة ، ومقابلة المبدل بالمبدل منه ، وليست المقابلة مفهومة من وجود الباء . ويمكن القول : إن الباء في هذا الاستعمال هي واسطة لطلب الابدال ، اي : ابدلهم بواسطتي شخصا اخر ، فانا لا اليق بهم وهم عصاة ، وليست الباء عوضا لأنّ الامام (ع) لا شر فيه[٥].

٥ - دلالة الباء على القسم.

من ذلك ما في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[٦] الذي استشهد به الامام (ع) في خطبته المعروفة بالقاصعة[٧] ، اذ ذهب معظم الشّرّاح الى أنّ الباء في (بما اغويتني) للقسم ، ثّم أغرقوا في تأويل معنى الكلام مع إفادة الباء معنى القسم ، وهو أن يكون ابليس « اقسم باغواء الله اياه ليزينن لهم في الدنيا المعاصي»[٨] ، ووجه هذا انّه « لما كان تعالى خالق اسباب الغواية فيه كالقدرة والعلم وغيرها كانت له تعالى سببية في ايجاد الغواية وان كانت بعيدة ، فلذلك صح اسناد فعلها اليه تعالى »[٩]. ثم ذكر بعضهم وجها اخر للباء هو الدلالة على السببية ، واختلفوا في تقدير الكلام ، فتارة عدّوا المعنى: « اجازيك باغوائك لي تزييني لهم القبيح»[١٠] ، او« بسبب اغوائك اياي افعل بهم ذلك »[١١]، او «بما اضللتني او بتكليفك اياي السجود»[١٢]. وهذه الوجوه سبقهم الى القول بها مفسرو القران الكريم[١٣].

والقول بدلالة الباء على السببية يفرغ الكلام من معنى القسم فتبقى لام القسم لوحدها في التركيب من غير فعل القسم ، لذا اجاز بعضهم القول بان الباء افادت معنى السببية وان القسم محذوف ليكون تقدير الكلام : «بسبب اغوائك اقسم لافعلن »[١٤]. ويبدو مما تقدم ان معنى السببية في الباء غير صحيح ؛ لان الله تعالى لا يتسبب في اغواء احد ، لا

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٥ ، ص ٥٨..

(٢) ينظر : الراونديّ ٢٠٢/١ والمعتزلّي ٣٤٨/١ والبحراني ١٩٢/٥ والشيرازي ١٤٢/١ .

(٣) ينظر : الشيرازي ١٤٢/١ .

(٤) البيهقّي ١١٣ .

(٥) ينظر : البيهقّي ١١٣ والراونديّ ٢٠٢/١ والمعتزلّي ٣٤٨/١ والبحراني ١٩٢/٥ والشيرازي ١٤٢/١ .

(٦) الحجر ٣٩ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢، ص:٣٦٢.

(٨) الراونديّ ٢٣٨/٢ وينظر : المعتزلّي ١٣٩/١٣ والخوئي ٢٨٦/١١ والتستريّ ٣٦٤/١٤ والموسوي ٢٩٣/٣ .

(٩) البحراني ٢٢٩/٤ .

(١٠) المعتزلّي ٢٣٨/٢ .

(١١) الراونديّ ٢٣٨/٢ .

(١٢) الخوئي ٢٨٦/١١ وينظر :الموسوي ٢٩٣/٣ .

(١٣) ينظر : الكشاف ٣٩١/٢ ومجمع البيان ١١٧/١٤ .

(١٤) الراونديّ ٢٣٨/٢ وينظر : المعتزلّي ١٣٩/١٣.

ابليس ولا غيره ، وما ذكره الشّرّاح من تخريجات لا تخلو من تكلف في توجيه المعنى ، وكذلك القول في جعل الباء للقسم ؛ لانه سيكون المقسم به هو فعل الغواية الذي نسبوه الى الله تعالى بتكلفات بعيدة . ويمكن القول : إنّ الباء افادت معنى الواسطة ، اي : بواسطة الإغواء ، أما أسناد ابليس الإغواء إلى الباري عز وجل (بما أغويتني) فمن باب المقابلة مع إغوائه الناس ، وهو صريح في (لأغوينهم) ، وهذا التقابل كثير في القرآن إذ نسب إلى الباري المكر والكيد والرمي وغير ذلك . والباء تدل على الواسطة لا على القسم كما ذكر العلماء[١] ، لان دلالة القسم متأتيّة من الفعل (اقسم) المفهوم من دخول اللام على المضارع المؤكد بنون التوكيد (لأغويّنهم). ودلالة الفعل اقسم تعني البراءة من الموجودات والاعتماد على المقسم به في مجابهة الفناء ، فلا يجوز للمخلوق القسم الا بالخالق ، وهذا هو الفرق بين القسم والحلف[٢] ، لأنّ الحلف يعني التحالف مع المحلوف به ولذا يجوز في حق الخالق والمخلوق ، اذ يمكن التحالف مع اي موجود . وتبقى الباء واسطة للتبرؤ والتخلي من كل شيء في الوجود والاعتماد على الله وحده ، ولذا نفى سبحانه ان يقسم باي من الموجودات في المواضع جميعها التي اسند فيها القسم الى ذاته سبحانه[٣]. من ذلك قوله تعالى: ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ** ﴾[٤] و﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ** ﴾[٥] ، و(لا اقسم بالنفس اللوامة)[٦] ، وغير ذلك ، لانه تعالى سيكون قد اعتمد في ابقاء ذاته على ما خلق ، وهذا محال[٧].

٦- دلالة الباء على التعدية . وأمثلتها لدى الشّرّاح كثيرة ، كقوله (ع) : (تتيه بكم)[٨]، و(يذهب بكم)[٩] ، و(استهام بك الخبيث)[١٠] ، وغير ذلك . إذ بين الشّرّاح ان الفعل في هذه المواضع يصل الى مفعوله بحرف الجر الباء ، وهو معنى وارد في العربية[١١] ، ويمكن القول ان «التعدية مطابقة لمعنى الباء كواسطة»[١٢] ، فالباء واسطة لوصول الفعل الى المفعول ، والفعل اللازم لايتعدى بالباء بل يبقى لازما ويكتمل بواسطة الباء . فالتركيب : (ذهب به) ليس معناه اخذه ، وانما ذهب كعادته في الذهاب ولكن ذهابه لا يكتمل إلا به . والتيه والذهاب والهيام في المواضع السابقة حصل كلّ منها بواسطة الضمائر المخاطبة ، لا ان هذه الافعال وقعت على الضمائر. ولم يتنبه على هذه

---

(١) ينظر : شرح المفصل٩/١٠٠ ومغني اللبيب ١٣٨/١ والهمع ٣٨/٢ .

(٢) ينظر : الفروق اللغوية ٤٧. (٣) ينظر: الحل القصدي٢٢١ .

(٤) البلد ١ وينظر: إعراب النحاس ٢٣٨/٥ والكشاف ٢٥٥/٤ وتبيان العكبري ٤٦٣/٢..

(٥) الواقعة ٧٥ وينظر: الكشاف ٥٨/٤ .

(٦) القيامة ٢ وينظر: معاني الفراء ٢٠٧/٣ وإعراب النحاس ١٣٩/٥ والكشاف ١٨٩/٤ وتبيان العكبري٤٣٧/٢.

(٧) ينظر : اللغة الموحدة ٢٦٠ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨، ص ١٩٧. وينظر : المعتزلّي٩٠/٧ والخوئي٢٩٨/٧.

(٩) المصدر نفسه : الخطبة ١٠٨ ص ١٩٧. وينظر : الخوئي ٢٩٨/٧.

(١٠) نفسه : الخطبة ٢٠٩ ، ص ٤٠٨ وينظر : الراونديّ٣٣٠/٢ والخوئي ٣١٢/٨.

(١١) ينظر: الخوئي ٣٨٥/٢٠ و انصاريان٨٦/١ و١٢٢. (١٢) اللغة الموحدة٢٦٠ .

الدلالة في الباء من شراح النهج غير الامدي في تتمة شرح الخوئي ، اذ لم يجعل دلالة الباء منصرفة الى التعدية وحدها ، وانما خلط معنى التعدية بمعنى المصاحبة في التركيب : ذهب به ، وكانه يلمح الى انّ الباء واسطة لوصول معنى الفعل الى المفعول بقوله : « وفي باء التعدية معنى المصاحبة ايضا ، وذلك اذا تعدى الفعل اللازم بباب الافعال يفيد معنى ، واذا تعدى بباء الجر يفيد معنى اخر يغاير الاول ، مثلا اذا قلت : اذهبت زيدا ، جعلت زيدا ذاهبا وما ذهبت معه ، واذا قلت : ذهبت بزيد جعلته ذاهبا وانت ايضا ذاهب معه »[١] ، فالباء واسطة لذهاب الفاعل مع الاسم المجرور بالباء ، فلولا ذهاب الثاني لما ذهب الأول.

٧- **دلالة الباء على التفدية .** ومن أمثلتها لدى الشّرّاح ما في قوله (ع) : (بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي يا رَسُولَ اللهِ ، لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبوَّةِ والأَنْباءِ وأَخْبارِ السَّماءِ)[٢] . إذ صرح معظم شرّاح النهج بأنّ تقدير الكلام هو : افديك بأبي وامي لانك اعزّ منهما عندي[٣]، ثّم اصطلحوا على هذه الباء بباء للتفدية[٤] ، وواضح انه لا دلالة للباء على التفدية وانما هي مفهومة من الفعل الذي قدروه وهو (افدي) ، أي أن الباء باقية على معناها الأصلي وهو أنها واسطة لتمّني المبادلة بين الرسول (صلى الله عليه وآله) والوالدين .

٨- **دلالة الباء على السببية .** ومن امثلتها لدى الشراح[٥] قوله (ع) : (سُبْحَانَكَ بِحُسْنِ بَلائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ . خَلَقْتَ دَارًا...)[٦]، اذ اجمع شراح النهج على ان الباء في (بحسن) للسببية[٧]، الا انهم اختلفوا في المتعلق على قولين : الاول : إنّها تتعلق بـ (سبحانك)[٨] ، والمعنى : إن التسبيح إنّما هو بسبب حسن امتحان الله سبحانه ، إذ اختبر عباده اختبارا حسنا سهلا لا عسر فيه ولا صعوبة[٩] ، والآخر: انها تتعلق بالفعل (خلقت)[١٠] ، والمعنى «خلقت دارا بسبب حسن بلائك ،كما تقول :ضربت زيدا بسوء ادبه»[١١] ، واستشهد بعضهم بقوله تعالى:﴿ **فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ** ﴾[١٢] على مجيء الباء لمعنى السببية[١٣]. والله تعالى لا تضره الذنوب ، وانما يعاقب على النوايا ، فالباء واسطة لوقوع العقاب الالهي وليست سببا له ، والظلم واسطة للتحريم على العباد .

---

(١) الخوئي ٢٤١/١٨

(٢) نهج البلاغة الخطبة : الخطبة ٢٣٥ ، ص ٤٥١ .

(٣) ينظر : الراونديّ٤١٥/٢ والمعتزليّ٢٤/١٣ والبحراني ١١٩/٤ وابو الفضل٢/ ٦٣ ومغنية٣٥٢/٣ والموسوي٩٦/٤ .

(٤) ينظر : الخوئي ١٤٣/١١ والشيرازي٤١٠/٣ .

(٥) ينظر : المعتزليّ١٧٦/١٦ و ٧٨/٢ والبحراني ٩٧/٤ و ١١٣ والخوئي ٨٥/٢ وانصاريان٤٥٨/٢ و ٣٨١/٣ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ص ٢٠٠ .

(٧) ينظر : المعتزليّ٧/ ١٨٧والبحراني ٦١/٣وعبده٢٢٨/١ والخوئي ٣٢٨/٧والتستريّ٣٦٧/١١ومغنية١٤٦/٢ والشيرازي١٨١/٢.

(٨) ينظر : المعتزليّ١٨٧/٧

(٩) ينظر : الشيرازي١٨١/٢ .

(١٠) ينظر : البحراني ٦١/٣ والتستريّ٣٦٧/١١ .

(١١) الخوئي ٣٢٨/٧ .

(١٢) النساء ١٦٠ .

(١٣) ينظر : الخوئي ٨٥/٢.

٩ - الباء بمعنى في

ومن أمثلتها لدى الشّرّاح [١] ما في قوله (ع) في ابليس : (...ف (قَالَ ربِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الحَمِيَّةِ ، وَإِخْوَانُ العَصَبِيَّةِ ...)[٢] ، اذ ذهب فريق من شراح النهج الى ان الباء في (صدقه به) بمعنى (في) ، و « معناه : صدقه في ذلك الظن ابناء الحمية ، فاقام الباء مقام في »[٣] ، وجوز بعضهم ان تكون الباء بمعنى اللام ، اي إنّ « تصديقهم له بذلك الظن هو ارتكابهم للرذائل والمعاصي اتباعا له »[٤]. واخراج الباء الى معنى (في) او (اللام) هو عدول بها عن ظاهر استعمالها في كلام الامام (ع) ، فقد وردت الباء دون الحرفين الاخرين ، ولو اريد معنى احدهما لاستعمله الامام (ع) ، وانما جاء بالباء هنا لانها واسطة للتصديق ، فالظن الخاطيء هو واسطة ابليس للتصديق به .

١٠ - الباء بمعنى إلى

ومن أمثلتها لدى الشّرّاح ما في قوله (ع) في استنفار الناس الى اهل الشام : (مَا أَنتُم بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ ، وَلَا زَوافِر عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُم ...)[٥] ، اذ ذهب معظم شراح النهج الى القول بدلالة الباء في (يمال بكم) على معنى (الى) ، واكثروا من توجيه المعنى على هذا القول ، فمنهم من ذكر ان المراد : « لستم بركن يستند اليكم »[٦] ، ومنهم من قدر المعنى : « ما انتم بركن تمالون الى الجهاد »[٧] ، ومنهم من عدّ المعنى : « ليسوا بثقات عنده يركن اليهم ابدا »[٨] . وذهب بعضهم الى تضمين الفعل (مال) معنى وصل ليتّضح كون الباء بمعنى (إلى) ، « وانما جيء بـ(باء) الجر دون (الى) لإشراب الفعل معنى الوصول »[٩] ، والتقدير : ما انتم بركن يميل الانسان اليكم لتحفظوه . واجاز الراونديّ ان تكون الباء للسببية ، والمعنى : « ما أنتم بركن للدين يمال بسبب سقوطه »[١٠] . وأغرب الموسوي فعدّ الباء بمعنى (على) ، والمعنى أنه « نفى ان يكونوا قوة يعتمد عليها في انتزاع النصر »[١١] . والفعل (مال) لازم يصح ان يصل الى مفعوله بالحرف (الى) ليدل على جهة الوصول ، ويصل الى مفعوله بالحرف (على) ليدل على الهيمنة والغلبة ، ومن هنا تكون الباء باقية على معناها فهي دالة على انّ المخاطبين ليسوا واسطة للميل على العدو ، والجار والمجرور : (على العدو) مفهوم من الفعل (مال) لذلك استغنى الكلام عن ذكره اكتفاء بدلالة الميل . وفي ذكر الباء توبيخ للمخاطبين .

---

(١) ينظر : البحراني ١٨٣/٢ والخوئي ٣٥١/٥ و ٣٤٦/٨ و ٣٥٨ وانصاريان ١٩٣/١ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢، ص ٣٦٢ .

(٣) المعتزلّي ١٤٢/١٣ وينظر : البحراني ٢٥٢/٤ وعبده ٣٩٨/١ وابو الفضل ٩٢/٢ ومغنية ١١٥/٣ والشيرازي ١٨٢/٣ والتستريّ ٣٦٥/٤.

(٤) البحراني ٢٥٢/٤ وينظر : انصاريان ٣٣٦/٢ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٣٤، ص ٧٥.

(٦) المعتزلّي ١٩٠/٢ وينظر : السرخسي ٦٦/١ وانصاريان ١٥٠/١ وابو الفضل ٩٥/١

(٧) الراونديّ ٢٣٨/١ .

(٨) عبده ٩١/١ .

(٩) الشيرازي ١٨٠/١ .

(١٠) الراونديّ ٢٣٨/١

(١١) الموسوي ٢٦٩/١ وينظر : ١٨٠/١.

١١ - الباء بمعنى عن

ومن أمثلتها لدى بعضهم ما في قوله (ع) : (اسْتَعَدُّوا لِمَسِيرٍ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الحَقِّ لا يُبْصِرُونَه ، وَمُوزَّعِينَ بِالجَوْرِ لا يَعْدِلُونَ بِه ، جُفَاةً عَنِ الكِتَابِ ، نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ)[١] ، اذ انفرد الخوئي[٢] بتضمين الباء في (لايعدلون به) معنى (عن) ، واستدل عليه بقوله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا** ﴾[٣] ، اما سائر شراح النهج فلم يضمنوا الباء معنى حرف اخر ، بل ضمنوا (يعدلون) معنى (يرضون) والمعنى :« لا يعدلون بالجور شيئا اخر ،اي:لا يرضون الا بفعل الظلم »[٤] وضمن بعضهم (يعدلون) معنى يستبدلون ، اي : لا يستبدلونه بالعدل[٥] .

ويمكن القول ان الفعل (عدل) يتحدد معناه حسب الحرف الذي يتعلق به ، فاذا جاء مع الحرف (عن) : (عدل عن كذا) صار المعنى : تركه ، وقد نبه على هذا المعنى انصاريان بقوله : « لا يعدلون عنه ، اي : لا يتركونه الى غيره »[٦]، واذا عدي بالحرف (الى) صار المعنى : تحول الى جهة كذا ، اما اذا تعدى بالباء (عدل بكذا) فهذا يعني انه جعل الشيء واسطة للعدول نحو شيء اخر او عن شيء . اما الاية التي استدل بها الخوئي على مجيء الباء بمعنى (عن) فلان (السؤال) كثر تعديه بـ(عن) فلما جاء بالباء ضمنها الشارح معنى (عن) ، ويبدو ان الباء هنا هي واسطة السائل لسؤال الخبير ، وقد ذكر الزمخشري الفرق بين الاستعمالين : (سأل به) الذي يعني : « اعتنى به ، واشتغل به ، وسأل عنه ، كقولك : بحث عنه وفتش عنه »[٧]وهذا يؤكد ان سأل به يعني أنه لشدة عنايته به جعله واسطة لمعرفة الخبير وسؤاله .

١٢ - الباء بمعنى مع

صرح الامدي بهذه الدلالة وهو يشرح قوله (ع) من كتاب له الى اهل الكوفة : (وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا ، وَقَلَعُوا بِهَا)[٨] ، اذ بين ان « الباء في الموضعين بمعنى مع ، فيكون آكد للمراد »[٩] ، والمعنى ان المدينة فارقت اهلها واخرجتهم ، وكذا قلعوا بها ، اي انهم فارقوها وخرجوا منها . اما سائر شراح النهج فذهبوا الى القول بتضمين الفعل (قلع) في الموضعين معنى فعل اخر يتعدى بالباء بعد ان استقر لديهم ان الفعل (قلع) متعد بنفسه[١٠] ، فالبحراني ضمن قلع في الموضع الاول معنى نبا ،إذ يقال : قلع المنزلُ إذا نبا بأهله فلم يصلح لاستيطانهم ، وفي الموضع الثاني قلع بمعنى فارق والمعنى أنها كبت بهم ففارقوها[١١] . وعد آخرون (قلع) في الموضع الاول بمعنى (رحل) ، وفي الموضع

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٥، ص ٢٣٠.

(٢) ينظر : الخوئي ١٧٢/٨ ، ١١٠/١٧ .

(٣) الفرقان ٥٩.

(٤) الراونديّ ٤٢/٢ وينظر :الكيدريّ ٥٧٧/١ والمعتزلّي١٠٧/٨ والبحراني ١٢٧/٣وعبده ٢٥٩/١ والتستريّ٣٠٦/١٠ وانصاريان٤٢١/١ وابو الفضل ٢٩٢/١

(٥) ينظر : الموسوي٣٥٠/٢ .

(٦) انصاريان٤٢١/١ .

(٧) الكشاف ٩٨/٣ .

(٨) نهج البلاغة : الرسالة ١ ، ص ٤٥٩ .

(٩) الخوئي ٢٠١/١٦ .

(١٠) ينظر : السرخسي٢١٢/١ والخوئي ٣٠٣/١١ .

(١١) ينظر : البحراني ٣٣٨/٤ .

الثاني بمعنى (ازعج) ، أي: رحلت بأهلها ، وأُزعجوا بتلك الدار[١] . على حين عدّ الشيرازي (قلع) في الموضع الاول بمعنى انتقل ، وفي الموضع الثاني بمعنى فارق[٢] . وجمع فريق منهم معنى (قلع) في الموضعين ، فذهب الشارح عبده الى إنّهما بمعنى (نبذ)[٣] ، وذهب ابو الفضل إلى إنهما بمعنى (فارق)[٤] ، وذكر مغنية انهما بمعنى (اخرج)[٥] . وخالف المعتزلّي فلم يذهب الى تضمين الفعل (قلع) معنى فعل اخر ، وانما عدّ الباء في الموضع الاول زائدة ، وفي الموضع الثاني بمعنى (من)[٦] ، ولم يبين علة مجيء كل واحدة من الباءين بمعنى يغاير الاخرى مع انهما متعلقتان بالفعل نفسه . والقول في دلالة التركيب (قلع به) يستلزم البحث عن دلالة (قلع) ، فهو فعل متعد بنفسه ، يقال : قلع الشيء ، اذا انتزعه من اصله او حوله عن موضعه[٧] ، ولو كان المعنى كما ذكر الشّرّاح من حصول الرحيل والافتراق والاخراج من دار الهجرة لانتفت الحاجة الى ذكر حرف الباء ، أولكانت الباء زائدة كما ذكر المعتزلّي ، ولذا يمكن القول ان المعنى غير ما ذكره الشّرّاح ؛ لان الباء دخلت هنا لتبين ان دار الهجرة غير مستوطنة لعدم وجودهم فيها ، وكذلك هم بواسطتها قلعوا منها فلم تعدمقّرا لهم.

١٣ - الباء بمعنى (على)

ذكر الراونديّ هذا المعنى وتابعه فيه الخوئي[٨] ، وذلك في شرحهما قوله (ع) : (أَما بَعْدُ فَإِنّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ إلى الأرضِ كَقَطَراتِ المَطَرِ ، إلى كُلِّ نَفْسٍ بِما قُسِمَ لَها مِنْ زِيادَةٍ أَوْ نُقْصان)[٩] ، فالباء في (بما قُسم لها) بمعنى (على) . والفعل (نزل) فعل لازم يتعدى الى المفعول بحروف عدة[١٠] ، يقال : نزل عن ، بمعنى إشارة إلى مكان مستعل ، ونزل الى ، إشارة إلى مكان هابط ، ونزل في ، إشارة إلى ظرف معين، ونزل من ، إشارة إلى بداية النزول ، ونزل على ، إشارة إلى استعلاء ، ونزل بـ ، إشارة إلى واسطة النزول. ومراده (ع) ان الرزق ينزل بواسطة القسمة الالهية المعدة في اللوح المحفوظ ، دون تخصيص لمن ينزل عليهم الرزق او مقدار الرزق او جهته او صورته.

١٤ - الباء بمعنى (من)

أقر محمد عبده هذه الدلالة ، وهو يوضح قوله (ع) في صفة الملائكة : (وَلَمْ تَرِمِ الشُّكُوكُ بِنَوازِعِها عَزِيمَةَ إِيمانِهِمْ)[١١] ، اذ ذكر ان الباء في بنوازعها بمعنى من التي تفيد التبعيض ؛ لأن الباء دخلت على الجمع : (نوازع) بمعنى الشهوات[١٢] والمعنى ان الشكوك لم ترم من هذه النوازع عزيمة ايمانهم . وهو معنى متكلف وبعيد عن مراده (ع) ؛ لان التبعيض غير مراد بحق الملائكة ، وانما المراد نفي الشكوك عن صدق ايمانهم بصورة مطلقة ، والمعنى : ان الشكوك

---

(١) ينظر : الراونديّ١٥١/٣ والسرخسي٢٢٦/١ .
(٢) ينظر : الشيرازي٤٢٦/٣ .
(٣) ينظر : عبده ٣/٢ .
(٤) ينظر : ابو الفضل١٢٨/٢ والموسوي١٢٠/٤ .
(٥) ينظر : مغنية٣٧٦/٣ .
(٦) ينظر : المعتزلّي٧/١٤ .
(٧) ينظر : المقاييس٨٥٩ والقاموس المحيط ٦٩٦.
(٨) ينظر : الراونديّ١٩١/١ والخوئي ٣٢٠/٣ .
(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣ ، ص ٥٣.
(١٠) ينظر : المقاييس ١٠٢٢.
(١١) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٥٧.
(١٢) ينظر : عبده١/ ٢١١ .

لم ترم ايمانهم بواسطة نوازعها ، وقد المح الراونديّ الى هذه الدلالة بقوله: «عزيمة ايمانهم : مفعول لم ترم الذي يتعدى بنفسه ، والباء تدخل بالمفعول الذي يكون مرمّيا لا في المرمي اليه ، أي : لايدخل شك ايمانهم المعزوم عليه ولا ترمي الشكوك ايمانهم الذي معه اليقين بفساد ولا اثر شهوة بوجه قبيح»[١] .

١٥ - الباء الزائدة

كثرت مواضع زيادة الباء لدى الشراح[٢] ، ومرادهم بزيادة الباء كونها فضلة ، لا دلالة لها على معنى معين فهي زائدة على التركيب الذي يستقيم بحذفها فلا حاجة اليها فيه[٣]. ومن امثلة الشّرّاح على زيادة الباء المفرغة من الدلالة قوله (ع) : (الْزَموا الأَرْضَ ،وَاصْبِرُوا عَلَى البَلاءِ ، لاَوتُحَرِّكُوا بِأَيْدِيْكُم وَسُيُوفِكُم هَوَى أَلْسِنَتِكُم ، لاَوتَسْتَعْجِلُوا بِمالَمْ يُعَجِّلْه اللهُ لَكُمْ)[٤] ، اذ ذهب كثير منهم الى ان الباء في (بايديكم) زائدة ، ليجعلوا الايدي والسيوف مفعولين للفعل تحرّكوا ، والمعنى هو : لا تحرّكوا ايديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم[٥] ، واجاز الراونديّ وتبعه الخوئي وجها اخر ، وهو ان تكون الباء دالة على السببية ، ويكون مفعول تحركوا محذوفا تقديره : (شيء) او (الفتنة)[٦] . ويمكن ان تكون الايدي والسيوف مفاعيل للحركة ودخلت الباء لتعطيها الدلالة على الواسطة والمفعولية في ان واحد ، فالايدي والالسن واسطة للحركة في هوى الالسن لذلك نهى (ع) عن هذه الحركة.

ومن امثلتهم على زيادة الباء – ايضا – قوله (ع) : (فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِكَ ...)[٧] ، اذ جعل فريق منهم الباء في (ببصر) زائدة (اي : ارم بصرك)[٨] ، وانما حكموا بزيادة الباء لان الفعل (رمى) متعد بنفسه فلا بد له من مفعول صريح لم يدخله حرف جر ، وقد كانت للشارح التستريّ التفاتة دلالية مهّمة وجّه بها دخول الباء في هذا التركيب بقوله : « ان رمى وان كان متعديا بنفسه ، فتقول : رميت الصيد ، الا انه بالنسبة الى الاول ، واما الثاني فلا ، تقول : رميت الصيد بالسهم ، والبصر هنا المفعول الثاني . »[٩] .

---

(١) الراونديّ ٣٩٩/١ .

(٢) ينظر في زيادة الباء : المعتزلّي٦/ ٢٦٧ و١١٣/١٣ و٧٥/١٦ و ١٣٣/١٩ و٣٣٥ و الخوئي ٥١/٤ و١٧/٨ وانصاريان٢٢١/٢ وعبده١٣٧/٣ ومغنية٣٤٢/١ و ٤٩٩/٦.

(٣) ينظر : ارتشاف الضرب ٤٢٩/٢.

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٠ ، ص ٣٥٥ .

(٥) ينظر :الراونديّ٤٥١/٢ والبحراني ١٩٢/٤والخوئي ١٨٩/١١.

(٦) ينظر : الراونديّ٤٥١/٢ والخوئي ١٨٩/١١ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٥ ، ص ٣٠٠ .

(٨) ينظر : الخوئي ١٦٤/١٠ ومغنية ٤٧٧/٢ والشيرازي ١٦/٣ .

(٩) التستريّ١٠٧/٣ .

ومن ذلك – ايضا – شرحهم لقوله (ع) في الخطبة القاصعة : (... أَنا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاكِلِ العَرَبِ ، وَكَسَرْتُ نَواجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ...)[١] ، اذ ذهب معظم الشّرّاح الى زيادة الباء في (بكلاكل) ، والمعنى هو : وضعت كلاكل العرب ، والمراد اذلالهم واهانتهم[٢] ، واحتمل الشارح البحراني وجها اخر للباء ، وهو ان تدل على الالصاق ، والمعنى : « فعلت بهم الوضع والاهانة »[٣] ، على حين انكر التستريّ القول بزيادة الباء او كونها للالصاق ، وجعلها دالة على التعدية ليكون الكلام « كناية عن اذلالها كبعير تسقطه على الصدر فلا يقدر على التحرك »[٤] ، ويبدو ان تعدي الفعل (وضع) بنفسه الى مفعوله حمل الشّراح على القول بزيادة الباء ، ولذا تلمس الشّرّاح أوجها أخرى. ودلالة الفعل (وضع) تنصرف الى خفض الشيء وحطه[٥] ، وهو فعل متعد بنفسه ، ولما تعلقت الباء به دل على ان الوضع تم بواسطة كلاكل العرب وهم صدور العرب واعيانهم المبرزين ، فلا زيادة للباء ، فضلا عن ان الالصاق لا معنى له هنا.

ولما كانت الزيادة عند الشّراح تعني خلو الحرف من الدلالة ، أضفوا مسحة دلالية على الباء الزائدة في التراكيب القرانية : ﴿ **وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴾[٦] و﴿ **وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾[٧] ، الى القول بان « الباء زائدة للتاكيد »[٨] . والحق ان الباء ليست زائدة وانما تعلقت بالفعل المتعدي (كفى) لغرض دلالي محدد ، فالفعل كفى دال على الحسب الذي لا مستزاد فيه ،« يقال : كفاك الشيء يكفيك ، وقد كفى كفاية اذا قام بالامر»[٩] ، والله تعالى قائم بامر العباد وكافيهم عن غيرهم بصورة مطلقة وفي نواحي حياتهم كلها ، فاذا دخلت الباء على هذا التركيب حددت جهة الكفاية لغرض يتطلبه مراد المتكلم في ذلك السياق ، فكفى بالله شهيدا ، تعني : كفى بواسطة الله تعالى الشهادة على افعال الظلمة ، وكذلك كفى بواسطته تعالى حساب الكفار .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٧٨ .

(٢) ينظر : المعتزلّي١٣/١٩٧ والبحراني ٢٨٦/٤ والخوئي ٢١/١٢.

(٣) البحراني ٢٨٦/٤ .

(٤) التستريّ٤٩٦/١٤ .

(٥) ينظر : المقاييس ١٠٩٤.

(٦) النساء : ٦

(٧) الفتح ٢٨.

(٨) الخوئي ٢٠١/١٦ . وينظر : المعتزلّي١٩/١٤٤ و ٢٦٧/٦ والبحراني ٣٥٤/٣ والسامرائي١٨١.

(٩) المقاييس ٩٢٩ وينظر : القاموس المحيط١٢٢.

المطلب الثاني : دلالة الفاء

ثبت الشّراح نقلا عن النحويين عدة دلالات للفاء أهمها:

١ - دلالة الفاء العاطفة على الترتيب والتعقيب

اشار شراح النهج في مواضع كثيرة[١] الى افادة الفاء الترتيب والتعقيب بلا مهلة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وهذه هي الدلالة الرئيسة لها[٢] . وفيما يخصّ عطف الفاء للجمل ، انفرد الخوئّي بتفصيل دلالتها في عطفها للجمل وهو يشرح قوله (ع) : (مَعاشِرَ النَّاسِ إنَّ النِّسَاءَ نَواقِصُ الإيْمانِ ، نَواقِصُ الحُظُّوظِ ، نَواقِصُ القُعُوْلِ : فأمّا نُقْصَانُ إيْمانِهِنَّ فقُعُوْدُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ والصِّيامِ في أيَّامِ حَيْضِهِنَّ ...)[٣] ، اذ قال : « ان عطفت الفاء جملة على جملة افادت كون مضمون الجملة التي بعدها عقيب مضمون التي قبلها بلا فصل ، نحو : قام زيد فقعد عمرو ، وقد تفيد فاء العطف في الجمل كون المذكور بعدها كلاما مرتبا في الذكر على ما قبلها ، لا ان مضمونه عقيب مضمون ما قبلها في الزمان ، كقوله تعالى: ﴿ **فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾[٤] ، وقوله : ﴿ **وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾[٥] ، فان ذكر ذم الشيء او مدحه يصح بعد جري ذكره ... ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل كقوله : ﴿ **وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي** ﴾[٦] ، وتقول: اجبته ، فقلت : لبيك ... وكلام الامام (ع) من هذا القبيل ؛ لانه بعد الاشارة الى نقصان ايمانهن وعقولهن وحظوظهن اجمالا نبه على تفصيل جهة النقصان بقوله : فاما نقصان ايمانهن »[٧] ، وفي موضع اخر مثل للفاء في تفصيل المجمل بقوله تعالى: ﴿ **وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ** ﴾[٨] . وما ذكره الخوئي هو تلخيص لاراء النحاة في هذه المسالة ، اذ ذهبوا الى ان المعطوف بالفاء اذا وقع زمانه بعد زمان المعطوف عليه كانت الفاء مفيدة للترتيب المعنوي[٩] ، اما اذا وقع المعطوف بها بعد المعطوف عليه في الذكر دون الزمن فهي للترتيب الذكري[١٠]. فالفاء في الترتيب الذكري لا تعد تعقيبية ، وانما تقتصر دلالتها على ترتيب المذكورات مفارقة بذلك دلالتها الاصلية ، وتصير لتفصيل الكلام بعد اجماله ، او تصير لذم الشيء او مدحه بعد ذكره ، وهذا امر فيه

---

(١) ينظر: المعتزلّي ٥٠/٧ والبحراني ١٥٥/٤ ، ١٩٧، ٢١٠ ومغنية ٥٣٥/٤ والشيرازي ١٩٨/٢.

(٢) ينظر : الكتاب٣٠٤/٢ والمقتضب١٠/١ والمخصص٤٨٠/١٤/٤ ورصف المباني٣٧٦ والصاحبي١٠٩ وشرح المفصل٩٥/٨ وارتشاف الضرب ٦٣٦/٢ .

(٣) نهج البلاغة :الخطبة٨٠، ص ١١٨.

(٤) النحل ٢٩ . (٥) الزمر ٧٤ .

(٦) هود ٤٥ . (٧) الخوئي ٣٠٢/٥ .

(٨) الاعراف٤ وينظر : الخوئي ٩٨/٧ .

(٩) ينظر : شرح ابن الناظم٢٢٣ والجنى الداني١٢٢ ومغني اللبيب٢١٣/١ وشرح التصريح١٣٨/٢ والهمع٢٣٢/٥ .

(١٠) ينظر : شرح التصريح١٣٨/٢ ومغني اللبيب ١/ ٢١٣ والجنى الداني١٢٢-١٢٣ والنحو الوافي٤٦٣/٣ .

نظر، فالدلالة الاصلية للفاء على الترتيب والتعقيب يمكن ملاحظتها في الامثلة المذكورة ، فما قاله الخوئي من الترتيب الذكري للفاء في ذم الشيء او مدحه وهو قوله تعالى:﴿ **فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾[١]

انما هو للتعقيب الزمني ايضا – اذ ان ذم الداخلين لجهنم لم يكن زمن النطق به قبل دخولهم جهنم ، بل بعد زمن دخولهم ، وكذلك القول في مدح المذكورين ، وليس المذكور بعد الفاء كلاما مرتبا على ما قبلها في الذكر دون اعتماد للزمن كما ذكر الخوئي متابعا للرضي[٢].

اما فيما يتعلق بالترتيب الذكري بالفاء الواردة للتفصيل بعد الاجمال ، فهو –ايضا- غير مجرد عن التعقيب الزمني ، فقوله (ع) : (فأمّا نُقصان إيمانهن) الذي ذهب الخوئي الى دلالة الفاء فيه على التفصيل بعد الاجمال وخلوها من الدلالة على التعقيب الزمني فهو يحتاج الى وقفة عند المعنى ، فان الامام (ع) ذكر ثلاث صفات للنساء على وجه العموم ، ثم بيّن علة كل صفة من صفات النقص الثلاث ، فكان دخول الفاء على جملة (فاما نقصان ايمانهن) لبدء التعليل للنقص الاول ، والشّرّاح انفسهم لوحوا بانه (ع) جعل (نقصان الصلاة نقصانا في الايمان)[٣] ، اي علة لنقصان الايمان، ثم علل النقصين الاخرين على الوتيرة نفسها ، فلما احتاج الكلام الى الربط بجملة (نقصان الايمان) جيء بالفاء التي من شانها الدلالة على الترتيب والتعقيب في ذكر الاحداث المعللة. اما ما ذكره الخوئي من تجرد الفاء من الدلالة على التعقيب الزمني ، ولزومها التفصيل بعد الاجمال في قوله تعالى: ﴿ **وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا** ﴾[٤] ، فهو امر اختلفت فيه اقوال السابقين ، فمنهم من جرد الفاء من دلالتها على التعقيب وجعلها للترتيب المفصل للاجمال ، وهو ما صرح به الرضي[٥] ، وذكر الفراء وجها آخر في قوله : « يقال : انما اتاها البأس من قبل الاهلاك ، فكيف تقدم الهلاك؟ قلت : لان الهلاك والبأس يقعان معا ، كما تقول : اعطيتني فأحسنت ، فلم يكن الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله : انما وقعا معا ، فاستجيز ذلك . وان شئت كان المعنى : وكم من قرية اهلكناها فكان مجيء البأس قبل الاهلاك ، فاضمرت كان »[٦] ويفهم من قول الفراء هذا وجهين : الاول يجرد الفاء من دلالتها على التعقيب الزمني ، ويجردها من الترتيب ، وهو ما أوضحه الفراء من ان الفعلين المتعاطفين في الاية من الاهلاك والباس هما مما يقعان معا ، وبذا انصرفت دلالة الفاء الى العطف دون ملاحظة الترتيب والتعقيب ، وتابعه على ذلك ابن عصفور[٧].والآخر يبقي للفاء دلالتها على التعقيب والترتيب الا انه يحمل الكلام على الحذف ، من نحو : كان مجيء الباس قبل الاهلاك ، وهو تاويل الفراء السابق ، وتقديره : اردنا اهلاكها فجاءها بأسنا ، وهو تقدير يخرج الاهلاك عن كونه واقعا الى كونه ارادة مجردة[٨]. وغير ذلك من التقديرات[٩].

---

(١) النحل ٢٩ .
(٢) ينظر : شرح الكافية٢/٣٦٥ .
(٣) ينظر : المعتزلّي٦/٢١٤ والبحراني ٢/٢٢٣ وعبده١/١٤٠ والتستريّ١٤/٣٢٠ وانصاريان١/٢٢١ والشيرازي١/٣٠٤.
(٤) الاعراف ٤ .
(٥) ينظر : شرح الكافية٢/٣٦٥ .
(٦) معاني الفراء ١/٣٧١.
(٧) ينظر : شرح جمل الزجاجي١/٢٢٨.
(٨) ينظر: شرح التصريح ٢/١٣٩.
(٩) ينظر:مجمع البيان ٤/٣٩٦ والبرهان ٤/٢٩٤ -٢٩٥.

والافضل ترك الفاء على دلالتها على الترتيب والتعقيب بلا حمل للكلام على الحذف والتأويل . فان دلالة الكلام لا تحمل على مشيئة الشارح او المفسر او النحوي ، وانما تحمل على مراد المتكلم . ويمكن ان توجه الاية بالاعتماد على

توضيح دلالة الفعل (هلك) التي تفيد ان الاهلاك هو فعل بطْيء الحركة لانه انهاك حتى الموت ، وقد استعمل في القران لهذا المعنى وحسب ، قال تعالى في شأن يعقوب (ع) وأبنائه: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾ [1] ، تنبيها له الى ان الحزن على يوسف (ع) يؤدي الى الهلاك ، ومعلوم ان الحزن لا يفعل ذلك الا بعد مرور زمن طويل ، والفعل المتعدّي (هلك) يفيد توفير الاسباب المؤدية للهلاك ، فقوله تعالى: ﴿ **فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ** ﴾ [2] يعلم منه انه سبحانه شملهم بانواع من العذاب قبل مجيء الهلاك منها:السنين ونقص الاموال والايات لاتمام الحجة عليهم .

وانماز الشيرازي في هذا الشان وهو يبين دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿ **مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا**﴾ [3] . الذي تمثل به الامام (ع) وهو يذم الدنيا ويبين سرعة زوالها[4] ، اذ اكد الشارح على بقاء معنى الترتيب والتعقيب في دلالة الفاء في هذه الاية ، وان فصل بين نزول المطر وصيرورة النبات هشيما يابسا بأفعال كثيرة شغل بعض الشّرّاح انفسهم في ذكرها ، كقول الراونديّ : «فالتقى بسبب الماء النبات ، وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا ، يعني نبت بذلك الماء نبات بعضه ببعض تروه حسنا فصار هشيما كسيرا متفتتا تنقله الريح من موضع الى موضع »[5]، وعلّل ذلك بقوله : « وفي هذا من البلاغة ما لا يخفى حتى كانه لم يكن فصل بين اختلاط الماء بالنبات وبين ان يصبح هشيما الا بمقدار الفاء»[6] ، ليكون « دليلا على سرعة الدنيا »[7] .

اي ان المراد من هذا المثل سرعة التحول ولفت الانتباه الى الحال الأخيرة ، وهي تحول النبات الى هشيم متناثر ، وهي حال لا ينظر معها سلسلة التحولات ، وانما يقف المعتبر على اول الحال وآخره ، كانه لا زمن بين الحالين ، فجاءت الفاء في مكانها في الاية لتزيح النظر عن هذه التحولات وتبقي الاعتبار بالحالين ، وبذا قدم الشارح الشيرازي تفسيرا دلاليا ابتعد فيه عن التاويل وحافظ على دلالة الفاء مبتعدا عن اضطراب النحاة بين قائل بان الفاء في هذه الاية ومثيلاتها[8] «قد يكون معها مهلة »[9] ، او «انها بمعنى ثم»[10] ، او تقديرهم لمحذوف يصور المراحل المذكورة لهذا التحول[11] .

---

(١) يوسف ٨٥ .
(٢) الانعام ٦ وينظر : النظام القراني ٢٠٤ .
(٣) الكهف ٤٥ .
(٤) ينظر : نهج البلاغة : الخطبة ١١١، ص ٢٠٦ .
(٥) الراونديّ ١/ ٤٧٥ وينظر : المعتزلّي٢٢٩/٧ والبحراني ٨٤/٣ والتستريّ٤٥٣/١١.
(٦) الشيرازي١٩٨/٢ .
(٧) نفسه١٩٨/٢.
(٨) كما في الحج ٦٣ والأعلى٤-٥.
(٩) تسهيل الفوائد١٧٥ .
(١٠) نفسه ١٧٥ .
(١١) ينظر : ارتشاف الضرب٦٣٧/٢ والجنى الداني١٢١.

٢ - الفاء السببية

هذا المعنى ذكره النحويون ضمن معاني الفاء العاطفة[١] ، وعلل ابن جني صلاحية الفاء العاطفة للدلالة على السبب في مثل قولهم : الذي اكرمني فشكرته زيد ، بقوله : « اختيرت الفاء من بين حروف العطف لان الاكرام علة لوقوع الشكر ، فعطف بالفاء لان المعلول ينبغي ان يقع ثاني العلة بلا مهلة»[٢] ، اي ان دلالة الفاء على الترتيب والتعقيب هو الذي سوّغ مجيئها للتعليل ، وقد صرح الخوئي بافادة الفاء معنى السببية لدلالتها على الترتيب بين المتعاطفين بلا مهلة ، كما في قوله (ع) : (وَإِنَّما أَنتُمْ إِخْوانٌ عَلَى دِينِ اللهِ ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إلا خُبْثُ السَّرائِرِ وَسُوءُ الضَّمائِرِ، فَلا تَوَازَرُونَ ، ولا تَتَاصَحُونَ ، ولا تَبَاذَلُونَ ، ولا تَوَادُّونَ .)[٣] ، اذ قال: « الفاء في قوله :فلا تَوازرون عاطفة مفيدة للسببية ، نحو : يقوم زيد فيغضب عمرو ، اي : صار قيامه سببا لغضب عمرو »[٤] ، فقدم دلالة الفاء على العطف المرتب واشعاره لذلك بالسببية ، وهذا ما المح اليه الشارح البحراني في موضع اخر من النهج[٥] .

واصطلح بعضهم على بعض أمثلة الفاء السببية بالفاء (التفريعية) ، لأنها تفريع للعلل الناتجة من معلول واحد ، من ذلك ما ذكره الخوئي من دلالة الفاء في قوله (ع) : (وَالنّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَم فِيها حَبْلُ الدِّينِ ، وَتَزَعْزَعَتْ سَوارِي اليَقِينِ ...فَهُمْ فِيها تائِهُونَ حَائِرون جَاهِلون مَفْتُونُونَ)[٦] ، فالفاء السببية في هذا الموضع تفيد تفريع الجمع (هم) إلى أصناف متفرقة[٧] . ومثلها الفاء في قوله (ع) : (...فَكَيْفَ وَإِنَّما صَدَرَتْ الأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِه ، المُنْشِئُ أَصْنَافَ الأَشْياءِ ... فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمرِهِ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِه ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِه ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَه رَيْثُ المُبْطِئ ،لاَ وَأَناةُ المُتَلَكِّئ)[٨]. فالفاء في (فتّم) تفريع لتمام الخلق إلى أصناف متعددة[٩].

---

(١) ينظر : الجنى الداني١٢٣ ومغني اللبيب ٢١٥/١ والبرهان ٢٩٨/٤ والاتقان١٦٦/١.

(٢) سر الصناعة٢٥٣/١.

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١١٣ ، ص ٢١١.

(٤) الخوئي ٤٣/٨ وينظر :١٦٩/٦ ، ٣٨١/٤.

(٥) ينظر : البحراني ٣١٤/٢ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢ ، ص ٢٦ .

(٧) ينظر : الخوئي ٤٨/١٥ والشيرازي٥٣/٢ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٥٣ .

(٩) ينظر : الشيرازي٥٣/٢ .

٣ - الفاء الفصيحة

انفرد الخوئي بذكر هذه الدلالة في شرحه قوله (ع) يصف الدنيا : (دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا ، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا)[1]، إذ قال : « الفاء في قوله : فخلط حلالها بحرامها فصيحة ، اي : اذا كانت مهانة على الله فخلط»[2] . وهذا النوع من الفاء لدى النحاة فرع من الفاء العاطفة التي يحذف معها المعطوف عليه ويكتفى بالمعطوف للدلالة عليه ، إذ « هي التي يحذف فيها المعطوف عليه مع كونه سببا للمعطوف من غير تقدير حرف الشرط»[3] ، ومن امثلتهم لهذه الفاء قوله تعالى: ﴿ **أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا** ﴾[4] ، وقوله تعالى: ﴿ **فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** ﴾[5] . وقوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾[6]. اذ قدروا التركيب في هذه الايات بأنه في الأصل : فضرب فانفجرت ، فاكل فلا اثم عليه ، فافطر فعدة من ايام اخر[7] ، وقدرالزمخشري المحذوف بانّه فعل الشرط واداته ، وبقيت الفاء مقترنة بجواب الشرط ، عادا ذلك من الكلام البليغ ، والتقدير هو: فان ضرب فقد انفجرت[8] ، وكذا في سائر المواضع التي تكون الفاء فيها فصيحة. ورفض فريق من العلماء راي الزمخشري هذا ؛ لان فيه حذفا لفعل الشرط والأداة معا[9]. وتابع الخوئي الزمخشري في تقدير المحذوفين مع الفاء الفصيحة وهما فعل الشرط وأداته ، فقدر الجملة في قوله المذكور آنفا بـ«إذا كانت الدنيا مهانة على الله فخلط حلالها بحرامها»[10] . وواضح أنّ هذا التقدير غير موجه. والأظهر أنّ الفاء باقية على دلالتها على تعقيب الاحداث وربطها بعضها ببعض على الترتيب، فان الامر بضرب الحجر صدر من رب العزة لموسى (ع) ، فأذعن موسى لهذا الامر. وجاء اقتران الفاء بانفجار العيون دالا على الترتيب المتلاحق ، فلا حاجة لتقدير فعل الضرب ، او تقدير اداة للشرط وفعلها كما في : فاذا ضرب فانفجرت. إذ هو تقدير يصرف الدلالة الى عدم قبول موسى بالأمر الالهي قبولا سريعا فضلا عن أنه مخير بين أن يضرب أو لا يضرب . وظاهر القرآن لا يوحي بذلك. والكلام نفسه يقال في (فلا اثم عليه) بعد (فمن اضطر) اذ ان فعل الاضطرار دال بمعناه على حصول الاكل ولا حاجة لتقدير : فاكل ، وكذلك كون الصائم في حالة المرض او السفر تدل على حصول الافطار منه ولا حاجة لتقدير : فافطر ، وانما يحتاج الكلام الى التعقيب بالحكم مباشرة ، لذلك ارتبط بالفاء ليكون الجواب : فعدة من ايام اخر.

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١١٣ ، ص ٢١٠ .
(٢) الخوئي ٤٢/٨ وينظر : ٨/ ٤٣٨ .
(٣) دراسات لأسلوب القرآن ٢٤٧/٢.
(٤) الأعراف ١٦٠
(٥) البقرة ١٧٣.
(٦) البقرة ١٨٤ .
(٧) ينظر : البيان في غريب إعراب القران ٨٥/١ وشرح التصريح ١٥٤/٢ .
(٨) ينظر: الكشاف ١٤٤/١
(٩) ينظر : البحر المحيط ٣٧٣/٤ والبرهان ١٨٢/٣ ودراسات لأسلوب القرآن ٢٤٦/٢ .
(١٠) ينظر: الخوئي ٤٢/٨ .

٤ – الفاء البيانية

استنبط المعتزلّي هذا النوع من الفاءات من قوله (ع) : (فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيا مِنْ الدُّنْيا مَا تَحْرِزُونَ بِهِ أَنفُسَكُمْ غَدًا .فَاتَّقَى عَبْدٌ ربَّه ، نَصَحَ نَفْسَهُ ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ،فَإِنّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ)[1] . اذ بيّن ان الفاء في قوله : فاتقى عبد ربه «لبيان ماهية الامر الذي يحرّز الانسان به نفسه ، ولتفصيل اقسامه وانواعه ، كما تقول : فعل اليوم فلان افعالا جميلة ، فاعطى فلانا ، وصفح عن فلان ، وفعل كذا »[2] ، وتابعه في هذا فريق من الشراح[3].

ومعنى البيان الذي ذكره المعتزلّي للفاء يقرب من مجيئها للتعليل ، فانها اعقبت الامر بالتزود في الدنيا بما يحرّز النفس ويحفظها باتقاء العبد ربه ، ونصحه لنفسه ، وتقديمه لتوبته ، وهو ما بينه فريق اخر من شراح النهج[4].

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٦٤ ، ص ١٠١ – ١٠٢.

(٢) المعتزلّي٥/١٤٦ .

(٣) ينظر : البحراني ١٦٥/٢ والخوئي ٤٠٤/٤ وعبده١٢٠/١ والتستريّ ١٣١/١١ .

(٤) ينظر : الشيرازي٢٥١/١ والموسوي٣٨٩/١ .

المطلب الثالث : دلالة اللام

كثرت الدلالات التي تلمسها الشّرّاح لحرف اللام ، تبعا لكثرتها لدى علماء العربيّة الذين اوصلوها إلى ما يزيد على العشرين[١] .ويمكن توحيد هذه الدلالات المتعددة على معنى واحد ترجع اليه الانواع جميعها ، وهو ان اللام تفيد المآل والغاية[٢]. وهذا معنى فرعيّ للام ذكره شراح النهج[٣] ومن سبقهم من اللغويين واصطلحوا عليه بـ (لام العاقبة) او (لام الصيرورة) او (لام المال)[٤]. ومعاني اللام التي ذكرها الشّراح هي :

١ - اللام بمعنى إلى.

تشترك اللام مع (الى) في أنهما يفيدان انتهاء الغاية[٥]. والفرق بين الحرفين هو إنّ طرفي الغاية مع الحرف (الى) شيء واحد ، اي ان الغاية اذا ابتدات زمانية فانها مع الحرف (الى) تنتهي زمانية ، وكذا اذا كانت مكانية. اما مع اللام فلا يشترط ذلك[٦]. من ذلك تفسير الشّرّاح لقوله تعالى : ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾[٧]. اذ جعل الشارحان المعتزلّي والخوئي اللام بمعنى (الى) : اي : فقير الى ما انزلت الي من خير[٨]. والمعنى مع اللام واضح لان ابتداء فقر موسى كان في ظرف مكاني ،على حين انتهى وآل فقره (ع) الى غاية غير محددة ،وهي ما انزل اليه من خير.

٢ - لام التخصيص

ومثالها لدى الشّرّاح ما في قوله (ع) : (أَحَالَ الأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا . وَقَرَنَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا)[٩] فاللام في (لأوقاتها) تدلّ على التخصيص ، والمعنى : أنّه تعالى أَحال كلّ شيء يحدث في الكون لوقته الذي اختصّ به[١٠] . وكذا ما في قوله (ع) : (صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا ، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ)[١١] ، فاللام في (صل الصلاة لوقتها) ، تفيد تخصيص الصلاة بوقتها المعلوم وكذا دخول الوقت سبب للصلاة فتكون « اللام للتخصيص والتعليل»[١٢].

---

(١) ينظر : مغني اللبيب ٢٧٥/١ والجنى الداني ١٦٠ . (٢) ينظر : اللغة الموحدة ٣١٠ .

(٣) ينظر : الراونديّ ٧٥/١ و ٢٩٤/٥ والمعتزلّي ٢٩٤/٥ و ٣٢٨/١٨ ومغنية ١٤٢/٦ .

(٤) ينظر : الكتاب ٢١٧/٤ واللامات للنحاس ١٣ واللامات للزجاجي ١٢٥ والمقتضب ٣٣٧/٢ ومعاني الحروف ٥٦ والمخصص ٤/ ٥٠/١٤ والجنى الداني ١٦٠ ومغني اللبيب ٢٧٥/١ وتسهيل الفوائد ١٤٥.

(٥) ينظر :مغني اللبيب ٢٨٠/١ .

(٦) ينظر : النظام القراني ٢٤٥ .

(٧) القصص ٢٤ .

(٨) ينظر : المعتزلّي ٢٣١/٩ والخوئي ٣٦٠/٩ .

(٩) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨ . (١٠) ينظر: الراونديّ ٥٢/١ والكيدريّ ١٢٨/١ والشيرازي ١١٨/١.

(١١) نهج البلاغة : الرسالة ٢٧، ص ٤٨٧ . (١٢) البحراني ٣٧٧/٤ وينظر : الراونديّ ٦٤/٣

ويتضح معنى التخصيص بالنظر إلى تعدد اوقات الصلاة . فالوقت هو « المعيّن لادائها فيه ، ولم يقل : في وقتها ، فاللام فيه تخصيص»[١]. ولو ترك الشّراح دلالة اللام على اصلها لصار معنى كلامه (ع) : ان التهيؤ للصلاة يبدا قبل

وقتها المؤقت لها ليكون مآله ومنتهاه الى ذلك الوقت ، فلا يقدمها على وقتها ولا يؤخرها ، وانما يصليها في وقتها بعد ان هّيا نفسه لذلك . وكأنّ تهيئة النفس للصلاة ضابط للالتزام بوقتها المخصوص ، ولذا ناسب التعبير عن هذا التهيؤ باللام.

٣- لام الامهال

ذكر الشراح[٢] هذا المعنى في شرح قوله (ع) : (فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَه بِغَيْرِ نَفْسِه تَحَيَّرَ فِي الظُّلُماتِ ، وَارْتَبَكَ فِي الهلَكَاتِ ، وَمَدَّتْ لَه شَيَاطِيْنُه فِي طُغْيَانِه)[٣] ، فاللام في (مدت له شياطينه) دالة على الإمهال . وروي أيضا : (مدّت به) و(مدّت فيه) ، وحمل الشّراح الباء و(في) على الإمهال أيضا. ويمكن القول ان معنى الامهال داخل ضمن معنى اللام الاصلي الذي هو المآل والعاقبة ،على حين لا يتساوى هذا المعنى مع دلالة الباء او (في) المتعلقتين بالفعل نفسه ؛ اذ المعنى مع حرف الباء يراد به ان من شغل نفسه بغير نفسه اتخذ الشياطين واسطة لتمدّه في الطغيان. على حين يكون المعنى مع حرف الجر (في) ان من شغل نفسه بغير نفسه صار مكانا لغواية الشياطين. وهذان المعنيان يفرقان بالتاكيد عن استعمال اللام مع الفعل (مد) الذي يعني ان من شغل نفسه بغير نفسه صار مآلا أو غاية لطغيان شياطينه.

٤ -لام للتعليل

واصطلح عليها بعضهم بلام الغرض[٤]. ومن امثلتها[٥] ما في قوله (ع) في وصف المؤمن : (اوجف الذكر بلسانه ، وقدّم الخوف لأمانه)[٦] ، فاللام في: قدّم الخوف لامانه تدل على التعليل[٧]، وتقدير الكلام: « إن المؤمن قدّم خوفه ليأمن »[٨]. اي ان الامان صار سببا لتقديم الخوف. ويمكن القول : إنّ اللام باقية على معناها، فمآل تقديم المؤمن

---

(١) المعتزلّي١٥/١٦٨وينظر :الموسوي٤/٢٢٤ .

(٢) ينظر: الراونديّ٢/١٠٨ والمعتزلّي٩/٢١٣ والبحراني ٣/٢٦٩ والخوئي ٣/٢٢٨ والشيرازي٢/٤١١ والتستريّ١٢/١٦٩ وابو الفضل١/٣٦٧ ومغنية٢/٤١٢.

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٥٧ ، ص ٢٧٦.

(٤) ينظر : الراونديّ ٣/٥١ والبحراني ٤/٢١٢ و ٢٣٢ .

(٥) للمزيد ينظر : البحراني ١/١٧٥ والخوئي ٢/٤١ و ٨/١٦ والشيرازي٤/٣٧٥ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ ، ص ١٣٠.

(٧) ينظر : المعتزلّي٦/٢٦٦ وعبده١/١٥٤ وابو الفضل١/١٥٩ .

(٨) المعتزلّي ٦/٢٦٦ وينظر: البحراني ٢/٢٥٧ والخوئي ٦/٣ والتستريّ ١٢/٢٥٢ ومغنية١/٣ والشيرازي١/٣٣٠ .

خوفه هو حصوله على الامان. ولا يتوقف الامان على الاخرة واهوال القيامة كما فسر معظم الشراح[١]. إذ إنّ ترك اللام على دلالتها على المآل والعاقبة يجعل صور الامان متعددة ، فخوفه ينتهي به الى الامان من اهوال الموت والقبر والبعث والحشر ، والصراط والحساب وغير ذلك مما لم يقّيده الامام (ع) في كلامه . ومن ذلك –ايضا- ما في قوله (ع) : (لا يستقيم قضاء الحوائج الا بثلاث : باستصغارها لتعظم ، وباستكتامها لتظهر ، وبتعجيلها لتهنأ)[٢] ، فكثير من

الشّرّاح عدّ اللام في هذه المواضع للتعليل[٣] ، اي ان استصغارالحوائج علّة لعظمها، وكتمها علة لظهورها ، وتعجيلها علة لحصول الهناء . وهذا المعنى تابع لفهم الشّرّاح لا لمعنى اللام ، فدلالة اللام على المآل هي المرادة من النص ؛ لان استصغار الحوائج يؤول إلى تعظيمها ، واستكتامها يؤول إلى ظهورها ، وتعجيلها ينتهي إلى الهناء بها. ولم يقل بهذا التوجيه الا مغنية الذي ذكر ان اللام « للعاقبة مثل قوله (ع) : ان لله ملكا ينادي في كل يوم : لدوا للموت »[٤].

٥ - **لام التمليك** . إذ اجمع الشراح على هذا المعنى[٥] لّما شرحوا قوله (ع) عند دفنه الزهراء (عليها السلام) : (السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي وَعَنْ ابْنَتِكَ ... إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون ، فَقَدْ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ)[٦]. إذ بينوا ان معنى: (إنا لله) اي: «عبيده ،كما تقول: هذا الشيء لزيد ،اي: يملكه»[٧]. وواضح أن التملك مفهوم من الالفاظ المحيطة بالتركيب ، وهي : وديعة ورهينة . ومعنى المآل هو المقصود من اللام ؛ فكل ملك مآله ومنتهاه لمالكه ، والله عزّ وجل مالك الملك جميعا

٦ - **لام التعجب** . وهذه الدلالة مفهومة من التراكيب : (لله ابوهم)[٨] و(لله اباؤكم)[٩] و(لله انتم)[١٠]. إذ ذهب الشّرّاح الى ان اللام في هذه التراكيب تفيد التعجب[١١]، ولم يجز الشارح البحراني دلالتها على العاقبة « اي: الى الله مصير ابائكم ، لأنّه بذلك يخرج الكلام عن معنى التعجب والاستعظام »[١٢]، فالمانع لدى البحراني من ابقاء

---

(١) ينظر : الشيرازي ٣٣٠/١ والتستريّ ٢٥٢/١٢ وعبده ١٥٤/١ ومغنية ٤٠٣/١ .

(٢) نهج البلاغة الحكمة ١٠١ ص ٦١٧ .

(٣) ينظر : البحراني ٢٩١/٥ وعبده ٦٤/٢ والخوئي ٣٢٨/٢ والشيرازي ٣٠٦/٤ والموسوي ١٠١/٥ .

(٤) مغنية ١٤٢/٦. وينظر : نهج البلاغة الحكمة ١٣٢ ص ٦٢٧ .

(٥) ينظر : المعتزلّي ٢٦٨/١٠ والبحراني ٣/٤ والخوئي ١٣/١٣ والتستريّ ٢٩١/٢ والشيرازي ٢٨٧/٣.

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٢ ، ص ٤٠٢ .

(٧) المعتزلّي ٢٦٨/١٠ وينظر : ٢٥٥/١٨ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ ، ص ٦٣ .

(٩) المصدر نفسه : الخطبة ٢٠٣ ، ص ٤٠٤ .

(١٠) نفسه : الخطبة ١٨٠ ، ص ٣٢٥ وينظر : الشيرازي ٨٤/٣ .

(١١) ينظر : البيهقّي ١١٨ والكيدريّ ١٧٥/٢ والبحراني ٧/٤ و ٨٧ وعبده ٢٤٢/٢ والخوئي ٣٩٢/٣ و ٤٠/١٣ والشيرازي ١٥٦/١ و ٣٩٤/٣.

(١٢) البحراني ٧/٤ .

اللام على العاقبة هو اصطدامها مع معنى التعجب المراد من ظاهر هذه التراكيب . وجوز البيهقّي دلالتها على العاقبة،والاختصاص « اي: اختص بالله اباؤكم »[١]. وكذا جوز الخوئي دلالتها على التعجب والاختصاص[٢]. والحقيقة ان معنى التعجب مفهوم من مناسبة القول ونغمة السياق ، لا من (اللام). فآباء المخاطبين مآلهم الى الله تعالى حقيقة لا تحتاج إلى تأويل ، واستدعاء الامام (ع) لهذه الحقيقة إنما هو في مقام التعجب من نجاحهم أو فشلهم . وقد صرح الشّراح بأنّ هذه التراكيب يراد بها مدح المخاطب او ذمه ، بحسب اختلاف المقام ولم يشيروا إلى أثر النغمة في جلاء المعنى . فكل من : (لله ابوك ، ولله درك ، ولله انت) يراد بها مدح المخاطب وتفضيله باضافتها الى الله ، كما قيل :

بيت الله ، وناقة الله[٣] ، و « العرب تقول : لله بلاد فلان ، ولله در فلان ، ولله نادي فلان ، ولله نائح فلان ، والمراد بالاول : لله البلاد التي انشاته وانبتته ، وبالثاني : لله الثدي الذي ارضعه ، والثالث : لله المجلس الذي تربى فيه...»[٤] ، وقد تسعمل في الذم «بمعنى ان الله يقدر ان يعالجهم وينتقم منهم»[٥] ، ولما كان هذا التركيب يصح استعماله في المدح او الذم صح خروجه الى التعجب من صفة المدح او صفة الذم حسب المقام وسياق الكلام ، لا حسب دلالة اللام . فاللام دالة على المآل وهو جلي ظاهر .

٧- لام الاستغاثة

وهي مفهومة لدى شراح النهج من التراكيب : (فيا لها حسرة)[٦] ، و(يالَـه ُخطبا)[٧]، و(يا لَها أمثالا صائبة)[٨]. إذ ذهبوا إلى أنّ اللام في مثل هذه التراكيب دالة على الاستغاثة ، وعدها بعضهم للتعجب[٩]. واللام باقية في هذه التراكيب دالة على المآل والانتهاء فيكون التعجب مفهوما من تمكن الحسرة والخطب وعدم الصواب من نفوس القوم إلى نهاية الأمر. والتعجب مستحصل بنغمة السياق عموما لا من اللام وحدها.

٨- اللام الزائدة

وهي التي تزاد على التركيب ولا تفيد معنى معينا . كما في قوله (ع) يصف الخلافة : (فصيرها في حوزة خشناء ، يغلظ كلامها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة ، ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم)[١٠]. إذ ذهب الشّراح - متابعين الرضيّ - الى ان اللام في (أشنق لها) لا معنى لها ، وفائدتها لفظية

---

(١) البيهقّي٣١٣ .
(٢) ينظر : الخوئي ٢٧٦/١٠ .
(٣) ينظر : البيهقّي١١٨ والكيدريّ٢٣٩/١ .
(٤) عبده٢٤٢/٢ .
(٥) الشيرازي٨٤/٣ وينظر : ٢٩١/٣ .
(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٦٤ ، ص ١٠٢
(٧) نفسه : الخطبة ١٦٢، ص ٢٨٩ .
(٨) نفسه : الخطبة ٨٣ ، ص ١٢٦ .
(٩) ينظر: الراونديّ١٢٥/٢ الكيدريّ٣٣١/١ والمعتزلّي١٤٧/٥والبحراني ١٦٨/٢ والسرخسي٤٨/١ ومغنية٣٢٦/١ والتستريّ١٣٧/١١ والشيرازي٢٥٢/١ و ٣٢١/١ و ٤١٥/٢ .
(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص ٢٩ .

فحسب ، إذ زيدت في (أشنق لها) لمقابلة اسلس لها[١]، أو للازدواج بينهما[٢] ، او للتحلية والتشاكل[٣]، او لموازنة الكلام[٤]. وإنما حكم الشّرّاح بزيادة اللام في (أشنق لها) ؛ لأن الفعل أشنق متعد بنفسه ، يقال : اشنق الناقة اذا جذب رأسها بالزمام فرفعه[٥]. ويمكن القول : ان اللام في هذا الموضع على معناها الأصلي وهو بلوغ شنق أنف الناقة المآل والمنتهى ، فتكون النتيجة خرم أنفها بجذب اللجام بدلا من إيقافها ، وهذا يعني ان راكب الناقة الصعبة بدأ شدّ اللجام شيئا فشيئا حتى انتهى إلى الغاية في جذبه وهي تنازعه فآل الأمر إلى خرم أنفها. وكذا خلافة المسلمين آنذاك لا تنفع معها شدة مفرطة ولا لين دائم وإنما هو أمر بين أمرين . ولو لا وجود اللام لكان جذب اللجام في فم الناقة شنقا ابتداء ، إذ الشنق أعلى مراحل الجذب .

٩ - لام التوكيد

التوكيد باللام لدى الشّرّاح تبعا للنحويين[٦] معنى يستحصل من لام الابتداء واللام المزحلقة واللام المعترضة ولام التقوية وغير ذلك [٧] ، كما في قوله (ع): (لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ)[٨] وقوله (ع): (وإنّا لأُمراءُ الكَلام)[٩]. وقوله (ع) :(وإنَّ مِن أُبغَضِ الرِّجَالِ إلى اللهِ تَعالى لَعَبْدٌ وَكَلَهُ اللهُ إلى نَفْسِهِ ،جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ)[١٠]. ويمكن القول: إنّ التوكيد مفهوم من (إنّ). اما اللام فقد دلت في القول الأول على إنّ أقصى ما يبلغه الضرب بالسيف أهون على الإمام من ميتة الأشقياء ، وفي القول الثاني دلت على إنّ مآل امارة الكلام إلى أهل البيت (ع) . وفي القول الثالث دلّت على ان البغض يبلغ منتهاه مع هذا الصنف من الرجال .

ومن أمثلة اللام التي تفيد التوكيد وتقوية المعنى لدى الشّرّاح . اللام التي في التراكيب: (لا ابا لكم)[١١]، و (لا ابا لغيركم)[١٢] . إذ هي لام مزيدة مؤكدة[١٣]. وهي – أيضا - «لام مقحمة ، والمراد الاضافة»[١٤]. وأصل

---

(١) ينظر : البيهقّي٨٣ والراونديّ١٢٠/١ والكيدريّ١٦٢/١ والمعتزلّي١٦٣/١ والبحراني ٢٥٣/١ والخوئي ٤٨/٣ والشيرازي٦٤/١ وابو الفضل٨٦/١ والموسوي٧٤/١ .

(٢) ينظر : انصاريان٧٠/١ .

(٣) ينظر : عبده٣٩/١ .

(٤) ينظر : السرخسي٤٨/١ .

(٥) ينظر : المعتزلّي٢٤٠/١ والخوئي ١٦١/٣ وانصاريان٨٨/١ .

(٦) ينظر: مغني اللبيب ٢٨٤/١ - ٢٩٠ .

(٧) ينظر : الشيرازي٢٩٠/١ والبحراني ١٨٢/٥ وعبده١٥٤/١ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ١٢٣ ص ٢٢٧ .

(٩) المصدر نفسه : الخطبة٢٣٣، ص ٤٤٩ وينظر : الخوئي ٣٣/١٥ .

(١٠) نفسه : الخطبة ١٠٣، ص ١٨٧. وينظر : مغنية ٤٠٠/٢ .

(١١) نفسه : الخطبة ٣٦ ، ص ٨٠ والخطبة ٣٩ ص:٨١ .

(١٢) نفسه : الخطبة ١٨٠، ص ٣٢٥ والرسالة ٤١ ص:٥٢٥ .

(١٣) ينظر : البيهقّي٢١٩ والمعتزلّي٦٨/١٠ والبحراني ٩٣/٢ والخوئي ٢٧٤/١٠ .

(١٤) المعتزلّي٣٣/١٧ ، وينظر : البيهقّي٢١٩ والكيدريّ٢٧١/١

التركيب: لا اباك ، واقحموا اللام للتاكيد[١]. وذكر الشّرّاح ان هذه التركيب تستعمل في الدلالة على المدح او الذم معا ، فالمدح بمعنى انك في هذا الامر منفرد لا اب لك يكفيك ، ولا كافي لك الا الله ، والذم بمعنى انّه لقيط لا يعرف له اب ، او على سبيل الدعاء ، اي: فقدت اباك[٢]. ونبه الشيرازي على انه «بالقرينة يعرف المراد»[٣] من التركيب هل هو للمدح ام للذم ، وهذا إشارة إلى أثر النغمة في تمييز المعنى .

ومن هذه اللامات لام القسم ، إذ ذكر شراح النهج ان اللام المستعملة للقسم تفيد التوكيد[٤] ، وبهذا فسروا اللام في (لَعَمْرُ اللهِ)[٥] مقدرين خبرا محذوفا هو : قسمي . إذ هو قسم ببقاء الله . ويبدو أن اللام في مثل هذا التركيب دالة على المآل والغاية في حصول مفهوم الخبر الذي هو أعلى ما يمكن أن يقسم به المتكلم ليؤكد كلامه ، فالتوكيد مستحصل من هذا التركيب القسمّي كله لا من اللام وحدها ، وفي ذكر اللام وما تعلقت به كفاية عن تقدير كلام محذوف يعرب

خبرا ، والأولى أن يكون هذا التركيب وما يشبهه من نوع المبتدأ المستغني عن الخبر لوضوح مدلوله[٦]. وكذا اللام الواقعة في جواب لو ، إذ هي للتوكيد اتفاقا ، ومثالها ما في قوله (ع) : (ولو اراد الله سبحانه لانبيائه حيث بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذهبان... لفعل...ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء)[٧]. فقد ذكر الشّرّاح انّ اللام واقعة في جواب لو للتوكيد[٨]. ويمكن القول: إن اللام تفيد أن امتناع فتح الكنوز للأنبياء يجرى مآله وتنتهي غايته إلى مشيئة الله تعالى ، فإذا شاء الله تعالى ذلك فتحت تلك الكنوز. ثم إنّ عاقبة فتح الكنوز ستؤول إلى سقوط البلاء وانتهاء الجزاء فلا جنة ولا نار حينئذ . ومثل هذه اللام ما في قوله تعالى : ﴿ **ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ... ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم** ﴾ [٩]. وفيه اللام تفيد أن مآل بصرهم ينتهي إلى حيث حصول المشيئة الإلهية بطمسه ، وكذا عدم مسخهم ينتهي إلى حيث يشاء الله .

١٠ - اللام بمعنى الباء

ذكر الشّرّاح هذا المعنى[١٠] في شرحهم قوله (ع) : (اللهم إنّك آنسُ الآنسين لأوليائك)[١١]، وما قادهم الى تفسير اللام بمعنى الباء كون الفعل (أنِس) المجرد يتعدى بالباء ، يقال: أنِسَ الانسان بالشيء ، اذا لم

---

(١) ينظر: ارتشاف الضرب ٤٣٣/٢

(٢) ينظر : البيهقّي٢١٩ والكيدريّ٥٨٣/١ و ٤٨٩/٢ والبحراني ٩٣/٢ والسرخسي١٢٤/١ و ١٦٨ وانصاريان١٣٨/٣ والشيرازي١٩٦/١ ومغنية ٥٣٤/٢ و ٣٩٤/٥ والسامرائي٧٩ .

(٣) الشيرازي ١٩٦/١ .

(٤) ينظر : الخوئي ٣٤٤/٣ وانصاريان٧١/١ و ١٥٠ والتستريّ١٢٤/٨ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ص ٢٩ والخطبة٣٤ ص٧٦ والخطبة١١٩ ص٢٢١ والخطبة١٩٢ص٣٦٣ .

(٦) ينظر: نحو القرآن ١٩ -٢١.

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص٣٦٧.

(٨) ينظر : البحراني ٦٦/٤ والتستريّ٦٦/٦

(٩) يس ٦٦-٦٧.

(١٠) ينظر :الراونديّ٤٠١/٢والمعتزلّي٢٦٧/١١البحراني ٩٤/٤وعبده٣٨٤/١ومغنية٣٢٧/٣والشيرازي٣٩٢/٣وابو الفضل٥٣/٢.

(١١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٧ ، ص ٤٤٢ .

يستوحش منه[١]. وقدر المعتزلّي المعنى بقوله : « انت اكثرهم انسا باوليائك وعطفا وتحننا عليهم »[٢] ثم استدرك قوله: « كان القياس ان يقول : انك آنس المؤنسين لان الماضي أفعل ، وانما الانسون جمع آنس ، وهو الفاعل من أنِسْت بكذا لا من آنست)[٣]. وشنّع عليه الخوئي ؛ لأن قياس المعتزلّي « لا يكاد يفهم له معنى محصل »[٤]. ثم جوز الخوئي أن تكون اللام بمعنى الباء ، وأنها « تفيد كون الاولياء مانوسا بهم ، وتسمى هذه اللام لام التبيين ؛ لتبيينه المفعول من الفاعل »[٥]. أو أن اللام باقية على معناها ويكون أنس متضمنا معنى أحبّ « وانما عدل عليه السلام عن الباء الى اللام مع كون الباء اصرح واقيس تضمينا للانس معنى الحب ، فان الانس بمعناه الحقيقي كالوحشة من صفات الاجسام ، لا يمكن اتصافه تعالى به ، فيراد ما يلازمه وهو الحب»[٦]. وأنكر التستريّ ما ذهب إليه المعتزلّي من قياس استدركه على متن النهج . وكذا ما ذهب إليه الخوئي من وجهين بعيدين في تأويل معنى الكلام. فذهب الى ان اللام

باقية على معناها دونما تضمين ، وفي لفظة (الآنسين) تحريف ، فـ «الظاهر ان الآنسين محرّف الانيسين ؛ لان اولياء الله تعالى مستانسون به تعالى وبذكره ، لا انه تعالى مستأنس بهم»[٧]. ويبدو بعد ما اقترحه التستريّ ؛ لأنّ (آنس الأنيسين) يكون تقديره : إنك ملهم الأنيسين إنسهم ، فلا يحتاج إلى تطويل التركيب (بأوليائك). ويمكن القول ان الالفاظ في هذا الموضع لا تضمين فيها ولا تحريف ، فاللام أفادت أن يكون أنس الأولياء غايته هو الباري جل وعلا، وليست اللام واسطة للانس بين الذات الالهية والعباد كما هو ظاهر من استعمال الفعل انس مع الباء.

١١ - اللام بمعنى في

ومثالها ما في قوله (ﷻ) : (... فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيامِكُم ، وَاصْبِرُوا لَها أَنفُسَكُم ، فَإِنَّما قَلِيلُ فِي كَثِيرِ الأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُم فِيها الغَفْلَةُ ، والتَّشَاغُلُ عَنِ المَوْعِظَةِ .)[٨]، فاللام في (واصبروا لها انفسكم) لدى فريق من الشّرّاح بمعنى (في) ، اي : واصبروا فيها[٩] ، واستدلوا على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [١٠] . وذهب فريق اخر الى أنّ اللام في هذا الموضع بمعنى (على)[١١] لكثرة استعمال الفعل صبر متعديا بـ (على) في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿**فما اصبرهم على النار**﴾ [١٢]. ويمكن القول: إنّ اللام باقية على معناها الأصلي وهو المال والعاقبة ، وليست بمعنى (في) ولا (على) . لانه (ﷻ) امر بالصبر لهذه الايام، اي انه (ﷻ) امرهم بان يصبروا

---

(١) ينظر : المقاييس٩١ والقاموس المحيط ٤٩٢ .
(٢) المعتزلّي٢٦/١١ .
(٣) نفسه٢٦٧/١١ .
(٤) الخوئي ٣٤٣/١٤ وينظر : التستريّ٢٣/٧ .
(٥) نفسه ٣٤٣/١٤ وينظر : ٢٩١/١ .
(٦) نفسه٣٤٤/١٤ .
(٧) التستريّ٢٣/٧ .
(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٨٦، ص ١٣٩.
(٩) ينظر : الشيرازي٨/٢ ومغنية٢٠٤/٢ .
(١٠) الانبياء ٤٧ .
(١١) ينظر : المعتزلّي١٦٢/١ والبحراني ٢٥٧/١ والخوئي ١٢٦/٦ وعبده١٦٣/١ والموسوي٤/٢ .
(١٢) البقرة ١٧٥ .

انفسهم ويجعلوها مستعدة على تحمل بقية الايام التي ستأتيهم ، فاللام افادت الاستقبال والغاية ، وسياق كلامه (ﷻ) يتحدث عن حوادث مستقبلية ، اذ استعمل حرف الاستقبال مع الفعل (استدركوا) ، وكذلك التركيب (بقية ايامكم) ، اذ البقية ياتي بعد مضي اكثر الشيء . وكذا القول في الاية الكريمة ؛ لأن وضع الله تعالى للموازين لا يكون في ذلك اليوم فقط ، واذن لقال : في يوم القيامة ، فجاء القرآن باللام ليفهم منه ان وضع الموازين قبل يوم القيامة ليؤول الوضع الى ذلك اليوم ويكتمل فيه ، و(وضع الموازين في يوم القيامة) يفهم منه انه تعالى يضع الموازين والقوم يحاسبون في ذلك اليوم ، على حين التركيب (وضع الموازين ليوم القيامة) يعني أنّ مآل وضع الموازين هو هذا اليوم الذي لم يأت بعد . واستعمال الحرف (على) يفيد معنى الاستعلاء والغلبة والقهر والهيمنة . ولم يرد في قوله (ﷻ) مع الفعل (صبر) ؛

لان كلامه (ع) في الصبر على الايام القادمة بما تحمله من مشقّة وعذاب ولذّة وامتحان وانواع الابتلاءات ، ولم يحدد الامام (ع) نوع المصبور عليه ان كان في عذاب او متعة من متع الدنيا ولذا استعمل اللام.

١٢ - اللام بمعنى (على)

ذهب اغلب شراح النهج الى مجيء اللام بمعنى (على) في قوله (ع) في الشقشقية : (..حتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ)[١] واستدلوا على هذا المعنى بقول الشاعر[٢]:

فخرَّ صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ

أي على اليدين وعلى الفم ، لأن الخرّ سقوط من علّو. ومضى على سبيله معناه مات ، والسبيل يمضى عليها لا إليها لأنها لا تعقل[٣]. واللام هنا افادت أنّ مضي الأول لسبيله كان بالتدرج شيئا فشيئا فكان المآل هو السبيل المعروف لكل نفس بشرية وهو الموت ، وربما لا يتوقف المآل عند هذا بل ثمة اشارة في لفظة السبيل الى ما بعد الموت من برزخ وبعث وحشر وحساب. ولا يستحصل مثل هذا التفصيل مع غير اللام.

١٣ - احتمال اللام لأكثر من معنى .

ثمة لامات في النهج اضطرب الشّرّاح بشأنها على عدة أقوال لتفاوتهم في فهم معنى الكلام ، كقوله (ع) : (أَحَالَ الأشياءَ لأوقاتِها ، ولاَءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِها)[٤] ، إذ اختلف الشّرّاح في لام (لأوقاتها) على أربعة أقوال: الأول: إنها بمعنى (إلى) أو (مع) ، والفعل (احال) بمعنى تحوّل وتغير وانقلب من حال الى اخر[٥]. والتقدير: «نقل كلا منها الى وقتها »[٦] او « كل يدور مع الوقت اللايق به »[٧].

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، ص ٣٠ .

(٢) من شواهد الأزهية ٢٩٩ ومغني اللبيب١/٢٨٠ والجنى الداني١٤٦ .وقد تبين لمحقّق الأزهية أن الشطر منسوب إلى عدة شعراء .

(٣) ينظر : المعتزلّي١/١٦٢ والبحراني ١/٢٥٧ والخوئي ٣/٤٩ وانصاريان١/٦٦ والشيرازي١/٦٢ وابو الفضل١/٣١٠ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١ص ١٨ . (٥) ينظر : المقاييس ٢٩٠ .

(٦) انصاريان١/٣١ وينظر : الخوئي ١/٣٥٣ وعبده١/١٨. (٧) السرخسي١/٣٨ .

الثاني: انها بمعنى التعليل ، اي ان احالة الاشياء « لاجل اوقاتها، اذ كل وقت يستحق بحسب قدرة الله وعلمه ان يكون فيه ما لا يكون في غيره»[١].

الثالث : اللام بمعنى (في) أو (على) والفعل (احال) بمعنى اقر الاشياء[٢] ، من حال في متن فرسه، اي: وثب[٣]. والمعنى انه تعالى « لما اقر الاشياء في احيانها واوقاتها صار كمن احال غيره على فرسه »[٤]. الرابع : اللام دالة على التخصيص أي أن كل شيء مخصص بوقت محدد[٥] .

ويمكن ردّ هذه اللام إلى المعنى العام وهو المآل والعاقبة ، وقد اقترب من هذا المعنى الشارح مغنية حين بين ان قوله (ع) :« لاوقاتها يومئ الى ان العالم لم يخلق دفعة واحدة بل على التدريج »[٦]. اي ان كل شيء في العالم أحاله تعالى الى وقت خاص به ، ومآل هذه الإحالة ومنتهاها هو انبثاق ذلك الشيء في عالم الوجود .

(١) البحراني ١٣٢/١ .

(٢) ينظر : المقاييس ٢٩٠ .

(٣) ينظر : الخوئي ٣٥٣/١

(٤) المعتزلّي ٨١/١ وينظر : عبده ١٨/١ وابو الفضل ١٦/١ والموسوي ٢٥/١ .

(٥) ينظر: الموسوي ٢٥/١ -٢٦.

(٦) مغنية ٢٧/١ .

المطلب الرابع : دلالة الواو

ذكر الشّراح عدة معان للواو هي:

١ - دلالة الواو العاطفة على الجمع المطلق .

اقر شراح النهج دلالة (الواو) العاطفة على معناه الاصلي وهو الجمع المطلق[١] ، في كثير من مواضع النهج[٢] ، والمراد بالجمع المطلق ان (الواو) تجمع بين المتعاطفين وتشرك بينهما في المعنى والإعراب ، فهي تعطف الشيء على مصاحبه وعلى سابقه وعلى لاحقه ، كقولنا : جاء زيد وعمرو . فالمجيء « يحتمل ان يكون حصل من كليهما في زمان واحد ، وان يكون حصل من زيد اولا ، وان يكون حصل من عمرو اولا ، فهذه احتمالات عقلية لا دليل في الواو على شيء منها»[٣] . وقد اجمع النحويون على دلالة (الواو) هذه ، باستثناء بعض الاراء الذاهبة الى افادتها ترتيب

الحدث بين المعطوف عليه والمعطوف[٤] ، وقد رُدّ هذا الرأي بأنّ الواو « لو كانت للترتيب موضوعة لم تكن الا مرتبة ، فظهور عدم الترتيب في بعض الكلام يشهد انها ليست موضوعة له ، لكن المتكلم يقدم في كلامه الذي هو به اعنى ، وبيانه اهم»[٥]. واوضح الدكتور فاضل السامرائي الدلالة الدقيقة لهذا الحرف حين جعل الترتيب ممكنا ضمن دلالة الواو لكنه غير مقيس فيها بقوله :« ليس معنى قولنا انها تفيد الترتيب انها لا تاتي للترتيب البتة ، بل قد تاتي للترتيب وتاتي لغيره ، فقد يصح ان يكون المعطوف بعد المعطوف عليه ، كما يصح ان يكون قبله او مصاحبا له»[٦].

ومن أمثلة الشراح[٧] لمجيء الواو دالة على الجمع المطلق المرتب ما جاء في قوله (ع) في توحيد الله تعالى: (فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبحانه فَقَدْ قَرَنَه وَمَنْ قَرَنَه فَقَدْ ثَنَّاه وَمَنْ ثَنَّاه فَقَدْ جَزَّأَه وَمَنْ جَزَّأَه فَقَدْ جَهِلَه وَمَنْ جَهِلَه فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْه وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْه فَقَدْ حَدَّه وَمَنْ حَدَّه فَقَدْ عَدَّه ...)[٨] . ومن أمثلتهم للجمع غير المرتب ما جاء في قوله (ع) في صفة خلق آدم (ع): (ثّم جمع سبحانه من حزنِ الأرضِ وسهلِها وعذبِها وسبخِها تربةً...)[٩] .

---

(١) ينظر : الكتاب ٤٣٧/١ والمقتضب ٥٧/١ والاصول ٥٥/٢ واللمع ٩١ والتوابع في كتاب سيبويه ٦٨ .

(٢) ينظر : البحراني ٢٠٦/١ و ٤٠٧/٢ .

(٣) شرح الكافية ٣٦٤/٢ وينظر :الفوائد الضيائية ٣٥٥/٢

(٣) الاتقان ١٧٨/١ .

(٤) ينظر :الجمل ١٨٧ وشرح الكافية ٤٠٣/٢ ومغني اللبيب ٣٥٤/٣ .

(٥) رصف المباني ٤١١ . (٦) معاني النحو ٢١١/٣ .

(٧) ينظر : الراوندي ٧١/١ - ٧٢ والكيدري ١٣٦/١ - ١٣٧ والمعتزلي ٩٧/١ - ٩٩ والبحراني ١٧٠/١ - ١٧١ والخوئي ٣٩/٢ - ٤١ والتستري ٥٧٧/١ - ٥٧٩ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨.

(٩) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ٢١ .

٢ - الواو بمعنى او

أقّر فريق من الشّراح أن تكون الواو بمعنى أو في عدة مواضع من النهج ومنها ما في قوله (ع) : (وإنَّما الائمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِه ، وَعُرفاؤه عَلَى عِبادِه ، لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلا مَنْ عَرفَهُمْ وعَرفُوه ، ولا يَدْخُلُ النَّارَ إلا مَنْ أنكَرَهُم وأُنكِرُوه)[١] ، إذ استشكل فريق من الشّراح على الفئة التي تعرف الائمة (ع) وترتكب المعاصي والكبائر ، أين مصيرها من بين هذين الصنفين؟ ولما ثبت للجميع عدم دخولهم مع الصنف الأول : (عرفهم وعرفوه) أبقى الشّراح الواو في هذا الموضع على معناها وهو الجمع بين المتعاطفين ، فلم يبق إلا الصنف الثاني : (أنكرهم وأنكروه) ، وعليه حمل الشّراح هذه الفئة التي تعرف الأئمة وتأتي بالفواحش . ولكي يستقيم المعنى الذي يحفظ لهذه الفئة معرفتها بالأئمة (ع) عدّ المعتزلّي (الواو) بمعنى (او) ، ليكون المعنى :أنكر الأئمة هذه الفئة أو أنكرت هذه الفئة الأئمة. وحينئذ يتحقق لهذه الفئة معرفتها بالأئمة ولكنها معرفة لا تنفع لأن الأئمة ينكرونهم . يقول المعتزلّي: « لقائل ان يقول : قد يدخل النار من لم ينكرهم مثل ان

يكون انسان يعتقد صحّة إمامة القوم الذين يذهب إلى انهم ائمة ... ثم يزني او يشرب الخمر من غير توبة ، فانه يدخل النار وليس بمنكر للائمة ... فالجواب ان الواو في قوله: **وانكروه** بمعنى او، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾[٢] »[٣].على حين ذهب سائر شراح النهج الى ان (الواو) باقية على معناها[٤].غير ان الشارحين البحراني والخوئي ادخلوا الفئة العارفة العاصية مرتكبة الكبائر ضمن من يدخل الجنة بتاويل تصفيتهم من المعصية قبل موتهم بالابتلاءات والامتحانات الصعبة[٥].

ويمكن شرح عبارة الامام (ع) بعيدا عن تاويلات المعنى كما فعل البحراني والخوئي ، وبعيدا عن اخراج الواو عن مساره الدلالي ، بل تبقى الواو على معناها لتجمع بين انكار الظالمين للائمة وانكار الائمة لهم في قوله (ع) :(من انكرهم وانكروه) ، واما الاشكال في الفئة العارفة للائمة وترتكب الكبائر فهو اشكال لا موجب لطرحه ؛ لان العطف بالواو بين الانكارين قد حل المسالة ، فلا وجود لعارف بالأئمة باللسان ، وانما كل من عرفهم فقد عرفهم بقلبه ، وانعكس ذلك على عمله ، وهذا هو مراد الامام (ع) ، فالمعرفة حقيقية، والانكار حقيقي، اما المعرفة باللسان فهي تدخل في باب النفاق لا المعرفة على معناها الحقيقي الذي أشار إليه الإمام (ع) . ولذلك جعل الامام (ع) المعرفة متبادلة بين الطرفين ، والانكار متبادل بينهما ، وخير من يعبر عن هذا التبادل جامعا للطرفين معا هو حرف الواو.

---

(١) نهج البلاغة الخطبة١٥٢ ص: ٢٦٧.

(٢) النساء ٣ .

(٣) المعتزلّي٩/١٥٥ .

(٤) ينظر: البيهقّي٢٤٨ والرواندي ٢/٩١ والكيدريّ ١/٦٦٤ والسرخسي١/١٤٥ ومغنية٢/٣٧٥ وانصاريان٢/٧٥ والشيرازي٢/٣٧٨ وأبو الفضل١/٣٥٠ .

(٥) ينظر : البحراني ٣/٢٣٦ والخوئي ٩/٢٠٣.

اما تضمين الواو في الاية الكريمة معنى (او) متابعة من الشّرّاح لمعظم مفسري القران الكريم[١] ففي غاية التمحل والاعتساف ؛ ذلك ان (او) هي للاختيار في اصل وضعها[٢] ، فلو كان المراد انكحوا من النساء (مثنى او ثلاث او رباع) لفهم منه ان نكاح الواحدة باطل شرعا ؛ لانه ليس مذكورا بين هذه الاختيارات ، ثم يكون الخوف من الاقدام على واحد من هذه الاحتمالات في قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾[٣] نقيضا للامر بالتعدد ابتداء. فضلا عن ان الرجل مخّير في واحد من هذه الاختيارات ، فاما ان ينكح اثنتين فلا يحق له التثليث ، او ينكح ثلاثة ، فلا يحق له نكاح الرابعة . وبعد هذا كله لا يتحقق مبدا النكاح اصلا مع وجود (او) ؛ لان (او) يستدعي ان يعقد الرجل على اثنتين او ثلاث او اربع في آن واحد ويبني عليهن في ليلة واحدة ليتحقق له نكاح المثنى او الثلاث او الرباع ، وهذا متعذّر عرفا وباطل شرعا ، فينبغي القول ببقاء (الواو) على معناها العام وهو الجمع ، ولكن ليس جمعا لرجل واحد كما فهم المفسرون وشراح النهج ؛ لان المذكور اولا جنس الرجال وهو الضمير في (انكحوا) ، فيكون المعنى : يجوز لجنس الرجال ان يقدموا على اربعة انواع من الزيجات ، وهي: الزواج بواحدة ، والزواج باثنتين ، والزواج بثلاث ،

والزواج بأربع . والعطف بالواو في هذا المقام اليق ومتعين ؛ إذ يفهم منه حرّية الانتقال من نوع الى اخر صعودا او نزولا لانها لا تفيد الترتيب .

ومن أمثلتهم لمجيء الواو بمعنى (أو) ، ما في قوله (ع) : (فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَلا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلا أُنَبِّأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا وَمَنَاخِ رِكَابِهَا ، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا ، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً ، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً)[٤] ،اذ عدّ بعضهم الواو في : (وتضل مئة) بمعنى (او)[٥]. على حين ثبت سائر شراح النهج دلالة الواو على الجمع بين الهداية والضلالة في صفات هذه الفئة ، اذ المعنى انه (ع) قال: «لا تسالوني عن جماعة هادية لطائفة كثيرة ومضلة لطائفة كثيرة اخرى الا انباتكم بناعقها...»[٦]، اي انه (ع) : «عالم بكل هاد وضال»[٧].

٣- الواو بمعنى مع

أقر الشّراح تبعا للسابقين[٨] تضمن الواو معنى (مع) ، منها ما في قوله (ع) وقد سئل عن حكم تغيير الشيب الذي أمر به الرسول (صلى الله عليه وآله) لئلا يتشبَّه المسلمون باليهود ، فقال : (إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَلِكَ

---

(١) ينظر : معاني الزجاج ٢/٧-٨ وإعراب النحاس ١/٢٠٥ والكشاف١/٤٦٩والتبيان للعكبري ١/٢٦٥والبحر ١/٣/٥٠٣.

(٢) ينظر : مغني اللبيب١/٤٦٨.

(٣)النساء ٣ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة٩٣ ص:١٧٠.

(٥) ينظر : الشيرازي٢/٩٥ .

(٦) الراونديّ١/٤٢٥ . وينظر: المعتزلّي ٧/٥١.

(٧) الخوئي ٧/٧٥-٧٦ .

(٨) ينظر: الكتاب ١/٢٩٨ وشرح الكافية ٢/٢٧٥

والدينُ قُلّ ، فأمّا الآنَ فَقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ ، وضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَامْرُؤٌ وَمَا اخْتَارَ)[١] ، وقد بيَّن البيهقّي أنّ « الواو ها هنا بمعنى مع ، اي : دع امرأ مع ما يختار ، وهذا كقولهم : استوى الماء والخشبة اي : مع الخشبة »[٢] ، وعلى هذا فريق من الشراح[٣] الذين رأوا أنّ جملة (امرؤ وما صنع) مكتملة المعنى لانها مؤلفة من مبتدا هو لفظة (امرؤ) وخبره جملة (ما اختار) ،والواو بمعنى (مع) . على حين ذهب فريق آخر[٤] الى ابقاء الواو على معناها في العطف ، لكنهم ذهبوا الى نقصان دلالة التركيب ، فالمعنى عندهم غير مكتمل لان الخبر محذوف ، فجملة (ما اختار) معطوفة على (امريء) والخبر محذوف ، والتقدير: (فامرؤ وما اختار مقرونان) ، وهو كقول العرب : كلُّ امريء وضيعته[٤].

والبحث في دلالة هذا التركيب ينبئ بان المعنى مكتمل ، ولا يحتاج الى تقدير خبر محذوف ، فالاباحة مفهومة من تنكير المتدا (امرؤ) الذي يدل على عموم المشمولين بهذا الحكم ، ومفهومة –ايضا- من فعل (الاختيار) الذي من شانه المفاضلة بين امرين ممكنين وجائزين . فضلا عن عدم احتياج النص الى جعل الواو بمعنى (مع) لاعطاء معنى مصاحبة المرء لاختياره ، اذ الواو ادت معنى الجمع والتشريك بين الشخص واختياره عندما توسطت بالعطف بينهما.

وذهب بعض النحاة الى ان (الواو)- وان كانت بمعنى (مع)- تفيد ان ما بعدها شريك لما قبلها في المعنى فلا فرق بينها وبين العاطفة في التشريك ، وان معنى العطف لا ينفك منها[٥].

ومن هذه الأمثلة ما في قوله (ع) لاخيه عقيل : (دَعْ عَنْكَ قُرَيْشًا وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ .. فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ - صلّى الله عليه وآله وسلّم - قَبْلِي)[٦] ، إذ عدّ البحرانيّ الواو في : (وتركاضهم) بمعنى (مع) خلافا لسائر الشراح[٧] الذين فسروها بالدلالة على العطف . وتضمين الواو معنى (مع) في هذا الموضع يعد تكلفا واضحا ، فقد ادت (الواو) وظيفتها الدلالية من عطف التركاض في الضلال على قريش ، وجمعهما تحت حكم الفعل (دع) ، اي : دع قريشا ودع تركاضهم في الباطل ؛ لانها عازمة على ايذائي . على حين يؤول كلام الامام (ع) الى معنى مغاير في حال كون الواو بمعنى (مع) ، إذ يصبح المعنى : دع قريشا مصاحبين لتركاضهم في الضلال ، وهذا يناقض الدعوة الى هداية الضال ، لذا نجد الشارح نفسه يتردد في اثبات هذا المعنى الى (الواو) بقوله : « والواو في قوله : وتركاضهم ، يشبه ان يكون بمعنى مع ، ويحتمل ان تكون عاطفة »[٨].

---

(١) نهج البلاغة : الحكمة ١٧ ، ص ٦٠١ . (٢) البيهقّي٤٠١ .

(٣) ينظر : المعتزلّي١٢٣/١٨ وعبده١٤٦/٢ وابو الفضل٣١٠/٢ .

(٤) ينظر : الراونديّ٢٦٩/٣ والكيدريّ٢٠٦/٢ والبحراني ٢٤٧/٥ والخوئي ٣٣/٢١ والتستريّ٤٨٣/٢ .

(٥) ينظر : شرح جمل الزجاجي٤٥٤/١ والمقتصد٦٦١/١ ومغني اللبيب ١/ ٤٦٤ .

(٦) نهج البلاغة : الكتاب٣٦ ، ص ٥١٩.

(٧) ينظر : الراونديّ١٢٥/٣ والمعتزلّي١٣٦/١٦ والخوئي ٦٠/٢٠ وانصاريان١٢٢/٣ .

(٨) البحراني ٧٥/٥ .

٤ - مجيء الواو للحال

كثرت أمثلة الواو الحالية في متن النهج كثرة بالغة كما في قوله (ع) : (فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق ، وانتم الاعلون...)[١] . إذ جهر الشراح[٢] بأن الواو الداخلة على الجملة الاسمية : (وانتم الاعلون) تفيد بيان حال المخاطبين الصامدين. والظاهر ان هذه الواو تأتي لربط ما بعدها بما قبلها ، فجملة :(وانتم الاعلون) لا تتحقق الا بالتزام المخاطبين بالصفات التي نبههم عليها الامام (ع) ، وهي المذكورة قبل (الواو) ، وهنا لا تتحقق حال العلو الا باجتماعها مع الصفات قبلها ، ولذا يمكن القول ان (الواو) باقية على معناها من الجمع بين المتعاطفين . وقد اكد طائفة من النحاة على ان (الواو) لا تفارق معنى العطف في موضع الجمل الحالية ، إذ تؤدي مهمة الربط بين الجملتين المتغايرتين، وتسميتها بواو الحال لا تخرجها من معنى العطف[٣] . وقد أكّد هذه الحقيقة المستشرق برجستراسر ، فعد تركيب جملة الحال مع جملة صاحب الحال من باب عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية[٤].

٥ - مجيء الواو زائدة

أقر فريق من الشّراح زيادة الواو في متن النهج كما في قول الإمام:(قَدْ كُنْتُ وَما أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ ، وَلا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ ، وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ)[٥] ، فمعظم الشّرّاح على ان (كان) في قوله (ع) تامة ، وعدوا (الواو) بمعنى الحال[٦] . وجوز المعتزلّي أن تكون (كان) ناقصة في هذا الموضع ، فتكون (الواو) زائدة مفرغة من الدلالة على اي معنى في الكلام[٧]. وفي زيادة الواو في الكلام خلاف بين النحويين بين مؤيد للزيادة ومنكر لها[٨]. ويمكن القول : ان (الواو) ليست زائدة ، وانما لها معنى مهم في هذا النص ، فقد اقرّت للإمام صفة عدم التهديد بالحرب سابقا وحاضرا ولاحقا ، ولو حذفت هذه (الواو) من الكلام لكان المعنى مجرد اخبار من الامام (ع) بعدم تهديده في السابق ، الا ان وجودها صرف الدلالة الى لزوم هذه الصفة للامام (ع) ، وعدم فزعه من الحرب في كل حين ، ولا يمكن ان تكون (كان) هنا تامة ابدا ، وان اجمع الشّرّاح على ذلك ؛ لان جرأة الآخرين عليه أمر لازم الامام (ع) فيما مضى حقيقة ، أمّا الان فقد جاءت الوقائع بتهديده (ع) ، والاجتراء عليه بعد وفاة ابن عمه (صلى الله عليه وآله) وما كلامه في هذه الخطبة الا بيان منه (ع) لتغّير الحال عليه .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٦٦ ، ص ١٠٥ .

(٢) ينظر : الراونديّ ٢٩٢/١ والكيدريّ ٣٤٠/١ والمعتزلّي ١٧٥/٥ والبحراني ٢٤/٢ والخوئي ٢٩/٥ ومغنية ٣٣٥/١ والتستريّ ٥٤٣/١٣ وانصاريان ١٩٥/١ والموسوي ٤٠١/١ .

(٣) ينظر : دلائل الاعجاز ١٥١/١ والكشاف ٨٧/٣ وشرح ابن الناظم ١١٠.

(٤) ينظر : التطور النحوي ١٩٣ . (٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٤ ، ص ٣١٣ .

(٦) ينظر: البحراني ٣٢١/٣ والخوئي ١٧٣/١٠ ومغنية ٥١٧/٢ وأبو الفضل ٤١٢/١ وأنصاريان ١٦٦/٢ والشيرازي ٥٠/٣

(٧) ينظر: المعتزلّي ٤/١٠.

(٨) ينظر: الإنصاف ٤٥٦/٢ وشرح المفصل ١٢٨/٨ ومغني اللبيب ٣٦٢/١ والبرهان ١٧٠/٣.

٦- مجيء الواو للبيان

وهذا المعنى انفرد بذكره البحراني وهو يفسر قوله (ع) في صفات المؤمنين : (فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لَعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمَرُوا بِهَا ، فَقَصَّرُوا عَنْهَا... يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ)[١] ،اذ قال: «والواو في قوله : وفرغوا لمحاسبة انفسهم على كل صغيرة وكبيرة للبيان ، ليستدعي بيان معنى المحاسبة »[٢]. و(الواو) في هذا الموضع عطفت جملة :(فرغوا لمحاسبة) على جملة : (نشروا الدواوين) لتجمع صفات المؤمنين بعضها الى بعضها ، وهم في مقاماتهم المحمودة[٣]. وأظهر السياق معنى بيان هذه المحاسبة على كلّ صغيرة وكبيرة . فمعنى البيان متاتّ من التركيب السياقي لا من خروج (الواو) عن معناها الأصلي .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٢ ، ص ٤٣٢.

(٢) البحراني ٦٤/٤ .

(٣) ينظر : البيهقّي٣٢٥ والمعتزلّي ٧٧/١١ والشيرازي٣٧٠/٣ .

المبحث الرابع

دلالة الأدوات الثنائّية فأكثر في شروح النهج .

يضطّم هذا المبحث على عدة مطالب هي:

المطلب الأول : دلالة او .

١ - التخيير.

وهي الدلالة الأصلية لهذا الحرف[١] كما في قول الإمام **(ع) :**(ولْم يُخْلِ اللهسُبحانه خلقَه من نبيٍّ مُرسلٍ أو كتابٍ مُنْزَلٍ ، أو حُجَّة لازِمة ، أو مَحَجَّةٍ قائمِة...)[٢]. إذ أطبق الشّرّاح على أن (أو) في هذه المواضع تفيد التخيير والمعنى أن الله أوجب على خلقه منذ آدم حتى قيام الساعة واحدا من هذه الأمور الأربعة يختاره تعالى لهم[٣]. وأمثلة أو التخييرية في النهج كثيرة يطول المقام بذكرها كونها الدلالة الأصلّية .

٢ - التفسير[٤]

كما في قول الإمام (ع) : (وَما جَالسَ هذا القرانَ أحدٌ إلا قَام عنه بزيادةٍ أو نقصانٍ : زيادةٍ في هُدًى ، أو نُقصانٍ من عمًى)[٥] وفيه فسّر بعد إجمال[٦].

٣- أو بمعنى الواو

وهو معنى أقرّه الخوئي لّما وقف على قوله (ع) المذكور آنفا ، اذ قال: « او في قوله : بزيادة او نقصان بمعنى الواو .. ويؤيده قوله : زيادة في هدى ونقصان، بالواو »[٧]. فعطف في موضع التفسير بالواو.

ويمكن القول :إن (او) باقية على معناها الأصلي وهو التخيير، فقاريء القرآن اما ان يزداد في هدى بقراءته للقران او ينقص من جهل ، والمعنى أنه إزاء خيارين نافعين ، وقد يجتمع الامران له ،ذلك أنّ «او تفيد اباحة الجمع ، والواو توجبه ، فلما تعاقب الحرفان (او) و(الواو) في معنى الاباحة حسن جواز استعمال (او) بمعنى الواو »[٨].

---

(١) ينظر : الكتاب ٢١٨/١ والمقتضب ٢٨/٢ واللمع ١٧٥ والخصائص ٤٥٧/٢ ومعاني الحروف ٧٧ والنكت ٧٢٠/١ والازهية ١١٥ والايضاح في شرح المفصل ٢٠٧/٢ ونتائج الفكر ٢٥٣ والجنى الداني ٢٤٨ ومغني اللبيب ٩٥/١ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص ٢٣ .

(٣) ينظر : البيهقي ٦٩ والراوندي ٧٦/١ والكيدري ١٣٩/١ والمعتزلي ١١٤/١ والبحراني ٢٠٠/١ والسرخسي ٤٣/١ وعبده ٢٦/١ والخوئي ١٢٩/١ ومغنية ٥٦/١ وانصاريان ٥٠/١ والشيرازي ٣٥/١ والموسوي ٤١/١ .

(٤) ينظر : مغني اللبيب ٩٥/١ والجنى الداني ٢٤٨ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٦ ، ص ٣١٦ .

(٦) ينظر : البيهقي ٢٩١ والمعتزلي ٢٤/١٠ والبحراني ٣٥٦/٣ والشيرازي ٦٠/٣ والموسوي ١٤٣/٣ .

(٧) الخوئي ١٩٢/١٠ .

(٨) المقتصد ٩٣٩/٢ .

المطلب الثاني : دلالة من[١] :

١- ابتداء الغاية .

وهي الدلالة الرئيسة للحرف (من) في العربية وقد صرح الشّرّاح تبعا للنحويين بهذه الدلالة في بعض مواضع النهج التي اتضح فيها ابتداء الغاية المكانية أو الزمانية . كما في قوله (ع) من كتاب له إلى مالك الأشتر: (وإنّما يُؤتَى خَرابُ الأرضِ من إعوازِ أَهْلِها ، وإنَّما يعوزُ أَهْلُها لإشرافِ أنفُسِ الأُمَرَاءِ على الجَمْعِ)[٢] ، فـ(من) دالة على إن خراب الأرض يبدأ من عدم انتفاع أهلها منها. وكذا قوله (ع) عند مسيره من الكوفة إلى البصرة في أيام الجمل : (فإنّي خَرَجْتُ من حيِّي هذا: إمّا ظالما وإمَّا مَظلوما)[٣] وفيه (من) لابتداء الخروج من هذا المكان[٤].

٢- التبعيض .

وهي دلالة شائعة ظاهرة[٥] في معظم الأمثلة ، ومنها ما في قوله (ع) من كتاب له لمالك الأشتر (رض) لّما ولاه مصر: (ثّمّ تفقّدْ أعْمالَهم ، وابْعثِ العيونَ من أهْلِ الصِّدقِ والوفاءِ عَليهم ...فَوَلِّ مِنْ جُنودِكَ أنْصَحَهمُ فِي نَفْسِكَ...)[٦] ، إذ

أمره بأنّ يعين بعضا من أهل الصدق عيونا له ليتفقدوا أمر الرّعِيّة ،وبعضا من الجنود المقربين له ليتولوا أمر الجباية[٧].

ويبدو أن الأداة (من) أينما وردت تفيد الدلالة على التبيعض وابتداء الغاية معا ، ويمكن بيان دلالة (من) بجمع هاتين الدلالتين على معنى التعيين ، بمعنى : (أخذ العّينة) فهذا يومئ إلى انبثاق بعض من جنسه ، وفيه يجتمع ابتداء الغاية والتبعيض .

٣- من بمعنى عن .

ومن أمثلتها ما في قوله (ع) مخاطبا ابن عباس (رض) ، وقد ارسله الى أصحاب الجمل يعيدهم إلى الطاعة : (لا تلقيّن طلحةَ ... ولكنِ القَ الزُّبيرَ فإنّه ألينُ عريكةً ، قُلْ له : يقولُ لك ابنُخالِكَ : عَرفتني بالحجازِ وأنكرتني بالعراق ، فما عدا ممّا بدا ؟)[٨] اذ ذهب فريق من الشّرّاح الى أنّ (من) في قوله (ع) : (مما بدا) بمعنى (عن) ؛ لانهم ضمنوا الفعل (عدا) معنى صرف ، ليكون تقدير كلامه (ع) لدى الكيدريّ : « ما صرفك عمّا بدا لك مني »[٩].

---

(١) ينظر : الكتاب٢٢٤/٤ والاصول٤٩٨/١ والجنى الداني٣١٤ – ٣١٦ ومغني اللبيب٤١٩/١ -٤٢٢.

(٢) نهج البلاغة : الرسالة ٥٣ ، ص ٥٥٧ . (٣) نفسه : الرسالة٥٧ ، ص٥٧٢ .

(٤) ينظر :الراونديّ ١٧٢/٣ والمعتزلّي ١٣/١ والبحراني ٣٨١/١ ، ٣٠١/٤ والخوئي ٨/٢ وعبده ٩٦/٣.

(٥) ينظر : مغني اللبيب ٤١٩/١ والجنى الداني٣١٤ . (٦) نهج البلاغة : الرسالة ٥٣ ص ٥٥٦-٥٥٧ .

(٧) ينظر:الرواندي ١٨٤/٣ والمعتزلّي ٦٩/١٧ والبحراني ١٥٧/٥ والخوئي ٢٤٤/٢٠ ومغنية٧٩/٤ والتستريّ ٥٥٢/٨ .

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ٣١ ، ص ٦٨ .

(٩) الكيدريّ٢٥٢/١ .

فانصراف الزبير عن الإمام (ع) بسبب ما بدا له من الامام (ع) فيما بعد . وخالفه فريق من الشّرّاح في هذا التقدير فرأوا أن الزبير إنما انصرف عن الإمام (ع) لأمر بدا في نفسه هو ولم يظهر له اضطراب في سياسة الإمام (ع) يصرفه عنه ، فيكون التقدير: « فما صرفك عمّا بدا منك ، أي : ظهر ، والمعنى : ما الذي صدّك عن طاعتي بعد إظهارك لها »[١] . وعدّ البحراني **(من)** لبيان الجنس ، وضمن عدا معنى : جاوز ، والمعنى : « ما الذي جاوز بك عن بيعتي ممّا بدا لك بعدها من الامور التي ظهرت لك ، وحينئذ تبقى الالفاظ على اوضاعها الاصلية مع استقامة المعنى وحسنه »[٢]. وهذا أبعد ما قيل في معنى التركيب ؛ لأنه شرح لألفاظ غريبة بعيدة عن المراد . ومعنى التجاوز يومئ إلى إن الزبير تحول عن الإمام (ع) ابتداء ، وليس تحوله بعد ما ظهر له لاحقا من امور.

وعد الموسوي (من) للتعليل ، فيكون المعنى: « ما الذي ظهر لك من أموري حتى تنكرت لما ابتدأت به من بيعتي ومتابعتي »[٣] . ويبدو ان الشارح تنبه على ان تفسير (من) بالسببية يؤول إلى إن الامام (ع) هو الذي بدا منه تغيير في

سياسته فكان ذلك سببا لانصراف الآخرين عنه ، فاستدرك قائلا: « ان الامام لم يغّير ولم يبدّل ، وانّما الزبير هو الذي بدّل وغّير »[٤]. وما قاله أوّلُه لا يشبه آخره .

ولم يبق (من) على معناها الاصلي الذي هو ابتداء الغاية في هذا التركيب من شراح النهج الا ثلاثة : هم الراونديّ والتستريّ والشيرازي . لكنّ الراونديّ والتستريّ اتبعا منهج البصريين في تضمين الافعال معاني اخرى للحفاظ على معنى الاداة[٥] ، فضمن الراونديّ (عدا) معنى منع وعاق ، و(بدا) بمعنى البداء لا بمعنى الظهور، أي : ما يظهر للزبير من نفسه او من غيره ، لا ما يظهر من الزبير للامام (ع) ، ومحصلة المعنى عنده : «ما منعك وشغلك مما كان بدا لك من نصرتي»[٦] ، فـ(من) على تفسير الراونديّ باقية على دلالتها من ابتداء نصرة الزبير للامام (ع) ، وزاد الراونديّ متكلفا في بيان معنى الابتداء بتقديره لـ (كان) ولكنها بداية نصرة ظهرت للزبير لا منه .

اما التستريّ فضمن (بدا) معنى الابتداء لا الظهور، والمعنى: «فما جاوز مما ابتدأت به»[٧] ، وهو تفسير متكلف ؛ لان (من) الابتدائية اغنت عن تفسير الفعل (بدا) بمعنى الابتداء . وحافظ الشيرازي على خط الدلالة الظاهرة للادوات والافعال في هذه المسالة ، فلم يخرج الاداة (من) عن معناها ، ولم يأّول الالفاظ خلافا للآخرين الذين نظروا الى كثرة مجيء الفعل (عدا) معدّى بالاداة (عن)[٨] ، فضّمنوا (من) معنى (عن) . فالشيرازي نّبه على

(١) المعتزلّي ١٦٣/٢-١٦٤ وينظر : الخوئي ٤٣/٤ وعبده ٩٧/١ وابو الفضل ٨٦/١ .

(٢) البحراني ٦١/٢-٦٢ .

(٣) الموسوي ٢٤٩/١ .

(٤) نفسه ٢٤٩/١ .

(٥) ينظر :الإنصاف المسألة ٦٧ ٤٧٨/٢ -٤٨٠ .

(٦) الراونديّ ٢٢٧/١ .

(٧) التستريّ ٣٩/١٠ .

(٨) ينظر : المقاييس ٧٤٦ والقاموس ١٢٠٣ .

مجيء (عدا) متعديا بنفسه ، اذ «يقال : عداه الامر بمعنى صرفه »[١]. فتكون (من) باقية على معناها وهو ابتداء الغاية ، وليست متعلقة بالفعل (عدا) المتعدي والتقدير: « ما الذي صرفك مما ظهر منك في الحجاز من بيعتي »[٢].

اما استشهاد الخوئي[٣] على مجيء (من) بمعنى (عن) بقوله تعالى: ﴿**فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله**﴾[٤]، فهو تفسير لقول الله بلا دليل إلا فهم الشارح ، وهو فهم قائم على متابعة من سبقه من المفسرين[٥] ، فما ادراه ألا تكون (من) باقية على معناها ليكون المعنى: ان من قسا قلبه فله ويل وعذاب من وقت ذكر الله تعالى امامه الى حين الحساب ، فهذا خلاف كون (من) بمعنى (عن) لان المعنى سيكون ان الويل لمن قسا قلبه عن سماع ذكر الله هو جزاء للقسوة في وقت الحساب لا من وقت القسوة الى الحساب .

٤ - من بمعنى الباء

وهو معنى أقره المعتزلّي في شرحه قوله (ع) : (وَما هُو إلا المَوتُ سمعَ داعيه ، وأعْجَلَ حَاديه ، فلا يَغُرَّنَّكَ سوادُ النّاسِ من نفسِكَ ،فقد رأيتَ منْ كانَ قبلَكَ ممّن جمعَ المالَ ، وحَذِرَ الإقْلالَ ...كيفَ نزلَ به الموتُ فأزعَجَه عَنْ وطَنِه)[٦] . فـ(من) في (لا يغرنك سواد الناس من نفسك) بمعنى الباء ، والتقدير : « لا يغرّنك الناس بنفسك وصحتك وشبابك فتستبعد الموت اغترارا بذلك ، فتكون متعلقة بالظاهر »[٧] ، وإنما صرف المعتزلّي دلالة (من) الى معنى (الباء) لأن الفعل (اغتر) متعد بالباء ، يقال : اغتّر الرجل بالشيء اذا خُدع[٨] ، فعمد الشارح إلى تفسير: (من نفسك) بـ(بنفسك) .

وأنكر الخوئي على المعتزلّي حمله (من) على الباء في المعنى ؛ لأن الباء لا تكون الا سببية ، وهذا لا يناسب المقام ، إذ سبب الاغترار هو كثرة الناس ، لا سببه نفس الانسان وصحته وشبابه[٩]. لكن الخوئي لم يأت بالصواب بل ضمن (من) في هذا الموضع معنى الظرف (عند) ليكون المعنى : (لا يغرّنك سواد الناس مجتمعين عندك)[١٠]. وأبقى طائفة من الشراح (من) على معناها ، واختلفوا في تقدير التركيب . فضّمن فريقٌ منهم الفعل (اغتّر) معنى (اذهل). والمعنى: « لا يذهلنك من نفسك سواد الناس »[١١].

---

(١) الشيرازي١٦٨/١ . (٢) الشيرازي١٦٨/١ .

(٣) ينظر : الخوئي ٤٣/٤ . (٤) الزمر ٢٢ .

(٥) ينظر : معاني الفراء ٤١٨/٢ ومعاني الزجاج ٢٤٦/٤ والكشاف٣٩٤/٣.

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٣٢ ، ص ٢٣٩.

(٧) المعتزلّي ٢٧٠/٨ وينظر : عبده ٢٦٨/١ ابو الفضل٣٠٦/١ .

(٨) ينظر : المقاييس ٧٩٩.

(٩) ينظر: الخوئي ٢٩٧/٨. (١٠) نفسه٢٩٧/٨ .

(١١) الكيدريّ٥٩٨/١ وينظر : السرخسي١٢٨/١ والتستريّ٢٠٥/١١ .

وضمن آخرون الفعل (اغتر) معنى (احذر) ، والمعنى : حاذر من نفسك التي تخدعك وتمنيك بطول العمر[١]. وحمل البحراني التركيب على ظاهره دون تضمين ، والمعنى : « فلا يغرنك من نفسك الامارة بالسوء وسوستها واستغفالها لك عن ملاحظة الموت برؤية سواد الناس »[٢] ، فليس كثرة الناس سببا لاغترار الانسان بالموت ، بل وسوسة النفس هي سبب الاغترار بكثرة الناس ومن ثم تناسي الموت .

واستعمال الفعل (اغتر) في القران الكريم يكشف عن انه يجيء متعديا الى مفعولين يصل الى أولهما بنفسه ، والى الثاني بحرف الجر (الباء) ، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾[٣] ، و﴿ **مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾[٤]. والاكثر مع هذا الفعل الا يذكر المفعول الثاني لوضوحه في الاذهان ، قال تعالى : ﴿ **لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ** ﴾[٥] ، و﴿ **فَلَا تَغُرَّنَّكُم الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾[٦] ، ﴿ **وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ** ﴾[٧] ، وقد يعدى بـ(في) : كقوله تعالى : ﴿ **وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾[٨] ، ولذا يمكن القول: ان المفعول به الثاني في كلام الامام (ع) متروك الذكر – ايضا – للعلم به ، وهو الموت ، اي : لا يغرنك سواد الناس بالموت فتنسى ذكره . وبذا تبقى (من)

على معناها لابتداء الغاية ، والمعنى : لايغرنك كثرة الناس حولك بالموت ابتداء من نفسك التي تقر بوقوعه فتحاول نسيانه . وكأنّ الحرف (من) اوحى باستقرار حقيقة الموت في نفس الانسان الذي يحاول التغافل عن هذه الحقيقة بما توحي له نفسه من بقاء الكثيرين حوله أحياء.

٥ - من بمعنى في

صرح فريق من الشّراح بهذا المعنى في قوله (ﷺ) من كتاب له الى شريح القاضي[٩] بعد ان علم بشرائه دارا باهضة الثمن : **(**هذا ما اشتَرى عبدٌ ذليلٌ ، منْ ميّتٍ قدْ أُزعِجَ للرحيلِ ، اشترى منْهدارًا من دار الغُرورِ ، من جانبِ الفانينَ ، وظِلّةِ الهالكينَ ...**)**[١٠] ، فرأوا أنّ (من) في : (من دار الغرور) بمعنى (في) ، والمعنى : « دار في دار الغرور ، نحو قوله تعالى: ﴿**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾[١١] »[١٢].

---

(١) ينظر : الراونديّ٥٢/٢ و مغنية ٢٧٥/٢ .
(٢) البحراني ١٥١/٣ .
(٣) لقمان ٣٣ .
(٤) الانفطار ٦ .
(٥) ال عمران ١٩٦ .
(٦) لقمان ٣٣ .
(٧) الحديد ١٤ .
(٨) ال عمران ٢٤ .
(٩) هوشريح بن الحارث ، يكنى أبا أمّية ، استعمله عمر بن الخطاب (رض) على القضاء بالكوفة فلم يزل قاضيا فيها ستين سنة . توفي سنة ٨٧ هـ . تنظر ترجمته في المعتزلّي ٢٨/١٤ - ٢٩ والبحراني ٣٤٤/٤ .
(١٠) نهج البلاغة : الرسالة ٣ ، ص ٤٦١ .
(١١) الجمعة ٩ ، وينظر :تبيان العكبري ٤١٢/٢ .
(١٢) الخوئي ١٢٢/١٧ ، وينظر: البيهقّي ٣٦٨ والشيرازي٤٣٠/٣ .

وجوز بعضهم أن تكون (من) على معناها من التبعيض ، والمعنى : « دار من دور الغرور »[١]. وهذا ظاهر جلّي . أما تضمين (من) معنى (في) فغير محصل لا في الشاهد ولا في كلام الإمام ؛ فالشرع واضح في أن صلاة الجمعة بعض اليوم لا كله ، وتضمين (من) معنى (في) يصرف المعنى إلى عموم اليوم ، ثم إن معنى ابتداء الغاية الزمانية مفهوم في : (من يوم الجمعة) فلا مسوغ للعدول عن هذا الظاهر .

٦ - من للبيان .

أقر الشراح[٢] في عدة مواضع هذه الدلالة ، من ذلك ما في قوله (ﷺ) يحمد الله تعالى:(عالُم السِّرِّ من ضمائرِ الُمضْمِرينَ ، ونَجْوى الُمتخَافتينَ)[٣] ، اذ صرح معظم الشراح[٤] بمجيء (من) بيانية في هذا الموضع ، وعلل الشارح الخوئي كون (من) بيانية بأنّ الضمائر، وهي جمع (الضمير) بمعنى السر ، فلما كان الاضمار من قبيل الاسرار فـ (من) هنا بيانية ، ومعنى الكلام: عالم السر وهو ضماير المضرين[٥].

و(من) في هذا الموضع وكل المواضع دالة على ابتداء الغاية المشوب بالتبعيض ، والمعنى انه سبحانه عالم السر ابتداء من ضمائر المضمرين، الى ما هو ابعد من ذلك مما يعلمه سبحانه . وبذا يكون الامام (ع) قد نبه على علم الله تعالى بما هو ادق من المضمرات .

٧- من للتعليل .

ردد بعض من الشّراح هذا المعنى[٦] كما في قوله (ع) لمعاوية : (واحذْر أنْ يُصِيْبَكَ الله مُنه بُعاجلِ قارعةٍ تمسُّ الأصلَ وتَقْطَعُ الدّابَر)[٧] ، فذهب الراونديّ الى ان (من) تعليلية ، ليكون معنى الكلام : « من البهتان الذي اتيته ، اي: من اجله »[٨] ، وردّه معظم الشّراح لأنّ (من) على اصلها من ابتداء الغاية ولا مسوغ لصرفها إلى التعليل[٩] .

٨- (من) زائدة

وهذا يعني ان (من) مفرغة من اي دلالة ، فدخولها في التركيب كخروجها منه ، وهو قول النحاة لاسيما الاخفش الذي اباح زيادتها بلا شرط خلافا لمعظم النحاة الذين أيدوا زيادة (من) زيادة مشروطة[١٠]. وعلى هذا سار الشّراح

---

(١) الخوئي ٢٢/١٧ وينظر: ٣/ ٢٣٣ .

(٢) ينظر : المعتزلّي١٥٦/٩ والبحراني ٤٦/٥ وانصاريان٣٠١/١ والخوئي ٤٨/١٥ والتستريّ٦٨/٦ وعبده١٩٧/١ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ ، ص ١٦٥.

(٤) ينظر : المعتزلّي٢٤/٧ والبحراني ٣٨٢/٢ والشيرازي٨٣/٢ والتستريّ٤٣٦/١ الخوئي ٥٠/٧ وانصاريان٢٩٩/١ .

(٥) ينظر:الخوئي ٥٠/٧.

(٦) ينظر: المعتزلّي١٧١/١ والخوئي ٤٩/٣ وعبده٥٤/١.

(٧) نهج البلاغة : الرسالة ٥٥ ، ص ٥٧١.

(٨) الراونديّ ٢١٣/٣ .

(٩) ينظر : المعتزلّي١٣٦/١٧ والخوئي ٣٣١/٢٠ وانصاريان٢٧٦/٣ والشيرازي٢٠٥/٤ والموسوي١١٤/٥ .

(١٠) ينظر : ارتشاف الضرب ٤٤٤/٢ .

فذكروا زيادة (من) في عدة مواضع[١]، من ذلك ما في قوله (ع) في النساء: (واكففْ عليهِنّ من أبصارِهِنّ بحجابِكَ ايّاهُنّ ، فإنّ شِدّةَ الحِجابِ أُبقى عليهِنَّ)[٢]، اذ صرح طائفة من شراح النهج بزيادة (من) في قوله (ع) : من ابصارهن[٣]. والقول بزيادة (من) في هذا الموضع غير موجّه ، بل يصرف الكلام عن مراده ، إذ المعنى مع زيادة (من) هو : واكفف عليهن ابصارهن بحجابك اياهن ، وكف البصر يعني العمى ، ومنه المكفوف الذي لا يرى[٤]. ومن هنا جوز بعضهم أن تكون (من) للتبعيض[٥] . وهذا قريب من الأمر بغض البصر الذي ورد في القرآن مقرونا بـ (من) للدلالة على تقليل النظر ، قال تعالى :﴿ **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** ﴾[٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾[٧] ، او تقليل الصوت: ﴿ **وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ** ﴾[٨] ، ولم يجرد الفعل (غض) من (من) الا في مقام المنع التام عن الكلام بحضرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾[٩].

وكل ما سبق ذكره من دلالات يمكن رده إلى الدلالتين الأولى والثانية أي : الغاية والتبعيض ، ثم يمكن جمع هاتين الدلالتين اللتين فرقهما النحاة بدلالة واحدة جامعة لكل استعمالات (من) في العربية وهي أن هذا الحرف يفيد الدلالة أينما ورد على (تعيين الشيء) .

---

(١) ينظر : الراونديّ٣/١٨١ والمعتزلّي١٧/٥٣ والبحراني ٥/١٦١ وانصاريان٣/٢٥٥ والخوئي ٢٠/٢٢٠ والسرخسي١/٢٦٧ والشيرازي٤/١٦٢ وعبده٢/٩٤ وابو الفضل٢/٢٤٩ ومغنية٤/٧٠ والموسوي٥/١٤٧ .

(٢) نهج البلاغة : الرسالة٣١ ، ص ٥١٣ .

(٣) ينظر : المعتزلّي١٦/١٢٤ والبحراني ٢/٦٣ والخوئي ٢٠/٣٦ والشيرازي٤/٨١ وابو الفضل٢/٢٠٦ ومغنية٣/٥٣١ .

(٤) ينظر : المقاييس ٩١٨ .

(٥) ينظر : الموسوي٤/٤٠٧ .

(٦) النور ٣١ .

(٧) النور ٣٠ .

(٨) لقمان ١٩ .

(٩) الحجرات ٣ .

المطلب الثالث : دلالة عن[١].

ذكر الشّراح عدة دلالات للحرف **عن** منها :

١ - دلالة عن على المجاوزة

وهي الدلالة الاصلية التي اوردها شراح النهج في موارد كثيرة منها ما في قوله (ع) في بعض من غرتهم الدنيا فانصرفوا عنه ثم عادوا إليه :(ولو أشاءُ أنْ أقولَ لقلتُ : عَفا اللهُ عَمّا سَلَفَ!)[٢] وقوله (ع) من رسالة إلى سلمان الفارسي :(فإنّما مَثَلُ الدّنيا مَثَلُ الحَيّةِ: لَيّنٌ مسُّها ، قاتلٌ سُمُّها، فأعرضْ عمّا يُعْجِبُكَ فيها لقلّةِ ما يَصْحَبُكَ مِنْها)[٣] فـ(عن) في هذين الموضعين تفيد الدلالة على تجاوز ما سلف وتجاوز ملذات الدنيا[٤] .

٢ - دلالة عن على التعليل .

ومن امثلتهم[٥] لهذا المعنى ما في قوله (ع) :(وأشْهدُ أنَّ مُحَمّدًا عبدُه ورسولُهُ ، دَعا إلى طاعتِه ، وقاهَر أعْداءه جهادًا عن دينِه...)[٦] ،اذ صرّح الخوئّي بمجيء « عن هنا بمعنى التعليل كما في قوله تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ** ﴾[٧]...»[٨] ، وتابعه من غير تصريح باسمه فريق من الشّرّاح ، فقدّروا المعنى بانه : قد جاهد اعداءه في سبيل الدين فحارب الاقربين والابعدين[٩].

ويمكن القول: إن عن باقية على أصلها دالة على المجاوزة ، أي : جهادا صادرا عن دينه كما نبه ابن هشام في تراكيب مشابهة[١٠] ، ولذا نجد الخوئي يجوز ابقاء (عن) على معناها الاصلي غير انه يلجأ الى تضمين الجهاد «معنى الذبّ والدفع والابعاد »[١١] .

ومن امثلتهم – ايضا – قوله (ع) : (وليسَ لواضعِ المعروفِ في غير حقّهِ ، وعندَ غيرِ أهْلِهِ ، مَنالحظٌ فيما أتى إلا

---

(١) ينظر : الكتاب ٢٢٦/٤ وحروف المعاني ٧٤والمخصص ٥٤/١٤/٤ والجنى الداني ٢٦٠ ومغني اللبيب ١٩٦/١ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٨ ص ٣٢٣

(٣) نهج البلاغة : الرسالة ٦٧ ص ٥٨٧

(٤) ينظر : الراونديّ ١٣٦/١ والكيدريّ ١٧٣/١ والمعتزلّي ٢٠٨/١ ، ١٠ /١٩٧ والبحراني ٢٧٠/١ ، ٣/ ٣٧٢ وعبده ٤٣/١ والخوئي ١١٦/٣ ، ١٠ /١٧٧ والسرخسي ٥١/١ ومغنية ١٠٠/١ وانصاريان ٨٢/١ والشيرازي ١٦/١ وابو الفضل ٣٧/١ والموسوي ١١٩/١.

(٥) للمزيد ينظر : المعتزلّي ١٤٨/١٣ والبحراني ٢٦٠/٤ والخوئي ٢٦٥/١١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٠ ، ص ٣٥٢ .

(٧) التوبة ١١٤ .

(٨) الخوئي ١٨٨/١١ .

(٩) ينظر : التستريّ ١٥٨/٣ والشيرازي ٢٣٩/١١ والموسوي ١٩٠/٣ .

(١٠) ينظر : مغني اللبيب ١٩٧/١

(١١) الخوئي ١٨٨/١١ .

مَحْمَدَةُ اللّئامِ ، وثناءُ الأشرارِ ... وهو عن ذاتِ الله بخيلٌ ...)[١] ، إذ عد فريق منهم (عن) دالا على التعليل «يعني لا يعطي شيئا لاجل ذات الله ، وانما قال : عن ذات الله ؛ لان البخل في الحقيقة منع المال وصرفه عن السائل او المستحق ، فلهذا يصح ان يقال : بخل عنه ، اي : منع المال او صرفه عنه»[٢]. وفسر بعضهم (عن) بمعنى (في) ، اي : «بخيل في جنب الله »[٣] ، او بمعنى الباء ، اي : « هو بخيل بما يرجع الى ذات الله »[٤] . وانماز الخوئي منهم بحمله (عن) على دلالتها الأصلية ، والمعنى : « يعني انه بخيل عما يرجع الى ذات الله سبحانه ويحصل رضاه كوجوه البر الواجبة والمندوبة من الصدقات وصلة الرحم والضيافة »[٥] ، فكأنه يجاوز كل ذلك الخير .

٣-عن بمعنى من

كما في قوله (ع) :(ألا فالحذَر الحذَر من طاعةِ ساداتِكم وكُبرائِكم ! الّذين تكبّروا عن حَسَبِهم ، وترفّعوا فوقَ نسبِهم)[٦] اذ ذهب الشارح الخوئي[٧] الى ان (عن) (بمعنى (من) في قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** ﴾[٨] ، وعند آخرين (عن) على معناها في قوله (ع) ، وكذلك في الشاهد القرآني . اما في قوله (ع) فالتكبر قد يكون على الشيء استعلاء او بسببه او عنه ، فاذا كان التكبر عن الشيء دل على انه تكبر يتجاوز الشيء ، واما في قوله تعالى: ﴿ **يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** ﴾ ، فلا مانع من ان يكون المعنى انه سبحانه يقبل التوبة الصادرة عن العباد[٩]

٤ - عن بمعنى البدل .

انفرد الخوئي بذكر دلالة نادرة لـ (عن) هي البدل أو العوض ، وذلك في شرحه قوله (ع) وقد رأى الحسن (ع) يتسرع الى الحرب: (اِلمِكُوا عنّي هذا للغُلام لا يهُدَّني ، فإنّني أُقَسُ بهذين - يعني الحسن والحسين (عليهما السلام) - على الموتِ لئلاّقطعَ بهما نسلُ رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله))[١٠] . اذ بيّن الخوئي ان (عن) « بمعنى البدل او العوض كما في قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا** ﴾[١١] »[١٢] . واضطربت أقوال الشّراح

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٢ ، ص ٢٤٩.
(٢) السرخسي ١٣٣/١ وينظر : مغنية ٣١١/٢ .
(٣) البحراني ١٨١/٣
(٤) الشيرازي ٣٢٤/٢ .
(٥) الخوئي ٤٠٠/٨
(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦٥ .
(٧) ينظر : الخوئي ٣٠٢/١١ .
(٨) الشورى ٢٥
(٩) ينظر: المعتزلّي ٧٤/٩ و التستريّ ٥٠٤/٦ والشيرازي ١٠٤/٤ .
(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٧ ، ص ٤٠٧ .
(١١) البقرة ٤٨ .
(١٢) الخوئي ٩٦/١٣ وينظر: ٤٠٠/٨ .

الآخرين في دلالة (عن) هنا ، فمنهم من ذهب الى انها بمعنى اللام التعليلية ، والمعنى « امسكوا لاجلي »[١] ، ومنهم من ذهب الى انها بمعنى (على) ، أي : « احجروا عليه كما يحجر المالك على مملوكه »[٢] ، وذهب أكثرهم الى ابقاء الحرف (عن) على دلالته الرئيسة وهي المجاوزة ، وعلّل المعتزلّي حمله معنى (عن) هنا على المجاوزة بانه « لما كان في املكوا معنى البعد اعقبه بعن ؛ ذلك لانهم لا يملكونه دون امير المؤمنين (ع) الا وقد ابعدوه عنه ، الا ترى انك اذا حجزت على زيد دون عمرو فقد باعدت زيدا عن عمرو ، فلذلك قال : املكوا عني هذا الغلام »[٣] اي أن الفعل ملك متضمن معنى باعد ، لذا ساغ بقاء (عن) على معناها[٤].

٥ - **عن بمعنى بعد .** اجمع شراح النهج على مجيء (عن) مرادفة لـ(بعد) في التراكيب من نحو: (عما قليل) و (عن قليل) ، من ذلك شرحهم لقوله (ع) : (... فكَأَنَّ ما هُوكائِنٌ مِنَ الدُّنيا عَنْقَلِيلٍ لَم يَكُنْ ، وكأَنَّ ما هُوَ كائنٌ مِنَ الآخِرةِ عَنْقَلِيلٍ لَم يَزَلْ)[٥] ، اذ بينوا المعنى بان ما هو كائن وموجود من الدنيا سيصير عن قليل – اي بعد زمان قصير – معدوما ، وان الذي هو كائن في الاخرة بعد قليل كانه لم يزل ، فكانه وهو في الدنيا من سكان الاخرة[٦]. واستدل الخوئي[٧] على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ **عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ** ﴾[٨] .

٦ - **عن زائدة .** وامثلتها كثيرة لدى الشّرّاح ، من ذلك ما في قوله (ع) : (جَعَلَ لكُم أَسْماعًا لتَعِي ما عَنْها ، وأَبْصَارًا لتَجْلُو عَنْ عَشَاهَا ، وأَشْلاءً جامِعَةً لأَعْضَائِها)[٩] . اذ ذهب فريق من الشّرّاح الى ان (عن) في : **عن عشاها** ، زائدة ، اي : « لتجلو الابصار ما يؤذيها من الظلمة »[١٠]، واجاز المعتزلّي وجها اخر هو دلالة (عن) على معنى (بعد) ليكون « التقدير : لتجلو الاذى بعد عشاها ، والعشى مقصور : مصدر عشي بكسر الشين يعشى اذا ابصر نهارا ولم يبصر ليلا »[١١] . ورفض طائفة من شراح النهج القول بزيادة (عن) في هذا الموضع او كونها دالة على معنى بعد ، فأبقوها على معنى المجاوزة ، اذ بين البحراني ان « الجلاء يستدعي مجلوا ومجلوا عنه ، فذكر عليه السلام المجلّو واقامه مقام المجلّو عنه ، فكانه قال : لتجلو عن قواها عشاها »[١٢] .

---

(١) الراونديّ٢/٣٢٧ وينظر: الكيدريّ٢/١٨٤ وعبده١/٤٤٧ .

(٢) ابو الفضل٢/٨ . (٣) المعتزلّي١١/٢٥ .

(٤) ينظر : البحراني ٤/١٥ ومغنية٣/٢٣٤ وانصاريان٢/٣٩٦ والشيرازي٣/٣٠٠.

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٣ ص ١٨٧.

(٦) ينظر : الراونديّ١/ ٤٤٧ والمعتزلّي١/ ١٠٧والبحراني ٣/١٨وعبده ١/٢١٤ وابو الفضل١/٢٢٩ وانصاريان٢/٦٨ والشيرازي٤/١٩٧ .

(٧) ينظر: الخوئي ٧/١٨١ .

(٨) المؤمنون ٤٠ . (٩) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص ١٢٧ .

(١٠) الراونديّ١/٣٣٢ وينظر : الكيدريّ١/٣٩٠ والمعتزلّي٦/٢٥٨ .

(١١) المعتزلّي٦/٢٥٨ وينظر : ابو الفضل١/١٥٦ .

(١٢) البحراني ٢/٢٥٨ وينظر: والبيهقّي١٥٧ والخوئي ٥/٣٩٣ ومغنية١/٣٩٥ وانصاريان١/٢٣٢.

المطلب الرابع : دلالة في :

١ - دلالة في على الظرفية .

وهي الدلالة الأصلّية لهذا الحرف لدى الشّرّاح[١] تبعا للنحويين[٢] كما في قوله (ع) :(لا تُسافِرْ في يومِ جُمُعَةٍحتّى تشهَدَ الصَّلاةَ ...)[٣].

٢ - في بمعنى على[٤]

صرح فريق من الشّرّاح بدلالة (في) على (على) في قوله (ع) لمن ادعى علم النجوم : (وتَبْتَغِي في قولِك للَعامِلِ بأَمرِكَ أَنْ يُوْلِيَكَ الحمدَ دون ربِّه ، لأنّك . بِزَعْمِكَ . أنت هَدَيْتَه إلى السّاعة التي نالَ فيها النّفع وأمِن الضُّرَّ!!)[٥]. وفيه تعلق (تبتغي) بالحرف (في) وقياسه أن يعدى بـ(على) ، فضمن الخوئي وأنصاريان (في) معنى (على)[٦] ، واستدل الخوئي على مجيء (في) بمعنى (على) بقوله تعالى : ﴿ **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ** ﴾[٧] ، فتابع بذلك المفسرين اللذين جعلوا (في) بمعنى (على) في هذه الاية[٨] ، ثم أجازا وجهين اخرين : الأول : أن تكون (في) سببّية ، اي : بسبب قولك . والآخر: أن تكون (في) ظرفية .

وعلل الزجاج استعمال (في) مرادفة لـ (على) بقوله : «جاز ان تقع في ههنا لانه في الجذع على جهة الطول ، والجذع مشتمل عليه فقد صار فيه»[٩] ، ويمكن الانطلاق من قول الزجاج لجعل (في) على معناها من الظرفية اكتفاء بشد وثاق المصلوب على جذع النخلة ، فكأنه جزء من الجذع من فرط الوثاق وبشاعة الصلب ، حتى يختلط لحمة ودمه بجذع النخلة وبهذا يستحصل معنى الظرفية ، ولو استعمل (على) لكان الصلب قتلا فحسب بلا مُثلة ولا عرض للناظرين . وكذا الأمر في قول الإمام (ع) ، فـ (في) ظرفية ، وهي ليست متعلقة بـ(تبتغي) كي تُضَمّن معنى (على) ، وانما التركيب : (في قولك) معترض بين : (تبتغي) ، وبين : (للعامل بأمرك) ، وهو متعلق بالزعم المذكور لاحقا فيكون قوله ظرفا لزعمه بلحاظ دلالة (في).

---

(١) ينظر: الرواندي٢٤٧/٣ والكيدري٢/ ٥٨٣ والمعتزلي٤٤/١٨ والبحراني ٢٢٢/٥ والخوئي ٣٩١/٢٠ والتستري٣٣/٩ وأنصاريان٣٠٤/٣ .

(٢) ينظر: مغني اللبيب ٢٢٣/١ والجنى الداني ٢٦٦ .

(٣) نهج البلاغة الرسالة ٦٩ ص ٥٨٩ .

(٤) ينظر : ارتشاف الضرب٤٤٦/٢ ومغني اللبيب٢٢٣/١.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٧٩ ص ١١٧ .

(٦) ينظر : الخوئي ٢٨٠/٧ وانصاريان٣٥٧/٢ .

(٧) طه ٧١ وينظر : الخوئي ٢٥٦/٥ .

(٨) ينظر : معاني الفراء١٠٢/٢ومجاز القران٢٣/٢ومعاني الاخفش ١٤٨/٢والخصائص٣٠٩/٢ والكشاف٢٥٤٦ ومجمع البيان٢٠/٧ وارتشاف الضرب ٤٤٦/٢ وشرح اللمحة البدرية٤٠/٢ ومغني اللبيب٢٢٤/١ والهمع١٩٣/٤.

(٩) معاني الزجاج ٣٦٨/٣ .

٣- في بمعنى مع

انفرد الخوئي بإيراد هذه الدلالة ، وذلك في شرحه قوله (ع) في الدنيا: (وقامتْ بأَهْلِها على ساقٍ ، وخشُنَ منها مِهادٌ ، وأزِفَ منها قِيادٌ ، في انقطاعٍ من مُدَّتِها ، واقترابٍ مِن أشراطها)[١] ، اذ ذهب الى ان (في انقطاع من مدتها) ، بمعنى مع انقطاع منها . وتكلف الشارح في حمله دلالة (في) على المصاحبة لتكون بمعنى (مع) ، اذ الدلالة على الظرفية

الزمانية واضحة من ظاهر الاستعمال. وجوز الشارح نفسه هذا المعنى الا انه قدر الفعل (استقر) لبيان معنى الظرفية ، اي : في انقطاع مستقر من مدتها[٢].

٤ - في للسببية

ومن امثلتها لدى الشّرّاح ما في قوله (ع): (عبادٌ مَخْلُوقُونَ اقْدَارًا ... وَمُمَيَّزُون حِسابا ، قد أُمهِلُوا في طَلَبِ المَخْرَجِ ، وَهُدُوا سَبِيْلَ المَنْهَجِ)[٣] . اذ جعل شراح النهج (في) الواردة في قوله (ع) : (أمهلوا في طلب المخرج) بمعنى السببّية ، اي : امهلوا من اجل التوبة والرجوع الى الطاعة ، لان اخلاص التوبة هو المخرج الذي من سلكه خرج من ربقة المعصية[٤] . و(في) هنا باقية على معنى الظرفية ،فالامهال تم في زمان ومكان طُلِبَ فيهما المخرج ، اما السبب في الامهال فمتروك ذكره لعمومه من طاعات وتوبة واعمال خير ، وقد مزج الشارح الخوئي المعنيين معا بقوله : « في للظرفية المجازية ، كما في قولهم : في نفس المؤمن مائة من الابل ، اي : في مثلها ، فالسبب الذي هو القتل متضمن للدية تضمن الظرف للمظروف ، وهذه هي التي يقال : انها للسببية »[٥] .

٥ - في بمعنى الباء

من ذلك ما في قوله (ع) : (فَيَاعَجَبًا ! وَمَالِي لا أَعْجَبُ مِن خَطَأ هَذه الفِرَقِ ... لا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ، لاَيَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ ... لاَيُؤْمِنُونَ عَلَى غَيْبٍ ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبهاتِ ، وَيَسِيْرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ)[٦] ، اذ ذهب بعض الشّرّاح الى ان (في) في: (يعملون في الشهوات) بمعنى الباء ، اي : للواسطة ، والمعنى : يعملون «بما ادى هواهم اليه »[٧] ، وابقى شراح اخرون الحرف دالا على الظرفية ، والمعنى : « يعملون اعمالا داخلة في الشبهات متوسطة لها »[٨]

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٨ ، ص ٣٦٩ .

(٢) ينظر : الخوئي ٢٩٩/١٢ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة٨٣ ، ص ١٢٤.

(٤) ينظر : المعتزلّي٢٥٣/٦ والبحراني ٢٤٥/٢ وعبده١٤٨/١ وابو الفضل١٥٤/١ والشيرازي٣١٩/١ ومغنية٣٩٠/١ والموسوي٤٧١/١

(٥) الخوئي ٣٨٣/٥ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٨٨ ، ص ١٤٤ .

(٧) البحراني ٣٠٨/٢ وينظر:الخوئي ٢٤٨/٦ والتستريّ٥٥١/٢ وانصاريان٢٣٦/١ .

(٨) المعتزلّي٣٨٦/٦ وينظر: مغنية٤٤٥/١ والشيرازي٢٦/٢.

٦ - في بمعنى النسبة

وهو معنى اجمع شراح النهج عليه في قوله (ع) : (... وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيا ، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نَعِمِ الآخِرَةِ)[١]. والمعنى انه (ع) « تعجب من سبوغ نعمه تعالى في الدنيا ، واستصغر ذلك بالنسبة لنعم الاخرة »[٢] ، اي : « حقارة تلك النعم بالقياس الى النعمة التي اعدها لهم في الاخرة »[٣]. ويمكن القول ان دلالة (في) باقية على بابها ، والدلالة

على النسبة مفهومة من التركيب الذي وازن بين نعم الله تعالى الدنيوية ونعمه تعالى الاخروية ، وكأن نعم الدنيا دخلت في نعم الاخرة فكانت صغيرة بالنسبة إليها.

٧- في زائدة

صرح فريق من الشّرّاح بزيادة (في) وذلك في قوله (ع): (اللهمّ قد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك ولا أثني به على أحدٍ سواك)[٤] ، والمعنى : بسطت لي ما لا أمدح به غيرك[٥] . وأدرك أنصاريان معنى الظرفية في هذا الموضع للحرف (في) ، فخلص إلى إن (في) : « للظرفية المجازية ، والمفعول محذوف ، اي : بسطت لي القدرة او الكلام فيما لا امدح به غيرك»[٦] . وربما لجا الشّرّاح الى تضمين فعل معنى فعل اخر يتعدى بـ(في) للنأي عن القول بزيادة في . او تقدير محذوف ، كما في قوله (ع) : (فلا نستحِلّ في شيءٍ من معصيتك)[٧] ، فبدلا من القول بزيادة (في) ليكون المعنى : (فلا نستحلّ شيئا من معصيتك) ، ذهب بعضهم إلى ان الفعل تستحل « عدّي بفي لتضمين معنى الدخول ، او المعنى :لا نستحلّ في شيء شيئا من معصيتك »[٨] .

المطلب الخامس : دلالة ثم :

اقر شراح النهج تبعا للسابقين[٩] دلالة رئيسة لحرف العطف ثّم وهي الترتيب المتراخي في عطفها المفردات ، وقد كثر مجيؤها في متن النهج فجهر الشراح ، بها كما في قوله (ع) يصف خلق الكون :(أنشأ الخلق إنشاء وابتدأه ابتداء ...ثّم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشقّ الأرجاء وسكائك الهواء ...ثّم فتق ما بين السّموات العلا فملأهنّ أطوارا من ملائكته ...ثّم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربة ... ثّم نفخ فيها من روحه ... ثّم أسكن

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ، ص ١٩٩ .

(٢) المعتزلّي٢٠٠/٧ وينظر : التستريّ٢٥٣/١ الشيرازي١٧٨/٢ والموسوي٢٣٣/٢ .

(٣) البحراني ٥٦/٣-٥٧ وينظر : الخوئي ٣٢١/٧ ومغنية٤٤/٢ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ، ص ١٦٨.

(٥) المعتزلّي ٣٢/٧ وينظر : البحراني ٣٨٤/٢ والخوئي ٥٦/٧ والشيرازي٨٩/٢ وابو الفضل٢٠٦/١ والموسوي١١٥/٢.

(٦) انصاريان٣٠٥/١ .

(٧) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٧.

(٨) أنصاريان ٤٥٩/٢ وينظر: السامرائي ١١٦

(٩) ينظر : الكتاب٢١٨/١ والمقتضب٥٧/١ ومعاني الحروف١٠٥ وحروف المعاني١٦ وشرح المفصل٩٦/٨ وارتشاف الضرب ٦٣٨/٢ وشرح جمل الزجاجي٢٣١/١ .

سُبحانه آدم دارًا أرغد فيها عيشه ... ثُمَّ اختار سُبحانه محمَّدا (صلى الله عليه وآله) ...)[١]. ففي هذه المواضع أفادت (ثم) ترتيب الأحداث ترتيبا متراخيا كثيرا[٢] . اما في عطف الجمل فقد اضطربت اقوالهم في دلالة (ثم) كاضطرابها عند النحاة واللغويين الذين انقسموا بين القول ببقاء (ثم) دالّة على الترتيب المتراخي في عطفها للجمل[٣] ، وبين القول بتجردها من الدلالة على الترتيب المتراخي[٤] ، حتى عدها بعضهم بمعنى الواو[٥] ، ومنهم من توسط بين الطرفين

فذهب الى شطر دلالة (ثم) ، فهي عندهم تفيد نوعا واحدا من الترتيب وهو الترتيب الذكريّ لا الزمنّي ، اي : ترتيب ذكر الاحداث الواردة في الكلام دون ترتيب زمن الاحداث[٦] ، ومنهم من احتفظ لـ(ثم) بدلالتها على الترتيب المتراخي ، ولكن هذه المحافظة جاءت مشروطة بتأويل محذوف بعد (ثم)[٧].

وسبب اضطراب الاقوال في عطف الجمل بـ (ثم) ورود بعض النصوص القرانية مخالفة لما استقر من فهم سابق لدى العلماء[٨] ، وقد انعكس هذا الاختلاف على شراح النهج . ومن كلام الامام (ع) الذي اختلف فيه شراح النهج قوله (ع) الذي يبين فيه وقائع خلق الارض والسماء : (أنشأَ الخَلْقَ إنشاءً ، وابتدأَه ُابتداءً ، بلا رَويَّة أجالَها ،ولا تجْرِبة اسْتفَادَها ... أَحالَ الأشياءَ لأَوْقاتِها ، وَقَرَّنَ بَيْنَ مُخْتَلِفاتِها ، وَغَرَّزَ غَرائِزَها ، وَأَلْزَمَها أَشْباحَها ، عالِماً بِها قَبْلَ ابْتِدائِها ، مُحيطاً بِحُدُودِها وانْتِهائِها ، عارِفاً بِقَرائِنِها واحْتِدائِها ، ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحانَه فَتْقَ الأَجْواءِ ، وَشَقَّ الأَرْجاءِ ، وَسَكَّنَ أَهْوِيَةَ الهواءِ ... فَسَوَّى مِنْه سَبْعَ سَمَواتٍ ، جَعَلَ سُفْلاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً ، وَعُلْياهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً ، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً ...ثُمَّ زَيَّنَها بِزِينَةِ الكَواكِبِ ، وَضِياءِ الثَّواقِبِ ، وَأَجْرَى فِيها سِراجاً مُسْتَطِيراً ، وَقَمَراً مُنِيراً ، فِي فَلَكٍ دائِرٍ ، وَسَقْفٍ سائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مائِرٍ)[٩] . فجاء ظاهر كلامه (ع) صريحا بأن خلق الارض سابق لخلق السماء ، والثابت لدى الشّراح

العكس ، فالترتيب الذي ذكره الامام (ع) عندهم « يفيد ان خلق الاشياء قبل خلق السموات ، وهو خلاف المشهور

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ ص ١٨ -٢٣ .

(٢) ينظر :البيهقي ٥٨/١ والراوندي٥٧/١ والكيدري١٢٨/١ والمعتزلي٨٤/١ ،٢٦/١٠ والبحراني ١٣٣/١ ، ٣٣١/٣ والسرخسي٣٨/١ وعبده ١٩/١ والخوئي٣٧٢/١ ، ٤/٢ ومغنية ١٣/١ والتستريّ ٤٦٢/١ والموسوي ٢٣/١ وأنصاريان١/ ٣٤ ، ٢٨١/١ .

(٣) ينظر : شرح الكافية٣٦٧/٢ وجواهر الادب٢١٦.

(٤) ينظر : الصاحبي١٤٨ والبيان في غريب إعراب القران٥١٥/٢ والبرهان٢٦٩/٤ .

(٥) ينظر : معاني الزجاج ٣٢١/٢ والصاحبي١٤٨ والاحكام في اصول الاحكام٦٥/١ .

(٦) ينظر : معاني الفراء ٤١٥/٢ ومعاني الحروف١٠٥ وتسهيل الفوائد١٧٥ ومغني اللبيب٧١٣ وخزانة الادب٤١١/٤.

(٧) ينظر : معاني الزجاج/٣٠٥-٣٠٦ .

(٨) من ذلك قوله تعالى : (**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم**) الاعراف١١، وينظر : إعراب النحاس٢/ ٦٣ ومعاني الزجاج ٣٢١/٢ والتبيان للطوسي ٧/٩ .

(٩) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨.

والماثور »[١] لقوله تعالى في سورة النازعات: ﴿ **أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا** ﴾[٢] ، على حين ذهب بعض العلماء من غير شراح النهج[٣] ، الى أن الأرض خلقت قبل السماء ، مستدلين بقوله تعالى في سورة فصلت: ﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا**

قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[٤] . ولأجل الحفاظ على تقديم خلق السماء على خلق الارض ذهب الشّرّاح الى توجيه دلالة (ثم) كل حسب فهمه لدلالتها ، فمنهم من رأى ان (ثم) تفيد الترتيب الذكري لا الترتيب الحقيقي ، اي انها تفيد « الترتيب والتراخي في قوله لا في الصنع الالهي»[٥] ، فهي هنا لتفصيل المجمل[٦]. ومنهم من أوّل الكلام عن ظاهره ، فذهب إلى أنّ ترتيب الاحداث في قول الإمام (ع) هو في عالم الامر ، اي ان الخلق تم في عالم الامر « وهو عالم الملائكة الروحانية ، وهو اسبق من عالم الخلق الذي يعبر عن الجسمانية»[٧] ، ولذا فـ(ثم) على دلالتها من الترتيب المتراخي حسب هذا التاويل الذي ارتضاه البحراني واورده في شرحه دون تعليق عليه ، الا ان هذا التاويل يجعل (ثم) عاطفة لعالم الخلق على عالم الذر ، وهو ادعاء لا دليل عليه ، بل يناقض العلم الالهي الذي نفى عن الخلق علمهم بامور خلقه ، قال تعالى:﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾[٨]. وذهب فريق اخر من الشّرّاح الى تقدير محذوف في الكلام لتبقى (ثم) على دلالتها الاصلية ، إذ قال الراونديّ : «الاليق ان يحمل قوله : احال الاشياء ، وما يليه على التقدير والعلم السابق وما بعده »[٩] ، وقدر المعتزلّي المحذوف بلفظة (اقول) ، ليكون معنى الكلام : « ثم اقول الان بعد قولي المتقدم انه تعالى انشا فتق الاجواء ...»[١٠] ، وعارض الخوئي المعتزلّي ورأى ان الاولى به ان يقول : « ان ثم في كلامه لترتيب الاخبار لا لترتيب الحكم »[١١] واستدل على ذلك بما ذكره الفراء من ان (ثم) للترتيب الذكري كما في قولهم : «ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس »[١٢].

ثم ضمن الخوئي (ثم) في هذا الموضع معنى (الواو) ، ورأى أنّ « الاصل في كلمة ثم العاطفة ان تكون مفيدة للتشريك والترتيب والمهلة ، ولا يمكن كون ثم في قوله (ع) : ثم انشا فتق الاجواء ، على وفق ذلك الاصل من حيث

---

(١) الكيدريّ ١٣٥/١ .
(٢) النازعات ٢٧-٣١ .
(٣) ينظر : النظام القراني ٣٧١ .
(٤) فصلت ٩-١٢ .
(٥) عبده ٢٠/١ وينظر : البحراني ١٧٨/١ والشيرازي ٢١/١ .
(٦) ينظر : انصاريان ٣٣/١ .
(٧) البحراني ١٨٣/١ وينظر : مغنية ٩٣/١ .
(٨) الكهف ٥١ .
(٩) الراونديّ ٥١/١ وينظر : الكيدريّ ١٢٧/١
(١٠) المعتزلّي ٨٤/١ .
(١١) الخوئي ٣٧٢/١ .
(١٢) معاني الفراء ٤١٥/٢ .

استلزام خلق الفضاء بعد خلق كل شيء مع التراخي كما هو ظاهر ، فلا بد من جعلها بمعنى الواو »[١] .

ويمكن القول : إنّ (ثم) باقية على دلالتها من الترتيب المتراخي ، وهي تعطف الجمل الواردة في قوله (ع) ، والواردة قبل ذلك في الذكر الحكيم في سورة فصلت ، وليس هي بمعنى الواو ، وليست للترتيب الذكري ؛ لان هذين التوجيهين يعنيان خلّو (ثم) من الترتيب الحقيقي الزمني ، وهذا يجعل كلام الله تعالى ومن بعده كلام الامام (ع) اخبارا عما هو مخالف للقرآن والنهج في مواضع أخرى ، وابقاء الاداة على ظاهرها اولى من التاويل[٢] . فالتدقيق في الاحداث الواردة في سورة فصلت ، وفي قوله (ع) يبين لنا ان العطف بعد (ثم) هو عطف للسموات السبع على الارض ، وان الاحداث

الواقعة فيها هي : الاستواء الى السماء ، والايحاء بالامر في كل سماء ، وتزيين السماء الدنيا بمصابيح . اما في قوله (ﷺ) فالاحداث بعد (ثم) متعلقة بفتق الاجواء ، وسكائك الهواء ، وتسويتها سبع سموات ، وانه سبحانه زين علياهن بزينة الكواكب ، واجرى فيها السراج المستطير والقمر المستنير .... وهو ترتيب موافق لما ورد في سورة فصلت ، على حين ان ترتيب الاحداث الواردة في سورة النازعات التي بنى الشّرّاح فهمهم على اساسها يظهر منها خلق الارض قبل السماء ، فان هذه السورة ذكرت بناء سماء واحدة لا سبع سموات ، وهي السماء القريبة من الارض لانه سبحانه رفع سمكها ، واغطش ليلها ، وترتيب الاحداث في هذه السماء يدل على انها سماء الارض التي : ﴿ **بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا** ﴾ [٣] ، ثم ذكر بعد ذلك دحو الارض ، وهو فعل مغاير لفعل الخلق المذكور في فصلت ، والدحو لا يكون الا بعد الخلق[٤] ، وفضلا عن ذلك فان خلق الارض والسماء لم ينته انما هو مستمر لقوله تعالى : ﴿ **وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[٥] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ [٦] ، و قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ** ﴾[٧] .

المطلب السادس : دلالة على

أقر الشّرّاح للحرف (على) الدلالات الآتية :

الاستعلاء ، وهي الدلالة الأصلية التي نبه عليها شراح النهج تبعا للسابقين[٨] كما في قوله (ﷺ) يحمد الله تعالى (هَو

---

(١) الخوئي ٣٧١/١ .

(٢) ينظر : النظام القراني ٥١ .

(٣) الرعد٢ .

(٤) ينظر : النظام القراني٣٧١ .

(٥) النحل ٨ .

(٦) الذاريات ٤٧ .

(٧) البروج١٣.

(٨) ينظر: الكتاب٢٣٠/٤ومعاني الحروف ١٠٨ واللمع ٧٤ والازهية٢٠٢ والمقرب٢٢٠ وتسهيل الفوائد ١٤٢ ورصف المباني٣٧١ ومغني اللبيب١٩٠/١.

الّذي اشتدَّتْ نَقْمَتُه عَلَى أعدائِه في سَعَةِ رَحْمَتِه ، واتَّسَعَتْ رَحْمَتُه لأَوْلِيائِه في شِدَّةِ نِقْمَتِه)[١] «ومعنى الكلام أنه مع كونه واسع الرحمة وأنه أرحم الراحمين فإنه شديد النقمة على أعدائه ومع كونه عظيم النقمة في نفس الأمر وكونه شديد العقاب فإنه واسع الرحمة لأوليائه»[٢] .

وثمة عدة دلالات فرعية تلمسها الشّرّاح للحرف (على) في متن النهج ، صرح معظمهم بأنها تؤول إلى المعنى العام الذي هو الاستعلاء ، فـ (على) لديهم يدل على : الاستعلاء والغلبة والقهر والمشقة والصعوبة والضرر والترفع[٣] .

وعولوا على هذه المعاني في توجيه الافعال التي وردت متعدية في النهج بالحرف (على) مع إنها متعدية بنفسها أصلا.

وقد برز السامرائي في تتبع الدلالات الدقيقة للحرف **على** المقترن بكثير من الافعال التي لا تحتاج الى واسطة للوصول

الى مفاعيلها. من ذلك الفعل (كتب) في قوله (ع) : (كَتَبَ عَلَيْكُم وِفادَه)[٤] ، اذ ذهب الى ان « تجاوز الفعل كتب الى مدخوله بعلى يؤذن بان استعمال على ياتي في العسر والشدة والشر»[٥] . وكذا الفعل (فرض) اذ بين ان « استعمال الحرف على مع الفعل فرض يؤذن ان على تاتي في الصعب والمشقة كثيرا ، يقال : اشتد عليه مثلا ، ولما كان الفرض وهو الحج مما يشق كان (على) واجب الاستعمال ، ومنه : عدا عليه ، وتجاوز عليه ، وشنع عليه وبه ، وازرى عليه وبه »[٦] . وأكد على ان (على) ياتي « في الضرر ، كأن يقال : دعا له ، ودعا عليه »[٧] . وعلى الرغم من تأكيد الشارح على هذا المعنى وتكراره له ، ذهب الى القول بالتضمين للافعال المتعدية بـ (على) دون ملاحظة المعاني التي ذكرها في دلالة (على) على الاستعلاء ، من ذلك ذهابه الى تضمين الفعل (وله) معنى (اعتاد) و (تعود) وهو يشرح قوله (ع) : (وَوَلَهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُه)[٨] ، اذ قال: «اي ان نفسه تولّهت بالدنيا فاحبتها وهامت بذكرها ، وكأن استعمال حرف الجر على في هذا الفعل يومئ الى انه قد ضمن معنى الفعل اعتاد وتعود »[٩] ، وكان على الشارح ان يلاحظ معنى الضرر في الولوه بالدنيا من تعلق الفعل وله بالحرف (على) لا من تضمنه معنى فعل آخر.

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٩٠ ص ١٤٦.

(٢) المعتزلي٣٩٦/٦ وينظر: الراوندي٣٧٢/١ والكيدري٤٢٩/١ والبحراني ٣١٥/٢ ، ١٣٩/٢وعبده١٧٣/١ والخوئي١٤/٦، ٦٨/٢٧١ ومغنية٤٥٣/١ والتستري١٨٩/١ وأنصاريان٢٤٨/١ والشيرازي٣٤/٢ والموسوي٤٩/٢.

(٣) ينظر: الكيدريّ١٨١/١ وانصاريان١٣٠/١والشيرازي٢٣٣/٢ و٢٣/٣ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١ ، ص ٢٥ .

(٥) السامرائي٣٠٦ .

(٦) نفسه: ٢٨٣ .

(٧) نفسه

(٨) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ ص ٢٠٠ .

(٩) السامرائي ٣٦٨ .

وقد نسبت هذه المعاني الاستعلائية للحرف (على) في بعض اقوال الشّرّاح المتاخرين – ايضا – الى الافعال ، من ذلك تضمين الفعل (حمل) لمعنى (الارشاد) في قوله (ع) : (فأَنا حَامِلُكُم إنْ شَاءَ الله عَلَى سَبِيْلِ الجَنَّةِ)[١] ، فجعل الشارح الشيرازي[٢] تعدية حاملكم بالحرف (على) لتضمنه معنى الارشاد ، اي : ارشدكم على سبيل الجنة ، ولم يجعل الشارح دلالة الحرف (على) على الصعوبة والمشقة مسوغا لتعلقه بالفعل حمل ليفيد صعوبة انقياد المخاطبين.

وقد ذكر شراح النهج دلالات اخرى للحرف (على) هي :

٢ - على بمعنى مع[٣] : ومن امثلتهم على ذلك قوله (ع) يصف خلق الأرض : (وَأَرْزَاهَا فِيْهَا أَوْتَادًا فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيْدَ بِأَهْلِهَا)[٤] ، اذ ذهب طائفة من شراح النهج الى ان (على) في : (سكنت على حركتها) دالة على معنى (مع) ، اي : (مع حركتها متحركة – كما يقول العلم الحديث-)[٥] ، واستشهدوا على هذا بقوله تعالى : ﴿

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[٦] وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٧] متابعة منهم لمن سبقهم من اللغويين والمفسرين ، على حين ذهب فريق اخر من شراح النهج الى عد (على) في هذا الموضع دالة على الحال ، والمعنى انها سكنت على ان من شانها الحركة ، اي في حال كونها متحركة ، اذ كانت قبل خلق الجبال مضطربة[٨] . وانفرد الشارح الخوئي بتجويز تقدير محذوف بعد (على) ليكون المعنى : « على أثر حركتها بتموج الماء »[٩] .

ويمكن القول : إنّ (على) باقية على دلالة الاستعلاء لتومئ الى الصعوبة والاضطراب في حركة الارض ، اما في الايتين الكريمتين فـ(على) باقية على معناها – ايضا – من الاستعلاء لما فيه من لمح الصعوبة والمشقة مع قلة الطعام المتصدق به في الآية الأولى ، وملاحظة هيمنة المغفرة الربانية على الظلم في الآية الثانية ، ولو كانت (على) بمعنى (مع) لصار المعنى في الاية الأولى ان الصدقة جرت مع حب للمال ، وهذا ينافي صفات المتصدقين المطلقين للدنيا . والمعنى في الاية الثانية انه سبحانه يغفر للناس المصاحبين للظلم وان لم يتوبوا .

٣- على بمعنى باء المقابلة : صرح الآملي[١٠] بهذا المعنى وهو يوضح قوله (ع) : (قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٥٦ ص:٢٣٧.

(٢) ينظر : الشيرازي٤٠٠/٢ وللمزيد ينظر : السرخسي٩٩/١ وأنصاريان٢٥/٣ .

(٣) للمزيد ينظر : انصاريان٣٩٣/٣ والخوئي ٣٦٧/٣ و ٧٦/١٠ وعبده ٥٩/١ ومغنية٤١/٥ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٢١١ ص:٤١٣ .

(٥) الشيرازي٣١٦/٣ وينظر : التستريّ ٤/ ٥١٥ وابو الفضل١٥/٢ .

(٦) الانسان ٨ .

(٧) الرعد ٦ وينظر : الكشاف١٩٦/٤ و مغني اللبيب١٩٠/١ .

(٨) ينظر : المعتزلّي٥٩/١١ والبحراني ٢٦/٤ وعبده٤٥٤/١ وانصاريان٤١٠/٢.

(٩) الخوئي٧٠/١٤ .

(١٠) نفسه ٨٦/٢١ .

وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِهِ وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ)[١] ، فذهب الى ان (على) في هذه المواضع بمعنى باء المقابلة ، وهو معنى ذكره اللغويون لـ(على)[٢] . ومن امثلته في النهج ما في قوله (ع) : « يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ عَمَلُهُ »[٣] ، فقد فسّره بعضهم بأنّه مهما كانت المصيبة عظيمة فهناك ما يقابلها من الصبر[٤] ، على حين ابقى سائر شراح النهج دلالة (على) على اصلها ، والمعنى انه « اذا كانت المصيبة عظيمة نزل على الانسان من الله سبحانه صبر كبير »[٥] ، فالإمام (ع) : « إنّما اراد أنّ مرارة الصبر تكون على قدر المصيبة »[٦] .

ويبدو ان الصفات الحسنة الفاضلة في الرجل مما يحتاج اكتسابها الى جهد وتهذيب للنفس ، وكذلك نزول الصبر على المكاره والمصاعب يصحبه المشقة والمرارة ، لذا جاءت (على) مع هذه الافعال لاشتمالها على هذه المعاني .

٣-على بمعنى (في) : كما في قوله (ع) : (والله لابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ)[٧] ، اذ ذهب الشارحان الكيدريّ والخوئي الى ان (على) في قوله (ع) : (اندمجت على مكنون علم) بمعنى (في) ، اي : اندمجت في مكنون علم[٨] ، واستدلوا لهذه الدلالة بقوله تعالى : ﴿ **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا** ﴾[٩] ، على حين خالفهما سائر شراح النهج فضمنوا الفعل (اندمجت) معنى (انطويت) على مكنون علم[١٠] .

وهنا يمكن القول : إنّ (على) باقية على دلالتها من غير تضمين واخراج لدلالة الفعل اندمج ؛ وذلك لتحصيل معنى القهر والغلبة على الاسماع المفهوم من السياق : (لاضطربتم اضطراب الارشية..) ولذا صلحت تعدية اندمج بـ(على) . اما في الاية الكريمة فمعنى الغلبة واضح لتعلق (على) بالفعل (دخل)، فدخول موسى المدينة كان في ترقّب منه وغفلة منهم ، حتى قيل : إنّ اهل المدينة اخافوا موسى (ع) لما سمعوا منه التكلم بالحق وتوعدوه فلا يدخل الا على تغفل[١١] .

٤-على بمعنى (من) : ذهب فريق من شراح النهج الى عد الحرف (على) دالا على معنى (من) في قوله (ع) : (فمن ذا بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته؟)[١٢] ، واستدلوا على هذا الاستعمال بقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِذَا**

---

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٤٧ ، ص ٦٠٩ . (٢) ينظر : مغني اللبيب١/١٩٢

(٣) نهج البلاغة : الحكمة١٤٤ ، ص ٦٢٨ . (٤) ينظر : الموسوي٥/٣٢١ .

(٥) الشيرازي٤/٣٣٢ وينظر : التستريّ١/٣٩٨ والخوئي ٢١/٢١٣ (٦) مغنية٤/٣٠٩ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٥ ، ص ٣٦، والارشية : هي الحبال في البئر البعيدة القعر ، ينظر : المعتزلّي١/٢١٥ .

(٨) ينظر : الكيدريّ١/١٨١ والخوئي ٣/١٣٦ . (٩) القصص ١٥ .

(١٠) ينظر : المعتزلّي١/٢١٥ والسرخسي١/٥٤ وعبده١/١٤٦ والموسوي١/١٢٦ .

(١١) ينظر : الكشاف٣/١٦٨ .

(١٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٦١ .

اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾[١] ، والمعنى : « من الذي يبقى بعد ابليس سالما من عذابه وسخطه سبحانه وقد جاء بمثل معصيته »[٢] .على حين ضمّن فريق آخر من الشّرّاح الفعل (يسلم) معنى الفعل (رجع) أو (فات) [٣] ، وقد نّبه الشيرازي على معنى الضرر في إفادة الحرف (على) معنى الاستعلاء ، وبذا وجه كلام الامام (ع) محافظا على دلالة (على) ومبتعدا عن القول بالتضمين ، اذ قال : « والإتيان بعلى لانه يشبه الضرر في ان الله يريد شيئا ، ويريد العاصي شيئا اخر خلاف ارادته سبحانه »[٤] . والفعل (اكتال) في الآية الكريمة وان كان يتعدى بـ(من)[٥] ، الا ان تعديته بـ(على) تدلّ على ان الاكتيال جائر غير عادل ، وهذا المعنى مفهوم من الحرف (على) الدال على الاستعلاء ، وليس من مجيء (على) بمعنى (من)[٦] ، او تضمين الفعل (اكتال) معنى استولى[٧] .

٥ - على بمعنى (عن) : ذهب الى هذا المعنى الشارح الخوئي وتبعه الموسوي ، وذلك في شرحهما قوله (ع) : (لاَوتَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُم فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُم ...)[٨] ، اذ جعلوا المعنى هو النهي لهم عن التفرق عنه[٩] ، على حين احتفظت (على) بدلالتها لدى سائر شراح النهج ، اي : لا تفرقوا ولا تختلفوا على امامكم[١٠] ، فالفعل(صدع) يدل على التفرق ، يقال : تصدع الامر : تفرق ، وتصدع القوم تفرقوا[١١] ، وهو فعل متعد صلح تعلق الحرف (على) به لبيان معنى الظلم والضرر في عصيان السلطان والخروج على صاحب الامر ، وانما لم يستعمل معه الحرف (عن) في هذا الموضع لان معنى المجاوزة يمكن ان يكون مرادا لو كان خروجا وتفرقا للجماعة عن صاحبهم او رفيقهم ، اما هنا فاجتمع ضرر التفرق عن وحدة الجماعة الى التفرق عن طاعة ولي الامر المنهي عنها شرعا ، فزاد الضرر واحتاج الكلام الى الحرف (على) لتؤدي هذا المعنى .

---

(١) المطففين ٢ .

(٢) الخوئي ٢٧٨/١١ وينظر : عبده٣٩٧/١ ومغنية١٣٨/٤ .

(٣) ينظر : البحراني ٢٤٨/٤ وانصاريان٢٧٦/٢ .

(٤) الشيرازي١٨٠/٣ .

(٥) ينظر: المقاييس ٩١٤.

(٦) ينظر : الكشاف٢٣٠/٤ ومغني اللبيب١٩١/١ .

(٧) ينظر : تفسير الرازي٨١/١٣ وارشاد العقل السليم ٢٥/٣ .

(٨) نهج البلاغة الخطبة ١٨٧ ص:٣٤٨ .

(٩) ينظر : الخوئي ١٤٣/١١ والموسوي٢٤٩/٣ .

(١٠) ينظر : البيهقّي٣٥٠ والراونديّ٤٤١/٢ والكيدريّ٣٠٣/٢ والمعتزلّي٩٨/١٣ والبحراني ١٨٣/٤ والسرخسي٢٠٣/١ وعبده ٣٨٤/١ ومغنية٨٢/٣ وانصاريان٢٤٤/٢ والشيرازي١٤٨/٣ وابو الفضل٧٦٠/٢.

(١١) ينظر : المقاييس٥٨٨ .

٦ - (على) بمعنى الحال[١] : انفرد الشارح البحراني بذكر هذا المعنى للحرف (على) ، في شرحه قوله (ع) في المنذر بن الجارود العبدي[٢] وقد استعمله على بعض النواحي فَخَانَ الأمانة : (وَمَنْ كَانَ بِصفتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ ، أَوْ يُنَفذّ بِهِ أَمْرٌ ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ ، أَوْ يُشْرِكَ فِي أَمَانَةٍ ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ)[٣] ، فقد ذكر الشارح ان المعنى في قوله (ع) : يؤمن على جباية « اي : حال خيانتك ؛ لان كلمة على تفيد الحال »[٤] ، واختلفت أقوال سائر شراح النهج في توجيه معنى (على) في هذا الموضع ، فذهب الراونديّ الى أنّها بمعنى (من) ، اي : (يكون مأمونا من أن يخون)[٥]، على حين ذهب التستريّ الى ان (على) بمعنى (مع) ، والمعنى : يؤمن مع خيانة[٦] ، وذهب فريق آخر الى تقدير محذوف ، ليكون المعنى : يؤمن على ازالة خيانة[٧] ، او يؤمن على دفع خيانة[٨] .

وربما كان توجيه التستريّ افضل ما قيل هنا ؛ لانه يدل على عدم استحقاقه الائتمان لمصاحبته فعل الخيانة ، ولكن تحري ظاهر الاستعمال اللغوي افضل في ادراك مراد المتكلم ، وانه (ع) خاطب هذا الخائن بعد علمه بحصول ذلك الفعل القبيح منه ، فلن (يؤمن على خيانة) ؛ لانه ارتكب كبيرة خان بها نفسه وامامه والمسلمين ، لذلك استعملت الاداة (على) لتؤدي المعنى على اعلى وجه له من وجوه الظلم والقبح والعسر .

٧- (على) زائدة :

عدّ الخوئي (على) زائدة في قوله (ع) : (... وَلكِنّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْه ... وَبالسَّامِعِ الْمُطِيعِ العَاصِي الْمُرِيبَ أَبَدًا حَتّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي ..)[٩] ، فعد (على) في : ياتي علّي يومي ، زائدة ، والمعنى : حتى ياتيني يومي[١٠] . والحق ان استعمال الحرف (على) في هذا الموضع مراد ؛ لانه لا يعبرعن اتيان اليوم بصورته الطبيعية المعتادة ، وانما المراد اتيان الموت[١١] اليه (ع) بما فيه من شدة و صعوبة ، لذلك استعمل الفعل (على) ، ولو حذف الحرف من التركيب لما فهم الشّرّاح ارادة يوم الموت ، فربما اراد بيومي يوم انتصافه من الظالمين ، او يوم انتصاره ، او اي يوم اخر .

---

(١) وللمزيد ينظر : البحراني ٤٢١/٣ و ٢٤/٤ . (٢) تنظر ترجمته في المعتزلّي٥٥/١٨ .

(٣) نهج البلاغة : الرسالة ٧١ ، ص ٥٩١.

(٤) البحراني ٢١٣/٥ .

(٥) الراونديّ٢٥٥/٣ .

(٦) ينظر : التستريّ١١٣/٨ .

(٧) ينظر : انصاريان٣٠٩/٣ .

(٨) ينظر : الشيرازي٢٤٦/٤ وعبده ١٣٨/٢ ومغنية١٨٩/٤ .

(٩) نهج البلاغة : الخطبة ٦ ، ص ٣٧.

(١٠) ينظر : الخوئي ١٤٤/٣ .

(١١) ينظر : البيهقّي ٨٩ والكيدريّ١٨٤/١ والمعتزلّي٢٢٥/١ والبحراني ٢٨١/١ والشيرازي٨٦/١ والموسوي١٣٢/١ .

المطلب السابع : دلالة الى .

أقر الشّراح تبعا للسابقين[١] للحرف (إلى) الدلالات الآتية :

١- دلالة (الى) على الدخول في الغاية مطلقا .

وهي دلالة يتيسّر فهمها من السياق عموما ، الا ان تعلق (إلى) بالافعال المتعدية بنفسها او تعلقه بافعال تصل الى مفاعيلها بغيره ، اوقع شراح النهج في تباين واضح في توجيه مراد الامام (ع) ، تباينا ليس بين شارح وآخر ، بل بين اقوال الشارح الواحد . فقد ذكروا عدة توجيهات لاستعمال الحرف (الى) ، تارة بالقول بالتضمين ، اي اخراج دلالة الافعال التي تعلق بها حرف الجر (الى) الى دلالات افعال اخرى ، وتارة بتقدير فعل محذوف في التركيب يصلح لتعلق

الحرف (الى) به ، وتارة بإقرار دلالة أخرى للحرف (الى) على معنى حرف اخر . ومن اهم الاستعمالات لهذا الحرف وروده في كلام الامام (ع) متعلقا بالفعل (ابصر) ، واستعمال حرف الباء في الموضع نفسه متعلقا بالفعل نفسه ، مما يتيح للشراح عقد مقارنة دلالية دقيقة بين الاستعمالين في قوله (ع) في صفة الدنيا : (مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَا فَنَاءٌ! ...مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فَتَنَ ...وَمَنْ أَبْصَرَهَا بَصَّرَتْهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ)[٢] ، وقد خاض الشّرّاح في التاويل ولم يحملوا الألفاظ على ظاهرها ، إذ استقر لديهم تعدية الفعل ابصر بنفسه وعدم احتياجه الى حرف جر للوصول الى مفعوله ، فالمعتزلّي علق (إلى) بمحذوف تارة ، وجوز زيادة (إلى) في التركيب بقصد معنى الظرفية تارة أخرى ، فقال: « يجوز ان يكون قوله عليه السلام : من ابصر اليها ، اي : ومن ابصر متوجها اليها ، كقوله : ﴿ **فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ** ﴾[٣] ولم يقل : مرسلا، ويجوز ان يكون اقام ذلك مقام قوله : نظر اليها ، لما كان مثله ، كما قالوا في دخلت البيت ودخلت الى البيت اجروه مجرى ولجت البيت لما كان نظيره»[٤]. ويكاد يطبق سائر الشّرّاح على القول بتضمين (أبصر) أفعالا أخرى تعلقها بـ(إلى) ظاهر جلّي وهي : (نظر) و(توجه) ، و(التفت)[٥]. وأحسن الكيدريّ لما نأى عن التضمين والتأويل فحمل التركيبين : (أبصر بها) و(أبصر إليها) على ظاهرهما ، ففرق بينهما قائلا: « ابصر بها ، اي : جعلها الة وواسطة لادراك السعادة الكبرى

---

(١) ينظر : الكتاب ٢٣١/٤ والمقتضب ١٣٩/٤ والاصول ٥٠١/١ ومغني اللبيب ١٠٤/١ والجنى الداني ٣٧٣ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٨٢ ص:١١٩ .

(٣) النمل ١٢ .

(٤) المعتزلّي ٢٤٠/٦ .

(٥) ينظر :الراونديّ ٣١٩/١ والكيدريّ ٣٧٧/١ والبحراني ١٩٠/١والخوئي ٣٣٤/٥ . و ٤٠٦/٩ ومغنية ٣٧٨/١ والتستريّ ٤١٧/١١ وانصاريان٢٥٠/٣ والموسوي ٤٥٥/١ .

بصرته ؛ لانها الواسطة ... ومن ابصر اليها ، اي : جعلها مقصودة مطلوبة »[١]. وهذه الالتماعات الدلاّلية في بحث الشّرّاح الأدوات النحوية قليلة إذا ما قيس الأمر بنزعهم نحو التأويل والتضمين تبعا للسابقين . ومن هذه الالتماعات – أيضا – ما جهر به الخوئي من دقة استعمال للحرف (الى) في قوله (ع) : (قُوتُ الحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إلى غيرِ أَهْلِهَا)[٢] ، إذ قال :« وطلب منه اشهر من طلب اليه ، وكان العدول من لفظة **(من)** الى لفظة **(الى)** يشعر بانه جرّ الحاجة الى غير مظان حصولها»[٣] ، لكنه سرعان ما يعدل عن هذا الالتفاتة ليعود الى القول بالتضمين الفعلي للاستعمال نفسه ، وذلك في شرح قوله (ع) في وصف المتقين: (يطلبون الى الله تعالى في فكاك رقابهم)[٤] ، اذ بين الخوئي ان « تعدية الطلب بحرف الجر اعني (الى) لتضمين معنى التضرع »[٥]، فجعل التضرع حاصلا من الفعل (طلب) وليس من استعمال الاداة (الى) كما وجه به التركيب السابق . ورفض ان يقدر التضمين الفعلي لطلب بـ

:(سأل) كما فعل المعتزلّي قبله[٦] ، مع انه كان بامكانه ان يوحد منهجه ويذهب الى ان استعمال الطلب متعديا بالحرف (الى) في هذا الموضع للدلالة على انه طلب مصحوب بـ تضعّ ؛ لان الحرف (الى) وجّه الطلب الى الباري –عزوجل- على حين كان الطلب مذموما في الحكمة السابقة ؛ لان الحرف (الى) اوصل الطلب الى غير اهله .

٢ - الى بمعنى (مع)

من امثلة هذا المعنى لدى الشّرّاح ما في قوله (ع) :(أَحْمَدُهُإِلَى نَفْسِهِ)[٧] ، و(حَمَدُوا إِلَيْهِطَرَقِهِ)[٨] ، و(أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ)[٩]، إذ تعلق (الى) بالفعل (حمد) المتعدي ، فذكر الخوئي أنّ (الى) بمعنى (مع) في قوله (ع) : « فإني احمد اليك الله ، اي : احمده معك ، فأقام إلى مقام مع »[١٠] ، وأكثرهم على أنّ (إلى) في هذا الموضع لم يتعلق بالحمد بل هو

---

(١) الكيدريّ ٣٧٨/١ وينظر: ٥٤٢/٢

(٢) نهج البلاغة : الحكمة٦٦ ، ص ٦١١ .

(٣) الخوئي ١٠١/٢١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ ، ص ٣٨٢ .

(٥) الخوئي ١١٣/١٢ .

(٦) ينظر : المعتزلّي ٢٤٠/٦ .

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٣ ، ص ٣٣٤ .

(٨) المصدر نفسه : الخطبة ٢٢٢ ، ص ٤٣٢

(٩) نفسه : الخطبة ١٦٠ ، ص ٢٨٠ .

(١٠) الخوئي ٦٥/١٨ .

متعلق بمحذوف يظهر جليا اقترانه بهذا الحرف ، والتقدير : أحمده متقربا اليك[١] ، او منهيا ذلك اليك[٢] ، او مفضيا اليك[٣] ؛ لان «طريقة العرب في الحذف في مثل هذا معلومة»[٤] . ولا يحتمل الكلام مثل هذه التأويلات التي تنأى به عن مراد الإمام الذي يظهر منه أنه (ع) يحمد الله حمدا يعيه من حوله فتخشع له جوارحهم وترق له مسامعهم ، وبهذا تحتفظ الأداة (إلى) بمعناها العام الذي هو الدخول في الغاية .

٣ - الى بمعنى الباء

وذلك في قوله (ع) في الخوارج : (مَا أَنْتُم بِوَثِيقَةٍ يُعْتَصَمُ بِهَا ، لَا زَوَافِرَ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا)[٥] ، اذ ذهب فريق من الشراح[٦] الى إنّ (الى) في: يعتصم اليها ، بمعنى الباء « اي : بها ، فاناب الى مناب الباء ، كقول طرفة[٧] :

وإنْ يَلْتَقِ الحَيُّ الجميعُ تُلاقِني إِلَى ذِرْوَةِ البَيْتِ الرَّفِيعِ المُصَمَّدِ

وأقّر بعضهم تضمين اعتصم معنى التجأ ، فـ ((عدي الاعتصام بالى على معنى الالتجاء))[٨] ، والمعنى : يُلتجأ إليها عند براز الابطال[٩] . ومعنى : (اعتصم إلى) يستدعي أن تكون العصمة متحققة من التوجه إلى زوافر العز والدخول فيها ، والالتجاء معنى مفهوم من دلالة (إلى) الرئيسة إذ هي الدخول في الغاية وليس العكس.

---

(١) ينظر : الراونديّ٢/١٩٨

(٢) ينظر : الخوئي ١٤/٢٤٨

(٣) ينظر : الشيرازي٣/١٠٦ .

(٤) ينظر : المعتزلّي١١/١٧٩ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٥ ، ص ٢٣٠ .

(٦) ينظر : المعتزلّي٧/١٠٧ والشيرازي٢/٢١٤ وابو الفضل١/٢٩٣ .

(٧) من المعلقة في شرح السبع ١٨٧ وشرح التسع٢٥٧ وشرح العشر٧٧.

(٨) السرخسي١/١٢٣ .

(٩) ينظر : الراونديّ٢/٤٢ والخوئي ٨/١٨٠ .

المطلب الثامن : دلالة حتّى

أقّر الشّرّاح تبعا للسابقين[١]عدة دلالات لحتّـى ، منها العطف والجرّ والاستثناء وغير ذلك ، ويمكن إرجاع كل هذه الدلالات إلى معنى واحد هو الدلالة على انتهاء الغاية . وكما يأتي :

١ - دلالة (حتى) على انتهاء الغاية

ومعنى انتهاء الغاية أن ما بعد (حتى) منقطع عمّا قبلها ، وما قبلها ينتهي عند حدود ما بعدها . ودلالة (حتى) الرئيسة هذه متأتية من دلالة اصواتها[٢] ، فـ (حتّى) مشتقة من الحتّ ، والحقوا بها ألفا في اللفظ ، وياء في الخط ، لئلا تلتبس باسم او فعل[٣] ، ولما كان الحتّ هو الاستئصال والازالة والخلوص الى نهاية ، كانت (حتى) بمعنى الوصول الى نهاية الامر[٤].

ولذا أقّر شراح النهج دلالة (حتى) على انتهاء الغاية في عدة مواضع من النهج[٥] على نحو هيمنت فيه هذه الدلالة على غيرها من الدلالات التي تشعّبت وتفرعت أيما تفرّع . وعلى الرغم من ذلك اختلف الشّراح في دلالة أمثلة (حتى) الواردة في النهج كثيرا ، فلا يكادون يتفقون على دلالة مثال واحد منها.

من ذلك ما في قوله (ع) لما بويع بالخلافة : (فوالله مازلت مدفوعا عن حقي مستاثرا علي منذ قبض رسول الله (ص) حتى يوم الناس هذا)[٦] ، فمعظم الشراح[٧] على أنّ هذه الخطبة خطبها الإمام (ع) لما بويع بالخلافة ، وفيها يفاد من (حتى) أنه (ع) جاء بها لأنه اراد وقوع الظلم عليه حتى يومه الحاضر ، إذ بويع خليفة . ولو استعمل (إلى) لما كان فيه إشارة إلى رجوع الحق إليه (ع) . ويؤيد ذلك انه (ع) نفى ان يكون كالضبع تنتظر الصائد حتى يأتيها ثم يوقع بها ، فهو (ع) لا ينتظر وقوع الحيف عليه ، بل يضرب بالحق على الباطل. وشرط توسط (حتى) العاطفة بين الجزء وكله يجعلها قريبة من دلالة ادوات اخرى ، فهي تشبه دلالة الحرف (الى) في معنى الغاية ، الا ان الفرق الدلالي بينهما يتمثل في ان (الى) امكن في الغاية من (حتى) واعم[٨] ، فان (الى) تستعمل في عموم الغايات ، سواء كانت اخر جزء من الشيء ام لا ، فالفرق بينهما ان « **حتى** غاية لما قبلها ، وهو منه ، وما بعد **الى** ليس مما قبلها ، بل عنده انتهى ما قبل الحرف ولذلك فارقتها في اكثر احكامها ولم تكن الى عاطفة لانقطاع ما بعدها عما قبلها بخلاف حتى»[٩].

---

(١) ينظر : الكتاب ٤٩/١ والمقتضب ٩٥٦/٢ ومعاني القران ١٣٤/١ واسرارالعربيّة ٣٦٩ والجنى الداني ٥٠٣ ومغني اللبيب ١٦٦/١ .

(٢) ينظر : نتائج الفكر ٢٥٢ وبدائع الفوائد ١٢٧/١ . (٣) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٤٢٩/٢ .

(٤) ينظر : معاني النحو ٣٤/٣ ونظرة مقارنة على بعض ادوات المعاني ١٣٤

(٥) ينظر : البيهقّي ٨٩ والراونديّ ١٢٩/٢ والبحراني ٣٢١/١ وعبده ٣٢١/١ وانصاريان ١٥٩/١ وابو الفضل ٣٤٠/١ .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٦ ، ص ٣٧. (٧) ينظر : المعتزلّي ٢٢٣/١ والبحراني ٢٨١/١ ومغنية ٢٦٦/١ .

(٨) ينظر : الكتاب ٣١٠/٢ ومعاني النحو ٣٥/٣ . (٩) نتائج الفكر ٢٥٢ .

ومن هنا تسّمح الخوئي في بعض المواضع[١] فلم يفرق بين (حتى) و(إلى) ، فجّوز أن يكون ما بعد (حتى) داخلا في حكم ما قبلها في المعنى ، إذ فسر (حتى) بـ(إلى)[٢] في قوله تعالى : ﴿ **حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى** ﴾[٣]. والمعنى الدقيق لفعل بني اسرائيل في هذه الاية حسب الدلالة الدقيقة للاداة (حتى) يقتضي انهم يعكفون على عبادة العجل حتى يروا موسى (ع) راجعا اليهم فإذا دخل إلى مكانهم امتنعوا عن ذلك ، وهذا تلويح منهم بادراكهم لقبح ما فعلوه لانهم يتركون عبادة العجل حين رؤيتهم موسى (ع) ، ولو استعملت الاداة (الى) لكان المعنى انهم يعكفون على عبادتهم العجل بعد وصول موسى (ع) إليهم ، وحينئذ ليس ثمة إشارة في كلامهم إلى إنهم مدركون لكفرهم ومعصيتهم لنبيهم . وثمة دلالات كثيرة لأمثلة (حتى) في النهج توسع الشّراح في إيرادها تارة ، وساقوها على سبيل الخلاف بينهم تارة أخرى ، وأشهر تلك الدلالات :

- حتى العاطفة

شرط العطف بحتى ان يكون ما بعدها جزءا مما قبلها ، نحو : اكلت السمكة حتى رأسها ، ومات الناس حتى الانبياء[٤] الا ان العطف بـ (حتى) يضفي على الجزء دلالة خاصة تتمثل في تعظيم ذلك الجزء او تحقيره او زيادته او نقصانه ، فلا يقال : قام القوم حتى زيد ، الا وزيد عظيم او حقير . فالزيادة تشمل القوة والتعظيم ، والنقص يشمل الضعف والتحقير . ومثال التعظيم : مات الناس حتى الانبياء ، فالانبياء غاية للناس في الشرف والفضل . ومثال الضعف : قدم الحجاج حتّى المشاة ، فالمشاة غاية للحجاج في الضعف والعجز[٥] . ولما كان معطوف (حتى) من جنس المعطوف منه ، او جزءا منه ذهب النحاة الى ان المعطوف بـ(حتى) لا يكون الا مفردا و «الجزئية لا تاتي الا في المفردات »[٦] ، فهي لا تعطف الجمل[٧] ، والفعل المعطوف بعدها على الاستئناف فهي حرف ابتداء[٨] ، واشترطوا لعطفها الجمل ان تفيد السببية[٩] ، نحو : ما تاتينا حتى تحدثنا ، وضربت زيدا حتى بكى ، فما بعدها شيء يؤديه الاول . ويقال – ايضا - : قام حتى أعيا ، وبكى حتى عمى ، ولو قيل : اكل حتى بكى ، وسار حتى طلعت الشمس لم يجز لعدم افادة السببية[١٠].

---

(١) ينظر : الخوئي ١٤٤/٣ و ١٥٩ و ١٨٢/٤ .
(٢) ينظر : الخوئي ١٤٤/٣
(٣) طه ٩١ .
(٤) ينظر : المقتضب ٨٤٢/٢ وجواهر الادب ٢٣٦.
(٥) ينظر : معاني الحروف١١٩ والازهية٢٢٣ والمقتصد٨٤١/٢ وشرح المفصل٩٦/٨ وشرح جمل الزجاجي٢٢٨/١ والتسهيل ١٧٥ وارتشاف الضرب٦٤٧/٢ والهمع ٢٥٨/٥.
(٦) الهمع٢٥٨/٥ .
(٧) ينظر : مغني اللبيب١٧٢/١ .
(٨) ينظر : الكتاب٤١٣/١ وارتشاف الضرب٦٣١/٢ ومغني اللبيب١٧٣/١ وشرح التصريح١٤١/٢.
(٩) اي : تكون بمعنى اللام او كي التعليلية .
(١٠) ينظر : ارتشاف الضرب٦٤٩/٢ والجنى الداني٥٠٨ والهمع٢٥٩/٥ .

- حتّى الجارّ

اذا كان ما بعد (حتى) شيئا ينتهي عنده ما قبلها وليس جزءا ممّا قبلها فلا يجوز العطف بها ،وانما هي حتّى الجارة ، نحو قولنا : قمت الليلة حتى الصباح ، لان الصباح ليس جزءا من الليلة . والمعنى إنّ الليلة منتهية عند وجود اول جزء من الصباح[١] ، و(حتى) الجارة اعم من (حتى) العاطفة ؛ « لان كل موضع جاز فيه العطف يجوز فيه الجر ولا عكس ، لان الجر يكون في موضع لا يجوز فيه العطف »[٢].

- حتّى الاستثنائية .

يفهم معنى الاستثناء في (حتى) من علاقة الجزئية بين ما قبلها وما بعدها ، فبهذه العلاقة اشبهت (حتى) شرط الاستثناء المتصل ، الذي يقتضي ان يكون ما بعد الا ، وهو المستثنى ، جزءا مما قبلها وهو المستثنى منه . ولذا ذهب

النحويون الى ان (حتى) يعطف بها يختلط ما بعدها بما قبلها وينزل منزلة البعض منه ، يحسن إنْ حسن الاستثناء المتصل . فان لم يحسن الاستثناء المتصل لم يحسن العطف بـ (حتى) . إذ يحسن ان يقال في الاستثناء المتصل : اعجبني الرجل الا كلامه ، ويمتنع ان يقال : اعجبني الرجل الا ولده ؛ على ارادة الاتصال ؛ لان شرط الاستثناء المتصل ان يتناول ما قبل اداته ما بعدها نصا[٣] ، وعليه يصح ان يقال : اعجبني الرجل حتى كلامه . مع ملاحظة ان الاستثناء يخرج الجزء من حكم الكل ، على حين يدخل العطف الجزء بحكم الكل.

ومن أمثلة (حتى) التي اضطرب الشّرّاح بشأنها أنّ رجلا كان مع علّي (ع) واسمه مصقلة بن هبيرة ، اشترى سبيا من عامل الإمام علّي (ع) واعتقه ولكنه أخّر ثمنه فلّما طولب بالمال هرب إلى معاوية ، فقال الإمام يذمُّه : (قَبَّحَ اللهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ ، وَفَرَّ فِرَارَ العَبِيْدِ ، فَمَا أُنْطَقَ مَادِحَه حَتَّى أَسْكَتَهُ ، وَلَوْ صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَه)[٤]. وفي مدلول (حتى) في الموضعين خلاف بين الشّرّاح ، فذهب بعضهم إلى إنها عاطفة تفيد جمع الجهر بمدحه إلى السكوت عنه ، وجمع تصديق واصفه إلى تكذيبه ، فهو قد جمع بين غايتين متنافيتين : انطاقه لمادحه بفداء الاسرى ، واسكاته له بهربه قبل تمام انطاقه[٥] . وهذا يعني انها بمعنى الواو. وأخرجها بعضهم على معنى العطف الدال على التعليل والبيان ، وهو متحقق بالفاء العاطفة « فان اسكات المادح لا يتصور قصده الا بعد انطاقه ، وهو لم يتمم فعله الذي يطلب به انطاق مادحيه بالكرم والحمية ونحوهما ، فكانه قصد اسكات مادحه بهروبه فازوى عليه ذلك ، وقال انه لم ينطقه بمدحه فكيف يقصد اسكاته بهروبه ، وان كان العاقل لا يتصور منه اسكات مادحه عن مدحه الا انه لا ختياره الهروب المستلزم لاسكات المادح صار كالقاصد له فنسب اليه »[٦].

---

(١) ينظر : المقتضب ٨٤٢/٢ وجواهر الادب ٢٣٦. (٢) الجنى الداني٥٠٣ .

(٣) ينظر : شرح التصريح١٤١/٢ وحاشية الدسوقي١٣٨/١ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٤٤ ، ص ٨٦ .

(٥) ينظر: البحراني ١١٨/١ والخوئي ٢٣٣/٤ والشيرازي٢١٠/١ .

(٦) البحراني ١١٧/١ وينظر : انصاريان١٦٥/١

وجوز بعضهم إن تكون (حتى) في الموضعين بمعنى الاستثناء المفرغ ، لأنه لم ينطق مادحه إلا بقصد اسكاته بهربه ولم يصدق واصفه إلا بقصد تكذيبه[١] .

وأخرج بعضهم (حتى) في هذين الموضعين إلى معناها المعروف لاختلاف الفعلين ؛ لأن اختلاف الغايتين مقصود ومراد في هذا الموضع ، فبه تحصل الدلالة على تباين افعال هذا الرجل وقبح نفسه ، فكانه لم يتحمل فعل الخير حتى يصرح بحبه للرذيلة ، فجاءت (حتى) تعبر عن هذه الغاية وتترك للسامع تصور نفسية الرجل ، وتخيل المعنى ، وكأن القائل « ما قال : احسن مصقلة في عتق الاسرى حتى ارتفع صوت يقول : قبحه الله من لص محتال »[٢]. وعضد الخوئي دلالة (حتى) على التعليل بقوله تعالى:﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾[٣]. فكأنها بمعنى (كي)[٤] . وحمل (حتى) على التعليل في الآية الكريمة يجعل المعنى ان الكفار يقاتلون المسلمين لغاية

واحدة معللة بالعودة بهم الى الكفر، وبقاء (حتى) دالة على انتهاء الغاية يبين أن قتالهم ممتد لغاية حصول الكفر ، وانما لم يجعل القتال علة للرجوع الى الكفر ؛ لانه ربما تكون هناك غايات وعلل اخرى من حرب الكفار للمسلمين ، من نحو ابقائهم على العادات التي نسخها الاسلام وحرمها .

وفي قوله (ع) : (قَدْ أُرْعِدُوا ، وأُبْرِقُوا ، وَمَعَ هَذِينِ الأَمْرَيْنِ الفَشَلُ ، وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ ، وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ)[٥]، ذهب الشارح الخوئي [٦] الى حمل (حتى) على معنى الاستثناء ، والمعنى : انا لا نُهدّد الا ان نعلم انا سنوقع ، وبهذا يكون التهديد سابقا للايقاع ، على تاويل علم الامام (ع) المسبق بتحقق الايقاع بالعدو . واستدل الخوئي على عضد هذه الدلالة بقول الشاعر[٧] :

ليسَ العطاءُ مِنَ الفُضُولِ سَمَاحةً حتَّى تَجودَ وَما لَديكَ قَلِيلُ

وتابعه انصاريان في هذا التاويل من غير ان يصرح بمجيء (حتى) هنا بمعنى (الا) ، قائلا : «لعل المعنى : لسنا نهدد حتى نعلم انا سنوقع »[٨] . وابقى شراح النهج الاخرون (حتى) على معناها من انتهاء الغاية ، ليكون كلامه (ع) انا «اذا اوقعنا بخصمنا ، اوعدنا حينئذ بالايقاع بغيره من خصومنا »[٩] ، فالايقاع بأحد الخصوم سابق لتهديد آخرين ، وهو بمنزلة الإنذار والوعيد لهم[١٠] . فتكون (حتّى) دالة على إن غاية سكوتهم عن الرعد ممتدة لحين

---

(١) ينظر: البحراني ١١٨/١ . (٢) مغنية٢٦٧/١ .

(٣) البقرة ٢١٧ وينظر: الكشاف ٣٥٧/١ . (٤) ينظر : الخوئي ١٨٢/٤ .

(٥) نهج البلاغة : الخطبة ٩ ، ص ٣٨ . (٦) ينظر : الخوئي ١٥٩/٣ .

(٧) من شواهد مغني اللبيب١٦٩/١ والجنى الداني٥٠٦ من دون عزو .

(٨) انصاريان٨٧/١ .

(٩) المعتزلّي٢٣٧/١ وينظر : عبده٤٨/١ وابو الفضل٤٤/١ ومغنية٢٧٤/١ .

(١٠) ينظر: السرخسي٥٥/١ .

الظفر بأحد خصومهم فيكون رعدهم مآثر يتناقلها الناس ، لا صخب كلام يرددونه بأفواههم كما يفعل خصومهم.

وفي قوله (ع) : (إنّ الله سبحانه بَعَثَ مُحَمَّدا – صلّى الله عليه وآله – وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً ، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ ، وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ ، أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا ، حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا ، مَا عَجَزْتُ وَلَا وَجَبْنْتُ ، وَإِنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا ، فَلَأُقِرَّنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ)[١] أغرب السامرائي فعدّ : (ان كنت لفي ساقتها) سياقا منفيا لا مثبتا مؤكدا ، و(ان) نافية وليست مخففة من الثقيلة ، و (حتى) دالة على تعليق النفي وابطاله فهي بمعنى (إلا) . و« حتى هذه يؤتى بها في حيز الجملة لتعلق النفي و تبطله ... وقد ذهب الامام محمد عبده الى ان (ان) هذه هي المخففة من الثقيلة ...وهذا لا يقره عليه النحاة ؛ وذلك لان (ان) المكسورة الهمزة اذا خففت جاز اعمالها واهمالها ، والارجح الاهمال»[٢]، والمعنى الذي راه السامرائي

هو ان الامام (ع) يريد ان يقول : ما كنت في الذين يسوقون الحرب طردا حتى تولت[٣] . وسائر شراح النهج[٤] يفسرون (حتى) بانتهاء الغاية ، والمعنى إنه « شبه (ع) امر الجاهلية اما بعجاجة ثائرة او بكتيبة مقبلة للحرب ، فقال : اني طردتها فولت بين يدي ، ولم ازل في ساقتها انا اطردها وهي تنطرد امامي ، حتى تولت باسرها ولم يبق منها شيء ... وان مسيري هذا لمثلها ، فلانقبن الباطل »[٥] ، وفي هذا التوجية تكون (ان) في : (وإن كنت لفي ساقتها) مخففة من الثقيلة ، والسياق مؤكد ، و(حتى) أفادت أنه (ع) ثابت في ميدان الجهاد بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحين كسر شوكة الكفر وأهله . وفي قوله (ع) يصف الدنيا : (فإنَّها عِنْدَ ذَوِي الْعُقُول كَفَيْءِ الظِّلِ ، بَيْنَا تَرَاه سَابِغًا حَتَّى قَلَصَ ، وَزَائِلًا حَتَّى قَلَصَ)[٦] ، ذهب الخوئي إلى أنّ (حتى) « حرف ابتداء يعني انها حرف يستانف بعدها الكلام ، سواء كانت الجملة اسمية او فعلية»[٧] ، ولم ير سائر الشراح[٨] استئنافا في كلام الامام (ع) وانما هو متصل لبيان مصير الاشياء وغاياتها ، فكما ان غاية الفيء السابغ والزائد ان ينتهي الى التقلص والنقصان ، كذلك الدنيا الى الزوال .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٣٣ ، ص ٧٣-٧٤ .

(٢) السامرائي ٣٥ . وينظر: وعبده١/٩٠

(٣) ينظر: السامرائي ٣٥ و ٢١٢ .

(٤) ينظر : الراونديّ١/٣٧١ والكيدريّ١/٢٥٩ والبحراني ٢/٧٣ والخوئي ٤/٦١وانصاريان١/١٤٥ والشيرازي١/١٧٧ والسرخسي١/ ٦٥ وعبده١/٩٠ ومغنية١/٢٢٠ .

(٥) المعتزلّي ٢/١٨٦ . (٦) نهج البلاغة : الخطبة ٦٣ ، ص ١٠٠ .

(٧) الخوئي ٤/٣٨٩ .

(٨) ينظر : المعتزلّي٥/١٤٤ والبحراني ٢/١٥٨ والشيرازي١/٢٤٨ وعبده١/١١٨ ومغنية١/٣٢٢ والتستريّ ١٢/٦ وأبو الفضل ١/١٢٧ والموسوي ١/٣٨٢ .

الفصل الخامس

الدلالة المعجميّة في شروح نهج البلاغة

- **توطئة : الدلالة المعجمّية / مفهومها وأنماطها.**
- **المبحث الأول : المشترك اللفظّي في شروح النهج .**
- **المبحث الثاني : التضادّ في شروح النهج .**
- **المبحث الثالث : الترادُف والفروق اللغوّية في شروح النهج .**
- **المبحث الرابع : التطّور الدلالّي في شروح النهج .**

توطئة : الدلالة المعجمّية / مفهومها وأنماطها

المراد بالدلالة المعجمّية هو ذلك النوع من الدلالة الذي يهتّم بالكلمات المتداولة لدى مجتمع إنسانّي معّين؛ لأنّ « كلّ كلمة من كلمات اللغة لها دلالة معجمّية ، او اجتماعيّة تستقل عّما يمكن ان توحيه أصوات هذه الكلمة او صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الاساسية، التي يطلق عليها الدلالة الاجتماعّية »[١]. إذ تكتسب الألفاظ في أيّ لغة دلالاتها لدى بأنائها عبر التلقّي والمشافهة والتواصل فيما بينهم . ولذا سّمي هذا النوع – أيضا - بالدلالة الاجتماعّية وهي « الهدف الاساسّي في كلّ كلام ، وليست العمليات العضلّية التي نقوم بها في النطق بالأصوات إلا وسائل يرجو المتكلم أن يصل عن طريقها إلى ما يهدف من فهم أو إفهام »[٢].

إنّ مهّمة المعجم في أيّ لغة هي الكشف عن معنى الكلمة، إذ تعدّ دراسة المعنى المعجميّ أول خطوة في الحديث عن الكلمة ودلالتها ، لانّ الدلالات الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة هي دلالات وظيفيّة[٣]. وقد سمّاها الدكتور تّمام حسّان بالمعنى الوظيفيّ. وكلّ من الصوت والصرف والنحو لا يدرس الكلمة ، وما يدرسها هو المعجم[٤] .

والألفاظ في المعجم العربيّ ذات معانٍ متعدّدة ، فقد يكون معناها عامّا ، بمعنى انها معزولة عن سياقها الذي يقّيدها بدلالة معينة . وقد يكون معنى اللفظة متعدّدا في المعجم لانها تصلح للدخول في سياقات كثيرة فيكسبها كلّ سياق معنى جديدا ، وهو ما يعرف بالمشترك اللفظيّ ، او التضادّ إذا كان المعنى الجديد نقيضا للاصلي. وقد يكون المعنى غير ثابت في النصوص العربيّة القديمة والحديثة ؛ لانّ دلالة الكلمة عرضة للتغيير فيعرض لها التعميم أو التخصيص أو الانتقال ، وقد تسمو دلالتها ، وقد تنحطّ ، وهذا التغيير هو ما يعرف لدى علماء اللغة بالتطور الدلاليّ[٥]. فالمعجم يبحث معنى الكلمة بذكر معناها أو مرادفها أو مضادّها أو ما يفسّرها، ويقدّم معلومات عنها كأصل الوضع ، وتطورها التاريخيّ ، ومشتقاتها، وقد يفسّر المعنى بنقيضه ، أو يبين علّة تسميته بهذا الاسم ، ويذكر بعض السياقات اللغوية التي توضح دلالتها[٦].

لقد اختار البحث اصطلاح (الدلالة المعجميّة) ، لأنّه أعمّ وأشمل من اصطلاح (دلالة الألفاظ) ، فالمعجم يضطّم على معاني المفر دات، والتراكيب الاصطلاحيّة والسياقيّة ، والمصطلحات العلميّة والشرعيّة ، على حين يوحي مصطلح (دلالة الألفاظ) بدراسة الكلمة المفردة معزولة عن سياقها أو تركّبها مع غيرها . والمعنى المعجميّ يجمع بين المعنى الذي وضع للفظ في الأصل والمعاني السياقيّة التي قد تقع مترادفات ، أو أضدادا ، أو مشتركات، وغير ذلك من القوالب اللفظيّة التي تؤلّف وحدة معنويّة، مستدلّا على ذلك بالشواهد التي توضح المعنى السياقيّ . ويبحث

(١) دلالة الالفاظ ٤٨ . (٢) نفسه ٥١ .

(٣) ينظر : الكلمة ١٣٨ .

(٤) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ١٢٢ .

(٥) ينظر : الكلمة ١٤١ – ١٤٣ ، وعلم الدلالة (عكاشة) ١٥٧ .

(٦) ينظر : التحليل اللغوي ١٥٧ والتطورات المعجميّة ١٨٠-١٨٥والظاهرة الدلالية عند علماء العربية ٢١٨ .

أيضا المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ. وقد توسّع مجال الدراسات المعجميّة حديثا فشمل فروع المعرفة الانسانية كافّة وأدخلت فيه تقنّيات العصر، واستعان بالصور والأشكال التي توضح مراد اللفظ وتكشف عن غموض دلالته وتقرب مفهومه من الأذهان[١] . وقد ألمح الدكتور ابراهيم السامرائيّ الى صعوبة الكشف عن المعنى الاصليّ في المعجم العربي كي يعرف بعد ذلك المعنى المتغّير ؛ لأنّ « النظر في المعجم العربيّ القديم لا يبصر بهذه العلاقة بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ الذي انتهت اليه المادة وخلصت له ، و على هذا فانّ المعنى الحقيقيّ صار من قبيل المواد المهجورة لعدم الحاجة الى استعماله »[٢]. ولّما دوّن المعجميّون العرب المعاني الاولى لكلمات العربيّة عنوا كثيرا

بمعانيها الاصلّية التي عرفها الناس حتى نهاية القرن الاول للهجرة ، وأغفلت معجماتنا المعاني المستحدثة للالفاظ بعد تلك الحقبة ، ممّا عدّ ثلمة وعيبا كبيرا مازال ماثلا في المعجم العربي عموما[٣].

ومتن نهج البلاغة نصّ فصيح أنس الشّرّاح جميعا بتلّمس دلالات ألفاظه ، ومن عدّة جوانب أهمها : المشترك اللفظّي ، والتضادّ ، والترادُف ، والتطور الدلالّي ، ومن هنا جاء البحث في هذا الفصل في المباحث الآتية :

---

(١) ينظر: التحليل اللغوي ١٥٧ .

(٢) التطور اللغوي التاريخي ٣٧ .

(٣) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ٢١٠ – ٢١١ .

المبحث الاّول

المشترك اللفظّي في شروح نهج البلاغة

١ - مفهوم المشترك

لظاهرة المشترك اللفظّي حضورٌ واضحٌ لدى شرّاح نهج البلاغة ، ومنهم من أفرد لها مبحثًا مستقلاً ، كالبحراني الذي قدّم لدراسة المشترك اللفظّي تعريفًا عنّى فيه مفهومه ، وأخرج منه أنواعا أخرى من الألفاظ ذات المفاهيم المغايرة للاشتراك ، اذ قال في حدّ المشترك : هو« اللفظ الواحد الموضوع لحقيقتين مختلفتين او اكثر وضعا اولا من حيث هو

كذلك »[1]. والبحراني بهذا التعريف يتابع الاصولّيين قبله كالغزالّي (ت ٥٠٥ هـ) الذي عرّفه بأّنه « اللفظ الواحد الذي يطلق على موجودات مختلفة بالحدّ والحقيقة اطلاقا متساويا »[2].

وبهذا التعريف احترز البحراني عن الالفاظ المفردة وهي : الالفاظ ذات الدلالة الواحدة غير المتعدّدة ، إذ اخرجها بقوله: « الموضوع لحقيقتين مختلفتين» واحترز – أيضا - عن الألفاظ المجازية، وهي الالفاظ التي تعدّد فيها المعنى عن طريق المجاز على وجه المفاضلة بين المعنيين ، بان يكون اللفظ اضعف في دلالته على معناه الاّول وهو الحقيقّي ، واقوى في دلالته على المعنى الثاني المستحصل من الانتقال المجازيّ وهو المجاز ، فهذه اخرجها بقوله:(وضعا لاّولا) . وكذا احترز عن الالفاظ المتواطئة التي هي الالفاظ الدالّة على المعاني المتعدّدة غير المختلفة ، فأ خرجها بقوله :« من حيث هو كذلك» . وقد بّين البحراني اللفظ المتواطئ بأّنه الذي « يتناول الهيآت المختلفة لكن ، لا من حيث هي مختلفة بل من حيث إّنها مشتركة في معنى واحد »[3]. والالفاظ المتواطئة قريبة الشبه بالمشترك من جهة اطلاق كلّ منهما على مسّميات مختلفة ، غير ان المسّميات في المتواطيء تشترك في معنى واحد مثل : الانسان يطلق على : زيد وعمرو[4] ، وفي المشترك تكون المعاني مختلفة ، فالعين: عين الماء، وعين المال ، وعين السحاب[5] . وبمقابلة هذا التعريف بما جاء لدى اللغويّين في تعريفاتهم للمشترك بأّنه« ان تكون اللفظة محتملة لمعنيين او اكثر»[6] ، وأّنه « ما وضع لمعنى كثير»[7]وأنّه « اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فاكثر دلالة على السواء عند اهل اللغة »[8] ، نجد اّنه يفترق عن تعريفاتهم في نقطتين ، هما : في قول البحراني : « وضعا اولا » ، وفي قوله : « من حيث هو كذلك » . وربّما كان خلّو تعريفات اللغوّيين من عبارة « من حيث هو كذلك» يعود الى اّنهم استغنوا عنها بقولهم :« لمعنيين او اكثر» وقولهم :« معنيين مختلفين» ، فاختلاف المعنيين في اللفظ

---

(١) البحراني ١/ ٣٤ .

(٢) المستصفى ٤٦ ، وينظر : ارشاد الفحول ١٩والمحصول ٢٦١/١ ورسائل الشريف المرتضى٢٨٥/٢ والذخيرة ٥٤/١ .

(٣) البحراني ٣٤/١ .

(٤) ينظر : المستصفى ٣١/١ ، والطراز ١٥٩/٢ .

(٥) ينظر : الصاحبي ٩٦ .

(٦) نفسه ٢٠٧

(٧) التعريفات ٢٢٩ -٢٣٠، وينظر : كشاف اصطلاحات الفنون ٧٧٦/٣

(٨) المزهر ٣٦٩/١

المشترك يبتعد به عن ارادة المتواطيء الذي هو تعدّ د المعنى للفظ الواحد لا اختلافه ، ومن ثّم لا حاجة الى قيد الحيثّية في عبارة :«من حيث» . وهذا الامر تمسّك به الشارح الخوئي فنقد تعريفات الاصولّيين قبله ، اذ رماهم بالتكلّف في اجتلاب هذه العبارة واقحامها في تعريفاتهم ، فقال: «لا حاجة في اخراج المتواطيء الى قيد الحيثّية لكفاية القيد الثاني مؤونته ، اذ المتواطيء اّنما وضع لمعنى واحد كلّيمتناول لافرادعديدة مندرجة تحته ، وليس له معان متعدّدة حتى يدخل في هذا القيد»[1] ، ويريد بالقيد الثاني عبارة :« اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين ، او المتناول لعدّة معان» . ولذا خلص الخوئي إلى حدّ جديد ، فقال: المشترك هو: « اللفظ الواحد الموضوع لمعان متعدّدة ، من غير ملاحظة

النسبة في الوضع الثاني مع الوضع الاول ، ولاشتهاره فيه مع هجر الاوّل»[٢]. وبهذا التعريف اخرج عدّة الفاظ ليست من المشترك ، فبالقيد الاوّل اخرج الالفاظ المتباينة ، وهو قوله: « اللفظ الواحد الموضوع لمعان» ، وبالقيد الثاني أخرج العلم والمتواطيء والمجاز ، وهو قوله : (متعدّدة)، واخرج بالقيد الثالث : المنقول ، وذلك بقوله: « من غير ملاحظة الشبه في الوضع الثاني مع الاوّل» . واخرج بالقيد الرابع الألفاظ المرتجلة حين قال: « ولا اشتهار فيه مع هجر الاوّل» . ويعني بالمنقول والمرتجل الالفاظ التي وضعت لمعنى ثم انتقلت الى آخر، فما لم تكن بينهما مناسبة فهو **المرتجل** ، وما كانت بينهما مناسبة ، وكان المعنى الثاني اقوى في ذهن السامع من الاوّل فهو **المنقول**[٣] . ولهذا نّبه الشارح على انه « يمكن الاستغناء بالرّابع عن الثالث، لانّ المعنى الاوّل فيه ايضا مهجور كما انّ الثاني مشهور»[٤] ،اي انّ المرتجل و المنقول من الالفاظ التي يجمعها طريق الانتقال من المعنى الاصلّي. امّا النقطة الثانية التي يفترق بها تعريف الاصولّيين – ومنهم الشارحان البحراني والخوئي - عمّا هو عند اللغوّيين فهي عبارة :« وضعا اوّلا» ، التي اخرجوا بها الالفاظ التي تدلّ على الشيء بالحقيقة ، وعلى غيره بالمجاز. وفهم بعض الباحثين من هذا القيد ان الاصولّيين اشترطوا للتعدّد في دلالة المشترك ان يكون في اصل الوضع اللغو يّ ولا ياتي نتيجة للاستعمال اللغويّ ، وانّ الاصولّيين رفضوا المجازات في معاني المشترك ، وبذلك ابطلوا وظيفة اللغة في الافهام وايصال المقصود[٥] . وربّما تكون الحقيقة خلاف هذا ، فقول الاصولّيين بالوضع الاول في تعريفهم للمشترك لا يعني منع الوجوه المجازّية للالفاظ المشتركة . وانّما ارادوا ا لتاكيد على تساوي المعنى المجازيّ للفظ المشترك مع المعنى الحقيقّي الذي انتقل منه في ذهن السامع ، فلا يترجح المعنى الحقي قّي على المجازيّ ، فيكون كلّ معنى من معاني المشترك اصلا قائما بذاته، كقيام المعنى الحقيقي في اوّل الوضع « وبذلك تصدق نظرية الاصل الواحد على الالفاظ ذات الصلة بين معانيها ، وهي صلة متأتيّة من المجاز»[٦]

---

(١) الخوئي ٥٢/١ (٢) نفسه ٥٣/١

(٣) ينظر: (٤) نفسه ٥٣/١

(٥) ينظر:الدلالة القرآنية في جهود الشريف الرضّي :١٠٠، والظواهر الدلالية في تفسير أضواء البيان للشنقيطي:١١٩

(٦) الوجوه والنظائر في القرآن ٧٢

والاصولّيون بهذا يختلفون عن الصف الثاني من اللغوّيين ، وهم المضيّقون لمجال الاستعمال المجازيّ للالفاظ المشتركة ، اذ اشترط هؤلاء اللغويو ن انعدام الصلة المعنوّية بين دلالات المشترك اللفظّي كي يتحقق مفهوم الاشتراك، ويصبح كلّ معنى من معاني المشترك مختلفا عن معناه الاخر. كلفظة (الخال) التي تطلق على (الشامة واخو الام[١] ، ولذا رجّحوا أن يكون المشترك متاتّيا من اختلاف اللهجات ، يقول ابو علّي الفارسّي: ان اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين « لا يكون قصدا في الوضع ولا اصلا ، ولكن من لغات تداخلت»[٢].

لقد فصّل الشّراح في بيان حصول المشترك من جانبين : الأول تنظيريّ ، وذلك في قول البحراني :«امّا ان يكون قد وضع اللفظ اوّلا لاحد المعنيين ، ثم نقل منه الى الاخر ، او وضع لهما معا ... فامّا ان يتساوى بالنسبة اليهما عند الفهم ، او يكون في الاوّل اقوى . فان كان الاوّل كان ذلك لفظا مشتركا ، وان كان الثاني كان اللفظ بالنسبة الى الاوّل حقيقة والى الثاني مجازا ، امّا اذا كان اللفظ موضوعا لهما معا ، فاما ان يتساوى دلالته عليهما عند الفهم او ترجّح في احداهما ، فان كان الاوّل سمّي اللفظ بالنسبة اليهما مشتركا وبالنسبة الى كلّ واحد منهما مجملا ؛ لانّ كون اللفظ موضوعا لكلّ واحد منهما هو الاشتراك ، وكونهما بحيث لا يدرى عين المراد منهما هو الاجمال»[٣] . وفي هذا يبين البحراني الطريق الاوّل لحصول الاشتراك ، وهو الاستعمال المجازيّ للالفاظ ، بشرط التساوي بين معانيها في الفهم . ويبدو ان الطريق الثاني لحصول الاشتراك وهو« الوضع الاول للمعنيين» هو طريق افتراضيّ ، ذكره البحراني على طريقة المتكلمين في المناقشة العقلّية ، فذكر أنّ الاشتراك ليس لشيء الا لحصول التساوي في الفهم ، والا فهي من باب المجمل الذي يتعيّن بالقرائن . اما الجانب الثاني : فهو التطبيقيّ ، إذ لا تخلو معالجات شراح النهج للمشترك اللفظيّ من الاشارة الى المعاني المستحصلة له عن طريق المجاز. من ذلك قول البحراني في معنى (اليد) في قوله (ع) من دعاء له : (وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الاسْتِجَارَةِ بِكَ عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ)[٤]، اذ قال:« ولفظ اليد مجاز في القدرة»[٥] ، وهو بذلك يصرّح بالمعنى المجازيّ للفظة في هذا الموضع دون معناها الحقيقيّ او معانيها المجازيّة الاخرى[٦] . ومن ذلك اشارات البحراني المتكرّرة إلى الاصل اللغويّ الذي انبثقت منه معاني المشترك ، كقوله في لفظة (اللمع) الواردة في قول الشريف الرضيّ وهو يعلّل عدم اتساق بعض الفصول التي جمعها من كلام الامام (ع) بقوله:« لأنّي أُورد النُّكَت واللمُع»[٧] ، فبيّن البحراني أنّ «اللمع :جمع لمعة، وهي البقعة من الكلا، وكذلك الجماعة من الناس ، واصله من اللمعان وهو الاضاءة والبريق ؛ لانّ البقعة من الارض ذات الكلا كأنّها تضيء لخضرتها ونضارتها دون سائر

---

(١) ينظر: المزهر ٣٦٩/١

(٢) البغدايات ٥٣٤ وينظر: المخصص ٢٥٩/١٣

(٣) البحراني ٢٨/١

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢٧ ص ٤٢٢ .

(٥) البحراني ٨٦/٤

(٦) ينظر: مجاز القرآن ١٧٠/١ وتلخيص البيان ١٣٣.

(٧) نهج البلاغة ، المقدمة ١٢

البقاع ، وعدي الى محاسن الكلام وبليغه لاستنارة الاذهان به ولتمييزه عن سائر الكلام ، فكأنّه في نفسه ذو ضياء ونور»[١]، فاللمعة بمعنى البقعة ، او الجماعة من الناس منقولة عن أصل واضح هو الضياء . وكثيرا ما يشير البحراني الى تعدّد معاني المشترك المستحصلة بفعل الانتقال المجازيّ فاصبح مدلولها الثاني اشهر من الاوّل، كلفظة (الخير) في قوله (ع) عندما سئل عنه : (لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ ...)[٢]، إذ بيّن البحراني ان المراد من معناها في هذا الموضع هو السعادة الاخرويّة قائلا :« الخير في العرف العامّي

هو كثرة المال والقينات الدنيوّية ، وفي عرف السالكين الى الله هو السعادة الاخروّية... وقد نفى (ع) ان يكون الاول خيرا ؛ وذلك لفنائه ومفارقته لما عساه ان يلحق بسببه من الشرّ في الاخرة وفسّر بالثاني »[٣] ، فالسياق في هذا الموضع قرينة لاختيار المعنى الثاني للخير . ومن هذا (الجدّ) في قوله (ع) من وصية له في التحذير من الدنيا : (الحَمْدُ للهِ الفاشِي في الخَلْقِ حَمْدُه ، والغالِبُ جُنْدُه ، والمُتَعالِي جَدُّه)[٤] ، فقد بيّن الخوئي الاصل الذي انبثقت منه المعاني المختلفة والمجازيّة للفظة ، وهو القطع . ثّم فسّر كلّ دلالة من دلالات هذه اللفظة قائلا:«الجدّ: العظمة ، وهو مصدر يقال منه: جدّ في عيون الناس من باب ضرب ،اي: عظم ، والجدّ ايضا: الحظّ ، يقال : وجدت بالشيء من باب (تعب)، اي : حظظت به ، وقيل: الجدّ اصله القطع، ومنه الجدّ: العظمة ، لانقطاع كلّ عظمة عنها لعلوها عليه، ومنه (الجدّ) : ابو الاب لانقطاعه بعلّو أبّوته ، وكلّ من فوقه لهذا الولد أجداد ، والجدّ: الحظ لانقطاعه بعلو شأنه ، والجدّ : خلاف الهزل لانقطاعه عن السخف»[٥] . وفي هذا النحو سار شراح النهج لا يخرجون عمّا ذكرناه في تحري المعاني المجازيّة للالفاظ المشتركة ،وقرنها بما يوجبه كلامه (ع) ويحتمله من معان.

٢ - المشترك اللفظّي بين المؤّيدين والمعارضين

يعدّ شراح النهج من المؤيدين لوقوع الاشتراك اللفظي في العربية إذ عنوا بذكر معاني الالفاظ المشتركة الواردة في النهج[٦]، مستشهدين على كلّ معنى بالآيات القرآنية، او الاحاديث النبوّية، او الشعر، اواقوال اللغوّيين. ولكلّ شارح طريقان في عرضه للمشترك : احدهما: بيان المعاني المشتركة للفظة دون المفاضلة في اختيار احدها؛ اما لوضوح المناسب منها في النصّ ، او لاحتمالها كلّها فيه[٧] ، والآخر: عرض معاني المشترك مع بيان المناسب منها لسياق الكلام[٨] .

---

(١) البحراني ١٢٦/١

(٢٩ نهج البلاغة الحكمة٩٤ ص ٦١٦

(٣) نفسه ٢٦٨/٥ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة١٩١ ، ص ٣٥٥ .

(٥) الخوئي ١١/ ٢٢٠ .

(٦) ينظر : المعتزلّي١٨/٢٢٨

(٧) ينظر : نفسه٦/٢٧١ والسرخسي١/٢٢٩ ، ٢٥٦

(٨) ينظر: الخوئي١٨ /٦٩ والتستريّ١١/٢٠٧

لقد شهد المشترك اللفظّي خلافا حول وقوعه في اللغة بدعوى ان وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين يكون تعمية وتغطية على السامع[١]، فضلا عن كونه اطالة في الكلام عند وجود قرينة تعّين احد معاني المشترك[٢] وممّا سوّغ إنكار المشترك هو الافراط في الاستعمال المجازي الذي اكسب اللفظ عدّة معان ، كلفظة (العين) التي ذكر لها اللغوّيون ثلاثة عشر معنى[٣] . وقد عرض البحراني والخوئي هذا الخلاف واوردا حجج السابقين من المؤيدين والمعارضين للمشترك ، ثم ايدا وقوع المشترك بحجج لا تخرج عمّا ذكره المؤّيدون قبلهما . فلم ير الشارحان تعمية في اطلاق اللفظ على معنيين، لأنّ هذا تابع لغرض المتكلم ، فقد« يكون للانسان غرض في تعريف غيره شيئا على

التفصيل ، وقد يكون غرضه تعريفه على سبيل الاجمال بحيث يكون ذكره بالتفصيل سببا للمفسدة»[٤]، « فاقتضت الحكمة وضع المشترك طلبا لفائدة العلم الاجمالّي، كما اقتضت وضع المنفرد طلبا لفائدة العلم التفصيلّي»[٥]. وذكر القرينة المعينة لاحد معاني المشترك لايعد تطويلا للكلام ، فالقرينة قد تكون « معلومة عند من يطلب المتكلم افهامه بالخطاب ، مجهولة عند غيره من السامعين الذين لا يريد افهامهم»[٦]. ولهذا نقل عن اكثر علماء العربّية تأييدهم وقوع المشترك في اللغة وتصنيفهم عدّة كتب في هذه الظاهرة[٧]لحاجة المجتمع المستمرّة الى الاتساع في التعبير ، إذ تتخذ اللغة من المشترك اللفظّي طريقة في تأصيل الكلمات للقيام بعدد من الوظائف المختلفة ، وهذه القدرة للكلمة على التعبير عن مدلولات متعدّدة هي من خواص الكلام الانسانّي ،لا يمكن انكارها [٨]. ولم يمنع منكرو المشترك وقوعه في اللغة ، وانما كانت لديهم ارآء حول سبيل حدوثه ، فبينما ارجعه مؤيدو الاشتراك الى سببين رئيسين هما : اختلاف اللهجات[٩] ، والاستعمالات لمجازية[١٠] ، قصره الفريق الثاني على « لغات تداخلت»[١١] ، فأعادوا الوجوه المختلفة للفظ المشترك الى معنى واحد هو المعنى الحقيقّي ، وما عداه من وجوه استعمالات مجازّية لا مشتركا لفظيا ، قال ابن درستويه :« فاذا اتفق البناءان في الكلمة والحروف ثم جاءا لمعنيين مختلفين ، لم يكن بد من رجوعهما الى معنى واحد يشتركان فيه ، فيصيران متفقي اللفظ والمعنى»[١٢] ،وعليه يكون مفهوم المشترك لديهم هو ما لم يكن بين معانيه صلة ،وهذا ما سّماه المحدثون بالمشترك المطلق، او الحقيقّي[١٣] .

---

(١) ينظر : تصحيح الفصيح ١٦٧/١ والمخصص ٣٨٥/١ (٢) ينظر : المزهر ٣٨٥/١

(٣) ينظر : المفردات ٣٣٥ والصحاح ٧٦٠ - ٧٦١ (٤) البحراني ٣٤/١

(٥)الخوئي ٥٣/١ (٦) نفسه ٥٤/١

(٧) ينظر: المزهر ٥٤/١ وفقه اللغة (وافي) ١٩٢ودراسات في فقه اللغة ٣٠٣ .

(٨) ينظر: دور الكلمة في اللغة ١٢٩ ومنهج البحث اللغوي (زوين) ١٣٨

(٩) ينظر: المزهر ٥٦/١ والمشترك اللفظي نظرية وتطبيق ٥٤ وفصول في فقه العربية ٣٣٠ والبلاغة وقضايا المشترك ٩٩

(١٠) ينظر : الدلالات اللغوية عند العرب ١١٧ وفي اللهجات العربية ١٩٤ ودراسات في فقه اللغة ٣٠٣ .

(١١) البغداديات ٥٣٤ (١٢) تصحيح الفصيح ٢٤٠/١

(١٣) ينظر :اللّغة والمعنى والسياق ٤٦ واللّغة (فندريس) ٢٢٨وفقه اللّغة العربية ٣٣٤-٣٣٥

وفي شروح النهج اشارات واضحة الى الاسباب المؤدية الى نشوء المشترك ، فضلا عن تصريحات البحراني والخوئي باسبابه ، بعد ان عدّا اختلاف اللهجات السبب الاول وأنّه « يشبه ان يكون السبب الاكثر فيه ، وهو ان تضعه كل واحدة من قبيلتين لمعنى ثم يشيع الوضعان ولا يمّيزان»[١] ، واشترطا للاستعمال المجازي الاتزان «لانّ القول بجواز سبك سبعين مجازا مّما تشمئزّ منه الطباع» [٢] ، فالمجاز غير المتكلف فيه هو الجائز لديهم دون سواه ، وهو الذي يحصل بـ « سبك المجاز عن المجاز ، واما سبك المجاز عن المجاز عن المجاز ، وهكذا ، فلم يدلّ عليه دليل»[٣] .

والاستعمال المجازيّ حاضر في شروح النهج ، من خلال الاشارة الى الاصل اللغويّ الذي انبثقت منه المعاني المختلفة للفظ المشترك بفعل المجاز ،وهي سمة اشترك فيها شرّاح النهج جميعا . من ذلك معالجتهم للفظة (الفتنة)، اذ ذكروا لها معاني كثيرة هي[٤] : الامتحان ، والابتلاء ، والعذاب، والضلال ، والاحراق، والاثم ، والخصومة ، والشبهة ، والجنون ، والفضيحة ، والمآل والاولاد ، والقتل ، واختلاف الارآء ، والكذب ، والكفر ، والشرك ، والحسد ، والباطل ، والمرض . وقد اهتّم الشّراح ببيان الاصل اللغويّ للفظة الفتنة ، فذكر البيهقّي أنها يحتمل أن تكون مأخوذة من أحد ثلاثة أصول : الأّول من قولهم : فتنت الذهب ، اذا ادخلته النار[٥]، وعلى هذا المعتزلّي والبحراني وآخرون[٦] ، والثاني: ان تصرف صاحبك من الحق الى الباطل ، واختاره الكيدريّ[٧] ، اما الاصل الثالث فمن قولهم : فتنته المراة اذا دلهته، واختاره الراونديّ[٨]. وحرص الشّراح على ذكر الاصل اللغويّ للفظ يشير الى اهتمامهم بالحدّ من معاني المشترك المجازّية ، فالاحراق والضلال ، والمرض ، والمآل ، والاولاد ، والقتل ، واختلاف الارآء ، والعذاب ، يمكن ارجاعها الى الاصل الاّول وهو الامتحان والابتلاء كما ذكر الشارح المعتزلّي[٩] ، والى هذا الاصل يمكن ارجاع الحسد ، كما ذكر الشارح البحراني ؛ لاّنه نوع من انواع الضلال التي يفتتن بها الناس[١٠] ، ويمكن ارجاع الضلال، والكفر، والشرك الى الاصل الثاني ، على حين يرجع الجنون ، والفضيحة الى الاصل الثالث كما المح البيهقّي[١١] ، وهذه الاصول التي ذكرها شرّاح النهج بينها اللغوّيون قبلهم[١٢]، وقد وضّح الراغب الاصفهانّي الصورة التي ترجع بها معاني الفتنة الى الاصل اللغويّ الذي انبثقت منه قائلا :

---

(١) البحراني١/٣٥-٣٦ وينظر: الخوئي ٥٤/١

(٢) الخوئي ٥٤/١-٥٥ (٣) نفسه ٥٥/١

(٤) ينظر: البيهقّي ١٩٢،٢٦١ والراونديّ ١٠٢/٢والكيدريّ ٩١/١ والمعتزلّي ٢٠٦/٩ ، ٢٤٨/١٨ والبحراني ٥/٢ والخوئي ١٩١/٩ ومغنية ٤٠٧/٢ والتستريّ ٣٠٦/٤ وأبو الفضل ٣٦٤/١ والشيرازي ٤١٥/٢ والموسوي ٧/٣ .

(٥) ينظر: البيهقّي ٢٦١-٢٦٢ (٦) ينظر: المعتزلي ٩:٢٠٦ والبحراني ٥/٢ والخوئي ١٩١/٩ .

(٧) ينظر: الكيدريّ ١٧٩/١ . (٨) ينظر : الراونديّ ١٠٢/٢

(٩) ينظر : المعتزلّي ٢٤٨/١٨ (١٠) ينظر : البحراني ٥/٢

(١١) ينظر : البيهقّي ٩٢ (١٢) ينظر: المقاييس ٨٣٥ والصحاح ٧٩٥ .

« أصل الفتن : ادخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته ، واستعمل في ادخال الانسان النار﴿ **يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ** ﴾[١] ، وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب ، فيستعمل فيه ﴿ **أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا** ﴾[٢]»[٣] . واختار الشّراح من هذه المعاني المتعدّدة ما هو مناسب لكلّ سياق ترد فيه ، فقد فسّروا الفتنة - الواردة في قوله (ع) لما سئل عنها : (لَمِ مْتُ أنّ الفِتْنَةَ لا تْنَزِلُ بِنا وَرَسُوْلُ اللهِصلّى الله ُ عليهِ وآلهِ بْيِنَ أَظْهرِنُا)[٤] - بالامتحان[٥] ، وذكر بعض الشّراح انها في هذا السياق تحتمل الضلال ، والاموال ، والاعتقاد الفاسد ، واختلاط الناس[٦] معلّلين ذلك « بأنّ الله سبحانه سيفتح

عليهم أبواب المال والسلطان »[٧] ، وفسّروا اللفظةَ نفسها - في الحكمة : (كُنْ فِي الفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ ، لا ظَهْرٌ فَيُرْكَبُ ، لا ضَرْعٌ فَيُحْلَبُ)[٨] – بالخصومة في الباطل ، وفي الحكمة حث على ترك مساندة الظالمين المفتونين عند الخصومة بينهم واضطراب ارائهم ، ووجه الشبه أنّ ولد الناقة اذا استكمل السنة الثانية ودخل الثالثة ، فلا يستفاد منه في لبن ولا ركوب ، اي لا يظهر منك نفع للظالمين وقت خصومهم[٩]. وردّد الشارح الامدي هذا المعنى الا انه لم يخصص الفتنة بالخصومة بين ضالين لغاية سياسية من امرة او امامة ، وانما جعلها مشتملة للخصومة في الامور الفكرية[١٠]. وفسر مغنية الفتنة في هذا الموضع بالباطل ،والمعنى :إذا رأيت باطلا فلا تدخل فيه . ثّم رد على الشّراح فقال : « وخفي المعنى المراد من هذه الحكمة على كثير من الشارحين وخبطوا فيه ، وفهموا منه ان الامام امرنا ان نسكت ايام الفتنة ونعتزل إذا رأيناه (ع) يتبعه قوم ويعارضه آخرون »[١١] . ولكنّ المعنى واضح لدى الشّراح السابقين الذين صرفوا الفتنة إلى معنى الخصومة بين ضالين مع إقرارهم بنصرة الحق عندما تكون الخصومة بين حق وباطل ، فهذا مبدأ قرآني واضح لا يغفل عنه مسلم فضلا عن عالم. وقد جلّى الشّراح سبيل حدوث الاستعمال المجازي للفظ المشترك ،كانصراف دلالة (السماء) على المطر في قوله (ع) من خطبة له في الاستسقاء : (وأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً مِدْرَارًا هَاطِلَةً)[١٢] فهذا من باب تسمية الشيء «باسْمِ ما كان مجاورا له»[١٣].

---

(١) الذاريات ١٣ (٢) التوبة ٤٩

(٣) المفردات ٦٢٣ -٦٢٤ (٤)

نهج البلاغة الخطبة الخطبة ١٥٦ ص ٢٧٥.

(٥) ينظر : البيهقّي ٢٦١ والراونديّ ١٠٢/٢ والخوئي ١٩١/٩ والتستريّ ٣٠٦/٤ والشيرازي ٤١٥/٢ والموسويّ ٧/٣

(٦) ينظر: الكيدريّ ٩١/١ المعتزلّي ٢٠٦/٩ ومغنية ٤٠٧/٢ وأبو الفضل ٣٦٤/١

(٧) مغنية ٤٠٧/٢ وينظر: أبو الفضل ٣٦٤/١ (٨) نهج البلاغة : الحكمة ١ ص :٥٩٩

(٩) ينظر: البيهقّي ٣٩٧ والراونديّ ٢٦٧/٣ والكيدريّ ٥٩٩/٢ والمعتزلّي ٨٢/١٨ والبحراني ٢٣٨/٥ والخوئي ١٧/٢١ والشيرازي ٢٦١/٤ والموسويّ ٢٠٥/٥ وأبو الفضل ٣٧/٢ وعبده ١٤٣/٢ (١٠)

ينظر: الخوئي ١٨/٢١ (١١) مغنية ٢٠/٦

(١٢) نهج البلاغة الخطبة ١١٥ ص:٢١٧ (١٣) الكيدريّ ٥٥/١

ومن ذلك قول الشيرازيّ في تعليله لدلالة اليد على النعمة بانها الة اعطائها غالبا[١] . وذلك في قوله (ع) في خطاب اصحابه : (وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ ..وَيُخَدَّمُ مُكْرَمُكُمْ مَنْ لا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ،لاَوَيَدَ لَكُمْ عِنْدَه)[٢] . وقد يكون المجاز من تسمية الشيء بما (يلازمه او يستلزمه) ، وبذلك علل الامديّ المعنى الثاني للفظة (الخرق) الواردة في قوله (ع) :(مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الإِمْكَانِ ، والأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ)[٣]، اذ قال:« الخرق بالتحريك الدهش من الخوف او الحياء، وقد يفسر بالحمق وقلة العقل ، وكانه يفسر بما يلازمه او يستلزمه»[٤] .

ومن اشارات الشّرّاح الى طريقة حدوث الاشتراك اللفظي ، تمييزهم الاستعمالات الخاصة التي عن طريقها تكتسب اللفظة دلالة جديدة . من ذلك ذكرهم للفظة (الغوغاء)[٥] دلالاتٍ هي : الجراد ، المختلط من الناس ، والسفلة من الناس . ثم ذكروا الدلالة الرابعة المستحصلة من عرف العامة وهي : الجلبة واللغط[٦] . وهذا الاختلاف في دلالة اللفظ المشترك جاء بسبب الابتعاد الزمني عن دلالاتها الاخرى . والى هذا يشير الشّرّاح في كلامهم على لفظة (الديماس)[٧] اذ ذكروا انها تعني : (السرب ، والقبر) ، ثم صارت في لغة التابعين ومن تلتهم دالة على سجن كان للحجاج بن يوسف[٨] . فهذه المدة الزمنية اكسبت اللفظة معنى اخر مختلفا ، والى هذا السبب يشير الدكتور رمضان عبد التواب بقوله :« ولعل السبب في غموض العلاقة بين معاني المشترك اللفظي انها قد تكون مرتبطة باشياء تاريخية ادت الى نشوء هذه المعاني البعيدة للكلمة ، كالاعوجاج في الميزان وما شابهه من معاني العين»[٩].

ونبه الشّرّاح – ايضا – على الانتقال المجازي للمشترك الحاصل بفعل الاصطلاح الفقهي، من ذلك ما ذكره المعتزلّي للفظة (الصمد) الواردة في قوله (ع) : (لَوصَمَدَه ُمنْ أَشَارَ إِلَيه)[١٠] من معان ، وهي: (السيد ، وما لا جوف له). ثم نّبه على ان دلالتها في الاصطلاح الفقهي تنصرف الى التنزيه[١١].

ومن ذلك لفظة (الكون) ، فقد نّبه الشّرّاح على أنّ المراد منها في قوله (ع):(سَبَقَ الأَوقاتَ كَوْنُه)[١٢] معناها

(١) ينظر: الشيرازي ١٦٠/٢

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٦ ص:١٩٤

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٣ ص:٦٧٣

(٤) الخوئي٤٤٤/٢١.

(٥) وردت في الحكمة ٢٠٠ ص:٦٣٩

(٦) ينظر :المعتزلّي ١٨/١٩ والخوئي٢٧٠/٢١ والخوئي ٢٧٠/٢١ والتستري ٢٤٩/٨ .

(٧) ورد في الرسالة ٦٥ ص:٥٨٤

(٨) ينظر: البيهقّي ٣٩٤ والكيدريّ ٥٧٤/٢ والمعتزلّي ٢٦/١٨ والبحراني ٢١٣/٥ .

(٩) فصول في فقه اللغة ٣٢٨

(١٠) نهج البلاغة الخطبة ١٨٦ ص ٣٤٢ .

(١١) ينظر: المعتزلّي ٧٠/١٣

(١٢) نهج البلاغة الخطبة ١٨٦ ص ٣٤٢

اللغوي الذي هو : الوقوع والوجود[١] ، دون المعنى العرفي وهو العالم المحيط بالانسان. فيكون معنى كلام الامام (ع) انه سبق الاوقات وجوده[٢]. ولا نعدم لشراح النهج اشارات الى السبب الثاني لحصول الاشتراك وهو اختلاف اللهجات ، من ذلك اشارتهم الى دلالة (الايهم) في قوله (ع) يصف الملائكة : (وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي ... قَرارِ الْبَطْنِ الأَيْهَم)[٣] ، فقد ذكروا ان (الايهمان) عند اهل البادية هما : السيل ، والجمل الهائج . اما عند اهل الامصار فالايهمان هما : السيل

والحريق[٤] . ومن ذلك لفظة (الطاووس)[٥] ، اذ ذكر البيهقّي انها تدل على الطائر المعروف لحسنه ، وفي كلام اهل الشام تتصرف دلالتها الى الجميل من الرجال[٦].

وسار شراح النهج المتاخرون على خطى المتقدمين في اهتمامهم بالالفاظ المشتركة التي اشتمل عليها كلام الامام (ع) فاستقصوا دلالات هذه الالفاظ مما ذكرته كتب اللغة فضلا عما ذكره الشّرّاح المتقدمون ، ومن ذلك أقوالهم في لفظة (الشحشح) الواردة في حديثه (ع): (هذا الخطيبُ الشحشحُ)[٧] ، إذ أقرّ الشريف الرضيّ الإشتراك فيها حين قال:الشحشح« الماهر بالخطبة الماضي فيها ، وكل ماض في كلام أو سير فهو شحشح ، والشحشح في غير هذا الموضع : البخيل الممسك »[٨]. وزاد المعتزلّي معاني أخَر فقال : « جاء الشحشح بمعنى الغيور، والشحشح بمعنى الشجاع، والشحشح بمعنى المواظب على الشيء الملازم له ، والشحشح الحاوي»[٩]. ثم بلغ الآمدي بها سبعة معان[١٠] هي : البعير ، والفلاة الواسعة ، والرجل الشجاع ، والغيور ، والخطيب البليغ ، والقليل الخير ، والسيء الخلق[١١]. على حين حمل الشارح الكيدريّ اللفظة على معنى واحد فرأى أنّها في الأصل من الشحّ وهو :« الامساك المفرط والتشدد الفاحش»[١٢] ، ويبدو أنه استقى رأيه هذا من ابن فارس الذي جمع معاني (شحّ) المختلفة على أصل واحد هو المنع مع الحرص ، ولهذا يقال للغيور شحشح ؛ لانه اذا غار منع ، والشجاع هو المانع ما وراء ظهره ، والماضي في خطبته يقال له شحشح كأنّه محمول على الشجاع فشبه به[١٣] . واعتمد الشّرّاح المتأخرون على معجمات اللغة في الاستدراك على أقرانهم المتقدمين ، ففي قوله (ع) في صفة السماء :(وَنَادَاهَا بَعْدَ إذْ هِيَ دُخَانٌ ،

---

(١) ينظر: المقاييس ١٩٣ .

(٢) ينظر: البيهقّي ٣٤٢ والمعتزلّي ٧٢/١٣ والبحراني ١٥٥/٤ والسرخسي ١٩٩/١والخوئي ٦٦/١١ ومغنية٦٨/٣والتستريّ ٣٠٤/١ والشيرازي ١٣٠/٣وأنصاريان ٢٣٢/٢

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٩٠ ص:١٥٧

(٤) ينظر : البيهقّي ١٧٧ والكيدريّ ٤٦٠/١ والبحراني ١٠٣/٤

(٥) في الخطبة ١٢٤ ص:١٩٤

(٦) ينظر: البيهقّي ٢٧٥

(٧) في الحكمة ٢ ص:٦٥١

(٨) نهج البلاغة ٤٥٧ وينظر: الراونديّ ٣٦٢/٣ والبحراني ٣٧١/٥

(٩) المعتزلّي ١٠٦/١٩

(١٠) ينظر : الخوئي ٢٣٢/٢١

(١١) ينظر: الموسويّ ٤٠٣/٥ وأنصاريان ٤٢٣/٣ والشيرازي ٣٨٣/٤

(١٢) الكيدريّ ٦٦٩/٢.

(١٣) ينظر: المجمل ٥٠٠/٢ والمقاييس ٥٢٢.

فَالْتَحَمَتْ عُرى أَشْراجِها)[١] رأى المعتزلّي أن « أشراجها جمع شرج وهو عرى العيبة ، وأشرجت العيبة أي أقفلت أشراجها ،وتسمى مجرة السماء شرجا تشبيها بشرج العيبة »[٢]، واستدرك التستريّ على قول المعتزلّي هذا عدة معان للشرج نقلها من القاموس المحيط هي : العرى ، ومنفسح الوادي ، ومجرة السماء ، وفرج المرأة ، وانشقاق القوس[٣] ، ثم جمع هذه المعاني الخمسة على اصل واحد هو (الانشقاق)، ثم اضاف معنيين اخرين نقلهما من النهاية هما : النصف ، والطبقة[٤] ، وارجعهما الى معنى الانشقاق أيضا ، وعاب على المعتزلّي اختياره معنى (عرى الغيبة) لشرح مراد الامام

(ع) في هذا الموضع ، معللا ذلك بخلو الكلام من المعنى اذ يصير المعنى : التحمت « عرى عرى عيبتها »[٥] .

والشّرّاح في معنى (الشرج) على ثلاثة اقسام : الأول اختار معنى (عرى العيبة) سيرا على قول المعتزلّي[٦] ، والقسم الثاني ذهب الى ان المراد باشراجها : منفسحها[٧] ، ليصير المعنى ان القطع المنفسحات منها اتصلت حتى صارت ملتحمة ، ولا تناقض في الاتيان بـ (عرى) ؛ « لان كل قطعة كالعروة في انها تمسك لقصد اتصالها بالقطعة الاخرى »[٨] ، اما القسم الثالث فنبه على ان المراد باشراجها هو حروفها التي تخاط منها ، ليصور الالتحام بينها تمام خلقها[٩] . وما ذكره التستريّ من معنى الانشقاق للفظة (الشرج) بعيد عن معاني اللفظة التي تدل على الاختلاط والمداخلة ، ولا يمكن ان تجمع معاني الشرج السابقة على هذا الاصل الا بتكلف[١٠] ، ولكن يمكن ان يفسر كلامه (ع) على هذا المعنى بان يقال : لاَحَم عُرى انشقاقاتها.

ولما وقف السامرائّي على لفظة (الخواء) الواردة في قوله (ع) في وصف اهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله): (ألا إنّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ (صلّى الله عليه وآله) ، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّماء: إذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ ...)[١١] ، ذكر أن دلالة الخواء على الغياب تعد دلالة عزيزة للفعل خوى[١٢] ؛ لأنّه فسر الخواء بالغياب ، وهو المعنى الذي اختاره الشّرّاح المتاخّرون[١٣] ، اما متقدمو الشّرّاح فذهبوا[١٤] الى ان المعنى الاشهر للفظة هو السقوط ، وعليه قوله تعالى:﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا** ﴾[١٥] .

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٠ ص ١٥٤
(٢) المعتزلّي ٤٢٠/٦
(٣) ينظر: القاموس المحيط ١٩١
(٤) ينظر : النهاية ٦٤/٥
(٥) التستريّ :٤٧٦/٢
(٦) ينظر : البحراني ٣٥٤/٢ وأبو الفضل ١٩١/١ والموسويّ ٧٣/٢ ومغنية ١٥/٢
(٧) ينظر : الراونديّ ١/ ٣٨٨ والكيدريّ ٤٥٨/١ والشيرازي ٥٥/٢
(٨) الشيرازي ٥٥/٢
(٩) ينظر: البحراني ٣٤٥/٢ والخوئي ٣٤٦/٦ وأنصاريان ٢٧٨/١
(١٠) ينظر: المقاييس ٥٥٨
(١١) نهج البلاغة الخطبة ١٠٠ص:١٨٢
(١٢) ينظر: السامرائّي ١٥٦
(١٣) ينظر: الشيرازي ١٢٨/٢ وعبده ٢١٠/١ ومغنية ٨٩/٢
(١٤) ينظر: الرواندي ٤٤٠/١ والمعتزلّي ٩٥/٧ والبحراني ٦/٣ والسرخسي ١٠٤/١.
(١٥) البقرة ٢٥٩

٣- المشترك في القرآن الكريم

لما أنكر فريق من العلماء وقوع المشترك في اللغة عموما ، انكروا - أيضا - وقوعه في القران الكريم لعدم حصول الافهام ان قصد باللفظ دلالتان مختلفتا ن في الوقت نفسه ، وان وجدت قرينة تعيّن احداها، عُدّ ذلك تطويلا « فوجب صيانة كلام الله منه»[١] . وأيد معظم علماء العربية وقوع المشترك في القران الكريم ، لأنه نزل بلغة العرب فهو مشتمل

على ما تشتمل عليه لغتهم ، ورأوا ان الاشتراك في القران الكريم مظهر من مظاهر الاعجاز القراني حين « تتصرف الكلمة الواحدة الى عشرين وجها واكثر واقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر»[٢] ومن ثّم الّفت كتب كثيرة درست موضوع الأشـــــــباه والنظـــــــائر فـــــــي القـــــــرآن[٣].

ومما ورد في شروح النهج من المشترك القرآني لفظة (القضاء) ، فقد ذكر الشراح لها معنى الامر في مواضع متفرقة من النهج[٤] ، مستدلين بقوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ** ﴾[٥] ، وذكروا لها في مواضع اخرى معنى (الصنع)[٦] مستدلين بقوله تعالى: ﴿ **فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ** ﴾[٧] ، اي : اصنع[٨] ، وانماز الكيدريّ من سائر الشّرّاح باستقصائه معاني اللفظة وسياقاتها القرانية في الموضع الذي شرح فيه قوله (ع) ، - وهو يجيب عّمن سأله عن معنى القضاء -:(لعلك ظننت قضاء لازما)[٩] ، إذ قال الكيدريّ: « والسائل انما وهم لاجل الاشتراك اللفظي ، وذلك ان القضاء في اللغة قد ورد بمعنى الخلق والتقدير والاتمام ، كقوله :﴿**وقضاهن سبع سموات**﴾[١٠] ، وبمعنى الالزام والايجاب ، كقوله:﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ** ﴾ ، وبمعنى الاعلام والاخبار ، كقوله تعالى : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾[١١]، والسائل ظن انه اراد بالقضاء المعنى الاول ، اعني الخلق والتقدير ، وهو عليه السلام لم يرد ذلك ، وانما اراد ان ما فعله من جهاد العدو، والمسير نحوهم انما فعله بامر الله تعالى ، واخباره بذلك على لسان النبي (صلى الله عليه وآله) حيث قال : انك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدي »[١٢].

---

(١) الإحكام ٢٨/١ (٢) البرهان ١٠٢/١ وينظر : معترك الأقران ٣٧/١ والإتقان ١٢٩/٢

(٣) منها :الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) والوجوه والنظائر في القرآن الكريم لهارون بن موسى (ت ١٧٠هـ) والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني (ت ٤٧٨ هـ) ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) وغير ذلك .

(٤) ينظر: الراونديّ ٢٢٠/٢ والبحراني ١٩٧/٤ والخوئي ٢١/٢ والشيرازي ٨٣/٣

(٥) الأسراء ٢٣ (٦) ينظر: البيهقّي ٢٩٣ والبحراني ١٩٧/٤

(٧) طه ٧٢ (٨) ينظر:الكشاف ٥٤٦/٢ والبحر المحيط ٣٥٩/٧.

(٩) نهج البلاغة الحكمة ٧٥ ص : ٤١٨ (١٠) فصلت ١٢

(١١) الإسراء ٤ (١٢) الكيدريّ ٦١٩/٢-٦٢٠

وقد فاق البيهقّي غيره من شراح النهج في تتبع الفاظ المشترك والتمثيل لها بسياقات قرآنية ، وهي سمة تغلب على معالجاته لالفاظ المشترك ، من ذلك قوله في لفظة (الخلق) وهو يشرح قوله (ع) : (... والخَالقِ لا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ)[١] : « والخلق في القران بمعنى الدين في قوله : ﴿ **فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ** ﴾ [٢] ، و﴿**لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾ [٣] ، والخلق : التخليق في قوله تعالى :﴿ **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ [٤] ، والخلق التصوير في قوله : ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ**

الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ﴾ [٥] اي : يصور، والخلق بمعنى الفعل في قوله: ﴿ **وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ** ﴾[٦] ، والخلق : البعث والحشر في قوله : ﴿ **فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا** ﴾ [٧] ، يعني بعثا في الاخرة ، وفي قوله:﴿ **أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا** ﴾[٨] »[٩] . واختار للفظة (الخالق) في قوله (ع) معنى الذي يفعل من لا شيء شيئا ، مستدلا على هذا المعنى – ايضا – بسياق قراني اخر ، وهو قوله تعالى : ﴿ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ** ﴾ [١٠]. وذكر البيهقّي للفظة (الفتنة) بعد ان صرح باشتراكها سبعة معان مستدلا عليها باحد عشر سياقا قرانّيا[١١] .

ومن مظاهر اهتمام الشّرّاح بالمشترك القراني معالجاتهم لالفاظ الصفات الالهية ذات المعاني المتعددة في اللغة ، اذ ذكروا معانيها المختلفة ، وبينوا المراد منها في حقه تعالى ، نحو لفظة (اللطيف) الواردة في قوله (ع) يحمد الله تعالى: (لَطِيْفٌ لا يُوْصَفُ بِالغَاءِ ، كَبِيْرٌ لا يُوْصَفُ بِالجَفَاءِ)[١٢] ، فقد ذكر الشّرّاح انها تاتي دالة على : صغر الحجم، والدقة ، والشفافية ، ورقة القوام ، وانعدام اللون ، والمحكم من الصنعة[13] ، ثم بينوا أن المراد من هذه المعاني في حقه تعالى أربعة أمور : الأول هو « إنه تعالى لا يرى لعدم صحة رؤية ذاته ، فلما شابه اللطيف من الاجسام في استحالة رؤيته اطلق عليه لفظ اللطيف»[١٤]. والثاني انه تعالى «لطيف بعباده ، اي : يفعل الالطاف المقربة لهم من الطاعة. او لطيف بهم بمعنى انه يرحمهم ويرفق بهم»[١٥]. والثالث إنه تعالى لطيف لـ « تصرفه في الذوات والصفات تصرفا خفيا »[١٦]. والرابع إنه تعالى لطيف لـ « علمه بالاشياء اللطيفة ... مثل البعوضة واخفى من ذلك»[١٧]. والأمران الأول والثاني ذكرهما المفسرون في تفسيرهم قوله تعالى: ﴿ **وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير**﴾ [١٨]. وأكثرهم على الأمر الاول[١٩] . وربما يكون السبب هو أن اللغويين ذكروا

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٥٢ ص:٢٦٦ (٢) النساء ١١٩ (٣) الروم ٣٠
(٤) الشعراء ١٣٧ (٥) المائدة ١١٠ (٦) الشعراء ١٦٦
(٧) الصافات ١١ (٨)النازعات ٢٧
(٩) البيهقّي ٢٤٦ وينظر: ٢٦٣،٢٦٧ (١٠) فاطر ٣
(١١) ينظر: البيهقّي٢٦١-٢٦٢ (١٢) الخطبة ١٧٩ ص : ٣٢٤
(١٣) ينظر : المعتزلّي ٦٥/١٠ والبحراني ٣٧٤/٣ وعبده ١٢٣/٢ والخوئي ٢٦١/١٠
(١٤) المعتزلّي ٥٦/١٠ (١٥) نفسه ٥٦/١٠.
(١٦) البحراني ٣٧٤/٣ (١٧) الخوئي ٢٦١/١٠ (١٨) الأنعام ١٠٣
(١٩) ينظر: الكشاف ٤١/٢ ومجمع البيان ١٢٧/٧ -١٢٨ والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٦ والبحر المحيط ٦٠٦/٤.

أن اصل اللطف هو الدلالة على الرفق[١] . اما الاعتباران الثالث والرابع فلم يذكرهما غير شراح النهج معتمدين على روايات ائمة اهل البيت (ع) في ذلك[٢].

ومن ذلك - ايضا - ما ذكره الشّرّاح في لفظة (الاحد) الواردة في قوله (ع): (الأَحَدُ بِلا تَأْوِيلِ عَدَدٍ)[٣] ، اذ بينوا ان (الاحد) من الالفاظ المشتركة ، وانه يطلق على : الاعداد فيما يكون بعده اثنان وثلاث – من باب القلة - وعلى

الضعيف الذي لا ناصر له ، وعلى المتوحد المستوحش لفقد الجليس . ولما كان الله تعالى منزها عن القلة والضعف ، والوحشة تلمس الشّرّاح للفظ (الاحد) معنيين في حقه تعالى : الاول : التفرد في الكمال والربوبية ، اي لا شبيه له ولا مثل ولا ند[٤] ، والثاني : عدم التجزؤ ، اي لا جزء له ذهنا ولا عقلا ولا خارجا[٥] . وقد برز اللغويون دلالة الأصل(وحد) على الانفراد ولم يحفلوا بعدم التجزؤ[٦] ،ومن ثم خطأ التستريّ ابن سينا[٧] في تفسيره الواحد بالعدد ، ذاكرا ان هذا احد اوهام ابن سينا في اصول الدين[٨].

ومن ذلك – ايضا - لفظة (الاستواء) في قوله تعالى :﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[٩]، فقد ساق الشارحان البحراني والخوئي هذه الآية شاهدا على تفسير بعض مفردات النهج ، فذكرا أن الاستواء في عموم القرآن والنهج يدل على معان خمسة هي: الاستقرار والتمكين ، قصد الشيء والاقبال عليه ، الاستيلاء بالقدرة على الشيء ، الاعتدال ، المساواة في النسبة . ثم بين الشارحان امتناع المعنى الاول وهو الاستقرار والتمكن والجلوس في تفسير هذه الآية ، إذ لا يجوز في حقه تعالى ذلك ؛ لانه يؤول إلى القول بالجسمية والتشبيه ، ولذا ذهب البحراني الى القول بارادة معنى الاستيلاء بالقدرة من لفظة (الاستواء)[١٠] متابعة منه لرأي المتكلمين واغلب المفسرين في ان المراد بالاستواء تصوير عظمة الله تعالى[١١] . اما الشارح الخوئي فيختار للاستواء معنى المساواة في النسبة اي : استوى على كل شيء فليس شيء اقرب اليه من شيء ، وهو ما نقله عن اهل البيت (ع)[١٢] . ومما يعضد هذا المعنى أن معجمات اللغة قرنت الأصل اللغوي للاستواء بالدلالة على الاعتدال بين شيئين والمساواة بينهما[١٣] ، وهو يؤيد ما ذكره الخوئي .

---

(١) ينظر:المقاييس ٩٥٤ والمفردات ٧٤٠

(٢) ينظر: البحراني ٣٧٤/٣ والخوئي ٢٦١/١٠ ومغنية ١١/٣ والتستريّ ٢٨٤/١ والموسويّ ١٦٢/٣والشيرازي ٨٢/٣

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٥٢ ص:٢٦٦

(٤) ينظر: البيهقّي ٢٤٥ والراونديّ ٩١/٢ والمعتزلّي ١٤٩/٩ والشيرازي ٣٧٥/٢

(٥) ينظر: البحراني ٢١٨/٣ والخوئي ١٧٧/٩ والموسويّ ٤٨١/٢.

(٦) ينظر: المقاييس ١٠٨٤

(٧) ينظر: الشفاء ١٣

(٨) ينظر: التستريّ ٢٦١/١

(٩) طه ٥ .

(١٠) ينظر: البحراني :١٦٦/١

(١١) ينظر: الكشاف ٨٢/٢ ، ٥٣٠ ، وتفسيرالفخر الرازي٢٩٣٦/١٤ ، والبحر المحيط٦٥/٥ .

(١٢) ينظر : الخوئي ٣٣٨/١-٣٤٠ .

(١٣) ينظر المقاييس٤٩٦ والمفردات ٤٣٩.

السياق واثره في المشترك اللفظي

شغلت مسألة قبول معاني اللفظ المشترك كلها في السياق الواحد عناية شراح النهج وكانت موضع اهتمامهم ، وقد انماز البحراني بتجويزه ذلك[١]، عن طريق حمل واحد من معاني المشترك على الحقيقة ، وحمل الاخر على المجاز ، مشترطا وجود قرينة في السياق تقيد ارادة معاني المشترك جميعها ، وهو مذهب جماعة من الاصوليين[٢] ، ومحل

الخلاف لديهم هو قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ** ﴾ [٣] ، فقد بين الشارح البحراني [٤] أنّ (الصلاة) في سياق الاية الكريمة يراد بها الرحمة والاستغفار معا ، لتكون من الله رحمة على الحقيقة ، ومن الملائكة استغفارا على المجاز ، على راي من يجعل الاصل في (الصلاة) من (الترحم)[٥] ، او تكون من الله رحمة على المجاز ، ومن الملائكة استغفارا على الحقيقة على مذهب من يجعل الاصل في الصلاة هو الدعاء[٦] ، وما جوز الأمرين وجود القرينة اللفظية وهي ضمير الجمع في (يصلون) الذي يعود الى الملائكة المعطوفين على لفظ الجلالة ، وقد سمى البحراني هذه القرينة بـ(قوة المتعدد)[٧]. اما الشارح الخوئي فذهب الى منع إرادة المعنيين، وهو مذهب كثير من الاصوليين[٨] ، واحتج لمذهبه بطريقة الاستدلال العقلي قائلا: إنّ « الاستعمال انما هو تابع للوضع ، والواضع انما وضع اللفظ لمعنى، ثم وضعه هو او غيره لمعنى اخر ، فاستعماله فيهما كليهما خلاف وضعه »[٩] ، ولذا عمم مدلول لفظة (الصلاة) فرأى أن المراد بها الاعتناء باظهار الشرف والتعظيم للرسول الكريم (صلى الله عليه واله) ، وهو ما سماه بـ (عموم الاشتراك) ، قائلا : « إنّا لا نسلم ان الصلاة هنا مستعملة في المعنيين ، بل المراد بها معنى عام شامل للمعنيين من باب عموم الاشتراك ، وهو الاعتناء باظهار الشرف والتعظيم ...فيكون معنى الاية ان الله وملائكته يعتنون باظهار شرف النبي (صلى الله عليه واله) وتعظيمه »[١٠] . والظاهر من اقوال المفسرين واللغويين انهم متفقون على ان (الصلاة) لايمكن ان تكون من الله بالمعنى نفسه من الملائكة ، فصلاة الله غير صلاة الملائكة ؛ لانها من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ودعاء ، غير انهم مختلفون في توجيه لفظة (يصلون) الواردة في الاية بسبب تعدد الفاعل في سياقها ، فمنهم من ذهب الى القول بالحذف والتقدير ليكون

---

(١) ينظر : البحراني ٣٦/١

(٢) ينظر : دراسة المعنى عند الاصوليين٢٢٨ .

(٣) الاحزاب ٥٦ .

(٤) ينظر : البحراني ٣٦/١ .

(٥) ينظر : إعراب النحاس٣/ ٢٥٧ وتبيان الطوسي١٦٧/٨ والكشاف٢٦٥/٣ والجامع لأحكام القرآن١٤/ ١٦٩ والبحر المحيط ٤٨٦/٨

(٦) ينظر: المقاييس ٥٧٢- ٥٧٣ والمفردات ٤٩٠

(٧) ينظر : البحراني ٣٦/١ (٨) ينظر : دراسة المعنى عند الاصوليين ٢٢٨

(٩) الخوئي ٥٧/١ (١٠) نفسه ٦٠/١

الكلام : (ان الله يصلي وملائكته يصلون) ثم استغني عن المحذوف بدلالة الفعل الاول عليه واكتفي بفعل واحد[١] ، فالبنية الاولى (العميقة) تحقق التغاير بين الفعلين بفعل العطف ، وبهذا يكون لفظ (الصلاة) الاول بمعنى الرحمة ، والثاني بمعنى الدعاء ، وهو مذهب البحراني السابق ، اذ ان قرينة (يصلون) وهي بقوة المتعدد اباحت اطلاق

(الصلاة) على معنيين مختلفين بنّية اعادة الفعل . اما القسم الثاني فقد ذهب الى القول باشتراك الصلاتين في ارادة غرض واحد هو ايصال الخير ، فالله تعالى يريد برحمته ايصال الخير، وملائكته يريدون بالاستغفار ايصال الخير[٢]. وبذلك يدل اللفظ المشترك على معنى واحد داخل السياق وهو مذهب الخوئي الذي وسم رأي البحراني السابق بالفاسد ، ثم منع تفسير الفاظ النهج المشتركة على اساسه ، ذاكرا ان البحراني بعد تجويزه لهذه المسالة « جرى في الشرح في غير مقام واحد على مقتضى ذلك الاصل الفاسد الذي اسسه ، وشرح كثيرا من كلام الامام (ع) على ما بنى عليه هناك »[٣] . ومثل هذا مخالفة البحراني لشراح النهج في شرحهم لقوله (ع) : (كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ)[٤] ، اذ ذهب البحراني الى ان الخشوع في هذا السياق مراد بحسب الاشتراك اللفظي، اذ الخشوع من الناس يعود الى خضوعهم لله ، ومن الملائكة دأبهم في عبادتهم . وعلل البحراني ارادة معنيي الخضوع والعبادة من لفظة (الخشوع) في السياق المذكور آنفا بوجود القرينة المجوّزة للجمع بين المعنيين ، وهي اضافة الخشوع الى (كل شيء) فأفاد العموم من الإضافة[٥] . وانكر الخوئي على البحراني رأيه هذا مبينا ان الخشوع موضوع في الأصل لمطلق الخضوع في دلالته على الذل والاستكانة ، فهو عام في أصل وضعه لا بفعل إضافته إلى لفظ عام[٦] ، ونقل الخوئي عن اللغويين قولهم بعدم التفرقة بين الخضوع والخشوع الا في جعل الخشوع للبدن ، والبصر ، والقلب ، وجعل الخضوع للبدن فقط[٧] ، فالخضوع اكثر ما يستعمل في الاعناق والابدان ، والخشوع في الصوت والبصر[٨] . ولهذا اختار الخوئي في تفسيره للفظة (الخشوع) الواردة آنفا ان يكون المراد بها الخضوع التكويني والافتقار الذاتي ، وحينئذ يكون معناها عاما ومشتملا لكل الافراد المقصودين بلفظة (كل) في السياق السابق ، وهو اختيار خالفيه من شراح النهج الذين لا يجوزون ارادة معنيين او اكثر للمشترك في سياق واحد[٩].

---

(١) ينظر: تاويل مشكل القرآن القران٤٦٠ وإعراب القران للنحاس٢٥٧/٣ والجامع لاحكام القران ١٦٩/١٤-١٧٠ ومجمع البيان١٦٧/٨-١٧٩

(٢) ينظر : الكشاف٢٦٥/٣ ، والبحر المحيط ٤٨٦/٨ .

(٣) الخوئي ٦٥/١ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ١٠٩ ص:١٩٨

(٥) ينظر : البحراني ٢٥٨/١

(٦) ينظر : الخوئي ٣١٢/٧-٣١٤ .

(٧) ينظر : المقاييس ٣١٦ ،٣١٩ و المفردات ٢٨٣ ، ٢٨٥ .

(٨) ينظر : المقاييس ٣١٦ ،٣١٩ .

(٩) ينظر : مغنية١٤٢/١ والتستريّ٢٤٦/١ ، ٤٧٣/١ وابو الفضل٢٤٧/١ والموسويّ٢٢٧/٢ والشيرازي١٧٥/٢.

ولذا كان الشّراح شديدي العناية باختيار ما يناسب مراد الامام (ع) من معاني اللفظ المشترك ، مستندين في ذلك على سياق الكلام لتحديد المعنى المراد . ويبرز اعتمادهم على السياق في تحديد معنى المشترك بذكرهم لعبارات من مثل : (المراد هنا) ، او : (المراد في هذا الموضع) . وربما ينبهون على المعنى الاخر للفظ المشترك بقرنه الى سياق اخر دال

عليه ، كالمعتزلّي الذي أورد قول الرسول (صلّى الله عليه وآله) وقد خرج على الناس وهم ينتظرونه قياما للصلاة : (**هَلِمّي أَيُّهَا السَّامِدُونَ**)[١] ، اذ قال الشارح بعد ان اختار لها معنى (القائم) : « والسامد في غير هذا الموضع اللاهي اللاعب ومنه قوله تعالى :﴿ **وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ** ﴾[٢]. وقيل السمود: الغناء بلغة حمير»[٣]. وقد سبقت الإشارة إلى أنّ جامع النهج لما وقف على قول الإمام :(هذا الخطيبُ الشحشحُ)[٤] ، فسّر الشحشح بالماضي . ثم قال : « والشحشح في غير هذا الموضع : البخيل الممسك »[٥] . وقد استقصى الشّرّاح الدلالات الأخرى التي يفيدها لفظ (الشحشح) ، فالشحشح من الفلاة : الواسعة ، ومن الغربان : كثير الصوت ، ومن الارض : ما لا تسيل الا من مطر ، ومن القطاة : السريعة ، والشحشح : الغيور ، والشجاع[٦] ، وذكر الكيدريّ ان الجامع لهذه المعاني الكثيرة هو دلالة الشح على الامساك المفرط والتشدد الفاحش[٧] .

لقد ميز الشّرّاح بين معاني المشترك من خلال قرنه الى سياقات اخرى من النهج نفسه ، كتمييز الشارح ابي الفضل بين معاني لفظة (السادر) الواردة في قوله (ع) في صفة خلق الانسان : (حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتَدَالُهُ وَاسْتَوَى مِثَالُهُ قَدَرَ مُسْتَكْفِئًا ، وَخَبَطَ سَادِرًا ... دَهَقَتْهُ فُجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ وَسَنَنِ مِرَاحِهِ ، فَظَلَّ سَادِرًا ، وَبَاتَ سَاهِرًا فِي غَمَرَاتِ الآلامِ وَخَوَارِقِ الأَوْجَاعِ وَالأَسْقَامِ)[٨] ، اذ فرق بين معنى (السادر) في السياقين بأنه في: (خبط سادرا) يعني خبط لا هيا أو متحيرا، وفي السياق الآخر جاء « السادر ها هنا غير السادر الاول ؛ لانه هاهنا المغمي عليه كانه سكران ، واصله من سدر البعير من شدة الحر ، وكثرة الطلاء بالقطران فيكون كالنائم لا يحس ، ومراده (ع) هاهنا انه بدا به المرض »[٩]. على حين فسر الشّرّاح السابقون (السادر) في الموضعين باللاهي والمتحير[١٠].

---

(١) ينظر : غريب الحديث لابن سلام٤٠١/٣ وغريب الحديث لابن قتيبة٥٩٧/٢ وغريب الحديث للحربي٥٢٠/٢ والفائق١٠٤/٢.

(٢) النجم ٦١ . (٣) المعتزلّي١٢٣/١٩

(٤) نهج البلاغة ، الغريب ٢ ، ص:٦٥١ . (٥) نفسه

(٦) ينظر : الراونديّ٣٦٤/٣ والكيدريّ٦٦٩/٢ والمعتزلّي١٠٦/١٩ والبحراني ٣٧١/٥ وانصاريان٤٢٣/٣ والشيرازي٣٨٣/٤ والموسويّ٤٠٣/٥ .

(٧) ينظر:الكيدريّ٦٦٩/٢

(٨) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص:١٣٢ - ١٣٣٠ .

(٩) ابو الفضل٢٦١/١

(١٠) ينظر : البيهقّي١٦٣ والراونديّ٣٤٤/١ والكيدريّ٣٩٦/١ والمعتزلّي٢٧١/٦ والبحراني ١٥٦/٢ والشيرازي٣٣٤/١ والخوئي ٢٧/٦ والتستريّ١٦٥/١١ وعبده١٥٦/١ ومغنية٤٠٦/١ والموسويّ٤٩٤/١ .

ومن ذلك لفظة (البصر) في قوله (ع) لابنه محمد بن الحنفية لّما أعطاه الراية يوم الجمل : (تَزُلْ فِي الأَرْضِ قَدَمَكَ ، أَرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ ، وَغُضَّ بَصَرَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَه)[١] ، اذ ذكر الراونديّ ان البصر في السياق الاول معناه التبصر ، وفي السياق الثاني يعني الرؤية ، فقال : « ويمكن ان يقال : البصر هاهنا هو حاسة

الرؤية كما يفعله النظارة ، وفي الكلمة الاولى البصر بمعنى التبصر والتأّمل ، ومعنى القرينتين اي : لا تكثر النظر الى جمعهم ...ولكن تامل جميعهم ...فلا تناقض بين قوله : ارم ببصرك اقصى القوم ، وقوله : غض بصرك ؛ لانه يقال : رميت ببصري امرا عظيما وان لم يكن ثَمَّ نظر »[٢]، وتابعه في ذلك الكيدريّ[٣] ، على حين جمع سائر الشّرّاح البصر في الموضعين على معنى واحد هو الرؤية موجهين الكلام على انه (ع) امره في الاولى ان يفتح عينيه ويرفع طرفه الى اقاصي القوم ليعلم على ماذا يقدم ، وفي السياق الثاني امره ان يغض البصر عن بريق سيوفهم ولمعان دروعهم لئلا يبرق بصره ويدهش ويستشعر خوفا اذا حمل عليهم[٤].

ولعل عناية الشّرّاح بذكر السياقات المختلفة للفظ المشترك هو اقرار منهم باهمية السياق في تحديد المعنى المراد من المشترك ، وهي حقيقة اكّد عليها علم الدلالة الحديث ، فالالفاظ لا يمكن الوصول الى دلالاتها الا بعد وضعها في السياق ، إذ لا ينكشف المعنى « الا من خلال تسييق الوحدة اللغوية ، اي وضعها في سياقات مختلفة »[٥] ، فالالفاظ المشتركة تتسم بـ« صعوبة تحديد معناها وهي خارج السياق، غير انها تصبح متعينة الدلالة حين تنضم الى السياق ، لا سيما اللغوي الذي يحدد معاني المفردات وبدونه لا يتم ذلك »[٦] .

ولم يكتف الشّرّاح بوضع اللفظ المشترك في سياقات مختلفة لبيان معانيه ، بل جاوزوا ذلك الى وضع الكلمات المفردة مجاورة لكلمات اخرى لبيان المعاني المختلفة الناشئة من كل تجاور . وهي خصيصة مبرزة لدى معظم الشروح ، ومن ذلك :« انصاح الثوب : انشق ، وانصاح النبت : جف ويبس »[٧] ، و«مرتع وبيل : وخيم ، وعذاب وبيل : شديد»[٨] ، و«الظ الرجل : الح ، والظ المطر : دام »[٩] ، و« دلى بحجّته : احضرها ، ودلى بماله : دفعه ، ودلى بفلان : استشفع به »[١٠]، و« خفيف الروح : لطيف ، وخفيف الظهر : قليل العيال ، وخفيف القلب

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١١ ص:٣٩-٤٠ . (٢) الراونديّ ١٦٠/١

(٣) ينظر : الكيدريّ١٩٢/١ .

(٤) ينظر : البيهقّي٩٢ والمعتزلّي٢٤١/١ والبحراني ٢٨٧/١ والسرخسي١٥٦/١ والخوئي ١٦٦/٣ ومغنية١٢١/١ والشيرازي٩٢/١ والموسويّ١٤١/١ وانصاريان٨٩/١. (٥) علم الدلالة (عمر)٦٨ .

(٦) اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة١٤٣ .

(٧) البيهقي٢١٠ وينظر: الراوندي١٦/٢ والكيدري٥٣/١ والمعتزلي٢٦٣/٧ والبحراني ١٠٥/٣ والخوئي ٧٣/٨ والسامرائي٢٣٧

(٨) المعتزلي ١١/١٠ وينظر: البحراني ٣٤٧/٣ والخوئي ١٧٧/١٠ والشيرازي ٥٤/٣ ومغنية ٥٢١/٢ .

(٩) المعتزلي ٤٠٣/٦

(١٠) الكيدري ١٦٠/١ وينظر : المعتزلي ١٦٣/١ والبحراني ٢٥٣/١ .

: ذكي ، وخفيف العقل :احمق »[١] ، و « ذات الشيء : نفسه ، وذات الصدور : بواطنها ، وذات الشمال : جهته »[٢] . وفي الامثلة المتقدمة جوانب تطبيقية للنظرية السياقية عند المحدثين ، الذين ذهبوا الى « ان معظم الوحدات الدلاّلية تقع في مجاورة وحدات اخرى ، وان معاني هذه الوحدات لا يمكن وضعها او تحديدها الا بملاحظة

الوحدات الاخرى التي تقع مجاورة لها »[٣] ، فالكلمات لا معنى لها خارج التركيب بعيدا عن السياق ، وانما تتحدّد دلالتها من السياق الذي تستعمل فيه[٤] . ويتجلّى اهتمام شراح النهج بالسياق الذي تقع فيه الالفاظ المشتركة في تتبُّعهم للقرائن التي يشتمل عليها كلّ سياق ، واعتمادها في تحديد معنى واحد من بين معاني المشترك بما يوافق مراد الامام (ع) . والقرينة لابد منها عندما يكون السياق الواحد محتملا لمعنيين او اكثر من معاني المشترك ، اذ « يجب على صاحب هذه الصناعة ان يراعي في كلامه مثل هذا الموضع ، وهو من جملة الالفاظ المشتركة التي يحتاج في ايرادها الى قرينة تخصصها ضرورة »[٥] ، فالكلمات المشتركة تكتسب قيمتها من مقابلتها لما يسبقها او يلحقها من كلمات[٦] .

وقد اعتمد الشّرّاح كثيرا على القرائن التي تتقدم المشترك او تتاخر عنه في التوصل الى المعنى المراد منه، كلفظة (البرزخ) الواردة في قوله (ع) يصف الموتى : (سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً سُطِّحَتْ الأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ...)[٧] ، اذ ذكروا انها تدل على (القبر، والوقت بين الموت والنشور) . ثم رجح المعتزلّي ان يكون المراد بها القبر محتكما الى لفظة (البطون) المتقدمة في السياق[٨] . وتبعه في ذلك طائفة من الشّرّاح المتاخرين[٩] . وذهب أكثرهم إلى اختيار معنى الوقت بين الدنيا والاخرة[١٠]. معتمدين على ما في معجمات اللغة من دلالة البرزخ على الحاجز بين شيئين[١١]. ولم ير الخوئي في لفظة (البطون) دليلا يرجح دلالة البرزخ على القبر عند المعتزلّي ؛لأن اللفظة ترجح معنى الحاجز بين الموت والحياة أيضا فقال : « اما تاييد ارادته – اي القبر – بلفظة البطون كما زعمه الشارح فلا ، بل دلالتها على المعنى الثاني اظهر ؛ اذ لولا ارادة الاول لكان الانسب ان يقال : في بطن البرزخ بصيغة المفرد ،وان كان يمكن تصحيحه بجعل اللام في البرزخ للجنس ،ولعل نظر الشارح

---

(١) الخوئي ٢٩٤/٨وينظر: المعتزلي ٥٧/١٣ .

(٢) المعتزلي ٤٠٨/٦ وينظر : الخوئي ٣١٤/٦

(٣) علم الدلالة (عمر) ٦٨ .

(٤) ينظر: دور الكلمة ٥٥ .

(٥) المثل السائر ٢٠٤/١ .

(٦) ينظر : الدلالة السياقية عند اللغويين ٢٨٥.

(٧) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢١ ص :٤٢٦ .

(٨) ينظر: المعتزلّي ١٥٤/١١.

(٩) ينظر عبده٤٦٨/١ ومغنية٢٨٩/٣ وابو الفضل٣٦/٢.

(١٠) ينظر : الراونديّ٣٧١/٢ والكيدريّ٢٢٥/٢ والبحراني ٥٩/٤ والسرخسي١٨٦/١ والتستريّ٢٣٨/١١ والشيرازي٣٥٥/٣.

(١١) ينظر : المقاييس١٦٦والمفردات ١١٨ .

الى ان البرزخ بالمعنى الثاني ليس له بطن بخلاف القبر ، ويدفعه ان بطن كل شيء جوفه ، وما خفي منه. فيراد ببطون البرزخ على المعنى الثاني ما خفي علينا واحتجب عنا»[١] ، وقد رجح الخوئي ارادة القبر في هذا السياق لما روي عن اهل البيت (ع) ، ولتصريح بعض نسخ النهج بلفظ القبر[٢].

ومن ذلك اختلاف الشّرّاح في تعيين معاني لفظة (الحوبة) الواردة في قوله (ع) من خطبته الغراء : (الآنَ عِبادَ اللهِ والخِناقُ مُهْمَلٌ ، والرُّوحُ مُرْسَلٌ ، فِي فِيَنةِ الإرْشَادِ ، وَراحَةِ الأَجْسَادِ ... وإنْظارِ التَّوْبَةِ ، وانْفِساحِ الحَوْبَةِ ، قَبْلَ الضَّنْكِ والمَضِيْقِ)[٣] ، فذهب الراونديّ الى ان (الحوبة) في هذا السياق بمعنى (الحاجة) ليكون المعنى : سعة وقت الحاجة[٤] ، مستدلا بقول الفرزدق[٥]:

فَهَبْلِي خُنَيْسًا واتَّخِذْ فِيهِ مِنَّةً ... لِحَوْبَةَ أُمٍّ ما يَسُوغُ شَرابُها

وتابعه في ذلك فريق من الشراح[٦]، لكن الشارح التستريّ اختار لها معنى (الاثم) ، مستدلا بالتوبة قرينة ترجح هذا ، اذ قال : « ان الحوبة وان كانت قد تاتي بمعنى الحاجة الا انها في كلامه (ع) بمعناها الاشهر ، وهو: الاثم ، بقرينة قرينتها التوبة ، والمراد بانفساح الحوبة : انفساح التخلص عن الاثم وسعته»[٧] ، واختار بعض الشّرّاح معنى ثالثا للحوبة في هذا السياق هو: (الحالة) ، وهذا المعنى استظهره الخوئي[٨] مبينا ان المراد اتساع حالتكم ، وهو اختيار الشارح الشيرازي ايضا[٩] ، وجوز محمد عبده دلالة الحوبة على الحاجة او الحالة معا في هذا السياق[١٠] .

ومن أمثلة الاستدلال بالكلمة اللاحقة في ترجيح ألفاظ المشترك ما رجحه مغنية من معنى للسلام في قوله (ع): (فَرَضَ اللهُ الإيمانَ تَطْهِيرًا مِنْ الشِّرْكِ ، والصَّلاةَ تَنْزِيهًا عَنِ الكِبْرِ ، والزَّكاةَ تَسْبِيلًا لِلرِّزْقِ ... والسَّلامَ أَمانًا مِنَ المَخاوِفِ ، والأَمانَةَ نِظامًا لِلأُمَّةِ ...)[١١] ، إذ قال مغنية :« فسر الشارحون السلام هنا بالتحية وردها ، وهذا التفسير بعيد عن دلالة اللفظ ؛ لان كلمة المخاوف توحي بالحرب على مستوى اوسع منها بين اثنين »[١٢] ،فرجح أن يكون السلام بمعنى الامان من الحروب وليس التحية[١٣] بدلالة لفظة المخاوف المتاخّرة.

وقد يحشد الشّرّاح عدة قرائن لاختيار معنى معين للمشترك ، من ذلك ما ذكره الشراح من القرائن اللفظية والعقلية

---

(١) الخوئي ٢٠٨/١٤ .

(٢) ينظر :المصدر نفسه٢١٧/١٤-٢١٨ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص:١٣٥ .

(٤) ينظر : الراونديّ ٣٤٨/١.

(٥) ديوانه٩٤/١

(٦) ينظر : الكيدريّ٣٩٨/١ والمعتزلّي٢٧٧/٦ والبحراني ٢٦٨/٢ وابو الفضل١٦٤/١ ومغنية٤١٢/١ والموسويّ٤٩٧/١ .

(٧) التستريّ١٩١/١ . وينظر: المقاييس٢٨٦ والمجمل٢٥٥ ومختار الصحاح١٦٠والمفردات ٢٦١ .

(٨) ينظر : الخوئي ٦٦/٦ .

(٩) ينظر : الشيرازي٣٤١/١

(١٠) ينظر : عبده١٦٠/١.

(١١) نهج البلاغة الحكمة ٢٥٢ ص:٦٤٧

(١٢) مغنية ٣١٥/٦ .

(١٣) ينظر : المعتزلّي٨٩/١٩

، لتحديد معنى (الحجة) في قوله (ع) : (لم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل ، او كتاب منزل ، او حجة لازمة)[١]، فالحجة في اللغة[٢] تدل على عدة معان هي:(النبي،الكتاب،الامام،العقل) . وجوز المعتزلّي[٣] ارادة احد المعنيين لها وهما : العقل او الامام المعصوم ، وهو راي الشارح مغنية ايضا[٤]، اما سائر الشّرّاح فاطبقوا على ارادة الامام المعصوم[٥] في هذا الموضع، إذ لا يجوز أن يكون المراد هو النبي ولا الكتاب،لانه يكون تكرارا للكلام لا طائل منه ،

ونفى الخوئي ارادة معنى العقل ؛ « لان حجيته منحصرة في المستقبلات العقلية لامجال له في غيرها ، فلا يعرف الحق من الباطل في الامور التي عجزت عن ادراكها عقول البشر بافكارها ، وانما يعرف الامام بنور الالهام ...وبذلك ظهر فساد ما توهمه الشارح المعتزلّي من جعله الحجة في العبارة حجة العقل»[٦].

ووظف الشّرّاح التقابلات الدلالية في ترجيح معاني المشتركات اللفظية ، كترجيحهم معنى النوافل للفظة (الفضائل) الواردة في قوله (ع) : (وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها ، اذ لم يتركوهم هملا ... كتاب ربكم مبينا حلاله وحرامه ، وفرائضه وفضائله)[٧] ، اذ فسّر المعتزلّي الفضائل بالنوافل مستدلا بما يقابلها في السياق ، وهي لفظة (الفرائض) الدالة على الواجب والمفروض ، قائلا : « الا تراه كيف جعل الفرائض في مقابلتها وقسيما لها ، فدل ذلك على انه اراد النوافل »[٨] ، وهو اختيار سائر شراح النهج[٩] ، عدا الراونديّ الذي اختار (الدرجة الرفيعة) لمعنى الفضائل[١٠] . ومن ذلك اختيار معنى الناسك المتعبد للفظة (القاريء) الواردة في قوله (ع) : (

واعلموا – رحمكم الله – انكم في زمان القائل فيه بالحق قليل ، واللسان عن الصدق كليل ، واللازم للحق ذليل ، اهله معتكفون على العصيان ... عالمهم منافق، وقارئهم مماذق)[١١]، دون معنى قارئ القرآن وغيره ؛ لأنه في قبال العالم في قوله (ع) :(عالمهم منافق) وهو اختيار فريق منهم[١٢] على حين ذهب فريق آخر إلى أن المراد هو قارئ القرآن لا غير[١٣] .

واعتمد الشّرّاح على القرائن النحوية في اختيار معاني المشترك ، وهو ما اولاه الدرس الحديث اهتماما كبيرا ، إذ الدلالة التركيبية موضحة لمعاني الكلمة . والعلاقة الدلالية تذوب في العلاقة التركيبية من اجل تحقيق معنى الكلمة ، فمعنى الكلمة بحسب النظرية الوظيفية هو « مجموع السياقات التي تشكل الكلمة جزءا منها »[١٤] .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١ .
(٢) ينظر : المقاييس ٢٥٠ والمفردات٢١٩ .
(٣) ينظر : المعتزلّي ١٥٥/١
(٤) ينظر : مغنية١/٦٠
(٥) ينظر : الراونديّ ٧٧/١ والكيدريّ١٣٩/١ والشيرازي٣٨/١ .
(٦) الخوئي ١٥٨/٢
(٧) نهج البلاغة الخطبة ١ ص:٢٣
(٨) المعتزلّي ١٢٠/١.
(٩) ينظر : عبده٢٨/١ والخوئي ١٧٥/٢ ومغنية٦٥/١ والتستريّ٥/١٣ والشيرازي٤٢/١.
(١٠) ينظر: الراونديّ٨٦/١ .
(١١) نهج البلاغة الخطبة ٢٣٣ص:٤٤٩
(١٢) ينظر : الخوئي ٣٢/١٥ والموسويّ٨٨/٤ .
(١٣) ينظر : الشيرازي٤٠٦/٣ ومغنية ٣/ ٣٤٦.
(١٤) بنية اللغة الشعرية ١٠٦

ومن أمثلة اعتماد الشّرّاح على القرائن النحوية في اختيار معنى واحد من المعاني المشتركة للفظة ، شرحهم لفظة (الفلاح) في قوله (ع) : (أَفْلَحَ مَنْهَذَ ضَ بِجَنَاحٍ)[١] ،إذ فسرها الشّرّاح بالفوز لان الاسناد فيها حصل الى (من نهض) ، على حين ان معانيه الاخرى غير مرادة ، كالبقاء ،والسمو[٢] ،لانها تاتي في سياقات اخرى لا إسناد فيها ... كقول

المؤذن : حي على الفلاح ، اي : السمو . واسناد الفلاح في قوله (ع) السابق الى (من نهض) يعدّ « قرينة حالية مشعرة بان المراد الفوز »[٣] .

وقد يلجأ الشّراح الى سياقات خارج الخطبة في اختيارهم واحدا من معاني المشترك ، من ذلك اعتمادهم على السياق القراني في تحديد معنى (الظن) في قوله (ع) :(... إلاّ أنْ يَدّعِي مُدَّعٍ مَا لا أَعْفُـهُ ، ولا أَظُنُّ الله يَعْفُـهُ)[٤] ، فقد ذهب الشّراح الى ان « الظن هاهنا بمعنى العلم »[٥] ، واستدلوا له بسياق الاية القرانية : ﴿ **وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا** ﴾[٦] ، على حين حمل الراونديّ (الظن) في هذا السياق على معنى الشك ، واستدل له بسياق قراني اخر هو قوله تعالى : ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** ﴾[٧] ، مبينا ان « الله يعلم كل شيء قبل وجوده ، وانما معناه : حتى نعلم جهادكم موجودا »[٨] ، وقد رد المعتزلّي هذا الاستدلال مدعيا ان « الراونديّ يتكلم بكل ما يخطر له من غير ان يميز ما يقول »[٩] ، ومبينا انه « ليس مراده (ع) سلب الظن الذي هو بمعنى العلم ، بل ظن السلب ، اي : علم السلب ، اي :(واعْلَمْ أنَّ الله سُبحانه يَعْرِفُ انتفاءه وكلّ ما يعلم الله انتفاءه فليس بثابتٍ »[١٠] .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٥ ص:٣٥ .

(٢) ينظر: المقاييس ٨٢٦

(٣) المعتزلّي ٢١٤/١ وينظر: البحراني ٢٧٧/١ والخوئي ١٣٨/٣ والشيرازي٨٢/١ .

(٤) نهج البلاغة الرسالة ٩ ص : ٤٦٧ .

(٥) ينظر : الكيدريّ ١١٤/٣ والمعتزلّي ٥٠/١٤ والبحراني ٣٦٨/٤ والخوئي ٣٩٢/١٧ ومغنية ٤٠١/٣ والشيرازي ٤٤٢/٣ والموسويّ١٥٠/٤ وابو الفضل١٣٨/٢ .

(٦) الكهف ٥٣ .

(٧) محمد ٣١

(٨) الراونديّ٣٠/٣ .

(٩) المعتزلّي٥١/١٤

(١٠) نفسه٥٠/١٤ .

المبحث الثاني : التضادّ

لم يفرد الشارحان البحراني والخوئي للتضاد مبحثا مستقلا بل درساه ضمن المشترك اللفظي[١]، كما في قول الخوئي :« اختلف المجوزون للاشتراك في وقوعه، والحق هو الوقوع ، فقولنا: ان القرء موضوع للطهر والحيض ، والجون للابيض

والاسود معا على البدل من غير ترجيح »[٢]، فقد مثل الشارح بالالفاظ المتضادة لإثبات وقوع الاشتراك في اللغة ، ثم اعاد التمثيل بألفاظ التضادّ لوقوع المشترك في القران الكريم، ومنها: (القرء)[٣]، و(عسعس) الدالة على الاقبال والادبار[٤].

ولا غرو في بحث الشّرّاح التضاد ضمن الاشتراك ، فقد عد القدماء التضادّ نوعا من المشترك[٥]، معتمدين على علاقة العموم والخصوص بينهما ، فالمشترك اللفظي الذي يمثل الاختلاف في معاني اللفظة اعم من التضادّ الذي يمثل تناقض معنيي اللفظة المتضادّة فضلا عن اختلافهما[٦] ، وفي ذلك يقول ابو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) : « الاضداد جمع ضدّ، وضد كل شيء ما نافاه ... وليس كل ما خالف الشيء ضدا له ، الا ترى ان القوة والجهل مختلفان ، وليسا ضدين ، وانما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم ، فالاختلاف اعم من التضادّ اذا كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين »[٧] . ويؤيد هذه العلاقة بين المشترك والتضادّ المادة اللغوية للفظة الضد وهي: مثل الشيء ونظيره وخلافه[٨] ، ولذا عده القدماء داخلا ضمن المشترك ، ولكن باشتراط تضاد المعنيين المتخالفين في ظاهرة التضادّ ، اي دلالة اللفظ على النقيضين ، كالجون على البياض والسواد ، ودلالة (الجلل) على الكبير والصغير . واكد القدماء على فرعية الاضداد هذه ، كما هو واضح من قول قطرب (ت٢١٠ هـ) : « ... والوجه الثالث ان يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا ... ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا في الشيء وضده »[٩].

---

(١) ينظر: البحراني ٢٧/١ والخوئي ٥٤/١ .

(٢) الخوئي ٤٥/١ .

(٣) ينظر : المزهر ٣٨٧/١

(٤) ينظر : نفسه

(٥) ينظر: الاضداد (قطرب) ٢٤٤ وتاويل مشكل القران٤٠١ والصاحبي٦٦ والمخصص ٢٥٩٦٦/١٣ والمزهر ٣٨٧/١.

(٦) ينظر : فقه اللغة العربية ١٦٢ .

(٧) الاضداد١/١ .

(٨) ينظرك الصحاح ٦١٦ والمفردات ٥٠٣ .

(٩) الاضداد (قطرب)٢٤٤ وينظر: الصاحبي٦٦ والمزهر ٣٨٧/١ .

فالضدّ « ضرب من الخلاف ، وان لم يكن كل خلاف ضدا »[١] . وبحث المبرد التضادّ ضمن المشترك اللفظي بعنوان يجمعهما هو « ما اتفق لفظه واختلف معناه »[٢] .وحسم بعضهم هذا التداخل بين المصطلحين لأنّ « المشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع على الضدين كالجون للابيض والاسود ، وجلل للعظيم والحقير ، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين »[٣] . وذهب معظم المحدثين الى ان اكثر الفاظ التضادّ يمكن ردها الى ضرب من المشترك اللفظي[٤] ، يقول الدكتور تمام حسان في التضادّ : إنّه واقع « على معنيين ضدين ، وان المشترك

ما دل على معنيين غير ضدين ، فاذا اقتصرنا على التضادّ من هذا النوع من المعنى وجدنا الاضداد في اللغة العربية قليلة العدد نسبيا »[٥] . ومن هنا ساغ للشارحين البحراني والخوئي معالجة التضادّ ضمن المشترك اللفظي متابعة منهما للمتقدمين من اللغويين والاصوليين[٦].

والتضادّ بمفهومه المعروف وهو « دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين »[٧] موضع اختلاف بين العلماء قدماء ومحدثين ، فقد ذهب معظم المتقدمين الى الاقرار بوقوعه وعدوه من سنن العرب المشهورة[٨] .ثم ألف فريق منهم تحت عنوان الأضداد[٩] . وأنكر فريق آخر هذه الظاهرة منهم : ثعلب، وابن درستويه، والجواليقي، بدعوى انه يورث اللبس والتعمية ، ويوقع الابهام في الكلام، وهذا يتنافى مع وظيفة اللغة في تحقيق التفاهم بين المتكلمين ، اذ ليس من الطبيعي ان يدل اللفظ على المعنى وضده في الوقت نفسه ، وبوضع واحد . وبالحجة ذاتها انكر فريق من المحدثين التضادّ[١٠]، لكنهم لم يبطلوه مطلقا[١١] ، بل ضيّقوا مجاله في ألفاظ قليلة لم يكن تضادّها في اصل الوضع بل حصل بطرق مختلفة منها[١٢] : الاستعمال المجازي ، او تداخل اللهجات ، او عموم المعنى الاصلي للفظة ، او احتمال الصيغة الصرفية للمعاني المتضادّة .

---

(١) البغداديات ٥٣٥-٥٣٦ . (٢) المقتضب (٣) المزهر ٣٨٧/١ .

(٤) ينظر : دراسات في فقه اللغة٣٠٩ وفي اللهجات العربية٢٠٤ وفصول في فقه اللغة٢٩٦ والمباحث اللغوية في العراق٣٩-٤٠ . وفقه اللغة العربية (كاصد) ١٥٢ وفقه اللغة (وافي)١٩٣ والتطور اللغوي التاريخي٢٩٢ وفقه اللغة العربية وخصائصها٢٨١ .

(٥) الاصول (تمام حسان) ٣٣٤ وينظر : في اللهجات العربية٢٠٣ والاضداد (آل ياسين) ٢٤١ .

(٦) ينظر : الذريعة إلى أصول الشريعة ١٧/١ والمستصفى ٣٢/١ والمزهر ٣٨٧/١ .

(٧) التعريفات ٥٣ وينظر : تاريخ علوم اللغة ٣٩ وفقه اللغة (الضامن) ٧٢ .

(٨) ينظر: الكتاب ٢٤/١ والصاحبي ١١٧ وفقه اللغة وسرّ العربية ٢٨٩ وفقه اللغة (وافي)١٩٣

(٩) ممّن ألف في الأضداد قطرب والأصمعي والسجستاني وابن السكيت وابن الأنباري وأبو الطيب اللغوي وابن الدهان.

(١٠) ينظر: تصحيح الفصيح١٦٧/١والمخصص٢٥٩/١٣ والمزهر ٣٦٩/١ والأضداد (آل ياسين)٢٤٨ والتضادّ في القرآن الكريم٤٩.

(١١) ينظر : دراسات في فقه اللغة٣١٠-٣١٣ وفقه اللغةالعربية١٦٤ وعلم الدلالة (عمر)١٩٩.

(١٢) ينظر:المزهر ٣٨٥/١ وابحاث ونصوص في فقه اللغة٢٥٢ والتضادّ في القرآن الكريم٣٥ وفصول في فقه اللغة ٣٤٩ وعلم الدلالة (الداية) ٧٩ وعلم الدلالة (عمر) ١٩٦-١٩٧ .

فالاستعمال المجازي يحصل بان « تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ، ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب ، فتصير بمنزلة الاصل »[١] ، وهذا التحول المجازي من المعنى الاول الى الثاني يكون لاسباب أهمها التفاؤل[٢] كاستعمال (السليم) للملدوغ ، و(الريان) للعطشان ، ثم تتوسي هذا التجوز . ومنها أيضا اجتناب التلفظ بما يكره ، كلفظة (المولى) للسيد والعبد[٣].

وجاء لدى شراح النهج اشارات الى بعض هذه العوامل المؤدية الى نشوء التضادّ ، من ذلك تنبيههم على الاستعمال المجازيّ ، فقد ذكر الشّرّاح المعنى المضاد للفظتي (السليم) ، و (المفازة) ، فبينوا ان (السليم) يراد به الملدوغ[٤]، او الملسوع[٥] ، وبهذا فسروا قول ضرار بن ضمرة الضبابي[٦] ، وهو يصف الامام (ع) : (قَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ أُرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ، قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ)[٧]، وبينوا – ايضا – ان المفازة يراد بها الصحراء المهلكة ، وذلك عند شرحهم قوله (ع) وهو يذكر بيت الله الحرام في خطبته القاصعة : (تهوي اليه ثمار الافئدة ، من مفاوز قفار سحيقة ، ومهاوي فجاج عميقة)[٨] ، وقد انفرد الشارح المعتزلّي – من المتقدمين – بتعليل هذا التجوز في تسمية(المفازة) بارادة التفاؤل بالسلامة[٩] ، بينما انفرد الشارح الشيرازيّ – من بين المتاخرين – بتعليل هذا التجوز في اللفظتين بقوله : « السليم : الملدوغ من حية ونحوها ، سمي بذلك تفاؤلا كما تسمى الصحراء بالمفازة »[١٠] . وما ذكره الشارحان هو حاصل كلام اصحاب الاضداد[١١] ، اذ تطلق لفظة (السليم) على اللديغ تفاؤلا بسلامته ، وتطلق (المفازة) وهي النجاة ، على الصحراء تفاؤلا بالفوز، وجوز بعضهم اشتقاق المفازة من التفويز ، من قول العرب : قد فوز الرجل اذا مات ، وبذلك تخرج اللفظة من التضادّ[١٢] ، وقد فصل الشارح المعتزلّي هذين الرأيين في الفصل الذي عقده لبحث الكنايات[١٣] .

---

(١) المخصص ٢٥٩/١٣ .

(٢) ينظر : الاضداد (السجستاني) ١٠٣-١٠٤والأضداد (ابن السكيت) ٢٠٤ وفصول في فقه اللغة٣٣٨ وعلم اللغة (السعران) ٣٣١ والوجيز في فقه اللغة ٣٦٩ والأضداد (آل ياسين) ١٣٨.

(٣) ينظر: دراسات في فقه اللغة ٣١٢ فصول في فقه اللغة ٣٣٨ وفي اللهجات العربية ٢٠٧ ومن قضايا اللغة والنحو ٤٥.

(٤) ينظر : السرخسي٢٩٤/١ والخوئي ١١١/٢١

(٥) ينظر: المعتزلّي٢٢٤/١٨ والبحراني ٢٧٦/٢

(٦) تنظر ترجمته في المعتزلي ٢٢٥/١٨.

(٧) نهج البلاغة الحكمة ٧٧ ص:٦١٢.

(٨) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢ ص:٣٦٩

(٩) ينظر :المعتزلّي١٥٩/١٣

(١٠) الشيرازي٢٩١/٤

(١١) ينظر : اضداد (قطرب) ٢٤٨ واضداد (الاصمعي) ٣٨ واضداد (ابن الانباري)١٠٥ واضداد (ابن السكيت) ١٩٢ واضداد (السجستاني) ١١٤واضداد (ابي الطيب)٢٥١ .

(١٢) ينظر : اضداد(ابن الانباري)١٠٥ واضداد (ابي الطيب)٥٥٧/١-٥٥٨ .

(١٣) ينظر : المعتزلّي٥٢/٥ .

ونبه الشّرّاح على أمثلة التضاد في متن النهج التي سببها عموم المعنى، كلفظة (الرهوة) في قوله (ع) في صفة السماء : (وَنَظَمَ بِلَا تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا، وَلَاءَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا)[١] ، فقد اجمع الشّرّاح على ان هذه اللفظة من الاضداد ، دالة في كلام الامام (ع) على المكان المرتفع ، وهي تجيء للمنخفض – ايضا – [٢] . ونبه الشارحان المعتزلّي والخوئي

على أن سبب التضاد هو عموم المعنى للرهوة لأنها تدل على محل اجتماع المطر ، سواء كان هذا المحل مرتفعا ام منخفضا[٣] .

ولم يقف الشّرّاح عند ذكر التضادّ في اللفظة ، وتعليل نشوئه ، وإنّما قلّبوا الوجوه المحتملة لدلالات هذه الالفاظ. وساق آخرون وجها اخر للرهوة يخرجها من الاضداد الى باب الاشتراك اللفظي، وهو دلالتها على المواضع المنفسحة[٤] وهي دلالة مشتقة من قولهم : رها رجليه اي فتحها[٥] ، فيكون المعنى انه سبحانه نظم شقوق السماء المنفسحة. ومن ذلك – ايضا – لفظة (الهجود) الواردة في قوله (ع): (فاتَّقُوا الله عِبَادَ الله تقيَّةَ ذِيْ لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَه، وأَنْصَبَ الخَوْفُ بَدَنَه ، وأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ)[٦] ، فقد أجمع الشراح[٧] على التضادّ في هذه اللفظة متابعة منهم لما ذكرته كتب الاضداد[٨] ، معتمدين على السياق في تخصيص التهجد في قوله (ع) بقيام الليل للعبادة والصلاة . وأشار الكيدريّ الى دلالة اللفظة على النوم في اصل معناها[٩] ، لكن المعتزلّي ذهب الى ان الاصل فيها هو السهر ، ثم شايعه أبو الفضل والموسويّ[١٠]. والجذر اللغوي لمادة هجد « يدل على ركود في مكان ، يقال : هجد اذا نام »[١١] . ويبدو ان التضادّ في هذه اللفظة متاتّ من معنى البناء الصرفي لباب التفّعل ، فتهجّد معناه سلب الهجود[١٢] ، يقال:« هجّدته فتهجّد : ازلت هجوده ، نحو : مرّضته، ومعناه ايقظته فتيقظ »[١٣].والذي يصلي في الليل هو المتهجد « وكانه بصلاته ترك الهجود عنه »[١٤].

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص:١٥٤ .

(٢) ينظر : البيهقّي ١٧٨ والراونديّ٣٨٨/١ والكيدريّ٤٥٣/١ والسرخسي٩١/١ وعبده ٢٠٦/١ ومغنية٢٦١/٢ وابو الفضل١٩١/١ والسامرائّي١٨٥ .

(٣) ينظر : المعتزلّي٤١٩/٦ والخوئي ٣٤٦/٦

(٤) ينظر : الخوئي ٣٤٦/٦ وانصاريان٢٧٦/١ .

(٥) ينظر : المقاييس٤٢٥ والمفردات٣٦٨ .

(٦) نهج البلاغة ، الخطبة ٨٣ ص:١٣٠.

(٧) ينظر : الراونديّ٣٨٨/١ والبحراني ٢٥٥/٢ وعبده١٥٤/١ والخوئي ٣/٦ ومغنية٤٠١/١ والتستريّ٢٥١/١٢ والشيرازي٣٢٩/١.

(٨) ينظر : اضداد (ابن الانباري)٥٠ واضداد (ابي الطيب)٦٧٨/٢-٦٨١ واضداد (ابن الدهان)٢١ والمزهر ٣٩٠/١ .

(٩) ينظر :الكيدريّ٣٩٤/١.

(١٠) ينظر: المعتزلّي٢٦٦/٦ وابو الفضل١٥٨/١ والموسويّ٤٥٣/١ .

(١١) المقاييس ١٠٦٣ .

(١٢) ينظر: الخصائص ٧٧/٣.

(١٣) المفردات ٨٣٢-٨٣٣

(١٤) المقاييس ١٠٦٤ .

وأشار الشّرّاح إلى أثر اللهجات في نشوء التضادّ وفاقا للغويين السابقين الذين عدّوا اللهجات سببا قويا لنشوء التضاد فالكلمة إذا دلّت « على معنيين متضادين فمحال ان يكون العربي اوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن احد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الاخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض فاخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن

هؤلاء ، فقالوا : الجون : الابيض في لغة حي من العرب ، والجون الاسود في لغة حي اخر ، ثم اخذ احد الفريقين من الاخر »[١] . ، وعدّ بعضهم اللهجات مقياسا لاقصاء الالفاظ ذات الدلالة على المعاني المتضادة ، وهم المضيقون للتضاد ، اذ اشترطوا في الالفاظ المتضادة ان تكون في لهجة واحدة[٢]. وقد برز الشّرّاح أهمية اللهجات في إقرار التضاد لما وقفوا على لفظة (السدفة) الواردة في قوله (ع) من خطبته الغراء: (عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْدَارًا ...قَدْ أُمِهِلُوا فِي طَلَبِ المَخْرَجِ ، وَهُدُوا سَبِيْلَ المَنْهجِ ، وَعُمِّرُوا مَهَلَ المُسْتَعْتِبِ ، وَكُشِفَتْ عَنْهُمُ سُدَفُ الرِّيبِ...)[٣] . إذ صرح معظم الشّرّاح بذكر اللهجات عاملا لنشوء التضادّ في هذه اللفظة ، يقول الراونديّ : « والسدفة عند اهل نجد الظلمة ، وعند غيرهم الضوء ، وهو من الاضداد »[٤]. وقد ذكر ابن الانباري ان التضادّ في هذه اللفظة يمكن ان ياتي من دلالتها العامة على معنى الستر « وكان النهار اذا اقبل ستر ضوءه ظلمة الليل ، وكان الليل اذا اقبل سترت ظلمته ضوء النهار »[٥] .

وتعد الصيغة الصرفية من تمحلات العلماء في التوسع بالتضادّ من وجهة نظر المضيقين له ، فقد انكر المضيقون ان يدخل في الاضداد ما كانت الصيغة الصرفية عاملا في اختلاف معناه[٦]. وقد اورد شراح النهج امثلة كثيرة لهذا النوع من الالفاظ من غير ان يصرحوا بضمها الى الفاظ التضادّ ، وانما اكتفوا في اغلبها ببيان التضادّ في معانيها. من ذلك الفعل المزيد بالهمزة (افعل) اذ تتعدد دلالته ما بين: الاظهار، والتعدية، والتدرج[٧]، ومن هنا تفاوتت اقوال الشّرّاح في توجيه دلالة طائفة من الافعال جاءت على مثال (افعل) ، فوقع التضادّ تبعا لهذا التفاوت ، من ذلك لفظة (اعذر) في قوله (ع) : (..قَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْكُم بِحَجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ)[٨] ، وذهب فريق منهم الى ان (اعذر) بمعنى أظهر العذر « يريد انه قد اوضح لكم بالحجج النيرة المشرقة ما يجب اجتنابه ،وما يجب فعله ،فان خالفتم استوجبتم

---

(١) اضداد (ابن الانباري)١١ وينظر: اضداد (ابي الطيب)٣٤٦/١ والمخصص٢٥٩/١٣ ودراسات في فقه اللغة (يعقوب بكر)١٤٦

(٢) ينظر : الجمهرة٢٩١/١-٢٩٢ والمزهر ٣٩٦/١ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة٨٣ ص:١٢٤.

(٤) الراونديّ١٠٠/٢ وينظر : المعتزليّ٢٥٣/٦ والكيدريّ٣٨٨/١ والبحراني ٢٤٤/٢ والسرخسي٨٤/١ وعبده١٤٩/١ ومغنية٣٩٠/١ والتستريّ٢٧٤/٧ وابو الفضل٥٥/١ والموسويّ٤٧١/١ والشيرازي٣٢٠/١ وانصاريان٢٧٢/١.

(٥) الأضداد (ابن الانباري) ٩. وينظر : أضداد (الاصمعي)٣٥ وأضداد (السجستاني)٨٦ وأمالي القالي١٢٥/٢ وأضداد (الصاغاني)٢٣٢ وأضداد (ابن الدهان)١٢ والمزهر ٣٩٠/١ .

(٦) ينظر: أضداد (ابي الطيب) ١٢١/١ وعلم الدلالة (عمر) ١٩٧

(٧) ينظر: الخصائص٧٧/٣ وسر صناعة الإعراب٤٢/١ .

(٨) نهج البلاغةالخطبة٨١ص:١١٩ .

العقوبة، فكان له في تعذيبكم العذر»[١] ، وذهب فريق آخر[٢] ، الى ان المراد بـ (اعذر) في قوله (ع) هو أزال العذر فـ « اعذرت فلانا سلبت عذره ، اي : ما جعلت له عذرا يبديه لو خالف ما نصحته به »[٣] ، وانماز الراونديّ برأي اخر،

هو ان يكون معنى اللفظة هو الجعل ، اي : «جعلته ذا عذر »[٤] ، وبذلك نفى تضاد المعنيين من الصيغة (اعذر) . وجوز الموسويّ المعنيين المتضادين :اظهار العذر، او ازالته[٥].

وجاء التضادّ في امثلة (افعل) لسبب اخر ليس نوع الهمزة كما في المثال السابق ، وانما لاختلافهم في عدد المفاعيل التي يصل اليها (افعل) كما في قوله (ع) : (فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ ... فَأَسْمِعْ رَطَلاً بِا، وَنَجَا هَارِبًا، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً ، وَأَطَابَ سَرِيرَةً)[٦]، فالفعل (افاد) من الاضداد لدى فريق من الشراح[٧]؛ لانه يحتمل ان يكون بمعنى اخذ المال واعطائه ، يقال : « افدت المال زيدا : اعطيته اياه ، وافدت انا ، اي : استفدته واكتسبته »[٨] . فعلى تقدير مفعول واحد يكون افاد بمعنى اخذ ، وعلى تقدير مفعولين يكون افاد بمعنى اعطى . وظاهر قوله (ع) يرجح ان يكون افاد بمعنى اخذ لوجود مفعول واحد ، فضلا عن دلالة السياق . ومن هنا اكتفى معظم الشّرّاح بتفسير افاد بمعنى اخذ ، ولم يلمحوا الى انه من الاضداد[٩] .

ومن امثلة التضادّ بسبب تعدد معنى الصيغة الصرفية الواحدة الى درجة التفاوت والاختلاف ، ما ورد في قوله (ع) : (فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ ، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ)[١٠] ، اذ فسر بعض شراح الاستعتاب بانه يجوز ان يكون اعطاء العتبى – اي الرضا – او طلب العتبى ، ومن هنا وقع التضادّ[١١] ؛ لان الاعطاء نقيض الطلب ، وقد ذكر الصرفيون عدة معان لباب الاستفعال منها الطلب والصيرورة[١٢]. ومعظم شراح النهج لم يعدوا هذه اللفظة من الاضداد[١٣].

---

(١) المعتزلّي ٣٠/٦ وينظر : البحراني ٢٢٥/٢ وابو الفضل ١٤٩/١ .

(٢) ينظر: الخوئي ٣٢٥/٥ وعبده ١٤١/١ ومغنية ٣٧٧/١ .

(٣) الراونديّ ٣١٩/١ .

(٤) نفسه ٣١٩/١ .

(٥) ينظر: الموسويّ ٤٥٣/١ .

(٦) نهج البلاغة الخطبة ٨٠ ص:١٢٦ .

(٧) ينظر: الراونديّ ٣٢٩/١ وعبده ١٧٠/١ والخوئي ٣٨٢/٥.

(٨) المعتزلّي ٢٥٦/٦ .

(٩) ينظر: الكيدريّ ٣٨٨/١ والبحراني ٢٤٧/٢ والخوئي ٣٨١/٥ وابو الفضل ١٥٥/١ والموسويّ ٤٧٤/١ والشيرازي ٣٢٢/١.

(١٠) نهج البلاغة رسالة ١ ص: ٤٥٩

(١١) ينظر: الخوئي ١٩٦/١٦ ، ٥/ ٣٨١ .

(١٢) ينظر:الكتاب ٧٠/٤ - ٧١ والممتع ١٩٥/١ .

(١٣) ينظر : الراونديّ ٣٢٨/١ والكيدريّ ٣٨٨/١ والمعتزلّي ٢٥٣/٦ والبحراني ٢٤٤/٢ والسرخسي ٨٤/١ وعبده ١٤٩/١ ومغنية ٣٩٠/١ والتستريّ ٢٧٣/١٢ وابو الفضل ١٥٤/١ والموسويّ ٤٧٣/١ والشيرازي ٣١٩/١.

وثّمة امثلة من التضادّ وردت لدى الشّرّاح لم يصرحوا بسبب وقوع التضادّ فيها ، من ذلك انهم لما وقفوا على قوله (ع) من خطبة له في ذكر المكاييل والموازين :(عِبَادَ اللهِ ، إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ ، وَمَدِينُونَ

مُقْتَضُونَ)[1] ، ذكر بعضهم أنّ « دنت الرجل : أقرضته ، فهو مدين ومديون ، ودنت ايضا اذا استقرضت ، وصار علي دين فانا دائن »[2] ، ويبدو ان سبب وقوع التضادّ في الفعل (دان) مرده الى اختلاف الفاعل مع الفعل دان المتعدي الى مفعولين ، اذ يقال : دنت الرجل مالا ، فهذا بمعنى الاعطاء ، ويقال : داننى الرجل مالا ، فهذا بمعنى الاخذ ، وعند بناء الفعل (داننى) للمجهول يحذف الفاعل (الرجل) وتتحول ياء المتكلم الى تاء فيصبح الفعل داننى: (دنت) وهو مجهول لا معلوم ، فوقع التضادّ لالتباس صيغة الفعل بين المعلوم والمجهول ، ولم يذكر الشّرّاح وقوع التضادّ في الفعل الماضي المسند الى تاء الفاعل (دنت) ، واكتفوا بتوجيه اسم المفعول (مدين) بانه الذي وقع عليه الدين ، وليس في بناء المفعول تضاد لانه يعني الاقتراض[3].

ولما اورد الشّراح قوله (ع) : (ألا وإنّ اليوَم المِضْمارُ ، وغَدًا السِّباقُ)[4] ، صرح المعتزلي بأن المضمار هو « الموضع الذي تضمر فيه الخيل ، والمضمار ايضا المدة التي تضمر فيها الخيل، والتضمير ان تُعْرِفَ الفَرَسَ حتى يسمن ثم ترده الى قُوتِه الأوّل ، وذلك في اربعين يوما ، وقد يطلق التضمير على نقيض ذلك ، وهو التجويع حتى يهزل ، ويجف لحمه ، وضَمَر الفرس بالفتح يضمر ضمورا، وجاز ضُمر الفرس بالضم، وأضمرته أنا، وضمَّرته فاضطمر هو . »[5]، ويبدو من نص المعتزلّي على تضاد المعنى في (التضمير) ان معنى التسمين المفهوم من اللفظة هو مقدمة لمعنى التجويع ، وهذا ما وجهه به الشارح عبده من ان « تضمير الخيل ان تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن ، ثم يقلل علفها وماؤها ، وتجري في الميدان حتى تهزل ، وقد يطلق التضمير على العمل الاول ، او الثاني ، واطلاقه على الاول لانه مقدمة للثاني ، والا فحقيقة التضمير احداث الضمور، وهو الهزال وخفة اللحم »[6] ، اي ان تسمين الفرس ، وتجويعها مقترنان في مدة واحدة هي اربعون يوما ، وهذا الاقتران اوحى بوجود التضادّ في لفظة التضمير لاشتمالها على المعنيين اتساعا. ومن هنا اكتفى معظم الشّراح بتفسير المضمار بانه موضع ضمور الخيل ، او زمان التضمير، ولم يشيروا الى وقوع التضادّ في التضمير؛ لانه لديهم يعني الهزال فحسب[7] ، على وفق ما ذكرته كتب اللغة[8].

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٢٩، ص: ٢٣٥ (٢) المعتزلّي٢٤٥/٨ وينظر: الخوئي ٢٢٩/٨.

(٣) ينظر : البيهقّي٢٢٠ والراونديّ٥٠/٢ والكيدريّ٥٩٠/١ والبحراني ١٤٣/٣ والتستريّ١٦٨/١ وابو الفضل ٣٠١/١ والموسويّ٣٧٠/٢ والشيرازي٢٨٠/٢ وانصاريان١٢/٢. (٤) نهج البلاغةالخطبة٢٨ ص:٦٤

(٥) المعتزلّي٢٥٤/٦ وينظر: ٩٣/٢ وعبده٩٠/١ . (٦) عبده ٩٠/١

(٧) ينظر: البيهقّي١١٨ والراونديّ٢١٨/١ والكيدريّ٢٤٣/١ والبحراني ٤١/٢ والخوئي ٤/٤ ومغنية١٩٥/١ وابو الفضل ٨٠/١ والموسويّ٢٣٥/١ والشيرازي١٥٧/١. (٨) ينظر: المقاييس٦٠٢ والمفردات٥١٢.

اما الفاظ التضادّ القرانية ، فكان لها نصيب وافر من اهتمام شراح النهج ، واهتمامهم بها امتداد لاهتمام السابقين من مفسرين ولغويين[1]. ومنها لفظة (وراء) الواردة في قوله (ع) :(فَإِنّ الغَايَةَ أَمَامَكُم ، وإنّ وَرَاءَكُم السَّاعَةَ تَحْدُوكُم . تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا ، فإنَّما يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُم آخِرُكُم)[2] . فقد نُسب الى الراونديّ تفسيره (الوراء) بمعنى القدام[3]. اما سائر شراح النهج فقد

اجمعوا على ان مراد الامام (ع) في (وراءكم الساعة) هو إنها خلفكم، وتأولوا كون الساعة خلف الناس لا أمامهم ، فذهب المعتزلّي الى ان الساعة ، وهي القيامة وما فيها من الجزاء بالثواب او العقاب ، او هي الموت ، انما تكون خلف البشر ؛ « لانها اذا وجدت ساقت الناس الى موقف الجزاء كما يسوق الراعي الابل ، فلما كانت سائقة لنا كانت كالشيء يحفز الانسان من خلفه ، ويحركه من ورائه الى جهة ما بين يديه »[٤]. وهنا استعان المعتزلّي بالقرينة السياقية ، وهي لفظة (تحدوكم) ليعضد دلالة (الوراء) على الخلف . ولجعل الساعة خلفنا مع انها من الامور المستقبلية ، قيد المعتزلّي كلامه بالاداة (اذا) في قوله السابق ؛ « لانها اذا وجدت ساقت الناس الى موقف الجزاء» ، وهذا ما عابه عليه الشارح الخوئي ذاكرا ان هذا التقييد « مجاز لا ينبغي ارادته الا بقرينة ظاهرة ، وهي في المقام مفقودة»[٥] . اما الشارح البحراني فذهب الى أنّ دلالة (وراء) على الخلف إنما هي على التشبيه ، لأن الساعة - هي عنده القيامة الصغرى أي موت الانسان – تشبه الشيء الذي يهرب منه الانسان « وكانت العادة في الهارب من الشيء ان يكون وراءه مهروب منه ، وكان الموت متاخرا عن وجود الانسان ، ولاحقا ، تاخرا ولحوقا عقليا ، اشبه المهروب منه المتاخر اللاحق هربا وتاخرا ولحوقا حسيا ، فلا جرم استعير لفظ الجهة المحسوسة وهي الوراء »[٦] ، اي ان الموت جعل خلف الانسان وان كان وقت حصوله مستقبلا ، تشبيها له بالمهروب منه الذي يكون عادة خلف الهارب . وقد انتقد الخوئي هذا التاويل نقدا لاذعا مبينا انه « لا يخفى ما فيه من السماجة »[٧] ، ثم ارتضى الخوئي تاويلا ذهب فيه الى ان المراد بالساعة ساعات الليل والنهار « وانما جعلها مع كونها منبسطة على مدى العمر ، وانقسامها الى الماضي والاستقبال ، باعتبار انها تحث الانسان وتسوقه سوقا حثيثا الى الغاية التي امامه ، اعني الموت »[٨]. وبين انصاريان احتمال اللفظة للمعنيين المتضادين : الخلف والوراء ، مرجحا دلالتها على الخلف بقوله : « والوراء اما بمعنى الخلف كانه ظهر لحاجتهم ومحال لاعتمادهم ، او بمعنى القدام كما في قوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا** ﴾[٩] فكانه يسعى بين يدي حاجتهم لكفاية امورهم ، والاول أظهر »[١٠]

---

(١) ينظر: علم الدلالة (عمر) ١٩٩-٢٠٠ والتطور اللغوي التاريخي ٩١ والأضداد (آل ياسين) ٥٥٦

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٢١ ص:٥١ .

(٣) ينظر : المعتزلّي ٣٠٢/١ والخوئي ٣/ ٣٠٤ .

(٤) المعتزلّي ٣٠٢/١ .

(٥) الخوئي ٣٠٤/٣ .

(٦) البحراني ٤١١/١ .

(٧) الخوئي ٣٠٣/٣

(٨) الخوئي ٣٠١/٣

(٩) الكهف ٧٩ .

(١٠) انصاريان ٢٥٣/٣

وهذه اللفظة اختلفت فيها اقوال المفسرين واللغويين ، فاصحاب كتب الاضداد يذهبون الى انها من الفاظ التضادّ[١] ، مستدلين على دلالتها على الخلف بقوله تعالى : ﴿ **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ** ﴾[٢] ، وعلى الأمام بقوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا** ﴾[٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ** ﴾[٤] . وقيد بعض اللغويين دلالتها على الامام ، فاشترط ان تكون لفظة(الوراء) منساقة في المواقيت والازمنة ، وعليه

قوله تعالى : ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾[٥] ، و﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾[٦] ، و﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[٧] ، يقول الفراء : «ولا يجوز ان تقول لرجل وراءك هو بين يديك ، ولا لرجل بين يديك هو وراءك ، وانما يجوز ذلك في المواقيت من الايام ، والليالي ، والدهر ان تقول : وراءك برد شديد ، وبين يديك برد شديد ، لانك انت وراءه ، فجاز لانه شيء ياتي فكانه اذا لحقك صار من ورائك ، وكانك اذا بلغته صار بين يديك »[٨] ، ولذا اخرج بعض المفسرين هذه اللفظة من باب التضادّ ، قال الطبري : « وقد جعل بعض اهل المعرفة بكلام العرب (وراء) من حروف الاضداد ، وزعم انه يكون لما هو امامه ولما هو خلفه ... وقد اغفل وجه الصواب في ذلك ، وانما قيل لما بين يديه هو ورائي؛ لانك من ورائه، فانت ملاقيه كما هو ملاقيك، فصار اذ كان ملاقيك من ورائك وانت امامه »[٩] وفسروا ارادة الخلف في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ ﴾ بانه خلفهم يتتبعهم[١٠]، وهذا ما اكده الزجاج بقوله : « وراءهم: خلفهم ، وهذا اجود الوجهين »[١١] . وصرف بعضهم دلالة (الوراء) الى المواراة اي الستر ، ليشمل بذلك الخلف والامام مادام فيه ما هو مستور ، فالوراء « اسم لما توارى عنك سواء كان امامك ام خلفك»[١٢]. والظاهر ان اللفظ ليس من التضادّ لعدة امور ، منها ان دلالة الوراء على الخلف تدخل في باب الترادُف[١٣] لا حمل اللفظ على معنى واخر ضده ، فضلا عن ان دلالة اللفظة على الامام لا تستحصل الا بالتاويل ، كما هو واضح من كلام المفسرين وشراح النهج ، وليست حاصلة بصورة مستقلة عن السياق كما هو حال الفاظ التضادّ الاخرى. اما ما نسب الى الراونديّ من حمله للفظة (الوراء) على معنى القدام ،ولفظة (الامام) على الخلف ، فقد وصفه الخوئي بانه اردأ ما ذكر من اقوال الشّرّاح[١٤] ولم أقف عليه عند الراونديّ ،بل انه فسر الوراء بالخلف ، والامام بالقدام[١٥] ،وتابعه سائر الشّرّاح[١٦].

---

(١) ينظر : النوادر (ابو زيد)٤٥-٤٦ والأضداد (السجستاني)٨٢-٨٣ والأضداد (ابن الانباري)٦٨

(٢) مريم ٥ (٣) الكهف ٧٩ (٤الجاثية ١٠ . (٥) ابراهيم ١٦ (٦) ابراهيم ١٧ . (٧) المؤمنون ١٠٠ .

(٨) معاني الفراء ١٥٧/٢ وينظر : معاني الاخفش ٣٧٤/٢ وادب الكاتب ١٨١ ومعاني القران وإعرابه٣٠٥/٣ والمفردات٥٧٥ والكشاف٤٩٥/٢ ونزهة الاعين النواظر ٥٤١-٥٤٢ .

(٩) جامع البيان ٣٠٢/١٦

(١٠) ينظر : الكشاف٣٧١/٢ ومجمع البيان٦٧/٦ والتبيان٣٢/٦ .

(١١) معاني القران وإعرابه ٣٠٥/٣ .

(١٢) البحر المحيط٤١٨/٦ وينظر: علم الدلالة (عمر)٢٠٦ .

(١٣) ينظر: علم الدلالة (عمر)٢٣١ .

(١٤) ينظر : الخوئي ٣٠٤/٣ .

(١٥) ينظر: الراونديّ ١٨٧/١ .

(١٦) ينظر: عبده٦٥/١ ومغنية١٥٨/١وابو الفضل ٦٢/١ والموسويّ١٨٥/١ والشيرازي١٢٤/١ .

وانفرد الراونديّ بالاشارة الى التضادّ في لفظة (الاسرار) الواردة في قوله (ع) يصف الطلقاء : (...وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، مَا أَسْلَمُوا وَلكِنِ اسْتَسْلَمُوا ، وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ لَفَظْنَاهُ)[١] ، اذ بين الشارح مجيء هذه اللفظة دالة على الكتمان والاظهار ، مستدلا بالسياق القراني ، اذ يقول :« واسر الشيء من الاضداد ، يكون سرا واعلانا ، قال تعالى : ﴿واسروا الندامة﴾ [٢]، وفسرت على الوجهين »[٣] ، والشارح بهذا يوافق السابقين في إقرارهم دلالة لفظة (الاسرار) في الاية الكريمة على الاظهار[٤] ، وينبه في الوقت نفسه على ذهاب فريق آخر الى حمل اللفظة

على المعنى الظاهر لها وهو الاخفاء لا غير[٥]. ولم ينبه الشراح الآخرون[٦] على التضادّ في هذه اللفظة ، وانما اكتفوا ببيان دلالتها على الاخفاء.

ومن ذلك – ايضا – لفظة (الغابر) الواردة في قوله (ﷺ) : (لَمْ يُخْلِ اللهُ سُبحانه خَلْقَهُ مِن نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ... مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ)[٧]. والواردة – أيضا – في قوله (ﷺ) يصف التقوى :(لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الأُمَمِ الماضِيْنَ منكم والغَابِرِيْنَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً)[٨]. فقد ذهب معظم الشّرّاح الى ان هذه اللفظة من الاضداد إذ تدل على الماضي والباقي وهي في هذا الموضع بمعنى الباقي ؛ لذكر السابق والماضي قبلها[٩].وفي القرآن[١٠] ورد (الغابرين) نعتا للمتخلفين عن نوح ولوط (عليهما السلام) ، وقد فسرت اللفظة بالباقين تارة والماضين تارة أخرى[١١]. وأفضل ما قيل في معناها : إنّ « الغابر :الماكث بعد مضي ما هو معه»[١٢] ،وهذا المعنى يبيح إطلاق الغابر على الماضي والباقي « فإنما قيل للماضي غابر تصورا بمضيّ الغبار عن الأرض ، وقيل للباقي غابر تصورا بتخلف الغبار عن الذي يعدو فيخلفه »[١٣] .

ويعد السياق اللغوي ركيزة لاظهار المعاني المتضادة، وقد اتخذه ابن الانباري وسيلة للدفاع عن اللغة العربية، وهو يرد على الشعوبيين الذين رموا لغة العرب بخلوها من الدقة ، وافتقارها الى الحكمة حينما تدل الفاظها على معنى واخر مضاد له ، اذ قال : « ... فاجيبوا بضروب من الاجوبة : احدهن ان كلام العرب يصحح بعضه بعضا ، ويرتبط اوله باخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظ على

---

(١) نهج البلاغة الرسالة ر١٦ ص:٤٧٤ (٢) سبا ٣٣ . (٣) الراونديّ ٤٦/٣.

(٤) ينظر : مجاز القران٣٥/٢ وتفسيرغريب القران٣٥٧ واضداد (قطرب)٨٩ واضداد (ابن السكيت)٨٩ واضداد (ابن الانباري)٤٥

(٥) ينظر: معاني الفراء٣١٥/١ وجامع البيان٩٨/٢٢ ومعاني القران وإعرابه٢٥/٣ والتبيان٣٩٨/٨ .

(٦) ينظر: المعتزلّي١١٤/١٥ والبحراني ٣٨٨/٤ والخوئي ٢٢٥/١٨ والموسويّ٧٧/٤ والشيرازي٤٥٧/٣ .

(٧) نهج البلاغة الخطبة١ ص:٢٣ . (٨) نهج البلاغة الخطبة الخطبة ١٩١ ص: ٣٥٦

(٩) ينظر: البيهقّي ٧٠ والراونديّ ٧٧/١ والكيدريّ١٣٩/١ والمعتزلّي ١١٦/١ والبحراني ٢٠٠/١ وعبده٢٧/١ والخوئي ١٥٤/٢ ومغنية ٥٦/١ والتستريّ ٤١/٢ وأبو الفضل ٢٢/١ والسامرائّي ٢٧٣ والشيرازي٦٩/٣

(١٠) ينظر: الأعراف٨٣ والحجر٦٠ والشعراء١٧١. (١١) ينظر: الكشاف ٩٣/٢ ،١٢٦/٣والبحر المحيط ١٠٢/٥

(١٢) المفردات ٦٠١ (١٣) نفسه ٦٠١

المعنيين المتضادين، لانها يتقدمها وياتي بعدها ما يدل على خصوصية احد المعنيين دون الاخر ، ولا يراد بها في حال التكلم الا معنى واحد »[١] ، وأولى المحدثون السياق عناية خاصة ، اذ اتخذوا من القرائن اللغوية داخل السياق وسيلة للكشف عن معاني اللفظ المتضاد[٢] الا ان بعض المتقدمين من اللغويين ادخلوا في التضادّ ما جاء نتيجة العلاقات السياقية ، من ذلك قول ابن الانباري : « ومن الاضداد ايضا قولهم : اغار الى القوم اذا اغاثهم واعانهم وقاتل عنهم ، وقد اغار على القوم اذا قصدهم فقتلهم وسلبهم وانتهبهم »[٣] ، والى مثل ذلك ذهب ابو الطيب بقوله : «

راغ على وراغ عن ، فالاول بمعنى اقبل ، والثاني بمعنى ولى ، ومثله طلع على وطلع الى »[٤] . وعد المحدثون هذا التضادّ من فعل السياق وحده ، وليس من قبيل الفاظ التضادّ بمفهومها المستقل عن السياق ، ورأوا ان ادخال مثل هذه الأمثلة في باب التضادّ انما هو من اخطاء اللغويين[٥]؛ لان « التركيب في مثل هذه الالفاظ هو الذي ادى الى الضدية ، ولو اخرجت هذه وغيرها من حقل الاضداد لانحسر عدد الكلمات المتضادة الى حدّ كبير »[٦] . وحشر هذه الالفاظ في باب الاضداد ضرب من التكلف ، لاختلاف معنى الفعل باختلاف استعماله . ومثل هذه الالفاظ لا يحصل التضادّ فيها لولا دخولها في علاقات نحوية تكسبها دلالات متضادة ، فلا يمكن عدها من الفاظ التضادّ ، وقد اقر شراح النهج بهذا المفهوم ، اذ ذكروا مثل هذه الأمثلة في شرحهم لالفاظ النهج ، ولم يصطلحوا على انها من الفاظ التضادّ ، وانما وازنوا بين معانيها المتضادة ببيان الصلات المتعاقبة عليها . وقد بين الشارح الامدي بشكل مفصل هذا الامر بقوله ، وهو يشرح لفظة (رغب) في قوله (ع) من كتاب لبعض أصحابه وقد اشترى دارا بمبلغ كبير : (أَما إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرائِكَ ما اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتاباً عَلَى هذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِراءِ هَذِهِ الدّارِ بِدِرْهَمٍ فَما فَوْقَ)[٨] ، إذ بين الامدي حصول التضادّ التركيبي بقوله : « الافعال كما تتغير معانيها بتغير الابواب ، سواء كانت الابواب مجردة او غير مجردة ، كذلك تتغير معانيها بتغير صلاتها ، وكذا الحكم في مصادرها ، فالرغبة ومشتقاتها اذا كانت صلتها كلمة (في) الجارة ، تفيد معنى الارادة والميل الى الشيء ونحوهما ، يقال : رغب في الشيء اذا اراده واحبه ومال اليه وطمع فيه وحرص عليه ، واذا كانت صلتها كلمة (عن) الجارة تفيد الاعراض والترك ، يقال : رغب عنه اذا زهد فيه ولم يرده واعرض عنه وتركه ، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ** ﴾[٩] »[١٠]. واكتفى سائر الشّرّاح بالتنبيه على تضاد المعنى في هذه اللفظة بفعل التركيبين : رغب عن ، ورغب في ، من غير ان يعدوها من الفاظ التضادّ اللغوي[١١] وفاقا للغويين[١٢].

---

(١) اضداد (ابن الانباري) ٢. (٢) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة١٦٨ والبلاغة وقضايا المشترك اللفظي١٦٣

(٣) اضداد (ابن الانباري)٣٦٨ . (٤) اضداد (ابي الطيب) ٤٢٨/١ .

(٥) ينظر:التضاد في ضوء اللغات السامية١٤-١٦ . (٦) الاضداد (ال ياسين) ١٧.

(٧) التضاد في ضوء اللغات السامية ١٤-١٦ . (٨) نهج البلاغة الكتاب ٣ ص:٦٤١

(٩) البقرة ١٣٠ . (١٠) الخوئي ١٧ /١١٣

(١١) ينظر : المعتزلّي ٧٧/٢ والموسويّ٤٦/١ . (١٢) ينظر: المقاييس ٤١٢ والمفردات٣٥٨ .

وقد تباين الشّرّاح في التنبيه على المعاني المتضادة المستحصلة من اختلاف تعلقها بحروف الجرّ، ففي لفظة (عرجوا)الواردة في قوله (ع) لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (أَيُّهَا النَّاسُ ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ ، وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ ...)[١] ، اكتفى اغلب شراح النهج ببيان معنى اللفظة ، وهو الميل والبعد عن طريق المنافرة[٢] ، وهو مراد الامام (ع) في هذا النص ، على حين أشار الراونديّ والكيدريّ الى معنى اخر مضاد للميل والانحراف ، وهو معنى الاقامة على الشيء ، الذي يستحصل من تعدية الفعل بحرف الجر (على) ليكون

« التعريج على الشيء : الاقامة عليه ، يقال : عرج فلان على المنزل اذا حبس عليه نفسه ، والتقدير على هذا : عرجوا على الاستقامة منصرفين عن المنافرة وهي المحاكمة في النسب»[٣] . ورجح المعتزلّي معنى الميل والانحراف ملمحا الى خطأ من احتمل معنى الاقامة ، بقوله : « ولقائل ان يقول : التعريج يعدى تارة بـ (عن) ، وتارة بـ(على) ، فاذا عديته بعن اردت التجنب والرفض ، واذا عديته بعلى اردت المقام والوقوف ، وكلامه (ع) معدى بعن ...»[٤] ومن هنا أطبق معظمهم على اقصاء مثل هذه اللفظة عن باب التضادّ ليحصروها في متعلقات التركيب سيرا على نهج اكثر اللغويين[٥] .

وأكّد المحدثون من شراح النهج على تضاد معاني التركيب لا اللفظة في مثل هذه الامثلة ، كما نجد في قول السامرائّي في لفظة (الاشخاص) في قوله (ع) من كتابه الى الاشتر : (فَلا تشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ – اي الرعية – لاَوتُصَعِّرْ خَدَّكَ لهلُمْ)[٦] ، إذ بيّن أن مراد الامام (ع) هو « لا تبعد عنهم همك ، اي : اهتمامك بهم ، وقد احتمل (الاشخاص) هذا المعنى ، وهو الابعاد ، او الانحراف بسبب تعديته الى مفعوله بالحرف (عن) الذي يفيد التجاوز ، ولو ان قائلا قال : اشخصت همي الى كذا وكذا ، لانصرفت الى الضد مما ورد في النص لان المعنى في هذه الحال ينصرف الى التوجه والميل »[٧] ، وقد سكت شراح النهج[٨] عن التماس المعنى المضاد للابعاد اكتفاء منهم بظاهر قول الامام (ع) . وثمة امثلة أخرى لديهم من التضادّ القرآني بسبب تعاقب حروف الجرّ مع الفعل الواحد منها : (اختلف عن) و(اختلف في)[٩] ، و(ابصر عنها) و(ابصر بها)[١٠] ، و(صبر عن) و(صبر في)[١١] ، وغير ذلك .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٥ ص:٣٥ .

(٢) ينظر: البيهقي ٨٦ والبحراني ١٠٠/١ والسرخسي ٥٣/١ والخوئي ١٣٥/٣ومغنية ١٠٧/١والشيرازي ٨١/١ .

(٣) الراونديّ١٤٤/١ وينظر: الكيدريّ ١٧٩/١ .

(٤) المعتزلّي ٢١٨/١

(٥) ينظر: المقاييس والمفردات

(٦) نهج البلاغة الكتاب ٥٣ ص:٥٦١

(٧) السامرائّي ٢١٧ .

(٨) ينظر: الراونديّ١٩٥/٣ والكيدريّ٥٤٦/٢ والمعتزلّي٨٧/١٧ والبحراني ١٥٨/٥ وعبده١٠٤/٢ والخوئي٢٧٦/٢٠ ٢٦٢ والتستريّ٥٨٨/٨ وابو الفضل٢٥٧/٢ والشيرازي١٨١/٤وانصاريان٣/.

(٩) ينظر:المعتزلّي٢٢٥/١٩ .

(١٠) ينظر: البحراني ٢٣٥/٢ .

(١١) ينظر : الخوئي ٩٩/٨ .

المبحث الثالث :الترادُف والفروق اللغويّة

درس الشارحان البحراني والخوئي في مقدمتيها ظاهرة الترادُف ، فقدم البحراني تعريفا لها بقوله: « اما الترادُف فهو كون لفظين مفردين او ما زاد عليهما دالين لا لوضع على معنى واحد باعتبار واحد ، وبالافراد احترزنا عن الاسم

الواحد ، وباعتبار واحد عن اللفظين اذا دلا على شيء واحد باعتبارين ، كالصارم ، والسيف ، وباعتبار الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح ، فان تلك متباينة »[١] . اما الشارح الخوئي فقد بحث الترادُف ضمن معالجته تقسيمات اللفظ والمعنى ، قائلا : « ان يتكرر اللفظ ويتحد المعنى فالالفاظ مترادفة سواء كانت من لغة واحدة كالليث والاسد ، او من لغتين »[٢] .

وما قاله الشارحان لا يختلف عما قدمه اللغويون السابقون في تعريفاتهم لهذه الظاهرة ، وهو « ان يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد »[٣] و« ان يكون للمعنى الواحد عدة الفاظ تتصرف جميعها للدلالة عليه كالليث والاسد »[٤] . وقد اصطلح سيبويه على الترادُف بعبارة « اختلاف اللفظين والمعنى واحد »[٥]، وتعددت اصطلاحاته لدى الخالفين ، ومنها « الاسماء المختلفة للشيء الواحد »[٦] ، و« ما اختلف لفظه واتفق معناه »[٧] ، ثم صرح الرماني (ت ٣٨٤ هـ) بالشائع لدينا في كتابه « الالفاظ المترادفة »[٨] الذي ذكرته كتب التراجم. وعلى هذه التعاريف سار المحدثون في حدهم لظاهرة الترادُف بانها : « الفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في اي سياق»[٩]. والملاحظ في تعريف البحراني المذكور آنفا انه اثار مسالة مهمة في بحثه للترادف ، وهي مسالة الصفات الدالة على المسمى الواحد ، التي اشار اليها بقوله : (باعتبار واحد) ، فقد ضيق الشارح مفهوم الترادُف عندما اقصى الالفاظ الدالة على صفات المسمى من ان تكون مرادفة للاسم وعدها من المتباينات ، وهو مصطلح اصولي[١٠] يطلق على « الالفاظ الموضوع كل واحد منها لمعنى كالانسان والفرس والطير ، ولو كانت للذات والصفة وصفة الصفة نحو : زيد متكلم فصيح »[١١] .

فالبحراني ينكر الترادُف في مثل السيف ، والمهند ، والصارم ، والحسام ،لان هذه الالفاظ لديه دالّة

---

(١) البحراني ٢٧/١ . (٢) الخوئي ١١/١ . (٣) الخصائص ١١٣/٢ .

(٤) التعريفات١٦٠ وينظر : دلالة الالفاظ٢١٦ وعلم الدلالة ، دراسة نظرية١١٩-١٢٠ .

(٥) الكتاب ٢٤/١ وينظر : اضداد (قطرب)٦٩-٧٠ .

(٦) غريب الحديث١٠٩/٢(ابن قتيبة) وينظر: تفسير غريب القران٣٧٩ .

(٧) المزهر ٣٨٨/١ .

(٨) هدية العارفين٦٨٣/١ وينظر: فصول في فقه العربية٣١٠ .

(٩) فصول في فقه اللغة٣٠٩ وينظر : المعجم الادبي٦٣ .

(١٠) ينظر : المستصفى٣١/١ وشرح تنقيح الفصول٣٠ وتحرير القواعد المنطقية٢٩ .

(١١) شرح تنقيح الفصول٣٢ وينظر : الذخيرة ٥٥ .

على شيء باعتبارين، لا اعتبار واحد، هما الذاتية والوصفية ،غير انه لا ينكر الترادُف في الالفاظ الدالّة على شيء باعتبار واحد، كالليث والاسد ، وهو بهذا يتابع ما جاء عند الاصوليين في تعريفاتهم للترادف ، فقد عرف الرازي (ت ٦٠٦ هـ) الالفاظ المترادفة بانها « الالفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد باعتبار واحد »[١] . وقد نبه الشارح الخوئي في موضع اخر من شرحه على ان الصارم والحسام ونحوهما ، هي صفات للسيف لا اسماء ، فهي ليست مرادفات للسيف

، إذ « يوصف السيف بالحسام ، وهو القاطع اخذا من الحسم وهو القطع ، وبالصارم وهو الذي لا ينبو عن الضريبة »[٢] . وهذا ما يلحظ لدى شراح النهج الاخرين الذين باينوا بين الصفات والاسماء ، كما في (الرقيم) في قوله (ع) وهو يصف ابتداء خلق السماء والارض : (..وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ)[٣]، إذ أقروا دلالتهاعلى السماء مبينين اشتقاقها من الرقم ، وهو الكتابة والنقش ، لان الكواكب تشبه الرقوم . وذكروا دلالة (السمك) على السماء ايضا ولكن ببيان صفة اخرى لهذه اللفظة ، وهي الارتفاع لان السمك هو الارتفاع ، وذكروا دلالة الفلك على السماء لكن بصفة اخرى ماخوذة من فلكة المغزل في الاستدارة[٤] . وقد أخذت مسالة التمييز بين صفات الشيء واسمائه حيزا مهما في موضوع الترادُف ، إذ انقسم العلماء بشأنها على قسمين[٥] : الاول يؤيد وقوع الترادُف ويوسع في مفهومه فيعد كل ما كان صفة للشيء مرادفا له ، ومن ذلك مارواه ابن فارس من ان الاصمعي كان يحفظ للحجر سبعين اسما[٦] ، ونقل عن ابن خالويه انه جمع للاسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين[٧] ، وقد لاقت هذه المغالاة في الترادُف رفضا من لدن طائفة من العلماء « تعارض هذا الاتجاه وترفض ظاهرة الترادُف في العربية رفضا تاما »[٨] ، منهم ابن الأعرابي (ت٢٣١هـ) ، وثعلب (ت٢٩١هـ) ، وابن درستويه (ت٣٤٧هـ) ، وابو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) الذي نقل السيوطي عنه موقفه من ابن خالويه عندما كانا في مجلس سيف الدولة ، فقال ابن خالويه مفتخرا انه يحفظ للسيف خمسين اسما ، فقال ابو علي انه لا يحفظ له الا اسما واحدا وهو السيف ، اما المهند ، والصارم ، وغيرها فهي صفات « وكأنّ الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة»[٩]. فالتفريق بين الاسم والصفة هو الحد الفاصل لدى هؤلاء العلماء للحكم بين المترادفات ، فكل صفة تختلف عن غيرها لا تعد مرادفة للاسم ، يقول ابن فارس : « ويسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة نحو : السيف ، والمهند ، والحسام ، والذي نقوله في هذا ان

---

(١) المحصول ٣٤٧/١/١ وينظر : المزهر ٤٠٢/١ والترادُف (لعيبي) ومنهج البحث (زوين)١٣٦ وفقه اللغة العربية١٧ .

(٢) الخوئي ٢٠٤/١٨ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١ص :٢٠.

(٤) ينظر : البحراني ١٧٣/١ وعبده٢٢/١ وابو الفضل١٨/١ .

(٥) ينظر : المزهر ٤٠٥/١ والترادُف (لعيبي) ٧ وعلم الدلالة (عمر)٢١٧ وابحاث ونصوص في فقه اللغة ٢٣٦ .

(٦) ينظر : الصاحبي٤٣ والمزهر ٤٠٥/١ ومعجم الادباء٢٠٤/٩ وفصول في فقه العربية ٣١٠ .

(٧) ينظر : الصاحبي٤٤ والمزهر ٤٠٥/١ .

(٨) فصول في فقه اللغة٣١١ .

(٩) المزهر ٤٠٥/١ وينظر : فقه اللغة العربية١٧٠.

الاسم واحد هو السيف ، وما بعده من الالقاب صفات ، ومذهبنا ان كل صفة منها فمعناها غير معنى الاخرى ، وقد خالف في ذلك قوم »[١] ، وقلل اصحاب هذا الفريق من المترادفات الكثيرة التي قال بها الموسعون للترادف .

ووقف المحدثون امام هذه المسالة على اقوال ، فمنهم من عد صفات الاسم سببا في نشوء الترادُف ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب : « من اسباب الترادُف كذلك ان يكون للشيء الواحد في الاصل اسم واحد ، ثم يوصف بصفات

مختلفة باختلاف خصائص ذلك الشيء ، واذا بتلك الصفات تستخدم في يوم ما استخدام الشيء ، وينسى ما فيها من الوصف او يتناساه المتحدث باللغة، وفي ضوء هذا السبب يمكن النظر الى السيف واسمائه»[٢] ولذا عدوا الصفات من ابرز اسباب نشوء الترادُف في جميع اللغات « فمن ذلك تسمية الدار دارا ومنزلا ومسكنا وبيتا ، باعتبار كونها مستديرة في الاصل ، او كونها مكان النزول ... او موضعا للسكينة ... او كونها مكانا للبيتوتة ، وكل لفظ من هذه الالفاظ يدل على المقصود نفسه باحد هذه الاعتبارات التي قد يقصدها المتكلم او لا يقصدها ولا يلاحظها ، وهو الغالب في استعمال الناس»[٣]. وقد عد بعض المحدثين كثرة المترادفات بسبب الصفات المتعددة للمسمى عاملا مهما في اتساع متن المعجمات العربية[٤]. وعلل بعض المحدثين هذا الاختلاف بانه اختلاف يعود الى تباين نظرة العلماء الى هذه المسالة ، فالذين فتحوا باب الترادُف امام الصفات نظروا الى المسالة نظرة وصفية من خلال الاستعمال فعدوها اسماء باعتبار الدلالة الحالية لها ، على حين نظر الفريق الاخر إليها نظرة تاريخية ، اذ عدوها صفات بحسب الاستعمال القديم لها[٥]. وأيد بعض المحدثين نظرة ابن خالويه وغيره ممن ادخلوا صفات الاسم ضمن الالفاظ المرادفة له ، ووصف هذا الاتجاه بانه اقرب للواقع اللغوي وقصد المتكلم ، فالصفات هي اسماء بحسب الواقع اللغوي لان المتكلم بها لا ينصرف ذهنه الى معاني هذه الالفاظ « بحسب اشتقاقاتها وسبب تسميتها ، وانما الذي يعنيه من امرها ان هذه الالفاظ اسماء اعلام على مسمياتها»[٦] ، وقد جعل ستيفن اولمن تطور الصفة وانتقالها الى فصيلة الاسماء من صور التطور الدلالي للفظة[٧].

لقد اشار الشارحان البحراني والخوئي الى مسألة اخرى وسّعا بها مفهوم الترادُف ، وهي تجويزهما حصول الترادُف في لهجة واحدة ، يقول البحراني « انه يجوز وقوع الالفاظ المترادفة من واضع واحد ، ويجوز وقوعها من واضعين»[٨] ، وقد جوز الخوئي ذلك بقوله : « سواء كانت من لغة واحدة ، كالليث والاسد ، او من لغتين »[٩].

---

(١) الصاحبي٩٦ وينظر :المزهر ٤٠٤/١ .

(٢) فصول في فقه اللغة٣١٨-٣١٩ وينظر: الترادُف (لعيبي) ١٤٤ وفي اللهجات العربية١٧٦ وكلام العرب١٠٥ وظاهرة الترادُف في ضوء التفسير البياني ٥

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية ٢٠٠

(٤) ينظر : اللغات السامية٨١ وفصول في فقه العربية ٣١٩ .

(٥) ينظر : الترادُف (لعيبي) ١٤٦.

(٦) المصدر نفسه : ١٤٢.

(٧) ينظر: دور الكلمة ١٨٥ .

(٨) البحراني ٣٣/١ .

(٩) الخوئي ١١/١ .

وهذه المسالة كانت موضع خلاف – ايضا – بين منكري الترادُف ومؤيديه[١]، فالذين انكروا الترادُف لم يجوزوا حصوله في لهجة واحدة، ففي « لغة واحدة محال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد »[٢] . لأن في ذلك « تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه »[٣] ، ولذا أقر أغلب العلماء بتعدد الفاظ المعنى الواحد اذا حصلت من لهجتين او اكثر[٤] . ثم أقر المحدثون اللهجات المختلفة سببا رئيسا لتعدد أسماء الشيء الواحد «فكلّ لهجة تطلق عليه اسما ، ثم ادى احتكاك اللهجات

بعضها ببعض ، ونشاة اللغة العربية المشتركة الى تمسك هذه اللغة المشتركة بعدد من تلك الالفاظ التي تدل على مسمى واحد في اللهجات المختلفة »[٥].

وبين البحراني مسوغات مجيء الترادُف في لهجة واحدة بقوله : « يجوز وقوع الالفاظ المترادفة من واضع واحد ، ويجوز وقوعها من واضعين ، ويشبه ان يكون الاول اقل وجودا ، وله سببان : الاول : التسهيل والاقدار على الفصاحة ؛ لانه ربما يمتنع وزن البيت وقافيته مع بعض اسماء الشيء دون اسمه الاخر ، وربما حصلت رعاية السجع والمقلوب والجنس وسائر اصناف البديع مع بعض اسماء للشيء ولا يحصل مع الاخر ، الثاني : التمكن من تادية المقصود باحدى العبارتين عند الغفلة عن الاخرى ، واما الثاني ... فيجوز ان تصطلح احدى قبيلتين على اسم للشيء غير الاسم الذي اصطلحت عليه القبيلة الاخرى ثم يشتهر الوضعان بعد ذلك معا »[٦]. وهذه المسّوغات التي ذكرها البحراني وردت في أقوال سابقيه ولاحقيه[٧].

وقد بين المحدثون سببا اخر في نشوء الترادُف[٨] هو التطور في دلالة الالفاظ بسبب المجاز ، فالمجاز وان كان هو السبب في خلق العديد من المعاني للفظة الواحدة في اللغة العربية الا انه سريعا ما ينسى ويصبح المعنى الجديد لا يقل حقيقة عن المعنى الاول ، وهكذا يصبح امامنا في اخر الامر العديد من الاسماء المترادفة بسبب المجاز[٩] ، وقد عد التطور الدلالي من جهة اخرى معيارا لبيان الفروقات بين الالفاظ ذات الدلالات المتقاربة ، وقد ذكر الدكتور ابراهيم السامرائّي ان مؤيدي الترادُف كانوا « لحرصهم عل تجميع الالفاظ المترادفة قد تجاهلوا تطور الدلالة فيها ، وخلطوا بين عصور اللغة ، ولذا جمعوا بين لفظ عرفت له دلالة جاهلية قديمة ، واخر اشتهر بدلالة اسلامية حديثة ، وجعلوا من اللفظين صنوين قرينين »[١٠] .

---

(١) ينظر : فصول في فقه العربية ٣١٠ والترادُف(لعيبي) ٧ وفي اللهجات العربية١٦٣ .

(٢) تصحيح الفصيح١/١٦٥-١٦٦ وينظر:المزهر ٣٨٤/١ وفصول في فقه العربية ٣١٢ . (٣) فصول في فقه العربية ١٥ .

(٤) ينظر: الخصائص١/٣٧٣-٣٧٤ وينظر : المزهر ١/ ٤٠٥-٤٠٦.

(٥) فصول في فقه العربية ٣١٦ وينظر : فقه اللغة (وافي)١٦٦ والترادُف (لعيبي) ١٥٤ وفقه اللغة العربية ١٨١ .

(٦) البحراني ٣٣/١ .

(٧) ينظر: الخصائص٣٧٢/١ والصناعتين ١٦٤ والبرهان للزركشي ٤٧٢/٢ .

(٨) ينظر: الترادُف (لعيبي) ٢٨١-٣٠٠ وفي اللهجات العربية١٧٨-١٧٩ .

(٩)ينظر: الاصول (تمام حسان) ٣٣٢ و الدلالات اللغوية١٠٦-١٠٩ . (١٠) ينظر: اللهجات العربية ١٨٣ .

وثمة إشارات لدى شراح النهج الى التطور الدلالي، لكنهم نظروا اليه على انه سبب في ترادف الالفاظ[١] ، فضلا عن إنهم رأوا في تطور دلالة اللفظة معيارا لاقامة الفروقات بين الالفاظ[٢]. ويمكن بيان هذين الاتجاهين عند الشّرّاح في شرحهم للفظتي (الايمان) ، و(الاسلام) في اقوال متفرقة للامام (ع)[٣]، فقد بين الراونديّ المعنى اللغوي للفظتين[٤] بأنّ « الاسلام في موضع اللغة هو ان تنقاد لامر غيرك ، ويراد به التسليم»[٥]، وأنّ « الايمان في اللغة هو التصديق »[٦] ،

وبذا نبه الشارح على افتراق اللفظين في دلالتهما الاصلية ، ثّم بين اشتراك اللفظين في دلالتهما على معنى واحد بفعل ما استجد في زمن الاسلام من معان شرعية جعلت لفظة (الايمان) «في عرف الشرع هو التصديق بالقلب لاركان الدين ، ويقال لمن يظهر الايمان من نفسه ولم يكن مصدقا بالحقيقة انه مؤمن مجازا ... وكل لفظ يستعمل في حقيقة يجوز المجاز فيه على الاطلاق »[٧] ، وكذلك انتقل (التسليم) في المعنى اللغوي للاسلام الى معنى اخر هو « في عرف الشرع التدين بدين الحق ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾[٨] ، اي : الطاعة عند الله حب الاسلام ، والمراد بالاسلام التسليم لله تعالى ولاوليائه ، وهو كالتصديق »[٩] ، وهكذا صار الاسلام دالا على التصديق ، فالتقى معنى الايمان ليكون « الاسلام هو التسليم ، والتسليم هو التصديق »[١٠] ، وبهذا تكون اللفظتان : الايمان والاسلام دالتين على معنى واحد هو التصديق ، بعد ان افترقتا في الاصل اللغوي لهما ، وهذا ما بينه فريق من شراح النهج[١١] . على حين ذهب المعتزلّي الى ان « الاسلام والايمان عبارتان عن معبر واحد ...اي ان الاسماء مترادفة »[١٢]، ووافقه في هذا بعض الشراح[١٣] ، ففي صدر الاسلام كانت كلمتا المؤمن والمسلم مترادفتين او متقاربتين في المعنى ، وقد اطلق القران المؤمنين على المسلمين ، وخاطب الجميع بـ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[١٤] ، وفي هذا تنبيه على التطور الزمني لدلالة الالفاظ إذ هو سبب لترادف اللفظتين.

---

(١) ينظر : البحراني ٣٠/٣ .

(٢) ينظر : البيهقّي١٥ والبحراني ١٢٦/١ والشيرازي٢٦/١ والخوئي ٢٣٩/١٨ ، ٣٣١ .

(٣) ينظر : نهج البلاغة الحكمة ٣١ ص:٦٠٣ والحكمة ٨٨ ص:٦١٤ والحكمة ١٢٠ ص:٦٢٤

(٤) ينظر : الصحاح ٥٧ ، ٥٠٩ .

(٥) الراوندّي ٣٠٠/٢ .

(٦) نفسه ١٨٤/٢ . (٧) نفسه ٤٤٣/٢ .

(٨) ال عمران ١٩ (٩) الراوندّي٣٠٠/٢

(١٠) نفسه ٣٠٠/٢ وينظر: ٤٧٢/١ ، ١٨٤/٢ ، ٤٤٣/٢ .

(١١) ينظر: المعتزلي ٣١٣/١٨ ومغنية ٦٤/٦ وأنصاريان ٩٢/٢ .

(١٢) المعتزلّي٣١٣/١٨ .

(١٣) مغنية٦٤/٦ وينظر: ١٢٩/٦ .

(١٤) البقرة٢٦٤ والتغابن١٤ و....

الترادُف بين المطابقة والمقاربة .

أثار الشارح البحراني مسالة مهمة هي تحديد مفهوم الألفاظ المترادفة بين التطابق التام والتقارب الذي يسمح بوجود فروق جزئية بينها، إذ قال: «هل يصح اقامة كل واحد من المترادفين مقام الاخر دائما ام لا ؟ »[١] . وأردف قوله : «

والحق انه يصح اقامة احد المترادفين مقام الاخر بشرطين : احدهما ان يكونا من لغة واحدة ، والثاني ان يتساويا في فهم المعنى منهما حال التخاطب بهما ، او يقربا من التساوي »[٢] ، فهو يرى ان المراد بالترادُف هو الدلالة على تقارب الالفاظ المختلفة وذلك باشتراكها في المعنى العام الذي تدل عليه ، من غير اشتراط المطابقة التامة بينها . وهذا هو المعنى الذي كان سائدا في فهم العلماء الاوائل ، ففكرة الترادُف « لم تكن غريبة على الحس اللغوي العام ، وعلماء اللغة كانوا يسلمون بالترادُف ولا يرونه محل نزاع في القرن الثاني الهجري »[٣] حتى ظهر الخلاف بينهم في القرن الرابع الهجري[٤] . فمن فهم من ا لترادُف دلالته على تقارب المعاني وسّع باب الترادُف ليتمثل المعنى الواحد في الفاظ قد تزيد على الخمسمئة لفظ ، ومن فهم من الترادُف دلالته على المطابقة التامة بين الالفاظ في معناها انكر الترادُف ، واجتهد في بيان الفروقات بين الالفاظ الـ متقاربة في معناها ، فعدّ الوقوف عند الفروقات الدلالية تصريحا بنفي الترادُف[٥] ، وامتد الخلاف ليشمل المحدثين من علماء اللغة [٦] ، وهو خلاف قاد بعض المحدثين الى التشكك في النصوص اللغوية ، يقول الدكتور ابراهيم انيس : « وهكذا نرى ان القدماء في صراع مع دلالات الالفاظ ، طورا يوسعون دائرتها ، ويتجاهلون الفروق بينها بحيث تتسع لكثير من الكلمات المترادفة ... واخرى يحددون تلك الدلالات ، ويغالون في تحديدها مما قد يترتب عليه ان نتشكك من النصوص ، ونأبى المشهور الشائع من استعمالات كثيرة »[٧] . والحقيقة ان الاحتكام الى المعنى اللغوي للترادف كفيل ببيان وجه الخلاف بين العلماء ، فالترادُف في اللغة يعني ركوب احد خلف اخر ، يقال : ردف يردف ردفا ، وهو اجتماع الراكبين على ردف الدابة الواحدة[٨] ، ومن هنا كان الترادف يعني اجتماع اللفظين على معنى واحد تشبيها باجتماع الراكبين على ظهر الدابة. وتتفق دلالة البناء الصرفي لهذه اللفظة مع هذا المفهوم ، فالتفاعل بناء دال على المشاركة بين اثنين[٩] ، والذي يفسر اصطلاحا على انه اشتراك الالفاظ في المعنى العام الذي يجمعها فاستحقت بسببه أن

---

(١) البحراني ٣٣/١ .
(٢) نفسه ٣٣/١ .
(٣) في اللهجات العربية١٦٢ وينظر : دلالة الالفاظ ٢١٢ .
(٤) ينظر : المشترك اللغوي ٩٠ .
(٥) ينظر: جمالية المفردة القرانية٥٨-٥٩ .
(٦) ينظر : علم الدلالة (عمر)٣١-٩٤ والترادُف(لعيبي) ٥واللغة والمعنى والسياق٥٤-٥٥ ٧٩ وفي اللهجات العربية١٦٩ .
(٧) دلالة الالفاظ ٢٢٣ .
(٨) ينظر :العين٢٢/٨-٢٣ والتهذيب ٩٦/١٤واللسان١١٤/٩والتاج١٣٦٣/٤ .
(٩) شرح الشافية ١٠٠/١

توصف بالمترادفة . وفي الوقت ذاته لا تعني المشاركة بين اللفظتين المطابقة بينهما ، كما انه لايعني ركوب شخصين على دابة واحدة المشابهة بينهما . فالمرادف لاحق للشيء الاصلي ، وليس هو الشيء نفسه[١] . وعلى هذا يكون الترادُف تقاربا او اشتراكا في المعنى العام ، وقد بين الجرجاني هذا المفهوم بقوله : « ان الترادُف يطلق على معنيين

احدهما : الاتحاد في الصدق ، والثاني : الاتحاد في المفهوم ، ومن نظر الى الاول فرق بينهما ، ومن نظر الى الثاني لم يفرق بينهما »[٢] . فهو يشير الى عدم المطابقة التامة بين الالفاظ المترادفة لوجود المعاني الدقيقة التي تكون سببا للفروق الدلالية بين الألفاظ ، اما المفهوم وهو المعنى العام لهذه الالفاظ ، فهو واحد بينها جميعا . ولذا نجد منهج الجمع بين القول بالمترادفات من جهة ، والتفريق بينها من جهة اخرى هو الغالب لدى علماء اللغة[٣] . فيمكن القول: إنّ اختلاف اللغويين في الترادُف لم يكن الا اختلافا في نسبة التقارب بين الالفاظ المترادفة ، فهي كلها تشترك في المعنى العام ، وتتباين في المعاني الفرعية ، لاسيما المعنويات منها ، ولم يكن عمل منكري الترادُف الا توضيحا وابرازا للجوانب المعنوية التي تفترق فيها الالفاظ المترادفة بعد اتفاقها على معنى واحد . ومنهج الجمع بين الظاهرتين هو منهج علمي موضوعي ؛ لانه ينظر الى الحقائق اللغوية . وهذا رأي أغلب المحدثين[٤] الذين ذهبوا الى انكار الترادُف التام والمطابقة الكلية بين معاني الالفاظ ، وإذا وقع شيء من ذلك فالعادة ان يكون ذلك لمدة قصيرة محددة إذ سرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الالفاظ المترادفة ، فيصبح كل لفظ منها مناسبا وملائما للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد ، وقد خلص المحدثين الى القول بمبدا النسبية في الترادُف ، فاللفظة اذا ترادفت مع غيرها في سياق ما لا تؤدي وظيفتها اللغوية والعقلية اداء تاما ، وانما بحسب ما هو معروف في ذهن الجماعة اللغوية التي تنطق بها ، ومن ثم قسم المحدثون الترادف الى جزئي ، وتام[٥] ، مشترطين للترادف التام شروطا تجعل منه امرا نادرا، ولا يمكن تحقيقه الا في المحسوسات المشتركة بين الناس كالقمح والبر والحنطة ، والسكين والمدية . وأما ما يمكن أن تنبثق منه المعاني الفرعية فهي المعنويات والوجدانيات[٦]. ومبدأ النسبية في الترادُف قول سليم لانه يشير الى وجود الترادُف اللغوي بمعنى التقارب في دلالات

---

(١) ينظر : الجمهرة٢/٢٠١ والمقاييس٥٠٣ واللسان ١١٦/٩ . (٢) التعريفات٤٩ وينظر : المزهر ٤٠٥/١ .

(٣) ينظر : ، والترادُف(لعيبي)٢٠٩-٢٢٢ وفقه اللغة العربية١٦٩وفصول في فقه اللغة٣١٥ وابحاث ونصوص في فقه اللغة ٢٣١.

(٤) ينظر : الترادُف (لعيبي) ٥ ودلالة الالفاظ٢١٣ والاعجاز البياني١٩٦ ودور الكلمة ٩٨ وابن الأعرابي١٤٠-١٤٢.

(٥) ينظر :علم الدلالة (حجازي) ٩٧ وعلم اللغة (مدكور) ٢٢٧وظلال المعنى ٧٣ وعلم الدلالة(عمر) ٣٥ واللغة والمعنى والسياق٥٤ .

(٦) ينظر : فقه اللغة(وافي) ١٦٣ ودراسات في فقه اللغة٢٩١ وفصول في فقه اللغة٣٢٢ وفقه اللغة العربية١٨٦ وابحاث ونصوص في فقه اللفة٢٣٥ وفي اللهجات العربية١٧٨ والتراث اللغوي ٥٠ .

الالفاظ دون المطابقة التامة - مع التسليم بوجود تطابق نادر في بعض الالفاظ [١]- وفي الوقت نفسه يسمح باقامة الفروقات الدلالية التي « تفتح بابا للتحليل الدلالي ، وهي ينبغي ان تنور طبيعة الجهود الدلالية العربية القديمة »[٢]، فعناية علماء اللغة العربية بالفروق الدلالية هي محاولة لوضع اسس علمية للموازنة والقيام بعمل دلالي يؤكد ان اللغة العربية تتميز بالتخصيص والتفريق اكثر من غيرها من اللغات الاخرى [٣]. ولذا يمكن ان نفسر ظاهرة الترادُف في اللغة

في ظل نسبية الدلالة، اذ « يندر ان تكون هناك كلمات تتفق في معانيها الاضافية اتفاقا كاملا ، ومن الممكن ان تتقارب الدلالات لا اكثر ولا اقل ، فالالفاظ المترادفة هي بهذا المعنى ذات الدلالة المتقاربة »[٤] ، فليس « الامر الا تراكبا للمعاني ، والتقاء جزئيا لمعنى الكلمتين، ثم افتراقا بين الكلمتين عدا هذا الجزء من المعنى »[٥]. ونجد شراح النهج قاطبة قد ساروا على هذين الاتجاهين: الاقرار بترادف كثير من الالفاظ الواردة في متن النهج ، والسير نحو التمييز وايجاد الفروقات الدلالية في الفاظ اخرى . اما في الجانب الاول من تعيين المترادفات ، فقد تنوعت اشارات الشّرّاح الى الالفاظ المترادفة تارة بالتصريح بلفظ الترادُف في كثير من الالفاظ وتارة بالاشارة الى التقارب الدلالي بينها بعبارات منها : (بمعنى واحد، نظائر، اخوان، كذلك ، كذا ، مثل ، ايضا ، هو ، نحو ، كلا ، لافرق ، نفسه ، وكاف التشبيه)[٦].

والقول بترادف الالفاظ امر نسبي لدى شراح النهج ، فلم يتفقوا على ترادف الفاظ معينة بصورة مطلقة ، اذ ترد الفاظ تتباين فيها اقوالهم بين قائل بترادفها ، ومنكر له . ويمكن بيان هذه السمة لدى الشّرّاح في معالجتهم للفظتي (الحمد ، والمدح) الواردتين في قوله (ع) :(الحمدُ للهِ الّذي لايبلغُ مِدْحَتَهُ القَائلُونَ)[٧] . اذ ذهب فريق منهم الى القول بترادف لفظتي (الحمد) و(المدح) بلا فروق تذكر بينهما[٨] ، وذهب الراونديّ الى أن ثمة فرقا بيِّنا بين اللفظتين لمجيئهما في سياق واحد ، فالمدح أعم من الحمد ؛ لأن المدح قد يقع للحي والميت وللعاقل وغيره لكن الحمد لايقع إلا للحي العاقل[٩]. وأنكر المعتزلّي رأي الراونديّ هذا فقال : ان هذا « كلام يقتضي ان المدح غير الحمد ، ونحن لانعرف فرقا بينهما »[١٠]. فالمدح والحمد عند المعتزلّي اخوان ، فجائز ان يقال :« حمدت زيدا على انعامه ومدحته

---

(١) ينظر : فقه اللغة العربية١٩٩ وفصول في فقه اللغة٣١٥ وفي اللهجات العربية١٧٦ . (٢) علم الدلالة (الداية)٢٦ .

(٣) ينظر : الفروق اللغوية٢٩٢-٢٩٨ والترادُف (لعيبي)٢٢٢ . (٤) المدخل الى علم اللغة(حجازي)٧٩ .

(٥) الاصول(تمام حسان) ٣٣٣-٣٣٤ وينظر : علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة٩٧ .

(٦) ينظر: الراونديّ ٣/ ٩٥ والكيدريّ٤٤٩/١ والمعتزلّي٥٨،٨٠/١ و٢٨١/٦ و١٩/ ١٨،٤٢ ، ٣١٣ و٧/٢٠ وعبده١٨٠/١ والخوئي ١٢٩/٢ و٢٨٠ و٩/١٥ ومغنية١٩٥/١و٥٤/٢ و٤٣٦/٥ ، ٤٥٩وانصاريان٩٨/١ وابو الفضل ١٥/١.

(٧) نهج البلاغة الخطبة ١ ص:١٧.

(٨) ينظر : المعتزلّي ٥٨/١ و٦٣ والتستريّ١٤٥/١ والموسويّ ١٤/١ والبيهقّي ٢١ .

(٩)ينظر: الراونديّ٢٤/١ . (١٠) المعتزلّي ٦٣/١ .

على انعامه ، وحمدته على شجاعته ، ومدحته على شجاعته فهما سواء ، يدخلان فيما كان من فعل الانسان وفيما ليس من فعله»[١]، يريد ان اللفظين يطلقان على الافعال الاختيارية للانسان وهي التي يفعلها بارادته، وعلى غير الارادية من شجاعة ، وطول قامة ، وحسن وغير ذلك. وشايع البحراني الراونديّ فقال: الحمد «اخص من المدح لاختصاص اطلاقه في حق العقلاء دون غيرهم ، اذ يقال : مدحت الفرس ولا يقال حمدته»[٢] . وهذا الوجه من التفريق الدلالي بين اللفظين اورده الشارح الخوئي الذي استقصى اقوال اللغويين واقوال شراح النهج ، واختار القول بوجود الفروق الدلالية بين اللفظين من ثلاثة اوجه : احدهما : ما ذكره الراونديّ والبحراني وهو أن المدح أعم من الحمد ،

والوجه الثاني : هو أن الحمد ثناء جميل اختياري ، تقول : حمدته على كرمه ولا تقول على حسنه ، والمدح يعم الاختياري وغيره [٣] ، اما الوجه الثالث فهو: « ان الحمد لايكون الا بعد الاحسان ، والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده »[٤] . وأقوال السابقين تعضد مذهب من فرّق بين المدح والحمد ، كالاصفهانّي الذي ذهب الى ان الحمد « اخص من المدح ... فان المدح يقال فيما يكون من انسان باختياره ، ومما يقال منه وفيه بالتسخير ، فقد يمدح الانسان بطول قامته ، وصباحة وجهه ، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه ، والحمد يكون في الثاني دون الاول »[٥]. واختار معظم اللغويين مذهب التفريق بين اللفظين[٦] ، وادخل فريق الشّراح تبعا للمفسرين[٧] لفظة (الشكر) الى جانب لفظتي الحمد والمدح ، وان لم يذكرها الامام (ع) في عبارته ، لاكمال الموازنة الدلالية بصورة دقيقة بين الالفاظ ، فخلصوا إلى تقارب الالفاظ الثلاثة دون مطابقتها التامة ، ورأوا أنّ الحمد اعم من الشكر؛ لأن الحمد يفيد التعظيم المطلق الثابت[٨] او ان حمد الله هو «الثناء عليه بصفاته الحسنى ، والشكر هو الثناء عليه باحسانه ونعمه ، وهذا هو الفرق بين الحمد والشكر »[9]. فالشكر « اخص من الحمد من وجه ، واعم منه من وجه اخر ، اما الاول : فلان الشكر لايكون الا على النعمة الواصلة الى الشاكر ، والحمد يكون على النعمة وغيرها ، وعلى النعمة العائدة الى الحامد وغيرها ،واما الثاني فلان الحمد لايكون الا باللسان ،والشكر يكون باللسان والجوارح »[١٠].

وقد كان لروايات النهج اثر واضح في دفع الشّراح الى استقصاء الالفاظ المترادفة ، بعد ان نبهوا على تقارب المعنى بين الروايتين ، كلفظة (اعافس) التي وردت في قوله (ع) يصف عمرو بن العاص :(عَجَبًا لابنِ النَّابِغَةِ ! يَزْعُمُ لأهلِ الشَّامِ أنّ فِي دُعَابَةً ، وأنّي امْرُؤٌ تلْعَابَةٌ ، أُعَافِسُ وأُمارِسُ ...)[١١]، فقد رويت هذه اللفظة - أيضا -

---

(١) المعتزلّي ٥٨/١ .
(٢) البحراني ١٢٣/١ .
(٣) ينظر: الخوئي ٢٩٣/١ .
(٤) نفسه ٢٩٣/١ وينظر : مغنية ١٥/١ .
(٥) المفردات ١٣١ وينظر : الصحاح ٢٦٠والكشاف٥١/١-٥٢ وتفسيرالفخر ١٩٧/١-٢٠٠.
(٦) ينظر: الفروق اللغوية ٤١ وتفسير الفخر ٢٤/١
(٧) ينظر:تفسير الفخر ١٩٧/١
(٨) ينظر: الراوندّي ٢٤/١ والبحراني ٥٦/١ .
(٩) البيهقّي ٢١ وينظر: المعتزلّي ٥٨/١ .
(١٠) الخوئي ٢٩٤/١وينظر:الفروق اللغوية ٤١والمفردات ٢٥٦
(١١) نهج البلاغة الخطبة ٨٤ ص:١٣٦

(اعارس) ، مما دعا الشراح[١] الى استقصاء الالفاظ المرادفة لهتين اللفظتين ، التي اطلق عليهما المحدثون تسمية اللامساس[٢] ، بغية وضع القاريء امام مراد الامام (ع) بصورة دقيقة وشاملة. وهناك جملة من هذه الألفاظ في متن النهج تدخل في باب اللامساس لجأ الشراح[٣] إلى ظاهرة الترادُف لجلاء معناها الدقيق ، لأن معناها قد لايكون ظاهرا ولكنه يظهر جليا في مرادفاتها . وعلى العموم احتفى شراح النهج بذكر الفروقات الدلالية بين الالفاظ المترادفة التي يجمعها معنى عام يقرب بينها ، ويمكن اجمال الدواعي التي حدت بالشّراح الى تلمس الفروقات الدلالية بما ياتي:

١- وردت الالفاظ المترادفة معطوفة في كلامه عليه السلام ، مما دعا الشّراح الى ابراز الفروق بينها ؛ لان العطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفين كما يقّعد النحاة[٤] ، وسيرا على قول ابي هلال العسكري في التفريق بين (الشرعة) و(المنهاج) في قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[٥]: « ويعطف الشيء على الشيء وان كانا يرجعان الى شيء واحد اذا كان في احدهما خلاف للاخر ، فاما اذا اريد بالثاني ما اريد بالاول فعطف احدهما على الاخر خطأ »[٦] ، الا ان العسكري استثنى من هذه القاعدة العطف بين المترادفين اذا اريد به اظهار التفخيم والتعظيم للمعطوف[٧] ، كما في عطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة في قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [٨] . ونجد هذا واضحا لدى شراح النهج وهم يشرحون قوله (ع):(الذي ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا اجل ممدود)[٩] ، فقد ذهب كثير من شراح النهج الى التفريق بين لفظتي (الصفة) ، و(النعت) من جهة ، ولفظتي (الوقت) ، و(الاجل) من جهة اخرى تطبيقا للقول بتغاير المعطوفات ، اذ بين الشارح الراونديّ ان النعت يفترق عن الصفة في كون « النعت وصفك الشيء بما فيه من حسن »[١٠] ، والى ذلك ذهب الشارح الموسويّ بقوله ان النعت هو « الوصف باكمل الصفات واجملها »[١١] ، متابعة منهما لكلام الخليل ومن تبعه من اللغويين[١٢] ، اما الصفة فهي « الامارة اللازمة للشيء »[١٣] . على حين اضطرب

---

(١) ينظر: البيهقّي ١٦٤ والراونديّ ٣٥٣/١ والكيدريّ ٤٠٤/١ والشيرازي ٣٤٢/١ وانصاريان ٢٣٦/١ والسامرائّي ٢٦٤ .

(٢) ينظر: علم الدلالة (عمر) ٢٣٩- ٢٤٠.

(٣) ينظر : البيهقّي ٢٧٧، ٤٥٥ والراونديّ ٥٢/٢ ، ١٣٨/٢، ١/ ٣٠٥ والكيدريّ ٣٧/٢ والمعتزلّي ٢٦٩/٩ والسرخسي ١٥٧/١ ، ٤٩/١ ومغنية ٣٤٢٥ وأنصاريان ١٣/٢ والتستريّ ١٨٢/٢.

(٤) ينظر : شرح عمدة الحافظ ٥٣٧ والبهجة المرضية ٢٥٧ .

(٥) المائدة ٤٨

(٦) الفروق اللغوية ١٣ وينظر : شرح القصائد التسع ٤٦٢ وعلم الدلالة (الداية) ٨٧ .

(٧) ينظر : الفروق اللغوية ١٤ .

(٨) البقرة ٩٨

(٩) نهج البلاغة الخطبة ١ ص: ١٧.

(١٠) الراونديّ ٣٢/١ .

(١١) الموسويّ ١٤/١ .

(١٢) ينظر : العين ١٨١٠/٣ والمقاييس ١٠٣٦ والقاموس ١٦٢.

(١٣) المقاييس:١٠٩٣ .

الشارحان البيهقّي والكيدريّ في توجيه الالفاظ ، فتارة فرقا بين (النعت) و (الصفة) بان النعت يراد به المنعوت ؛ « لان النعت قولنا : هو موجود ، فلا بد من صرفه الى منعوت ، فمعناه : لامثل له فيما يختص به من القدم »[١] ، وتارة أخرى فسرا النعت بمعنى السبب ليكون معنى قوله (ع) : « ولا نعت موجود ، اي : ليس لوجوده سبب موجود وموجد »[٢]، واستدل الشارحان بقول الراعي[٣] :

لكلِّ أُمورٍ في الزَّمانِ نُعُوتُ

اي اسباب ، وبقول كلاب بن مرة يصف الكعبة [٤] :

بَيْتُ أَبِينَا سَيِّدُ الْبُيُوتِ شَرَّفُهُ مُسَبِّبُ النُّعوتِ

اي : مسبب الاسباب ، وقد جوز الشارحان – ايضا – ترادف اللفظين ليكون قوله (ع) : لا نعت موجود « يعني ليس للصفة اعتبار على الانفراد موجود »[٥] ، على حين فرّق الشّرّاح المتاخرون[٦] بين اللفظين بجعل النعت مختصّا « لما يتغير ... وصفاتنا لها نعوت ... اما صفاته تعالى فهي منزهة عن هذه النعوت »[٧]. وظاهر كلام المعتزلّي ترادف النعت والصفة « ليكون المعنى : لاينتهي الواصف الى حد الا هو قاصر عن النعت لجلالته وعظمته »[٨] ، وهو ما عليه البحراني [٩] . ورد الشارح مغنية من ذهب من الشّرّاح الى التفريق بين اللفظين ، وابطل ادعاء العطف بينهما بقوله : « ومعنى النعت والوصف واحد بحسب المتبادر الى الاذهان ، ولا وجه للتفرقة بينهما في بعض الشروح والتعليقات فرارا من عطف التفسير مع العلم بانه لا اثر هنا لهذا العطف ؛ ذلك ان الامام (ع) بعد ان نفى عن الله سبحانه الوصف المحدود بغاية ونهاية نفى عنه ايضا الوصف الذي يعبر عنه تعبيرا كافيا وافيا »[١٠] . وقد ذكر ابو هلال العسكري امكان المطابقة بين اللفظين بقوله : « ويجوز ان يقال : الصفة لغة ، والنعت لغة اخرى ، ولافرق بينهما في المعنى ، والدليل على ذلك ان اهل البصرة من النحاة يقولون الصفة ، واهل الكوفة يقولون النعت ولا يفرقون بينهما»[١١] .

---

(١) البيهقّي٤٢ وينظر: الكيدريّ١١٧/١ والسرخسي٣٥/١ .
(٢) البيهقّي ٤٢ .
(٣) ديوانه ٥٧ .
(٤) جمهرة أشعار العرب ٢٥٦ .
(٥) البيهقّي ٤٢ .
(٦) ينظر : الشيرازي١٢/١ وعبده١٦/١ .
(٧) عبده ١٦/١ . وينظر : الفروق اللغوية٢١ .
(٨) المعتزلّي :٧١/١ وينظر : انصاريان٢٤/١ .
(٩) ينظر: البحراني ١٥١/١-١٥٢ .
(١٠) مغنية ٧٥/١ .
(١١) الفروق اللغوية ٢٢ .

اما(الوقت) ، و(الاجل) فقد اجمع الشّرّاح على كون « الفرق بينهما باعتبار الابتداء والانتهاء ، اي : ليس له وقت معدود من جهة الازل ، ولا اجل ممدود من جهة الابد »[١] ، ولم يقل بترادفهما سوى الراونديّ الذي عدّ الجملتين من باب البدل[٢] ، ورد عليه المعتزلّي بقوله : « ولا اعلم من اين خطر هذا للراوندي ! وظنه ان هذه الجمل من باب البدل غلط ؛ لانها صفات »[٣] ، وفرّق بينهما بان «الاجل ليس لمطلق الوقت ، الا تراهم يقولون: جئتك وقت العصر ، ولا يقولون :اجل العصر، والاجل عندهم هو الوقت الذي يعلم الله تعالى ان حياة الحيوان تبطل فيه »[٤] ، وهذا كلام اللغويين في التفريق بين اللفظين[٥].

وقد لا يتقيد الشّراح بالعطف الواقع بين الالفاظ المترادفة ، فيبقون على القول بترادفها ، مسوّغين لذلك بارادة الدلالة على التاكيد من هذا العطف ، او تجويز العطف لتغاير الالفاظ دون معانيها[٦] ، كما نجد في قول الشارح المعتزلّي معللا العطف بين لفظتي (الضعف والوهن) في قوله (ع) يصف الدنيا :(جَدُّ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ)[٧]، اذ قال :« والوهن:الضعف نفسه ،وانما عطف للتاكيد ، كقوله تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[٨]، وقوله ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[٩] »[١٠]. ومنه قول المعتزلّي شارحا (يَخُونُ الْعَهْدَ ، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ)[١١] : « والال : العهد ، ولما اختلف اللفظان حسن التقسيم بهما ، وان كان المعنى واحدا »[١٢] .

ومثل هذا ما جاء في قوله (ع) يصف الملائكة : (لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ ، وَلَا قَدْرَةُ الْأَبْدَانِ ، وَلَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ)[١٣] ، فقد ذهب بعض شراح النهج الى القول بترادف الالفاظ : السهو والغفلة والنسيان ، بلا فارق يذكره[١٤] ، على حين ذهب اخرون الى تلمس الفروق بين هذه الالفاظ متخذين من قول النحاة في شروط اضافة الاسمين من اقتضاء وجود علاقة الجزئية بين المضاف والمضاف اليه[١٥] دافعا لاقامة هذه الفروق[١٦] ، حتى طغى على بعض اقوال الشّراح طابع الفلسفة والاجتهاد الشخصي وهم يستنبطون هذه الفروق ، كما هو واضح من قول الشارح البحراني : « فاعلم ان الغفلة عبارة عن عدم التفطن للشيء ، وعدم تعقله بالفعل ، وهي اعم من السهو والنسيان كالجنس لهما ، بيان ذلك ان السهو هو الغفلة عن الشيء مع بقاء صورته او معناه في الخيال او الذكر

---

(١) انصاريان ٢٣/١ وينظر : الشيرازي١٠٦/٣ . (٢) ينظر : الراونديّ٣٣/١ و ٢٧٩/٢ .
(٣) المعتزلّي ٧٠/١ . (٤) نفسه ٧٠/١ .
(٥)ينظر: الفروق اللغوية٢٦٤-٢٦٦ . (٦) ينظر: علم الدلالة (الداية) ٨٦
(٧) نهج البلاغة الخطبة ١٠٣ ص:١٨٦ (٨) المائدة ٤٨ .
(٩) فاطر ٣٥ . (١٠) المعتزلّي ١٠٦/٧ .
(١١) نهج البلاغة الخطبة ٨٤ ص:١٣٧.
(١٢) المعتزلّي ١٠٦/٧ . وللمزيد ينظر: المعتزلّي ٨٢/١٠ والبحراني ٢٥٩/٤ .
(١٣) نهج البلاغة الخطبة١ ص:٢٠. (١٤) ينظر : الراونديّ٤٤٢/٢ .
(١٥) ينظر : شرح عمدة الحافظ ٤٩٠ . (١٦) ينظر : ينظر: الكيدري ١٣٦/١ والمعتزلي ٩٣/١ والبحراني ١٥٤/١ .

بسبب اشتغال النفس والتفاتها الى بعض مهماتها . واما النسيان فهو الغفلة عنه مع انمحاء صورته او معناه عن احدى الخزانتين بالكلية ، ولذلك يحتاج الناس للشيء الى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ... وبهذا يظهر الفرق بين الغفلة ، والسهو ، والنسيان »[١] . وكان يمكن للشارح تبني كلام ابي هلال العسكري في التفريق بين هذه الالفاظ المتقاربة ، الذي يلحظ فيه اعتماد عامل الزمن معيارا للتفريق بينها قائلا : « الفرق بين النسيان ، والسهو ان النسيان انما يكون عما كان ، والسهو يكون عما لم يكن ، تقول : نسيت ما عرفته ، ولا يقال : سهوت عما عرفته ، وانما تقول : سهوت عن السجود في الصلاة فتجعل السهو بدلا عن السجود الذي لم يكن ... والفرق بين السهو ، والغفلة ان الغفلة

تكون عما يكون ، والسهو يكون عما لا يكون ، تقول : غفلت عن هذا الشيء حتى كان ، ولا تقول : سهوت عنه حتى كان ...»[٢] .

ولم تمنع الاضافة الشّرّاح عن القول بترادف الالفاظ المتضايفة ، كلفظتي (الغلف) ، و(الكم) في قوله (ع) يصف الأرض ودحوها على الماء : (... وَمُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ لائِجِ غُلُفِ الأَكْمامِ)[٣]، إذ قال الراونديّ: « الغلف : جمع غلاف ، والكم ايضا الغلاف والاضافة للتاكيد والتخصيص»[٤] .وكذا ما في قوله (ع): (فَقَدْ تَرَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلاَّ يَعْرِفَ قَدْرَهُ ، لا يَهْلِكُ عَلى التَّقْوى سِنْخُ أَصْلٍ)[٥] ، اذ ذهب أنصاريان الى ان « السنخ ، والاصل واحد ، فلما اختلف اللفظان اضاف احدهما الى الاخر »[٦]

٢- لجا الشّرّاح الى عقد الفروقات الدلالية صونا لكلام الامام (ع) من التكرار، فلما وقف البحراني على (الانشاء) و(الابتداء) في قوله (ع) : (أَنْشَأَ الخَلْقَ إِنْشَاءً ، وَابْتَدَأَهُ ابْتِداءً ...)[٧] قال : « أقول : لم اجد لأَهْل اللغة فرقا بين الانشاء والابتداء ، وهو الايجاد الذي لم يسبق بمثله ، الا انه يمكن ان يفرق ههنا بينهما صونا لكلامه (ع) عن التكرار بان يقال : المفهوم من الانشاء هو الايجاد الذي لم يسبق غير الموجد اليه ، والمفهوم من الابتداء هو الايجاد الذي لم يقع من الموجد قبل »[٨] ، وهذا ما صرح به الخوئي الذي بين ترادف لفظتي الانشاء والابتداء لدى اللغويين[٩] ثم قال : « وقد يفرق بينهما حيث اجتمعا صونا للكلام عن التكرار ، تارة بأنّ الانشاء هو الايجاد لا عن مادة ، والابتداء هو الايجاد لعلّة ...»[١٠] وعلى هذا طائفة من شراح النهج[١١]. على حين قاد المعتزلّي فريقا من الشّرّاح يقول بترادف اللفظتين دونما فرق بينهما[١٢].

---

(١) البحراني ٢٠٦/١-٢٠٧ .
(٢) الفروق اللغوية٩٠ .
(٣) نهج البلاغة الخطبة٩١ ص:١٦٦ .
(٤) الراونديّ ١٤١/٢
(٥) نهج البلاغة الخطبة ١٦ ص ٤٥
(٦) أنصاريان ٩٨/١
(٧) نهج البلاغة الخطبة ١ ص:١٧
(٨) البحراني ١٧٢/١ .
(٩) ينظر: المقاييس ١١٨،١٠٢٨ والمفردات ٨٠٧،١١٣ .
(١٠) الخوئي ٣٥١/١ .
(١١) ينظر : انصاريان٣١/١ والتستريّ٥٧٨/١ .
(١٢) ينظر : المعتزلّي٨٠/١ وعبده ١/ ١٤وابو الفضل١٥/١ .

وما عزاه البحراني والخوئي إلى اللغويين من عدم تفريقهم بين الانشاء والابتداء يكشف عن قلة نظر في كتب اللغة. فقد ذهب اغلب اللغويين الى ان الفارق بين الانشاء والابتداء هو كون الابتداء من افتتاح الشيء وهو تقديم الشيء على غيره ، اما الانشاء فهو ايجاد الشيء وتربيته[١].

٣- حفزت الالفاظ القرانية الواردة في كلام الامام (ع) الشّرّاح للتفريق بينها روما لدقة الاستعمال القراني . فالقران يعبر عن المعنى المراد بلفظ معين ، ويحرص على ان يكون هذا اللفظ نفسه هو المقصود دون غيره من الالفاظ التي تبدو قريبة منه او مرادفة له[٢] ، ولذا شاع القول في التفريق بين ما تقارب من الفاظ الذكر الحكيم[٣] ، « فقد يستخف الناس

الفاظا ويستعملونها وغيرها احق منها ، الا ترى ان الله - تبارك وتعالى – لم يذكر في القران الجوع الا في موضع العقاب او في موضع الفقر المدقع ... وكذلك ذكر المطر ... واكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث »[٤] ، وللكلمة في موضعها من القران « سرها البياني الفريد الذي لا تؤديه كلمة اخرى مهما تبدو قريبة او مرادفة لها »[٥] . ومن هنا عني الشّرّاح بالتفريق بين الالفاظ القرانية الواردة في النهج . من ذلك تفريقهم بين لفظتي (الفيء) ، و(الظل) الواردتين في قوله (ع) في وصف الدنيا:(... فإنها عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ)[٦] ، فقد نبه الشّرّاح على افتراق اللفظين من ناحية العموم والخصوص ، فذكروا ان «الفيء اخص من الظل ، فلذلك حسن اضافته اليه »[٧] ، ووجه الخصوص والعموم بين اللفظتين هو ان « الفيء لا يكون الا بعد الزوال ، وكل فيء ظل ، وليس كل ظل فيئا ، فلما كان فيه تغاير معنوي صحت الاضافة »[٨] ، وهذا ما ذكره اللغويون في التفريق بينهما[٩] ، وذهب بعضهم الى اضافة فارق اخر هو تخصيص الظل بما « يكون للشجرة وغيرها بالغداة ، والفيء بالعشي »[١٠]، مستدلين بقوله تعالى : ﴿ **يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا** ﴾[١١] ، وهو كلام العسكري[١٢] . وقد ادخل بعض الشّرّاح لفظة اخرى مرادفة للفيء هي (الغنيمة) لتوضيح المراد من هذه الالفاظ ، فذهبوا الى ان الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال . اما الفيء فهو ما اخذ بغير قتال ، واستدلّوا عليه بقوله

---

(١) ينظر : المقاييس ١١٨والفروق اللغوية١٢٧والمفردات ٨٠٧ .
(٢) ينظر : صفاء الكلمة١٨٤ .
(٣) ينظر : الفروق اللغوية١٣-١٥ والصاحبي٤٤ والمزهر ٤٠٢/١ .
(٤) البيان والتبيين ٢٠/١ .
(٥) الاعجاز البياني٢٦٩ وينظر: التصوير البياني ٥
(٦) نهج البلاغة الخطبة٦٣ ص:١٠٠
(٧) الراونديّ٢٨٤/١
(٨) المعتزلّي ١٤٣/٥-١٤٤ وينظر: الخوئي ٦/١١ ومغنية ١٨٢/٢.
(٩) ينظر : فصيح ثعلب٩٥ واصلاح المنطق ١٥٠ وادب الكاتب٢٧ والمقاييس٨٢١ والمفردات٦٥٠ وشرح درة الغواص٢٦ والكشاف٤١٢/٢ ومعترك الاقران٤٨٣/٣ .
(١٠) الخوئي ٢٣/١٥ .
(١١) النحل ٤٨ وينظر : الكشاف٤١٢/٢ و الجامع لاحكام القران٣٧/٣-٤٨ .
(١٢) ينظر: الفروق اللغوية٣٠٤ .

تعالى : ﴿ **وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ** ﴾[١] ، منبهين على أنّ الذي جمع بين هذه المترادفات[٢] هو المعنى اللغوي للفيء الذي هو الرجوع[٣]. وقد يتجه الشّرّاح الى عقد الفروق الدلالية بين الالفاظ رغبة في توخي الدقة في الملاحظة الدلالية ، فنجدهم في مواضع يتلمسون فروقا طفيفة بين معاني هذه الالفاظ ، اما بترتيبها تصاعديا حسب الاهمية ، او حسب التدرج الزمني فيها ، واما بترتيب الالفاظ وفق اختصاصها بجهة ما او مكان ما . من ذلك ما ذكره الشّرّاح في تدرجات الالفاظ : (اللوائح ، اللوامع ، الطوالع) ، الواردة في قوله (ع) يصف العارف : (قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ ، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ ، فَأَبَانَ لَهُ

الطَّرِيقَ ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ ...)[٤] ، اذ بين الشّرّاح ان هذه الالفاظ على ثلاث مراتب : (اللوائح) التي هي كالبروق تظهر ثم تستتر ، ثم (اللوامع) وهي اظهر من اللوائح ، وليس زوالها بتلك السرعة ، ثم (الطوالع) وهي ابقى وقتا[٥].

ومن ذلك اهتمام الشّرّاح بابراز الفروق الدقيقة بين الالفاظ المترادفة الواصفة لمراحل الحياة ، وذلك في شرحهم قوله (ع) في الخطبة الغراء:(فَلَمْ يَنْتَظِرْ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلا حَوَانِيَ الْهَرَمِ)[٦]، وقوله (ع) في الخطبة نفسها يصف خلق الانسان:(أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ ، وَشُغُفِ الأَسْتَارِ ، نُطْفَةً دِهَاقًا ، وَعَلَقَةً مِحَاقًا ، وَجَنِيناً وَرَاضِعًا ، وَوَلِيداً وَيَافِعاً ، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً ، وَلِسَاناً لافِظاً)[٧] ، اذ انطلق الشّرّاح من قوله (ع) لاستقصاء ما قيل في مراحل عمر الانسان من الفاظ تمثل بدقة كل مرحلة منها ، وفي ذلك يقول الكيدريّ: « مادام الانسان في الرحم فهو جنين ، فاذا ولد فهو وليد ، فمادام يرضع فهو رضيع ، فاذا قطع عنه اللبن فهو فطيم و فطم ، ثم اذا دب ونما فهو دارج ، فاذا بلغ طوله خمسة اشبار فهو خُماس ، واذا سقطت رواضعه فهو مثغور ، فاذا بلغ الحلم فهو يافع ومراهق»[٨] ، ونبه التستريّ على ان لفظة(الوليد) لمرحلة ما بعد الرضاع ، مستدلا بسياق كلام الامام (ع) السابق ، رادا على الثعالبي[٩] في ذهابه الى انها مرحلة اول التولد[١٠] . وقد عالج البيهقّي مرحلة ما بعد الشباب وتدرجاتها ، قائلا: « مادام الرجل من الثلاثين الى الاربعين فهو شاب ، ثم هو كهل الى ان يستوفي الستين عند العرب ... ثم بعد ذلك الوَخْط ، ثم الشيب ، ثم يقال بعد ذلك شَمَط ، ثم يقال بعد ذلك شاخ ، ثم يقال بعد ذلك كبر، ثم يقال بعد ذلك هرِم ، ثم يقال بعد ذلك خرف ، ثم يقال بعد ذلك أهتن »[١١].

---

(١) الحشر ٦ . (٢) ينظر : الخوئي ٢٤/١٥ .

(٣) ينظر : الصحاح ٨٢٩ . (٤) نهج البلاغة الخطبة٢٢٠ ص:٤٢٤ .

(٥) ينظر: المعتزلّي١٣٨/١١ والبحراني ٥٥/٤ والتستريّ٤٨٨/١٢ .

(٦) نهج البلاغة ٨٣ ص :١٢٨.

(٧) نفسه ٨٣ ص:١٣٢.

(٨) الكيدريّ٣٩٤/١ . (٩) ينظر : فقه اللغة للثعالبي ١٧٣ .

(١٠) ينظر : التستريّ ١١ /١٦٤ . (١١) البيهقّي ٨١ .

وثمة ترتيب آخر للألفاظ يراعي الفروقات بينها لدى شراح النهج يتمثل في عقد المقارنات بين الجهة التي تختص بها كل لفظة عن الاخرى ، كاختصاص (الربوض) بالبقر ، والعنز ، والفرس . واختصاص البروك بالابل[١] . واختصاص (المرابض) باماكن الغنم، و(المعاطن) باماكن الابل[٢] ، واختصاص فعل (الجزر) بالابل ، و (الذبح) بالغنم[٣]. واختصاص (المخلب) بالسباع، و(الظفر) بالانسان[٤]. واختصاص (الزبن) بالثفنات، و(الخبط) باليد ، و(الركض) بالرجل[٥]. وقد وصف المحدثون هذا الاتجاه عند اللغويين بانه دليل ثراء اللغة ، اذ يوجد لفظ لكل مرحلة، ومن ثم أوجدوا نظرية الحقول الدلالية ، او المجالات الدلالية التي تتصف باستيعاب تدرجات حالات المسمى للوصول الى نتيجة دقيقة في اظهار الملامح التمييزية للالفاظ المتقاربة المعاني[٦] .

٤ - ثمة أسس عقد شراح النهج عليها تفريقهم بين الالفاظ المترادفة ، وهي كثيرة اعتمدوا معاييرها مما ذكره ابو هلال العسكري[٧]، وغيره من اللغويين الذين عنوا بالفروقات الدلالية ، لكنّ بعض المحدثين رأى أن ما التمسه اصحاب الفروق الدلالية من فروق بين الالفاظ كان من وحي خيالهم ، فقد وصف الدكتور ابراهيم انيس عمل ابي هلال العسكري بانه كان « يحاول ان يلتمس فروقا دقيقة بين مدلولات بعض الالفاظ المترادفة دون سند من نصوص ، او شواهد ، وليس عمله في هذا الكتاب الا عمل الاديب صاحب الخيال الخصيب الذي يرى في الامور ما لا يراه غيره ، ويلتمس من ظلال المعاني مالم يخطر على ذهن اصحاب اللغة من القدماء »[٨] .

وما أقره العسكري في مقدمة كتابه الفروق اللغوية يبطل ما ذكره الدكتور انيس ، اذ نبه العسكري على احتذاء ضوابط ، ومعايير للتفريق بين الالفاظ وهي[٩] : اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق بين معنييهما ، واوضح هذه النقطة بالفرق بين لفظتي (العلم ، والمعرفة) ، لان العلم يتعدى الى مفعولين ، اما المعرفة فتتعدى الى مفعول واحد . ومراعاة صفات المعنيين اللذين يطلب الفرق بينهما ، ومثل لذلك بالفرق بين (الحلم ، والامهال) ، فالاول لا يكون الا حسنا ، والثاني يكون حسنا وقبيحا ، وهذا ما يسميه المحدثون بالجانب النفسي للمعنى[١٠] .

---

(١) ينظر: الراونديّ١/١٧ .

(٢) ينظر: السرخسي١/١١٥ والتستريّ١٤ /٨٦ وابو الفضل١/٢٦٨ .

(٣) ينظر : الراونديّ١/٤٢٧ . (٤) ينظر : المصدر نفسه ٢/٣١٩ .

(٥) ينظر : نفسه١/٤٢٦ .

(٦) ينظر : دلالة الالفاظ٢١٦ والدلالات اللغوية١٠٦-١٠٩ وعلم اللغة (مدكور)٢٣٦ وعلم الدلالة (بالمر)٧٨ وعلم الدلالة (جيرو)١١٨ وعلم الدلالة (عمر)٨٢ ومدخل الى علم اللغة٧٤ والمجال الدلالي٧٦.

(٧) ينظر : الفروق اللغوية١٠٦ .

(٨) دلالة الالفاظ٢١٧ وينظر : في اللهجات العربية١٨١ وفصول في فقه اللغة٣١٣ .

(٩) ينظر: الفروق اللغوية١٦-١٩ وعلم الدلالة (عمر)٢٢٨-٢٢٩ . (١٠) ينظر : علم الدلالة(عمر)٢٢٨ .

ومراعاة ما يؤول اليه المعنيان ، كالفرق بين المزاح الذي لايقتضي تحقير الممازح ، والاستهزاء الذي يقتضي ذلك. ومراعاة الحروف التي تعدى بها الافعال ، كالفرق بين العفو الذي يعدى بـ (عن) ، والغفران الذي يعدى بـ(اللام). ومراعاة النقيض ، كالحفظ الذي يكون نقيضه الاضاعة ، والرعاية التي يكون نقيضها الاهمال .ومراعاة الاشتقاق اي الاصل اللغوي للفظتين . واعتماد ما توجبه صيغة اللفظ ، اي الوزن الصرفي للفظتين . ومراعاة حقيقة اللفظين في اصل اللغة ، اي التطور الدلالي للالفاظ . وقد احتفى الشّرّاح بهذه المعايير ، وزادوا عليها امورا اخرى ، ويمكن ايضاحها على النحو الاتي:

أ- اعتماد العموم والخصوص بين اللفظين ، وهذا المعيار هو الاكثر استعمالا لدى الشّرّاح في توضيح الفروق الدلالية بين الالفاظ[١] ، ومن أقوالهم : « الظنين اخص من المتهم »[٢] ، و : « المس اعم من اللمس »[٣] ، و : « اللحظة

اخص من النظرة »[٤] ، و : « السنة اعم من الاثر »[٥] ، و : « الوجع اعم من السقم »[٦] ، و : « الصدق اعم من الوفاء »[٧] ، و : « المفتري اعم من الباهت »[٨] ، و : « الملالة اعم من السآمة »[٩] . ففي لفظتي (المس) ، و (اللمس) الواردتين في قوله (ﷻ) يصف الخالق سبحانه : (لا تَلْمِسُه ُالأَيدِي فتَمَسَّه)[١٠] ، جعل البحراني [١١] العموم فارقا بين هاتين اللفظتين. وعلل اللغويون هذا العموم بان « المس يكون باليد خاصة ليعرف اللين من الخشونة ، والحرارة من البرودة . واللمس يكون باليد والحجر وغير ذلك ، ولايقتضي ان يكون باليد ، قال تعالى : ﴿**مستهم الباساء**﴾[١٢] ، وقال : ﴿**وان يمسسك الله بضر**﴾ [١٣] ، ولم يقل : يلمسك »[١٤] ، فالمس يشمل المعنويات والماديات ، وفي ذلك يقول ابن فارس:« اللام والميم والسين اصل واحد يدل على تطلب شيء ومسيسه ايضا ، تقول : تلمست الشيء اذا تطلبته بيدك ، قال ابو بكر بن دريد : المس اصله باليد ليعرف مس الشيء ، ثم كثر ذلك حتى صار كل طالب ملتمسا »[١٥] ، والى هذا ذهب الشيرازيّ ، مبينا ان المسّ يكون بلا حس[١٦] ، اما الخوئي ففرق بين اللفظين على وجه اخر ، اذ جعل المس لمجرد الطلب للشيء ، اما اللمس فهو « ايصال الشيء بالبشرة على وجه تاثر الحاسة به »[١٧] ، وفسر قوله (ﷻ) بان الايدي « لا يمكن لها الطلب به فتصل اليه لاستلزامه الجسمية »[١٨] ، فمجرد الطلب للشيء اعم معنى من اشتراط الحصول على الشيء المطلوب ، وبهذا جعل الخوئي اللمس اعم من المس ؛

---

(١) ينظر : الراونديّ٦٢/٣ والمعتزليّ ٩/٨ والبحراني ٥٤/٤ و١٢٥ والشيرازي٢٠٣/٣ و ٣٩٢ وانصاريان٢٠٩/٢ والخوئي ٣٢٠/٢

(٢) الراونديّ١٤٠/٣ .

(٣) البحراني ١٤٩/٤ .

(٤) نفسه١١٣/٥ .

(٥) الشيرازي١٩٨/٤

(٦) الشيرازي٣٣٦/١ .

(٧) انصاريان١٦٠/١ .

(٨) مغنية٥٠١/٦ .

(٩) الراونديّ٢٠٢/١ وينظر:الشيرازي١٤٢/١ .

(١٠) نهج البلاغة الخطبة ١٨٥ ص:٣٤٤

(١١) ينظر: البحراني ١٤٩/٤

(١٢) البقرة٢١٤ .

(١٣) الانعام١٧ .

(١٤) الفروق اللغوية٢٩٩ وينظر: التبيان١٩/٦والمعجم الوسيط١٧٥/٢.

(١٥) المقاييس٣٩٨ .

(١٦) ينظر: الشيرازي١٣٥/٣ .

(١٧) الخوئي ٨٩/١١ .

(١٨) نفسه٨٩/١١

لانه لا يشترط فيه تحقق المطلوب، وهو كلام الراغب الاصفهاني ،الذي ذكر أنّ «اللمس قد يقال لطلب الشيء وان لم يوجد ، كما قال الشاعر :

وَأَلْمِسُهُ فَلا أَجِدُ [١] ،

والمسّ يقال فيما يكون معه ادراك بحاسة اللمس »[٢] . ولم يجد شراح آخرون فرقا بين اللفظين ذاهبين الى ترادفهما[٣].

ب- اعتماد الشّرّاح على معيار المفاضلة بين الألفاظ لبيان الفروق الدقيقة بين دلالاتها ، فقد احتفى الشّرّاح بعقد المفاضلات بين الالفاظ في اتجاهات مختلفة ، اذ فاضلوا بين الالفاظ باعتبار الكثرة[٤] ، كقول بعضهم : « الرفع اكثر من الدفع »[٥]. وكذلك فاضلوا باعتبار الشدة ، كما في أقوالهم: « اللحظ اشد التفاتا من الشزر »[٦]، و« المرح اشد من الفرح »[٧]، و« الشح اشد من البخل »[٨]، و« المسكين اشد حالا من الفقير »[٩]. وذكر الشارح الامدي ان المسكين لشدة

احتياجه يسال الناس « والفقير : المحتاج الذي لا يسأل»[١٠] ، ولم يخرج ما ذكره الشّرّاح هنا عمّا بينه اللغويون قبلهم[١١].

وفاضل الشّرّاح – ايضا – باعتبار المسافة فذكروا ان « الادناء اشد قربا من التقريب ، والاقصاء اكثر بعدا من الابعاد»[١٢]. ووردت المفاضلة عند الشّرّاح باعتبار اللفظ الابلغ، كقولهم:«العفو ابلغ من الصفح»[١٣]، وغير ذلك[١٤] والمراد بالابلغية في قول الشّرّاح صورة الفرق الدلالي بين اللفظين ، لا ما يتعلق بعلم البلاغة ، بل ما يتعلق بالدلالة ، وقد علل الشّرّاح وجه الابلغية بقولهم : « لان الصفح هو ان تعرض صفحة وجهك عن مجرم ، وربما يبقى في قلبك عليه شيء»[١٥]. وجرت المفاضلة – ايضا – بملحظ الرتبة[١٦]، كقولهم: « ومرتبة الابداع اعلى من مرتبة التكوين»[١٧].

---

(١) شطر من مجزوء الوافر في شرح الحماسة للتبريزي١٨٤/٢ وكشف المشكل٥٠٢/٢ من دون عزو .

(٢) المفردات ٧٦٧ .

(٣) ينظر : الراونديّ٤٢٩/٢ والمعتزلّي٨١/١٣ والتستريّ٣١٦/١ والموسويّ .

(٤) ينظر : الراونديّ٢٤٩/١ والكيدريّ٢٧١/١ والسرخسي٦٨/١ وعبده١٠٩/١ .

(٥) الراونديّ ١٢٦/٢ وينظر السرخسي ٥٥/١ و الكيدريّ١٨٦/١.

(٦) الخوئي ٤٩/١٣ .

(٧) انصاريان ١٣٩/٢ .

(٨) التستريّ ١٠/٦ .

(٩) الراونديّ ٢٥٥/٢ وينظر الكيدريّ٣٤٨/٢ البحراني ٣٦٨/٤ والخوئي ٣٨/١٩.

(١٠) الخوئي ٣٨/١٩ .

(١١) ينظر : ادب الكاتب٢٩ والفروق اللغوية١٧٠ والمفردات١٤٣.

(١٢) الخوئي ٣٢٧/١٨ .

(١٣) الراونديّ ١٧٢/٣ وينظر : الكيدريّ٥٤١/٢.

(١٤) ينظر: البحراني ١٣٦/١ والخوئي ٣٣٨/١٨ .

(١٥) الكيدريّ ٥٤١/٢ .

(١٦) ينظر : الموسويّ٥٨/١ .

(١٧) المعتزلّي ٤١٨/٦ .

ج- الرجوع الى الاصل الاشتقاقي للفظين[١] ، ومن ذلك ما عقده الشّرّاح من فروق بين الالفاظ : (الاحصاء) ، و (العد) في قوله (ﷺ) : (لَاوُيْحصِي نَعماَءه ُالَعادُّونَ)[٢] ، وفيه ورد العد والإحصاء مترادفتين على لفظة (النعماء) . فمن الشّرّاح من اقام الفرق بينهما بالرجوع الى الاصل اللغوي الذي اشتقت منه كل لفظة ، فذكر الراونديّ ان الاحصاء مشتق من الاطاقة ، يقال : احصيته ، اي : اطقته ، اما العدد فهو مشتق من العد ، وهو الماء الذي له مادة ، ثم اضاف الشارح لفظة اخرى ليستكمل الموازنة الدلالية بين الالفاظ ، ويبرز بلاغة الامام (ﷺ) ، وهي (الحساب) ، اذ ذكر انه مشتق من الظن ، ولهذا لم يستعمله الامام (ﷺ) في كلامه بدلا عن لفظة (العد) ، قائلا : « انه لو قال امير المؤمنين (ﷺ) : الذي لا يعد نعمه الحاسبون ، لم تحصل المبالغة التي ارادها بعبارته ؛ لان اشتقاق الحساب من الحسبان ، وهو الظن ، واما اشتقاق العدد فمن العد ، وهو الماء الذي له مادة ، والاحصاء : الاطاقة ، احصيته اي اطقته ، فتقدير الكلام : لا يطيق عد نعمائه العادون »[٣] . وتابع الراونديّ في هذا كل من الكيدريّ والخوئي [٤]. على حين انكر المعتزلّي هذه الفروق ، ورفض القول بصحة اشتقاقاتها اللغوية ، ذاهبا الى ترادف الالفاظ الثلاثة : الاحصاء

، والعد ، والحساب ، فكلها عنده دالة على العد ، والحصر ، فقال ردا على الراونديّ : « اما الاحصاء فهو الحصر والعد ، وليس هو الاطاقة كما ذكر ... واما قوله : العدد مشتق من العد ، وهو الماء الذي له مادة فليس كذلك ، بل هما اصلان »[٥] ، ثم قال: « اما الحساب ، فليس مشتقا من الحسبان بمعنى الظن ، كما توهمه ، بل هو اصل برأسه ، الا ترى ان احدهما حسِبت احسَب ، والاخر حسِبت احسُب وأحسَب بالفتح والضم »[٦]. وقد تابعه في القول بترادف الثلاثة بعض شراح النهج[٧]، الا ان البحراني خص (الاحصاء) بمعنى النهاية في العد ، قائلا : « الاحصاء : انهاء العد ، والاحاطة بالمعدود ، يقال: احصيت الشيء، اي : انهيت عده ، وهو من لواحق العدد ، ولذلك نسبه الى العادين »[٨] ، وذكر البيهقّي[٩] الى جانب تأييد الترادُف في هذه الالفاظ رايين اخرين : الاول : تخصيص الاحصاء بالجنس ، والعد بالافراد ، والثاني دلالة الاحصاء على العقل مستشهدا بقول الشاعر[١٠]:

وإنّ لسانَ المرءِ مالم تكُنْ لهُ حَصَاةٌ عَلى عَوْراتِهِ لَدَلِيْلُ

وعلى هذا المعنى ينصرف (العادون) الى اللذين يعدون الدلائل الشواهد ، اي تخصيص المعدود بالدلائل ، والشواهد دون غيرها من مظاهر النعم . والحقيقة ان الدلالات الاشتقاقية التي ذكرها الشراح[١١] للألفاظ الثلاثة لم تخرج عما

---

(١) ينظر : التستريّ١/٥٠٦ . (٢) نهج البلاغة الخطبة ١ ص:١٧. (٣) الراونديّ١٧ /٢٦ .
(٤) ينظر: الكيدريّ١/١١٣ (٤) ينظر: الخوئي ١/٢٩٩ . (٥) المعتزلّي١/٦٦-٦٧ .
(٦) المعتزلّي١/٦٧ . (٧) ينظر : الموسويّ١/١٤ . (٨) البحراني ١/١٠٧ .
(٩) ينظر: البيهقّي٣٨-٣٩ . (١٠) في الصحاح ٢٤١ لكعب بن سعيد الغنوي .
(١١) ينظر: البيهقّي١٨٩ والمعتزلّي٦/٣٥٦ و٩/٢٢٦ والخوئي ٣/٧٢ والشيرازي٤/١٥٦ وانصاريان١/٧٢.

ذكرته المعجمات اللغوية ، فالاحصاء إنما هو تحصيل بالعدد لانه ماخوذ من لفظ الحصا التي كانوا يعتمدونها بالعد كاعتماد الاصابع[١] ، ويحتمل معنى الاطاقة – ايضا – ولذا قال المفسرون في بيان قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[٢] ، اي : « لا تطيقوا عدها وبلوغ اخرها ، هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال ، واما التفصيل فلا يقدر عليه الا الله »[٣] ، وجعل ابن فارس الاطاقة ، والعد اصلا واحدا يدل عليه الجذر (حصا)[٤] . اما العدد فهو مع كونه يدل على الاحاد المركبة حقيقة الا انه يمكن ان يتجوز به الى الماء العد ، وهو الذي لا ينقطع كماء العين والبئر[٥] ، ولكنه لا يخلو من تكلف في الشرح ، لان المعنى يحتاج الى التاويل ، اي ان نعماءه لا يمكن ان يطيق احصاءها من لا ينقطعون عن العد ، اي : المنشغلين بالعد . اما الحساب فهو عد الشيء ، ويمكن ان يقاس عليه الحسبان بمعنى الظن ، ولكنه تكلف – ايضا – في التاويل «لانه اذا قال : حسب كذا فكانه قال هو في الذي اعده من الامور الكائنة »[٦] . فاذا اردنا عدم التكلف يكون الرأي ما قاله المعتزلّي وهو تقارب الالفاظ جميعا على معنى العد.

د- اعتبار صفات المعنيين اللذين يطلب الفرق بينهما ، وهذا هو المعيار الذي ذكره ابو هلال العسكري ، ويريد به اختلاف الاثر النفسي للفظين الدالين على معنى واحد من حيث الحسن والكراهة ، وقد اعتمده الشّرّاح في الفاظ كثيرة ، منها (الريح) ، و الرياح ، فقد ذهب اغلب الشّرّاح الى ان الرياح تستعمل غالبا في الخير والرحمة ، اما الريح فالغالب في استعمالها للشر والعذاب[٧] مستندين في قولهم هذا الى الاستعمال القرآني ، والاحاديث النبوية الشريفة ، واستقراء كلام العرب ، قال الشارح الراونديّ : « ... وفي الخبر : اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ، وهذا اشارة الى عرف العرب في ذلك ، فانهم يقولون : ريح العذاب ، ورياح الرحمة ، وبه نزل القران ، قال الله تعالى: ﴿ **رِيحًا صَرْصَرًا** ﴾[٨])[٩] ، . وعلل انصاريان هذا الاستعمال بقوله : « وكل ما جاء في القران بلفظ الرياح فهو للرحمة ، وما ورد في العذاب فهو بلفظ المفرد، ولعله اشارة الى قلة العذاب وسعة الرحمة »[١٠] وأنكر السامرائيّ[١١] هذا الفارق بين الريح والرياح مستدلا بقوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ**

---

(١) ينظر : المقاييس ٢٦٧ والصحاح ٢٤١ والمفردات ٢٤٠ .

(٢) ابراهيم ٣٤ والنحل ١٨ .

(٣) الكشاف٣٧٩/٢ وينظر: البحر المحيط ٤٤١/٦ .

(٤) ينظر : المقاييس ٢٦٧ .

(٥) ينظر : المجمل ٦١٢/٣ والمفردات٥٥٠ .

(٦) المقاييس ٢٦٣ وينظر : المفردات ٢٣٢ .

(٧) ينظر: الراونديّ٣٩/١ والكيدريّ ١٢٩/١ والبحراني ١٥٤/١ والخوئي ٣٠٨/١ والتستريّ١/ ١٥٢-١٥٣ والسامرائيّ١٨٦ .

(٨)فصلت ١٦ والقمر ١٩ (٩) الراونديّ٣٩/١ وينظر: التستريّ١٥٢/١.

(١٠) انصاريان٣٠/١ . (١١) ينظر: السامرائيّ١٨٦ .

طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾[١] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**﴾[٢] ، ثم عاب على بعض الشّرّاح ممن فرق بين اللفظتين قائلا:« ومن هنا نعلم ان الاختصاص الذي قال به الامام محمد عبده لا يعضده استقراء »[٣] وقول السامرائيّ هذا مبنيّ على هاتين الايتين فقط ، إذ الغالب في الاستعمال القراني هو ما نبه معظم شراح النهج عليه ، فضلا عن المفسرين و اللغويين[٤]، وهو اختصاص الرياح بالرحمة ، والريح بالعذاب ، وفضلا عن ذلك الحديث الوارد عن الرسول (صلى الله عليه وآله) انه كان اذا هّبت ريح قال : (اللهم اجعلها رياحا ، ولا تجعلها ريحا)[٥] . اما الايتان اللتان ذكرهما السامرائيّ ، فقد وردت لفظة الريح في الآية الاولى تمهيدا لما ستؤول اليه من استعمالها في العذاب ، فكانت طيبة ابتداء ، ثم صارت عاصفا لالحاق العذاب بهم وهي الصفة الثابتة للريح . ومع هذا نجد في كلام معظم الشّرّاح اشارة الى الاستعمال الغالب للفظتين وليس الاستعمال على وجه الاطلاق . اما الاية الثانية فليس فيها دلالة على انصراف الرياح الى العذاب ، لانه تعالى اسند اليها فعل (الذرو) على الهشيم اليابس

، ولا ينظر الى هذا الهشيم هل هو اليابس المتكسر على المعنى الحقيقي ،ام هو مثل الحياة الدنيا على التشبيه باعتبار ما يؤول اليه المعنيان[٦]، اي: ما يقتضيه كل معنى من نتائج واثار.

ومن ذلك معالجة الشّرّاح للفظتي (الغبطة) ، و(الحسد) في قوله (ع) يصف جامع الثروة لحظة احتضاره: (يَتَمَنّى أَنَّ الّذي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ)[٧] ، إذ ذكروا أنّ « الفرق بين الغبطة والحسد ان الغبطة تمني المرء ان يكون لنفسه مثل ما لغيره ، والحسد تمني المرء زوال نعمة الغير »[٨] ، فاللفظان يشتركان بمعنى التمني لما عند الاخر الا انهما يفترقان في الاثر الناتج على الاخر ، فالغبطة تمني مثل حال الاخر مع بقائها في صاحبها ، اما الحسد فهو تمني تلك الحال مع زوالها عن الاخر[٩] ، وإلى هذ سبق العسكري[١٠].

هـ- اعتماد بعض شراح النهج على التمثيل للوصول الى فروق المعنى بين الالفاظ ، من ذلك ذكرهم الفرق بين لفظتي (الرجاء) ، و(الغرور) بالتمثيل بالزارع ، « فان من القى البذر النقي في الارض الطيبة منتظرا رحمة الله ، فهو الراجي ، فله الرجاء ، ومن القى البذر الفاسد في السباخ وينتظر نباته ، فهو صاحب الغرور ، ومن القى البذر

(١) يونس٢٢ . (٢) الكهف٤٥ .
(٣) السامرائّي ١٨٧وينظر : عبده١/١٧-١٨ .
(٤) ينظر :المفردات ٣٧٠ والكشاف١/٣٢٦ .
(٥) مسند الشافعي١/١٨١ وينظر : مجمع الزوائد١٠/١٣٥ واحكام القران١/١٠٠ ومجمع البيان١/٤٥٣ والمعجم الكبير ١١/٢١٣
(٦) ينظر : الراونديّ٢/١٨٤ والكيدريّ٢/١١٥ والخوئي ٢١/٣٥ وانصاريان١/٣٠٠.
(٧) نهج البلاغة ١٠٩ ص:٢٠١ (٨) الشيرازي٢/١٨٦ .
(٩) ينظر : الراونديّ١/٣٥٩ والموسويّ٢/١١. (١٠) ينظر: الفروق اللغوية١٢١ .

النقي في الارض الطيبة ، وما سقاها منتظرا الصيب من السماء ، فهو المتمني والمشتهي »[١]. ومن ذلك – ايضا – تفريقهم بين الجبر والاكراه بانه « اذا صب الماء في حلق انسان بالقوة ، سمي اجبار، واذا قيل له : ان لم تشرب قتلتك ، فاخذ بيده وشربه سمي اكراها »[٢] .

و - وقد يحتكم الشّرّاح الى استعمال المتكلمين للمفردات في بيان مابينها من فروق ، كالفرق بين (زخرف) ، و(نجد) ، اذ بينوا ان زخرف « يستعمل غالبا في تزيين سقف البيت ، ونجد في تزيين ارضه »[٣] . ومن ذلك استعمال المتكلمين للفظة (احتسب) لمن مات ولده كبيرا ، ولفظة (افترط) لمن مات ولده صغيرا[٤] ، وغير ذلك[٥].

وفي ختام هذا المبحث لابد من الاشارة الى احتفاء شراح النهج بذكر ترادف المعاني بين العبارات والجمل الواردة في كلام الامام (ع) ، وهو ما يسميه المحدثون بـ (الترادُف الجملي)[٦] ، الذي يعدونه من باب تنوع الاساليب البيانية[٧] ، وعزا الشّرّاح هذا التقارب في دلالات الجمل الى « اقتداره - عليه السلام- على العبارة ، وسعة مادة النطق عنده»[٨] .

ومن اشارات متقدمي شراح النهج الى تقارب جمله (ع) في دلالاتها ، ان قوله (ع) : « حيدي حياد، مثل قوله (ع): فيحي فياح»[٩] ، وقوله (ع): « (يطيح العظام) ، و(ينذ السواعد) بمعنى يسقطها»[١٠] ، وقوله (ع) : « (خبير

بالضمائر) قريب من قوله (ﷺ) : (العالم بالسرائر) »[١١] . ومن اشارات المتأخرين أن أقواله (ﷺ) : (حتّى لَقَدْ وَطِئَ الحَسَنَانُ ، وشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعَيْنِ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ)[١٢] و(فَدَاكُوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الهِيمِ)[١٣]. و(فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ العُوذِ المَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا)[١٤] معانيها متقاربة[١٥] .

---

(١) البيهقّي٢٦٨ وينظر : الكيدريّ١١/٢ .

(٢) الشيرازي٤٢٦/٣ . (٣) الخوئي ٤٢٦/٣ .

(٤) ينظر : السرخسي٢٥٣/١ والخوئي ٥٥/٢٠ وابو الفضل٢٠٨/٢ .

(٥) ينظر : الراونديّ٨٢/٢ والشيرازي٢٧٠/٣ .

(٦) ينظر : علم الدلالة (عمر) ٢٢١ .

(٧) ينظر : الترادُف (لعيبي) ٥٠ .

(٨) المعتزلّي٣٦٠/١٨ وينظر: مغنية٢٣١/٦ .

(٩) الكيدريّ٢٤٦/١ وينظر: نهج البلاغة ٦٧ .

(١٠) المعتزلّي٨/٨ وينظر: نهج البلاغة ٢٢٩.

(١١) البحراني ٢٨٩/٢ وينظر : نهج البلاغة ١٣٨ .

(١٢) نهج البلاغة الخطبة٣ ص:٣١

(١٣) نهج البلاغة الخطبة ٢٢٩ ص:٤٤٣-٤٤٤ .

(١٤) نهج البلاغة الخطبة ١٣٧ ص:٢٤٥ .

(١٥) ينظر: عبده٢٣١/٦ ومغنية ١٧٦/٢، ٢٣١/٦ والتستريّ٥٢١/٣ ، ٢٣٠/٨ والشيرازي٣٨٠/٤.

المبحث الرابع : التغّير الدلالّي للالفاظ

اللّغة تتطّور تطّورا دائما مستمّرا في أصواتها ومفرداتها وصيغها وتراكيبها ، وقد اصبح هذا امرا مقّررا أكّدته الدراسات اللغوية التاريخية[١] ، فالتطور التاريخي(تغير المعنى) ظاهرة شائعة في كل اللغات ، يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللغة واطوارها التاريخية[٢]. وثمة عوامل عديدة تعد اسبابا لحدوث التطور الدلالي للالفاظ[٣]، وهذه العوامل منها ما يؤثر في انظمة اللغة بصورة عامة ، ومنها ما يختص بنظام دون غيره ، وترجع أسباب التطور الدلالي الى عوامل اجتماعية ، او تاريخية ، او فردية ؛ لان العادات التي تطرأ على مظاهر الحياة الاجتماعية تترك اثرها في لغة المجتمع ، بل ان الاختلاف بين فرد واخر في المجال الاجتماعي يترك اثره في لغة هذا الفرد او ذاك[٤]. فاللغة تشبه في نموها وتطورها الكائن الحي في نشاته ونموه وما يطرأ عليه من تغيرات خلال مسيرة حياته[٥]، وهي تتطور وترتقي بتطور المجتمع ورقيه ، وتنحط بانحطاطه[٦].

واللغة في تطورها تسير على اسس ومبادئ لا مكان فيها للحرية الفردية المطلقة في الكلام، ولذا لم تثبت دلالة الالفاظ على حال واحدة ، بل كل لفظة معرضة لان تتغير دلالتها على مدى طويل او قصير ، وهذا التغير الدلالي غير مقصور على مرحلة من مراحل حياة اللغة دون اخرى ، ولا على مستوى لغوي دون غيره ، وانما هو عام دائم لا ينقطع الا بموت اللغة ؛ لأنه خاضع لقوانينها . ويحدث التطور الدلالي تدريجيا بطيئا تلقائيا في اغلب الاحوال لكنه ينتهي اخر الامر بتغيير كبير في المعنى لا يمكن ايقافه[٧]. وتعد اللغة العربية من اهم اللغات الحية التي تعرضت لظاهرة التغير في دلالات الفاظها « فمعاني الالفاظ التي كانت مستخدمة في العصر الجاهلي لم تبق جامدة بعد الاسلام ، بل لحقها تغيير قليل وكثير ... وهذا ما حدث في العصور التالية ايضا »[٨] .

---

(١) ينظر : اللغة فندريس ٢٤٦

(٢) ينظر : دلالة ألألفاظ ١٢٣ وفقه اللغة وخصائص العربية ٢٠٧

(٣) ينظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٥٧ وعلم اللغة وافي ٣٢٠ والدلالات اللغوية عند العرب ١٤٤ والتطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ٥٣-٦٥ وفقه اللغة وخصائص العربية ٢١٢-٢١٧ ودلالة الألفاظ ١٣٤- ١٥١ واللسانيات من خلال النصوص ١٣١ وعلم الدلالة العربي ٢٦٦ وعلم الدلالة (جيرو) ٩٢ وعلم الدلالة (عمر) ٢٣٨

(٤) ينظر : اللغة والمجتمع ٥٨ وعلم اللغة (السعران) ٣٠٥ واللغة العربية عبر القرون ٩وقاموس اللسانيات ٢٧

(٦) لحن العامة والتطور اللغوي ٣٠ وعلم الدلالة عمر ٢٣٦ وفقه اللغة وخصائص العربية ٢٠٧ والتطور اللغوي مظاهره وعلله ٩

(٦) ينظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٣٠ والمعاجم النحوية ١١٩ وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة ٢٨٤ والمدخل إلى علم اللغة (رمضان) ٢٢٨

(٧) ينظر: علم الدلالة (السعران) ٢٢٨ واللغة والمجتمع ٩١ الأضداد (آل ياسين) ٦٩ والتطور اللغوي التاريخي ٤٦ وفقه اللغة وخصائص العربية ١٠١ وفي الدلالة والتطور الدلالي ١٢٤

(٨) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية ٢٧٩

وقد تنبه اللغويون منذ القدم على التطور الدلالي وتغيرات المعنى التي تعتري الفاظ اللغة عبر تاريخها الطويل[١] ، كما نجد في كتاب (الزينة) لابي حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ) الذي بين فيه تغيرات المعنى في طائفة من الكلمات الاسلامية ، ومثله فعل ابن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) ، اذ خصص بابا نبه فيه على اثر الاسلام في تطور دلالات الالفاظ ، فضلا عن تفاسير القران التي عنيت بالدلالات الجديدة للالفاظ بعد الاسلام[٢] .

وقد بحث المحدثون في التطور الدلالي وتغيرات المعنى عن طريق ما سموه بعلم الدلالة التاريخي « الذي يعنى بدراسة تغير المعنى عبر الزمن »[٣] ، وهو ما سموه بالتاصيل الدلالي[٤]. فذكروا مظاهر للتطور الدلالي وتغير المعنى. وهي : تخصيص الدلالة وتعميمها ، ورقي الدلالة وانحطاطها ، و نقل الدلالة من المجال الحسي الى مجال حسي اخر ، او نقل المعنى من مجال حسي الى اخر معنوي ، أوبالعكس[٥] . ويبدو ان اشكال التطور هذه بمستوياتها الثلاثة يصدق عليها جميعا مصطلح (النقل) المذكور في تسمية المظهر الثالث ، وهو نقل المعنى من مجال دلالي الى اخر ؛ فالتغير يحصل للالفاظ بانتقال معناها نحو التخصيص او التعميم وهو الشكل الاول للتطور الدلالي للالفاظ ، او بانتقال

المعاني نحو الابتذال ، او التسامي والارتقاء ، وهو الشكل الثاني لهذا التطور ، وتنتقل المعاني – ايضا – بشكل تتساوى فيه الدلالة وهو المظهر الثالث للتطور الدلالي ، وقد تجتمع الانتقالات في مستوياتها الثلاثة ، او في مستويين منها على اللفظة الواحدة ، كما في تطور دلالة لفظة (الغائط) ، اذ انتقلت اللفظة من مجال محسوس ، وهو دلالتها على المناطق المنخفضة الى مجال محسوس اخر وهو دلالتها على فضلات الانسان بعلاقة المجاورة المكانية ، وهو انتقال ابتذل فيه المعنى اذ انحطت دلالة اللفظة من معنى ملموس للارض المنخفضة الى معنى غير مرغوب تنفر منه الاسماع ، فضلا عن انتقال اللفظة من معنى عام لما انخفض من الارض الى تخصيص هذه اللفظة بما يكون في هذه المنخفضات من الفضلات[٦] ، وقد بين الشارح البحراني هذا الهبوط في دلالة الغائط حين عد التحقير من ضمن الاغراض المعنوية المرادة من المجاز[٧].

وقد اهتم الشّراح بمتابعة التغيرات الدلالية لجملة من ألفاظ النهج ، وهذا الاهتمام جاء في جانبين : الأول تنظيري ، والآخر التطبيقي . فعلى الجانب التنظيري بّين الشارحان البحراني والخوئي في مقدمة شرحيهما للنهج تغيرات

---

(١) ينظر: دلالة الألفاظ ١٣٠ والتطور اللغوي التاريخي ٤٦ وفقه اللغة (المبارك) ١٠١

(٢) ينظر: الصاحبي ٧٨ والاتقان ٩٨/٢ وتطور البحث الدلالي (الصغير) ٣١- ٥٦

(٣) علم الدلالة بالمر ٢٤ ومدخل إلى علم اللغة ١٤٥

(٤)ينظر: علم الدلالة(بالمر) ١٧

(٥) ينظر: اللغة فندريس ٢٥٦ وعلم اللغة السعران ٣٠٥ ودلالة الألفاظ ١٥٢وفصول في فقه اللغة ٢٨٥

(٦) ينظر: البحراني ٥٥/١

(٧) ينظر: نفسه

المعنى من خلال بحثهما للحقيقة والمجاز والاستعارة ، فضلا عن تصريحات الشارح المعتزلّي في بعض معالجاته لالفاظ النهج التي طرأ عليها انتقال في دلالاتها ، اذ صرح بحصول التغير في المعنى على اربعة اقسام هي : تخصيص، وتعميم، ورقي، وهبوط[١] .

وقد حد الشارح البحراني (المجاز) بقوله : « ما افيد به معنى غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الاول »[٢] ، ويفهم من حد البحراني للمجاز اشتراطه حصول النقل من معنى اول الى ثان يختلف عنه ، مع ارتباط المعنيين بعلاقة ما ، وقد بين البحراني مراده بالمعنى الاول بانه المعنى الذي شاع استعماله لدى الجماعة اللغوية حين قرنه بعبارة (التي وقع التخاطب بها) ، وهذا خلاف ما ذكره الدكتور ابراهيم انيس الذي اتهم القدماء بالضعف في علاجهم للمجاز ، لانهم « وجهوا كل عنايتهم الى نقطة البدء في الدلالة ، وركزوا نظرتهم نحو نشاتها ، فتصوروا ما سموه بالواضع الاول ، وتحدثوا عن الوضع الاصلي ... ولم يدركوا ان حديثهم عن نشاة الدلالات ليس في الحقيقة الا خوضا في النشاة اللغوية للانسان ، تلك التي اصبحت من مباحث ما وراء الطبيعة ،

التـي هجرها اللغويـون المحـدثون بعد ان يئسوا مـن امكـان الوصـول فـي شـانها الـى راي علمـي مـرجح ، واصـبحوا الان يقنعون ببحث اللغة وتطورها في العصور التاريخية التي خلفت لنا اثارا لغوية مدونـة ومنقوشـة »[٣]. و النظر الـى المجاز من ناحيـة الوضـع الاول « يعكس تصـورا استاتيكيا ثابتا للغـة . وكـأنّ اللغـة قد حـددت معنـى حقيقيا ثابتـا لكل لفظ مـن الالفاظ ان خرج عنـه كان مجازا »[٤] ، وهو امر يصـعب ادراكـه لانـه مهمـا « مهمـا رجعنـا الـى الـوراء وتوغلنـا فـي القدم ، ومهما كانت الفترة التي نختارها ، فان اللغة تظهر لنا على انها تراث من الفترة السابقة للفترة التي نحن بصددها »[٥] ، الا ان الشارحين البحراني والخوئي لم يتناولا مسالة الحقيقة والمجاز من ناحية الوضـع الاول للغـة ، وانما نظرا اليها من ناحية الاستعمال واستقرار الدلالـة[٦] ، فالحقيقة يكسبها اللفظ عن طريق الاستعمال اذا استقرت دلالتـه واصـبحت مرتبطـة بـه ، امـا المجـاز فهـو اكتـساب اللفظـة للدلالـة عن طريق الاستعمال – ايضـا – لكن فـي غير مـا وضـع لـه[٧] . والشـارح البحراني نظر الى المعنى الاول للفظة علـى انـه المعنـى الـذي شـاع استعمال النـاس لـه ، لا علـى انـه المعنـى المبدوء بـه في نشاة اللغة ، ولذلك نجده يقرن الـى جانب اصل الاصطلاح عبارة (الذي وقـع التخاطـب بـه) ، فليس المقصـود ان الاصـل الحقيقـي للدلالـة هـو الاصـل الاول لوضـع اللغـة فـي طـور نشـاتها ، وانمـا هـو المعنـى الـذي جرى بـه الاسـتعمال مستقرا قبـل ان يشـهد شيئا مـن التغيير. والاسـتعمال اللغـوي هـو اسـاس تغيـر الالفـاظ دلاليـا لانـه هـو الـذي يحـدد معنـى الالفاظ ومدى شيوع ذلك المعنى او اندثاره ، فالاسـتعمال هو

---

(١) ينظر: المعتزلّي ٢٣٧/٨ (٢) البحراني ٥٢/١ .

(٣) دلالة الألفاظ ١٢٨ (٤) المدخل إلى علم اللغة ، حجازي ٨٦

(٥) علم اللغة العام سوسير ٩٠ (٦) ينظر: البحراني ٥٦/١ والخوئي ٢٩/١

(٧) ينظر: التصوير الفني عند الأصوليين ١٠٣ والمجاز في البلاغة ٢٠٧

وسيلة احيـاء اللغـة ، ولـذا عـد مـن اهـم عوامـل التطـور الـدلالي للالفـاظ[١] ، وهـذا مـا اشـار اليـه علمـاء اللغـة والتفسـير ايضـا[٢] . وقد اكد البحراني على غلبة الاستعمال مقياسا للحكم بالاصل الاول للفظـة ، حقيقة هـي أم مجازا؟ ، فقال فـي شرح (الدابة) : انه لفظ « وضع لكل ما يدب ثم خص بالفرس ، فصار حقيقة عرفية ، ثم استعمل بعد ذلك في الحمار فيعلم انـه مجاز فيـه الـى ان يغلـب الاستعمال عليـه ، فيصـير حقيقـة عرفيـة ايضـا »[٣] ، فهـذا النـص واضـح فـي ان غلبـة الاستعمال تعد اصـلا للمعنـى الـذي يصير حقيقة باتفاق الجماعة اللغوية عليـه ، فـان كـان هـذا الاتفـاق فـي عرف جماعـة معينـة سـمي حقيقـة عرفيـة ، كمـا نلاحـظ مـن تخصـيص معنـى (الدابـة) فـي عرف اهـل العـراق بـالفرس[٤] ، بعـد ان كـان عامـا فـي كل مـا يـدب ، ولانـه لكثـرة استعماله عنـد اهـل العـراق بهـذا المعنـى صـار حقيقـة عرفيـة عنـدهم ، ولمـا اسـتعمل للدلالـة علـى الحمـار عنـد اهـل مصـر فيمـا بعـد كـان مجـازا لحصـول الانتقـال مـن الاسـتعمال الشـائع فـي الفـرس الـى تخصيصـه بالحمـار ، فـاذا غلـب الاسـتعمال مـرة ثانيـة علـى المعنـى الجديـد صـار حقيقـة مـرة ثالثـة ، وهـذا الـذي ذكـره البحراني في نسبية الحقيقة والمجاز قد نبه عليه من قبله الشارح المعتزلّي الذي بين ان الحقيقة العرفية « هي التي كثر

استعمالها ، وهي في الاكثر مجاز »[٥] ، وأشار الخوئي إلى انها مجاز لحصول النقل فيها من معنى الى اخر ، الا انها حقيقة لكثرة الاستعمال فيها[٦] . ونّبه اللغويون القدماء الى مسالة نسبية الحقيقة والمجاز ، فقد نص ابن جني على ان المجاز اذا كثر لحق بالحقيقة[٧] ، وهذا ما اقره الدرس اللغوي المعاصر ، فالالفاظ متناهية، والمعاني غير متناهية،« فالكلمات لا تستعمل في مواقع اللغة تبعا لقيمتها التاريخية ، فالعقل ينسى خطوات التطور التي مرت بها ، اذا سلمنا بانه عرفها في يوم من الايام ، وللكلمات دائما معنى حضوري محدد باللحظة التي تستعمل فيها، ومفرد خاص بالاستعمال الوقتي الذي تستعمل فيه »[٨] . واذا كان المجاز عند البحراني[٩] هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح التخاطب مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في ذلك الاصطلاح[١٠] ، فهو عند الشارح الخوئي « الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له من حيث هو كذلك لعلاقة »[١١] ، وقد أخرج الخوئي بقيد الحيثية « مثل لفظ الصلاة ، اذا استعملها المتشرع في الاركان المخصوصة ، فانه وان كان يصدق عليه انه لفظ استعمل في غير ما وضع له لغة الا إنّ استعماله له ليس من هذه الحيثية ، بل من حيث وضعه لها عندهم »[١٢] .

---

(١) ينظر: علم الدلالة (عمر) ٢٣٧ ودور الكلمة ١٥٧ ودلالة الألفاظ ١٣٤

(٢) ينظر: الخصائص ٤٤٢/٢ والصناعتين ١٣ وأسرار البلاغة ٣٢٤

(٣) البحراني ٥٦/١

(٤) ينظر: الاستغناء ٣٩٦ وشرح تنقيح الفصول ٤٤

(٥) المعتزلّي ٢٧/١١

(٦) ينظر: الخوئي ٣١/١

(٧) ينظر: الخصائص ٤٤٧/٢

(٨) دراسات في فقه اللغة ٣٠٦ وينظر: الأصول (حسان) ٢٣٢ واللغة (فندريس) ٢٢٨ والتطور اللغوي التاريخي ٣٧ .

(٩) ينظر: البحراني ٥٢/١ .

(١٠) ينظر: التعريفات ١٨٠ وكشاف اصطلاحات الفنون ٢١٤ .

(١١) الخوئي ٢٨/١

(١٢) نفسه .

أي انه اقر بحصول الانتقال في معنى الالفاظ الاسلامية من اصولها اللغوية الا انه انتقال من جهة الشارع لا من جهة اللغويين ، ولذا لم يسّم هذه الالفاظ بالمجاز ، وانما هي في نظره حقائق شرعية لشيوع استعمالها ، وهو بهذا يعرض للخلاف الدائر بين العلماء حول الالفاظ الاسلامية ، اذ انقسم العلماء بين منكرين للمجاز في اللغة ، ومؤيدين له ، فذهب فريق من العلماء الى اشتمال اللغة على المجاز حتى غالى بعضهم ورأى ان اللغة في جملتها مجاز[١] ، ومنهم ابو علّي الفارسّي ، وابن جنّي الذي يقول : « اعلم ان اكثر اللغة مع تامله مجاز لا حقيقة »[٢] ، والفريق الثاني انكر حصول المجاز في اللغة والقران الكريم بدعوى صيانة كتاب الله من المجاز ، لانه بنظرهم اخو الكذب ، ويفضي الى الالباس على المخاطب ، واغلب اصحاب هذا الفريق من الاصوليين[٣] ، اما الفريق الثالث فمقتصد يرى وقوع المجاز في لغة العرب ، ولغة القران الكريم الى جانب وقوع الحقيقة ، واغلب اصحابه من البلاغيين[٤]. وحصر الأصوليون خلافهم حول وقوع المجازات في القران الكريم[٥]، فمنهم من منع القول بانتقال معاني الالفاظ الاسلامية ، وهو مذهب الباقلانّي ، الذي ذهب الى انها الفاظ باقية على اصل وضعها اللغوي مع زيادة شروط عليها من الشارع[٦] ، على حين

أجاز المعتزلة نقل الالفاظ اللغوية الى معان شرعية بلا علاقة بين المعنى اللغويّ والشرعّي[٧] ، ومنهم من قال بالنقل فيها مع وجود علاقة بين المعنيين[٨] . والحقيقة ان هذه الالفاظ الاسلامية تغيرت دلالتها سواء بنقلها من معناها اللغوي الى معناها الشرعي ام ببقائها على اصل وضعها اللغوي مع زيادة شروط عليها من الشارع ، لأن هذه الشروط هي سبب للتغير الدلالي[٩] . ومن حد البحراني والخوئي للمجاز نجدهما من المقرين بحصول النقل في معاني هذه الالفاظ ، مع وجود علاقة رابطة بين المعنيين اللغوي والشرعي ، فهي عند البحراني (مجازات) ، وعند الخوئي (حقائق شرعية) . وهذا ما اقره الدرس الدلالي الحديث ، الذي وسم هذا الانتقال بانه تخصيص للدلالة بالمعاني الشرعية[١٠] . وقد صرح شراح النهج بهذا التخصيص في معالجتهم لاشكال التغير الدلالي التي جاءت في الشروح على النحو الاتي :

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٠٣ وأسرار العربية ٣١٠ والبرهان ٢٥٥/٢ والتراث النقدي والبلاغة ٨٩

(٢) الخصائص ٤٤٩/٢

(٣) ينظر: البرهان٢٢٢/٢ ومعترك الأقران٣٤٦/١ والمجاز في البلاغة العربية١٤٦ ومجاز القرآن (الصغير) ٦٥

(٤) ينظر: البلاغة والتطبيق ٣٢٧

(٥) ينظر: المحصول للرازي١/١/ ٤١٥ والمزهر ٢٩٨/١ومنهج البحث اللغوي (زوين) ١٣٤ والتصور اللغوي ٧٨

(٦) ينظر: الأحكام للآمدي ٤٨/١ ونهاية السؤل ١٥٢/٢ والمزهر ٢٩٨/١

(٧) ينظر: إرشاد الفحول ٩٦/١ والمعتمد ٣١/١

(٨) ينظر: المحصول ٣٩٧/١/١ والبحث الدلالي عند الشوكاني ٥١

(٩) ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين ١٠٦

(١٠) ينظر: دراسات في القرآن ٣٦ ونحو وعي لغوي ١٢١واللغة العربية معناها ومبناها٣٢٢

اولا : التخصيص الدلالّي

هو« تحويل الدلالة من المعنى الكلّي الى المعنى الجزئّي أو تضييق مجالها ... أو تحديد معاني الكلمات و تقليلها »[١]، وسمّاه بعضهم بـ« تخصيص المعنى »[٢]، واصطلح آخر بـ « تضييق المعنى »[٣] . ومن أمثلته لفظة (الحج) التي انتقلت من معنى القصد - وهو المعنى اللغوي العام للأصل (حج) - الى اختصاصها بقصد بيت الله الحرام[٤] . فالتخصيص الدلالي يحصل بخروج الالفاظ « من معنى عام الى معنى خاص »[٥]، وذلك « بقصر اللفظ العام على بعض افراده وتضييق شموله »[٦]. وقد تلمس المحدثون الأسباب المؤدية إلى تخصيص معاني الألفاظ العربية ، وهي لاتنفكّ عن الاثر التشريعي ، الذي اتجه بالمعنى نحو التضييق والتحديد ، والانتقال من الكلية الى الجزئية ، ومن العموم الى الخصوص .

وكذلك عكس الاسلام الاثر الحي في حياة اللغة العربية[٧]، فمثّل اول باب من ابواب التجوز في حياة الفاظها ، وقد تنبه القدماء[٨] الى الاثر الاسلامي في تغيير دلالة الالفاظ ، وفي ذلك يقول ابن فارس:« كانت العرب في جاهليتها على ارث ابائهم في لغاتهم ، وادابهم ، ونسائكهم ، وقرابينهم ، فلما جاء الله – جل ثناؤه – بالاسلام ، حالت احوال ،

ونسخت ديانات ، وابطلت امور ، ونقلت من اللغة الفاظ من مواضع الى مواضع اخر بزيادات زيدت ، وشرائط شرطت، فعفى الاخر الاول»[٩] ، فالدين الاسلامي والعرف اللغوي هما اكبر قوتين مؤثرتين في دلالة الالفاظ[١٠].

والعرف القولي والاجتماعي يضفي ملامح دلالية جديدة على عدد من الحقائق اللغوية امتدادا لمعانيها في اصل اللغة لتكون دالة على معنى مخصوص[١١]، فيكون للشيوع والتعارف من قوة الاثر ما يضاهي الاصل احيانا[١٢]. وقد اهتم شراح النهج ببيان اثر هاتين الجهتين في تخصيص المعنى، وذلك من خلال وقوفهم على الالفاظ الشرعية والعرفية التي تخصصت عن اصولها اللغوية . وقد تعددت عبارات الشّرّاح في الاشارة الى التخصيص الدلالي للالفاظ ومنها : (تخصص في كذا) و(اكتسب خصوصية) و(في الاصطلاح) و(وفي الشرع) و(شرعا) و(عرفا)

---

(١) علم الدلالة عمر ٢٤٥ وينظر: علم اللغة (وافي)٣١٣ ودلالة الالفاظ ١٥٠ وعلم اللغة (السعران) ٣٠٧ وعلم اللغة (مدكور) ٢٢٨ وعلم اللغة (جيرو)٥٨ والتطّور الدلالي ٥٣ والترادُف في اللغة (حاكم) ٢١ والدلالات اللغوية عند العرب١٤١.

(٢) دلالة الألفاظ ١٥٢ (٣) علم الدلالة (عمر)٢٤٥ .

(٤) ينظر : المزهر ٢٢٧/١ . (٥) اللغة (فندريس)٢٥٦ .

(٦) فقه اللغة وخصائص العربية ٢١٩ . (٧) ينظر : دراسات في القران٣٦ .

(٨) ينظر : تفسير غريب القران ٧-٣٤ والمستصفى١٠٢/٢ والاتقان٩٨/٢ والمحصول٤١٠/١/١ والاحكام٢١/١ والمزهر٤٢٧

(٩) الصاحبي ٧٨ . (١٠) ينظر: دراسات في القران ٣٦

(١١) ينظر : البحث اللغوي عند الفخر الرازي٥٠ . (١٢) ينظر : التصور اللغوي عند الاصوليين٦٣

و(استعير في كذا) . من ذلك تنبيههم على أنّ لفظة (الايمان)[١] تخصصت شرعا بأشياء مخصوصة بعد ان كانت في اللغة تدل على التصديق[٢] . ولفظة (التبعة) في قوله (ع):(وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ)[٣] قد « اختصت بالذنوب لانها تابعة للفعل القبيح »[٤] وكانت عامة ، فالتبع ما يتبع شيئا[٥].ولفظة (البطحاء) «اختصت بوادي مكة»[٦] بعد ان كانت تعني الارض المنبسطة على ما هي عليه دلالة البطح[٧] . ولفظة (التقية) لدى بعضهم مصدر اكتسب خصوصية في الدلالة ، وصارت من صفات بعض الطوائف التي اثرت ان تخفي بعضا من معتقداتها درءا للشّر ، وقد كانت تدل على الخوف ودفع الأذى[٨] ، كما ذكرت المعجمات[٩].

ومن استعمالات الشّرّاح للفظتي: الشرع والعرف في الإشارة إلى تخصيص الدلالة ما جاء في شرحهم للفظة (الدين) أنّها كانت تعني الطاعة ثم « تخصصت بالشريعة»[١٠] فصارت تعني « الاسلام والملة عرفا »[١١]. ومنها – ايضا – لفظة (الاعتكاف) التي تعني في اللغة الحبس[١٢] ثم صار « الاعتكاف في الشرع : اللبث في مكان مخصوص للعبادة »[١٣]. واشار الامدي الى التخصيص الدلالي للفظة (التوبة) بقوله : التوبة « في الاصطلاح : الندم على الذنب »[١٤]، بعد ان بين معناها في اللغة[١٥] ، وهو الرجوع ، وبه فسر توبة ادم (ع) في قوله تعالى : ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾[١٦] ، فالله تعالى رجع عليه بالرحمة والقبول كما قال الزمخشري[١٧] . ومن اصطلاحات الشّرّاح على التخصيص استعمالهم عبارة (الاستعارة) . وطريقة الانتقال بالدلالة نحو التخصيص عن طريق الاستعارة قائمة على التشبيه ، من

ذلك استعارة لفظ (الحبل) في قوله (ع) : (والّناسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمهفْيَ ـا حَبْلُ الدِّينِ)[١٨] من معناه المعروف[١٩] ليتخصص باوامر الله تعالى، يقول البحراني : « واستعمال لفظ الحبل ههنا وفي التنزيل الالهي : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾[٢٠] استعارة لقانون الشريعة المطلوب منها لزومه والتمسك به »[٢١] . وقد اشار السامرائّي الى تخصيص لفظة (العتاد) الواردة في قوله (ع) : (لَاوتْبُقِي لآخِرَتِكَ عَتَادًا)[٢٢] عن طريق الاستعارة من الذخيرة المعدة لوقت الحاجة إلى الذخيرة في الحرب بقوله: « ومن هنا

---

(١) ينظر: الراونديّ ٤٧٢/١ وانصاريان ٩٢/٢ .
(٢) ينظر : المقاييس ٨٤ والمفردات ٩٠
(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٥٧ ص:٢٧٧
(٤) الراونديّ١٠٨/٢ .
(٥) ينظر : المقاييس ١٧٧ والمفردات ١٦٢
(٦) الموسويّ ٢١١/٢
(٧) ينظر : الصحاح ٩٥ .
(٨) ينظر: السامرائّي١٠٠و٣٦٦ .
(٩) ينظر : المقاييس ١١٠٠ والصحاح ١١٥٦ -١١٠٧.
(١٠) الراونديّ ٤٣/١ وينظر : الكيدريّ٢٢٢/١ .
(١١) البحراني ١٥٧/١ .
(١٢) ينظر : الصحاح ٧٣٠ .
(١٣) الخوئي ٣٢/١٥ .
(١٤) نفسه١٦٨/١٥ .
(١٥) ينظر: الصحاح ١٣١ .
(١٦) البقرة ٣٧ .
(١٧) الكشاف٢٧٤/١ .
(١٨) نهج البلاغة الخطبة ٢ ص:٢٦ .
(١٩) ينظر : الصحاح ٢٠٨ .
(٢٠) آل عمران ١٠٣.
(٢١) البحراني ٣٠٠/١ .
(٢٢) نهج البلاغة الكتاب ٧١ ص:٥٩١

كان المعاصرون على شيء من الحق في استعارة العتاد للذخيرة الحربية من الاسلحة وما يتصل بها ، فقد صرفوها الى الخاص بدلا من العام »[١] ، والعتاد في اللغة[٢] هو ما يدّخر من طعام أو مال أو عمل صالح ، ثم استعير لذخيرة الاسلحة.

وكثر لدى الشّراح استعمال عبارات من نحو: (ثم غلب على كذا) ، و(كثر استعماله في كذا) ، التي نبهوا من خلالها على اهمية كثرة الاستعمال في تخصيص دلالة الالفاظ في الشرع او العرف ، فكثرة استعمال العام يزيل مع تقادم العهد عموم معناه ، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله[٣] ، حتى يصبح اللفظ حقيقة شرعية او حقيقة عرفية ، ولذا عدّ الاستعمال من اهم العوامل التي يعزى اليها حصول التخصيص الدلالي[٤] ، وقد علل المحدثون ذلك بميل الناس الى استعمال الالفاظ استعمالا خاصا ، فهم « ينفرون عادة من الكليات التي لا وجود لها الا في الاذهان ، ويؤثرون الدلالة الخاصة التي تعيش معهم ، فيرونها ويسمعونها ويلمسونها »[٥] . ومما ورد من هذه الألفاظ لدى الشّرّاح لفظة (الاله) التي ذكروا انها « تقع على كل معبود بحق او باطل ، ثم غلب على المعبود بالحق »[٦] ، على حين لم ير الشارح الراونديّ حصول تخصيص دلالي لهذه اللفظة بفعل الاستعمال ، وانما هي لديه مصدر على وزن فعال بمعنى المفعول ، أي إله بمعنى مألوه[٧]، ورفض المعتزلّي قول الراونديّ في هذه اللفظة وأكّد حصول التخصيص الدلالي لها مستدلا على رأيه بالفاظ اخرى حصل فيها تخصيص عن طريق غلبة الاستعمال « كالنجم اسم لكل كوكب ،

ثم غلب على الثريا ، والسنة اسم لكل عام ، ثم غلب على عام القحط »[٨] . ومن ذلك – ايضا – لفظة (الابتلاء) التي ذكر الشراح[٩] دلالتها العامة على الاختبار في الخير والشر، لكنها كثر استعمالها « في الشر»[١٠]. ومن ذلك لفظة (النعم) التي ذكر الشّرّاح دلالتها على الابل ، والبقر، والغنم ، ثم كثر استعمالها في الابل[١١] . ولفظة (الزور) التي ذكر الشّراح انها خلاف الحق ، ثم اطلقت كثيرا على الشهادة الكاذبة[١٢] ، وغير ذلك من الالفاظ[١٣].

وقد فاق السامرائّي شراح النهج المتأخرين في الاهتمام بغلبة الاستعمال واثره في تخصيص دلالة الالفاظ ، نحو معالجته للفظة (الشفا) الواردة في قول الامام (ع): (الصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ ، والكَاذِبُ عَلَى شَرَفِ

---

(١) السامرائّي ١٨١ .
(٢) ينظر : الصحاح ٦٦٨.
(٣) ينظر: علم اللغة (وافي) ٣١٩ .
(٤) ينظر: المزهر ٢٢٧/١ .
(٥) دلالة الالفاظ ١٥٣ .
(٦) المعتزلّي ٦٥/١ .
(٧) ينظر: الراونديّ ٣٥/١
(٨) المعتزلّي ٦٥/١ .
(٩) ينظر :الرواندي ٥٢/٢ والكيدري ٥٧٩/١ والبحراني ١٤٩/٣ .
(١٠) المعتزلّي ٢٦٨/٨ .
(١١) ينظر : الراونديّ ١٥٧/٢ وانصاريان ٦٨/٢ .
(١٢) ينظر : الخوئي ٢٠/ ١٣٥ والراونديّ ١٦١/٣ والشيرازي ١٢٩/٤.
(١٣) ينظر : الخوئي : ٩٩/١٠ و ٢٤/٥ .

مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ ...)[١] ، إذ بيّن السامرائّي الدلالة العامة للشفا بأنّه « حرف كلّ شيء وطرفه »[٢] . ثّم التمس جهة التخصيص لهذه اللفظة في استعمال المعاصرين بقوله: إنّ « الشفا غلب استعماله فيما هو دنو من الموت ، او هلاك ، او سقوط ، او نحو هذا ، فكان هذا التخصيص مستفاد مما ورد في التنزيل العزيز ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا** ﴾ [٣] و﴿ **أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ** ﴾ [٤] . وعلى هذا جرى المعاصرون في قولهم مثلا : ان فلانا او ان الامر على شفا هاوية »[٥]. وعلى الرغم من هذا لم يرفض السامرائّي القول بحصول تطور في دلالة هذه اللفظة نحو التخصيص ، ورأى ان اللفظة لا تخصيص فيها بالموت او الهلاك ، وانما هي عامة مستدلا بقوله (ع) السابق ، وفي ذلك يقول :« واما الشفا في قوله (ع) ، فقد ورد في حيز النجاة والكرامة ، وعلى هذا فليس في الشفا اختصاص بالموت والهلاك ونحوهما ، اما استعمال المعاصرين فهو حمل على ما ورد في لغة التنزيل ، فذهبوا الى تخصيص لم يكن للكلمة ، فكما يكون الشفا في الهلاك ونحوه ، يصح كذلك في النجاة والسلامة ، وبذلك كان التخصيص لدى المعاصرين محمولا على الوهم . ويدل على هذا قوله ايضا : « ... فان النازل بهذا المنزل – اي الجهالة – نازل بشفا جرف هار »[٦]. ومن ذلك لفظة (الضراوة) الواردة في قوله (ع): (...يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوَبُوا مِنْ أَنفُسِكُمْ تَأْدِيبَا ، واعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَتِهَا)[٧] ، فقد بيّن السامرائّي دلالة اللفظة العامة ، وهي اللهج بالشيء والولوع به . ثم اشار الى اثر الاستعمال في تخصيص عمومها بقوله : « ولكنها كثيرا ما ينحى بها الى الشر، والى ما لا يرتضى ، كان يقال : قاتل بضراوة ، او استولى بضراوة ، ونحو هذا »[٨] . وقد اشار فريق من شراح

النهج الى التخصيص الدلالي في بعض مشتقات الضراوة ، كالضاري ، اذ ذكروا اختصاص اللفظة بالاسد بعد ان كانت دلالتها تنصرف الى الاسد والضبع والذئب وغير ذلك من الضواري[٩]. ومن ذلك – ايضا – اشارة السامرائّي الى الاستعمال المعاصر للفظة (التسريح) التي كانت تعني الارسال مطلقا ، ثم خصصت بالصرف عن العمل ، فقال : « ومن المفيد ان اشير الى ان التسريح قد تحول في القرون المتاخرة الى صرف الرجل عن عمله ، واعفائه منه ، وهذا هو الجاري في العربية المعاصرة ، اذ يقال : سُرّح الجند ، اي : انتهت مدة تكليفهم »[١٠] .

ومما تقدم يظهر حرص الشّرّاح جميعا على بيان المعاني اللغوية التي انتقلت منها الالفاظ نحو التخصيص ، فلم يغفلوا ذكر المعنى الاول الذي انتقلت منه الدلالة بعبارات من نحو: وهو في اللغة، او اشتقاقه من كذا .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة٨٦ ص:١٤٠ . (٢) السامرائّي٢٢٣ وينظر: الصحاح (شفا). (٣) ال عمران ١٠٣ .
(٤) التوبة ١٠٩ . (٥) السامرائّي٢٢٣ . (٦) نفسه ٢٢٣
(٧) نهج البلاغة الحكمة ٣٥٩ ص ٦٧٢ . (٨) السامرائّي ٢٤١ .
(٩) ينظر : الراونديّ ١٧٢/٣ والكيدريّ٥٤١/٢ والبحراني ١٤٠/٥ والخوئي١٨٣/٢٠ والتستريّ٤٨٢/٨ والشيرازي ١٤٤/٤
(١٠) السامرائّي ٢٠٢ وينظر : ٢٣٨ .

وكثر لديهم مصطلح (الاصل) او (الاصل اللغوي)[١] . وهو مصطلح شاع لدى ابن فارس في معجمه المقاييس ، ليمثل المعنى العام الذي تتفرع منه الالفاظ المشتقة التي معانيها فرع من ذلك الأصل فلا تبتعد عنه كثيرا،وهذا يعين على تتبع خطوات الانتقال الدلالي في مراحلها التاريخية وصولا الى المعاني التي استقرت عليها. من ذلك (المنافق)[٢] التي ذكر الراونديّ ان « اشتقاقه من نافق اليربوع ، اي اخذ من نافقائه ، وهي احدى حجره يكتم فيها ويظهر غيرها »[٣] ، وفصل البحراني انتقالها بقوله : « واصله ان اليربوع يرقق موضعا من الارض من داخل حجره ، فاذا اوتي من قبل بابه ، وهو القاصعاء ضرب ذلك الموضع براسه فانتفق ، اي خرج ، ويسمى ذلك النافقاء ، فاشتق لفظ النفاق منه »[٤] ، وجوز الخوئي أن يكون المنافق ماخوذا من النافقاء احدى حجرتي اليربوع أو من النفق وهوالسرب[٥] ، على حين رجح التستريّ اشتقاقه من النفق وهو السرب، « فكأنه يستتر بالاسلام كما يستتر الرجل في السرب»[٦]. وعزا اختياره إلى السجستانّي في غريب القرآن[٧]. لكن الشائع لدى اللغويين أن المنافق أصله «من نافقاء اليربوع »[٨] .

ومن ذلك لفظ (البدعة) في قوله (ع) : (إنّ أُبغَضَ الخَلائقِ إلى اللهِ رَجُلانِ :رَجَلٌ وَكَلَهُ اللهُ إلى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيْلِ ، مَشْغُوْفٌ بِكَلامِ بِدْعَةٍ ودُعَاءِ ضَلالَةٍ ...)[٩]، اذ بين البيهقّي انها تعني « الحدث في الدين بعد الكمال »[١٠] ، ثم التفت الى اصل هذا التخصيص ، فذكر انه « ماخوذ من قول العرب : ابدعت الراحلة: كلّت ، وسميت البدعة بدعة لكلالة مركب صاحبها عن المحاجّة والمباحثة »[١١] ، وشايع الكيدريّ البيهقّي فردّد كلامه[١٢] على حين ذهب مغنية الى ان اصل هذه اللفظة هو « ما ابتدع على غير مثال سابق لغة ، اما شرعا فهي الاحداث في الدين»[١٣]. وقد أورد ابن فارس هذين الاصلين في مادة بدع[١٤]، ويبدو ان ما اختاره مغنية هو الانسب في تطور هذه

اللفظة نحو التخصيص لانه ينتقل باللفظة من ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال الى ابتداء شيء لم يكن له ذكر في الدين، فتكون البدعة ضد السنة كما اشار البيهقّي في موضع اخر[١٥] .

وقد بين العلماء قدماء ومحدثين طريقة حصول الانتقال الدلالي للالفاظ عن طريق العرف ، وذلك اما بنقل اللفظ الى بعض افراد الحقيقة اللغوية بان يوضع الاسم لمعنى عام، ثم يخصص اهل اللغة ذلك الاسم ببعض مسمياته ، وهذا ما

---

(١) ينظر : البيهقّي٢٨ والمعتزلّي٢٢٤/٧ والبحراني ٦٩/٤ والشيرازي١٢٦/٣ والخوئي ٣٤٥/٣ ومغنية٢٨٢/٦ والسامرائّي٣٦٨

(٢) في نهج البلاغة الخطبة ١٣ ص:٤١ . (٣) الراونديّ ٣٣٥/٢ . (٤) البحراني ٣٥٤/١.

(٥) ينظر: الخوئي ١٧٠/١٢ . (٦) التستريّ٥٧٥/٢ . (٧) ينظر : غريب القران

(٨) الصاحبي٧٨ . (٩) نهج البلاغة الخطبة ١٧ ص ٤٦. (١٠) البيهقّي١٠٠

(١١) نفسه ١٠٠ . (١٢) ينظر: الكيدريّ ٢٠٦/١ . (١٣) مغنية ٣١٢/١ .

(١٤) ينظر : المقاييس ١١٧. (١٥) ينظر: البيهقّي ٤٢١.

يسمى بالعرف الخاص ، وهي الالفاظ التي تختص ببعض الطوائف دون غيرها، كالمصطلحات المنطقية والفلسفية، والكلامية، والنحوية، ومصطلحات علم الحديث، وغير ذلك من الالفاظ الخاصة التي جرت على ألسنة العلماء او اصحاب المهن[١]. من ذلك دلالة الرفع والنصب والجر عند النحويين على حركات اواخر الاسماء دون غيرهم من الناس[٢] . او دلالة (الجوهر) عند المناطقة على ما لا يقبل القسمة من المتحيزات ، وهو دال على الحجر الكريم عند غيرهم[٣] . او يحصل التخصيص العرفي بان ينقل اللفظ الى اجنبي عن الحقيقة اللغوية ، فيصير الاسم شائعا في غير ما وضع له اولا ، اي ياتي فيما هو مجاز فيه بعلاقة تسوغ هذا الانتقال ، كلفظة (الغائط) التي تخصصت بالعذرة[٤] ، ولفظة (الراوية) التي تخصصت بالمزادة[٥] ، وغير ذلك من الانتقالات المجازية التي التي تسمى بالمجاز المنقول[٦].

ولم يهمل الشّراح الاشارة الى الالفاظ العرفية الخاصة ، وذلك بتحديدهم نوع العرف وذكر الجهة والطائفة المستعملة له من متكلمين ومناطقة وعلماء حديث . وقد انماز الشارح الخوئي [٧] من بين شراح النهج في الاهتمام ببيان الجهة التي سارت باللفظ نحو التخصيص. وربما يكون سبب ذلك أنّ الخوئي من متاخري المتكلمين ، اذ استوعب مصطلحاتهم لاسيما تلك التي جادلوا فيها نظائرهم من علماء المنطق والفلاسفة . من ذلك شرحه لفظة (الحركة) الواردة في قوله (ع) : (أُنشأ الخَلْقَ إِنْشاءً ، وابْتَدَأَه ُابْتِدَاءً بِلا رَوِيَّةٍ أَجالَ ها ،لاوتَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَه ا ،لاوحَرَكَةٍ أَحْدَثَها)[٨] ، اذ بيّن الخوئي معنى اللفظة في اللغة ثم استعمالها عند المتكلمين والحكماء بقوله : « الحركة محركة : اسم من التحريك بمعنى الانتقال ، وهو خلاف السكون ، وهي عند المتكلمين حصول الجسم في مكان اخر ... وعند الحكماء هي الخروج من القوة الى الفعل على سبيل التدريج »[٩] . وكذا شرحه لفظة (القدرة) الواردة في قوله (ع): (فطَرَ الخَلائِقَ بِقُدْرَتِه)[١٠] ، اذ ذكر معناها العام ثم تخصصها عند أهل العلوم فقال : « والقدرة في الاصل القوة ، وعند المتكلمين هي الصفة التي

يتمكن معها الحي من الفعل وتركه بالارادة ، واما عند الحكماء عبارة عن كون الفاعل بحيث ان شاء فعل وان شاء لم يفعل »[١١] ، وربما يشير الخوئي الى عرف المتكلمين بعبارة

---

(١) ينظر: المستصفى ٣٢٥/١ والمحصول ٤١١/١/١ والتصور اللغوي عند الاصوليين ٦٤ والبحث الدلالي عند المعتزلة ١٢٢ ودراسة المعنى عند الاصوليين ١٠٤ وعلم الدلالة (عمر) ٢٤٥ .
(٢) ينظر: بحوث لغوية ٧٢ .
(٣) ينظر : المحصول ٤١٣/١/١ واصول الفقه (بدران) ١٥٦ .
(٤) ينظر : التعريفات ٤٩ والمعجم الفلسفي ٦٩/٢ .
(٥) ينظر: الطراز ٥٢/١ .
(٦) ينظر: المحصول ١م ٤١٠/١ .
(٧) ينظر: دراسات في القران ٢٩ وبحوث لغوية ٧٣ ومعجم المصطلحات البلاغية ٤٠٥/٢ .
(٨) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٨
(٨) الخوئي ٢٣١/٢٠-٢٣٢ .
(١٠) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٧
(١٠) الخوئي ٣٥١/١ .
(١١) الخوئي ٣٠٩/١ . وينظر: المقاييس ٨٧٦-٨٧٧ والمفردات ٦٥٧

(في الاصطلاح) ، وذلك في بيانه لدلالة لفظة (التوحيد) الواردة في قوله (ع) : (وَكَمَالُ تَوْحِيْدِهِ الإِخْلاصُ لَـهُ)[١] ، اذ قال : « والتوحيد جعل الشيء واحدا ... وقد يطلق على التفريق بين الشيئين ، وفي الاصطلاح اثبات ذات الله بوحدانيته ، ووحدانيته بمعنى انه لا ثاني له في الوجود »[٢]. ومن أمثلة اهتمام الشّرّاح بالمصطلحات المنطقية ما جاء في شرحهم لفظة (الحد) الواردة في قوله (ع) : (لأَنَّهُ لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُوْدٌ)[٣] ، أذ جوز فريق من الشّرّاح أن يكون المراد بالحد المعنى اللغوي[٤] وهو الغاية والنهاية ، فيكون المعنى : انه ليس لصفاته غاية معينة ونهاية مميزة[٥] ، أو أن يكون المراد بالحد الدلالة المتعارفة لدى المناطقة ، وهو ما يعرف به الشيء، ليكون المعنى: انه ليس لذاته حد يعرف به قياسا على الاشياء المحدودة . ولم يجز انصاريان تفسير الحد بغير المعنى اللغوي للفظة الحد ، فمنع المعنى الحاصل في عرف المنطقيين[٦] . وعلل البحراني تسمية العلماء لتعريف الشيء باجزائه بالحد بانه « يمنع ان يدخل في المحدود ما ليس منه او يخرج منه ما هو منه »[٧] . وهنا ربط البحراني بين المعنى اللغوي والمعنى الذي تطورنحو التخصيص .

وقد اهتم الشّرّاح بالالفاظ التي تخصصت دلالتها في عرف اهل الحديث ، الذين اشار الشّرّاح اليهم بمصطلح (الفقهاء) ، او (في الشرع). من ذلك معالجتهم للفظة (السُّنّة) التي بينوا معناها اللغوي وهو الطريقة[٨] ، و« في اصطلاح اهل الشريعة ما ثبت عن رسول الله (ص) من قول ، او فعل ، او تقرير »[٩] ، ومن ذلك لفظتا (النسخ) و(الرخصة) الواردتان في قوله (ع) : (وَلَقَدْ خَلَّفَ فِيْكُم مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا ... كِتَابَ رَبِّكُم فِيْكُم : مُبَيِّناً حَلالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَفَرَائِضَهُ ، وَفَضَائِلَهُ ، وَنَاسِخَهُ ، وَمَنْسُوْخَهُ ، وَرُخَصَهُ ، وَعَزَائِمَهُ ...)[١٠] ، اذ بين بعض الشّرّاح أنّ المعنى اللغوي للنسخ هو الازالة وأن المعنى اللغوي للرخصة هو التساهل في الامر . اما في الشرع فتخصصت دلالة النسخ بـ

« رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم اخر منه »[١١] ، وتخصصت دلالة الرخصة بـ « الاذن للمكلف بفعل ما كان ممنوعا عنه ... لسبب موجب ، كالاذن للمضطر بالاكل من الميتة »[١٢] .

ومن ذلك لفظة (الرِّسْل) التي بين الشّراح اشتقاقها من « قولهم :غنم مرسل الى الراعي»[١٣] ،ثم تخصصت دلالتها

---

(١) نهج البلاغة ١ ص ١٧ . (٢) الخوئي ٣١٨/١ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ١٧

(٤) ينظر: الزاهر ٣٩١/١ و٥٨٧ والمقاييس ٢٣٩ والفروق اللغوية ٢٩٠ والمفردات ٢٢١

(٥) ينظر : البحراني ٣٥٨/٢ والخوئي ٣٠٥/١ . (٦) ينظر: انصاريان١٦/٢ .

(٧) البحراني ١٤٢/١ . (٨) ينظر: المقاييس ٤٧٤

(٩) مغنية ٣٩٣/٥ . (١٠) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ٢٤

(١١) البحراني ١/ ٢٧٤ وينظر: المفردات ٨٠١ . (١٢) مغنية ١٤٤/١ وينظر: المقاييس ٤٤٧

(١٣) الكيدريّ١٤٢/١ .

في اصطلاح علم اصول الفقه[١] بـ « الالفاظ المطلقة والمهملة ، وهي الالفاظ التي لا تمنع نفس مفهوماتها وقوع الشركة فيها، لكنها لم يبين فيها كمية الحكم ومقداره، ولم تقيد بقيد يفيد العموم ولا الخصوص »[٢] ، وغير ذلك من الالفاظ التي كثر اهتمام شراح النهج ببيان ما اصابها من تخصيص في دلالتها لدى الفقهاء والاصوليين[٣] . وعرض الراونديّ للمفاضلة بين المعنيين : اللغوي من جهة ، والشرعي او العرفي من جهة اخرى ، فرجح المعنى الشرعي او العرفي على المعنى اللغوي معللا ذلك بالاستعمال . كما في شرحه لفظة (الاحباط) الواردة في قوله (ع) : (فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ ...)[٤] ، فقد بين الراونديّ المعنى اللغوي[٥] الذي انتقلت منه لفظة (الاحباط) نحو التخصيص بقوله : « الاحباط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها ، وربما هلكت ، فجعل العمل محبطا اذا لم يقع مشروعا ، ... واصل الاحباط في الوضع : الابطال والافساد ، وما طرا عليه عرف او شرع فيجب حمل المعنى عليه ... »[٦]. وهذا ما عليه اغلب القدماء[٧] ، فالمجاز « متى استقر في البيئة مدلوله وتحدد معناه عاد الى ما كان عليه اولا في تسميته بالحقيقة مقّيدة بعرف هذه البيئة وتواضعها »[٨]. فالحكم في مفهوم الالفاظ هو ما استقّر عليه استعمالها .

ولم تقتصر عناية شراح النهج بالتخصيص الحاصل للالفاظ المفردة ، وانما اهتّموا بالتخصيص الواقع على التراكيب، وهو ما يعرف لدى المحدثين بالتركيب الموحّد ، الذي يتكون من اثنين او اكثر من الصيغ الحرّة ، كتركيب (البيت الابيض) الذي لا يشير الى مبنى ، وانما تخصصت دلالته بمؤسسة سياسية معينة[٩] .ومن التراكيب التي خصصت دلالتها في متن النهج بعد ان كانت مطلقة عامة ،(اهل البيت)، في قوله (ع) :(وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحِكَمِ)[١٠] ، فقد ذهب معظم شراح النهج[١١] الى ان المراد بـ (اهل البيت) هم اهل بيت النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) ، وهم : (محمد – صلى الله عليه وآله وسلم - وعلي وفاطمة والحسن والحسين –عليهم السلام-) ، مستدلين بقوله تعالى: ﴿

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[١٢].

---

(١) ينظر: مغنية ٤/١ .

(٢) البحراني ٢٧٥/١ .

(٣) ينظر : الراونديّ٣٤٧/١ والخوئي ٢٩٢/٦ ومغنية٥١٥/٤ و ٦/ ٤٤٢ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٢٣٤ .

(٥) ينظر : المقاييس ٢٩٣ والمفردات ٢١٦

(٦) الراونديّ٢٣٥/٢ .(٧) ينظر : الذريعة١/ ١٦ واضواء البيان٥٥/٢ .

(٨) دراسات في القران الكريم٢٩ . (٩) ينظر: علم الدلالة (عمر)٣٢-٣٤ .

(١٠) نهج البلاغة الخطبة ١١٩ .

(١١) ينظر : البيهقّي٧٩ ، ٢٥ والراونديّ٢٥/٢ والمعتزلّي٣٢/٩ والشيرازي٢٣٩/٢ والخوئي ١١١/٨ .

(١٢) الأحزاب ٣٣ وينظر: الكشاف ٢٦٠/٣ .

ووجه التخصيص ان البيوت كثيرة لا حصر لها ولا عد ، ولاجل معرفة اهلها لابد من اضافة البيت الى صاحبه ، فيقال : اهل بيت فلان ، ولما كان النبي (صلى الله عليه واله) اعرف الخلق وخير البرية جاز الاستغناء عن ذكر اسمه عند الاشارة الى اهل بيته ، فصار التركيب (اهل البيت) علما لال محمد (صلى الله عليه واله) دون غيرهم ، كما كانت المدينة علما لمدينة الرسول (صلى الله عليه واله) دون غيرها من المدن ، وكما كان (الكتاب) علما لكتاب سيبويه دون غيره من الكتب ، وكما كان (النجم) علما للثريا دون غيره من النجوم . والتركيب مؤلف في الاصل من لفظتين : الاولى (اهل) ، وقد اشار الشّراح الى ان اهل الرجل من يجمعه واياهم نسب او دين ، والاخرى (البيت) وهو ماوى الانسان بالليل ، ثم تُجُوِّز فيه ليطلق على مأوى الانسان في ليله ونهاره[١] ، وكذا تجوز بلفظ (اهل) فجعل اهل بيت الرجل لمن يجمعه واياهم مسكن . وبجمع اللفظين في تركيب واحد (اهل البيت) خصصت الدلالة باسرة النبي (عليهم السلام) ، تخصيصا متأتّيا من استعمال القران الكريم[٢] .

وفي النهج تراكيب اخرى يمكن تسميتها بالتراكيب الوصفية ، منها : (الثقل الاكبر) ، و (الثقل الاصغر) الواردة في قوله (ع) : (أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الأَكْبَرِ ؟ وَأُتْرِكُ فِيكُمُ الثَّقَلَ الأَصْغَرَ؟)[٣] ، فقد اشار الشراح[٤] الى ان الثقل معروف ، وهو متاع المسافر يحمله على راحلته ، وهذا هو المعنى العام للفظة[٥] ، ثم خصصت بالوصف (اكبر ، اصغر) لتدل على القران والعترة ، وهو تخصيص متأتٍّ بالاستعارة على ما بينه المعتزلّي بقوله : « الثقل في اللغة متاع المسافر وحشمه ، فكانه (ص) لما شارف الانتقال الى جوار ربه تعالى جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل الى منزل ، وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه ؛ لانهما اخص الاشياء به »[٦]. والتخصيص في هذا التركيب متأتٍّ من الحديث الشريف:« تركت فيكم الثقلين ... كتاب الله وعترتي»[٧] .

---

(١) ينظر: البيهقّي٧٩ والخوئي ٣٥٨/٢٠ والسامرائّي٩٩ .
(٢) ينظر:
(٣) نهج البلاغة ٨٦ .
(٤) ينظر : البيهقّي١٦٨ و الكيدريّ٤٢٠/١ والبحراني ٣١٤/٢ .
(٥) ينظر : الزاهر٣٣٢/٢ والمقاييس ١٨٥ والمفردات ١٧٤واللسان٩٠/١٣
(٦) المعتزلّي٣٨٠/٦ وينظر : السامرائّي٩٩ .
(٧) صحيح مسلم ١٠٢١ .

ثانيا : التعميم الدلالي

هو نقل اللفظ من « المعنى الخاص الدالّ عليه الى معنى اعم واشمل»[١]، وذلك بان « يصبح عدد ما تشير اليه الكلمة اكثر من السابق ، او يصبح مجال استعمالها اوسع »[٢] ، ويطلق على التعميم الدلالي تسميات اخرى نحو: توسيع المعنى او امتداده[٣] .ومن أمثلته لفظة (البأس) التي توسعت دلالتها من معنى الحرب لتشمل الدلالة على كلّ شدة[٤] . وقد اهتم علماء العربية القدماء بهذا المظهر من التطور الدلالي فنجده عند ابن دريد وابن فارس والسيوطي[٥] .

اما شراح النهج فقد اشاروا الى ظاهرة التعميم الدلالي في شرحهم للالفاظ الواردة في متن النهج بعبارات متنوعة من مثل قولهم : (استعمل في كذا ثم كثر ، ...ثم شاع ، ...ثم غلب ، ...وعم) وهي عبارات لا تخلو من التنبيه على اثر الاستعمال في الانتقال بالدلالة نحو مجال اعم فـ « كثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم »[٦] . وقد كان استعمال الشّرّاح لعبارة (استعمل في كل...) اكثر من غيرها من العبارات الدالة على التعميم ، من ذلك قولهم في لفظة (الصبر) التي ذكروا انها « بكسر الباء هذا النبات المر نفسه ، ثم سمي كل مر صبرا »[٧] ، ولفظة (العلقم) التي ذكر الشّرّاح انه « شجر بالغ المرارة ، ويصدق بالعرف على كل مر »[٨] . ولفظة (السراج) إذ سميت الشمس بـ « السراج لحسنها وضيائها ، ثم اطلق لفظ السراج على كل نور وجمال »[٩] ، و « الجِماع: القدر الذي يجمع الحضور كلها ، ثم اطلق على كل ما يشمل ويعم ، كما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : الخمر جِماع الاثم »[١٠] . و « يقال : عشوته ، اي : قصدته ليلا ، هذا هو الاصل ، ثم صار كل قاصد عاشيا »[١١]. وكذا لفظة (الاعلام) ، « جمع علم ، وهو المنار يهتدى به ، ثم جعل لكل ما دل على شيء »[١٢]

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية٢١٨ وينظر : علم الدلالة (جيرو) ٨ .

(٢) علم الدلالة (عمر) ٤٣١٢ وينظر : فقه اللغة (وافي) ٢٢٢ والدلالات اللغويةعند العرب١٤٢ ونحو وعي لغوي١٢١ والتصور اللغوي عند الاصوليين٩٦ .

(٣) ينظر : دلالة الالفاظ١٥٤ وعلم الدلالة (عمر) ٢٤٣ والتطور اللغوي ، مظاهره وعلله١١٤ .

(٤) ينظر : علم الدلالة والمعجم العربي٦٦ .

(٥) ينظر: الجمهرة٤٣٢/٣ والصاحبي٥٨-٥٩ والمزهر ٤٢٩/١ .

(٦) علم اللغة (وافي) ٣٢٠ .

(٧) المعتزلّي٢٣١/٧ وينظر : الخوئي ١٦/٨ .

(٨) البحراني ٢٦/٢ وينظر : الخوئي ٣٦٧/١ .

(٩) البيهقّي٢٤ . (١٠) نفسه٢٤٨ .

(١١) الراونديّ٢٧٥/١ . (١٢) المعتزلّي٢١٦/٣ وينظر:عبده١٢٢/١وينظر: ابو الفضل ١١٣/١ .

ولفظة (الدر) التي هي « في الاصل : اللبن ،...ثم استعمل الدر في كل خير ونفع ، فقيل : لا در دره ، اي : لا كثر خيره ، ويقال في المدح : لله دره ، اي : عمله »[١]. ولفظة (القواعد) مأخوذة من قواعد الهودج ، وهي « اخشابه الاربع المقبوضات في اسفله ، ثم عدي الى كل اصل يبنى عليه من كلام او غيره »[٢]. و(الذوق) « اصله ما يدرك باللسان ، ثم تستعمل في كل شيء يدركه الانسان بالقوى اللامسة ، كما قال تعالى : ﴿**ذق انك انت العزيز الكريم**﴾[٣] ، وقال : ﴿**فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ** ﴾[٤] »[٥] . ولفظة (الشغاف) التي تدل على « غلاف القلب ، ثم استعمل لكل غلاف »[٦] . ولفظة (الفَرْس) التي تدل في اللغة على ما يفترسه الاسد ، يقال : فرس الاسد فريسته وافترسها ، اي : دق عنقها[٧] « واصل الفرس هذا ، ثم كثر حتى صار كل قتل فرسا »[٨] . ولفظة (الجزل) التي تعني « ما عظم من الحطب ، ثم كثر ذلك حتى صار كل ما كثر جزلا ، وقالوا اعطاه عطاء جزلا »[٩] . ولفظة (استحّر) « بمعنى اشتد ، وقد كثر استعمالها في القتل ونظائره »[١٠]. ومنه (الهجر) فإنه « خلاف الوصل، ثم غلب على الخروج من ارض الى ارض»[١١]. ولفظة (السهم)[١٢] التي بدات دلالتها بـ « واحد السهام التي يضرب بها في الميسر ، وهي القداح ، ثم سمي به ما يفوز به القادح سهمه ، ثم كثر حتى سمي كل نصيب سهما»[١٣] .

والسمة الظاهرة لدى شراح النهج في التعميم الدلالي اهتمامهم بذكر المعنى الاصلي الذي انتقلت منه اللفظة على وفق ما سبق بيانه في التخصيص الدلالي ، اذ شاع لديهم مصطلح (الاصل)[١٤] للتنبيه على المعنى الاول الذي استعمل فيه اللفظ قبل ان تعّم دلالته ، او يجري عليه مظهر من مظاهر تطور الدلالة . ومن امثلة التعميم بذكر (الاصل) اللغوي ، ما ذكره الشّراح في لفظة (الطوارق) في قوله (ع) يصف خلق الأرض : (...ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَلَقَتِهَا ، وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ فَلَقَتِهَا)[١٥]، اذ بين بعضهم ان « اصل الطروق ما ياتي ليلا ، ثم استعمل في « كل ما يطرق باب الانسان بمكروه »[١٦]. وذكر فريق منهم أنّ لفظة (النجعة) تعني « طلب الكلا في الاصل ، ثم سمي كل من قصد امرا يروم النفع منه منتجعا »[١٧].

(١) المعتزلّي٦/٣٨١ و ينظر : عبده١/٢٣٠ والخوئي ٦/٢٣٨ وابو الفضل١/١٧٦ والموسويّ٢/٢١ وانصاريان١/٢٢٣.

(٢) البحراني ١/١٢٦ (٣) الدخان

(٤) النحل ١١٢. (٥)التستريّ ١/ ٣٣٢ وينظر: الشيرازي١/٣٠ .

(٦) التستري١/٣٣٣ . (٧) ينظر : الصحاح ٨٠٤ .

(٨) التستريّ٢/٥١٨ وينظر:٢/٤١١ و ٣/٤٤٣ . (٩) التستريّ٦/١٢١ .

(١٠) السامرائّي١٢٦ . (١١) انصاريان٢/٢٥٠ .

(١٢) ينظر : الصحاح ٥٢٠ - ٥٢١ . (١٣) انصاريان٢/٤١٦ .

(١٤) ينظر:عبده٢ /٢٥٤و٣/٢٦٧وابو الفضل١/٢٠٣و٢/٢٨٧ . (١٥) نهج البلاغةالخطبة خ ٩١ ص ١٦٥ .

(١٦) الشيرازي٣/٣٨٤ . (١٧) المعتزلّي١٣/١٥٨ وينظر : انصاريان٢/٣٣٩ وابو الفضل٢/١٠٠ .

ولفظة (السبر) تعني « في الاصل ادخال الميل في الجراحة لمعرفة غورها ، ويطلق على مطلق الاختبار »[١]. « والاصل في المشهور كونه وصفا للسيف يقال : سيف مشهور اي مخرج من الغمد ، ثم استعمل في كل واضح »[٢] .

وتعد الاستعارة من المسوغات الرئيسة للانتقال بدلالة الالفاظ نحو التعميم[٣] . وقد بين الشّرّاح طائفة من الالفاظ التي عمت دلالتها وتوسع معناها بطريق الاستعارة ، كلفظة (المضامين) في قوله (ع) يصف أهل القبور: (....هَاهُمْ رَهَائِنُ القُبُورِ وَمَضَامِينِ اللُّحُودِ ....)[٤] إذ اشار الكيدريّ الى معناها الاصلي وبين أثر الاستعمال في تعميم دلالتها بقوله: « والمضامين في الاصل ما في اصلاب الفحول ، ثم استعير لكل شيء مستور ، وهو جمع مضمون ، اي هم في ضمن اللحود في القبور »[٥] . ومثلها لفظة (الجلابيب) التي ذكر المعتزلّي اصلها اللغوي[٦] ، ثم نبه على تعميم معناها بالاستعارة فقال : « الجلابيب : جمع جلباب ، وهي الملحفة في الاصل ، واستعيرت لغيرها من الثياب »[٧]. واشار البحراني الى تعميم دلالة لفظة (السماء) باستعارتها من السقف لعلاقة المشابهة بقوله: «استعارة لفظ السقف من البيت للسماء في الاصل لما بينها من المشابهة في الارتفاع والاحاطة»[٨]، فالسقف سمي سماء لان « السماء كل ما علاك فاظلك »[٩]. ولفظة (الحبل) معناها في اللغة هو ما « يتوصل به الى ماء ، ثم استعير لكل ما يتوصل به الى شيء »[١٠] . و(الوعث) هو « رمل دقيق تغيب فيه الاقدام ، فهو شاق ، ثم استعير لكل امر شاق من تعب او اثم وغير ذلك ، ومنه وعثاء السفر ،اي شدة النصب والتعب »[١١] .

وانمازالسامرائّي ببيان اثر الاستعارة في الانتقال بدلالة جملة من الالفاظ نحو التعميم ، كلفظة (الكعم) التي ذكر انتقالها من البعير الى غيره توسعا بطريق الاستعارة[١٢]، و (اللجام) الذي استعير من الفرس الى العاقل . و(الحرث) استعير من الارض « للعمل في الخير والشر، وهو في لغة التنزيل ، قال تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ** ﴾[١٣] »[١٤] .

وانفرد السامرائّي - أيضا - بتتبع التطورات الدلالية لالفاظ النهج في اللغة المعاصرة ، مبينا دلالاتها القديمة التي ذكرتها معجمات اللغة .

(١) الخوئي ٤٧/١٥ (٢) التستريّ١٤٨/٦ .
(٣) ينظر : المزهر ٤٢٩/١-٤٣٠ وعلم اللغة (وافي) ٣٢٠. (٤) نهج البلاغة الرسالة٤٥ ص ٥٣٤ .
(٥) الكيدريّ٥٠٣/٢ . (٦) ينظر: الصحاح ١٨٠
(٧) المعتزلّي٨٠/١٥ وينظر : ابو الفضل ١٤٠/٢ (٨) البحراني ١٨٩/١ .
(٩) الخوئي ٦٨/١٥ . (١٠) الخوئي ١٠٥/٩ و٢١٣/١٠ وينظر : الموسويّ٤٥١/٢ والسامرائّي١٥١ .
(١١) الخوئي ٢٨٥/١٢ . (١٢)ينظر: السامرائّي١٠٠ .
(١٣)الشورى٢٠ (١٤) السامرائّي١٢٥ .

ذلك أنّ « النظر في المعجم العربي القديم لا يبصر بهذه العلاقة بين المعنى الحقيقي ، والمعنى المجازي الذي انتهت اليه المادة وخلصت له »[١] . ففي قوله (ع) من خطبة له يصف العرب قبل البعثة : (تَشْرَبُونَ الكَدَرَ ، وَتَأْكُلُونَ الجَشِبَ)[٢] الجشب « هو الغليظ او بلا ادم ... وقد توسع فيه المعاصرون الى الغليظ من العيش وحتى اللباس ، كما توسع فيه القدماء فدل على الغليظ والبشع من كل شيء »[٣] . وفي قوله (ع) يصف المتكبرين : (هُمْ أَسَاسُ الفُسُوقِ ، وَأَحْلاسُ الفُسُوقِ)[٤]، الأحلاس جمع حلس البعير و « هو كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازما له، فقيل لكل ملازم لشيء هو حلسه »[٥]. ثّم نّبه على الاستعمال المعاصر لهذه اللفظة الذي ارتقى بها من التطور الاول في دلالتها وهو التعميم لكل ملازم للشيء الى ما يعرف برقّي الدلالة ، فقال : « وفي عربيتنا المعاصرة نقول : هو حلس الدار ، أي الملازم لها ،وفي استعمالنا هذا نقل للاستعمال البدوي القديم الى شيء اخر يتصل بالحضارة »[٦].

ولم يقتصر بحث الشّرّاح لظاهرة التعميم الدلالي على الالفاظ المفردة ، بل دلوا على التراكيب التي عمت دلالتها كالتركيب : (قطب الرحى) ، اذ بين البحراني ان « قطب الرحى المسمار الذي تدور عليه ، ثم استعمل في كل اصل ينتهي اليه ويرجع ، فقيل : قطب القوم لسيدهم لكونه عليه مدار امورهم ، وقطب الفلك لنهايتي محوره ... وعليه يدور »[٧] . وكذا التركيب (بين اظهرهم) ، اذ ذكر الشّرّاح ان عبارة (أقاموا بين أظهرهم) تعني « أقاموا بينهم على سبيل الإظهار والاستظهار والاستناد إليهم ، ثم كثُر حتى استعمل في الاقامة بين القوم مطلقا »[٨] . ويدخل ضمن التراكيب التي اصابها تعميم في دلالتها (الامثال) وهي كثيرة في متن النهج ، اوضح الشّرّاح تعميم دلالة قسم منها كالمثل (فضح رويدا) وهو في قوله (ع) إلى بعض عماله : (فَضَحِّ رُوَيْدًا فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ المَدَى)[٩] ، اذ ذكر الكيدريّ ان الاصل في هذا التركيب هو « ان الإعراب في باديتها تسير بالظعن ، فاذا عثرت على لمع من العشب قالت ذلك ، وغرضها ان ترعى الابل الضحا ، اي مرعى الضحوة قليلا ، وهي سائرة حتى اذا بلغت مقصدها شبعت ، فلما كان من الترفق في هذا توسعوا ، فقالوا في كل موضع : ضح ، بمعنى ارفق »[١٠] ، وهذا ما ذكره الزمخشري في امثاله[١١].

(١) التطور اللغوي التاريخي٣٧ . (٢) نهج البلاغة الخطبة ٢٦ ص ٥٩ .
(٣) السامرائّي ١١٢ . (٤) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢ ص ٣٦٥.

(٥) السامرائيّ١٣٤-١٣٥ وينظر : عبده١٦٦/٢

(٦) السامرائيّ١٣٥ وينظر: ١٧٥ و ٢٩٤.

(٧) البحراني ١٢٥/١-١٢٦ وينظر : الخوئي ٢٧٨/١ .

(٨) التستريّ٢١/١

(٩) نهج البلاغة الرسالة ٤١ ص ٥٢٦ .

(١٠) الكيدريّ٤٩٠/٢

(١١) ينظر : المستقصى في الأمثال ١٨٤/١.

ثالثا : هبوط الدلالة

هو أن « تكون الكلمة في الاصل تدل على معنى محترم ، ولكن ينقص من قدرها تدريجيا فينحط معناها »[١] ، اي ان اللفظة « تفقد مكانتها بين الالفاظ التي تنال من المجتمع الاحترام والتقدير »[٢] . وهذا التغير « يصدق على الكلمات التي كانت دلالتها تعد في نظر الجماعة نبيلة ...ثم تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك مرتبة »[٣]. وسمى المحدثون هذا الضرب من التطور بابتذال المعنى او انحطاطه .وذكروا أنّه اكثر من مقابله رقي الدلالة[٤].

ولم يصرح شراح النهج بمصطلح الهبوط الدلالي ، او انحطاط معاني الالفاظ عن اصولها اللغوية ، وانما اشاروا الى حصول تحول بالمعنى نحو الابتذال ، كلفظة (الدّيوث) التي اشار البيهقّي الى انتقال دلالتها من اصلها اللغوي وهو البعير الذي ذللته الرياضة . يقال بعير مدّيث ، اي : مذلّل بالرياضة ، ثم أطلق (الديوث) على الذي « لا غيرة له ، وذللته محارمه حتى تغافل عن فجورهن »[٥] . ومثلها لفظة (المسالح) التي اشار البيهقّي الى انها كانت مستعملة في مواضع السلاح ، ثم « اطلق المسالح على مواضع الخوف »[٦] . وكذا لفظة (الزخرف) الواردة في قوله (ع) : (... وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ)[٧] ، إذ قال الرواندي: « اصل الزخرف الذهب ، ثم شبه به كل مموه مزور »[٨] ، وشايعه سائر الشراح[٩] . مستدلين على رقي المعنى فيه بقوله تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ** ﴾[١١] ، وعلى هبوط الدلالة بقوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾[١٢] . على حين لم ير السامرائّي هبوطا في دلالة هذه اللفظة ، وانما اشار الى تعميم دلالتها بقوله : « الزخرف في الاصل للذهب ، ولكنه انصرف الى الزينة عامة »[١٣] . وأشار البيهقّي الى انحطاط دلالة (الهجر) بقوله : « الهجر الافحاش في المنطق ، واصله من الهجر وهو الترك »[١٤]. وذكر المعتزلّي انحطاط معنى (الاسفاف) ليدلّ على الدخول « في الامر الدنيء ، أصله من اسف الطائر اذا دنا من الارض في طيرانه»[١٥] . وغير ذلك[١٦] .

---

(١) الدلالات اللغوية عند العرب ١٤٣

(٢) دلالة الالفاظ١٥٦.

(٣) علم الدلالة (السعران) ٢٢٨ .

(٤) دلالة الالفاظ ١٥٨ وينظر: دراسة المعنى عند الاصوليين١٨٨ وعلم الدلالة (عمر)٢٤٨ .

(٥) البيهقّي ١١٦ . (٦) نفسه ١١٧ (٧) نهج البلاغة الخطبة ٧٤ ص ١١٤ .

(٨) الراونديّ٣/١٥٤ وينظر: المعتزلّي٦/١٦٦والتستريّ١١/٣٠ وعبده١/٥٤ وابو الفضل١/١٤٢ ومغنية٢/١٠٧

(١١) يونس ٢٤ . (١٢) الانعام١١٢ .

(١٣) السامرائّي ١٩٢ . (١٤) البيهقّي٣٧٦ . (١٥) المعتزلّي ١/١٨٤ .

(١٦) ينظر: الكيدريّ١/ ٢٣٨ وعبده٣/٣٤ و الخوئي ١٩/٩٩ وابو الفضل٢/١٧٤ والشيرازي٤/١٢٨ وانصاريان١/٧٧.

واشار الشّرّاح الى اثر الاستعمال في الاتجاه بالدلالة نحو المعنى الادنى ، من ذلك ما ذكره الخوئي في لفظة (الخوض) ، بقوله: « خاض في الامر دخل فيه ، واصل الخوض دخول القدم فيما كان مايعا من الماء والطين، ثم كثر استعماله في كل دخول فيه اذى»[١] ، ويؤيد هذا قوله تعالى:﴿ **فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ** ﴾[٢] .وأشار عبده الى غلبة الاستعمال في المعنى المذموم للفظة الاهواء ،وهي « جمع هوى بالقصر، واصله ارادة النفس وما تميل اليه ، محمودا كان او مذموما ، ثم غلب في الاستعمال على غير المحمود »[٣].

وانماز السامرائّي من بين الشّرّاح في الاهتمام بما استقرت عليه دلالة الفاظ النهج في الاستعمالات المعاصرة ، كلفظة (الاقتراف) الواردة في قوله (ع) في خطبته الغراء : (فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ)[٤] ، اذ بين ان دلالة الفعل في المعجمات[٥] ، تعني : الاكتساب ، من ذلك قول العرب : قرف لعياله، اي : كسب، واقترف الماء، اي : اقتناه . ثم نّبه على هبوط دلالة هذه اللفظة في العربية المعاصرة ، لان « الفعل اقترف اختص في العربية المعاصرة بالذنوب والجرائم ، ولم يرد في الخير ، يقال : اقترف جريمة بمعنى ارتكبها ، واقترف ذنبا ، اي ارتكبه »[٦] . ومثلها (يرضخ) في قوله (ع) يصف عمرو بن العاص : (إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُتْيَةً ، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً)[٧] ، فقد ذكر السامرائّي الدلالة القديمة لهذا الفعل ، وهي العطاء والمنح ، ثم بين انتقالها نحو المعنى المبتذل في الاستعمال الحديث ، بقوله : « وهذا الفعل قد تغير في دلالته في العربية المعاصرة فصار يفيد الخضوع ، فيقال : رضخ للامر بمعنى خضع ، واين هذه الدلالة من الاولى الفصيحة؟ »[٨] . وكذا لفظة (البطر) في كتاب الامام (ع) الى الاشتر:(وَكُلُّ قَدِ اسْتَوْعَيْتَ حَقَّهُ، فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ)[٩] ، اذ بين السامرائّي جنوح هذه اللفظة نحو الابتذال بقوله: « والبطر هو طغيان النعمة ، وهذه الكلمة احتملت في العربية المعاصرة ظلالا خاصة فهو فضلا عن طغيان النعمة الا انها مع شيء باحتقار النعمة الوافرة التي عند صاحبها »[١٠]. وفي قوله (ع) يصف الملائكة : (... لَا يَرْجِعُ بِهِمُ الاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ...)[١١] ، اذ جاءت لفظة الاستهتار بمعناها اللغوي[١٢]، وهو الولوع المقترن بطاعة الله (عز وجل) . ثم ذكر السامرائّي أن هذه الدلالة « لانعرفها في العربية المعاصرة ، وكأنّ الاستهتار قد تحول الى معنى خاص بالشر ، فهو يعني الاستخفاف بكل ما هو ايجابي ، وعلى هذا يكون الاستهتار الخروج عن المألوف والنظام في السلوك والعادات

(١) الخوئي ١٧٠/١٢ (٢) الزخرف ٨٣ .
(٣) عبده ٩٣/١ . (٤) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص ١٢٦
(٥) ينظر: المقاييس ٨٨٢ والمفردات ٦٦٧ . (٦) السامرائّي ٢٩٩
(٧) نهج البلاغة الخطبة ٨٤ ص ١٣٧. (٨) السامرائّي ٦٦ وينظر: المقاييس ٤٠٦
(٩) نهج البلاغة الرسالة ٥٣ ص ٥٦١ . (١٠) السامرائّي ٨٤ .
(١١) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٥٩ . (١٢) ينظر: الصحاح ١٠٨٦ .

والاخلاق »[١] . ومن هذه الأمثلة (المخض) الذي ابتذلت دلالته لاستعماله في المكاره عن طريق الاستعارة ، كما في قول السامرائّي : «المخض في الاصل هو مخض اللبن ، اي تحريكه ليخرج زبده ، وقد استعير هذا الفعل فاستعمل في المكاره ، وهي الشدائد وما يكره ، بسبب انها تختبر ايمان اهل الصدق »[٢]. وقد ذهب المحدثون الى ان اكثر الكلمات التي تنحط دلالتها هي «تلك الدائرة حول الجنس ، والزهو الطبقي ، وما يثير مشاعر الخجل كقطع الملابس الداخلية ، والخوف ، والذعر »[٣]. اما شراح النهج[٤] فلم يستعملوا الالفاظ المحظورة عرفا التي تتعلق بالجنس على انها ذات دلالات متحولة الى معان هابطة ، بل تعاملوا معها على انها الفاظ ادت معناها الذي وضعت له ، نحو : الأّر ، والسِّفاد ، والملاقح ، والاست ، وغير ذلك. ومن المحدثين من عد الالفاظ المحظورة (اللامساس) من اشكال التغير المتسامي ، وهو ابدال الكلمات الحادة بكلمات اقل حدة ، واكثر قبولا نتيجة حساسية في بعض اللغات تجاه الفاظ معينة ترتبط بمعان لا يحسن التصريح باسمها[٥]، ولذا يلجا الى التلطف في التعبير بتجنب اللفظ المبتذل الى اخر اكثر استساغة وقبولا عند ابناء المجتمع[٦] . والتامل في شكل التطور الحاصل للالفاظ الحساسة ينبيء عن الاتجاه بها نحو الهبوط لانها الفاظ عبر بها عن المعاني المبتذلة في عرف المجتمع ، كلفظة (النكاح) التي تذكر المعجمات اشتقاقها من نكحت الحصاة خف البعير[٧] ، ثم استعملت لتادية معنى يتحاشى افراد المجتمع ذكر لفظه الصريح.

رابعا : رقي الدلالة

المراد برقّي اللدلالة هو ما يصيب الالفاظ من قوة دلالية ترفع من شانها بعد ان كانت تدل على معان ذات دلالة ضعيفة ، واصبحت ما عليه من دلالة قوية محترمة بين الناس ، وتعبر عن الفخامة والقوة[٨] ، ويسمى هذا الضرب من التطور الدلالي بـ «التغّير المتسامّي» ، وفيه تسمو دلالة الكلمة وترتقي بعد ان كانت تدل على معنى ليس فيه دلالة على الرفعة، مثل : دلالة الرسول التي ارتقت الى من بعثه الله تعالى بالرسالة الالهية الى العباد ، بعد ان كانت تطلق على الشخص الذي يرسل من مكان الى اخر[٩].

---

(١) السامرائّي٣٤٧ . (٢) نفسه ٣٢٤-٣٢٥ . (٣) علم الدلالة(السعران)٢٢٨ وينظر: فقه اللغة وخصائص العربية٢١٧ .
(٤) ينظر: البيهقّي١٦٤ ، ٢٧٧ ، ٤٥٥ والراوندي٣٠٥/١ ، ٣٥٣/١ ، ١٣٨/٢ ، ٥٢/٣ والكيدريّ ٤٠٤/١ ، ٣٧/٢ والمعتزلّي ٢٦٩/٩ ، ٢٧٨/٩ والسرخسي٤٩/١ ، ٨٧/١ ، ١٥٧/١ وعبده ٩٣/٢ ومغنية ٢٢١/١ ، ١٨٢/٢ ، ٤٢٥/٣ والتستريّ٧٤/٢ ، ٢٥٤/٤ والسامرائي ٢٦٤ والشيرازي ٣٤٢/١ وأنصاريان٢٣٦/١ ، ١٣٦/٢.

(٥) ينظر : علم الدلالة (عمر) ٤٠ والاسس النفسية ٢٣٣ .

(٦) ينظر : علم الدلالة (وافي)١٦٣ ودور الكلمة١٧٧ و لحن العامة والتطور اللغوي٨٥ واللامساس في العربية٣ .

(٧) ينظر : ينظر: المقاييس ١٠٤٧ والمفردات ٨٢٣

(٨)ينظر: دلالة الالفاظ ١٥٨ والدلالات اللغوية عند العرب١٤٣ . (٩) ينظر: دلالة الالفاظ١٥٨ .

وفي النهج طائفة من الالفاظ التي اشار الشّراح الى ارتقاء معناها عن طريق الاستعمال بعد ذكرهم الاصل اللغوي الذي تطورت منه نحو الرقي . كلفظة (لتلقّي) التي وردت في قوله (ع) في توبة ادم (ع) : (ثم بسط الله سبحانه له في توبته ، ولقاه كلمة رحمته)[١] . إذ ذكر البحراني أنّ « اصل التلقي ... هو التعرض للقادم ، وضع في موضع الاستقبال للمسيء والجاني ، ثم وضع موضع القبول قال تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[٢]»[٣] . ولفظة (الاحتذاء) في قوله (ع) :(يحتذون مثالا)[٤] ، فقد دلّت على الاقتداء ، إذ بين المعتزلّي ان الاصل في هذا الاستعمال ياتي من معنى هابط ، وهو من قولهم:« حذوت النعل حذوا ، اذا قدرت كل واحدة على صاحبها»[٥]. ومن ذلك لفظة (البدائع) التي اشار البحراني الى اثر الاستعمال في تحويل دلالتها نحو المعنى الحسن ، فالبدائع « جمع بديعة ، فعيلة بمعنى مفعولة ، وهي الفعل على غير مثال ، ثم صار يستعمل في الفعل الحسن ، وان سبق اليه مبالغة في حسنه ، فكانه لكمال حسنه لم يسبق اليه »[٦] . ولفظة (الحظائر) الواردة في قوله (ع) يصف مواضع الملائكة في السماء : (وَمَلأَ بِهِمْ فُرُجَ فِجَاجِهَا ، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا ، وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ)[٧] ، اذ بين الشارح المعتزلّي ان « اصل الحظيرة ما يعمل شبه البيت للابل من الشجر ليقيها البرد ، فسمّى (ع) تلك المواطن الشريفة المقدسة العالية التي تفوق الفلك حظائر القدس»[٨] وشايعه فريق من المتأخرين[٩]. على حين انفرد التستريّ بوجه اخر للربط بين المعنيين الرديء والحسن لهذه اللفظة ، ذاكرا ان الاصل اللغوي للفظة الحظائر هو الحظر، اي: المنع، ثم ارتقى المعنى نحو مجال الملائكة بعلاقة عللها الشارح بقوله: « وسميت السموات التي هي محال الملائكة حظائر القدس لان الشياطين – وهم اهل الرجس – ممنوعون منها »[١٠] ، وبغض النظر عن الاصل الذي انطلقت منه اللفظة نحو الرقي ، الا ان المجاز هو المسوغ لهذا الانتقال[١١] ، لاسيما ان اضافة الحظائر الى القدس كانت قد سوغت لهذا الرقي .

ونبه السامرائّي على رقي دلالة (العائلة) في الاستعمال المعاصر فقال :« اعال بمعنى افتقر ،والعيلة هي الفقر والحاجة ، والعائل هو الفقير ،ومن هنا كانت لفظة (العائلة) تدل على الفقر ،وليس كما هو شائع في العربية المعاصرة»[١٢] .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١ ص ٢٢

(٢) النمل ٦

(٣) البحراني ٢٢٣/١ .

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٨٣ ص ١٢٣

(٥) المعتزلّي٢٤٩/٦ وينظر: الخوئي ٣٥٠/٥ .

(٦) البحراني ١٢٥/١ .

(٧) نهج البلاغة الخطبة ٩١ ص ١٥٥ .

(٨) المعتزلّي٤٢٦/٦ .

(٩) ينظر : انصاريان ٢٨٢/١ وعبده ٢٠٩/١ وابو الفضل ٩٢/١ . (١٠) التستريّ ٥٤٩/٣ وينظر: المقاييس ٢٧٢ .
(١١) ينظر: السامرائّي ١١٩ .
(١٢) نفسه ٢٧٢

خامسا : انتقال مجرى الدلالة

كثيرا ما تتغيير دلالة الألفاظ العربية من مجال الى اخر لا على وجه التخصيص او التعميم وانما على وجه المخالفة[١] ويحصل الانتقال « عندما يتعادل المعنيان»[٢] الحقيقي والمجازي، «فالمعنى الجديد هنا ليس اخص من المعنى القديم ولا اعم بل هو مساو له، ولذلك يتخذ هذا الانتقال المجاز وسيلة له لما يملكه من قوة التصرف في المعاني »[٣] ، ويعدّ المجاز هو المحرك للطاقة التعبيرية في اللغة[٤] ، وبه تبتعد الالفاظ عن الخمول والرتابة بتجدد المعاني[٥] . والانتقال من مجال الى اخر جانب مهّمفي تطور الدلالة ، وذلك لتنوعه واشتماله على انواع المجازات والاستعارات .وهو لا يتم الا بتوافر جملة من العلاقات بين المعنى المنقول والمنقول اليه ،«ولذا يحصل بطريقين : الاستعارة ، اي المجاز الذي علاقته علاقة التشبيه ، والمجاز المرسل ، وهو الذي تكون علاقته غير التشبيه، كالسببية، والحالية، والمحلية، و الجزئية ، والكلية »[٦] وغير ذلك من العلاقات المجازية[٧] ، وقد نبه القدماء على هذا النوع من التغيير الدلالي ، وذلك في حديثهم عن المجاز وعلاقاته[٨] .

وقد تجلى هذا الضرب من التغيير الدلالي لدى شراح النهج من جانبين :الأول أنهم نظّروا للمجاز والاستعارة ببحث مستقل كما في مقدمتي البحراني والخوئي ، اللذين اشترطا في تعريفهما للمجاز وجود العلاقة بين المعنى المنقول ، والمنقول منه ، متابعة منهما لصاحب المحصول[٩]، الذي استدرك على سابقيه من الاصوليين[١٠] فاشترط هذا القيد من المناسبة بين المعنيين لحصول الانتقال في المعنى ، وذلك تحرزا من الالفاظ المرتجلة . ولولا هذه العلاقة لكان المجاز وضعا جديدا . وهذا ما اكد عليه البحراني باشتراطه «ان يكون النقل لمناسبة بين المعنيين ، والا لكان الثاني مرتجلا »[١١].

وقد بين المحدثون اهمية العلاقة الرابطة بين الاصل والفرع ؛ لانها القرينة الدالة على عملية الانتقال الدلالي ، فـ « الدليل المشروط في هذا التحول هو بمثابة الصريح على تعمد الباحث عصيان احد بنود العقد في منطوقه

---

(١) ينظر: التعريفات ٤ ودلالة الالفاظ١٦٠ودور الكلمة١٨١ وعلم الدلالة العربي٣١٤-٣١٥ .
(٢) اللغة (فندريس) ٢٥٦ . (٣) في الدلالة والتطور الدلالي١٣٢ وينظر : التفكير اللساني١٨٨.
(٤) ينظر : قاموس اللسانيات ٤٤ . (٥) ينظر : عوامل التطور اللغوي٥٧ وكلام العرب٤١-٤٢ ودلالة الالفاظ ٦١ . (٦) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القران٥٦ وينظر : فقه اللغة وخصائص العربية٢٢٠ وعلم الدلالة (عمر)٢٤٧.
(٧) ينظر : علم البيان ،دراسة تاريخية ١١٦-١٢١ والاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية٢١٢ وعلم البيان (عتيق)١١٩ وفقه اللغة وخصائص العربية٥٤٣ والمجاز في البلاغة العربية٦٣.
(٨) ينظر : الخصائص٤٦٨/٢ والصاحبي٤٥ واسرار البلاغة٢٢ ودلائل الاعجاز٢٧٧ والمزهر ٣٣٥/١

(٩) ينظر : المحصول ٣٩٧/١/١ .

(١٠) ينظر : المعتمد ١٦/١ وكشف الظنون ٢٠٠/٢ والاعلام ١٦١/٥ .

(١١) البحراني ٥٢/١ وينظر : الخوئي ٢٨/١ .

ومضمونه ، ويقوم الدليل مقام الجسر الرابط بين اختلال توازن انسجة المواضعة والمحافظة على الطاقة الابلاغية في الحدث اللساني»[١] . وقد استقصى الشارحان هذه العلاقة المجازية ، فأحصى البحراني منها اثني عشر صنفا ، على حين احصى الخوئي خمسة وعشرين[٢] . وقد خص الشارحان علاقة المشابهة بـ (الاستعارة) التي عرفها البحراني بانها « استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي بها التخاطب لاجل المبالغة في التشبيه»[٣] ، فعلاقة المشابهة هي الفاصل بين المجاز والاستعارة ، اذ يعتمد انتقال الدلالة في الاستعارة على المشابهة بين المدلولين ، على حين يكون انتقال مجال الدلالة في المجاز المرسل لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين[٤]. ونّبه البحراني على ان الاستعارة تاتي بالدرجة الثانية بعد المجاز في حصول الانتقال الدلالي ، وذلك في معالجته للفظة (النفس) الواردة في قوله (ﷺ) يصف من حوله:(جَرَّعْتُمُوْنِي نُغَبَ التَّهَامِ أُنفَاسًا)[٥] ، اذ قال : « انفاسا مجاز في الدرجة الثانية ، فان النفس حقيقة لغوية في الهواء الداخل والخارج في الحيوان ، ثم استعمل عرفا لمقدار ما يشرب في مدة ادخال الهواء بقدر الحاجة ، اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق ، ثم استعمل هاهنا في كل مقدار من الهم يرد عليه من قبل اصحابه وقتا فوقتا، وهي درجة ثانية من المجاز »[٦]. فالاستعارة في هذه اللفظة هي العلاقة الثانية ، المؤدية الى الانتقال المجازي للفظة (النفس) من الهواء المتنفس الى مقدار الهم الواقع عليه (ﷺ) . اما العلاقة الاولى لانتقال المعنى في هذه اللفظة فهي علاقة التعلق التي انتقلت بها اللفظة من معنى الهواء الى النفس الذي يحتاجه الانسان ، فتعاقب على هذه اللفظة انتقالان دلاليان ، وليس انتقالا واحدا ، فكانت الاستعارة الدرجة الثانية من المجاز كما ذكر البحراني . وخص الخوئي هذه المسالة ببحث مستقل عنوانه (جواز سبك المجاز على المجاز) ، اذ تابع في هذا التجويز ما أقره الزمخشري في أشاس البلاغة من تعاقب انتقالين على لفظة واحدة ، وهو ما عبر عنه المحدثون بـ« قدرة الكلمات على اتخاذ دلالات متنوعة تبعا للاستعمالات المختلفة التي تستعمل فيها ، او على البقاء في اللغة مع هذه الدلالات »[٧] ، اذ يزداد معنى الكلمة تغيرا كلما ازداد استعمالها . وقد مثل الشارح الخوئي لهذه الانتقالات بلفظة (النطح) التي يراد بها « تقابل الكبش ذي القرن مع مثله للمضاربة والتناطح ، ثم اطلق مجازا على الصيد المظاهر على الصياد المواجه له بعلاقة المشابهة ، فكانه يستقبل الصياد لينطحه بقرنه ، وهو مشؤوم عند الصيادين ، ثم استعمل في الرجل المشؤوم بعنوان الاستعارة ، فيكون مجازا بمرتبتين»[٨].

---

(١) التفكير اللساني ١٦٣-١٦٤ وينظر : اصول البيان العربي ٤٢ .

(٢) ينظر : البحراني ٥٣/١-٥٤ والخوئي ٣٨/١-٤١ .

(٣) البحراني ٦٥/١ وينظر : الخوئي ٩٠/١ .

(٤) ينظر : الصناعتين ٢٧٤ واسرار البلاغة ٥١ والاستغناء ٢٩٩ وجواهر البلاغة ٢٩٢ ودور الكلمة ٨٨

ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة٢٨٥ وفقه اللغة (وافي) . (٥) نهج البلاغة الخطبة ٢٧ ص ٦٣
(٦) البحراني ٣٩/٢ . (٧) اللغة (فندريس) ٢٥٤ .
(٨) الخوئي ٤٥/١ .

اما الجانب الثاني في بحث الشّرّاح هذا النوع من التغير الدلالي ، فيبرز في تلمسهم الفاظ النهج التي اعتراها تطّور دلالي. وفي هذا الجانب ركز الشّراح على مسألتين:

الأولى: هي التنبيه على الاصل الاول الذي انتقل منه المعنى ، وبيان نوع العلاقة المؤدية الى هذا الانتقال . وهي سمة اشترك فيها شراح النهج جميعا لأنها تمنح الدارس ثراء وفهما يمكنه من الوقوف على الصلة المعنوية بين الاصل والفرع مما لو درس منقطعا عن جذوره التاريخية . وقد اهتم المحدثون بهذا الاصل ، واطلقوا عليه المعنى الاساسي او المعنى المركزي[١]. اذ تتفرع منه المعاني الاخرى بنوع من الصلة[٢] . ولحرص الشّرّاح على تلمس العلاقة المؤدية الى الانتقال بدلالة اللفظ من مجال الى اخر ، لجؤوا الى التاويل لهذه العلاقة إنِ استغلق وضوحها لديهم . من ذلك ما بينه السامرائّي من انتقال دلالة لفظة (انصاحت) في قوله (ع) في الاستسقاء : (قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنا)[٣] ، من المعنى الاصلي ، وهو الشق الى معنى الجدب والجفاف ، لعدم ظهور العلاقة المؤدية الى هذا الانتقال ، فصرح السامرائّي بالحاجة الى التاويل لاستظهار هذه العلاقة قائلا:« انصاحت ، اي : جفت الجبال وجدبت، والاصل في الفعل انصاح هو بمعنى انشق ، ولا سبيل الى هذا إلا باللجوء الى التاويل توسعا»[٤].

وورد عند الشّراح التصريح بمصطلح (نقل المعنى) ، من ذلك انتقال دلالة لفظة (النكس) من السهام الى الضعيف من الرجال كما في قول الخوئي : « النكس اصله في السهام ، ونقل الى الضعيف من الرجال»[٥] . وقد بين المعجميون العلاقة المسوغة لهذا الانتقال في الدلالة ، بان (النكس) هو السهم الذي انكسر فوقه فجعل اعلاه اسفله ولذلك يكون رديئا ، وبهذه الرداءة شبه به الرجل الدني. وأكثر ما اصطلح الشّرّاح على (نقل المعنى) بعبارة : (الاصل) ، ثم اصطلحوا على المعنى الجديد الذي انتهت اليه الدلالة بعبارتي : ثم غلب في ، ثم كثر في[٦]. وبيّن الشّرّاح (نقل المعنى) من خلال ذكر العلاقات المؤدية لهذه الانتقالات ، ومن ابرز تلك العلاقات التي ذكروها علاقة المجاورة ، كما في لفظة (العذرة) التي تعني« فناء الدار ، وانما سميت تلك الحاجة عذرة ؛ لانها بالافنية كانت تلقى ، فكنى عنها بالعذرة كما كنى عنها بالغائط »[٧] . وكذا لفظة (الحُجْزة) إذ هي في الأصل « موضع شد الازار ، ثم قيل للازار حجزة للمجاورة »[٨] . ومن العلاقات الأخرى علاقة المشابهة ، كما في لفظة (صياصي) التي انتقلت من القرون ، الى معنى الحصون ، بعلاقة المشابهة في التحصن والامتناع ، اذ بين الشّرّاح ان « اصل الصياصي القرون، ثم استعير ذلك للحصون ؛ لانه يمتنع بها كما يمتنع ذو القرن بقرنه»[٩].

---

(١) ينظر اللغة المعنى والسياق ٣٥ (٢) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ٢٠١
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١١٥، ص :٢١٥ (٤) السامرائّي٢٣٧ . (٥) الخوئي ٣٧٩/١٩ .

(٦) ينظر للمزيد : المعتزلّي٧٨/٢ والخوئي ١٨٥/١١ والتستريّ٤٤٥/٩ وانصاريان٢٣١/١. (٧) المعتزلّي١١٩/١٩ .
(٨)انصاريان٢٠٨/١ وينظر : الراونديّ١٥٦/٢ والتستريّ٥٢/٢ والسامرائّي٢٩٧ .
(٩) المعتزلّي٩٠/١٥ وينظر : ابو الفضل١٤٣/٢ .

ومنها علاقة المصاحبة ، كما في (الحداء) ، اذ بين الشّرّاح انتقال دلالته من سوق الابل الى الصوت المصاحب للسوق[١] ، و(الوغى) الذي هو «في الاصل كلمة تعرب عن الأصوات الشديدة المتصلة ، ولما اقترنت الحرب بالصوت والضجيج والجلبة تحولت لها فكانت بمعناها »[٢]. وغير ذلك من العلاقات[٣] .

وفي شروح النهج امثلة كثيرة للانتقال من المجال الدلالّي المحسوس إلى المجرد(المعنوي) أو بالعكس. لكن امثلتهم للانتقال من المجال المحسوس إلى المجرد فاقت أمثلة الانتقال من المجرد إلى المحسوس بنسبة كبيرة . وهذا يوافق ما توصل اليه علم الدلالة الحديث[٤] الذي يرى ان الاصل الحسي يفترض ان يكون اقدم المعاني واقربها الى ظروف المكان والزمان التي عايشها اهل اللغة[٥] .

وأمثلة الانتقال الدلالي من المجال المحسوس الى المعنوي انماز البحراني من بين أقرانه بالتصريح بانتقالها. ومنها لفظة (النهج) في (نهج البلاغة) ، اذ ذكر البحراني ان «نهج البلاغة استعارة لطيفة لهذا الكتاب ، لان النهج حقيقة في الطريق الواضحة المحسوسة ، فوجه المشابهة ان الطريق لما كانت محل الانتقال بالمشي وقطع الاحياز المحسوسة من واحد الى اخر ، كذلك الذهن ينتقل في هذا الكتاب ...»[٦] . فهذا صريح بأن لفظة (النهج) انتقلت دلالتها من الطريق الذي ينتقل فيه الماشي الى الكتاب الذي تنتقل فيه الافكار . فهو انتقال من المحسوس الى المعنوي . ومنها لفظة (النكت) اذ بين البحراني ان النكت في الأصل « هو الاثر في الشيء يتميز بعض اجزائه عن بعض ... ومنه رطبة منكتة ، اذا بدا إرطابها ، ثم عدي الى الكلام والامور المعقولة »[٧] . و(المثاقيل) لدى البحراني «جمع مثقال ، وهو ما يوزن به الذهب والفضة ، ويكون حذاء لها ، ثم كثر استعماله حتى عدي الى الموزون ايضا،فيقال:مثقال مسك ونحوه،ثم عدي الى الامور المعقولة والمقادير منها ، فقيل : مثقال فضل»[٨].

ومن أمثلة الخوئي لهذا الضرب من التطور الدلالي نعته الماديات بعبارة (الاجسام) التي تنتقل بالاستعارة للمعنويات. كقوله في لفظة (الغلظة) : إنّها الخشونة ،والاصل في هذا اللفظ « ان يستعمل في الاجسام، لكن قد يستعار

---

(١) ينظر : السامرائّي١٢٤
(٢) السامرائّي١٢٦ وينظر: المعتزلّي١٩١/٢ و٧٦/٧ والبحراني ٤٢١/٢ وانصاريان١٥٠/١ والخوئي ٧١/٤ وابو الفضل٩٣/١.
(٣) ينظر : الكيدريّ٢٠٢/١ والمعتزلّي١٢٥/١١ .
(٤) ينظر : في اللهجات العربية٦٥ ودلالة الالفاظ١٦٥ وفقه اللغة وخصائص العربية٢٢٢ ومن اسرار اللغة١٤١ .
(٥) ينظر : الفلسفة اللغوية ٩٧-٩٨ .
(٦) البحراني ١٤٠/١ .

(٧) نفسه١٢٦/١ .

(٨) نفسه ١٢٤/١ وينظر:١٣١/١ و٦٢/٣ و٤٣٣ و٣٩١/٥ .

للمعاني كالكبير والكثير، قال تعالى: ﴿ **وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً** ﴾ [١] ، وقال: ﴿**ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ** ﴾[٢]»[٣]. وصرح السامرائّي بهذا النوع من النقل، كـ(الحسم) في قوله (ع):(لاَوتَحْسِمُوا أَحَدًا عَن حَاجَتِهِ)[٤] .فالحسم لدى السامرائّي يعني « القطع ، ومنه الحسام للسيف ، ولكنه صرف عن القطع المادي الى القطع المعنوي »[٥]. وصرح البحراني بأنّ « المعقول فرع للمحسوس»[٦]. وهذا ما اقره علم الدلالة الحديث الذي علل هذا النوع من الانتقال برقّي الحياة العقلية، « فكلما ارتقى التفكير العقلي جنح الى استخراج الدلالات المجردة وتوليدها ، والاعتماد عليها في الاستعمال»[٧] . فالمعنى الحسّي يمثل المعنى الاصلي للفظ الذي يتفرع منه عن طريق المجاز عدة معان[٨] . وهذا النوع من النقل في الدلالة يعكس قابلية الالفاظ على التنوع ، ويظهر ما فيها من كوامن معنوية يمكن الإفادة منها[٩] فالمجاز والاستعارة والكناية تخرج الألفاظ من الجمود والرتابة ، مما يمنحها حيوية وفاعلية[١٠] .

وقد اهتم الشارح البحراني بإبراز العلاقات المجازية ، والاستعارات التي ينتقل من خلالها اللفظ من مجال دلالي حسّي الى اخر معنويّ ، ومن ذلك ذكره للعلاقة السببية التي نقلت (القناة)[١١] من دلالتها على الرمح الى دلالتها على « القوة والغلبة والدولة التي حصلت لهم مجازا، وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب، فان الرمح او الظهر سبب للقوة والشدة»[١٢]. وكذا نقلت العلاقة السببية الألفاظ : العين[١٣] واليد[١٤] واللسان[١٥] من دلالتها على (الجوارح) الى دلالتها على العلم تجوزا بلفظ (العين) . والى التعاون بلفظ (اليد) . والى الوعظ بلفظ (اللسان)[١٦] . ومن تلك العلاقات علاقة المسببية ، كلفظة (الموت) التي سمّي بها الهم « تجوزا بلفظ الموت في الهم والغم ، تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه ، واطلاقا لاسم المسبب على السبب »[١٧]. ومنها- أيضا- علاقة المشابهة كما في (الانغماس) ، فهو « حقيقة في الدخول في الماء ، وما في معناه ، الا ان الحرب لما كانت في غمارها واختلاط المتحاربين فيها تشبه الماء المتراكم الجّم ، صحت نسبة الانغماس اليها ، كما صحت اليه ، فيقال: انغمس في الحرب وخاض فيها ونحوه »[١٨] وغير ذلك من العلاقات والأمثلة[١٩] .

---

(١) التوبة ١٢٣

(٢) لقمان ٢٤

(٣) الخوئي ٣٢٥/١٨ .

(٤) نهج البلاغة الرسالة ٥١ ص ٥٤٢

(٥) السامرائّي١٢٩ وينظر:٨٣ .

(٦) البحراني ٥٧/١ .وينظر: نهاية الإيجاز ٥٩ .

(٧) دلالة الالفاظ١٦١ .

(٨) ينظر : في اللهجات العربية١٧١ وكلام العرب٤٢ .

(٩) ينظر : علم الدلالة العربي٣٢٦ .

(١٠) ينظر: كلام العرب٢٤٤ ونظرية المعنى ٨٥

(١١) البحراني ٧٤/٢ وينظر : انصاريان١٤٥/١ .

(١٢) البحراني ٣٧٥/٣ .

(١٣) ينظر: نفسه٢١٧/٥ .

(١٤)ينظر: نفسه ٢١٠/٢ .

(١٥) ينظر: البحراني ٧٤/٢ و ١٤٥/١ . (١٦) ينظر : الخوئي ٣/١٣ ومغنية ٤٠٩/٥ .
(١٧) البحراني ٣٧/٢ . (١٨) البحراني ١٣٨/١ و١٢٧ .
(١٩) ينظر : المعتزلّي١٩٩/١ والبحراني ٤٢٩/٣ والخوئي ١٩٦/١٦و....

ومن الملاحظ ان اغلب الاصول الحسية التي ذكرها الشّرّاح مأخوذة من حياة الصحراء والبداوة لاسيما (الناقة والجمل) سواء كان الانتقال من هذا المحسوس الى مجال حسي اخر او إلى مجال معنوي ، حتى فاقت نسبتها الثمانين بالمئة من الاصول الحسية . وفي ذلك يقول السامرائّي:« وقد امدّ الحيوان وسائر المخلوقات ، العربية بمادة وفيرة استفيدت من علاقة ما، تشبيهاً أو نحو ذلك»[١] . ومن أمثلة هذا الانتقال لدى الشراح ان (الغرار) وهو قلة النوم ماخوذ من قلة لبن الناقة[٢] ، و(الاناخة) بمعنى الاقامة اصلها من اناخة الابل على الارض[٣]، و(المثافنة) بمعنى المجالسة اصلها من ثفنة البعير ، وهو ما يقع على الارض من اعضائه كالركبتين[٤] ، و(الدُّلَّح) وهو الثقيل من السحاب اصله من البعير الذي يمشي بالحمل وقد اثقله[٥] ، و(الضروس) بمعنى الحرب في الاستعمال المعاصر أصله من الناقة السيئة الخلق[٦] ، و(الرياضة) التي انتقلت من قولهم: راض المهر رياضة اي: ذلّله[٧]. ولفظة (المسافة) بمعنى « البعد ، واصله من الشم ، وكان الدليل اذا كان في فلاة اخذ التراب فشمه ليعلم اعلى قصد هو ام على جور ، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى سموا البعد مسافة »[٨] ، و (المباءة) بمعنى المنزل أصلها « هو الموضع الذي تبوء اي ترجع اليه الابل ، ثم جعل عبارة عن المنزل»[٩] . ومن النقل الى المعنويات لفظة (الصعب) ، وهو الامر الشاق ، والاصل فيه من البعير المستصعب يركبه الانسان فيغرر به[١٠]، و(البلية) بمعنى المشقة والعذاب ، الاصل فيها الناقة التي « تعقل في الجاهلية عند قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت ويحفر لها حفرة وتترك فيها الى ان تتفرق اجزاؤها »[١١] ، و(النجاة) بمعنى طاعة الله المؤدية للجنة ، والاصل فيها من الناقة التي ينجى عليها[١٢] ، و(الَوكة) بمعنى الثبات والبقاء ، اصلها من بروك الابل اذا نامت على الارض، ووجه هذا الدوام على الشيء[١٣] و(الحدو) بمعنى الباعث والمحرض، والاصل فيه ماخوذ من حدو الابل، وهو سوقها[١٤] ، و(المحافلة) بمعنى المفاخرة بالامتلاء ، والاصل من الحفل وهو امتلاء ضرع الناقة باللبن[١٥] ، و(الكانفة) بمعنى العاصمة ، والاصل فيها من كنفت الابل ، اي : جعلت لها كنيفا ، وهي الحظيرة من الشجر تستتر فيها[١٦] ، و(القصيدة) بمعنى الكلمة الممتلئة بالمعاني ، والاصل فيها من الناقة القصيدة ، اي كثيرة الشحم واللحم[١٧] ، و(الوله) بمعنى ذهاب العقل ، واصله من النوق الوالهة ، اي الفاقدة اولادها[١٨] ،

---

(١) السامرائّي١١٥ . (٢) ينظر: المعتزلّي٢٦٦/٦ وابو الفضل١٥٨/١ والموسويّ٤٨٧/١
(٣) ينظر : التستريّ١٥٩/٦ . (٤) ينظر : السرخسي٢٦٧/١ .
(٥) ينظر : انصاريان٢٨٥/١ . (٦) ينظر : السامرائّي ١٩٢ . (٧) ينظر : نفسه٦٧ .
(٨) الراونديّ١٠٤/٣ وينظر:التستريّ ٢٦٣ . (٩) الخوئي ٢٥٣/١٤ .
(١٠) ينظر:المعتزلّي١٣٣/١٦وابو الفضل٢٠٣/٢. (١١) البيهقّي٢٢ .

(١٢) ينظر : المعتزلّي٢٣٩/٩ والبحراني ٢٧٢/٣ . (١٣) ينظر: الشيرازي١٢٦/٣ .
(١٤) ينظر : المعتزلّي٧٠/١٧ والبحراني ١٢٤/١وانصاريان٢٥٨/٣ (١٥) ينظر: الخوئي ٢٦٧/١ .
(١٦) ينظر : المعتزلّي٢٩٦/٨ وعبده٢٨/٢ . (١٧) ينظر : البيهقّي٤٥٩ (١٨) ينظر : ابو الفضل١١٧/١ .

و(السدى) وهي من الابل المهملة بلا راع فانتقلت الى اهمال الناس بلا حاكم[١] ، و(انجابت) من قولهم : انجابت الناقة اذا مدت عنقها للحلب فانقلت الى معنى الخضوع لنور البصائر[٢]، و(القريحة) لما يستنبط من الاراء ، والاصل فيها هو اول ما يستنبط من ماء البئر[٣] ، و(الورطة) بمعنى الهلاك[٤] ، والاصل فيها من الارض المطمئنة التي لا طريق فيها[٥] ، و(الوعثاء) بمعنى الصعوبة، والاصل فيها من الرمل اللين السهل الذي تغيب فيه الاقدام[٦] ، و(الرحيل) بمعنى السفر ، والاصل فيها وضع الرحل استعدادا للركوب[٧] .

اما الانتقال من المجال المعنوي الى المجال الحسي ، فورد في امثلة قليلة لدى الشّرّاح ، وقد علل المحدثون هذا النوع من الانتقال بإرادة التوضيح الدلالي[٨] ، اذ يجري فيه تمثيل الصورة الذهنية بمعان حسية بهدف تقريب المعنى الى الاذهان[٩]، فيكون أكثر رسوخا في النفس[١٠]. ومن امثلة الشّرّاح لهذا الانتقال[١١] ذكرهم ان اصل (البغي) هو الحسد ، ثم سمي به الظالم ، وهو الخارج على السلطان او قاطع الطريق ؛ لان الحاسد ظالم[١٢] . وان الاصل في (الجزر) هو« القطع ، ومنه سميت الجزور لما ينحر من الابل »[١٣]. وأنّ لفظة (الجأش) تعني (القلب) ، و« الاصل في معناه الاضطراب ، سمي جاشا لاضطرابه »[١٤]، ولفظة (الرنق) بكسر النون تعني (الكدر) ، « واصل ذلك في العيش ، ونقل الى المشرب مجازا »[١٥] ، و (الضريح) بمعنى الشق وسط القبر « وأصله من ضرحه بمعنى دفعه ، وسمي بذلك لعلاقة الحال والمحل ، فان الميت مدفوع الى هناك »[١٦] . و « اصل اليتم:الغفلة،ومنه سمي اليتيم لانه يغفل عنه»[١٧]. ولم تذكر المعجمات هذا المعنى الأصلي ، واكتفت بذكر المعنى العرفي لليتيم وهو من فقد اباه من البشر ،ومن فقد امه من الحيوانات[١٨].

---

(١) ينظر : عبده ١٣٦/١ . (٢) ينظر : السامرائّي ١١٧ .
(٣) ينظر : الراونديّ٣٨٤/١ والمعتزلّي٤١٤/٦ وانصاريان١٤٢/١ ٢٧٣ والشيرازي٢٣٧/١ .
(٤) ينظر : الراونديّ٣٤٨/١ والكيدريّ٣٩٨/١ والمعتزلّي٢٧٦/٦ والسرخسي١١/١ والتستريّ١٩١/١٢ وابو الفضل ١٦٣/١ .
(٥) ينظر : الصحاح .
(٦) ينظر :الراونديّ٢٦٢/١ والكيدريّ٢٩٤/١ والبحراني ١٢٢/٢ وانصاريان٣٨٣/٢ وابو الفضل١١٠/١ والموسويّ٣٣٣/١ .
(٧) ينظر : السامرائّي٧١ و ١٧٤ . (٨) ينظر : دلالة الالفاظ١٦٠ ودور الكلمة ١٨٦ .
(٩) ينظر : اصول البيان العربي في ضوء القران الكريم ٨٦ . (١٠) ينظر : اساليب البيان في القران٦٥٠ .
(١١) ينظر : البيهقّي٢٢٧والراونديّ ٣٧٢/٢ ، ٢٥٣/٢ والكيدريّ٥٥٤/١ ،٣٥٥/٢ والمعتزلّي٢٢/٧ والبحراني ٥٣/٤ و٢٧١/٥ والخوئي٢٤٩/٣ ، ٣٣٦/٢٠ والتستريّ٢٧٤/٨ .
(١٢) ينظر: ينظر : المقاييس ١٤٢ والمفردات ١٣٦ (١٣) البحراني ٤٠٥/٢. (١٤) التستريّ ٥٥٧/١٣ .

(١٥) ابو الفضل١٥٢/١ .
(١٦) الشيرازي٣١٦/١ وينظر: عبده١٦٦/١ والسامرائّي٢٣٩ .
(١٧) التستريّ ٧٧/١١ .
(١٨) ينظر : المقاييس١١٠٩ والمفردات٨٨٩

على حين قلت الالفاظ التي ذكر الشّرّاح انتقال معناها من المجال المعنوي إلى آخر معنويّ ، لتقتصر على بضعة أمثلة ، منها لفظة (السفه) التي بين الخوئي ان الاصل فيها منقول من معنى (الخفّة) الى معنى النقص في العقل والقدر ، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ** ﴾[١] ، اي : جهل قدره[٢]. ولفظة (الغّي) التي ذكر الخوئي انتقالها من معنى الجهل من اعتقاد فاسد الى معنى الضلال والانهماك في الباطل ، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ **فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** ﴾[٣] ، والغّي هو (العذاب)[٤] ، ووجه النقل تسمية « الشيء بما هو سببه »[٥]، اي : تسمية العذاب بالغّي ، وهو الضلال المسبب للعذاب.

واغلب النماذج التي اوردها الشّراح للانتقال بالمعنى من المجال الدلالي المجرد لها اصول حسّية في معجمات اللغة ، فلفظة (السفه) التي ذكر الشّرّاح ، اصلها المعنوي و هو الخفة ، نجد اصلها الحسي من قول العرب : تسفهت الريح ، اذا مالت ... ويقال تسفهت فلانا عن ماله اذا خدعته كأنّك ملت به عنه[٦]، وقد المح الراونديّ الى هذا الاصل بقوله : « والسفه : ضد الحلم ، واصله الخفة والحركة ، يقال : تسفهت الريح الشجر ، اي : مالت به»[٧] . ولفظة (الغي) بمعنى الجهل من اعتقاد فاسد ، أصلها الحسي هو الغياية ، وهي الغبرة والظلمة تغشيان ، ويقال : تغايا القوم فوق راس فلان بالسيوف ، كانهم اظلوه بها ، ويقال : وقع القوم في أغوّية ، اي داهية ، وامر مظلم[٨] . ولفظة (البغي) أصلها المحسوس من قولهم : بغى الجرح ، اذا ترامى الى فساد[٩] . ولفظة (الجزر) التي ذكر الشّرّاح انتقالها من القطع ، لها في كلام العرب أصل حسّي هو الجزرة ، وهي « الشاة التي يقوم اليها اهلها فيذبحونها»[١٠] ، والشيء نفسه في لفظة (الجأش) التي أصّل لها الشّرّاح بمعنى الاضطراب ، تذكر لها المعجمات اصلا حسيا ، هو جيشان القدر، اي غليانها واضطرابها[١١] ، ولفظة (الضريح) ذكرت المعجمات لها اصلا حسيا من قولهم : فرس ضروح ، وهو النضوح برحله ، وقوس ضروح : الشديدة الدفع للسهم[١٢].

ويمكن القول ان ما ذكره الشّرّاح من اصول معنوية (مجردة)للالفاظ هو في الحقيقة معان عامة دلّت عليها الالفاظ بغض النظر عن اصولها ، حسية كانت ام معنوية؟ وربما يقف تعاقب الاستعمال اللغوي للالفاظ بمعنى معين في كل مرة وراء تعدد القول في الاصول الدلالية للالفاظ ، فتجدد معاني الالفاظ « ناتج من المواضعة التي تمثل تشكلا دائما ومستمرا للغة »[١٣] ،وانتقال الدلالة من مجال الى اخر « يتم عادة في صورة تدريجية، وتظل الدلالتان سائدتين

---

(١) البقرة ١٣٠ وينظرك الكشاف ٣٢١/١ .
(٢) ينظر : الخوئي ٢١١/٣ .
(٣) مريم ٥٩
(٤) ينظر: الكشاف ٢/ ٥١٤ -٥١٥ .
(٥) الخوئي ٣٨١/١٩ .
(٦) المقاييس ٤٨٢
(٧) الراونديّ ٢٦٧/٢ .
(٨) المقاييس ٨٠٦ .

(٩) ينظر : المقاييس ١٤٢ .　　(١٠) نفسه٢١٥ .

(١١) نفسه٢٣٢ .　　(١٢) ينظر : نفسه٦١٢ .　　(١٣) قاموس اللسانيات٤٤ .

جنبا الى جنب زمنا ما خلاله ، وقد تستعمل الدلالة المحسوسة فلا تثير دهشة او غرابة، وتستعمل في نفس الوقت الدلالة المجردة فلا يدهش لها احد . وليست احداهما حينئذ باحق واولى بالاصالة من الاخرى، حتى يمكن ان تعد احدى الدلالتين مما يسمى بالحقيقة،والاخرى مما يسمى بالمجاز،اذ لا مجاز ولا حقيقة بينهما في مثل هذا الحال»[١].

فبعد كثرة الاستعمال وشيوع اللفظ بين الناس بالمعنى الجديد ، تصبح دلالته على المدلول الجديد حقيقية لا مجازية[٢] ، اي ان اللفظة الواحدة تتوالى عليها الحقائق المعنوية مع تعاقب الاستعمال، وهكذا تكثر اصولها الدلالية . ويمكن توضيح ذلك في لفظة (الفجور) التي ذكر الشراح[٣] لها اصلا معنويا ، وهو الميل عن الصواب ، مستشهدين بقول لبيد[٤] :　**فَإِنْ تتَقَدَّم تَغْشَ مِنْهَا مُقدَّما　　غَيظًا وإنْ أَخَّرتَ فَالكِفْلُ فَاجِرُ**

ثم ذكروا انتقال دلالة اللفظة الى العاهر والفاسق . وقد فصل ابن فارس الانتقالات الدلالية المتعاقبة على هذا اللفظ بأثر الاستعمال ، اذ بين ان المعنى بدا باصل عام هو « التفتح في الشيء ، من ذلك الفجر انفجار الظلمة عن الصبح ... ثم كثر هذا حتى صار الانبعاث والتفتح في المعاصي فجورا ، ثم كثر هذا حتى سمي كل مائل عن الحق فاجر »[٥] ، فالاصول تتعاقب على اللفظة بتعاقب الاستعمال عليها لتصبح حقائق دلالية للفظة ، والمعنى الحقيقي هو المعنى الاصلي للفظة . لذلك يكون القول بالمعنى العام للفظة الذي تتفرع منه دلالاتها الحسية والمعنوية هو الحل في حسم القول بالاصول الدلالية للالفاظ .

وأبدى شراح النهج اهتماما واضحا بالتاصيل الدلالي للالفاظ باعتماد المعنى العام للفظة ، من ذلك لفظة (المدالسة) ، اي : « الخديعة ، يقال : فلان لا يوالس ولا يدالس ، اي : لا يخادع ولا يخون ، واصل الدلس الظلمة ، والتدليس في البيع : كتمان عيب السلعة عن المشتري »[٦] ، فالمعتزلّي يذكر - هنا - الاصل الدلالي لهذه اللفظة ، وهو الظلمة ، وينبه – أيضا - على المعنى الحسي والمعنوي لهذا الاصل ، وهو كتمان العيب في السلعة ، والخداع[٧] . ولفظة (التهزيع) في قوله (ع) : (إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الأَخْلاقِ)[٨] ، وردت في كلام الامام (ع) بالمعنى الذهني مع الاخلاق ، وهو « تغييرها ، واصل الهزع : الكسر ، اسد مهزع : يكسر الاعناق ويرض العظام »[٩] ، فالمعنى الاصلي للفظة هو معنى عام ، وهو الكسر ، والى جانبه ما تفرع منه من المعنى الحسي الماخوذ من قولهم : اسد مهزع . ومما ذكره المعجميون « تهزعت القناة : اضطربت ، وتهزع السيف : اضطرب ، وتهزعت الابل في سيرها :اهتزت ، وهزعت العظم : كسرته »[١٠]

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية٢٢١ .　　(٢) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية٢٢١ ودلالة الالفاظ١٣٠

(٣) ينظر : المعتزلّي٦٧/١١ والتستريّ ٤١١/١ .　　(٤) ديوانه ٥/٢

(٥) المقاييس٨٣٦ .　　(٦) المعتزلّي ١٠٩/١٧ .

(٧) ينظر: المقاييس٩٦٣ .
(٨) نهج البلاغة الخطبة ١٧٦ ص ٣١٨
(٩) المعتزلّي١٠/٢٨ .
(١٠) المقاييس ١٠٧ وينظر: الصحاح ١٠٩٨ .

ومن ذلك لفظة (الضراء) التي ذكر لها السامرائي معنى حسّيا هو : شجر الوادي الملتف ، والمعنى الذهني هو الذي يقال لمن يخاتل ويخادع[١] ، فالضراء : شيء فيما يواري من شجر او غيره ، وهو يمشي له الضراء اذا كان يخاتله ويخادعه[٢] ، وهذه المعاني الحسية والذهنية يجمعها معنى عام هو (الخفاء) المفهوم من قوله (ع) يصف المنافقين : (قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَصِفَاحُهُمْ مَنْقِيَّةٌ . يَمْشُونَ الْخَفَاءَ ، وَيَدِبُّونَ الضَّرَّاءَ ...)[٣] ، اذ استدل السامرائّي بسياق الخطبة على الدلالة العامة للفظة التي تتفرع منها المعاني الحسية او المعنوية قائلا: « ... وكاني المح فيه الاستخفاء قبل كل شيء هنا ، ويدل على ذلك العبارة السابقة ، وهي قوله : يمشون الخفاء ، وقد فهم منها الامام محمد عبده : انهم يمشون على هيئة دبيب الضراء ، اي يسيرون سريان المرض في الجسم ، او سريان النقص في الاموال والانفس والثمرات »[٤] . ومن ذلك – ايضا – لفظة (الضراعة) في قوله (ع) موبخا بعض اصحابه:(أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ)[٥] وردت بمعناها المجرد الدال على الاذلال ، وتلمس السامرائّي لهذه الدلالة معنى عاما هو دلالتها على (النزول) ، بقوله : « واضرع تعني اذل ، وكان الاضراع هو الخسف ، وهو في حقيقته نزول ، ومن اجل ذلك صرفوه الى الذل»[٦] وكان ابن فارس قد أورد المعنى العام للضراعة على انه : اللين في الشيء ، ليصلح من خلاله التفرع الى المعنى الحسي والذهني معا ، وهو ذل الرجل من جهة ، وضرع الشاة من جهة اخرى « سمي بذلك لما فيه من لين ، ويقال : اضرعت الناقة اذا نزل لبنها عند قرب النتاج »[٧] .

وتفاوت الشّراح في تحديد الاصول الحسية والمعنوية للفظة الواحدة[٨] ، من ذلك لفظة (المناقشة) التي ذكر معظم شراح النهج[٩] انتقالها من المجال المحسوس في قولهم « نقشت عن الشوكة اذا كشفت عنها اللحم والجلد حتى تستخرج بالمنقاش »[١٠] الى المعنى الذهني الذي هو محاسبة النفس والجوارح ، حتى قيل : من نوقش الحساب عذب[١١]، وعكس التستريّ الامر قائلا « اصل النقش استقصاؤك الكشف عن الشيء »[١٢] . ومن ذلك لفظة (العسف) التي ذكر معظم الشراح[١٣] انتقالها من المعنى الحسي وهو أن يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة ، الى المعنى الذهني وهو الجور والظلم[١٤] . لكن الخوئي ذكر اصلا اخر لهذه اللفظة هو « ركوب الامر على غير

---

(١)ينظر: المعتزلّي١٠/١٦٧
(٢) ينظر: المقاييس ٦١١ .
(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٩٤ ص ٣٨٦
(٤) السامرائّي ٢٤١ وينظر: عبده ١/٤٢٦ .
(٥) نهج البلاغة الخطبة ٦٩ ص ١٠٨
(٦) السامرائّي ٢٤٠ .
(٧) المقاييس٦١٤ .
(٨) ينظر للمزيد : الكيدريّ٢/١٦٠ والبحراني ١/١٢٤ وانصاريان٣/٨٧ والخوئي ١/٢٦٨ والتستريّ /٥٥ .

(٩) ينظر :البيهقي ٨٣٢ والراوندي ١٣٤/٣ والكيدري ٤٨٩/٢ والمعتزلي ١٦٨/١٦ والبحراني ٨٩/٥ والسرخسي ٢٥٥/١ وعبده ٦٧/٢ والخوئي ٧٤/٢٠ ومغنية ٥٥٩/٣ وأبو الفضل ٢١٥/٢ والشيرازي ١٠٠/٤ والموسوي ٤٤٨/٤وانصاريان١٣٨/٣

(١٠) المقاييس ١٠٤٥ . (١١) النهاية ١٠٥/٥ (١٢) التستريّ٣٩٠/٨ .

(١٣) ينظر : الراونديّ٥٨/٣ والمعتزليّ١٥٤/١٥ (١٤) ينظر : المقاييس١٠٤٥ والصحاح ٧٠٣ .

روية ، فنقل الى الظلم والجور »[١] . ومن ذلك اختلافهم في الاصل الدلالي للفظة (الحكمة) ، فقد ذكر الكيدريّ ان « اصل الحكمة المنع ، ومنه حكمة اللجام ؛ لانها تمنع الدابة من الاعوجاج »[٢]، ونقض الشارح رايه السابق في موضع آخر فقال : « الحكمة : العلم الذي يدفع الانسان عن فعل القبيح ، مستعار من حكمة اللجام »[٣] ، فذكر اولا ان حكمة اللجام ماخوذة من معنى المنع، ثم جعلها اصلا للمنع.ويلحظ مثل هذا الخلط في تلمس أصل الحكمة لدى شراح آخرين[٤] .

ومن ذلك لفظة (الوشيجة) التي ذهب معظم الشّرّاح الى ان الاصل فيها حسي ، وهو دلالتها على عروق الشجرة[٥] ، ومن هذا الاصل انتقلت دلالة اللفظة الى الرحم والقرابات[٦]، وخالف التستريّ ، فذكر ان الاصل الدلالي للفظة هو الاشتباك ، ومنه اخذ المعنى الحسي ، وهو عروق الشجرة[٧].

وقد امتد اضطراب الشّرّاح في تاصيل دلالات الالفاظ ليشمل تباين ارائهم في تحديد الاصول الحسية للالفاظ المنتقلة دلالاتها من المجالات الحسية ، من ذلك اختلافهم في تاصيل لفظة (متذائب) في قوله (ع) : (ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُم جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ ...)[٨]، فقد سبق الشريف الرضيّ إلى بيان معناها بقوله:« متذائب ، اي : مضطرب ، من قولهم : تذاءبت الريح ، اي اضطرب هبوبها ، ومنه سمي الذئب ذئبا لاضطراب مشيته»[٩]، وتابع فريق من الشّرّاح الرضيّ في جعل الاصل الحسي لهذه اللفظة ماخوذ من الريح[١٠]، على حين ذهب اخرون الى ان الاصل الحسي للفظة ماخوذ من مشية الذئب [١١] ، كقول السامرائيّ:« متذائب اي : مضطرب ، وهو في الاصل ماخوذ من كلمة الذئب المعروف ، لمحا لاضطراب مشيته ، وليس العكس كما ذهب الشريف الرضيّ في شرحه»[١٢] . وكذا ذهب أكثرهم الى ان (الشكيمة) منقولة من المعنى الحسي الذي هو « الحديدة المعترضة في اللجام في فم الدابة»[١٣] الى المعنى المجرد ، وهو الاباء والقوة ، لكن الراونديّ رأى أنها « من شكم اذا عض ، فقوله : اشتدت شكيمته ،

---

(١) الخوئي ٣٨٢/١٨ . (٢) الكيدريّ٦٠٣/١ .

(٣) نفسه٦١٣/٢ . (٤) ينظر : المعتزليّ٤٤٠/٦ البيهقّي٤١٢ و٢٢٣ .

(٥) ينظر : المقاييس١٠٩٣

(٦) ينظر : الراونديّ٤٠١/١ والمعتزليّ٤٢٩/٦ وعبده٢١٢/١ والسامرائيّ٣٦١ وانصاريان٢٨٦/١.

(٧) ينظر :التستريّ٤٧٤/٢

(٨) نهج البلاغة الخطبة ٣٩ ص ٨٢

(٩) المعتزليّ٣٠٠/٢ .

(١٠) ينظر : المعتزلّي٢/٣٠٠ ومغنية١/٤٧٢ والموسويّ١/٣٠٣.
(١١) ينظر : البيهقّي١٢٩ والكيدريّ١/٢٨٠ .
(١٢) السامرائّي١١٤-١١٥ و ينظر : المعتزلّي٧/١٠٠ والبحراني ٥/٧٩ وعبده١/٢٤٤ والخوئي ٢٠/٦٦ والشيرازي٤/٩٧.
(١٣) المقاييس٥٣٣

اذا ضعفت عضته وصارت نفسه مجربة معضضة صلبة »[١] . ومن ذلك (الجفاة) إذ اختلف الشّرّاح بين ان تكون من جفا الثوب يجفو اذا غلظ[٢] ، او من جفا السرج عن ظهر الفرس ، اذا نبا وارتفع[٣] ، وعن احد هذين الاصلين انتقلت دلالة اللفظة الى المعنى الذهني وهو الغلظة والفضاضة . ومن ذلك اختلافهم في لفظة (الصريع) ، فمنهم من ذكر ان الاصل الحسي لهذه اللفظة هو الصريع من الاغصان ، وهو ما تهدل منها وسقط الى الارض ، ثم انتقلت الى القتيل[٤] ، ومنهم من ذهب الى ان « اصل الصرع الطرح على الارض »[٥] . ومن ذلك اختلافهم في لفظة (العقب) التي انتقلت دلالتها الى معنى المتابعة والموالاة ، فمنهم من ذكر ان الاصل الحسي لها من قولهم :« جاء زيد يطا عقب عمرو ، والمعنى : كلما رفع عمرو قدما وضع زيد قدمه مكانها »[٦] . ومنهم من ذهب الى ان العقب « اصله جرى الفرس بعد جريه ، يقال : لهذا الفرس عقب حسن»[٧] . ومن ذلك لفظة (الشموخ) التي انتقلت دلالتها الى العلو ، فمنهم من ذهب الى انها منقولة « من شمخ الجبل اذا ارتفع »[٨] ، ومنهم من ذهب الى ان الاصل فيها من « شمخ بانفه ، اي تكبر»[٩] .

ومن هنا نجد دعوات بعض المحدثين الى اقصاء القول بالاصل الحسي ، او المعنوي في دلالات الالفاظ ، ليستبدل به القول بدلالة اللفظ على معنى عام مستحصل من ائتلاف أصواته مع بعضها ، ومن هذا المعنى العام تتفرع المعاني الحسية او المعنوية بحسب الاستعمال اللغوي لها ، وبذا يتسع مجال اللغة ولايقف عند الصحراء ، والجمال ، والبداوة ، بل يتعداه ليشمل جوانب البيئة اللغوية العربية كلها من بداوة وتحضّر[١٠] ، وهي دعوى نجد جذورها التطبيقية لدى ابن فارس في المقاييس والمجمل ، والراغب في المفردات .

---

(١) الراونديّ١/٤٤٢ .
(٢) ينظر :المعتزلي ٨/١٠٧ و الخوئي ١٥/٢١١ .
(٤) ينظر : الخوئي ٧/١٤٦.
(٣) ينظر: العين ١/٣٠١ .
(٥) الموسويّ١/٣٧٤ .
(٦) الخوئي ٥/٣٥٠ .
(٧) المعتزلّي ٦/٢٤٨ وينظر : عبده١/١٦٥ وابو الفضل١/١٥٣
(٨) انصاريان ١/٢٩٢ .
(٩) المعتزلّي٦/٤٤٠ .
(١٠) ينظر : الحل القصدي٢٤٦ و٢٤٩ واللغة الموحدة٢٨٧ والنظام القراني١١٨

الخاتمة

أسفر البحث في هذا الموضوع عن عدة من النتائج والتوصيات ، أهمها :

- نهج البلاغة سفر جليل كان ولما يزل ميدانا خصبا تتبارى فيه افكار طالبي العربية وعقولهم ، والنظر فيه يورث المروءة والشجاعة والعفة ؛ لانه من لدن رجل هو من الرسول (صلى الله عليه وآله) بمنزلة هارون من موسى .

- شراح نهج البلاغة جاوز عددهم المئتين عبر القرون ، وما وصل الينا من شروحهم قليلها بعد ان اتى الزمن على كثيرها ، وتعد الشروح التي وصلت الينا من اغنى كتب المكتبة العربية عناية بفنون العربية ، وتنبع اهميتها من اهمية نهج البلاغة الذي هو فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق . وهذه الشروح لم يعرف بعضها لدى طالبي العربية ، وهذه دعوى لدرسها لغويا ، ومنها شرح الراوندي وشرح الكيدري ، وشرح البحراني ، وشرح التستريّ .

- اختط كل شارح منهجه الى متن النهج ، فقد نحا الراوندي في شرحه منحى لغويا فقهيا مع ميل الى الاختصار على حين طغى السرد التاريخي على شرح المعتزلي مع ميل الى التفصيل والتوسع في شتى الفنون والمعارف ، والاهتمام بعقيدة الاعتزال وكثرة الرد على الراوندي . وطبع شرح البحراني بطابع فلسفي مع ميل الى اقتفاء اثر المناطقة الاصوليين في انتقاء الالفاظ وتبويب الكلام . وتباين الشراح اللاحقون في اقتفاء اثر سابقيهم ، فقد تابع الكيدري الراوندي ، على حين شايع عبده وانصاريان وابو الفضل المعتزلي ، وجمع المتاخرون كالخوئي والشيرازي ومغنية والموسوي سبل السابقين رغبة في الاجتهاد الشخصي ، على حين برز التستريّ بمنهج مستقل عن السابقين ، فاختار المنهج الموضوعي في شرح متن النهج ، وهو من اكثر الشراح ردا على المعتزلي والانتصار للراوندي .

- تعددت طرق الشراح في تناول متن النهج من حيث : توثيق متنه والاستدراك على جامعه ، وتوجيه رواياته ، وتتبع مصادره قبل الرضي وبعده ، وتصحيح متنه من خلال المقابلة بين نسخه وذكر مناسبة الخطب واسمائها وغير ذلك .

- اجتهد الشراح في بيان اثر النهج في التراث العربي الاسلامي من حيث : اثره في تفسير القران الكريم ، وفهم القصص القراني والحديث الشريف والفلسفة الاسلامية . ثم تلمس اثر النهج في الادب العربي والبلاغة العربية والنحو العربي والمعجم العربي والتصحيح اللغوي والعلم الحديث .

- كان شراح النهج من اشد المناصرين له أزاء الشبهات التي حامت حوله ، ومنها : شبهة ذم الصحابة ، والسجع ، والنزعة الفلسفية ، والانباء بالغيب ، وغير ذلك .

- يكاد يتفق الشراح في عرضهم البحث الدلالي في شروحهم ، وامارة الاتفاق بينهم انهم خلطوا في الجانب التطبيقي ما بين اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول وقصدية تلك العلاقة .

- انماز الشارحان البحراني والخوئي بالتنظير المفصل لمبحث دلالة الالفاظ ، وعلاقة الدال بالمدلول وذلك في مقدمتيهما اللتين جاءتا زاخرتين بالتعريف بالمباحث الدلالية من حيث : تقسيم الالفاظ ، وعلاقة اللفظ بالمعنى وذكر انواع الدلالات ، ثم برزوا حدود الترادف والمشترك والتضاد والحقيقة والمجاز والتطور الدلالي .

- نحا البحث منحى قصديا في توثيق العلاقة بين الدال والمدلول وفي فنون اللغة جميعها : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والمعجمية ، وفي هذا المقام يوصي البحث باعادة درس هذه المباحث على وفق المنهج القصدي للغة الذي ارسى قواعده المفكر العراقي عالم سبيط النيلي .

- وثق الشراح طبيعة العلاقة بين الصوت والمعنى في مواضع متفرقة من شروحهم لاسيما في التعاقب الصوتي بين الكلمات التي تشترك في نوع اصواتها عدا صوت واحد نحو : (وخز ، وكز) ، (لطم ، لدم) الخ . فضلا عن تلمس المعاني المختلفة بين الالفاظ المتشابهة تبعا لتعاقب الصوائت القصيرة عليها ، نحو : (جهد ، جهد) ، (خبر ، خبر) الخ .

- توقف الشراح عند ظاهرة التكرار الصوتي بين الالفاظ ، نحو : (الشقشقة) ، و (الجرجرة) ، و (الذعذعة) ، و (الهمهمة) الخ . واجتهد بعضهم في قرن معنى اللفظة العام بطبيعة التكرار الصوتي لاصواتها .

- المح الشراح الى ما يفيده الاداء الصوتي لمتن النهج من دلالة يفهم بها معنى النهج ، كالنبر ، والتنغيم ، والفصل ، والوصل على الرغم من انهم لم يسموا هذه الظواهر الصوتية باسمائها التي عرفت لدى المحدثين .

- عني الشراح بتتبع معاني الابنية الصرفية عناية واضحة شملت الابنية الاسمية والفعلية ، اذ توالت اقوالهم في اقرار معاني الابنية الاسمية المجردة والمزيدة بحرف ، او المزيدة بحرفين فاكثر ، فضلا عن تلمس معاني ابنية الافعال الواردة في النهج وهي كثيرة ومتنوعة . وقد حاول البحث التوفيق بين اقوال الشراح المتعددة في البناء الواحد لتوجيهها الى دلالة واحدة ، فلا نيابة صرفية بين بناء واخر ، ولا دلالات متعددة للبناء الواحد .

- عني الشراح بدلالة الالفاظ الواردة في النهج كما يسوقها المعجم العربي ، فنبهوا على الالفاظ المترادفة ، وتلمس بعضهم فروقا لغوية بينها ، واشاروا الى ما جاء مشتركا منها او متضادا ، وتتبع بعضهم مسيرة اللفظة في سبيل العربية وتطورها من معنى الى اخر هبوطا او رقيا ، ضيقا او اتساعا ، وغير ذلك . وقد انفرد السامرائي من بين الشراح المتاخرين بتتبع التطور التاريخي للالفاظ والتنبيه على الاستعمال المعاصر لها .

- عني الشراح بإعراب متن النهج ومن ثم زخرت شروحهم بمعاني النحو العربي من حيث : دلالة تعاقب حركات الإعراب على اللفظة الواحدة تبعا للروايات العديدة ، ودلالة التراكيب المختلفة بسبب التقديم والتاخير ، والتعريف

والتنكير ، والفصل والوصل ، وعود الضمائر ، والحذف والذكر ، وغير ذلك . واكثر ما جلب انتباه الشراح في الجانب النحوي هو عنايتهم بابراز معاني الادوات والحروف في متن النهج .

وفي هذا المقام خلص البحث الى ان لكل اداة معنى رئيسا مهيمنا على ورودها في اي سياق ترد فيه ، فلا تتعدد دلالة الاداة الواحدة ، ولا تتضمن الاداة معنى أداة أخرى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

[حرف الألف]

- **ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة** : عبد اللطيف الشرجيّ الزبيديّ (ت٨٠٢هـ) ، تحقيق الدكتور طارق الجنابي ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٧ .
- **أبحاث في أصوات العربية** : د.حسام سعيد النعيمي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٨م .
- **أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية** : د . رشيد العبيدي ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ١٩٨٨ م .
- **ابراهيم السامرائي وجهوده في اللغة والتحقيق** : علي حسين عبد الحسين السراي ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة القادسية ٢٠٠٣م .
- **ابن الأعرابي مع دراسة وتحقيق كتاب النوادر وجمع مروياته** : كامل سعيد عواد ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٧٦م .
- **أبنية الصرف في كتاب سيبويه** : د.خديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- **أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة** : د. احمد مكي الانصاري ، مصر ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م .
- **الإتقان في علوم القران** : جلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ) تحـ : محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، مصر ، ١٣٨٧هـ /١٩٦٧ م .
- **أثر التشيع في الأدب العربي** : محمد سيد كيلاني ، لجنة النشر للجامعيين ، القاهرة ، ١٩٤٧.
- **أثر الوقف على الدلالة التركيبية** : د.محمد حبلص ، دار الثقافة ، الأردن ، ١٩٩٣م.
- **الإحكام في أصول الأحكام** : سيف الدين علي بن محمد الامدي (ت٦٣١هـ) ، مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩١٤م .
- **أحكام القران** : أبو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص (ت٣٧٠هـ) ، ضبطه وخرج آياته عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) .
- **إحياء علوم الدين** : ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ، دار الحديث ، مصر (د.ت) .
- **إحياء النحو** : ابراهيم مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥١م .
- **أدب الكاتب** : ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق وضبط وشرح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٨٢ / ١٩٦٣م .
- **الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية** : د . أبو السعود حسنين الشاذلي ، مكتبة دار العلوم ، جامعة القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٨٩م .
- **ارتشاف الضرب من لسان العرب** : أبو حيان اثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي (ت ٧٤٥ هـ) تحـ: احمد مصطفى النماس ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، مصر ١٤٠٨ هـ /١٩٨٧ م .
- **ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم** : ابو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢ هـ) ، ط٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الاصول** : محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠ هـ) ، ط١، مطبعة مصطفى البابي ، مصر ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م .
- **الازهية في علم الحروف** : علي بن علي النحوي الهروي (ت٤١٥هـ) ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- **أساس البلاغة** : أبو القاسم محمد بن عمر جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تقديم د. محمود فهمي حجازي الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٣م .

- **أساليب البيان في القران** : السيد جعفر الحسيني ، ط ١ ، طهران ١٤١٣ هـ .
- **اسباب اختلاف الفقهاء في الاحكام الشرعية** : مصطفى ابراهيم الزلمي ، الدار العربية ، ط١، ١٩٧٦م .
- **الاستغناء في احكام الاستثناء** : احمد بن ادريس بن عبد الرحمن القرافي (ت٦٨٢هـ) ، تحقيق طه محسن ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- **استناد نهج البلاغة** : امتياز علي مرعشي ، الهند ، ١٩٥٣.
- **أسرار البلاغة** : عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ او ٤٧٤هـ) ، قرأه وعلّق عليه ابو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، الطبعة الاولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- **اسرار العربية** : أبو البركات كمال الدين الانباري (ت٥٧٧هـ) ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م .
- **اسس علم اللغة** : ماريوباي ، ترجمة د. احمد مختار عمر ، ط٨ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨م .
- **الاسس النفسية لأساليب البلاغة العربية** : د.مجيد عبد الحميد ناجي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٤م .
- **اسم المفعول في نهج البلاغة / دلالته وما ينوب عنه :** د. كاطع جارالله سطام ، بحث مقبول للنشر في مجلة الأستاذ ، كلية التربية /ابن رشد .
- **الاشباه والنظائر في القرآن الكريم** : مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ) ، تحقيق د.عبد الله محمود شحاتة ، القاهرة ١٩٧٥م .
- **اشتات مجتمعات في اللغة والادب** : عباس محمود العقاد ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٣م .
- **إصلاح المنطق** : ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) شرح وتحقيق : احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ١٩٤٩م .
- **أصوات العربية بين التحول والثبات** : د.حسام النعيمي ، المكتبة الوطنية ، بغداد ١٩٨٦م .
- **الأصوات اللغويّة** : د. ابراهيم انيس ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢م .
- **الأصوات ووظائفها** : محمد منصف القماطي ، منشورات جامعة الفاتح ، ليبيا ، ١٩٨٦.
- **الأصول** : محمد بن احمد بن سهل السرخسي (ت٤٩٠هـ) ، تحقيق ابي الوفا الافغاني ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٧٢هـ .
- **أصول البلاغة** : كمال الدين ميثم البحراني (ت٦٧٩هـ) ، تحقيق د .عبد القادر حسين ، دار الشروق ، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م
- **أصول البيان العربي في ضوء القران الكريم** : د. محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي بيروت ١٤٢٣ هـ / ١٩٩٩م .
- **الاصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب** : د. تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٨م .
- **أصول الفقه** : بدران ابو العينيين بدران ، مطبعة دار المعارف الاسكندرية ١٩٦٩م .
- **أصول الفقه** : محمد رضا المظفر ، النجف ، ١٣٥٦هـ - ١٩٦٦م .
- **أصول الفقه الاسلامي في نسيجه الجديد** : د. مصطفى ابراهيم الزلمي ، دار الحكمة ، بغداد ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- **الأصول في النحو** : ابن السراج ابو بكر بن محمد بن سهل البغدادي (ت ٣١٦ هـ) تحـ : د. عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ١٩٧٣م .
- **أصول الكافي** : محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، دار المرتضى ، بيروت ،١٤٢٦ هـ.
- **الأضداد** : محمد بن المستنير قطرب (ت٢٠٦هـ) ، تصحيح : هانس كوفلر، مطبوع ضمن مجلة (اسلاميكا) ، المجلد الخامس (د. ت) ١٩٣١م .

- **الأضداد** : عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٣هـ) ، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد ، نشر الدكتور اوغست هفنر ، بيروت ١٩١٣م .
- **الأضداد** : أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت (ت٢٤٤هـ) ، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد.
- **الاضداد** : لابي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥هـ) ، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد .
- **الاضداد** : ابو بكر محمد بن القاسم بن الانباري (ت ٣٢٨ هـ) تحـ : محمد أبي الفضل إبراهيم ، الكويت ١٩٦٠م .
- **الاضداد** : الشيخ العلامة الحسن بن محمد الصاغاني الحنفي ، تحقيق محمد عبد القادر احمد ، دار النهضة ، مصر ١٩٩١م .
- **الاضداد في كلام العرب** : ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت٣٥١هـ) ، تحقيق د. عزة حسن ، مطبوعات المجمع العلمي العربي – دمشق ١٣٨٢-١٩٦٣م .
- **الأضداد في اللغة** : ابن الدهان (ت٥٦٩هـ) ، تحقيق محمد حسين ال ياسين ، النجف ١٩٧٢م .
- **الاضداد في اللغة** : د: محمد حسين ال ياسين ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م .
- **أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقران** : محمد الامين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم ، اعتنى به الشيخ صلاح الدين العلايلي ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت١٩٩٦م
- **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة** : د. نايف خرما – مطابع اليقظة – المجلس الوطني للثقافة والفنون – الكويت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٩ م .
- **الاعجاز البياني في القران الكريم ومسائل بن الازرق** : د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) ، دار المعارف ، مصر ١٩٧١م .
- **إعجاز القران** : لابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) ، تحقيق السيد احمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٤م .
- **إعراب القران** : ابو جعفر احمد بن محمد بن النحاس (ت ٣٣٨هـ) وضع وتعليق : عبد المنعم خليل ابراهيم ، ط١، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .
- **أعلام نهج البلاغة** : علي بن ناصر الحسيني السرخسي (ت القرن السابع الهجري) ، طهران ، ١٣٦٦هـ
- **الأعلام** : قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : خير الدين الزركلي ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م .
- **أعيان الشيعة** : السيد محسن بن عبد الكريم العاملي الامين (ت ١٩٥٢ م) ، تحقيق حسن الامين ، الطبعة الثانية ، مطبعة الانصاف ، بيروت ١٩٦٣م .
- **الأفعال** : أبو عثمان سعيد بن محمد المغافري السرقسطي ، اعداد الدكتور حسين محمد محمد شرف ، مراجعة الدكتور محمد مهدي علام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- **اقسام الكلام من حيث الشكل والوظيفة** : د. فاضل مصطفى الساقي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- **الأمالي** : أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت٣٥٦هـ) ، دار الفكر (د.ت) .
- **امالي ابن الحاجب** : لابي عمرو عثمان بن الحاجب النحوي(ت٦٤٦هـ) ، دراسة وتحقيق د. فخر الدين صالح سلمان قدارة ، دار عمار ، عمان١٩٨٩م .
- **امالي الرتضى** . غرر الفرائد ودرر القلائد : الشريف المرتضى : علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ) ، تحـ : محمد أبي الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
- **الامالي الشجرية** : أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسيني المعروف بابن الشجري ، (ت٥٤٢هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت (د.ت) .
- **أمراء البيان** : محمد كرد علي ، دار الأمانة ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٦٩ .

- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** : ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن ابي الوفاء بن عبيد الله الانباري (ت٥٧٧هـ) ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٦١ .
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** : القاضي ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٧٩١هـ) ، تح: عبد القادر عرفات العشا حسونة ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦م .
- **أوزان الفعل ومعانيها** : د. هاشم طه شلاش – مطبعة الاداب – النجف الاشرف ١٩٧١ م .
- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** : جمال الدين عبد الله بن يوسف بن احمد بن هشام الانصاري (ت٧٦١هـ) ، تقديم ووضع : د. اميل بديع يعقوب ، الطبعة الثانية ، منشورات : محمد علي بيضون .
- **الإيضاح في شرح المفصل** : أبو عمرو عثمان بن الحاجب (٦٤٦هـ) ، تحقيق وتقديم د. موسى بناي العليلي ، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٨٢م .
- **الايضاح في علل النحو** : ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ) تح: مازن المبارك ، الطبعة الرابعة ، دار النفائس ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- **الايضاح في علوم البلاغة** : المعاني والبيان والبديع : الخطيب القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ) ، تقديم د. علي ابو ملحم ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٩١م .
- **ايضاح الوقف والابتداء** : لابي بكر بن الانباري (ت٣٢٨هـ) ، تحقيق د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م .

[حرف الباء]

- **البحث الدلالي عند الشوكاني في كتابه ارشاد الفحول** : محمد عبد الله علي سيف ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
- **البحث الدلالي عند المعتزلة** : علي حاتم الحسن ، اطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ١٩٩٩م .
- **البحث الدلالي في ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم** : أبو السعود (ت٩٨٢هـ) ، زينب عبد الحسين السلطاني ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ٢٠٠٥م .
- **البحث الدلالي في التبيان في تفسير القران** : لابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، اطروحة دكتوراه ، ابتهال كاصد ياسر الزيدي ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ٢٠٠٤م .
- **البحث اللغوي عند العرب** : د. احمد مختار عمر ، الطبعة الثانية ، مطبعة اطلس ، القاهرة ١٩٧٦م .
- **البحث النحوي عند الاصوليين** : مصطفى جمال الدين ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠م .
- **البحر المحيط في التفسير** : أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، عناية : الشيخ زهير جعيد ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م .
- **بحوث لغوية**: د. احمد مطلوب ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ١٩٨٧م .
- **بحوث ومقالات في اللغة** : د. رمضان عبد التواب ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٨م .
- **بدائع الفوائد** : أبو عبد الله محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، تحقيق هاني الحاج ، تصحيح وتعليق دار التوفيقية للطباعة ، القاهرة (د.ت) .
- **البداية والنهاية** : أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٧٧م .
- **البرهان في اصول الفقه** : أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ) ، تحقيق د. عبد العظيم الديب ، الطبعة الثانية ، دار الانصار ، القاهرة ١٤٠٠هـ .
- **البرهان في علوم القران** : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحـ : محمد أبي الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية – مصر ١٩٥٨م .

- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت٨١٧هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٦٩م .
- **البغداديات ، المسائل النحوية المشكلة المعروفة بالبغداديات** : أبو علي الفارسي الحسن بن احمد بن عبد الغفار (ت٣٧٧هـ) ، تحقيق ودراسة صلاح الدين السنكاوي ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٨٣م .
- **البلاغة وقضايا المشترك اللفظي**: د . عبد الواحد الشيخ ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ١٩٨٦م .
- **بنية العقل العربي دراسة تحليلية لنظم المعرفة في الثقافة العربية** : د. محمد عابد الجابري ، الطبعة الثانية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٧م .
- **بنية اللغة الشعرية** : جان كوهين ، ترجمة محمد المولى ومحمد العمري ، الطبعة الاولى ، دار توبقال ، الدار البيضاء ١٩٨٦م .
- **بهج الصياغة في شرح نهج البلاغة** : الشيخ محمد تقي بن كاظم التستري (ت ١٤١٥هـ) ، منشورات مكتبة الصدر ، طهران ، (د . ت) .
- **البهجة المرضية في شرح الألفية** : جلال الدين السيوطي ، دراسة وتحقيق على سعد الشتيوي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، السلسلة ١٧ ، ١٩٩٥م.
- **البيان في غريب اعراب القران** : ابو البركات الانباري (ت ٥٧٧هـ) – تحـ : د. طه عبد الحميد طه – مراجعة : مصطفى السقا – دار الكتاب العربي- مصر ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م .
- **البيان والتبيين** : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) – تح : عبد السلام محمد هارون – الطبعة الخامسة – مكتبة الخانجي للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٨٥ م .

[حرف التاء]

- **تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ** : الخطيب البغدادي ، أبو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، (د.ت) .
- **تاريخ علوم اللغة** : طه الراوي ، الطبعة الاولى ، مطبعة الرشيد ، بغداد ١٩٤٩ م .
- **تأويل مشكل القران** : ابن قتيبة ، شرح ونشر : السيد احمد صقر ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠١هـ -١٩٨١م .
- **التبصرة والتذكرة** : أبو محمد عبد الله بن علي بن اسحاق الصيمري (ت ق٤هـ) ، تحقيق فتحي احمد مصطفى ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٢م .
- **التبيان في اعراب القران** : ابو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) تحـ : علي محمد البجاوي –دار احياء الكتب العربية – (د.ت) .
- **التبيان في تفسير القران** : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحـ : احمد شوقي الامين واحمد حبيب قصير – المطبعة العلمية ، ومطبعة النعمان – النجف الاشرف ١٩٥٧م .
- **تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية** التي صنفها نجم الدين بن علي القزويني المعروف بالكاتبي (ت ٤٩٣هـ) : شرح قطب الدين محمود بن محمد الرازي (ت ٧٦٦هـ) ، (د.ت) .
- **تحف العقول عن آل الرسول** : الشيخ الحسن بن علي بن شعبة الحراني (ت ٣٣٦هـ) ، دار المرتضى ، بيروت
- **التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة** : د. محمود عكاشة ، مصر ، ٢٠٠٥م .
- **التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث** : حسام البهنساوي ، الطبعة الاولى ، الناشر : مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ١٢٢٥هـ/٢٠٠٤م .
- **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري** : د. وليد قصاب ، دار الثقافة ، الدوحة ١٤٠٥ه_ - ١٩٨٥م .
- **الترادف** : علي الجارم مجلة مجمع اللغة العربية ع ٣٠٩/١ ، ١٩٣٥م .

- **الترادف في اللغة** : حاكم مالك لعيبي الزيادي- دار الحرية للطباعة – بغداد – ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- **ترجمة الإمام علي (ع)** : احمد زكي صفوة ، مطبعة العلوم ، ١٩٣٢م .
- **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد** : جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ، تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- **التشكيل الصوتي في اللغة العربية / فونولوجيا العربية** : د. سلمان العاني ، ترجمة الدكتور ياسر الملاح ، الطبعة الاولى ، جدة ١٩٨٣م .
- **تصحيح الفصيح** : عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت٣٤٧هـ) – تحـ : د. عبد الله الجبوري- الطبعة الاولى – مطبعة الارشاد – بغداد١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
- **تصريف الاسماء** : استاذ محمد الطنطاوي ، الطبعة الخامسة ، مطبعة وادي الملوك ، ١٩٥٥م .
- **التصور اللغوي عند الأصوليين**: السيد احمد عبد الغفار، ط١، شركة عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ.
- **التصوير الفني في القرآن** : سيد قطب ، سلسلة مكتبة القرآن ١ ، مصر ، د.ت .
- **التضاد في ضوء اللغات السامية** : ربحي كمال – جامعة بيروت – بيروت ١٩٧٢ م .
- **التضاد في القران الكريم** : محمد نور الدين المنجد ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ، ١٩٩٩م .
- **التطبيق الصرفي** : د.عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٣ م .
- **التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة** : د . صافية زفنكي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ٢٠٠٧م .
- **تطور البحث الدلالي /دراسة في النقد البلاغي واللغوي** : محمد حسين علي الصغير ، مكتبة العاني ، بغداد ١٩٨٨م .
- **التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القران الكريم .. دراسة دلالية مقارنة** : عودة ابو خليل عودة – الطبعة الاولى – مكتبة المنار – الاردن ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
- **التطور اللغوي التاريخي** : ابراهيم السامرائي ، دار الاندلس ، الطبعة الثانية ١٩٨١م .
- **التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه** : د . رمضان عبد التواب – الطبعة الثانية – مطبعة المدني – الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٢٠هـ/١٩٩٠ م .
- **التطور النحوي للغة العربية** : برجستراسر ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الرفاعي ، الرياض ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- **التعريفات** : علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) – تحـ : ابراهيم الابياري – دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢ م .
- **التفسير البياني للقران الكريم** : د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .
- **تفسير غريب القران** : ابن قتيبة ، تحـ : السيد احمد صقر ، دار احياء الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٨م .
- **التفسير الكاشف** : محمد جواد مغنية ،دار الأنوار ،ط٤ ، بيروت ، ٢٠٠٩هـ .
- **التفسير الكبير او مفاتيح الغيب** : فخر الدين محمد بن عمر التميمي البكري الرازي (ت٦٠٤هـ) – الطبعة الاولى – دار الكتب العلمية – منشورات محمد علي بيضون – بيروت ١٤٢١هـ /٢٠٠٠ م .
- **التفكير اللساني في الحضارة العربية** : د. عبد السلام المسدي –الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس ١٩٨١م.
- **التقابل الدلالي في القران الكريم** : منال الصفار رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ١٩٩٤م .
- **التقديم والتأخير في القران الكريم** : حميد احمد عيسى العاوي
- **التكملة** : ابو علي الحسين بن احمد الفارسي (ت٣٧٧هـ) – تحقيق ودراسة : كاظم بحر المرجان – مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل – الموصل ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- **تلخيص البيان عن مجازات القران** : الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٥م .

- **التلخيص في علوم البلاغة** : القزويني الخطيب – شرح : عبد الرحمن البرقوقي – الطبعة الثانية – دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٣٢ م .
- **تلخيص المفتاح** : جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، بيروت ١٣٠٣هـ .
- **تناوب حروف الجر في لغة القران** : د. محمد حسن عواد – الطبعة الاولى – دار الفرقان – عمان ١٤٠٢هـ /١٩٨٢ م .
- **تمام نهج البلاغة** : تحقيق وتتميم وتنسيق السيد صادق الموسوي ، مؤسسة الاعلمي ، لبنان ١٤٢٦هـ .
- **التوابع في كتاب سيبويه** : د. عدنان محمد سلمان ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد دار الحكمة ، الموصل ١٩٩١م .
- **توضيح نهج البلاغة** : السيد محمد بن المهدي الشيرازي ، قم ، ١٤١٠هـ
- **تهذيب اللغة** : ابو منصور محمد بن احمد الازهري (ت٣٧٠هـ) تحـ : يعقوب بن عبد النبي – مراجعة : محمد علي النجار – الدار المصرية للتاليف والترجمة – القاهرة (د.ت) .
- **توليد المعاني في العربية** :د. فاضل السامرائي ،بحث في مجلة لغة الضاد ، المجمع العملي العراقي ، ١٩٩٨م.

[حرف الجيم]

- **جامع البيان عن تاويل القران** : ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) – دار الفكر – بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨ م .
- **الجامع لاحكام القران** : أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ، خرج احاديثه محمد بن عيادي بن عبد الحليم ، مكتبة الصفا ، الدار البيضاء ٢٠٠٥م .
- **الجمل في النحو** : ابو القاسم الزجاجي – تحقيق وتقديم : د . علي توفيق الحمد – الطبعة الرابعة – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٨ م .
- **جمهرة اللغة** : ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ) ، دار صادر، بيروت (د.ت) .
- **الجنى الداني في حروف المعاني** : حسن بن قاسم المرادي(ت٧٤٩هـ) تحـ : د. طه محسن ، مطابع دار الكتب ، الموصل ١٣٩٦ هـ /١٩٧٦ م .
- **جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية** : عبد المنعم عبد العال ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،١٩٧٧م .
- **جمهرة أشعار العرب** : ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي (ت١٧٠هـ) ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م .
- **جمهرة الأمثال** : أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ،تح أبي الفضل وقطامش ، مصر ،١٩٦٤م.
- **جمهورية الحكمة في نهج البلاغة** : د. حسن عباس نصر الله ، الطبعة الاولى ، بيروت ٢٠٠٦م .
- **جواهر الادب في معرفة كلام العرب** : الامام علاء الدين بن علي بن محمد الاربلي (ت٧٤١هـ) ، منشورات مكتبة الحيدرية ، النجف ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م .
- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** : السيد احمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠١م .
- **جمالية المفردة القرانية في كتب الاعجاز والتفسير** : احمد ياسوف ، دار المكتي ، سوريا ، الطبعة الاولى ١٩٩٤ م .
- **جواهر القاموس في الجموع والمصادر** : محمد شفيع القزويني (ق ١٢هـ) ، تحقيق محمد جعفر الكرباسي ، النجف الاشرف ١٩٨٢م .

[حرف الحاء]

- **حاشية الدسوقي على التهذيب** : محمد بن عرفة الدسوقي ، نشره الحلبي ، القاهرة ١٩٣٦م .
- **حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك** : محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ) – تحـ : محمود بن الجميل – الطبعة الاولى – مكتبة الصفا – القاهرة ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م .

- **الحجة في القراءات السبع** : لابي عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق احمد مزيد المزيدي ، قدم له د. فتحي حجازي ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، لبنان (د.ت) .
- **حدائق الحقائق في فسر دقائق أفصح الخلائق** : قطب الدين أبو الحسين محمد بن الحسين البيهقي النيسابوري الكيدري (ت القرن السادس الهجري) ، تحـ : عزيز الله العطاردي، طهران ١٣٧٥ هـ
- **حروف المعاني** : ابو القاسم الزجاجي – تحقيق وتقديم : د . علي توفيق الحمد – الطبعة الاولى – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر – بيروت ، دار الامل – الاردن ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- **حقائق التأويل في متشابه التأويل** : الشريف الرضي ، تح محمد رضا كاشف الغطاء ، النجف ، ١٩٣٥ .
- **الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية** : عالم سبيط النيلي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ٢٠٠٧ م .

[حرف الخاء]

- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** : عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ودار الرفاعي الرياض (د.ت) .
- **الخصائص** : ابو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ) تحـ : محمد علي النجار – الطبعة الرابعة – مطابع الهيئة المصرية العامة – مصر ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م .
- **الخطابة في صدر الاسلام** : محمد طاهر درويش ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧م .
- **الخطب في العصر العباسي** :

[حرف الدال]

- **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** : د. غانم قدوري الحمد ، الطبعة الاولى ، مطبعة الخلود ، بغداد ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .
- **دراسات في فقه اللغة** : صبحي الصالح – مطبعة جامعة دمشق – دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٤٠ م .
- **دراسات في فقه اللغة العربية** : د . يعقوب بكر ، مكتبة لبنان ، ١٩٦٩.
- **دراسات في القران** : السيد احمد خليل ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٩م .
- **دراسات لأسلوب القران الكريم** : محمد عبد الخالق عضيمة ،ط١ ،دار الحديث ، ٢٠٠٤ م .
- **الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث الهجري** : د . محمد حسين ال ياسين – الطبعة الاولى – مكتبة الحياة – بيروت ١٩٨١ م .
- **دراسات نقدية في النحو العربي** : عبد الرحمن ايوب ، مؤسسة الصباح ، الكويت .(د. ت).
- **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** : د. حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ م .
- **دراسة حول نهج البلاغة** : محمد حسين الحسيني الجلالي ،مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ٢٠٠١م.
- **دراسة الصوت اللغوي** : د. احمد مختار عمر ، الطبعة الاولى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- **دراسة المعنى عند الاصوليين** : د. طاهر سلمان حمودة – الدار الجامعية للطباعة ، مصر ١٩٨٣م .
- دروس في علم اصوات العربية : جان كانتينو ، تعريب صالح القرماوي ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ١٩٦٦ م .
- **دروس في التصريف** : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- **دقائق التصريف**: للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (ت بعد ٣٣٨ هـ) ،تحقيق د. احمد ناجي القيسي و د.حاتم صالح الضامن ود. حسين تورال ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م .
- **دلائل الاعجاز** : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) – تصحيح وتعليق : محمد رشيد رضا – دار المعرفة – بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .
- **دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم** : الدكتور خالد قاسم بن دومي ، ، الأردن ، ٢٠٠٦م.
- **الدلالات اللغوية عند العرب** : د. عبد الكريم مجاهد – دار الضياء – عمان ١٩٨٥ م .

- **دلالة الالفاظ** : د. ابراهيم انيس – الطبعة الثالثة – مكتبة الانجلو المصرية – مطابع مجلة العرب – مصر ١٩٧٢ م .
- **الدلالة السياقية عند اللغويين** : عواطف كنوش ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٢.
- **دلالة الفريد من الفاظ القران المجيد / ٢- أبابيل** : د. كاطع جارا لله ، بحث في مجلة دراسات ، الجماهيرية العربية الليبية ، العدد ١٩ ، ٢٠٠٣م.
- **الدلالة القرآنية في جهود الشريف الرضيّ** : رسالة دكتوراه ، ، حامد كاظم عباس ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٠م.
- **الدلالة اللفظية** : محمود عكاشة ، مكتبة الأنجلو ، مصر ، ٢٠٠٢ م .
- **دور الكلمة في اللغة** : ستيفن اولمن – ترجمة وتقديم : د. كمال محمد بشر – الطبعة العاشرة – النشر : مكتبة الشباب – مصر ١٩٨٦م .
- **ديوان ابن المعتز** : تحقيق محيي الدين الخياط ، دمشق ،١٣٣٢هـ.
- **ديوان ابي العتاهية** : دار الكتب العلمية ن بيروت .دت .
- **ديوان الأدب** : أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي ت ٣٥٠هـ ، تحقيق د. أحمد مختار عمر د. ابراهيم أنيس ،مصر ، ١٩٧٦م.
- **ديوان امريء القيس** : تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، ١٩٥٨م.
- **ديوان البحتري** : تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م.
- **ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني** : تحقيق نعمان أمين طه ، مصطفى البابي الحلبي ، ط١ ، د.ت.
- **ديوان الشريف الرضي** : تح عبد الفتاح محمد المصري ، باريس ، ١٩٧٧.
- **ديوان طرفة بن العبد** : تحقيق فوزي عطوي ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- **ديوان علقمة الفحل بشرح الاعلم الشنتمري** : حققه لطفي الصقال ودريّة الخطيب ، راجعه د. فخر الدين قباوة ، دار الكتاب العربي ، حلب ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٦م .
- **ديوان لبيد بن ربيعة العامري** : تحقيق الدكتور إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢.
- **ديوان مهيار الديلمي** :

[حرف الذال]

- **الذخيرة** : شهاب الدين ابو العباس احمد بن ادريس القرافي (ت٦٨٤هـ) ، مطبعة كلية الشريعة ، الجامعة الازهرية ، مصر ١٩٦١م .
- **الذريعة إلى أصول الشريعة** : الشريف المرتضى ابو القاسم علي بن الحسين ، تحقيق د.ابو القاسم كرجي ، مطبعة دالشكاه ، طهران ١٣٤٨هـ .
- **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** :المحدث أغا بزك الطهراني ، ت(١٩٧٠هـ) ،

[حرف الراء]

- **الرجال ، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال** : ابو العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (ت٤٥٠ هـ) ، مطبعة مصطفوي ، إيران .
- **رسائل الشريف المرتضى** : لابي القاسم علي بن الحسين الشريف المرتضى ، تقديم واشراف : احمد الحسيني ، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات ، لبنان ١٤٠٥هـ .
- **رسالة الاضداد** : محمد جمال الدين بن بدر الدين المنشئ ت ١٠٠١هـ ، تحقيق محمد حسين آل ياسين ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- **رصف المباني في شرح حروف المعاني** : المالقي احمد بن عبد النور (ت٧٠٢هـ) ، تحقيق احمد محمد الخراط ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

- **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات** : الخوانساري (ت١٣١٣هـ) ، تحقيق أسد الله اسماعيليان ، إيران ، ١٣٩٠م.

[حرف الزاي]

- **الزاهر في معاني كلمات الناس** : ابن الانباري (ت٣٢٨هـ) ، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٩م.
- **الزمن في اللغة العربية / بياته التركيبية والدلالية** : امحمد الملاخ ، دار الأمان ، الرباط ، ٢٠٠٩م.
- **الزهد الكبير** : البيهقي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
- **الزوائد في الصيغ في العربية** : زين كامل الخوينسكي ،
- **الزينة في الكلمات الاسلامية العربية** : أبو حاتم الرازي ت ٣٢٢ هـ تعليق حسين بن فيض الله الهمذاني ، ط١ ،اليمن ، ١٩٩٤م .

[حرف السين]

- **الساق على المساق في ما هو الفارياق** : احمد فارس الشدياق ، تقديم : نسيب وهيبة الخازن ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت .
- **سجع الحمام في حكم الإمام** : علي النجدي وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- **سر صناعة الإعراب** : ابن جني – تحـ : محمد حسن اسماعيل واحمد رشدي شحاتة – الطبعة الاولى – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٠ م .
- **سر الفصاحة** : لابي عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح ١٩٦٦ م .
- **سنن ابن ماجة** : لابي عبد الله محمد بن زيد القزويني (ت٢٧٥هـ) ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٢م .
- **سنن الترمذي** : ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الاولى ، مصر ، ١٣٣٧هـ .
- **سنن الدارقطني** : لابي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي (ت٣٨٥هـ) ، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، دار المعرفة للنشر ، بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- **سنن النسائي** : شرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي ، دار الفكر ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٣٠م .
- **سير اعلام النبلاء** : الذهبي شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ) تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٣م .

[حرف الشين]

- **شذا العرف في فن الصرف** : الشيخ احمد الحملاوي – الطبعة السادسة عشرة – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ١٩٦٥ م .
- **شذرات الذهب في اخبار من ذهب** : ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) – دار احياء التراث العربي – بيروت ١٣٥١هـ .
- **شذور الذهب في معرفة كلام العرب** : ابن هشام الانصاري ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣م .
- **شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك** : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني (ت٧٦٩هـ) : تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٥م .
- **شرح ابن الناظم** : بدر الدين أبو عبدا لله محمد بن جمال الدين بن مالك ت٦٨٨هـ، عني بتصحيحه محمد بن سليم اللبابيدي ، طهران .

- **شرح الاشموني على ألفية بن مالك** : الأشموني ت ٩٢٩هـ ن تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ن مصر ن ١٩٥٥م.
- **شرح التصريح على التوضيح** : الشيخ خالد بن عبد الله الازهري (ت٩٠٥ هـ) – الطبعة الاولى – مطبعة الاستقامة – دار احياء الكتب العربية – مصر ١٩٥٤ م .
- **شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في علم الاصول للرازي** : احمد بن فارس القرافي (ت٦٨٤هـ) – تحـ : طه عبد الرؤوف سعد – مكتبة الكليات الازهرية – مصر ١٩٧٣ م .
- **شرح جمل الزجاجي** : لابن عصفور الاشبيلي (ت٦٦٩هـ) ، تحقيق صاحب ابو جناح ، جامعة الموصل ١٩٨٢م .
- **شرح الحدود النحوية** : عبد الله بن احمد بن علي الفاكهي (ت٩٧٢هـ) ، دراسة وتحقيق د. زكي فهمي الالوسي ، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ١٩٨٨م .
- **شرح درة الغواص** : شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٩٦هـ) ، مطبعة الجوائب .
- **شرح ديوان المتنبي** : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٣٥٧هـ.
- **شرح ديوان الحماسة** : التبريزي ت ٥٠٢هـ ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ، القاهرة .دت.
- **شرح ديوان عمر ابن أبي ربيعة المخزومي** : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ،١٩٥٢م .
- **شرح ديوان الفرزدق** : عبد الله بن اسماعيل الصاوي ، مطبعة الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٦ م.
- **شرح شافية ابن الحاجب** : الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت٦٨٨هـ) – تحقيق وضبط وشرح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، منشورات : محمد علي بيضون ، بيروت (د.ت) .
- **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** : ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ، دت .
- **شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ** : ابن مالك جمال الدين (ت٦٧٢هـ) ، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري مطبعة العاني ، بغداد ١٣٩٥هـ - ١٩٧٧م ، وزارة الاوقاف ، احياء التراث الاسلامي .
- **شرح القصائد التسع المشهورات** : صنعة أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ) ن تح أحمد خطاب عمر ،سلسلة كتب التراث (٢٣) ن العراق ، ١٩٧٣م.
- **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات** : لابي بكر محمد بن القاسم الانباري (ت٣٢٨هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٣م .
- **شرح القصائد العشر** : أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) ،تح فخر الدين قباوة ، حلب ، ١٩٦٩م.
- **شرح الكافية في النحو لابن الحاجب** : رضي الدين الاستراباذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) .
- **شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية** : ابن هشام الانصاري ، دراسة وتحقيق : د. هادي نهر ، مطبوعات الجامعة المستنصرية ، بغداد ١٣٩٧هـ /١٩٧٧ م .
- **شرح المراح في التصريف** : بدر الدين محمود بن احمد العيني (ت٨٥٥هـ) ، تحقيق عبد الستار جواد ، مطبعة الرشيد ، بغداد ١٩٩٠م .
- **شرح المفصل** : الشيخ موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) – تحقيق وشرح : احمد السيد احمد – مراجعة : اسماعيل عبد الجواد عبد الغني – المكتبة التوفيقية – مصر (د.ت) .
- **شرح الملوكي في التصريف** : ابن يعيش ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، الطبعة الاولى ، المكتبة العربية ، حلب ١٩٧٣م .
- **شرح نهج البلاغة** : عز الدين عبد الحميد بن محمد بن ابي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) تحـ : محمد أبو **الفضل ابراهيم ، دار أحياء اتراث العربي ، ط٢ ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.**

- **شرح نهج البلاغة** : كمال الدين ميثم بن علي البحراني (ت ٦٧٩هـ) ، منشورات دار الثقبين ، بيروت ١٩٩٩هـ
- **شرح نهج البلاغة** : الشيخ محمد عبده ت١٣٢٣هـ ، تح محمد عاشور ومحمد البنا ،القاهرة ، ١٩٦٨م.
- **شرح نهج البلاغة** : محمد عبده ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ، دت.
- **شرح نهج البلاغة** : السيد أبو علي عباس الموسوي ، لبنان ، ١٤١٨
- **شرح نهج البلاغة** ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، بيروت ، ١٤١٦هـ .
- شرح **نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار للعلامة المجلسي** : علي أنصاريان ، طهران ،١٤٥٨هـ،
- **شروح التلخيص** : سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٢هـ) – مطبعة عيسى البابي الحلبي – مصر ١٩٣٧
- **الشريف الرضي** : محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٠م.
- **الشفاء (العبارة)** : ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله ت ٤٢٨هـ ، تح محمود الخضري ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

[حرف الصاد]

- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها** : ابو الحسن احمد بن فارس (ت٣٩٥ هـ) – تعليق : احمد حسن بسج – الطبعة الاولى- منشورات احمد بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٨ /١٩٩٧ م .
- **الصحاح ، معجم الصحاح قاموس عربي عربي مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف** : اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ) ، اعتنى به خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ن بيروت ،٢٠٠٨م.
- **صحيح البخاري** : ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ) – تحـ: د .محمد محمد تامر ،دار الآفاق العربية ،القاهرة ، ٢٠٠٩م.
- **صحيح مسلم** : ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) – تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الآفاق العربية ، مصر ، ٢٠٠٥م.
- **صفاء الكلمة** : د. عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، الرياض ، ٩٨٣ م .
- **الصناعتين .. الكتابة والشعر** : ابو هلال العسكري (ت٣٩٥ هـ) – تحـ : محمد علي البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم – مطبعة البابي الحلبي – القاهرة ١٩٧١م .
- **صوت الامام علي في نهج البلاغة** : السيد حسن السيد علي القبنجي ، النجف الأشرف ، ١٤٢٦هـ .
- **الطراز ..المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز** : السيد يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني (ت٧٤٥هـ) ، مراجعة وضبط وتدقيق : محمد عبد السلام شاهين ،الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

[حرف الطاء]

- الطور المهدوي : عالم سبيط النيلي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

[حرف الظاء]

- **ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقران الكريم** : د. طالب محمد الزوبعي ، الطبعة الاولى ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ١٩٩٥ م .
- **ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية** : عبد الكريم محمد العبيدي – رسالة ماجستير – الجامعة المستنصرية – كلية الاداب – ١٩٨٩ م .
- **ظاهرة التقابل في علم الدلالة** : د. احمد الجنابي ، بحث في مجلة اداب المستنصرية – العدد (١٠) – ١٩٨٤ م
- **الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري** : د. صلاح الدين زرال
- **ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة** : د. احمد الجنابي – مجلة المجمع العراقي – الجزء الرابع – المجلد (٣٥) لسنة ١٩٨٤ م .

- **ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث** : د. علي زوين ، مجلة افاق عربية ، العدد الخامس ١٩٩٠م .
- **الظواهر الدلالية في تفسير اضواء البيان للشنقيطي** : قحطان جاسم محمد ، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ، رسالة ماجستير ،٢٠٠٢م .

[حرف العين]

- **عبقرية الشريف الرضي** : د. زكي مبارك ، مصر ، دت .
- **عدة الأصول** : لابي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ) ، مطبعة برساد بمبي ، طبعة حجرية ١٣١٨هـ .
- **العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي** : هنري فليش ، تعريب د. عبد الصبور شاهين ، القاهرة ، ١٩٩٧م.
- **العقد الفريد** : ابن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري ، دار الكتب ، بيروت – لبنان ، ١٩٥٦م .
- **على طريق التفسير البياني** : د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة الشارقة ، ٢٠٠٢هـ.
- **علم الأصوات اللغوية** : د. مناف الموسوي ، ليبيا ، ١٩٩٣م.
- **علم البيان** : د. عبد العزيز عتيق ، دار الافاق العربية ، مصر ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .
- **علم البيان دراسة تاريخية فنية في اصول البلاغة العربية** : د. بدوي طبانة ، المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٧م
- **علم الدلالة** : احمد مختار عمر ، ط ١، مكتبة دار العروبة للنشر ، الكويت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- **علم الدلالة** : بالمر ، ترجمة : مجيد عبد الحليم الماشطة ، بغداد ، ١٩٨٥م .
- **علم الدلالة** : بيار جيرو ، ترجمة الدكتور منذر عياشي ، الطبعة الاولى ، دار طلاس للدراسات والترجمة ، دمشق ١٩٨٨م .
- **علم الدلالة** : جون لاينز ، ترجمة : مجيد عبد الحليم الماشطة ، وحليم حسين فالح ، وكاظم حسين الباقر ، مطبعة جامعة البصرة ،١٩٨٠م .
- **علم الدلالة العربي .. النظرية والتطبيق دراسة بلاغية** : فايز الداية ، دار الفكر ، ١٩٨٥م .
- **علم الدلالة بين التراث والمناهج الحديثة** : محمود فهمي حجازي ، مصر ، ١٩٧٠م .
- **علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية** : فريد عوض حيدر ، مصر ، ١٩٩٩م .
- **علم الدلالة (علم المعنى)** : د. محمد علي الخولي ، الناشر دار الفلاح ، الاردن ٢٠٠١م .
- **علم الدلالة والمعجم العربي** : د. عبد القادر ابو شريفة وحسين لافي و د. داود غطاشة – الطبعة الاولى – دار الفكر للنشر – بيروت ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م .
- **علم الصوتيات دراسة مقارنة** : محمد حديد ومحمد زريق ، ليبيا ، جامعة السابع من أبريل ، دت .
- **علم اللغة بين التراث والمعاصرة** : د. عاطف مدكور ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٧م .
- **علم اللغة بين التراث والمعاصرة والمناهج الحديثة** : د. محمود فهمي حجازي ، مصر ١٩٧٠م .
- **علم اللغة بين القديم والحديث** : عبد الغفار حامد هلال ، الطبعة الثانية ، مطبعة الجبلاوي ، ١٩٨٦ م .
- **علم اللغة العام** : فردينان دي سوسور – ترجمة : د. يوئيل يوسف عزيز – مراجعة النص العربي : د. مالك يوسف المطلبي – دار افاق عربية للصحافة والنشر – بغداد ١٩٨٥م .
- **علم اللغة العام الاصوات** : كمال محمد بشر – دار المعارف – مصر ١٩٦٢م .
- **علم اللغة مقدمة للقارىء العربي** : د. محمود السعران ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٢م .
- **علم الوضع / دراسة في فلسفة اللغة بين علماء أصول الفقه وعلماء اللغة** : د. عبد الرزاق الحربي ، ديوان الوقف السني ، بغداد ، ٢٠٠٦.
- **علوم نهج البلاغة** : محسن باقر الموسوي ، دار العلوم ، بيروت ن ٢٠٠٣.
- **عمدة الصرف** : د. كمال ابراهيم ، الطبعة الثانية ، مطبعة الزهراء ، بغداد ١٩٥٧م .

- **عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب** : ابن عنبة جمال الدين احمد بن علي (ت٨٢٨هـ) ، الطبعة الثانية ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٦١م .
- **العمدة في صناعة الشعر** : ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م .
- **عوامل التطور اللغوي** : احمد عبد الرحمن حماد ، بيروت ١٩٨٣م .
- **العين / ترتيب كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)** : تحـ : د. مهدي المخزومي ، و د. ابراهيم السامرائي ، طهران ، ١٤٢٥هـ .
- **عيون الاخبار** : ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨.

[حرف الغين]

- **غاية الوصول شرح لب الاصول** : كلاهما للشيخ زكريا الانصاري الشافعي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر (د.ت) .
- **الغدير في الكتاب والسنة والأدب** :عبد الحسين بن أحمد الأميني (ت ١٩٧١ م) ، ط٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٧هـ.
- **غريب الحديث** : ابو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ، تح محمد عبد المعين خان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٦هـ .
- **غريب الحديث** : عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، تحقيق د. عبد الله الجبوري ، الطبعة الاولى ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٧م .
- **غريب الحديث** : ابراهيم بن اسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ) ، تح سليمان ابراهيم العايد ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٥هـ .
- **غريب القران وتفسيره** : ابو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى المبارك اليزيدي (ت٢٣٧هـ) – تحـ : محمد سليم الحاج ، ط١ ، عالم الكتب ، مصر ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

[حرف الفاء]

- **الفائق في غريب الحديث** : جار الله محمود بن عمرالزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، لبنان (د.ت) .
- **فجر الاسلام** : أحمد أمين ،
- **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال** : ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هـ) ، تح احسان عباس وعبد المجيد عابدين ، بيروت ، ١٩٧١م.
- **فصيح ثعلب والشروح التي عليه** : نشر وتعليق الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الاولى ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م ، الناشر مكتبة التوحيد بدرب الجماميز ، المطبعة النموذجية .
- **الفروق اللغوية** : ابو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، ضبط وتحقيق : حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، د ت .
- **فصول في فقه اللغة** : د. رمضان عبد التواب – الطبعة الثالثة – الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧ م .
- **فقه اللغة** : د. حاتم صالح الضامن ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠م .
- **فقه اللغة** : علي عبد الواحد وافي ، الطبعة السابعة ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٢م .
- **فقه اللغة في الكتب العربية** : د. عبده الراجحي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٣م .
- **فقه اللغة العربية وخصائصها** : اميل بديع يعقوب ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٩٩م.
- **فقه اللغة العربية** : د. كاصد ياسر الزيدي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧م .
- **فقه اللغة وأسرار العربية** : ابو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ، وضع وتعليق : د. ديزيرة سقال – الطبعة الاولى – مطابع يوسف بيضون – دار الفكر العربي للطباعة والنشر – بيروت ١٩٩٩م .

- **فقه اللغة وخصائص العربية** : محمد المبارك – الطبعة الثانية – دمشق١٩٦٤م .
- **الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية** : جرجي زيدان – مراجعة وتعليق : د. مراد كامل – الطبعة الثانية – دار الحداثة للطباعة والنشر – بيروت ١٩٨٢م .
- **الفن ومذاهبه في النثر العربي** : د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط٤ ، ١٩٧١.
- **فوات الوفيات والذيل عليها** : محمد شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ) ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٤م
- **الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب** : نور الدين عبد الرحمن الجامي (ت ٨٩٨هـ) ، تح أسامة طه الرفاعي ، بغداد ،١٩٨٣م.
- **في الدلالة والتطور الدلالي** : د . احمد محمد قدور ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، العدد (٣٦) ، السنة (١٣) ، عمان ١٩٨٩ م .
- **في الاصوات اللغوية /دراسة في أصوات المد :** د. غالب فاضل المطلبي ، سلسلة دراسات (٣٦٤) ، بغداد ١٩٨٤م.
- **في ظلال القران** : سيد قطب ، الطبعة الحادية عشرة ، دار الشروق ، بيروت ١٤٠٥هـ .
- **في ظلال نهج البلاغة ، محاولة لفهم جديد** : الشيخ محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠هـ) عناية سامي الغريري لبنان ٢٠٠٥م.
- **في اللهجات العربية** : د. ابراهيم انيس ، الطبعة الثانية ، مصر ١٩٥٢م .
- **في النحو العربي نقد وتوجيه** : د. مهدي المخزومي ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٦م .

[حرف القاف]

- **قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح** : د. عبد السلام المسدي ، ليبيا - تونس ، ١٩٨٤م .
- **القاموس المحيط** : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت٨١٧هـ) ، إعداد وتقديم محمد عبد الحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٣م .
- **القراءات القرانية في ضوء علم اللغة الحديث** : د. عبد الصبور شاهين ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٦م .
- **القطع والائتناف** : أبو جعفر النحاس ت٣٣٨هـ ، تح أحمد خطاب عمر ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٨م.

[حرف الكاف]

- **الكافية في النحو** : جمال الدين ابو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب (ت٦٤٦هـ) – الطبعة الثانية – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٩م .
- **الكامل في اللغة والادب** : لابي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ) ، عارضه باصوله وعلق عليه محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- **الكتاب** : ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت١٨٠هـ) – تحـ : عبد السلام هارون – الطبعة الثالثة – الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م .
- **كشاف اصطلاحات الفنون** : محمد بن علي الفاروقي التهانوي (ت١١٥٨هـ) – تحـ : د. لطفي عبد البديع ترجمة : د. عبد المنعم محمد حسنين – الناشر : الهياة المصرية للكتاب – القاهرة ١٩٧٧م .
- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل** : محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، ط١ ، دار الفكر ، ١٩٧٧م
- **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون** : حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ) – الطبعة الثالثة – طهران١٩٦٧م .
- **كشف المشكل في النحو** : علي بن سليمان الحيدري اليمني (ت٥٩٩هـ) ،تحقيق د. هادي عطية مطر ، الطبعة الاولى ، مطبعة الارشاد ١٩٨٤م .
- **كلام العرب من قضايا اللغة العربية** : حسن ظاظا ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٦م .
- **الكلمة دراسة لغوية ومعجمية** : د. حلمي خليل ، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠.

- **الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)** : ابو البقاء الحسين الكفوي (ت١٠٩٤هـ) – اعداد : د.عدنان درويش ومحمد المصري ، ط ٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٨م .
- **الكنى والالقاب** : الشيخ عباس القمي ، النجف ، ١٩٧٠م.
- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** : علاء الدين بن علي الهندي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ

[حرف اللام]

- **اللامات** : ابو جعفر النحاس ، تحـ : د. : طه محسن – نشر ضمن كتاب (نصوص محققة في اللغة) – بقلم : مجموعة من الاساتذة – الطبعة الاولى – دار الشؤون الثقافية – بغداد ١٩٨٧م .
- **اللامات** : ابو القاسم الزجاجي ، تحـ : د. مازن المبارك – الطبعة الثانية – دار صادر – بيروت١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- **اللامات** : ابو الحسن علي بن محمد الهروي (ت٤١٥هـ) – تحـ : يحيى علوان البلداوي – الطبعة الاولى – مكتبة الفلاح – الكويت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- **اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات** : د. عبد الهادي الفضلي ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٨٠م .
- **اللامساس في العربية (بحث في ضوء علم اللغة الحديث)** : د . علي زوين ، مجلة افاق عربية ، السنة الاولى ، العدد الاول ، جمادي الثانية –شوال ١٤٢١هـ ، تشرين الاول – كانون الاول ٢٠٠٠م .
- **لؤلؤة البحرين في الإجازات والتراجم** : ابن عصفور يوسف بن أحمد الدرازي (ت ١١٨٦هـ) ، تح محمود صادق بحر العلوم ، ١٩٨٠م.
- **لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة** : د. عبد العزيز مطر – الناشر : دار الكتاب العربي – القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٧ م .
- **لحن العامة والتطور اللغوي** : د. رمضان عبد التواب – دار المعارف – مطبعة البلاغ – القاهرة (د.ت)
- **لسان العرب** : ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ) – دار صادر – بيروت ١٩٥٦م .
- **لسان الميزان** : شهاب الدين بن حجر العسقلاني (ت٨٥٣هـ) ، حيدر اباد الدكن ، الطبعة الاولى ، ١٣٣٠هـ .
- **اللسانيات من خلال النصوص** : د. عبد السلام المسدي ، الدار التونسية للنشر ، الطبعة الاولى ١٩٨٤م .
- **اللغات السامية** : تيودور نولدكه ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٥م
- **اللغة** : فندريس – تعريب : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص – الناشر : مكتبة الانجلو المصرية – مطبعة لجنة البيان العربي – القاهرة ١٩٥٠ م .
- **اللغة العربية عبر القرون** : د. محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٨م .
- **اللغة العربية معناها ومبناها** : د. تمام حسان – الطبعة الثالثة – عالم الكتب – القاهرة١٤١٨هـ/١٩٩٨م
- **لغة القران في جزء عم** : محمود احمد نحلة – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت ١٩٨١م .
- **اللغة الموحدة** : عالم سبيط النيلي ،دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٨م.
- **اللغة والمجتمع** : د. علي عبد الواحد وافي ، دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الثانية ١٩٦٣م .
- **اللغة والمعنى والسياق** : جون لاينز ، ترجمة : د. عباس صادق الوهاب ، مراجعة : د. يوئيل عزيز ، الطبعة الاولى ، طباعة ونشر : دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد١٩٨٧م .
- **اللمع في اصول الفقه** : ابو اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي (ت٤٧٦هـ) ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م .
- **اللمع في العربية** : ابن جني ، تحـ : د. فائز فارس ،دار الأمل ، عمان ، ١٩٨٨م .
- **اللهجات العربية في القراءات القرانية** : د. عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٩٦م .
- **ليس في كلام العرب** : ابن خالويه ، لابي عبد الله الحسين بن احمد (ت٣٧٠هـ) ، تح أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ن ١٩٧٩م.

[حرف الميم]

- **ما اتفق لفظه واختلف معناه من القران المجيد** : ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) – تعليق : عبد العزيز الميمني الراجكوتي – المطبعة السلفية- القاهرة ١٣٥٠هـ .
- **ما هو نهج البلاغة : هبة الله الشهرستاني** : مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٥٢هـ ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥هـ .
- **المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية** : مصطفى جواد ، الطبعة الثانية ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- **المبدع في التصريف** : أبو حيان الأندلسي ، تح د. عبد الحميد السيد طلب ، دار العروبة ، بيروت ، دت.
- **المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر** : ضياء الدين بن الاثير (ت٦٣٠هـ) – تقديم د. احمد الحوفي و د. بدوي طبانة – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة (د.ت) .
- **المثلث** : ابن السيد البطليوسي ، ابو محمد عبد الله بن محمد (ت٥٢١هـ) ، تحقيق ودراسة د. صلاح مهدي علي الفرطوسي ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- **مجازات الآثار النبوية** : الشريف الرضي ، تح مروان عطية ، دمشق ، ١٩٨٧م.
- **المجاز في البلاغة العربية** : مهدي صالح السامرائي ، ط ١ ، دار الدعوة ، سوريا ، ١٩٧٤م .
- **مجاز القران** : ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ) – معارضة وتعليق : محمد فؤاد سزكين – الطبعة الثانية – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- **المجال الدلالي بين كتب الالفاظ والنظرية الدلالية الحديثة** : د. علي زوين –مجلة افاق عربية – العدد الاول – السنة (١٧) – ١٩٩٢ م .
- **مجمع البيان في تفسير القران** : ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) – الطبعة الثانية – دار الكتاب ، ودار الفكر – بيروت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م .
- **مجمع الزوائد** : علي بن بكر الهيثمي (٨٠٧هـ) ، دار الريان للتراث ، القاهرة ١٤٠٧هـ .
- **مجمل اللغة** : احمد بن فارس – تحـ : زهير عبد المحسن سلطان – الطبعة الاولى – مؤسسة الرسالة – ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م .
- **محاضرات في اللغة** : عبد الرحمن ايوب ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٦م .
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها** : ابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود.عبد الفتاح شلبي ، مطابع التجارية ، القاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- **المحصول في علم اصول الفقه** : فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق جابر فياض العلواني ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ١٩٩٧م .
- **المحكم والمحيط الأعظم** : علي بن اسماعيل (ابن سيده ت ٤٥٨هـ) ،تح جماعة ، القاهرة ، ١٩٧٢م.
- **مختصر العين** : أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) ،
- **مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع** : ابن خالويه (ت٣٧٠هـ) ، نشره برجستراسر ،دار الهجرة.
- **المخصص** : ابو الحسن علي بن اسماعيل (ابن سيده) ، دار الفكر .
- **المدارس الصوتية عند العرب**: د. علاء جبر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٦م .
- **المدارس النحوية**: د. خديجة الحديثي ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٩٠م .
- **المدارس النحوية** : د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م .
- **المدخل الى العربية (ابحاث توجيهية في اللغة العربية)** : محمد بدر الدين ابو صالح ، الطبعة الاولى ، دار مكتبة الشرق ، حلب (د.ت) .
- **المدخل الى علم أصوات العربية** : غانم قدوري الحمد ، المجمع العلمي العراقي ، ٢٠٠٢م.
- **المدخل الى علم اللغة** : د. محمود فهمي حجازي –الطبعة الثانية- دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة١٩٧٨م.

- **المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
- **المدخل الى علوم نهج البلاغة** : د. محسن باقر الموسوي ، دار العلوم ، بيروت ،٢٠٠٢م.
- **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو** : د. مهدي المخزومي ، البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٨م
- **المذكروالمؤنث** : لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ) ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ١٩٧٥م .
- **المذكر والمؤنث** : لابي العباس المبرد ، تحقيق د. رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م .
- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان** : لابي محمد عبد الله بن سعد بن علي اليافعي (ت٧٦٨هـ) ، الطبعة الثانية ، منشورات مؤسسة الاعلمي ، بيروت – لبنان ١٩٧٠م .
- **المرتجل** : لابي محمد عبد الله بن احمد بن احمد بن الخشاب (ت٥٦٧هـ) ، تحقيق محمد احمد جاد المولى واخرين ، دار احياء الكتب العربية .
- **المزهر في علوم اللغة وانواعها** : جلال الدين السيوطي – تحـ : محمد احمد جاد المولى ومحمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي – دار الجيل ودار الفكر للطباعة والنشر – بيروت (د.ت) .
- **مستدرك وسائل الشيعة** : المحدث حسين محمد النوري (ت ١٩٢٠هـ)
- **المستصفى من علم الاصول** : ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) – تحـ : فرج الله زكي – الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية ، بولاق ١٣٢٢م .
- **المستقصى في الامثال** : الزمخشري ،حيدر آباد الدكن ، ١٩٦٢م.
- **مسند الإمام احمد** : لابي عبد الله احمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤٢هـ) ، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر ، مصر (د.ت) .
- **مسند الشافعي** : محمد بن ادريس ابو عبد الله الشافعي(ت٢٠٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) .
- **المشترك اللفظي نظرية وتطبيقا** : د. توفيق محمد شاهين ، مطبعة الدعوة الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
- **مصادر نهج البلاغة واسانيده** : عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- **المصادر والمشتقات في معجم لسان العرب .. دراسة صرفية دلالية** : خديجة زبار الحمداني – اطروحة دكتوراه – جامعة بغداد – كلية التربية (ابن رشد) – ١٩٩٥ م .
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** : احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٧٧٠هـ) – الطبعة الثالثة – المطبعة الاميرية – مصر ١٩٠٢ م .
- **المصطلح النحوي** : عوض احمد القوزي ، الطبعة الاولى ، جامعة الرياض ١٤٠١هـ .
- **مصطلحات الدلالة العربية / دراسة في ضوء علم اللغة الحديث** : جاسم محمد عبد العبود ،رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٣م.
- **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية** : د. عبد العزيز الصيغ ، الطبعة الاولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ودار الفكر ،دمشق ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- **المعاجم النحوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث** : د. محمد أحمد الفرج ، دار النهضة العربية ،١٩٦٦م.
- **مع نهج البلاغة دراسة ومعجم** : د. ابراهيم السامرائي (ت ٢٠٠٤م) ،عمان ١٩٨٧م.
- **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث** : محمد احمد ابو الفرج ، مصر ١٩٦٦ م .
- **معارج نهج البلاغة** : ظهير الدين أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد بن محمد البيهقي، فريد خراسان،(ت ٥٦٦هـ ، تح: محمد تقي دانش، مكتبة آية الله المرعشي ١٤٠٩هـ
- **معاني الابنية في العربية** : د. فاضل السامرائي ، الطبعة الاولى ، جامعة الكويت ،١٩٨١ م
- **معاني الحروف** : ابو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي – تحقيق وتقديم : د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي – الطبعة الثالثة – دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة – جدة١٤٠٤هـ /١٩٨٤ م

- **معاني القران** : ابو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالاخفش الاوسط (ت٢١٥هـ) – تقديم وتعليق : ابراهيم شمس الدين ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م .
- **معاني القران** : ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت٢٠٧هـ) – تقديم وتعليق : ابراهيم شمس الدين ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م .
- **معاني القران واعرابه** : ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ) – شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي – الطبعة الاولى – عالم الكتب – بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م .
- **معاني النحو** : د. فاضل السامرائي – مطبعة التعليم العالي – الموصل – بيت الحكمة – بغداد ١٩٨٧ م .
- **معترك الاقران في اعجاز القران** : جلال الدين السيوطي – تصحيح وضبط : احمد شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٨ م .
- **المعتمد في اصول الفقه** : ابو الحسين محمد بن علي (ت٤٣٦هـ) – تحـ : محمد حميد واخرين – دمشق ١٩٦٥ م .
- **معجم الادباء** : ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) ، دار المشرق ، بيروت – لبنان (د.ت) .
- **المعجم الادبي** : جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- **معجم رجال الحديث** : لابي القاسم الخوئي ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، الطبعة الاولى (د.ت) .
- **المعجم الفلسفي** : يوسف كرم ومراد وهبة ، مطابع كوستا توماس وشركاه ، القاهرة ١٩٦٦م .
- **المعجم الكبير** : لابي القاسم سليمان بن ايوب الطبراني (ت٣٦٠هـ) ، دار النشر ، مكتبة العلوم والحكمة ، الموصل ١٩٨٣م .
- **معجم اللسانيات الحديثة** : سامي عياد حنا ، بيروت (د.ت) .
- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: د. احمد مطلوب – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ١٤٠٣هـ /١٩٨٧ م .
- **معجم مصطلحات اللغة والادب** : مجدي وهبة وكامل المهندس ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٢م .
- **المعجم الوسيط** : مجمع اللغة العربية – اخراج : ابراهيم مصطفى ، واحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار – دار الدعوة للتاليف والطباعة والنشر والتوزيع – استانبول ١٩٨٩
- **المغني في تصريف الافعال** : محمد عبد الخالق عضيمة ، ط٣ ، دار الحديث ، القاهرة ،٢٠٠٥.
- **مغني اللبيب عن كتب الاعاريب** : جمال الدين بن هشام الانصاري (ت٧٦١هـ) ، تحـ : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، مراجعة سعيد الافغاني ، الطبعة الخامسة ، مؤسسة الصادق ، طهران ، ١٣٧٨هـ .
- **المفارقة القرآنية / دراسة في بنية الدلالة** : الدكتور محمد العبد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٦.
- **مفاهيم الالفاظ ودلالتها عند الاصوليين** : بشير مهدي الكبيسي ، اطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الاسلامية ، جامعة بغداد ١٩٩١م .
- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة** : احمد بن مصطفى ، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن (د.ت) .
- **مفتاح العلوم** : لابي يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، الطبعة الاولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، القاهرة ١٩٣٧م .
- **المفردات في غريب القران** : لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ) ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت) .
- **المفصل في علم العربية** : الزمخشري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، (د.ت) .
- **المقاييس في اللغة** : لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، تحـ : شهاب الدين ابو عمرو ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٨هـ /١٩٩٨ م .
- **المقتصد في شرح الايضاح** : عبد القاهر الجرجاني ، تحـ : د . كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ م .

- **المقتضب** : ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت . دت .
- **المقرب في النحو** : ابو الحسن علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور الحضرمي الاشبيلي (ت٦٦٩هـ) تحـ : د. احمد عبد الستار الجواري و د. عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني – بغداد (د.ت) .
- **المكتفي في الوقف والابتداء** : لابي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) ، دراسة وتحقيق جابر زيدان مخلف ، مطبعة وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م .
- **الممتع في التصريف** : ابن عصفور ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، الطبعة الثالثة ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- **من اسرار اللغة** : د. ابراهيم انيس – الطبعة السابعة – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ١٩٨٥ م .
- **مناهج البحث في اللغة** : د. تمام حسان ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ م .
- **المنتظم في تاريخ الملوك والامم** : لابي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، ١٣٥٨هـ .
- **المنصف .. شرح لكتاب التصريف لابي عثمان المازني** : ابن جني – تحـ : ابراهيم مصطفى وعبد الله امين – الطبعة الاولى – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ١٣٧٣هـ /١٩٥٤ م .
- **من قضايا اللغة والنحو** : د. مصطفى النحاس – الطبعة الاولى – مطبوعات جامعة الكويت – الكويت ١٤١٥هـ /١٩٩٥ م .
- **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** : قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي(ت ٥٧٣هـ) تح عبد اللطيف الكوهكمري عنيت بطبعة مكتبة المرعشي ،١٤٠٦هـ
- **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** : السيد حبيب الله بن السيد محمد الموسوي الخوئي (ت١٣٢٤هـ) تصحيح ابراهيم الميانجي ط٤ ، منشورات المكتبة الإسلامية طهران
- **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث** : د. علي زوين – الطبعة الاولى – طباعة ونشر : دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ١٩٨٦ م .
- **المنهج الصوتي للبنية العربية .. رؤية جديدة في الصرف العربي** : د. عبد الصبور شاهين – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .
- **المهذب في علم التصريف** : د. هاشم طه شلاش ، و د. صلاح مهدي الفرطوسي ، و د. عبد الجليل عبيد – دار الكتب للطباعة – بغداد ١٩٨٩ م .
- **موسيقى الشعر** : د. ابراهيم انيس ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٨م .
- **ميزان الاصول في نتائج العقول في اصول الفقه** : لابي بكر محمد بن احمد السمرقندي (ت٥٣٩هـ) ، تحقيق وتعليق د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي ، الطبعة الاولى ، مطبعة الخلود ، بغداد ١٩٨٧م .
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** : الحافظ الذهبي ، تح محمد علي البجاوي ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

[حرف النون]

- **نتائج الفكر** : ابو القاسم السهيلي (ت٥٨١هـ) – تحـ : محمد البنا – دار الرياض للنشر (د.ت) .
- **نحو القران** : د. احمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٧٤م .
- **النحو الوافي** : عباس حسن – الطبعة الثالثة – منشورات ناصر خسرو – قم ١٤٢٢هـ .
- **نحو وعي لغوي** : د. مازن المبارك ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٩ه_ - ١٩٧٩م .
- **النثر الفني في القرن الرابع الهجري** : زكي مبارك ، دار الكتب المصرية ، ١٩٧٥.
- **نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** : ابن الجوزي ، تحقيق محمد عبد الكريم الراضي ، مؤسسة الرسالة الاولى ١٩٨٤م .
- **نشاة النحو وتاريخ أشهر النحاة** : محمد الطنطاوي ، جامعة السنوسي ، ليبيا ،١٩٦٣م.

- **النشر في القراءات العشر** : لابي الخير محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، تعليق علي محمد الصباغ ، مكتبة المثنى ، بغداد (د.ت) .
- **النظام القراني ، مقدمة في المنهج اللفظي** : عالم سبيط النيلي ، دار المجة البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٦م.
- **نظرة جديدة في دلالة الكلمة القرانية** : د. عبد الصبور شاهين ضمن كتاب (بحوث في اللغة والادب) ، الكويت ١٩٧٨م .
- **نظرة مقارنة على بعض ادوات المعاني في ضوء اللغات السامية** : اسماعيل احمد عمايرة ، مجلة دراسات ، المجلد ٢٠ (ا) ، العدد ١٩٩٣/٤ ، الجامعة الاردنية .
- **نظرية المعنى في النقد العربي** : مصطفى ناصف ، دار الأندلس ن بيروت ، ١٩٨١م.
- **نفحات الولاية /شرح عصري جامع لنهج البلاغة** : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، قم ،١٤٢٤هـ .
- **نقد النثر** : قدامة بن جعفر (ت٣٧٧هـ) مطبعة نهضة مصر، ١٩٣٩م.
- **النكت في اعجاز القران (ضمن ثلاثة كتب في اعجاز القران)** : علي بن اسماعيل الرماني ، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر (د.ت) .
- **نهاية الايجاز في دراية الاعجاز** : فخر الدين الرازي – تحـ : د. ابراهيم السامرائي و د. محمد بركات حمدي – دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان ١٩٨٥ م .
- **نهاية السول في شرح منهاج الاصول** : عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي (ت٧٧٢هـ) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٣هـ .
- **النهاية في غريب الحديث والاثر** : ابن الاثير مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق ظاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، الطبعة الاولى ١٩٦٣م .
- **نهج البلاغة** : تحقيق صبحي الصالح ، ١٤٢٩هـ ، مطبعة وفا ، أيران ، قم .
- **النوادر في اللغة** : لابي زيد سعيد بن اوس الانصاري (ت٢١٥هـ) ، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر احمد ، دار الشروق ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٨١م .

[حرف الهاء]

- **هدية العارفين .. اسماء المؤلفين واثار المصنفين** : اسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ) – عناية : وكالة المعارف – استانبول ١٩٥١ م .
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** : السيوطي – تحـ : احمد شمس الدين ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية – منشورات : محمد علي بيضون – بيروت ١٤١٨ هـ /١٩٩٨ م .

[حرف الواو]

- **الواضح في علم الصرف** : جماعة ، كلية الدعوة الإسلامية ،ليبيا ، ٢٠٠٣ م.
- **الوافي بالوفيات** : صلاح الدين بن ايبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) ، بعناية هلموت ريبر ، مطبعة وزارة المعارف ، استنبول١٩٤٩م .
- **الوجوه والنظائر في القران الكريم تاريخ وتطور** : د. عبد الرحمن مطلك الجبوري – رسالة ماجستير – الجامعة المستنصرية – كلية الاداب – ١٩٨٩ م .
- **الوجيز في فقة اللغة** : محمد الانطاكي ، ط ٢ ، منشورات دار الشرق ، سوريا ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- **الوضع والاصطلاح في النظرية اللغوية الحديثة** : عبد الرزاق الحربي – اطروحة دكتوراه – الجامعة المستنصرية – كلية الاداب – ١٩٩٥ م .
- **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان** : ابن خلكان ، تحقيق د. احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت (د.ت) .
- يتيمة الدهر : لابي منصور عبد الملك النيسابوري الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ، مطبعة الصاوي ، الطبعة الاولى ، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م .

The Semantic Inquiries in the Printed Versions of Book of *Nahij Al-Balagha* Interpretations

A Dissertation Submitted by
JINAN NADHIM HAMEED MAJEED

To
Council of the College of Education for Women in Baghdad University in partial fulfillment for the requirements of PhD degree in Arabic and Its Literatures

Supervised by

Prof. Dr. KHADIJA ZIBAR ANIZAN AL-HAMDANI

1430 A.H. BAGHDAD 2009A.C.

Abstract

Nahij Al-Balagha has been the preoccupation of people ince appeared. It has filled the world, and scholars, revisers, translators, refuters and defender from all over the world crowded. The interpreter Sharif Al-Radhi (D. 406 A.H.) has stirred the pencils of those by spurring them in on further creation and innovation. Thus, they got enthusiast to comment on the, they derived the treasure from thence. Then, the interpretations and exceeded the two hundreds, some in Arabic and the other in various languages of the world. Only few survived.

These interpretations were not studied fully. This is why I have chosen this theme {**The Semantic Inquiries in the Printed Versions of *Nahij Al-Balagha* Interpretations**} as the theme of my dissertation. I have chosen the semantic study, as other than the branches of linguistic.

The nature of the study required the division of the dissertation into five chapters preceded by an introduction. The introduction included the total theme of *Nahij Al-Balagha* between supporter and opposes. The first chapter was entitled **the interpretations of** *Nahij Al-Balagha* through centuries. It is subdivided into three inquiries. The first inquiry was about names of interpreters arranged chronologically. Of whom fifteen were numbered. The second inquiry has been about the Nahij *Al-Balagha* has been the preoccupation of people appeared. It has filled the world. The second was devoted to the study the phonetic indications interpretation of *Nahij Al-Balagha* in four inquiries; the first inquiry was about the indication of phonetic repetition in the interpretations of *Nahij Al-Balagha* for interpreters of *Nahij Al-Balagha*, the last inquiry tackles phonetic performance

in interpretation *Nahij Al-Balagha*. The third chapter studied grammatical semantic in *Nahij Al-Balagha*, also in four inquiries. The first of which is devoted to the signification of the unaugmented nouns. The second tackled the signification of one-letter augmented nouns. The fourth chapter studies lexical signification in four inquiries. The fifth chapter is devoted to the study of syntactical signification in four inquiries; the first studied the signification in the interpretation *Nahij Al-Balagha*, the second inquiry studied the syntactic signification. Finally, the conclusion sums up the most important findings of the study.